المركز القومي للترجمة

٧٧ حدوتة مصرية

تأليف: جولا إياش

ترجمة: عبدالله عبدالعاطي النجار

تقديم: بيتر راتس



2838

دار بدائل

سبع وسبعون
حدوتة مجرية

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: شكري مجاهد

- العدد: 2838
- سبع وسبعون حدوتة مجرية
- جولا إياش
- عبد الله النجار
- بيتر راتس
- اللغة: المجرية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

Hetvenhét Magyar népmese
By: Illyés Gyula
Copyrihgt © Illyés Gyula
All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع
٩٨ ش محيي الدين أبو العز - المهندسين - الجيزة - مصر 00202-33361467 Tel: 02-01120006449
E-mail: info@darbadael.com www.darbadael.com

سبع وسبعون
حدوتة مجرية

تأليف: جولا إياش

ترجمة: عبدالله عبدالعاطي النجار

تقديم: بيتر راتس

2015

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

دار الكتب والوثائق القومية

إياش، جولا.
حدوتة مصرية / تأليف جولا إياش ؛ ترجمة عبد الله عبد العاطي النجار ؛ تقديم سمير مرتضى . - الجيزة : [illegible] للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٥ م.
[illegible] ص ؛ سم.
تدمك ٩٧٨٩٧٧٦٥٠٧٠٤٢
١ - القصص الشعبية
٢ - الأدب الشعبي المجري
أ - النجار، عبد الله عبد العاطي (مترجم)
ب - مرتضى، سمير (مقدم)
ج - العنوان
٣٩٨

دار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
الإدارة العامة للشئون الفنية

رقم الإيداع / ١٦٥٩٥ / ٢٠١٥ التاريخ : ٩ / ٨ / ٢٠١٥

ملحوظة:
هذه البطاقة تطبع خلف صفحة العنوان.
هذه البيانات لا تنطبق إلا على هذا العنوان ولا تعمم في عناوين أخرى.
تسجيلة الفهرسة أثناء النشر هي توثيق للملكية الفكرية مع رقم الإيداع.
حرصا من الإدارة على تسهيل الخدمة فيسعدها التعامل
من خلال شبكة الانترنت على البريد الالكتروني
darelkotob.fan@gmail.com
www.darelkotobfan.moonfruit.com
تسجيله الوصف تمت بناء على البيانات المرسلة من الناشر

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتوى

كلمة افتتاحية

"سبع وسبعون حدوتة مجرية" كتاب لا يخلو منه بيت، حتى لو كان هذا البيت لا يحتوي إلا على كتابٍ واحدٍ فحسب، فحيثما يوجد أطفال، يوجد هذا الكتاب. إنه الكنز الذي يجعل من حياة الطفولة أكثر ثراءً وشغفًا وحبًا للمعرفة. هذا الثراء لا يقاس بالتيجان الذهبية ولا بالأموال الطائلة الوارد ذكرها في حكاياته، وإنما في بث الروح الطيبة وحب الخير والحق والشجاعة في نفوس الأطفال. كم هي لطيفة وغنية هذه الحكايات! وغالبًا ما يتخللها روح الدعابة والحبكات الدرامية، أما عن نهايتها السعيدة فدائمًا ما تجلب الفرحة في وجدان القارئ بلا شك.

قديمًا كانوا يحكون القصص والحكايات للأبناء والأحفاد بكل الحب والترحاب، وكان القصاصون المشهورون ـ ومعظمهم من الفلاحين البسطاء ـ ينتشرون في كل أنحاء البلاد، وقد منحوا علمهم لجامعي القصص والحواديت عن طيب خاطر، وعلى رأسهم جولا إييش " Illyés Gyula" أحد أهم شعراء وعلماء الاجتماع وكتّاب المسرح في القرن العشرين. إييش نفسه ينحدر من أصول ريفية بسيطة، وكان خبيرا بعالم الحواديت والحكايات الشعبية. أدخل جولا إييش "Illyés Gyula" على هذه الحكايات بعد جمعها بعض التعديلات التي جعلتها أكثر تناغمًا وروحها أكثر خفة وجمالًا وقوة من حيث اللغة والشكل والمضمون.

لا شك يراودني أن أطفال العالم العربي الغني بالتراث القصصي الطفولي سوف يستمعون بكل الحب والاشتياق لهذه الحكايات الشعبية كما هي الحال لدينا، فأنا ما زلت أتذكر منذ طفولتي الكثير من حكايات هذا الكتاب مثل: "السجقاية الصغيرة" و"الملك كاتسور" و"إيلوك وميهوك" و"الجنية الجميلة "إلونا" و"آرجيلوش"، و"الملك ماتياش وراعي الأغنام الصادق" وغيرها. يغوص أبطال هذه الحكايات في أحلام الأطفال، منبت الحكايات ومصدرها، عند الاستماع إليها قبيل الذهاب إلى النوم. إن ترجمة عبدالله النجار تحتفظ بروح وقلب الحكايات لإدخال البهجة والسعادة في وجدان الصغار والكبار من أبناء الشعب العربي.

بيتر راتس

أستاذ الترجمة بجامعة بانون ومعهد بالاشي بالنت

ورئيس المؤسسة المجرية للمترجمين

بودابست ٢٠ مارس ٢٠١٤

مقدمة المترجم

تعمل الترجمة بشكلٍ كبيرٍ على تقليص الفجوة القائمة بين الشعوب من الناحية المعرفية والثقافية والعلمية، ذلك أن الإنسان في سعيه الحثيث والدؤوب لاكتساب المعرفة يتطلع دائمًا إلى من هو أفضل منه في هذا المجال، ويبدأ من حيث انتهى الآخرون، ويحاول تثقيف نفسه والاطلاع على المعارف المختلفة للأمم الأخرى، كي يتعلم من تجاربها وخبراتها، ومن هذا المنطلق تأتي فكرة القيام بأعمال الترجمة. ولا شكَّ أنَّ ترجمة الآداب والفنون تَفتح نافذة على ثقافات الشعوب الأخرى، ولكن في مجال ثقافة الطفل قد تُمثل الترجمة أكثر من ذلك، وقد ترتقي لتُمثِّل حبل الإنقاذ من قلة وضَعف المنتج الموجَّه للطفل باللغة العربية؛ سواء ككُتب أو غيرها، ومن هنا نبعت فكرة القيام بترجمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

ربما هذه هي المرة الأولي التي يتعرف فيها القارئ العربي العزيز على الكاتب المجري جولا إيبش ذي التاريخ المشرِّف، فلم يصل إلى علمي من قبل أن أحدًا من المترجمين العرب قد ترجم أيًا من أعماله، وليس هذا تقليلًا من شأن الكاتب على الإطلاق، ولكنهم ـ كما جرت العادة ـ اعتادوا ترجمة الأعمال الكبرى لعظماء المؤلفين والكتّاب والشعراء المجريين مثل أتيلا يوجف(1)، وإمري كرتيس(2)، الحائز على جائزة نوبل في الآداب، وجيجموند موريتس(3)، وإشتفان أركيني(4)، ولكنني عندما أنوي ترجمة عملٍ ما، فلا أهتم بمدى شهرة الكاتب، قدر اهتمامي بالعمل المراد ترجمته، والنفع الذي يعود على القارئ من ورائه، لذا وقع اختياري على هذا العمل الرائع الذي

---

(١) بالمجرية "József Attila" وعاش بين (١٩٠٥-١٩٣٧). في الحقيقة لا نبالغ حين نقول إن أتيلا يوجف من أعظم الشعراء المجريين في القرن العشرين، علما انه لم يعش سوى إثنين وثلاثين عامًا. بذلك لم يشذ عما بات يشبه "القاعدة"، فالكثير من الشعراء المجريين رحلوا مبكرا. صدر أول ديوان له في ١٩٢٢ بعنوان "متسول الجمال". يقول عن ذلك في سيرة حياته التي كتبها عام ١٩٣٧، قبل أشهر من وفاته: "اعتبروني طفلًا معجزة، لكني كنت يتيمًا لا غير".

(٢) أو "Kertész Imre" بالمجرية وهو روائي مجري ولد في بودابست في ٩ نوفمبر ١٩٢٩ حصل على جائزة نوبل للآداب في سنة ٢٠٠٢ وذلك لـ"نتاجه الذي يروي تجربة الفرد الهشة في مواجهة تعسف التاريخ الوحشي" حسب قول الأكاديمية السويدية. اعتقل عام ١٩٤٤ وهو في الخامسة عشرة في معسكر "أوشفيتز"، ثم في "بوخنفالد"، قبل أن يفرج عنه عام ١٩٤٥.

(٣) بالمجرية "Móricz Zsigmond" وعاش ما بين (١٨٧٩-١٩٤٢) وهو كاتب وصحفي ومحرر مجري شهير عمل في النصف الأول من القرن العشرين. له العديد من الروايات ذائعة الصيت، والتي تمت ترجمتها إلى العديد من اللغات الأجنبية.

(٤) أو "Örkényi István" بالمجرية. ولد في عام ١٩١٢ وتوفي في ١٩٧٩. ينحدر من عائلة يهودية، وتخرج في كلية الصيدلة، وعمل بهذه المهنة إلى جوار اشتغاله بالآداب والفنون وقد صار من كبار الكتاب والمحررين المجريين في القرن العشرين. له العديد من المؤلفات التي حصلت على جوائز أوروبية ومجرية فضلا عن تحويلها إلى أفلام درامية ناجحة.

يحمل عنوان ٧٧ حدوتة مجرية، أو "Hetvenhét Magyar Népmese". فمن الأمور التي جذبتني للقيام بترجمة هذا الكتاب أنه يتضمن حكايات شعبية مجرية تعكس الذوق الثقافي المجري وأدب الطفل هناك إذ تتمتع بأسلوبٍ سهلٍ وأخاذٍ، وسردٍ ممتعٍ جميلٍ، وعرضٍ مشوقٍ جذابٍ لجميع الحكايات منذ بدايتها وحتى نهايتها، علاوة على ذلك فإنه ينبغي القول بأن الكاتب قد اختار موضوعات جميلة وذات مغزى واضح، إضافة إلى القيم العظيمة التي يحاول غرسها في الأطفال أو القارئ بوجه عام.

يضم هذا الكتاب بين جنباته الكثير من الحكايات الرائعة التي قام بكتابتها جولا إييش، والذي جمع ٧٧ عنوانًا أو حكاية شعبية قصيرة، وهذا الأمر واضح وجلي من عنوان الكتاب نفسه، والحكايات التي تضمنها هذا الكتاب تسمح باستفاضة بإلقاء نظرة موضوعية على العالم الداخلي للكاتب جولا إييش، وتوضح بجلاء فلسفة الحياة العامة والشخصية التي يعتنقها، والتي يحب أن يحيا ويعيش فيها، وهذه الحكايات تساعد على غرس العديد من القيم لدى الأطفال أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قيمة الصدق والصراحة والشجاعة وقيمة الأمانة مهما كانت المغريات، وكذلك قيمة النظام والتعاون، وكذا قيمة البر ومن مظاهرها زيارة الصديق وعيادة المريض وحب الناس ومساعدة الآخرين قدر المستطاع، وأيضا قيمة احترام الكبير، ولا ننسى قيمة الحياء والأدب في الحوار والتعامل مع الآخرين فـ "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا".

يتضمن الكتاب العديد من الحكايات الشعبية المجرية التي ذاع صيتها ليس في جميع أنحاء المجر فحسب، بل في القارة العجوز بأسرها، وقد قام العديد من أبناء الطبقة الفنية المجرية بتحويلها إلى أفلام كارتون مرة، وإلى مسرحيات مرة أخرى، وأحيانًا إلى قصصٍ مسموعةٍ عن طريق راوٍ، وهذا دليل آخر على نجاح هذه الحكايات التي هي - في رأيي المتواضع - من أكثر الحكايات المجرية البسيطة جمالًا وجذبًا للقارئ الصغير والكبير على حد سواء. ومن الحكايات الشهيرة التي تضمنها الكتاب: "الملك كاتسور"، و"ميشو الساذج"، و"الإسكافي الساذج طبيب معجزة"، و"إيلوك وميهوك"، و"الثعلب والذئب في عرس زفاف"، و"أقوى الحيوانات"، و"ذهب الذئب ليمرح، فتعلم الطيرا"، و"سباق الحمقى"، و"الملك ماتياش وراعي الأغنام الصادق"، و"ماتي راعي الإوز"، و"نهاية الحاقد"، و"الملك المغرور"، و"الصديق الذي تحول إلى حمار"، و"بيضة مهر "راتوت"، و"الصياد العجوز وزوجته الطماعة" و"فليبارك الله في صحة الملك".

وُلد جولا إييش في الثاني من نوفمبر عام ١٩٠٢، وهو الشاعر والمؤلف والكاتب الدرامي، والمترجم المتخصص والمحرر الصحفي وعضو الأكاديمية المجرية للعلوم، الحاصل على جائزة كوشوت "Kossuth-díj" الذائع صيتها في شتي أنحاء أوروبا.

التحق جولا إييش بجامعة بودابست للعلوم بقسم اللغة المجرية ـ الفرنسية، وبسبب نشاطه اليساري غير الشرعي في تلك الآونة، وضعته السلطات الأمنية نصب أعينها، وتحت مراقبتها، وقبل القبض عليه قام بالهجرة إلى فيينا في أواخر عام ١٩٢١، وسافر من هناك إلى برلين ثم غادر إلى لوكسمبورج، واشتغل في تلك الفترة في البناء، ومهن أخرى مشابهة.

حصل كاتبنا في عام ١٩٢٦ على عفو من العقوبة المفروضة عليه في المجر والتي بموجبها كانت تطارده أجهزة الأمن، وفي صيف العام نفسه عاد إلى موطنه الأصلي، وأقام في محافظة تولنا "Tolna"، ثم انتقل إلى بودابست. ابتداء من العام ذاته عمل الكاتب في التحرير الصحفي في مجلة لايوش كوشاك "Kassák Lajos"، وفي الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٢٩ عمل بالنشرة الدورية المسماة بالعمل "Munka"، وفي ذلك الحين كان ينشر أعماله في مجلة الكتابة المجرية "Magyar Írás"، وبدايةً من عام ١٩٢٨ شرعت أعماله الشعرية والنقدية في الصدور محليًّا وأوروبيًّا بانتظام، وقامت الدوائر الأدبية المجرية بتكريمه تقديرًا لأعماله المتميزة، إذ تم منحه جائزة "Baumgarten-díj" في الأعوام التالية: ١٩٣١، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٦، وفي عام ١٩٣٤ سافر إلى الاتحاد السوفيتي، وشارك كمدعو في أول مؤتمر للكتّاب في الاتحاد السوفيتي، وقد عمل مع الشاعر المجري العملاق ميهاي بابيتش "Babits Mihály".

ومثلما كان عظيمًا في كتاباته الشعرية والدرامية، فقد كان على علاقة طيبة بالشعراء والكتاب المجريين الكبار في تلك الفترة وعلى رأسهم أتيلا يوجف، وفي ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ عام الثورة المجرية تم انتخابه عضوًا باللجنة المركزية بحزب بتوفي "Petőfi Párt".

يُعدّ إييش أيضًا واحدًا من أكبر الشعراء المجريين في القرن المنصرم، ومن دواوينه «الأرض الصلبة» أو "Nehéz Föld" عام ١٩٢٨، و«تحت سماوات محلقة» أو "Szálló Egek Alatt" في ١٩٣٥؛ ويمتاز إنتاجه بالوفرة والتنوع، فقد كان شاعرًا، وكاتب قصص ومقالات ومسرحيات يتناول بالتحليل النقدي القضايا الاجتماعية المعاصرة، ولاسيما مشكلات مجتمع الفلاحين في المجر. لذا يعتبر بحقٍ شاعر الأمة، ذلك أن إنتاجه الأدبي الذي التزم فيه التنديد بالبؤس الغالب في الريف قد اقترن مدة نصف قرنٍ كاملٍ بقضايا أمته المصيرية، وأدّى على أكمل

وجه المهمة التي نُذِر لها؛ ألا وهي مهمة قيادة المجتمع نحو التحضّر. وتعدّ أعمال إييش مثالًا للأدب المرتبط بحركة التاريخ، وإبرازًا لإخلاص الكاتب لأصله القروي وللأمل في الارتقاء الاجتماعي والفكري إلى حياة جديدة بأن تحيا في ظل النظام الاشتراكي.

يتصف أسلوب إييش النثري بنقائه وشدة إثارته للمشاعر، وبالسهولة التي يضع فيها الصورة الواقعية في خدمة التعبير الفكري. وهو يمثّل بذلك الاندماج والتكامل بين الإبداع الريفي من جهة والفكر والأدب من جهة أخرى. ولا شك أن ديوانه الأول «الأرض الصلبة» أو "Nehéz Föld" يعد إدراكًا ذاتيًا ملتزمًا تجاه الأرض الأم، وولادة فن همّه المحافظة على التوازن بين الذات والعالم.

ويتجلى موقف إييش ناطقًا بلسان طبقة اجتماعية ثم مرشدًا روحيًا للأمة في تصوير مناظر طبيعية حميمة في خاصيتها، وفي السرد والتأملات الموقوفة على التضامن الإنساني، والتوزع الصاخب بين التعنيف والتهديد من جهة، والحلم والآمال المرجوة من جهة أخرى. ذلكم هو المسار الفكري والروحي الذي خطّه إييش لنفسه، ونذر له روحه في المجموعات التالية: «تحت سماوات محلّقة» "Szálló Egek Alatt"، و«نظام في الرمل» أو "Rend a Homokban" عام ١٩٣٧، و«في عالم خاص» أو "Külön Világban" في ١٩٣٩.

ألّف إييش بين عامي ١٩٥٢ و١٩٦٣ مجموعة كبيرة من الروايات أهمها «مثال أوزورا» "Ozorai Példa" في ١٩٥٢، و«لهب المشعل» "Fáklyaláng" عام ١٩٥٣، وضع فيها الشخصيات الروائية في خضم الصراعات التاريخية الكبرى، وأكد من خلالها الحاجة الملحة إلى ربط قضية الثورة بالقضية الوطنية. ومنذ عام ١٩٦٥ صار البطل عند إييش ضحية تتنازع مشاعره السياسة والأخلاق. وتتمثل صورة البطل هذه في شخصية ماكسيموم بيترونيوس المجري في مسرحية «المفضّل» أو "Különc".

تتلخص الأهداف الإنسانية التي أوقف عليها إييش مجمل دواوينه الشعرية في البقاء شاهدًا على التاريخ، وفي التعبير الصادق عن هموم الأمة، كما في أزمات اليأس التي مرت بها، وفي التشبّث العنيد بالمقاومة، والرغبة المتجددة أبدًا بقيام نظام متناسق الأجزاء. من دواوينه في هذه المرحلة «مصافحات بالأيدي» أو "Kézfogások" عام ١٩٥٦، و«الشراع المائل» أو " Dőlt Vitorla" في ١٩٦٥، و«أسود وأبيض» أو "Fekete-Fehér" في ١٩٦٨، وقد انتهج فيها الكاتب أسلوبًا مميزًا يخفف فيه تواترُ الفصول وسكينة الطبيعة من حدّة الشكوك ومرارة القلق.

ثم لا يلبث الشعور بالمسؤولية أن يعاود تأججه في صدر الشاعر بفضل فكر متّقد تنتشله صور الواقع من أعماق الهاوية التي يقبع فيها.

وصار إييش في السبعينات الممثل المثالي والقدوة النموذجية للتقاليد الشعبية التقدمية التي يبحث عنها ويصبو إليها الكثيرون، وغدت سلطته المعنوية أشبه بالأسطورة، ولكن قلقًا جديدًا انبعث من نتاجه الأدبي على مختلف أنواعه، كما في ديوانه «قضية عامة» أو "Közügy" في ١٩٨١. تمثل روايته «صفحات بياتريس» أو "Beatrice Apródjai" عام ١٩٧٩ التي تدور أحداثها حول ثورات ١٩١٨-١٩١٩ سيرته الذاتية.

ويبقى إييش الموجه الأخلاقي الواقع فريسة لصراع داخلي شرس، في زمن عاقٍ تأتي الكوارث فيه من العدم ويصعب إيجاد مسوّغ أخلاقي لها.

وأخيرًا انتهى مشوار الكاتب والشاعر والمؤلف الشهير جولا إييش بوفاته في ١٥ أبريل ١٩٨٣ بمنزله القابع على ضفاف بحيرة البالاتون "Balaton Tó"، أجمل بحيرات القارة الأوروبية.

عبدالله عبدالعاطي النجار

القاهرة في: ٢٠ مارس ٢٠١٤

السجقاية الصغيرة

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، كان هناك رجل فقير وامرأة فقيرة. كان لديهما ثلاث بنات وخنزير صغير. وبعد أن كبر حجم هذا الخنزير وسمن من كثرة الأكل، أو كما كانوا يقولون أصبح عليه قيراطان شحم(١) على ظهره، ذبحوه. ثم خزّنوا لحمه بجوار المكان المخصص للشواء، أما السجق فعلقوه في غرفة الخزين العلوية على أول عرق(٢) في السقف. كان لحم هذا الخنزير لأفراد العائلة الخمسة مثل حبة الفراولة من شدة طعامته وحلاوته. أكلوا لحم الخنزير كله ولم يتبق منه شيء سوى سجقاية صغيرة. وفي يوم من الأيام اشتاقت الأم للحم هذا الخنزير وأرادت أن تطبخ هذه السجقاية، فقالت لكبرى بناتها:

ـ اطلعي إلى غرفة الخزين يا ابنتي، وأحضري السجقاية الصغيرة لنطبخها.

ذهبت الفتاة إلى غرفة الخزين تلبية لطلب أمها، ولما أن همت بأخذ السجقاية من مكانها قالت لها:

ـ سوف أبلعك الآن... همهمهم! ولم تكن تخدعها فقد التهمت البنت فعلًا.

تأخر الوقت وكان الجميع في الأسفل ينتظر عودة البنت ومعها السجقاية، لكنها لم تعد فقالت الأم لابنتها الوسطى:

ـ اذهبي إلى أختك الكبيرة، وقولي لها أن تحضر السجقاية.

صعدت البنت الوسطى إلى هناك، وبحثت عن أختها ولكنها لم تجدها في أي مكان، فذهبت لتحضر السجقاية ولكن سمعت من يقول لها:

ـ لقد بلعت أختك الكبيرة، وسأبلعك أنتِ أيضًا... همهمهم!

وهكذا أكلتها هي الأخرى. كانت الأم في انتظار بنتيها. ولما أن طال وقت الانتظار قالت لابنتها الصغرى:

---

(١) مادة دُهنيَّة بيضاء صلبة سهلة الذّوبان مُسمِّنة تكون في جسم الإنسان والحيوان.

(٢) العِرْقُ: خشبةٌ مرتفعةٌ طويلةٌ يعرَّشُ بها سقف البيت ونحوُه.

- اذهبي ونادي على أختيكِ؛ فإنهما والله ليأكلان الكرز المجفف في الأعلي ونسيانا هنا!

عندما وصلت الأخت الصغرى إلى هناك قالت لها السجقاية:

- لقد بلعت أختيكِ الكبيرتان وسأبلعك أنت الأخرى... همهمهم! وبلعتها فعلًا.

لم تدر الأم فيم تفكر بعد ذلك، فماذا تفعل بناتها كل هذا الوقت. طلعت إليهم وفى يدها العصى كي تعطيهن درسًا لن ينسى أبدًا، وتضربهن حتى تقطع جلدهن.

وعندما وصلت إلى فوق، قالت لها السجقاية الصغيرة:

- أكلت بناتكِ الثلاث، وسآكلك أنتِ أيضًا... همهمهم!

وهكذا أكلتها حتى إن إصبعها الصغير ظل في الخارج. وعندما ملّ الزوج المسكين الانتظار ذهب يستطلع ماهية الأمر ليعرف ماذا حدث لبناته وزوجته فطلع إلى غرفة الخزين فقالت له السجقاية الصغيرة:

- أكلت بناتك الثلاث وزوجتك، والآن جاء دورك... همهمهم!

لم تنتظر كثيرا والتهمته في الحال، ولكن الحبل الذي كانت هذه السجقاية معلقة عليه لم يتحمل خمسة أفراد فانقطع وسقطت، ثم بدأت تتدحرج وتتدحرج من على السلالم حتى وصلت إلى الأرض.

وبمجرد أن تدحرجت خارجة من البوابة الصغيرة وجدت في الطريق مجموعة من المزارعين يحصدون الزرع فالتهمتهم جميعًا.

وظلت هكذا تتدحرج أكثر وأكثر، وفي الطريق العام وجدت جنودًا فبلعتهم بما معهم من متعلقات، وظلت تتدحرج وتتزلق وتبلع كل ما يقابلها. ليس بالبعيد من هذا المكان كان هناك ولد يرعى قطيعا من الخنازير التي خافت من هول المنظر فتفرقت وتباعدت في كل اتجاه. كان الولد الصغير يجلس على حافة الترعة، وبمطواته النمساوية(١) كان يقطع الخبز ويأكله مع قطعة من الليـّـة(٢) المملحة. ذهبت السجقاية إلى الولد الصغير أيضا وقالت له:

---

(١) سكينٌ صَغيرٌ ذو نَصْلٍ أو نِصال تُطوَى في النِّصاب، والنمساوية منها هي أفضل الأنواع.
(٢) لية الخروف تتكون من مادة دهنية من الشحميات الثلاثية والكوليستيرول.

ـ التهمت ثلاث بنات وأبيهم وأمهم ومجموعة مزارعين وبعض الجنود، وسأبلعك أنت أيضًا!

ولكن عندما حاولت التهامه وقفت المطواة النمساوية في حلقها فشقتها نصفين. هكذا فقط خرج من جوفها الجنود وأناس كثيرون. وبعدها ذهب كل واحد منهم إلى عمله، وتركوا السجقاية عند الترعة مقسومة إلى نصفين.

إذا لم تشق مطواة الراعي الصغير جوف السجقاية، لظلت قصتي ممتدة إلى ما لا نهاية!

الملك "كاتسور"

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، كانت هناك سيدة أرملة لديها قطة صغيرة، لكن لسانها كان كبيرا. في صباح أحد الأيام لعقت اللبن كله من الطبق، فغضبت السيدة، وأوسعتها ضربًا موجعًا، وطردتها من المنزل. هربت القطة وولّت إلى أطراف القرية، وهناك جلست في حزنٍ عميقٍ بجانب الجسر.

في نهاية الجسر كان يجلس ثعلبًا يهز ذيله القذر، فرأته القطة، وجرت نحوه، وبدأت في اللعب في ذيله. خاف الثعلب وانتفض، واستدار لها. عندئذ شعرت القطة بالخوف هي الأخرى وتراجعت للخلف ووقفت مكانها. وظلا ينظران إلى بعضهما بعضا لفترةٍ من الزمن.

لم يكن الثعلب قد رأى قطة من قبل، وأيضًا القطة لم تر ثعلبًا طيلة حياتها؛ كلاهما كان خائفًا من الآخر، ولم يعلم أي منهما ماذا يفعل تجاه الآخر، المهم أن الثعلب قال في نهاية المطاف:

ـ هل أضايقك إذا سألتك عن جنسيتك، يا سيدي؟

ـ فقالت القطة: أنا الملك "كاتسور"!

ـ الملك "كاتسور"؟ لم أسمع عنه من قبل!

ـ وكيف لم تسمع عني من قبل، وأنا من يضع القواعد والقوانين التي تسير عليها كل الحيوانات، فسلطتي كبيرة للغاية.

ارتعد الثعلب، وطلب من القطة بتواضع شديد أن تكون ضيفته لتناول لحم الدجاج الشهي، وبما أن الوقت قد اقترب من منتصف النهار، وكانت القطة جائعةً جدًّا، فلم تنتظر أن يكرر الدعوة مرة أخرى. وانطلقا سويًّا صوب جحر الثعلب، وبسرعة وجدت القطة نفسها تُعامل كسيد وكأنها ملك فعلًا، وسعدت كثيرًا لأن الثعلب يخدمها باحترام كالعبد مع سيده. تصرفت كما يتصرف الملوك حقًّا، فتحدثت قليلًا وأكلت كثيرًا. بعد وجبة الغداء نامت وأمرت الثعلب أن يحرسها وينتبه ألا يقلقها أحد أثناء نومها.

وقف الثعلب عند فتحة الجحر يحرسها، وفي ذلك الحين تحديدًا مرَّ من هناك الأرنب الصغير، فقال له الثعلب:

ـ اسمع أيها الأرنب الصغير، لا تسير من هنا، لأن سيدي الملك "كاتسور" نائم! إذا خرج،

فلن تعرف إلى أين ستفر هاربًا، فهو من يضع القواعد والقوانين التي تسير عليها كل الحيوانات، فسلطته كبيرة جدًّا!

ارتجف الأرنب، وابتعد بهدوء، وظل يفكر وهو مختبئ في إحدى الحفر: "من عساه أن يكون الملك "كاتسور" هذا؟ فلم أسمع عنه قط."

لاحظ الأرنب دبًّا يتجول هناك أيضًا فسأله: إلى أين تذهب؟

ـ أتمشى قليلًا، لأنني أشعر بملل شديد.

ـ ياه! لا تسر من هنا، لأن الثعلب يقول إن سيده الملك "كاتسور" نائم؛ وإذا خرج، فلن تعرف إلى أين ستجري هاربًا، فهو ينظم كل الحيوانات، فسلطته كبيرة جدًّا!

ـ الملك "كاتسور"؟ لم أسمع عنه من قبل! ومع ذلك سأذهب إلى هناك، على الأقل لأرى من يكون الملك "كاتسور" هذا. وبالفعل انطلق الدب ناحية جحر الثعلب.

ـ اسمع أيها الدب، لا تسر من هنا، لأن سيدي الملك "كاتسور" نائم؛ وإذا خرج، فلن تعرف إلى أين ستجري هاربًا، فهو سيد كل الحيوانات، فسلطته كبيرة جدًّا! ـ صرخ فيه الثعلب الحارس قائلا هذه الكلمات.

وهنا خارت عزيمة الدب، واستدار عائدًا إلى الأرنب الصغير من دون أن يتفوه بكلمةٍ واحدةٍ. وهناك وجد مع الأرنب الصغير كل من الذئب والغراب؛ وقد اشتكوا بأنهم قد حدث معهم الأمر نفسه، وبدأ الجميع يتساءل:

ـ من عساه أن يكون الملك "كاتسور" هذا؟ لم نسمع عنه أبدًا! وفكَّروا مليًّا فيما يفعلون كي يروه. وقد اتفقوا على أن يدعوه لتناول الغداء مع الثعلب. وخلال وقت قصيرٍ أرسلوا الغراب بالفعل ليوجه الدعوة للضيف العزيز.

عندما رأى الثعلب الغراب، جرى نحوه بغضب شديد، وعنَّفه لأنه يقوم بأعمال غير لائقةٍ للمرة الثانية.

ـ أُغْرب عن هذا المكان! ألم أقل لك من قبل لا تسر من هنا، لأن سيدي الملك "كاتسور" نائم؛ وإذا خرج، فلن تعرف إلى أين ستجري هربًا، فهو من يضع القواعد لكل الحيوانات، فسلطته كبيرة جدًّا!

ـ أعلم... أعلم هذا الأمر جيدًا؛ فلم أجئ إلى هنا من تلقاء نفسي، ولكن الدب والذئب

والأرنب أرسلوني لكي نوجه الدعوة إليكما لتناول الغداء سويًا.

ـ آه، هذا الأمر مختلف إذن! انتظر قليلًا!

وعلى إثر ذلك دخل الثعلب ليستوضح الأمر من الملك "كاتسور". وبعد انتظار قليل أقبل الثعلب وأخبر الغراب بأن الملك يقبل دعوة الغداء بكل سرور، لكن يريد أن يعرف المكان.

ـ سآتي أنا غدًا لأصطحبكما!

وبناء على هذا الخبر الطيب قام الدب والذئب والأرنب بتنظيم الأعمال المطبخية. فجعلوا من الأرنب الصغير طاهيًا لأن ذيله صغير وليس من السهل أن يحرق نفسه، أما الدب فعليه إحضار الأخشاب والحيوانات إلى المطبخ استعدادا للطهي، والذئب عليه فرش المائدة وتقليب اللحم.

وعندما أصبح الغداء جاهزًا، انطلق الغراب لإحضار الضيفين، وطار متنقلًا من شجرةٍ إلى أخرى، ولكنه لم يجرؤ على الهبوط، فبقي محلقًا في السماء، ومن هناك ظل ينادي على الثعلب، الذي رد عليه قائلًا:

ـ انتظر قليلًا، سنكون جاهزين خلال وقتٍ بسيطٍ، سيدي الملك العظيم يبرم شاربيه وسنأتي حالًا.

وأخيرًا خرج الملك "كاتسور" بشحمه ولحمه وهو يخطو إلى الأمام بكل عظمةٍ وفخر، وظل مسلطًا عينيه على الغراب لأنه كان يشعر بداخله بالخوف منه. وكان الغراب يشعر بالرعب أيضًا، فلم يجرؤ على النظر في عين الملك "كاتسور" كي لا يراه، وقافزًا من شجرةٍ لأخرى، اصطحبهم إلى مكان العزومة.

كان الدب والذئب والأرنب في انتظار متلهفٍ، والكل يسأل بفضول: من عساه أن يكون الملك "كاتسور" هذا؟ ويحدقون بتمعن إلى الطريق، الذي سيأتي منه الضيفان، وفجأة صاح الأرنب الصغير:

ـ يأتي من هناك... يأتي من هناك! يا إلهي، إلى أين أجري... إلى أين أفر؟! ومن شدة الخوف ركض الأرنب على النار، لكنه سرعان ما تماسك، وتشجَّعَ، لكنه وهو يستدير ارتطم بالذئب، وخربشه بشدة. اعتقد الذئب أن الدب من فعل به هذا، ولم يشك في الأرنب ولو للحظة واحدة،

ولذلك قام بضرب الدب. أراد الدب أن يوجه الضربة للأرنب الصغير لأنه السبب في ذلك، ولكن اللكمة أصابت الملك "كاتسور" نفسه، الذي كان قد وصل إلى هناك في تلك اللحظة بالضبط.

وعندما رأى أنه لطم الملك "كاتسور" العظيم ارتعدت مفاصله حتى إنه وضع قدميه على رقبته مستسلمًا. ارتجف الملك "كاتسور" من هذا الأمر. وأخذ يموء مواء... مواء... مواء، وهرب راكضًا بأقصى سرعة!

وتململ الغراب في خوفه أيضًا شأنه شأن الباقين.

وربما ما زالوا يجرون وراء بعضهم إلى الآن، ما لم يكونوا قد توقفوا.

الديك والكتكوت

كان يوجد في قلب الغابة ديك وكتكوت مات صاحبهما، ولم يكن هناك ما يأكلانه. تضورا جوعًا، ثم وجدا بعد ذلك ثمرة كمثرى برية فحاول الكتكوت أكلها على مرة واحدة، لكنها كانت أكبر من حنجرته الصغيرة، فتحشرجت فيها وعلقت بها. عندئذ قال الكتكوت بصعوبة:

ـ اذهب بسرعة يا ديك، وأحضر القليل من الماء، لأنني سأموت.

أسرع الديك إلى البئر وقال له:

ـ أرجوك أيها البئر، أعطني ماءً كي آخذه إلى كتكوتي الصغير لأنه سيختنق من ثمرة الكمثرى المحشورة في حنجرته.

ـ قال البئر: لن أعطيك ماءً حتى تأتيني بإكليلٍ[1] من فتاةٍ جميلةٍ.

بعد ذلك ذهب الديك الصغير إلى البنت الجميلة، وقال لها:

ـ أيتها البنت الجميلة أعطني إكليلًا.

ـ لن تحصل عليه ما لم تُحضر لي القليل من حليب البقرة.

توجه الديك إلى البقرة وقال لها:

ـ أيتها البقرة، أعطني القليل من الحليب لأعطيه للفتاة الجميلة... والفتاة الجميلة تعطيني الإكليل... وآخذ الإكليل إلى البئر... والبئر يعطيني الماء، وآخذ الماء إلى كتكوتي الصغير، لأنه سيموت مختنقًا من ثمرة الكمثرى البرية.

ـ فقالت البقرة: لن أعطيك القليل من الحليب للفتاة الجميلة ما لم تُحْضر لي تبنًا من الحقل.

انطلق الديك إلى الحقل وقال له:

ـ أيها الحقل، أعطني تبنًا لآخذه إلى البقرة... والبقرة تعطيني القليل من الحليب... وآخذ الحليب إلى الفتاة الجميلة... والفتاة الجميلة تعطيني الإكليل، وآخذ الإكليل إلى البئر... والبئر يعطيني الماء، وآخذ الماء إلى كتكوتي الصغير، لأنه سيختنق من ثمرة الكمثرى البرية.

---

(١) الإِكْليلُ: طاقةٌ من الورود والأزهار على هيئة التاج تكلّل الرأسَ أو تطوّق العنقَ للتزيين. والجمع: أكاليل.

ـ فرد الحقل قائلًا: لن أعطيك التبن ما لم تذهب إلى الدكان وتُحْضر لي منجلًا.

ذهب الديك إلى الدكان:

ـ أيها الدكان، أعطني منجلًا لآخذه إلى الحقل... والحقل يعطيني تبنًا... آخذه إلى البقرة... والبقرة تعطيني القليل من الحليب... وآخذ الحليب إلى الفتاة الجميلة... والفتاة الجميلة تعطيني الإكليل... وآخذ الإكليل إلى البئر... والبئر يعطيني الماء... وآخذ الماء إلى كتكوتي الصغير، لأنه سيموت مختنقًا من ثمرة الكمثرى البرية.

ـ قال الدكان: لن أعطيك منجلًا ما لم تُحْضر مالًا.

وهنا حزن الديك المسكين على نفسه، وذهب مسرعًا إلى كوم القمامة يفرك وينبش فيها بكل طاقته حتى عثر على بنس من البنسات(١) فأخذه وذهب إلى الدكان، فحصل منه على المنجل. ثم توجه إلى الحقل، فأعطاه الحقل تبنًا ووضعه أمام البقرة، فأعطته البقرة القليل من الحليب فأخذه وأعطاه للفتاة الجميلة، فجهزت له الفتاة الجميلة إكليلًا، فأخذ الإكليل إلى البئر، فأعطاه البئر ماءً، فأخذ الماء في الحال إلى الكتكوت، بالضبط في توقيت مناسب، لأن الكتكوت المسكين ربما كان يلهث للمرة الأخيرة من شدة الاختناق. وهكذا ابتلع الماء بسرعة، وأخذ الماء ثمرة الكمثرى، ونزلت إلى بطنه فأفسحت طريقا للهواء، وهكذا صار الكتكوت يتنفس من جديد، وها هو ذا يعيش حتى اليوم، ما لم يكن قد مات!

---

(١) البنسات: أحد العملات المجرية القديمة مثل الفلس لدينا قديمًا من حيث القيمة المادية.

راعي الخنازير الصغير

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، وأيضا بعيدًا عن جبال الزجاج، كانت هناك سيدة فقيرة لديها ابن. كان هذا الفتى يحتفظ بخنزير صغير، لكن تربيته لهذا الخنزير لم يكن من وراءها سوى المتاعب والأضرار في كل مكان؛ لم يحصلوا على أية منفعة من ورائه، بل ولم يصبح الفتى نفسه راعي خنازير حقيقيًّا. فكم من محاولات جربتها معه الأم كي تصلح من شأنه! لكن بلا جدوى، والخلاصة أنه كان كذلك.

ذات مرة سمع هذا الفتى راعي الخنازير الذي لا يوجد أسوأ منه أن الملك سيزوج ابنته لمن يستطيع الاختباء ولا يُستطاع العثور عليه، فقال في نفسه:

ـ حسنًا، أيها الراعي الصغير! أرِهم الآن من أنت! ستربح الكثير بمهارة بسيطة.

أعدَّ العدة، وطلب حقيبة بها بعض الكعكات المطهية، وارتدى العباءة الزاهية المصنوعة من الفرو وانطلق.

وهكذا سار وواصل المسير عبر المنحنيات والخنادق والجبال والوديان، في الغابات والسهول. أوشك الكعك على النفاد، ولم يجد قصر الملك بعد، وواصل السير لأسبوع آخر، وها قد أكل الكعكة الأخيرة، ولكن أيضا ما زال لم ير شيئا يلوح في الأفق أمامه. أصبح عطشًا أيضًا، لقد أضحى لسانه من شدة الجفاف، كما الشعرية المخفوقة.

ـ ماذا أفعل الآن؟ هل سأموت من الجوع؟ إن كنت أعلم هذا، لما كنت أقبلت على هذا الأمر من الأساس.

وبينما هو يسير في الطريق، وجد بئرًا على مسافةٍ بعيدةٍ تجلس على حوضه حمامتان بيضاوان. فتوجه إلى هناك.

ـ حسنًا أيتها الحمامتان البيضاوان! أنا الآن سآكلكما، لأنني سأموت من الجوع!

فقالت له هاتان الحمامتان البيضاوان:

ـ لا تأكلنا، أيها الراعي الصغير! بل أحضر لنا إناءً من الماء، فنحن عطشي جدًّا، وافعل خيرًا، تجد خيرًا!

وهكذا تضرعت له الحمامتان، فلم يأكلهما، بل وذهب إلى حلقة البئر، وسحب دلوًا من الماء

لها، ثم ارتويتا تمامًا من الماء البارد.

ثم واصل السير بعد ذلك.

حسنًا لم يعد عطشانًا، لكن بطنه قد تذمرت كالكلب المربوط بسلسلة من شدة الجوع، وما أن وصل إلى أرض بور أخرى حتى عثر على ثعلب أعرج هناك.

ـ حسنًا أيها الثعلب الأعرج! سأقضي عليك مهما يكن الأمر!

توسل إليه الثعلب الأعرج أيضًا كي لا يأكله: فقد خرج لتوه هذه المرة كي يُحضر لابنه الصغير بعض الطعام اليسير.

ـ افعل خيرًا، تجد خيرًا، أيها الراعي الصغير! وإني سوف أقوم بمساعدتك!

جحظت عين راعي الخنازير الصغير من ضراوة الجوع، ومع ذلك لم يؤذ الثعلب. وفكر في أن هذا الثعلب سوف يرد إليه صنيعه الطيب يوما ما!

واصل الراعي طريقه مترنحًا ومتعثرًا بين الأراضي المحروثة والمحصودة وقصلات الزرع[1] والأراضي البور. لقد التهم آخر فتفوتة من الكعك وجدها في حقيبته، ولكن ما حسبها تفعل في هذه البطن الخاوية! كان يترنح يمينًا ويسارًا من شدة الجوع، واعتقد أنه لن يصل أبدا حيثما يريد.

رأى في طريقه من بعيد بحيرة فنزل إلى شاطئها، فوجد سمكة صغيرة تتحرك في طرف المياه.

توجه إليها بشراهة، ورفعها من الماء، ولكنها قالت له:

ـ لا تأكلني، أيها الراعي الصغير! وأنا سأقدم لك معروفًا نظير صنيعك الطيب!

ظل الراعي الصغير يحدق في السمكة الصغيرة لمدة طويلة، فقد كانت جميلة جدًّا، وتألقت ولمعت كلما سطعت عليها أشعة الشمس. لم يطاوعه قلبه على أكلها على الرغم من ضراوة الجوع الذي يعانيه، وألقاها ثانية إلى الماء.

غريب جدًّا أمر هذا الجوع، فهو دومًا يلاحق الإنسان، لقد أصبح الأمر بالنسبة له لا يفرق

---

(١) قَصَلَةُ الزَّرْعِ: مَا عُزِلَ مِنْهُ إِذَا نُقِّيَ، فَيُرْمَى بِهِ أَوْ يُدَاسُ ثَانِيَةً.

كثيرًا، فهو سيواصل الطريق مهما كلفه الأمر... لن يعود إلى الوراء بأية حال من الأحوال.

واصل السير، وثانية وجد بئرا يعلوه حوض يقف عليه عصفوران بيضاوان.

ـ حسنًا، لا تتخذاني مجنونا هذه المرة أيضًا! لن يقف في طريقي شيء هذه المرة مطلقًا، سألتهمكما... سألتهمكما!

توسل إليه العصفوران البيضاوان ألا يأكلهما، وسيردان له صنيعه الطيب يومًا ما.

ـ ورغمًا عن هذا تريدان فقط أن تضحكا علي. وأنا كالمجنون، أسمع لكما! ولكنكما لا تريان كم أتلوى من ضراوة الجوع!

أراد أن يمسك بالعصفورين، لكنهما توسلا إليه. كانت تلك هي المرة الأخيرة، ومع ذلك لم يؤذيهما، بل وسحب لهما دلوا من الماء، وشرب وارتوى منه هو الآخر، واستكمل المشوار.

حقيقة اعتقد الفتى أنه لن يصل إلى المكان المراد، وسيلقى حتفه على يد هذا الجوع!

لقد أصبح لم يعد يعلم هو نفسه منذ متى وهو في الطريق. لقد تحمل مصيره، وأصبح الأمر بالنسبة له لا يفرق، فليكن ما يكن.

وأخيرًا وبعد سير طويل ووقت مديد وصل إلى القصر.

كان الملك يقف عند البوابة. ألقى راعي الخنازير الصغير التحية عليه بشكل لائق، فرد الملك قائلًا:

ـ حسنًا إلى أين أنت ذاهب هنا، أيها الراعي الصغير، إلى المكان الذي لا تجرؤ حتى الطيور على الاقتراب منه؟ ما الذي تبحث عنه هنا؟

سرد الراعي الصغير كيف انتهى به المطاف إلى هنا. بالتأكيد لقد بذل جهدا مضنيًا للوصول إلى هذا القصر، لأنه قد سمع أن الملك سيزوج ابنته لمن يستطيع الاختباء منها على ألا تعثر عليه. أراد هو الآخر أن يحاول، فربما يحالفه النجاح في هذا العمل.

ـ حسنًا، يا بني، حسنًا! لكن هل ترى، أن على هذا الوتد(١) معلقة تسعًا وتسعين رأس

(١) ما ثُبِّتَ في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه، لدعم سور أو تثبيت خيمة أو ربط حيوان أو تعليم نقاط في مسح، أو كسلاح عندما يُسنَّن طرفه.

إنسان. أنت ستكون المائة، إذا لم تتمكن من الاختباء.

لم يتسلل الخوف إلى داخل الراعي الصغير وقال:

ـ سيتم الأمر بطريقة ما!

دخلا إلى القصر، وقال الراعي الصغير إنه جائع جدًّا، وليحضروا له بعض الطعام.

أعطوا له من الطعام بما يكفي فأكل على قدر ما استطاع.

في اليوم التالي، وبمجرد أن استيقظ، ذهب إليه الملك، لكي يختبئ، وذلك قبل أن تستيقظ ابنته، لأنه إذا ما استيقظت فلن يستطيع الاختباء من أمامها.

لف الراعي الصغير ودار حول نفسه من شدة الحيرة، وفجأة رأى أمامه الحمامتين البيضاوين. ولما فتح النافذة، قالتا له:

ـ تعال، سنأخذك حالًا!

لم يتردد الراعي الصغير كثيرًا، وترك نفسه لهما، وكانتا رفيقتين به! فقد ذهبتا معه بسرعة كالرياح إلى وراء الشمس.

استعدت ابنة الملك أيضًا، ثم نزلت إلى الحديقة، فقطفت أجمل الورود، ودارت حول نفسها في أحد الأركان، ونادت قائلة:

ـ تعال إلى هنا، أيها الراعي الصغير! أنت هناك وراء الشمس!

ياه، سيطر الغضب على الراعي الصغير، وخاف أيضًا! لكن ماذا عليه أن يفعل؟ أتى من وراء الشمس إلى المطبخ مباشرة.

بزغ صباح اليوم التالي، واستيقظ الراعي الصغير، ونظر إلى النافذة، وكان هناك الثعلب الأعرج واقفًا على طرف أصابع قدميه، وفي انتظاره. وفجأة استعد، وفتح النافذة، وذهب مع الثعلب.

أنزله الثعلب عميقا جدًّا جدًّا... إلى سابع أرض!

خرجت ابنة الملك إلى الحديقة، وقطفت أجمل زهرة، وتلفتت حول نفسها في الركن المعتاد وقالت:

ـ تعال إلى هنا، أيها الراعي الصغير، تعال من سابع أرض!

وما الذي بوسعه أن يفعله... لقد جاء الراعي الصغير من هناك أيضًا.

في اليوم الثالث ذهبت السمكة الصغيرة إليه وأخذته معها إلى قاع البحيرة.

إلى هنا لن تصل عين أحد! فلترني كيف ستجده هنا!

خرجت ابنة الملك إلى الحديقة، وقطفت أجمل زهرة، ولفت حول نفسها في الركن، ونادت في الحال على الراعي الصغير بأن يأتي من قاع البحيرة، فقال في نفسه:

ـ هذه هي نهايتي! هذا هو الأمر الواقع! سيقتلونني في القريب العاجل! إذا وجدتني ثلاث مرات، فإنني لن أستطيع الاختباء في المرة الرابعة، بحيث لا تقع عيناها عليّ!

استلقي ليخلد إلى النوم ويستريح، ولكنه لم يستطع النوم، فظل يتقلب وينتفض في مضجعه فحسب.

في اليوم التالي وقت الفجر تحديدا رأى العصفورين البيضاوين. وبمجرد أن رأياه، هبط أحدهما إليه في الحال، وبقي الثاني في مكانه.

نبهه أحدهما قائلا:

ـ تعال إلى هنا بسرعة! تحول إلى وردة، وأنا أيضا سأتحول مثلك. وهذا ما قد كان. وفي الحديقة وقبيل الظهيرة كل البراعم تنضج وترتسم بطريقة رائعة، وتزدهر أجمل وأروع الورود.

خرجت ابنة الملك إلى الحديقة تبحث عن أجمل وردة، ولكنها وجدت اثنتين على الشاكلة نفسها، فقطفتهما، وعلقتهما على صدرها.

لفت حول نفسها مرة في الركن، لكنها لم تجد الراعي الصغير. لفت مرة أخرى، ولكنها لم تره أيضًا! عندئذ قالت:

ـ لا أرى الراعي الصغير يا أبي! فقد اختبأ بحيث لم أتمكن من العثور عليه!

ـ وكيف هذا، وكيف يتم ذلك؟! لفي مرة أخرى في ركنك، فربما ترينه!

استدارت الفتاة للمرة الثالثة، ولكن فلتلف وتستدير كيفما شاءت، فلن تجد هذا الراعي الصغير هذه المرة مهما فعلت!

عندئذ طارت إحدى الورود من على صدر الفتاة، وبقت الثانية التي تحولت إلى الراعي الصغير.

نظرت الأميرة ابنة الملك فوجدت الراعي الصغير بشحمه ولحمه أمامها.

وعندها احتضن الراعي الصغير الفتاة، وقال لها:

ـ يا حبيبتي وياقلبي وياعمري! أنا لكِ، وأنتِ لي! لن يفرقنا شيء أبدًا!

احتضنا وقبَّلا بعضهما البعض. وصار الراعي الصغير أكثر جمالًا بسبع مرات مما كان. لقد كانا هناك بجانب بعضهما البعض كأجمل الورود. وبعد ذلك أقاموا الأفراح والليالي الملاح، وعاشا بكل سعادة وفرح.

وأضحى الراعي الصغير رجلا رقيقا ليس له مثيل، وأمست الفتاة مجتهدة، وسيدة جميلة، مثلما كان يريدها الراعي الصغير، وها هما الآن ما زالا على قيد الحياة، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"ميشو" الساذج

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، في مكان أنا نفسي لا أعرفه أين كان. كان يوجد رجل بسبب خبله وعبطه الشديد يسمونه "ميشكا" الساذج، أو "ميشو" الساذج. ورغم أنه كانت لديه زوجة، فلم يكن يفعل بها سوى أشياء مجنونة ويسبب لها المشكلات.

ذات مرة حصل "ميشكا" الساذج هذا على بقرتين، فأمسكهما في التو واللحظة، وخرج بهما إلى الغابة لإحضار الخشب والعشب.

بمجرد أن وصل إلى الغابة وقعت عيناه على شجرة بلوط[1] كبيرة الحجم وطويلة للغاية، فقال:

ـ لآخذها إلى البيت، فمنها نستطيع التدفئة جيدًا.

وقفت الأبقار مع العربة تحت هذه الشجرة، ولهذا فبمجرد أن قطع الشجرة، سقطت مباشرة على العربة. لمَ يُجْهد الإنسان نفسه ويقوم بتقطيع الشجرة ووضعها قطعًا على العربة مادام يستطيع وضعها كلها مرة واحدة! هذا ما دار بخلده.

حسنًا! بدأ يقطع من جذورها، وفي النهاية تمكن بالفعل من قطع الشجرة الكبيرة مرة واحدة، لكنها هوت على العربة، وكان سقوطًا مدويًا بحيث أن العربة والأبقار وكل شيء قد تسطح على الأرض مثل الزلابية.

يا إلهي! فرك "ميشو" الساذج شحمة أذنيه، وأخذ يفكر ماذا يفعل الآن؟! فهو لا يريد العودة إلى المنزل بخفي حنين[2]، وعلى هذا أخذ فأسه وسلسلة ربط العربة التي تسوت بالأرض على ذراعه، وهكذا انطلق عائدا صوب المنزل.

---

(١) البَلُّوط: من أهم شجر الأحراج، غليظ الساق، كثير الخشب، من الفصيلة البلوطية.

(٢) مثل عربي قديم يُضرب في الخيبة والفشل، وقصته باختصار كالتالي: كان حُنَيناً إسكافيًا من أهل الحِيرة، فأراد أعرابي أن يشتري منه خُفَّين، وساومه فاختلفا حتى غضب حنين.. فأراد أن يغيظ الأعرابي.. فلما ارتَحَلَ الأعرابي أخذ حنينٌ أحدَ خفيه وطَرَحه في الطريق ثم ألقى الآخر في موضع آخر فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما قال: "ما أشبه هذا الخُف بخف حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته"، ومضى. فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأول. وقد كَمنَ له حنينٌ يراقبه. فلما رجع الأعرابي ليأخذ الأول، سرق حنينٌ راحلته وما عليها وذهب بها! وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخُفَّانِ فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: "جئتكم بِخُفَّيْ حُنَين".

أثناء الطريق مرّ على بحيرة، فماذا رأى فيها بين الخوص؟(١) رأى ثلاثًا من البط البري، ففكر في أن يطيب خاطر زوجته ويعوضها عن البقرتين، فقذف البط بالفأس، لكن البط قد طار، وسقطت فأسه في الماء، وغرقت هناك!

حسنًا ماذا هو بفاعلٍ الآن كي يلتقطها من هناك؟ ـ كان يفكر. ألا يسير أي شيء في الماء يجلب له فأسه؟ ـ قطعًا لا! ـ واستدرك الأمر مُحبطًا على جبهته. وقال بما أنني إنسان حكيم ولدي عقل رشيد سأعوض خسارتي حتمًا! أخذ السلسلة، وقذفها وراء الفأس. ومن أجل إنقاذ شيء وقعت خسارة أخرى، فغطس كلاهما في الماء. فقد فكر في أن السلسلة ستشبك في الفأس، وهكذا ستوضح له أين يبحث، ومن ثم يسحبهما سويًا خارج الماء. لكن السلسلة لم تقرع ولو لمرة واحدة، فقط ارتطمت بالماء وغرقت مثل الفأس. وهنا سيطر على "ميشو" غضب شديد، فصرخ حانقًا:

ـ والآن سأعقابكما وأضربكما ضربا مبرحا!

كان في جيبه عشرون من العملات الفضية، استلهما من جيبه وتملؤه رغبة الانتقام الشديدة، ورماهم في البحيرة الواحدة تلو الأخرى وغايته أن ترتطم أحدها بالفأس. لكن هيهات هيهات فلم يجنِ من وراء ذلك شيئًا. ياه! لعنهم "ميشو" بغضبٍ شديدٍ، وظل يردد في نفسه: ومع كل ذلك سأستخرجكِ من هنا أيتها الفأس اللعينة، وعلى هذا خلع ملابسه ونزل إلى البحيرة!

أقبل المساء وسكنت الأصوات وعم الهدوء وسئم البحث وشعر بالبرد وهو في وسط الماء فخرج ليرتدي ملابسه، بيد أنه وبينما كان في البحيرة يتبع هواه، فقد أخذت الكلاب الملابس من على الشاطئ، وهكذا وجب عليه العودة إلى المنزل عاريًا.

وما إن خطا بقدميه أرض المنزل أمسكته زوجته على حالته، فماذا كان في وسعه إلا أن سرد لها ماذا دار في هذا اليوم. وجرَّاء هذا سيطر الغضب على زوجته أكثر وأكثر فأخذت المنفضة وظلّت تضربه، لدرجة أنه كان من الصعب عدّ الضربات التي تلقاها، ولا يمكن تحملها أيضًا. انتهت هذه الليلة عند هذا الحد. وعندما استيقظت السيدة في الصباح أعدت الحقيبة لزوجها ليذهب إلى المدرسة لعله يتعلم شيئا في حياته! لكن كيف يمكن تعليم هذا الرجل ذي العقل

---

(١) الخُوصُ: ورَقُ النَّخْلِ والمُقْل والنَّارَجِيل وما شاكَلَها.

الصغير، فـ "العلام في الصغر، كالنقش على الحجر، والعلام في الكبر كالنقش على الماء"!

بمجرد أن اتجه "ميشكا" صوب المدرسة، فجأة ومن دون مقدمات وجد في طريقة حقيبة كبيرة من المال! فأسرع عائدًا في الحال إلى زوجته مغمورًا بالسعادة، فكيف أن الله الكريم عز وجل يحبه كل هذا الحب، لأنه حقًّا بذلك عوضه عن خسائر الأمس!

في هذه الأثناء كان صاحب المال يبحث عن ماله المفقود، فتقابل مع "ميشو"، وسأله:

ـ هل رأيت في هذا الطريق حقيبة من المال؟

فقال "ميشكا":

ـ نعم وجدتها بالطبع، تحديدًا عندما كنت في طريقي إلى المدرسة.

غضب المكلوم(١) المسكين لأنه اعتقد أن "ميشكا" يستهزئ به، فوبخه وتركه من دون أن يستعيد نقوده، فهو لم يصدقه قط، وبعد فترة من الزمن على هذه الأحداث قالت الزوجة ذات مرة لـ "ميشكا" بعد أن استيقظت في أحد أيام الأحد:

ـ اسمع، سأذهب إلى الكنيسة! وإلى أن أعود إلى البيت، انتبه للسجق الموجود في الطبق المسطح، وكذلك إناء المحشي كي لا يشيط.

حسنًا! جلس "ميشكا" هناك بجانب موقد النار يلف السجق وينقر منه اللحم، وظلَّ هكذا يأخذ وينقر منه، إلى أن أكل السجق من الطبق واللحم من الإناء، وبعد أن نقره كله شبع وامتلأت بطنه، وأضحى كما لو كان من طبقة النبلاء.

ـ أُوه! تكرع "ميشو" الساذج بقوة بعد أن هضمت معدته الطعام. ثم أردف قائلا: فلنشرب شيئا بعد هذه الوجبة اللذيذة!

ونزل إلى غرفة الخزين ليحتسي الخمر ففتح صنبور برميل الخمر. وفي هذه اللحظة تحديدًا وجد كلبا بجانبه هناك فتساءل عما يبحث هذا هنا؟ فرد الكلب عليه قائلا:

ـ كانت الذئاب ستمزقني! أرجوك لا تخبر الجيران ولا حتى زوجتك بما حدث لي، واتركني أختبئ هنا أرجوك!

---

(١) المكلوم: يقصد بها الرجل الذي فقد حقيبة الأموال، وهي لفظة تصف من فقد شيئًا عزيزًا عليه.

ـ وهنا صاح فيه "ميشو": ماذا قلت؟ وما شأني بهذه الحكاية أيها الكلب؟

وهكذا خلع الصنبور من برميل الخمر، ورماه في الكلب، فجري الكلب وهو يعوى، ولكن الخمر قد سال من البرميل حتى آخر قطرة.

ـ يا للخسارة، يا للحسرة والندامة، كيف فعلت هذا الجنون؟ ـ وفرك "ميشو" في شحمة أذنيه متأوها بصوتٍ عالٍ عندما رأى ماذا اقترفت يداه.

الإنسان يخطئ، ومع ذلك يفعل الصواب أيضا ـ كان يفكر هكذا في نفسه!

رأى حلًا آخرًا لهذا الموضوع، فقد شق ملابسه، وبدأ في حمل دقيق الذرة الخاص بالعصيدة(١) إلى غرفة الخزين لكي ينثره على الأرض، ويجعله يمتص الخمر الواقف في المكان كما لو كان بحيرة صغيرة، ولحظه الميمون السعيد أتت زوجته سريعًا من الكنيسة.

شاهدت بأم عينها ما أصاب المكان كله، ورأت أنه لا يوجد سوى الضرر عليّ الضرر والخسارة عليّ الخسارة، فتملكها الغضب، "فنفضته" ثانية، ورمته على العجين أو الوحل الذي صنعه. ومن كثرة الضرب تسلل إلى تحت السرير، ولكن السيدة لم تتركه وسحبته من هناك أيضًا، وقذفته ناحية البوابة قائلة "الباب يفوت جمل"، وصرخت فيه وهي تقول:

ـ "ميشكا"، لا تضع قدميك ثانية هنا، وإلا سأكسر رقبتك!

حسنًا، إذا كان هذا ما انتهى إليه الأمر، فماذا عساه أن يفعل. انطلق "ميشكا" الساذج يبحث عن عمل في أرض الله الواسعة، فسار وواصل السير إلى حيث استطاعت أن تحمله قدماه حتى وصل إلى غابةٍ شاسعةٍ، ولكن مع من تقابل هناك؟ مع أحد الشياطين! فقال له هذا الشيطان:

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا، أيها الإنسان، إلى بلدنا؟

ـ بالتأكيد أبحث عن عمل، إذا كان ممكنا ـ قال هذا "ميشو" الساذج.

في هذا التوقيت تحديدًا كان الشيطان في حاجة إلى خادم. وقد تفاصلا مع بعضهما كثيرا.

---

(١) دقيقٌ يُضافُ إليه ثلاثةُ أمثاله من الماءِ كَيْلًا، ولا يزال يُحَرَّكُ على نار هادئة حتى يَغْلُظَ قَوَامُه فيُصَبُّ عليه السَّمْنُ واللَّبَنُ المُحَلّ بالعَسَلِ أو السُّكَّر، والجمع عصائد.

بالطبع أخبره "ميكشا" أنه يستطيع أن يتولي القيام بجميع المهام ويفعل كل شيء، ويفهم في كل شيء! وما أن وصل الشيطان إلى منزله، فقد ألقوا في يد "ميشو" برميلا كبيرا، كان حجمه كبيرا لدرجة أنه بالكاد استطاع سحبه فارغًا. وظل أبناء الشيطان يتراهنون ويتبارون على أنه سيحضره ممتلئًا بالماء!

هه! ـ فكر "ميشو" ـ ماذا عليه أن يفعل الآن؟ فهو بالكاد يجر البرميل وهو فارغ مترنحًا يمينًا ويسارًا حتى البئر، معنى ذلك أنه عندما يكون مليئًا بالماء فهو لن يتمكن حتى من إمالته أو زحزحته من مكانه، لا أن يحمله إلى البيت.

وبينما هو يفكر ويتأمل الأمر في نفسه عند البئر، سئمت الشياطين طول الانتظار في البيت فأرسلوا وراءه أحدهم. خاف "ميشو" عندما رأى الشيطان يسير قادما إليه، ماذا سيحدث الآن؟ ولكي يظهر كما لو كان يفعل شيئا فحسب، أخذ بقطعة خشب صغيرة وبدأ في الحفر بها بجانب البئر، فسأله الشيطان:

ـ ماذا تفعل هنا أيها الإنسان؟

ـ ماذا؟! ماذا قلت؟ هل تعتقدون أنني سأحمل الماء لكم بالبراميل؟! سأحفر حول البئر بأكمله، وسأحمله مرة واحدة إلى البيت!

ـ ياه، أرجوك لا تفعل! لا تفعل! ـ وبدأ الشيطان في التوسل إليه، لأنه إذا كان البئر في المنزل، فإن مجتمع الشياطين سيشربونه كله مرة واحدة، ثم بعد ذلك ماذا يشربون؟ الأفضل أن أحمل البرميل أنا بدلا منك.

وهذه كانت المقولة الخاتمة للحوار بينهما عند البئر ـ وترك "ميشو" في محله بعد تنازله الرؤوف عن حمل البرميل.

في اليوم التالي أرسلوه إلى الغابة من أجل إحضار الأخشاب، وكان عليه أن يحضر خمسة أو ستة أغصان كبيرة من الشجر على الأقل. ارتعدت مفاصل "ميشو" فكيف يحضر هو إلى المنزل أغصان كبيرة بهذا الحجم، بينما قوته لا تتحمل أكثر من حمل قُشَارة[1]. شغَّل مخَّه بقوة، ما العمل

---

(١) قشارة: مادّة مقشورة تكون على شكل قطع صغيرة رقيقة، أو ما يتساقط من الشّيء عند القَشْر. قُشارة جَوْز أو خشب أو جِصّ.

الآن. وبينما هو كذلك، ولكي يفعل شيئا فحسب كعادته، بدأ في ربط أغصان الشجر الموجود في الغابة الواحدة بالآخرى، حتى ربط كل أشجار الغابة ببعضها البعض.

سئمت الشياطين الانتظار في البيت فأرسلوا وراءه أحدهم ثانية. لما أن رأى الشيطان ماذا يفعل "ميشو" سأله:

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ ماذا تقول أنت؟ فقط بما أنني لا أريد أن أذهب إلى غابتكم كل يوم من أجل الخشب! سأربط الأشجار ببعضها، وسآخذ الغابة كلها إلى المنزل!

ـ ياه، أرجوك، أستحلفك بالله لا تفعل ذلك، فإذا كانت الغابة بالقرب من البيت فإننا سنشعلها ونتدفئ بها كلها مرة واحدة، ولن يتبقي منها ولا غصن واحد لبقية الشتاء. من الأفضل أن أحمل الأغصان مكانك بشرط ألا تقلع الغابة كلها.

ـ حسنًا! إذن احمل هذه الأغصان البسيطة أنت أيها الشيطان ـ أجاب "ميشو" على هذا النحو.

والآن يتهامس الشياطين جميعا ماذا هم فاعلون بهذا الـ "ميشو"، لأن هذا الإنسي الملعون لا يجلب لهم سوى المتاعب والمشكلات فحسب. وقد قرروا أن يفرموه ويمزقوه إربا في جنح الليل، ولحسن حظه فقد سمع "ميشو" قرار الشياطين هذا.

في المساء سأله الشياطين، أين اعتاد النوم، فرد عليهم "ميشو":

ـ أنا أنام تحت الطنف(1) متغطيًا بالقلنسوة(2) المبطنة بالفرو التي أملكها.

أحدق الشياطين بوجهه وقد قرروا بشكل نهائي لا رجعة فيه أنهم لم يعودوا في حاجة إلى خدمات هذا الـ "ميشو" الجليلة بعد اليوم!

لكن "ميشو" الساذج كان محتاطًا لنفسه للغاية. وحينما حلَّ المساء، أمسك بالجذمور(3) ووضعه أسفل الطنف، وغطاه بقلنسوته المبطنة بالفرو، كما لو كان هو بالضبط، وفرشه هناك، أما

---

(1) الطُّنُفُ: ما برز من الجبل ونحوه، كأنه جَناحٌ، والطُّنُفُ السقيفة تُشرعُ وتبنى فوق باب الدار ونحوها للوقاية من المطر.
(2) القَلَنْسُوَةُ: لباسٌ للرأس مختلف الأنواع والأشكال. والجمع: قلانسُ، وقلانيس، وقَلاَسٍ، وقَلاَسِيّ.
(3) الجذمور: أحد أنواع النباتات الأرضية وتنمو موازية لسطح التربة مثل النجيل.

هو نفسه فقد اختبأ في أكوام القش لينام.

ثم بعد ذلك تسللت الشياطين خلسة في الليل، ثم فتتت ومزقت الجذمور في الظلام الدامس بحيث لم تتبق فيه فتفوتة سليمة، ظنا منهم أنه "ميشو".

ـ حسنًا، لقد كان قويًا ـ قالتها الشياطين فور انتهاء المعركة الكبرى!

في الصباح ظهر "ميشو" حاملًا قلنسوته المفرومة على كتفه، ثم دخل على الشياطين ملقيًا السلام عليهم: صباح جميل وحظ سعيد عليكم جميعًا. سألته الشياطين وهم في دهشةٍ من رؤيته أمامهم مجددًا:

ـ أنت... هل أنت "ميشكا"؟ كيف نمت في الليل إذن؟

ـ ما هذا السؤال، ماذا تقولون؟ بصراحة البراغيث أكلتني ولسعتني طوال الليل. عار عليكم وجود كل هذه البراغيث في هذا المكان، لن أنام هناك ثانيةً!

أحاط الخوف بمجتمع الشياطين! وكيف لا وهم قد سمعوا أن ضربات الفأس ليست إلا لدغات برغوث بالنسة لـ "ميشو"! لم يعد لدى أحد منهم جهدًا أكثر من ذلك، لكي يفعلوا محاولة ثانية مع "ميشو"، وإنما ملؤوا له جوالًا(١) كبيرًا من الذهب، كي يأخذه بشرط أن يختفي من أمام أعينهم في الحال وللأبد.

قال لهم "ميشو" الساذج بكل هدوء:

ـ هل تظنون أنني مخبول إلى هذا الحد، فكيف لي أن أحمل جوالا كبيرا بهذا الحجم بنفسي! إذا أردتم أن أرحل حقًّا، أحضروا الجوال إلى منزلي، وإلا سأقعد هنا على رقبتكم، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولا.

ومع كل هذا فضَّلت الشياطين أن تحمل له جوال الذهب حتى بيته، فقط كي يبتعد عنهم. وعندئذٍ انتقل "ميشو" إلى البيت، ثم وفَّق أوضاعه مع زوجته بعد ذلك. عندما وصل الشيطان بجوال الذهب إلى بيت "ميشو" كانت النساء تغزل هناك، أو بمعني آخر فقد لفَّت السيدات الغزل بالفلكة عند عائلة "ميشكا". كان الشيطان الأبله متعبًا للغاية، فأطلق نفسًا ونفخ نفخةً

---

(١) كيس كبير توضع فيه الأشياء: اشترى جوالًا من الأرز.

شديدةً وهو يضع الجوال عن كاهله، فإذ بنفخته هذه تُطيِّر السيدات وأقلام الريش في الهواء وتجعلهم يطيرون ويحومون فوق سطح المنزل.

ارتعدت مفاصل الشيطان! ولم يدرك ماذا يريد هؤلاء الآن أيضا فوق رأسه، لأنه لم يجلْ بمخيلته أن أنفاسه المتلاحقة القوية هي من رفعتهم من الأرض إلى الهواء. فسأل "ميشو" مندهشًا، ماذا يريدون، ماذا يعدون ضده هؤلاء الآن، كي يلفوا ويرقصوا هكذا في الهواء. فقد كانت في يد كل سيدة منهم إبرة غزل مدببة، فقال له ميشو:

ـ حسنًا، ألا ترى أيها الشيطان القبيح، أن هؤلاء يحيطونك بالرماح المسنونة كي يسفدونك[1] على السيخ؟

ارتعدت مفاصل الشيطان، فخطى عبر الجوال وهرب، وربما ما زال يجري حتى الآن، إن لم يكن قد أصابه العطش أو التعب في النهاية.

وبعد ذلك عاش "ميشو" سعيدًا من جوال الذهب، وربما ما زال يعيش حتى اليوم، إن لم يكن قد توفاه الله.

---

(١) سفد اللحم: شكه في «السفود»، وهو حديدة دقيقة، ليشويه.

راعي الأغنام عارف لغة الحيوانات

بعد سفر طويل ووقت مديد وصلت إلى مكان بعيد فرأيت هناك العديد من الحكايات اخترت أجملها وأحلاها لأقصها عليكم. كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، وأيضا أبعد من جبال الزجاج، كان هناك راعي أغنام يحرس ماشيته في الغابة، فرأى نارًا من بعيد، وفيها ثعبان كبير مخيف يبكي ويقول له:

- ساعدني أيها الإنسان الفقير، "افعل خيرًا تجدْ خيرًا"؛ لأن أبي هو ملك الثعابين، وسيكافئك على صنيعك الطيب.

بالفعل تحرك راعي الأغنام وقطع غصن شجرة، وسحب به الثعبان من وسط النار، وبعد ذلك زحف الثعبان لفترة، ثم رفعا سويًّا صخرة كبيرةً كانت بالقرب من المكان، وتحت الصخرة توجد فتحة، منها نزلوا إلى باطن الأرض، حيث يوجد ملك الثعابين، الذي ما إن رأى راعي الأغنام منقذ ابنه سأله قائلًا:

- ماذا تتمنى، أيها الإنسان الفقير، نظير ما أنقذت ابني من الموت؟

أخبره الفقير أنه لا يرغب سوى في أن يفهم لغة الحيوانات. منحه ذلك ملك الثعابين، ولكن بشرطٍ واحدٍ: ألا يبوح بالسر لأحدٍ قط، لأنه سيموت في الحال إذا فعل ذلك. وبهذا عاد الراعي إلى الأرض، حيث موطنه الأصلي.

وبينما هو عائد إلى بيته، رأى شجرة جوفاء يجلس عليها اثنان من طائر العقعق[1] يقول أحدهما للآخر:

- ياه، لو يعلم الناس كم من المال يوجد في هذه الشجرة الجوفاء لصاروا سعداء بهذا الأمر كثيرًا!

سمع راعي الأغنام ذلك، وميز الشجرة، لكنه واصل طريقه إلى المنزل، ثم عاد في وقت لاحق بعربة ليحمل المال، وبالفعل أخذه معه إلى منزله. ومن ثم أصبح ثريًّا جدًّا.

تزوج راعي الأغنام من ابنة أحد كبار مسئولي الدولة في تلك الفترة. كانت تسأله باستمرار

---

(١) العَقْعَقُ: طائر من الفصيلة الغُرابيَّة ورتبة الجواثم، وهو صَخَّاب، له ذَنَبٌ طويلٌ ومِنقارٌ طويل. العرب تتشاءَمُ به.

من أين لك بهذا المال كله، فكان يرد بقوله:

- لا تسألي عن السبب، فهو هبةٌ من الله.

وهناك في المنزل، تحديدًا في الغرفة جلست قطتان عند فوهة مدخنة المنزل. تقول القطة العجوز للقطة الصغيرة بها أنها أصغر منها ويمكنها التسلل بخفة إلى غرفة الخزين، فلتسرق لها قطعة من شحم الخنزير، فضحك راعي الأغنام لما سمع ذلك. سألته زوجته علام يضحك. فحكي لها ماذا قالت القطة الكبيرة للقطة الصغيرة. فسألته زوجته ومن أين فهم هذا الحديث، فقال لها:

- عليكِ أن تعلمي ما دار بينهما فحسب! ولكن ليس من المسموح أن أبوح بالسر، لأنني عندئذ سألقي حتفي.

- قالت زوجته: لا أبالي، فقط قل لي!

- لا يمكن! - وأصرَّ راعي الأغنام على ذلك.

ذات مرة كانا يستعدان للتسوق. امتطت الزوجة الفرس، بينما الرجل ركب فحل الخيل(1). بقت السيدة متأخرة قليلًا. فصهل فحل الخيل إلى الفرس لماذا لا يأتي أسرع، فرد عليه الفرس:

- من السهل أن تحمل هذا الرجل النحيف، أما أنا فأحمل هذه السيدة السمينة!

فهم راعي الأغنام كل ما دار؛ وضحك ثانيةً. سألته زوجته علام يضحك، فحكى لها ماذا قاله فحل الخيل للفرس. سألته زوجته ومن أين فهم لغة الحيوانات هذه؟ إلا أن الزوج قال لها إنه ليس من المسموح أن أبوح بالأمر، لأنني عندئذ سأموت في التو واللحظة، إذا أفشيت السر.

عادا إلى المنزل، وهناك كانت الذئاب تطلب من الكلاب خروفًا، فقالت الكلاب إن هذا غير ممكن، ثم بعد ذلك تراجعوا ووعدوهم بأربعة من الخراف، لكن الكلب العجوز "بودري" قال:

- الخزي والعار عليكم، كيف تجرؤون على التضحية بخرفان صاحبكم؟

فهم صاحبهم كل ذلك، فقام بتفريق الكلاب وطردهم، إلا "بودري" الوفي فقد أعطاه قطعة خبز كبيرة.

---

(١) فحل الخيل: الذكر القوي من الخيل.

سألته زوجته ثانية كيف له أن يجيد لغة الحيوانات. أخبرها الزوج أنه سيموت إذا باح بالسر، فردت عليه قائلةً، ليس المهم إن مات، المهم أن يقول لها فحسب. وعلى إثر ذلك قام راعي الأغنام بعمل نعش واستلقى فيه. واستأذن زوجته أن تتركه يعطي لـ "بودري" قطعة من الخبز للمرة الأخيرة. لكن "بودري" لم يكن في حاجة للخبز، لأنه كان حزينًا جدًّا على صاحبه.

وفي ذلك الوقت دخل ديك مغرور والتقط بعجرفة شديدة قطعة الخبز، فما كان من "بودري" إلا أن قال له:

ـ يا لك من ملعون أنت أيها الحيوان الشرير! كيف تشعر براحةٍ وأنت تأكل الخبز هكذا، بينما صاحبنا الطيب يحتضر الآن؟

فقال الديك:

ـ أنت مجنون! أنت أيضًا مخبول تمامًا مثل صاحبك؛ فكيف لا يستطيع أن يأمر زوجته فتطيعه. انظر، لدي عشرون زوجة، وأستطيع أن آمرهم جميعا، فيطيعونني جميعًا من دون قيد أو شرط.

على إثر هذا انتفض راعي الأغنام واثبًا، وأبرح زوجته ضربًا مطالبًا إياها بألا تسأله ثانية من أين يجيد لغة الحيوانات، فاستجابت ورضيت له أمرًا وانتهى الأمر بلا رجعة.

بيتر المنحوت من الخشب

كان يا ما كان، كان هناك رجلًا مزارعًا فقيرًا وزوجته. كانا يعيشان حياة هادئة ولكن من دون مزاج صاف، لأنهما لم يُرزَقا أولاد، وذات مرة قال الرجل لزوجته:

- حسنًا يا زوجتي، لقد فكرت في أمر ما!

- فيما فكَّرت، يا حبيبي!

- أذهب إلى الغابة، وأنحت طفلًا من الخشب.

ضحكت وقهقهت السيدة كثيرا.

ولكن هذا ما حدث بالفعل، فبحلول المساء، وعندما أصبح العشاء جاهزا، وصل الرجل ومعه طفلٌ منحوتٌ من الخشب، وأوقفه عند ركن الباب.

وجلسا على المائدة لتناول العشاء، وبمجرد أن انتهيا من العشاء، تبقى القليل من الطعام، فقالت السيدة:

- حسنًا، لقد تبقى لطفلنا نصيبه من الطعام.

وناما، وعند منتصف الليل تحدث الطفل الخشبي للمرة الأولى:

- أمي العزيزة، هل ستنامان؟

سعدت الأم، وأجابت في التو:

- لن ننام، يا بني الحبيب!

- حسنًا، إن كنتما حقًّا لن تناما، إذن فاستيقظا وأحضرا لي عشائي!

دبت الحياة إلى الطفل المنحوت من الخشب، وهكذا غمرتهما السعادة وكانا فرحين به للغاية، وظلا يتحدثان معه إلى أن انبلج الفجر(١).

لما أن بلغ الطفل من العمر ثلاثة أيام، طلب أن يسمحا له بالخروج إلى الشارع ليلعب.

---

(١) جاء واقترب نور الصباح.

وخرج الولد الصغير بالفعل إلى أمام البوابة، وكان ينتظره طفل آخر من عمره نفسه، فسأله "بيتر" الطفل المنحوت من الخشب:

ـ أيها الطفل الرفيق، هل يسكن في هذه المدينة صانع للسيوف؟

ـ بالطبع يوجد... هناك... ليس ببعيد من هنا!

دخل "بيتر" إلى أبيه وقال له:

ـ من فضلك أعطني ثمانية كرايتسات(١)، يا أبي!

ـ ابني العزيز، أعطيك أنا أكثر من ذلك، ولكن ماذا ستفعل بهذه الهنيهة(٢) من المال؟

ـ فقال "بيتر": يلزمني ثمانية كرايتسات فقط يا أبي!

أخذهم وجرى بهم مع رفيقه إلى صانع السيوف.

وهناك قال لصانع السيوف:

ـ أعطني السيف ذلك الذي صنعته أول مرة في بداية حياتك مقابل ثمانية من الكرايتسات.

ـ ابني العزيز، لكن اعلم أن السيف الذي تريده قد أكله الصدأ، لكن لدي سيوف أخرى من الفولاذ، وأخرى من الذهب والماس. يمكنك أن تحصل على ما يعجبك منها!

ـ لن أطلب منك واحدا من هذه السيوف القيمة مقابل ثمانية من الكرايتسات.

ـ رد "بيتر": هذه ليست سيوف مناسبة ليد طفل. أبحث فقط عن ذلك السيف الذي قمت بتصنيعه والتعلم عليه في البداية... هذا ما يلزمني فحسب.

ذهب صانع السيوف، وظل يبحث ويقلب في السيوف، حتى عثر على ذلك السيف المغطى بالصدأ، الذي صنعه منذ وقتٍ طويلٍ، ثم بدأ مشوارًا جديدًا من البحث إلى أن وجد الغمد المناسب لهذا السيف.

أخذ "بيتر" السيف، وعلقه على جسده من ناحية الخصر، وكان مناسبًا له، كما لو كان ولد به وشبَّ عليه.

---

(١) عملة مجرية قديمة.

(٢) القليل، اليسير من المال.

ـ حسنًا، ها هم الثمانية كرايتسات... تفضل! لأن كل شيء في هذه الدنيا لابد من دفع قيمته! وعاد إلى المنزل بسعادة غامرة، وفي اليوم التالي كانت المدينة على موعد مع سوقها الأسبوعي، فقال "بيتر" لوالده:

ـ أبي العزيز، لنذهب إلى السوق، دعني أرى حشود الناس الموجودة هناك.

ـ قال الأب: بالطبع هذا ما كنت أريد أن أقوله لك، يا بني العزيز. لنذهب ونشتري ثورين من هناك.

وتجولا في السوق بين الثيران، وقد سمعا هناك بأنه يوجد ثوران مربوطان بسلسلة ذهبية.

فقال "بيتر" لأبيه:

ـ لنذهب إلى هناك يا أبي! دعني أرى هذين الثورين!

وشاهدا كم أن هذين الثورين الذهبيين جميلان، وقد كان الكثير من السيوفِ تُحيطُ بهم، ونصال السيوف تترقبهم لقطع السلسلة المربوطين بها. أثناء ذلك قال "بيتر":

ـ إذا سمحوا لي، فإنني سأقطع هذه السلسلة الذهبية.

تعجب القوم، مما يريده الطفل الصغير، ولكن سمحوا له بذلك، فقطع "بيتر" السلسلة الذهبية، لدرجة أن صيت هذه الضربة ذاع في العديد من البلاد، وما كان من الثورين إلا أن رفعا ذيلهما لأعلى، وجريا نحو الإسطبل الذي يمتلكه والد "بيتر" مباشرةً.

وعندئذٍ قال مالك الثورين:

ـ أيها الطفل اذهب إلى المنزل، وضع لهما الطعام، ولكن هل تعلم أن هذين الثورين لا يتناولان إلا الجمرات المتوهجة فقط!

عاد "بيتر" إلى المنزل، وأشعل النيران في اثنتي عشرة قطعةً من الخشب، وقبل أن تنطفئ النار فيها أحضر وعاءًا، ووضع الجمرات المتوهجة فيه، وقدمها للثورين فأكلا كل شيء. ثم توجه أحدهما تجاه غروب الشمس، والآخر تجاه شروق الشمس، عندئذٍ قال بيتر:

ـ حسنًا يا أبي تعال معي! سأجعلك ترى أمرًا!

خرجا أمام البوابة، وأدخل "بيتر" إصبعه في حفرتين موجودتين في ركن البوابة، فسال من إحداهما خمر أحمر(١)صافٍ، ومن الأخرى بالينكا(٢) نظيفة.

ـ حسنًا يا أبي، ضع هنا الموائد والزجاجات، ليشرب الناس جميعا كل قدر حاجته، ولكن الآن يا أبي العزيز هل ترى عربة الحرث ذات العجلتين هذه؟

ـ أراها، يا بني العزيز.

ـ هل ترى حجر الرحى هذا؟

ـ أراه يا بني العزيز.

ـ حسنًا، اعلم يا أبي أنه إذا جاء وقت ووقفت عربة الحرث ذات العجلتين أمام الباب من تلقاء نفسها، وإذا صعد حجر الرحى إلى العربة، وتحول الخمر إلى ماء، والبالينكا إلى دم أحمر، حينها اعلم أنني قد مت، وأنه يجب أن تعثر علي، وأنه عليك الصعود على عربة الحرث ذات العجلتين لأنها ستأخذك إلى مكاني. حان وقت الرحيل الآن لأجرب حظي في هذا العالم.

انطلق "بيتر" وذهب عبر سبعة من البلاد، وسبعة من العوالم، إلى أن وصل مدينة الملك، فألقي التحية عليه:

ـ مساء الخير وبارك الله فيك، يا جلالة الملك!

ـ حمدًا لله على سلامتك، يا أخي الصغير، في أي أمر جئت؟

ـ جئت أبحث عن عمل.

ـ سأله الملك: إن خادمي النجار قد وافته المنية منذ وقت قريب! وماذا تريد نظير العمل لمدة عام؟

ـ لا أريد شيئًا سوى الطعام والشراب.

مكث "بيتر" هناك يقوم بأعمال النجارة، وكان ماهرًا وهادئًا لدرجة أن الملك العجوز أعجب به كثيرًا، وكان للملك بنتًا قد أحبت "بيتر"، لدرجة أنها كانت تُفضِّل الموت إذا حرموها

---

(١) أجود أنواع النبيذ التي تشتهر به العاصمة الفرنسية على وجه الخصوص.

(٢) نوع من أنواع الخمور المجرية القوية التي تُذهب عقل الإنسان بسرعة من الثمالة، وهي من أجود أنواع الخمر.

من الزواج منه. قال له الملك ذات مرة:

ـ حسنًا... سأزوجك ابنتي.

وفي التو واللحظة، أعلنوا عُرسًا كبيرًا، وجاء النبلاء والسادة من علية القوم، والأمراء، والبابوات(١) ورجال الدولة من كل صوبٍ وتم عقد الزواج.

وذات مرة وصل إلى الملك خطابا يقول إن عليه وقف زراعة العشب والأشجار، وأن يستعد للحرب، فبكي الملك كثيرًا، عندما عرف هذا الأمر، فسأله "بيتر":

ـ ماذا يبكيك، يا جلالة الملك؟

ـ وكيف لا أبكي، يا بني العزيز، وقد وصلني خطاب مفاده أن أتوقف عن زراعة العشب والأشجار، وأن أستعد للحرب.

ـ لا تبكِ أبدًا يا سيدي الملك، سأذهب أنا بنفسي إلى هذه الحرب.

ـ ياه يا بني وماذا ستفعل أنت هناك بمفردك؟ فمثلك كمثل البعوضة بجانب الجاموسة!

ومع ذلك فقد ذهب "بيتر" بمفرده، وبدأت المعركة، وقاتل بسيفه كثيرًا، حتى هزم الجميع، ولكنه عندما تعرقل صدفةً، طرحوه أرضًا وتغلبوا عليه.

في صباح اليوم التالي وقفت عربة الحرث ذات العجلتين أمام باب أبيه من تلقاء نفسها، وصعد حجر الرحى عليها، وتحول الخمر إلى ماء، والبالينكا إلى دمٍ أحمرٍ.

وعندما رأى والد "بيتر" هذا، ركب عربة الحرث وذهب إلى حيث غلبوا "بيتر". بحث عنه في كل مكان ولكن بلا جدوى، ولكنه رأى أن الثورين يأتيان: أحدهما من ناحية شروق الشمس، والآخر من ناحية الغروب وكأن الأرض تتوهج من تحتهما وتكاد تنشق.

بدأ الثوران الذهبيان بخبط الأرض بقرنيهما إلى أن أخرجوا "بيتر"، ولكن رقبته كانت مقطوعة، ولم يكن فيه رمق الحياة، فسأل أحد الثورين الآخر:

ـ ماذا تستطيع أن تفعل؟

---

(١) المفرد بابا: الرَّئِيسُ الرُّوحِيُّ الأَعْظَمُ لِلْكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّةِ، أو تعني فقط رئيسًا لطائفة معينة من المسيحيين.

ـ أستطيع أن ألصقها مرةً ثانيةً، وسأل الآخر: وأنت ماذا تستطيع أن تفعل؟

ـ أما أنا فأستطيع أن أبث الروح فيه من جديد.

ومن ثم قام الأول بلصق رقبته، والآخر ببث الروح فيه، فاستيقظ "بيتر" مرة أخرى وقال:

ـ ياه، لقد نمت كثيرًا!

ـ ربما كنت لتنام للأبد، إن لم نكن قد أتينا إليك ـ قالها الثوران.

وانطلق "بيتر"، ورجعوا جميعًا إلى بيوتهم.

ولما وصل "بيتر" إلى القصر، قام الملك بدعوة النبلاء والأمراء ونُخبة من شباب الغجر مرة أخرى، وتوجوا "بيتر" ملكًا، وإلى يومنا هذا ما زال يحكم هذه المملكة، ما لم يكن قد توفاه الله.

قوة التلميذ تصنع منه ملكًا

ذات مرة كان هناك تلميذ يسير في الطريق، وبمجرد خروجه من أطراف المدينة إلى أعتاب الحقول وجد بعض حبوب البازلاء المتناثرة على الأرض. فكر في أن يأخذ منها الصالح ويترك الطالح، لأنه كان فقيرًا، وكذلك كانت نصيحة الأب له أن يأخذ ما يجده مفيدًا حتى وإن كان يساوي أقل القليل، وبالفعل قام بتجميع البازلاء ووضعها في جيبه.

حلَّ عليه المساء أثناء طريقه وكان ذلك في مدينة الملك، فأخبر عن نفسه لدى الملك، وطلب المبيت في القصر الملكي.

كان التلميذ فتى هندامًا ولبقًا ويتصرف بمهارة مما أثار انتباه زوجة الملك. وبما أن لديها بنتًا في سن الزواج فقد تصورت إذ ربما يكون هذا الفتى ابن أحد الملوك، وجاء لرؤية البنت، ولبس هكذا ملابس التلميذ كي لا يتعرف عليه أحد! وقد قالت هذه الفكرة لزوجها، واعتبرها الملك فكرة صائبة.

اتفق الاثنان على أن يتحققا من الأمر، هل هذا ابن ملك فعلًا أم لا.

استبْقيا الفتى ليومين، وخصصا له في الليلة الأولى سريرا متواضعًا، فإن رضي به فهو تلميذ فحسب، وإن لم يعجبه، فإنه قطعا من أبناء الملوك.

أعدُّوا له سرير متواضعا بأحد أجنحة القصر، وأوقف الملك رجلا يثق فيه عند نافذة الغرفة، كي يرى ماذا يفعل التلميذ. أشاروا للتلميذ على سريره؛ فاتجه نحوه وأخذ يستعد للنوم. وبينما هو كذلك إذ سقطت من جيبه البازلاء تحت السرير، فأخذ في البحث عنها وتجميعها واحدة بواحدة. وظل يجمعها حتى حلول الفجر.

لم ير المراقب ماذا يفعل التلميذ تحديدًا، لكنه رأى أنه لم ينم، إذ ظل يزحزح السرير ويحركه فحسب، وعند الفجر نام لبرهة من الوقت. أخبر المراقب الملك بأن الضيف لم يخلد إلى النوم، ولكنه كان يعاني من السرير. من الواضح أنه ليس معتادًا على سرير كهذا!

استيقظ التلميذ، وأثناء تناول وجبة الفطور سأله الملك كيف نام، فقال:

ـ لم يكن مريحًا بعض الشيء، ولكن ربما أنا السبب في ذلك.

اعتقدوا أنه يلومهم بأسلوب مهذب لما لم يعطونه سريرًا أفضل، وهنا أيقنوا بالفعل أنه ينتمي لسلالة ملكية وتعاملوا معه على هذا النحو.

في مساء اليوم الثاني فرشوا له سريرا من أسِرة الملوك، وبما أن التلميذ لم يسترح في الليلة المنقضية، فبمجرد أن وضع رأسه، ذهب في سبات عميق شأنه شأن من فاضت روحه إلى بارئها! وظل غارقا في النوم هكذا حتى الفجر. لم يعد الآن له مشكلة مع البازلاء، لأنه قد علقها بقطعة صغيرة من القماش على مسمار بعد أن جمعها من تحت السرير.

أخبر المراقب الملك في الصباح بأن الضيف نام ليلته كاملة.

والآن قد آمنوا بحق أن التلميذ ليس إلا ابن ملك متنكر، ومنذ ذلك الحين وهم ينادوه بالأمير!

سارت ابنة الملك كثيرًا وراء التلميذ. ولما لا: فيا له من أميرٍ جميلٍ! ولم يكن من أمر عسير أن تجعله يقع في حبها، كما أن التلميذ لم يعارض وتزوجا في النهاية.

مضى عام على حياتهما معًا، وعندئذ أعدوا لهما عربة لكي يرى الأمير التلميذ بلده لزوجته!

ارتعدت مفاصل التلميذ لما سمع ذلك، فأي طريق يسلك. خاف في البداية وارتعب، ثم عقد العزم وانطلق وليكن الأمر خيرًا إن شاء الله. فكر في نفسه: "لأنطلق معهم، وإن لم أجد مخرجا، أهرب وأعود إلى بيت الطلاب." كان ما زال يلبس رداء التلاميذ حتى تلك اللحظة.

انطلقوا، وظلوا يسيرون إلى أن وصلوا إلى غابة كبيرة، حيث يوجد هناك خندق عميق بدأ يتجلى أمامهم شيئا فشيئًا.

وهناك كان يرقد تنينا ذو سبع رؤوس، فسأل التلميذ.

ـ من أنت؟ عما تبحث؟ ماذا تريد؟ حكي التلميذ للتنين الموضوع بأكمله، وأنه بالتأكيد إما عاجلًا أو أجلا سيهرب.

فرد التنين عليه:

ـ لا داعي للهرب، ولا داعي لهذه الخسارة! أكمل طريقك فحسب. وبمجرد أن تخرج من الغابة، ستجد قلعة نحاسية دوارة على ساق إوز. أدخل فيها، واسكن هناك بسلام مع زوجتك وراعِ الكلاب وراعِ القطط حتى تبدأ القلعة في الحركة والدوران. عندئذ اهرب، لأنني سأذهب إلى هناك، وإذا وجدتك فيها، ستكون نهاية حياتك!

عاد التلميذ بالفعل إلى الصحبة الكريمة، وواصلوا السير حتى خرجوا من الغابة، ووصلوا

إلى القلعة، ودخلوا فيها، واستقروا بها كما لو كانت ملكًا لهم، وعاشوا واستمتعوا جيدًا على مدار عامين، وبدأ التلميذ يعتقد أنه ملك بالفعل. ولكن هيهات هيهات فقد بدأت القلعة فجأةً في اللف والدوران حول نفسها بسرعة كبيرة.

حزن التلميذ، وخرج أمام القلعة، وتمشى أسفل وأعلى والحزن يغمره، وفجأة وجد هناك سيدة عجوز طرحت عليه هذا السؤال:

ـ ما مشكلتك، يا جلالة الملك؟

ـ آه، المشكلة يا أمي أنني لست ملكًا، ومع ذلك ينبغي على أن أكون ملكًا.

ثم سرد لها الموضوع برمته من البداية إلى النهاية، فقالت السيدة:

ـ هذه ليست مشكلة يا بني! أُشكر ربك على أنك لم تُخفِ على أمرك وقلت الحقيقة! فأنا زوجة الملك، أشد الأعداء رهبة بالنسبة للتنين ذي الرؤوس السبع. لذلك فأنا أنصحك بالتالي: اخبز رغيفًا واطهه سبع مرات في الفرن، واتركه مكشوفا عند بوابة القلعة عند وصول التنين ذي الرؤوس السبع إلى بوابة القلعة، وهذا الرغيف سيجعل التنين لا يزعجك ثانية قط، والقلعة ستبقى ملكك.

أعد التلميذ الرغيف المطلوب، وبعد منتصف الليل بساعة واحدة وضع الرغيف عند بوابة القلعة.

ومع بزوغ فجر النهار أقبل التين ذو الرؤوس السبع إلى بوابة القلعة، ولكن وجد الرغيف يناديه في الحال ويقول له:

ـ هه، أنا الحارس هنا، ولن تستطيع الدخول إلى هنا من دون إذن! إذا أردت الدخول، عليك أولا أن تمر بما مررت به أنا من مراحل حياتية!

ـ قال التنين: يلزمني الدخول إلى هنا فحسب! ومع ذلك ما المراحل التي مررت بها إذن؟

حكى له الرغيف عندما كان بذرة وبذروها في الأرض المحروثة، هناك تعفنت وفقست ونمت وتحملت الكثير من البرد والحر والمطر والثلج، ومع ذلك ازدهرت وأثمرت، وبعد ذلك قطعوها وربطوها بالحبال وطحنوها وسحقوها وعجنوها. ثم بعد ذلك تم وضعها في الفرن المشتعل سبع مرات المرة تلو الأخرى.

- إذا كنت قد مررت مثلي بكل ذلك، فسأتركك تدخل، وإلا عليك أن تمر بهذه المراحل أولًا.

علم التنين أنه لن يستطيع أن يتحمل كل ذلك، وغضب بالفعل، بل واشتعل من شدة الغضب، وهذه كانت نهايته: الموت مشتعلا من شدة الغضب.

ومنذ ذلك اليوم أصبح التلميذ سيدًا لهذه القلعة؛ وبعد موت أب وأم زوجته أصبح ملكًا لبلدين. وإن لم يكن قد مات، فإنه ما زال يحكم البلاد حتى اليوم أيضا. إن كنت أعلم أن حظي سيكون هكذا مثل هذا التلميذ فلوددت أن أكون تلميذًا في هذا اليوم المقدس.

"بيتر الوردة"

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والأوان، كان هناك رجل من ذوي الأطيان(١) لديه ثلاثة من الأبناء الذكور، وثلاث من الإناث، وقد علَّمهم جميعا في المدارس جيدًا، ولكن القدر لم يمهله إذ مات، ودفنته زوجته، وأصبح الأبناء الستة يتامى، عندئذ قالت الزوجة:

ـ أبنائي الأعزاء، سأذهب لأقتني خادمًا.

فقال الابن الأكبر:

ـ أمي العزيزة، لا تفعلي! ما سنعطيه للخادم ندخره لأمر آخر، وأنا سأحرث وأزرع، وسأعمل بالزراعة. فقط ما عليكم سوى أن تُحضروا لي الغداء وقت الظهيرة.

ـ سأطهي لك كل يوم وجبة الغداء، وستحضره لك أختك الكبيرة، يا ابني العزيز.

ثم قالت الأخت الكبيرة:

ـ أنا سأحضره، يا أخي، ولكني أطلب منك فقط أنه عندما تخرج بالمحراث من باب البيت جر المحراث جرًّا على الأرض كي اتبع طريقك وأعلم إلى أين ذهبت، ثم علقه عند رأس الأرض.

وبالفعل قام الابن بجر المحراث، ولكن التنين ذا الرؤوس الستة ذهب إلى هناك، ومسح خط المحراث، وقام بعمل خط آخر يؤدي إلى قلعته تحديدًا، وهكذا أحضرت الابنة الطعام إلى هناك، إلى التنين، وليس لأخيها، وأخذ التنين الفتاة إلى قلعته، وتناول الغداء هو.

وعاد الابن من حرث الأرض إلى المنزل غاضبًا لأنه لم يحصل على الغداء.

ولما حدث ذلك أخذت الفتاة الوسطى على عاتقها القيام بتوصيل الغداء لأخيها في اليوم التالي، وأخذ الفتى المحراث، وصنع خطًّا يؤدي إلى الأرض، ولكن ذهب إلى هناك هذه المرة التنين ذو الاثنتي عشرة رأسا، ومحا أثره، وقام بعمل خط آخر بالمحراث يؤدي إلى قلعته، وهكذا أخطأت الابنة وذهبت إلى التنين، وتناول الغداء هو، ومكثت البنت لديه كربة منزل.

---

(١) صاحب أراضي زراعية.

وعاد الفتى أكثر غضبًا من ذي قبل لأن أحدًا لم يحضر له الغداء.

ـ أمي العزيزة، لِمَ تُحضروا لي الغداء؟

ـ لقد أرسلته مع اثنتين من إخوتك، وكلتاهما فقدتا هناك. انشقت الأرض وبلعتهما أم ماذا؟

ـ أخي العزيز، غدا سأحضر لك الغداء! ـ قالتها البنت الصغرى.

وأخذ الفتى المحراث وصنع خطًّا إلى الأرض، ولكن ذهب إلى هناك التنين ذو الأربع والعشرون رأسا، ومسحه وقام بعمل خط آخر بالمحراث يؤدي إلى قلعته، وهكذا أخذت الابنة الغداء إلى هذا التنين هي الأخرى، وهناك قال لها التنين ذو الأربع وعشرون رأسًا.

ـ طفلتي الحبيبة، سأتخذك زوجةً لي وأنا سأصبح زوجك. يجب أن تفعلي ما أقوله لكِ.

توقف الفتى عن حرث الأرض، وذهب ليبحث عن أخواته الثلاث، فذهب إلى التنين ذي الرؤوس الستة، فوجد هناك أخته الكبيرة، فقال لها:

ـ جمّعي أغراضك ياأختي، وتعالي معي لنعود إلى بيتنا!

ـ ارحل من هنا بسرعة، سيأتي زوجي عما قريب.

ـ من أين تعلمين؟

ـ يعطي الصولجان(١) ذات الستة قناطير(٢) إشارة بقدومه إلى المنزل!

لقد جاء التنين بالفعل، فقال:

ـ مساء الخير يانسيبي! أوقدي النار، واطهِ الطعام، يا زوجتي العزيزة.

تم طبخ الطعام، وأكلوا حتى شبعوا، وذهب التنين إلى بيت الخزين، وأحضر إبريقًا من الخمر.

---

(١) صَوْلَجَانُ المُلِكِ: عَصَا المُلِكِ، أو عصًا يحملها المَلِكُ كرمز لسلطانه "التعلُّم صولجان في يد بعض الناس، وخزعبلة في يد آخرين.

(٢) وحدة قياس للأوزان تقدر بمئة رطل.

ـ حسنًا يا نسيبي العزيز، تعال لنتصارع!

وخرجا إلى الساحة ليتصارعا، وألقى التنين بنسيبه على الأرض بحيث أن كل جزء من جسده قد تهشَّمَ، فدفنه، وزرع على قبره شجرة حوْر[1]، وهذه الشجرة كانت تنمو في الليل أكثر من النهار.

ذهب الأخ الأوسط إلى التنين ذي الاثنتي عشرة رأسًا في بيته، فوجد هناك أخته، فقال لها:

ـ مساء الخير ياأختي العزيزة، متى سيعود زوجك إلى المنزل؟

ـ سنعلم عندما يشير الصولجان ذي الاثني عشر قنطارًا.

وأشار الصولجان، ومن ثم وصل التنين، وقال:

ـ أطبخي، يا زوجتي العزيزة!

تم طبخ الطعام، وأكلا حتى شبعا، وذهب التنين إلى غرفة الخزين وأحضر إبريقا من الخمر وشرباه كله.

ـ حسنًا يا نسيبي العزيز، تعال لنتبارى!

خرجا إلى الساحة ليتصارعا، وألقى التنين بنسيبه على الأرض بحيث أن كل جزء من جسده قد تهشَّمَ تمامًا، فمات.

جاء الدور على الأخ الثالث هذه المرة: ذهب الأخ الأصغر ليبحث عن أخته الصغرى لدى التنين ذي الأربع والعشرين رأسًا، فعثر على أخته هناك، فقال لها:

ـ مساء الخير ياأختي العزيزة، أين زوجك؟

ـ ذهب يتجول في البلدة.

ـ ومتى سيصل إلى المنزل؟

ستعلم بمفردك فعندما يتجه إلى المنزل، فإن الصولجان ذا الأربعة والعشرين قنطارًا سيقف على هذا الكف العملاق الموجود على ركن القصر.

---

(١) حور: شَجَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّفْصَافِيَّاتِ، خَشَبُهُ أَبْيَضُ خَفِيفٌ، يُسْتَعْمَلُ بِكَثْرَةٍ فِي الصِّنَاعَةِ الخَشَبِيَّةِ لِصُنْعِ الأَثَاثِ.

وبالفعل أشار الصولجان، ومن ثم وصل التنين، وقال:

ـ أطبخي، يا زوجتي العزيزة!

تم طبخ الطعام، وأكلا حتى شبعا، وذهب التنين إلى غرفة الخزين وأحضر إبريقا من الخمر، وشرباه.

ـ حسنًا يا نسيبي العزيز، تعال لنتعارك في الساحة!

وخرجا إلى الساحة ليتصارعا، وألقي التنين بنسيبه على الأرض بحيث أن كل جزء من جسده قد تحطم تمامًا، فمات، وبدلا من أن يضع على قبره شاهدًا زرع شجرة حوْر.

والآن أصبح يمكث هناك البنات الثلاث، والذكور الثلاثة أيضا. لم يعد هناك أولاد لدى الأم، فأخذت المنجل، وذهبت إلى الأرض لتجمع العشب في الحقول والغابات، ووجدت وردةً بيضاءَ جميلةً، فقطفتها وشمتها، فكانت لها رائحة نفَّاذة. أبت أن ترميها، فوضعتها في فمها، وظلت تحتفظ بها في فمها إلى أن بلعتها من دون قصد.

عادت السيدة إلى المنزل، وبعد وقت قريب وُلد طفل من هذه الوردةِ التي بلعتها، وكان طفلًا نبيهًا للغاية، وأطلقوا عليه عند التعميد اسم "بيتر الوردة"، وتحملت أمه آلامه، وعندما أرضعته لمدة أسبوع، قال الولد لأمه:

ـ أمي الحبيبة، افتحي القماط(١)!

ففتحته الأم، وخرج "بيتر" إلى الساحة للعب. وكان في الحديقة شجرة هردوف(٢) كبيرة شرع بمبارزتها، إلى أن أمالها قليلًا ثم دخل إلى أمه:

ـ أمي العزيزة، ضميني إلى صدرك وتحمليني!

ومرة أخرى أرضعت الأم الفتى لمدة أسبوع آخر، ثم قال لأمه ثانية:

ـ أمي العزيزة، أخرجيني من القماط لألعب في الساحة.

ولعب في الساحة، ونزل إلى الحديقة، وأمَالَ الشجرة إلى الخصر.

---

(١) ج: قُمُطٌ: "لَفَّتْ رَضِيعَهَا فِي القِمَاطِ": خِرْقَةٌ عَرِيضَةٌ تُلَفُّ عَلَى الرَّضِيعِ لِشَدِّ أَعْضَائِهِ.
(٢) نوع من الشجر كالحرش.

وجرى عائدًا إلى أمه:

ـ أمي، أدخليني مرة أخرى إلى القماط، ولا تفتحيه لا بالليل ولا بالنهار، ولا تذهبي إلى أي مكان مهما كانت الظروف.

وإلى ذلك الحين وضعت الطفل، وكانت ترتدي الملابس وتخلعها فقط، وظل "بيتر الوردة" يرضع لمدة ثلاثة أسابيع متواصلة، ثم خرج من القماط، ونزل إلى الحديقة، وأمال شجرة المردوف العملاقة حتى النهاية، ودخل الولد على أمه وقال:

ـ أحضري الآن طبقًا لي يا أمي.

أحضرت الأم الطبق، فقال لها الولد:

ـ ضعي كل اللبن الذي لديك في هذا الطبق، يا أمي.

ملأت الأم الطبق باللبن حتى نهايته.

ـ حسنًا يا أمي، أحضري وعاء الدقيق ثم أسكبي اللبن على هذا الدقيق وأعجنيه ثم اصنعي ثلاث كعكات من دون ماء. اشوِ الكعكات الثلاثة. بعد ذلك اعثري على المناديل الحريرية والخواتم الخاصة ببناتك الثلاث، وضعي في كل منديل حريري كعكةً وخاتما ذهبيًّا، ولفيهم جيدًا.

وأخذ "بيتر" اللفات الثلاث، وانطلق يبحث عن الفتيات الثلاث والأولاد الثلاثة.

أثناء رحلة البحث وجد أخته الكبرى لدى التنين ذي الرؤوس الستة، فقال لها:

ـ مساء الخير وبارك الله لكِ، يا أختي!

ـ بارك الله لك أيضًا!

ـ متى سيعود زوجك إلى المنزل؟

ـ لِمَ تسأل؟ أنت ما زلت طفلًا، ثم بأي حق أنت أخي؟

ـ إذا كنت قد قلت أني أخوكِ، فإنني صادق، فهنا هذا المنديل الحريري، افتحيه وتأكدي بنفسك!

فتحت الفتاة الكبرى المنديل الحريري، عندئذ سألها "بيتر".

ـ مِلْكُ من هذا المنديل الحريري، وهذا الخاتم؟

ـ إنهما ملكي.

ـ اكسري الكعكة إلى قطعتين، وكليها، ما طعم هذه الكعكة؟

ـ مثلها كمثل لبن أمي.

ـ هل تقرين بأنني أخوك؟ متى سيعود زوجك إلى المنزل؟

ـ لا تسأل عن هذا الأمر... انهض... وعُد من حيث أتيت، لأنه سيقتلك إن رآك هنا... إنه التنين ذو الرؤوس الستة!

ـ لا تهتمِ بالأمر ياأختي العزيزة، فأنا من ينتظره الآن في المنزل، وهو سيكون المتأخر، اطهِ الطعام، وأوقدي النار فحسب!

ـ غير مسموح بذلك، إلا عندما يأتي زوجي إلى المنزل.

ـ ومتى سيأتي زوجك إلى المنزل؟

ـ ستعرف عندما يقذف بالصولجان ذي القناطير الستة إلى المنزل!

لما اقترب التنين ذو الرؤوس الستة من المنزل قُذف بالصولجان ذي القناطير الستة إلى المنزل، فإذا بـ "بيتر الوردة" يثب إلى هناك، ويمسك بالصولجان، ولم يتركه يقع على الأرض، وقذف به في الاتجاه المعاكس إلى مسافة أبعد من التنين بستة أميال، فزمجر التنين بقوةٍ وقال:

ـ من هذا الذي يعوث في ساحتي؟ من عساه أن يكون "بيتر الوردة" هذا الجرو؟ لأصل إلى المنزل فحسب وسأريه!

ذهب التنين وأحضر الصولجان إلى المنزل، ووضعه على الأرض، ثم قال:

ـ مساء الخير يا نسيبي! أوقدي النار، واطهِ الطعام، يا زوجتي العزيزة.

أكلوا حتى شبعوا، والتقط التنين مفتاح غرفة الخزين، وذهب إلى هناك، وأحضر إبريقًا من الخمر، وكان به كأسان من الخمر فقط، فسكبهما "بيتر الوردة" ولم يشربهما، فقال التنين:

ـ احتسِ خمرك يا نسيبي، فلهذا ملأته لك.

أجاب "بيتر الوردة":

ـ نسيبي العزيز، أنا لن أشرب بهذه الطريقة، فإذا جئت أنت إلى ضيافتي، فإنني سوف أصحبك إلى غرفة الخزين، وسأدعك تشرب حتى تشبع.

أخذ التنين المفتاح، واصطحب "بيتر الوردة" إلى غرفة الخزين، فأمسك "بيتر الوردة" بالبراميل، فشرب خمسة منها الواحد تلو الآخر، أم البرميل السادس فلم يسمح التنين له باحتسائه.

ـ اترك لي برميلًا أحتسيه في حين آخر.

وأخرج التنين "بيتر الوردة" من غرفة الخزين.

وخرجا إلى ساحة القصر، فقال التنين لـ "بيتر":

ـ تعال لنتبارى، يا نسيبي العزيز!

وشرعا في القتال، وأمسك التنين "بيتر الوردة"، وقذفه على الأرض، فوثب "بيتر الوردة" من على الأرض، وسريعًا أمسك بالتنين، ورماه على الأرض فتهشمت عظامه ولم يكتفِ بذلك بل وقطع رؤوسه الست، وأشار "بيتر" لأخته بأن تستعد لتذهب معه.

وهكذا حرر "بيتر الوردة" أخته الكبرى، وذهب إلى التنين ذي الاثني عشرة رأسًا. فتح الباب، وألقي السلام على أهل البيت، فردت أخته الوسطى، وهي بالطبع لا تعرفه:

ـ عما تبحث هنا، أيها الفتى؟

ـ وماذا عساي أن أبحث هنا؟ أتيت من أجلك، فأنا أخوكِ.

ـ إذا كنا أخوين حقًا فكيف تفرقنا من المنزل؟! أنت لست أخي.

ـ إذا لم أكن أخاكِ، فافتحي هذه اللَّفة، ثم قرري!

فتحتها البنت، وعندئذ سألها "بيتر":

ـ من يملك هذا المنديل الحريري، وهذا الخاتم؟

ـ إنهما ملكي.

ـ اكسري الكعكة إلى قطعتين وتناوليها، ما طعم هذه الكعكة؟

ـ مثلها كمثل لبن أمي، أقر بأنك أخي.

ـ متى سيعود زوجك إلى المنزل؟

ـ ستعرف عندما يقذف بالصولجان ذي الاثني عشرة قنطارًا إلى المنزل!

وخرج "بيتر الوردة" إلى الساحة منتظرًا الصولجان ذات الاثني عشرة قنطارًا.

وعندما قذف التنين الصولجان ذا الاثني عشرة قنطارًا إلى المنزل إيذانًا بقدومه إلى المنزل، فإذا بـ "بيتر الوردة" يمسكه، ويطرحه في الاتجاه المعاكس إلى مسافة تقارب الاثني عشرة ميلًا أبعد من التنين، فدمدم التنين من شدة غضبه قائلا:

ـ من هذا الذي يتفاخر بنفسه هنا؟ ربما يكون هذا هو الجرو الصغير "بيتر الوردة".

وصل التنين إلى المنزل، وأكلوا، وعندما شبعوا ذهب التنين إلى غرفة الخزين، وأحضر إبريقا من الخمر، واحتسى التنين كأسه من الخمر، ولكن "بيتر الوردة" لم يحتسِ كأسه فسأله التنين:

ـ لماذا لم تشرب، يا نسيبي؟

ـ لن أشربه.

ـ لماذا؟

ـ إذا جئت أنت إلى ضيافتي، فإنني سوف أصحبك إلى براميل الخمر تحتسي منها ما تشاء، وليس كما فعلت أنت.

وبهذا نزلا إلى غرفة الخزين، وكان لدي التنين اثنا عشر برميلًا من الخمر، فشرب "بيتر الوردة" أحد عشر برميلا من الخمر، ولم يسمح له التنين بشرب الثاني عشر، وقال له:

ـ لا تكن هكذا ممن لا يشبعون، اترك هذا البرميل من الخمر لي! تعال يا نسيبي لنتصارع!

اعترك "بيتر الوردة" والتنين ذو الاثني عشر رأسًا، فأمسك التنين بـ "بيتر الوردة" من تحت إبطه، ولكن "بيتر الوردة" كان ماهرًا، فتشبث به وقذفه على الأرض ثم رفعه لأعلى من رقبته وحطم التنين تمامًا، ثم انطلق إلى أخته الثالثة.

ـ مساء الخير ياأختي العزيزة!

ـ مساء الخير! عما تبحث هنا، أيها الفتى؟

ـ أنا أخوكِ.

ـ إذا كنا أخوين فعلًا فكيف تفرقنا من المنزل؟! أنت لست أخي.

ـ إذا لم أكن أخاكِ، فافتحي هذه اللفة!

ففتحتها البنت.

ـ يخص من هذا المنديل الحريري وهذا الخاتم؟

ـ إنهما ملكي.

ـ اكسري الكعكة إلى قطعتين، وتناوليها، ما طعم هذه الكعكة؟

ـ مثلها كمثل لبن أمي.

ـ إذن متى سيعود زوجك إلى المنزل؟

ـ ستعرف عندما تهتز القلعة، في القرية يوجد كفٌّ عملاق، سيقع عليه الصولجان ذو الأربع والعشرين قنطارًا.

وها هو قد سقط الصولجان، ولكن "بيتر" قذف الصولجان ثانيةً من حيث أتى.

عاد التنين إلى المنزل مشتاطا من الغيظ قائلًا:

ـ أعدي العشاء، يا زوجتي!

وتناولوا العشاء، وعندما شبعوا ذهب التنين إلى غرفة الخزين، وأحضر إبريقا من الخمر، به كأسان من الخمر، واحتسى التنين كأسه، ولكن "بيتر الوردة" لم يحتسِ كأسه:

ـ لماذا لم تشرب، يا نسيبي الغالي؟

ـ لن أشربه، فإذا جئت أنت إلى ضيافتي، فإنني سوف أصحبك إلى براميل الخمر تشرب منها ما تريد.

نزلا إلى غرفة الخزين سويًا، وكان لدي التنين أربعة وعشرون برميلًا من الخمرِ، فشربَ "بيتر الوردة" ثلاثة وعشرين برميلا من الخمر، ولم يسمح له التنين بشرب البرميل الرابع والعشرين.

ـ اترك لي واحدًا! تعال يا نسيبي لنتصارع!

تقاتل "بيتر الوردة" والتنين ذو الأربع والعشرين رأسًا، فأمسك التنين بـ "بيتر الوردة" من تحت إبطه، ولكن "بيتر الوردة" كان فتيًا قويًا، فقفز وأمسك بالتنين، ورماه على الأرض بكل انتقام، واستل مطواته، وقطع ثلاث وعشرين رأسا للتنين، وتبقت واحدةً، عندئذ قال له التنين:

ـ توقف، يا"بيتر الوردة"! أرجوك! اترك لي هذه الرأس الواحدة! إذا تركت رأسي هذه، سأكتب لك تعهدًا بأنني سأرحل من هذه البلدة تمامًا، ولن يسمع أحدا عني بعد ذلك.

ـ حسنًا يا زوج أختي، سأترك هذه الرأس شريطة أن تأتي بإخوتي الثلاثة الذكور واقفين من جديد على أقدامهم. في هذه الحالة سأترك رأسك الرابعة والعشرين... سأتركك تعيش.

تدفق الدم من التنين مثل الساقية، وقام بنشر دمه على شجرة الحور، حيثما كان الأبناء الثلاثة مدفونين، فوقف الأبناء الذكور الثلاثة على أقدامهم مرة أخرى، وهكذا بقي على قيد الحياة التنين بالرأس الواحدة، واختفي من هناك، وحتى الآن لا يُسمع له خبر.

قام "بيتر الوردة" بجمع إخوته الستة: البنات الثلاث، والذكور الثلاثة، وعادوا جميعًا إلى المنزل ببهجة عارمة، وسعادة غامرة، وقامت الأم بتنظيف وكنس باحة المنزل، وعندما عادوا ورأت الأم أن أولادها السبعة قد أقبلوا عند البوابة، فتحتها بسرعة، وسمحت لهم بالدخول، ودخل الأخوة السبعة إلى ساحة المنزل، وأمسكت الأم بـ "بيتر الوردة"، وقبلته، وكذلك قبلت الآخرين، ثم دعت القرية بأسرها للاحتفال بعودة أبنائها، وقالت:

في البيت يوجد بناتي الثلاثة، وأولادي الثلاثة! وولدي السابع أيضًا!

وأقامت حفلًا كبيرًا، وأكلوا وشربوا، وتمتعوا، وفرحوا وابتهجوا، ومن غمرة سعادة أمهم أرادت أن تفعل كل شيء ممكن. كانت سعيدةً للغاية، وقام "بيتر الوردة" بتقبيل الأولاد الثلاثة، والبنات الثلاث وودعهم وأمسك بأمه وعانقها وقبلها، ثم قال:

ـ حسنًا يا أمي العزيزة، أعيديني إلى حيث قطفتيني عندما كنت وردة... إلى الحقول والغابات.

وذهبوا إلى هناك حيث قطفته الأم، وعانقته وقبلته مرة أخرى، وقال:

ـ أمي العزيزة! لن تريني مرة ثانية!

وهنا قالت الأم:

ـ هل تسمح لي بالذهاب يا ولدي العزيز.

ـ نعم.

ثم وثب في أعماق الحقول، وعادت الأم إلى المنزل، وكان الأولاد الستة في سعادة غامرة! أكلوا، وفرحوا وابتهجوا، وعاشوا في سعادةٍ غامرةٍ، وما زالوا يعيشون حتى الآن، إن لم يكن قد توفاهم الله.

"ريبيكا"

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، كان فيه ملك لديه ثلاثة أولاد، وكانت تسكن بجواره سيدة أرملة لديها بنت.

كانت البنت تُدعى "ريبيكا"، لأنها لم تكن لتعيش إلا على نبات الريباس(١).

ذات مرة مرضت البنت، ولم تستطع الأم إحضار الريباس لها، ولكي تنقذها أمها المسكينة توجهت إلى حديقة الدير لأنها رأت هناك ريباسًا. تسللت إلى الداخل، وأحضرت سلة من الريباس، إلا أن كبيرة الراهبات لمحتها أثناء الخروج، فنادتها بصوت عال:

ـ ماذا تفعلين هنا، أيتها السيدة؟

أجابت السيدة المسكينة مرتعدة:

ـ والله لم أسرق قط طيلة حياتي، ولكن الحاجة هي ما اضطرتني إلى ذلك الآن! لأن لدي ابنة جميلة للغاية لا يوجد لها مثيل، ولكن إذا مرّ يومان من دون أن تأكل ريباس، تموت. لم تتناوله اليوم، وهذا معناه أنها إذا لم تأكله الغد فستموت.

عفت كبيرة الراهبات عن السيدة، إلا أنها ذهبت معها إلى منزلها، لأنها لم تصدق أن السيدة المسكينة لديها هذه البنت الفريدة.

عندما رأت كبيرة الراهبات أنها جميلة حقًّا، قالت للسيدة:

ـ حسنًا أيتها السيدة، أعطني ابنتك، فلدينا يمكنها أن تأكل وتشبع من الريباس مثلما تريد.

ماذا تفعل السيدة المسكينة، فالريباس لا يوجد إلا في الدير، فما كان منها إلا أن أعطتها البنت، كما طلبت.

وهناك عاشت الفتاة. في ذلك الزمان كان ما زال مسموحًا ترك شباك دير الراهبات مفتوحًا، وكانت تنظر منه الفتاة. ذات مرة مرَّ أبناء الملك الثلاثة من أمام الدير ولما وقعت أعينهم على هذه الفتاة تسمّروا مكانهم من شدة إعجابهم بجمالها منقطع النظير.

---

(١) الرِّيبَاسُ: نبات معمَّر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج، تؤكل ضلوعهُ وتربُّب، ويعصر منه شراب الرِّيباس.

شرع ابن الملك البكر في التو واللحظة بالقول إنه لن يهنأ له بال حتى يتزوج هذه الفتاة. قاطعه الأمير الأوسط قائلًا إنه أيضًا لن ينعم بالراحة طالما أنها لم تصبح زوجته، وقال ابن الملك الأصغر هو الآخر:

ـ أنا لا أسمح! لأنها ستكون لي!

تشاجر الأخوة الثلاثة بطريقة فجة، إلى أن فرقهم المارة عن بعضهم البعض. وعلى صوت الضجيج أتت كبيرة الراهبات ناحية الشباك وسألت: ماذا يحدث هنا. قالت "ريبيكا":

ـ إنهم يتعاركون من أجلي.

ارتعدت كبيرة الراهبات وخافت من أن تحصل على توبيخ من الملك أو الملكة، واستدعت "ريبيكا" من الشباك في الحال، وعاقبتها ووبختها، وعندما اعترضت الفتاة على هذا التوبيخ، قالت لها كبيرة الراهبات:

ـ ماذا، أنت لستِ جميلة فحسب، بل طيبة القلب أيضًا! حسنًا اسمعيني يا"ريبيكا"، إن جمالك وطيبة قلبك سيجعلانك سحلية، ومسكنك لن يكون هنا لدي بعد اليوم، وإنما سيكون في آخر بلاد العالم.

تحولت المسكينة "ريبيكا" في الحال إلى سحلية، وبعد لحظة واحدة ذهبت إلى نهاية العالم.

مرَّ الوقت وانقضى، وتوفت أم الأمراء الثلاثة، وبلغ أبوهم من الكبر عتيًا وأراد الأب أن يتنازل عن عرشه، ولكنه لم يستطع أن يقرر إلى أي من أبنائه يتنازل عنه، لأنه أحب أولاده الثلاثة بالتساوي، لذا قال الملك العجوز لأولاده الثلاثة:

ـ أبنائي الأحباء، أعلم أن كل منكم أشجع من الآخر، ولكنني أعطيكم ثلاثة اختبارات، ومن منكم ينجح فيها، سيتولي العرش.

أومأ الأبناء الثلاثة ليقل هذه الاختبارات الثلاثة.

قال الملك:

ـ لنبدأ بالاختبار الأول، أبنائي الأعزاء!

كان الاختبار الأول عبارة عن التالي: طلب أن يحضروا له قماشًا معجزة طوله وعرضه مائة ذراع(1) ومع ذلك يدخل من خلال الخاتم الدائري إذا تم لفه وطيه.

استقبل الأمراء الأمر بقوة، معتقدين أنهم يستطيعون حقًّا الحصول عليه فعلًا، وثق كل منهم في الآخر مفكرين بأن الاختبار الأول سيجتازه الجميع. أخذ الثلاثة كثيرًا من المال معهم، وانطلقوا للبحث عن غايتهم، فوجدوا خارج قصر أبيهم الملكي ثلاثة طرق: طريقان جميلان، سار فيهما الأخوان الكبيران، أما الطريق الثالث فكان معوجًا وعرًا فسلكه الأمير الأصغر.

وصلا الأخوان الكبيران سريعًا إلى مدينةٍ جميلةٍ كبيرةٍ، أما الآخر الأصغر فبعد سفرٍ طويلٍ ووقتٍ مديدٍ وتعبٍ شديدٍ، ومع ذلك لم يجد ولا حتى طائرًا يحلق بجناحيه في السماء. اشتري أخواه كثيرًا من القماش، أما هو فذهب وواصل المسير إلى أن وصل فجأة إلى آخر بلاد العالم.

ووجد ابن الملك الأصغر في آخر بلاد العالم جسرًا حجريًّا، فجلس عليه حزينًا نادبًا حظه، ماذا سيفعل، لأنه بذلك لا يستطيع تلبية الرغبة الأولى لوالده.

عندئذٍ توجهت إليه سحلية صغيرة ذات ظهر ذهبي، فقالت له بصوتٍ رقيقٍ خافتٍ (كانت الحيوانات تتحدث في ذلك الوقت):

ـ ماذا يضايقك ويحزنك هكذا، أيها الأمير؟

نظر الأمير إلى السحلية وأجاب:

ـ لِمَ تسألين أيتها السحلية الصغيرة ذات الظهر الذهبي، ما لم تستطيعين تقديم النصيحة لي!

ردت السحلية الصغيرة برقةٍ:

ـ قل فقط، فربما أستطيع!

وعندئذ قال لها الأمير إن رغبة أبيهم الملك أن من يتمكن من بين أبنائه الثلاثة من تحقيق الرغبات الثلاث أو الاختبارات، فهذا هو من سيحصل على العرش؛ الرغبة الأولى هي أن يحضروا له قماشًا معجزة طوله وعرضه مائة ذراع ومع ذلك يدخل من خلال الخاتم الدائري إذا تم لفه وطيه.

---

(1) الذِّراع: اليد من كل حيوان، لكنَّها من الإنسان: من المِرْفقِ إلى الرسغ، والذِّراعُ مقياسٌ أشهر أنواعِهِ الذراع الهاشميةُ وهي ٣٢ إصبعًا أو ٦٤ سنتيمترًا.

سمعت السحلية الصغيرة الحديث، ثم قالت:

ـ حسنًا أيها الأمير، اجلس هنا فحسب، وانتظرني قليلًا ربما أتمكن من مساعدتك في حل مشكلتك!

نزلت السحلية الصغيرة إلى أسفل الجسر الحجري إلى مملكة العناكب، فهي صديقتهم المقربة، وطلبت منهم العون. شرعت العناكب في الحياكة والنسج في الحال، وخلال عشرة أيام بعشر ليالٍ صنعوا القماش، وأحضرته السحلية الصغيرة إلى الأمير، فوضعه في أحد جيوبه.

عاد الأخوان الآخران منذ مدة طويلة وأحضرا إلى والدهما عددًا من عربات القماش: كان طويلًا وعريضًا أيضًا، ولكن الأب لم يستطع تمريره من الخاتم الدائري بعد لفه وطيه.

وعند ذلك جاء الأمير الأصغر.

وأخرج من جيبه ما أحضر، فجربه الملك وأومأ إليه:

ـ هذا هو المطلوب بالضبط! يمكن أن يدخل في الخاتم ولكنني لست أعلم الحجم سيكون هو المطلوب مثلما أحضرت أم لا!

تم إحضار المهندسين في الحال، وقاسوا القماش، وبالضبط لم يكن أكثر ولا أقل: مائة ذراع طول x مائة ذراع عرض.

قال الملك عن هذا مبتهجًا:

ـ انظروا أيها الأبناء، فالصغير قد أتم المهمة بنجاح، ولكن من يستطيع القيام بالاختبارين الثاني والثالث سيؤول إليه العرش. أمنيتي التالية هي: أن تحضروا لي جروا: يدخل في قشرة البندق الذهبية، ولكنه إذا قفز منها وعلى الرغم من صغر حجمه فإن صراخه يصل إلى أقصي البلاد.

انطلق الأبناء الثلاثة ثانية؛ سلك الأميران الكبيران الطريق الممهد صوب المدينة، أما الابن الأصغر فلم يبق له إلا الطريق الوعر. وعندما وصل الأمير الصغير ثانية إلى آخر بلاد العالم، نادى بصوتٍ عالٍ:

ـ أيتها السحلية الصغيرة ذات الظهر الذهبي، تعالِ إلى هنا تلبية لندائي!

جاءت السحلية الصغيرة.

ـ ماذا يلزمك هذه المرة؟

قال لها الأمير حزينًا:

ـ في الحقيقة أعتقد الآن أنك لا تستطيعين تنفيذ طلبي.

أجابت السحلية الصغيرة:

ـ قل فقط، فربما أستطيع مساعدتك!

وهنا سرد عليها الأمير أمنية الأب، موضحًا لها ماهية الجرو المطلوب.

فكرت السحلية الصغيرة، ثم قالت التالي:

ـ ابق هنا فحسب، فربما أتمكن من تقديم العون لك!

نزلت السحلية الصغيرة إلى باطن الأرض حيث الأقزام الصغيرة جدًّا. وتوسلت إلى ملكهم ليتكرم ويعطيها جروًا قزمًا بهذا الشكل. أعطاها ملك الأقزام وزيره الأول: فهذا كان الجرو المطلوب. وضعت السحلية الصغيرة الجرو في قشرة البندق، وأحضرته للأمير وقالت:

ـ ضع هذه في جيبك، ولا تفتحها في الطريق، وأسرع في رحلة العودة.

بالفعل طوي الطريق بسرعة، ووصل إلى قصر أبيه.

كان الأخوان الكبيران في المنزل منذ وقت طويل، وقد عادا محضرين جِراء[1] ليس لها مثيل في العالم.

قال الملك العجوز، لما رأى الابن الأصغر:

ـ حسنًا يا بني، هل أنت أيضًا جئت خالي الوفاض، مثل أخويك؟

وهنا أخرج الأمير قشرة البندق الذهبية وقد ارتسمت على وجهه علامات الفرحة والبشاشة، ولما فتحها: وثب الجرو وصرخ صرخة واحدة، ولكن هذا الصوت وصل إلى أقصى البلاد في الحال. هذا الصراخ كان له أثر طيب في نفس الملك العجوز، كما لو قاموا بعلاج ظهره بالدواء، وقال مبتهجًا:

---

(١) الجِرْوُ الصَّغيرُ: مِنْ وَلَدِ الكَلْب والأَسَدِ والسِّباع. والجمع: جِرَاءٌ، وأَجْرٍ، وأَجْرَاء .

ـ أنظروا أيها الأبناء، فالصغير قد أتم مهمته وحقق رغبة والده الثانية على التوالي، ولكن من يتمكن من القيام بالاختبار الأخير، سيتولى العرش، ورغبتي الثالثة هي: أنني سأترك الدولة لمن يستطيع منكم أن يحصل على أجمل عروسة لنفسه.

ضحك الأميران الكبيران كثيرًا. اعتقدا يقينًا أنهما يستطيعان الانتصار على أخيهم هذه المرة، لأنهما قد جابا العالم كله، ورأيا العديد من الفتيات الجميلات، لذلك من السهل اختيار الأجمل من بينهم؛ أما الأمير الصغير فماذا رأى؟ لم ير أحدًا! فلم يرَ طيلة حياته سوى سحلية صغيرة!

تملك الحزن الأمير الصغير بشدة لأن السحلية الصغيرة ذات الظهر الذهبي لن تجلب له عروسة جميلة، ومع ذلك ذهب إليها، وجلس حزينًا على الجسر الحجري. أقبلت السحلية الصغيرة، فقال لها الأمير:

ـ في الواقع أعتقد الآن أنك فعلًا لن تستطيعين مساعدتي في مشكلتي!

فأجابت السحلية الصغيرة بصوت خافتٍ عذبٍ:

ـ لعلي أستطيع!

قال الأمير:

ـ الآن رغبة أبي هي أنه من يحضر أجمل عروسة، سيصبح الملك.

استحت السحلية الصغيرة ذات الظهر الذهبي، وقالت:

ـ امسكني فحسب، واكسرني في هذا الجسر الحجري!

فأجاب الأمير الصغير وهو في حيرة من أمره:

ـ هذا ما لن أفعله أبدًا، فأنا مدين لك بأعظم آيات الامتنان.

ومع إصرار السحلية الصغيرة على القول:

ـ أقول لك اكسرني في هذا الجسر الحجري!

عارض الأمير الصغير الأمر كثيرًا، ولكنه عندما رأى مدى إصرار السحلية الصغيرة اكتأب وأغمض عينيه وقذف بالسحلية الصغيرة في الجسر الحجري. حسنًا ماذا رأى؟ بدلًا من السحلية الصغيرة رأى حورية خلابة وحسناء كالقمر. عندئذ قالت له هذه الفتاة الجميلة:

ـ حسنًا أيها الأمير، هل عرفتني؟

أجاب الأمير مرتبكًا:

ـ أتذكر قليلًا... ولكني لا... لست أدري هل أنت هي من تجول بخاطري، أم لا؟

قالت الفتاة الجميلة ضاحكة:

ـ أنا هي من كانت تنظر من نافذة الدير! والتي بسببها كنتم تتعاركون! أنا "ريبيكا"!

تعجب الأمير، لكن "ريبيكا" واصلت الحديث:

ـ حسنًا، الآن أنا ملكك ولن يفرقنا إلا الموت!

لم يدر الأمير كيف يعانقها، المهم أنه أحضرها معه إلى القصر الملكي.

لما أن عاد، كان أخواه الكبيران قد سبقاه كالعادة، وكانا قد أحضر كل منهما عروسته. فقط انتظرا إلى أن ينتهي الاختبار. عندما وصل الأمير الصغير إلى المنزل، كان الملك العجوز ينتظر ابنه الأصغر، ولما أن رأى العروسة التي أحضرها اتخذ قراره في الحال، وقال للأخوين الكبيرين:

ـ لا تغضبا، هذا هو من يستحق العرش!

لم يغضبا على أخيهما الصغير، وتمني الجميع له الخير: وليحيا بسعادة.

الإسكافي الساذج طبيب معجزة

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، كان هناك إسكافي[1] ساذج فقير مشوش الفكر، ومع هذا فقد كان محترفا وماهرًا في صنعته.

ذات مرة أصبحت زوجته مريضة جدًّا، فكانت تشعر بألم في الرأس، وقد جرَّب الإسكافي معها كل التعويذات الموجودة في القرية، ولكنها لم تُشْفَ.

كان في ذلك الوقت لا يوجد أطباء في الريف، إلا أن هذا الإسكافي سمع أنه يوجد طبيب في مكان ما بالعاصمة يستطيع أن يعالج كل شيء. بالفعل ذهب إلى العاصمة إلى هذا الطبيب، لكن بمفرده من دون أن يصطحب معه زوجته المريضة، ولم يكن يعلم أن الطبيب يفحص المريض ذاته.

كان لدي الطبيب كثيرًا من المرضى، لذلك وجب على الإسكافي الوقوف كثيرًا في غرفة الانتظار، ولما حان دوره أراد أن يدخل بسذاجته إلى الطبيب مرتديا قلنسوة مبطنة بالفرو، لأنه لم يكن يعلم أيضًا هل عليه خلع القلنسوة أم لا؟ لاحظ مساعد الطبيب الواقف لدي الباب في اللحظة الأخيرة فقط أن شخصًا ما يريد الدخول إلى الطبيب مرتديا القلنسوة، لذلك فجأة ومن دون مقدمات خبط الإسكافي في رأسه كي يفهم أنه يجب عليه أن يخلع القلنسوة، فلم يفهم الإسكافي وهكذا دخل إلى الطبيب. اعتقد أن هذه هي العادة المتبعة في هذا المكان.

سأله الطبيب:

ـ ما المشكلة؟

ـ أجاب: سيدي الطبيب، المشكلة أن زوجتي مريضة جدًّا، عالجها من فضلك! هل تكتب لها وصفة طبية؟

ـ الزوجة هي المريضة؟ كيف هذا وإذا كان الأمر هكذا فلما لم تأت هي إلى هنا؟

ـ لأنها مريضة! فهي تمشي بصعوبة!

ـ وحضرتك جئت بدلًا منها؟ لماذا؟

---

(١) إسكافي: صانع الأحذية ومُصْلِحها

ـ لأنني أستطيع السير جيدًا. فقط أعطني الوصفة الطبية!

إلا أن الطبيب لم يعطه أية وصفة طبية، بل وقام بطرد هذا الساذج.

بعد أن خرج الإسكافي البسيط من العيادة ظل يتلفت حوله ويفكر لماذا هذا الطبيب طبيبًا، وما هو موضوع الطب أصلًا. وجد أن الطبيب يرتدي على رأسه قبعة طويلة مدببة، ويوجد في غرفته العديد من الكتب، والكثير من الأوراق المتناثرة على المائدة، وله رجل يقف عند الباب فقط لكي يخبط على رأس من يدخل إلى الطبيب ـ هذا ما اعتقده هو ـ لأنه خُبط على رأسه. لقد لاحظ كل هذا وحفظه تمامًا. قام بقياس منزل الطبيب من الخارج. بجانب البوابة توجد لوحة مكتوب عليها اسم الطبيب وشيء آخر ربما يعني أن هذا الطبيب يستطيع معالجة كل شيء. وبينما هو واقف هكذا، خرج من عند الطبيب رجل في يده ورقة، أقصد الروشتة. سأل الإسكافي الساذج الرجل، كم دفع من أجلها:

ـ خمسة فورنت[1].

ـ ألا تبيعها مستعملة؟

ـ لا يمكن بيعها.

ـ إذن أرني إياها!

أعطاه الرجل الروشتة، ولم يكن عليها سوى شخبطة. أمسك الإسكافي بقطعة من الورق ورسمها كما لو كانت "الروشتة" ونسخ هذه الشخابيط بالضبط على قدر استطاعته.

ثم ذهب الإسكافي إلى الصيدلية ليستبدل الوصفة الطبية التي نسخها بالعلاج المطلوب.

لم يستطع الصيدلي قراءة هذه الشخبطة، ولكن كانت لديه زجاجة مطهر؛ عند وجود وصفات طبية غير مقروءة من هذا القبيل اعتاد أن يعطي منها.

عندما عاد الإسكافي إلى بيته، أعطى لزوجته من الوصفة الطبية، وقد شُفيت منه في اليوم التالي، فقال لزوجته عندئذٍ:

ـ حسنًا هل تعلمي أن هذه الوصفة الطبية مستعملة! هل تعلمين ما هو ثمن وصفة طبية

---

(١) الفورنت: العملة المجرية المستخدمة في المجر.

كهذه؟ خمس فورنتات! ليس لدينا طبيب؛ وقد أصبحت على دراية تامة بمهنة الطب هذه. إنها مهنة أكثر ربحيةً من صناعة الأحذية. هل تعلمي أنني سأصبح طبيبًا أيضًا!

كانت زوجة الإسكافي أكثر منه عقلًا واتزانًا، فوبخته بغضبٍ جامحٍ قائلةً:

ـ أنت تود أن تصير طبيبًا؟ كيف ذلك وأنت لا تجيد حتى الكتابة؟ هل تعلم كم المدة التي يتعلم فيها الأطباء حتى يصبحوا أطباء! يا إلهي! لقد فاض الكيل من أفكارك هذه!

بيد أن الإسكافي أجاب بأن هذه ما هي إلا حرفة مثل بقية الحرف الأخرى، وبما أنه رجل محترف في صنعته فقد عرفها تمامًا وهكذا فهو يعلم جيدًا مهنة الطب الآن، وعصفت برأسه الفكرة التالية وهي: ماذا يفعل ليكون لديه مالًا كافيًا لبدء مزاولة مهنة الطب، لأنه إذا كان لديه مالٌ، فبهذا المال يستأجر منزلًا بالمدينة، ويشتري قبعة مدببة كتلك التي رآها لدي الطبيب، ويبتاع الأوراق الخاصة بالوصفات الطبية، وقلم رصاص ومنضدة وكتب وكرسي، وجميع المستلزمات الأخرى. ولكن من أين يوفر المال؟

فكر وقرر وعقد العزم وصنع بعض الأزواج من الأحذية، وجمع كل خبرته كي تكون أفضل وأجمل ما صنع في حياته، ووضع الأحذية في السلة، وحملها على كتفه، وانطلق مباشرة نحو الملك ليعرضها عليه، فهو من سيدفع ثمن الهدية بكرم وسخاء.

عندما وصل إلى بوابة القصر، لم يسمح له الحارس بالدخول طبعًا، ولكنه سأله ماذا أحضر، وماذا يريد من الملك. قال له الإسكافي الساذج أنه يعمل إسكافيًّا، وأنه صنع بعض الأحذية الرائعة هدية للملك، ويتمنى لو يحصل على مكافأة نظير ذلك، فقال له حارس البوابة:

ـ حسنًا! أسمح لك بالدخول، على أن تعطيني نصف الهدية.

لم يجد الإسكافي مفرًا فوعده بنصف الهدية.

وعندما وصل إلى باب الملك، كان هناك حارس آخر واقفًا عند الباب الثاني، وهذا أيضًا لم يُرد السماح له بالدخول! ولكنه عندما علم بغية الإسكافي صمت قليلًا ثم قال:

ـ أسمح لك بالدخول إلى جلالة الملك، إذا قبلت أن تعطيني نصف الهدية!

ما باليد حيلة ـ فقد وعده هو الآخر بنصف الهدية الثاني. وعلى هذا دخل حارس البوابة وأخبر الملك بأن إسكافيًّا فقيرًا يرغب في الحديث معه، ففتحوا له الباب، فدخل، فسأله الملك:

ـ ماذا تريد مني أيها الرجل المسكين؟

أظهر الإسكافي الأحذية وقال:

ـ جلالة الملك! لقد أحضرت بعض الأحذية هدية لجلالتكم!

أخذ الملك الأحذية، وجربهم، وأعجب بها كثيرًا، ثم قال:

ـ يا لها من أحذية ممتازة! إنها تساوي لدي صحنًا من الذهب. حالًا سآمرهم بتجهيز الذهب لك.

لكن الإسكافي قال للملك:

ـ جلالة الملك! لا يلزمني صحن الذهب، فقط اجعلهم يحضرون لي مائة من أعواد الخوص أحملها على ظهري.

اندهش الملك. ولكن بما أنها رغبة الرجل، فقد لباها له! فأرسل في طلب الأعواد من المسئول عن حديقة الخوص، وعندما أحضروا الأعواد، طلب الإسكافي أن يستدعوا الحارس الواقف على البوابة أيضًا، لأن الخمسين عود الأولى تخصه. جاء حارس البوابة، فسأله الإسكافي.

ـ هل تريد نصف الهدية؟

ـ بالطبع أريدها! ـ أجاب الحارس.

ـ إذن أعطوها له! ـ قالها الملك ضاحكًا.

أمسك الخدم بحارس البوابة، وحسبوا له بأمانة نصف المائة عودٍ، بالكاد استطاع الخروج بهم، وقام باستدعاء الحارس الواقف على باب الملك، فأقبل، وأخذ نصيبه هو الآخر.

أُعجِب الملك بهذا الإسكافي غير الساذج في المطلق، لدرجة أنه أعطاه مقدار صحنين من الذهب.

وانطلق عائدًا بهما إلى منزله، وذهب إلى أقرب مدينة مجاورة لقريته، واستأجر فيها منزلًا، واشترى منضدة، وقبعة مدببة، وأوراقًا صغيرة الحجم وقلم رصاص وكتبًا وكرسيًا. أحضر زوجته إلى هناك، وكتب على المنزل أن هنا يسكن طبيب يستطيع أن يداوي كل شيء. عيَّن رجلًا قويًا جدًا يعمل على بابه، ليخبط على رأس من سيدخل إليه فيما بعد، فهو يريد أن يكرر ما حدث معه بالتمام والكمال.

سريعًا حضر له بعض المرضي! كتب الإسكافي على الروشتة تلك الشخبطة التي كان يتذكرها، وكان يوجه المرضي بالذهاب إلى الصيدلية، وأن ينفذوا ما تم وصفه بالضبط، وكل من سيشرب منها سيُشفي، ودفّع كل واحد من المرضي خمس فورنتات.

كانت في المدينة صيدلية بها شابان يبيعان الأدوية والمستحضرات الطبية. كلاهما نظرا وتأملا روشتة الإسكافي، لكن بالطبع لم يستطيعا قراءتها، إلا أنهما تحرَّجا من إعادة إرسال المرضي إلى الطبيب، فقاما بالأحرى بسؤال كل مريض مما يعاني، ويعطونه الأدوية المناسبة.

وهكذا كان الطبيب محظوظًا للغاية، وانتشرت أخباره كالنار في الهشيم بأنه فعلًا يعرف كل شيء. وهكذا ذهب إليه المرضي، ومنهم من شُفي ومنهم من لم يُشْف، كما هي الحال غالبًا مع المرضي.

خلاصة الموضوع أن الإسكافي الساذج أصبح يتمتع بسمعة كبيرة مفادها أنه يعرف كل شيء.

كان في المدينة سيدًا كبيرًا ينتمي لطبقة النبلاء يحب الخيل كثيرًا، وذات مرة في أحد الليالي سرق اللصوص حصانين من أجمل الأحصنة التي لديه. بحثوا عنهما في كل مكان، لكن لم يتم العثور عليهما على الإطلاق. عندئذٍ استدعى النبيل سائق عربته وقال له في غضبٍ حانقٍ أنه إذا لم يستعد الحصانين خلال ثلاثة أيام، فإنه سيتعرض للمساءلة القانونية ويتم قطع رقبته!

ذهب سائق العربة المسكين في كل الاتجاهات، وظلّ يبحث في اليوم الأول والثاني، لكنه لم يستدل على أي أثرٍ للأحصنة. في اليوم الثالث لم يذهب هذا التعيس للبحث في الحقول، ولكن بأسي بالغ تمشى في المدينة من شارعٍ إلى آخرٍ. فجأة رأى لوحة مدونًا عليها أنه يوجد هنا طبيب يعرف كل شيء!

فكّر سائق العربة الفقير في قرارة نفسه، وبما أنهم حتمًا سيقطعون رأسي، فسأجرب، وأدخل إلى هذا أيضًا، فربما يعلم شيئًا عن الأحصنة. عندما دخل كان عليه الوقوف في صالة الانتظار لمدة نصف ساعة كاملة، كما هي العادة في مثل هذه الأماكن الكبيرة. وعندما حان دوره للدخول، حصل على لكمة على رأسه شعر بالدوار بسببها. سأله الطبيب:

ـ ما هي المشكلة؟ فلقد رأى كم هو حزين هذا الحوذي الفقير. بالكاد استطاع الوقوف على قدميه من كثرة السير والسهر.

ـ مشكلتي كبيرة فقد فقدت حصانين! وصباح الغد سيقطعون رقبتي. هل تستطيع حضرتك أن تساعدني؟

ـ أنا أعرف كل شيء بالضبط ـ قال الإسكافي غير منتبه ـ سأعطيك في الحال وصفة طبية، اذهب بها إلى الصيدلية، ثم اشرب الدواء، وبه ستنتهي مشكلتك سريعًا، لأن بهذا الدواء تنقضي كل المشكلات!

لم يصدق سائق العربة كثيرًا، إلا أنه دفع المطلوب، وذهب إلى الصيدلية. هناك رأوه الصيادلة بأنه أي سائق العربة بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه من شدة النعاس. بالتأكيد لم يعلموا أنه لم ينم لأنه قد مشى وسهر كثيرًا، فأعطوه عقارًا طبيًا منبهًا، وفي الحال أخذه الرجل، ومع ذلك وبعد مرور فترة زمنية ليست بالكبيرة أصبح نعسًا للغاية من جديد.

خاف من أن يلحق به العار بأن يقع في وسط شوارع هذه المدينة ويغلبه النعاس، فذهب إلى أطراف المدينة، ذلك لأنه يعلم أن هناك بيوتًا مهجورة يمكن أن يقضي في أحدها بقية الليلة، وبمجرد وصوله إلى أحد هذه البيوت استلقى وأراد أن يخلد للنوم، ولكن لم تراوده الأحلام. فجأة في مكان ما في هدوء الليل الصامت سمع صهيلًا! العقار المنبه الذي حصل عليه زاد من حدة حاسة السمع لديه فعرف في الحال بأن هذا هو صهيل حصانيه! وعلى هذا أطلق هو الآخر صهيلًا لهما. عرف الحصانان صوته، وأصهلا له ثانية، وبهذا بدأت مشكلة سائق العربة في التلاشي شيئًا فشيئًا.

نادى على حصانيه بصوتٍ عالٍ:

ـ انتظرا أيها الحصانان، سآتي لكما حالًا، فقط سأحصل على كمية إضافية بسيطة من الأدوية. وحصل على جرعة منبهة صغيرة أخرى، فأصبحت حاسة الشم لديه حادة مثل تلك التي يمتلكها الكلب، وبعد الشم وجد ضالته، وسحبهما فرحًا. وبلا مشكلة ولا ألم بل بسعادة غامرة أعادهما لمنزل صاحبهما. غمرت السعادة النبيل، وسأله كيف وجد الأحصنة. حكى له سائق العربة كل شيء حدث معه بصدق. تعجّب النبيل من ذكاء الطبيب الموجود في المدينة، وأرسل له هدية.

وهكذا مر وانقضى الوقت، وكان الحظ يحالف الإسكافي في كل شيء يفعله حتى وقعت مشكلة كبرى في البلاد.

أتى إليه رجال الحاشية الملكية وأخبروا الطبيب المعجزة ـ أقصد الإسكافي ـ أنه حدثت مشكلة في البلاط الملكي. ضاع الخاتم الذهبي النفيس الخاص بابنة الملك، تحديدًا عندما ألبسوها رداء العروسة. حسنًا أيها الرجل الذي يعرف كل شيء اشحذ عقلك بالكامل واجمع كل أدواتك وتعال في الحال إلى الملك.

ارتعدت مفاصل الإسكافي المسكين. لم يرغب في الذهاب، لكن وجب عليه ذلك، فماذا عساه أن يفعل أمام أمر ملكي كهذا.

استقبلوه بالموسيقى أمام القصر الملكي، ونثروا الورود في طريقه، واستقبلوه استقبال الفاتحين. ثم سأله الملك:

ـ هل تعلم كل شيء؟ هل تستطيع إيجاد الخاتم؟ إذا لم تفعل، فاستعد للموت!

ماذا عساه أن يقول هذا الطبيب المعجزة المسكين؟ لقد قال:

ـ سأحاول قدر استطاعتي يا جلالة الملك! خصص لي غرفة لمدة ثلاثة أيام، وبها كل ما لذ وطاب من مأكل ومشرب. وليقم على خدمتي ثلاثة طباخين خصوصيين.

لم يعتقد أنه سيجد الخاتم على الإطلاق، فلم تكن لديه أية ثقة في حظه هذه المرة. لقد فكر في نفسه أنه خلال الثلاثة أيام هذه سيحيا حياة هنيئة على الأقل، فالأكيد أن رقبته سيطالها القطع.

في اليوم الثالث أحضر زوجته وجلسا إلى المائدة وانتظرا العشاء الأخير وتسامرا سويًا.

الطبيب المعجزة المسكين لم يعد يثق في أي شيء حوله الآن.

أثناء ذلك أحضر الطباخ الأول الطعام. عندئذ قال الطبيب المعجزة لزوجته:

ـ حسنًا! هل ترين؟ هذا هو الأول. ولكننا لا نثق فيه أيضًا. فقد كان يفكر في قرارة نفسه أن هذا هو الأول من بين الطباخين الثلاثة المخصصين لخدمته، إلا أن الطباخ بدأ يرتجف، وبالكاد خرج من الغرفة.

في الحال توجه الطباخ الأول إلى رفيقيه الآخرين، وحكى لهما ماذا قال الطبيب المعجزة، فلم يُرد الطباخ الثاني الدخول إلى الغرفة، ولكن كان ذلك لزامًا عليه. ولما دخل الطباخ الثاني قال الطبيب:

ـ هل ترين؟ هذا هو الثاني. ولكننا لا نثق فيه أيضا ـ قالها الطبيب المعجزة.

هرب الدم من وجه الطباخ الثاني من شدة الخوف والارتباك بعد سماعه كلمة الطبيب.

علم الطباخ الثالث أن هذه هي نهايتهم، ولكن كان عليه لزامًا إحضار الطعام. قال الطبيب:

ـ حسنًا، هل ترين، هذا هو الثالث يا زوجتي. ولكننا لا نثق فيه هو الآخر.

وهنا انحنى الطباخ على ركبتيه أمام الطبيب، وأخرج الخاتم وقال:

ـ أرجوك أيها الطبيب، يا من تعرف كل شيء، أنقذنا! تفضّل، ها هو الخاتم، نحن من سرقناه! الرحمة والسماح لنا! لا تجعلهم يقتلونا! وسيعطيك كل واحد منا محفظة من الذهب.

كاد عقل الطبيب المعجزة أن يطير، وعفا عنهم، وقال لكبير الطهاة، أمسك بأحد الدجاج الرومي، واجعله يبلع الخاتم، ولكن كن حريصًا ألا تخطئ الدجاجة الرومية التي أبلعتها الخاتم.

في الصباح ذاعت الموسيقى أمام باب الطبيب، واستعد الجلاد العملاق. لم يكن هناك أي اختيار: إما الخاتم أو الموت. لكن الإسكافي الطبيب المعجزة وقف مفتخرًا أمام البلاط الملكي، وقال:

ـ فليقف أمامي كل الحضور: من نساءٍ ورجالٍ وكل شيء!

وعندما حضر الجميع قال:

ـ سيدي الملك، بحثت عن الخاتم، لكنه لا يوجد لدي أي إنسان هنا. أحضروا الحيوانات إلى هنا!

أحضروا كل الحيوانات أمامه، كل ما يقبع في البلاط الملكي من حيوانات. وفي النهاية أحضروا الديوك الرومي، بيد أن كبير الطهاة كان دومًا بجانب الطبيب، وأومأ إليه في أية دجاجة رومية يوجد الخاتم، فصاح الطبيب:

ـ حسنًا انظر، يا جلالة الملك، هذه الدجاجة الرومية هي اللص. أمسكوا بها في الحال!

ظهر الخاتم بعد ذلك بقليل، واندهش الجميع على العلم الغزير للطبيب المعجزة، ونثروا عليه الورود، وأعطاه الملك عربة فاخرة هدية، لكي يعود بها إلى بيته.

فرح الإسكافي المسكين لأنه حافظ على نفسه من الموت.

فكر بعد ذلك في التالي، كيف يتحرر من مهنة الطب هذه. وسأل زوجته أيضًا، وكانت أكثر ذكاءً منه، فوجدت الحلّ:

ـ عندما نصل إلى منزلنا، نضرم النيران فيه. وعندما يشتعل البيت أنت وأمام أعين الجميع تتظاهر كما لو كنت تريد أن تقفز في النار، لأنه يا خسارة النار تلتهم كتب العلم والمعرفة، وتنتهي معها كل شيء، وهكذا نتحرر من الأوراق الملعونة والروشتات ومهنة الطب بأكملها.

عادا إلى المنزل، وفعلا ذلك. ثم عاد الرجل بعد ذلك إلى مهنة صناعة الأحذية، وما زال إلى يومنا هذا يصنع الأحذية التي لا يوجد أجمل ولا أحسن منها.

الشجرة الواعدة

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، في أبعد بلاد العالم، كان هناك ملكٌ لديه حارس يدعى "يانشي" أو "يانوش". في صباح أحد الأيام لاحظ هو والملك كذلك أن أمام القصر نبتت شجرة تفاح عالية تبلغ عنان السماء، ولكن هذه الشجرة كانت تزهر في الصباح، وتثمر تفاحًا في الظهيرة، وتنضج عند منتصف الليل، ويتم سرقته من عليها.

أعلن الملك في البلاد: أن من يحضر له تفاحة من هذه الشجرة، سيزوجه ابنته ويمنحه نصف مملكته ـ وبعد وفاته سيؤول إليه العرش بأكمله، وبما أنه مريض منذ ما يزيد على سبع سنوات، وقد نصحته الطبيبة العجوز بأنه إذا كانت هذه الشجرة تحت نافذته، فإنه إذا أكل من ثمارها، فإنه سيشفى على الفور.

تم الإعلان في كل شبر في البلاد لكي يعلم الجميع غنيًا أو فقيرًا، ذا منصب أو من النبلاء أن من يحصل على تفاحة من تلك الشجرة، سيتزوج ابنة الملك.

كان المتقدمون كثر، ولكن لم يستطع أحد منهم تسلق الشجرة، فقال "يانشي" الحارس للملك:

ـ سيدي الملك، إن لم أكن أجرحك بكلماتي، وإذا تفضلت بالسماح لي، أنا سأصعد وأحضر تفاحة من على الشجرة.

ـ ماذا تريد، أيها الغلام الأمْرد؟[1] ـ ضحك الملك ـ هل تريد أن تنجح فيما فشل فيه النبلاء والأمراء من قبل؟ انهض واهتم بعملك فحسب!

لكن الحارس لم يترك الملك في حاله، وظل ملازمًا له في كل تحركاته حتى سمح له بذلك، وعندئذ قال له الملك:

ـ حسنًا أيها الفتى قل: ماذا تريد؟ ماذا تريد من وراء صعودك إلى الشجرة؟ سألبي لك، كل ما تطلبه.

قال "يانوش":

---

(١) أمرد: شاب طلع شاربه ولم تنبت لحيته، جمع: مرد.

ـ فليأمر جلالة الملك بإعداد ثلاث محطات حديدية تحيط بالشجرة ليتم استخدامها كسلم للصعود من خلاله، وأعطني ثلاثة من الصنادل الحديدية، ومؤن وزاد يكفي إنسانًا لأسبوع.

عندما أصبحت هذه الأشياء جاهزة انطلق الفتى يتسلق الشجرة في هذا اليوم نفسه. وفي هذا اليوم نفسه أيضًا صعد إلى أعلى بحيث لم يعد يراه أحد، وتسلق يوما آخرا، ويومين وثلاثة أيام إلى أن لاحظ أن أحد الصنادل مخروم، فجرح الحديد قدميه. عقد العزم على خلعه ورماه على الأرض، وقال:

ـ اتركه يعود إلى صاحبه!

وعندما سقط الصندل، قال الملك:

ـ حسنًا، ما زال الفتى على قيد الحياة، لكنه كان بدَّل صندله البالي فحسب.

وعندما وصل الفتى إلى الغصن السابع للشجرة العملاقة، وجد سلما، سار عليه بجسارة، وقال في نفسه:

ـ شكرًا للملك على المساعدة. سوف أترك له كلا الصندلين، كي يعلم أنني ما زلت على قيد الحياة، وبلطتي الصغيرة أيضًا، لأنني الآن لم أعد في احتياج إليها.

وعندما رمى البلطة من على الشجرة كان على ارتفاع شاهق حيث إنه إلى أن وصلت البلطة إلى الأرض قد جفَّ حلقه، وقد أصبح الصندل قديما باليًا بعد أن وصل إلى الحوش الملكي، لدرجة أنهم بالكاد تعرفوا عليه وعلى رأسهم الحارس الذي كلفه الملك بالوقوف أسفل الشجرة كي ينتظر إشارة الفتى في كل لحظة إذا تفوه بأي شيء أو فعل أي شيء، ويبلغه للملك فورا.

وبحلول اليوم السابع كان قد وصل إلى تاج الشجرة[1].

في هذه اللحظة لم يفكر الفتى في الملك ثانية، فقد وجد نفسه في قصر عظيم فتجول فيه حتى نهايته: تجول في الغرفة الأولى والثانية والثالثة... والحادية عشرة أيضًا. وهناك عثر على فتاة باهرة الجمال. كانت جميلة لدرجة أنه لم ير مثلها في حياته قط. بنت ملكه كانت أيضا جميلة، لكنها لم تكن أكثر من فتاة شاحبة وباهتة الجمال بجانب الفتاة هذه.

---

(١) تاج الشجرة: نهايتها أو أعلى جزء فيها.

ألقى عليها التحية:

ـ صباح الخير، فليبارك الله لك، سيدتي! لا أعلم، بماذا أناديك، بالأميرة أو بشيء آخر تعبيرًا عن احترامي العميق لكِ.

ـ قالت الفتاة الملكية:

ـ أنا أميرة فعلا، لكن يتيمة. مات والداي، وبقيت يتيمة. اسمي "أتلكا". قل لي أيها الفتى، كيف وصلت إلى هنا، إلى حيث لا تأتي حتى الطيور من أبناء جلدتك؟

قال "يانوش":

ـ أبحث عن عمل، سيدتي.

ـ جئت في الوقت المناسب، لأنني أعيش هنا وحيدة. وأرغب في الحصول على خادم فورًا. يمكنك البقاء هنا لدي، كيفما شئت. وما تطلبه سأدفعه، لكن ليس مسموحًا لك الدخول إلى الغرفة الثانية عشرة.

قطع الفتى وعدًا على نفسه بأن يضع كل شيء في مكانه، وينظم ويفعل كل شيء باجتهاد. واتفقا على أن يبقى هناك، وحصل على غداء طيب، وقد تناول الغداء مع الأميرة، بل وتطورت العلاقة فيما بينهما لاحقا، إلى أن تمت خطبتهما.

ذات مرة قالت له الأميرة:

ـ أنا الآن ذاهبة إلى الكنيسة، وها هي مفاتيح إحدى عشرة غرفة. نظف كل واحدة منها جيدًا، وأعد الغداء! هنا كل شيء قد تم إعداده مقدما، فقط يجب أن توقد النار وتطهي الطعام، لكن لا تبحث عن مفتاح الغرفة الثانية عشرة.

كان الفتى ينجز كل شيء، ولم يكن لديه مشكلة في الغرفة الثانية عشرة بيد أن الفضول الآن لم يتركه في حاله؛ فبدأ ينظر ماذا عساه أن يكون في هذه الغرفة، وعندما ذهبت الفتاة إلى الكنيسة، بحث عن مفتاح الغرفة الثانية عشرة أيضًا، وكان يعلم أنه قد تم تنظيفها آخر مرة منذ وقت طويل.

رأى في الركن مقشة بالية، ففكر في أن يرميها ويضع مكانها واحدة أخرى. وبمجرد أن وضع المقشة جانبا من مكانها، فُتِحَ باب الغرفة فدخل فيها، لكن الباب أُغلِقَ وراءه مباشرة.

وبينما هو ينظر في الغرفة صوب اليمين واليسار، رأى أن هناك تنينا ضخما له سبع رؤوس مربوطًا بالجدار، وفي قدميه معلق خمسون قنطارا من الكرات الحديدية، ووجهه مزنوق بين حجري رحى ضخمين.

قال التنين:

ـ جيد أنك جئت، يا بني! أطلب منك أن تحضر لي دلوا من الماء، وسأعطيك بلدا. اخرج من الباب، وأحضر الماء وعد في الحال، وإلا سأنفخ فيك، وستموت في التو واللحظة. في الحقيقة ليس هناك لزوم لأن تخرج. هناك في هذه الأركان ثلاثة من الدلاء[1] مليئة بالمياه الطازجة. كنت عطشا للغاية، لكن لم يكن هناك من يناولني إياها. اسكب نصف الدلو على الطرف، والنصف الآخر على الطرف الآخر، لأنني لدي سبع رؤوس.

سكب "يانوش" له الماء كما طلب.

ـ شكرًا، يا بني! الآن أطلب منك أن تعطني دلو الماء الثاني، وأنا سأعطيك بلدًا آخر. اسكب نصفه على طرف، والنصف الثاني على الطرف الآخر.

عندما حدث هذا تحررت رأس التنين من بين حجري الرحى، ووقعت الكرات الحديدية من بين قدميه، لأنه قد شرب دلوين من الماء.

ـ أعطني دلو الماء الثالث الآن! اسكبه على الرأس الموجودة بالمنتصف، وعلى الطرفين الآخرين مثلما فعلت في السابق.

وفعل "يانوش" ذلك أيضا.

ـ شكرا أيها الفتى على أنك حررتني هكذا حتى الآن، وستحصل أنت بالمقابل على ثلاثة بلدان، ولكن الآن سأطلب منك شيئا لصالح حرية كلانا، كي نستطيع الخروج من هذه الغرفة لأنه مثلما تعرف، فباب الغرفة مغلق. لا يستطيع أحدنا الخروج.

لم يصدق "يانوش"، فحاول مع الباب، فربما يكون مفتوحا، ولكن بالتأكيد كان الوضع تماما مثلما قال التنين. كان مغلقا، ولا يمكن الخروج منه.

---

(١) الدلاء: جمع دلو وهو الجردل أو الإناء الكبير الذي يوضع به الماء.

ـ هناك دولاب صغير به رف في وسطه توجد تفاحة، ألقها في فم رأسي الموجودة في المنتصف!

وجد "يانوش" التفاحة، وألقاها في فم التنين، فانفتح الباب في لحظتها، فانتفض التنين وطار. وصرخ فيه من طريقه:

ـ لنا لقاء آخر!

خرج الفتى يستكمل إتمام مهامه. كان لديه ثلاثة أحصنة شامانية(١)، فصهلوا بقوة لأنهم لاحظوا أن صاحبهم قد تم خداعه.

وخلال هذا التوقيت عادت الأميرة اليتيمة الحسناء "أتلكا". وبمجرد أن خطت قدماها الغرفة، سألته في الحال:

ـ ماذا فعلت، يا"يانوش"؟ لقد قلت لك من قبل ألا تدخل إلى الغرفة الثانية عشرة. الآن وليس بعد كثير سنفترق. من غير المجدي أننا مرتبطان بخطبة، لأنه ما إن ينتهي حفل زفافنا، فإن التنين سيخطفني.

انهمر "يانوش" في البكاء. فيا ليته كان يعلم هذا الأمر! لما كان أقبل على هذه الفعلة قط!

ـ ياه، يا حبيبي، لقد فات الأوان. لقد وعدك التنين بثلاثة بلدان، لكنك لن تجني أي خير منها، لأنه من أجل استعادتي سيُفْقدون على ثلاث مرات من محاولاتك انقاذي.

دخلا إلى الغرفة معانقين بعضهما البعض، وبكى كلاهما، فكيف وصلت حماقته إلى هذا الحد، ولِمَ لم يسمع لزوجته المستقبلية؟

بعد هذه الحادثة مكثا سويًا في المنزل لمدة أسبوع إلى أن حلَّ يوم الأحد وهو موعد حفل الزفاف. وجها الدعوة لأقرب الأقارب. وأقاربهم الأقربين فقط هم من اصطحبوهم إلى الكنيسة.

بعد انتهاء الصلاة تم العرس، ثم هبت عاصفة عاتية فجأة. وبمجرد خروجهما من

---

(١) شامان: اسم علم مذكر مغولي، وهو رجل الدين عندهم وواعظهم وكاهنهم. وهو يُحسن السحر والكهانة، وعلى اسمه دانوا بديانة اسمها الشامانية. وفي هذا السياق تعني أحصنة مسحورة.

الكنيسة، إذ بالتنين يأتي في هذه اللحظة ويخطف زوجته. ويصيح فيه:

ـ أعطيتك ثلاثة بلدان، يا بني، يمكنك أن تأتي لزيارة زوجتك ثلاث مرات، أما أن تستعيدها ثانية فهذا ما لن يحدث، ومن العبث أن تحاول!

أجهش "يانوش" في البكاء. وعاد إلى المنزل مع ضيوف ليلة الزفاف، لكن من دون العروسة. ندب حاله وحزن على فعلته. إلى أين يتجه هو الآن بحثًا عن زوجته، لأنه أراد أن يعيدها إلى البيت، حتى لو كلفه هذا الأمر حياته.

دخل إلى الإسطبل مغمومًا حزينًا. وهناك اشتكى لأحصنته:

ـ أحصنتي الصغيرة العزيزة، لقد أخذوا صاحبتكم.

ـ لا تحمل همًا، صاحبنا العزيز، لأننا سنعيدها، سرجنا فحسب، وجهز الطعام والشراب!

وهكذا أعد الركب في اليوم التالي، وامتطى حصانه الأول وطار، وكان حصانه هذا من الفصيلة الشامانية.

سارا وطارا عبر الجبال والوديان، من بلدٍ إلى بلدٍ عبر الغابات والسهول والحقول، لكنهما لم يعثرا على أي أثرٍ لها قط، وفجأة قال الحصان:

ـ أنظر إلى الأرض، يا صاحبي فإني أرى كوخًا تجلس سيدة على بابه. أنظر أنت، أليست هي زوجتك؟ بيدها قروانة، وترتدي ملابس بها دماء، خرجت إلى البئر كي تغسلها.

هبطا على الفور. نعم بالفعل إنها زوجة "يانوش". احتضنا وقبلا بعضهما البعض بمجرد أن التقيا، وبكيا من الفرحة، وأيضًا من الأسي. سأل الفتى:

ـ هل هناك وقت لأستريح أنا وحصاني؟

ـ نعم أمامك القليل من الوقت، لأن التنين يمكن أن يأتي في أية لحظة.

قال الفتى:

ـ لا يجب علينا إضاعة الوقت. جهزي الأمتعة، واركبي حصاني، ولنذهب!

ـ ليست لدي مشكلة أن أركب حصانك، لكنني أعلم أنه سيصل إلينا في منتصف الطريق، لأن حصانه أفضل من حصانك.

ـ لا تشغلي بالك به! اركبي فحسب، ولنذهب.

ركبت الحصان، وانطلقا قاطعين الطريق صوب المنزل.

بمجرد أن لاحظ حصان التنين أنه قد تم أخذ صاحبتهم، شرع يرفس ويجرف ويصهل ويصيح في الحال، وعلى إثر ذلك جاء التنين إلى المنزل، وانفجر موبخًا حصانه بشدة:

ـ ليأكل الكلب كبدك، وليقتلع الغراب عينك! فالعشب أمامك، والشوفان[1] الجميل أمامك، وجدول المياه أمامك، فهل لك مشكلة أخرى؟

ـ أخذوا زوجتك!

سأله التنين:

ـ هل آكل، هل أشرب، هل أكسر جوالًا من البندق، هل آكل كل هذا؟

ـ يمكنك أن تفعل كل هذا، لأننا مع كل ذلك سنلحق بهم.

أكل التنين وشرب بكل هدوء، وكسر جوالا من البندق، ودخن قنطارا من التبغ، بعد ذلك قفز على حصانه، ونهض وراءهم. وبعد بضع ساعات من الطيران لحق بهم. أخذ الزوجة من حضن "يانوش"، وقال للفتى:

ـ "يانوش" يا بني، هذه المرة تكون قد فقدت بلدًا من الثلاثة التي وعدتك بها.

حزن "يانوش" وندب حاله: ماذا عليه أن يفعل الآن؟ ثم قال حصانه:

ـ صاحبي العزيز، لنطير عائدين إلى البيت الآن، وتمتطي شقيقتي الصغيرة، فهي أكثر شبابا وقوة مني، كما أنها أكثر عزيمة وسرعة. ربما تنجح معها المحاولة القادمة.

وهذا ما فعله "يانوش"، بالفعل رجع إلى بيته بشكل طبيعي، لكنه لم يكن مرتاح البال؛ بالكاد انتظر الفجر، وانطلق ثانية نحو الطريق، فشقيقة الحصان الأول تعرف الطريق جيدًا، لأنه شرحه لها.

انطلقا بسرعة كبيرة لدرجة أنهما وصلا في ظهر اليوم نفسه إلى بلد التنين. رأى "يانوش" زوجته تغسل باكية عند البئر.

---

(١) الشُّوفان: نبات علَفِيٌّ من الفصيلة النَّجيلية.

ـ تعال، يا زوجتي العزيزة، لقد عدت من أجلك، اجلسي على حصاني ولننطلق.

ـ ليست لدي مشكلة أن أركب حصانك، لكنني أعلم أنه لا فائدة من ذلك، فسيلحق بنا التنين ثانية.

ـ لا تحملي همًّا فربما لا يستطيع اللحاق بنا!

وثبا على الحصان، واتجها عائدين ناحية البيت.

في إثرهم يرفس ويجرف ويصهل حصان التنين، فأقبل التنين بسرعة الرياح، وانفجر موبخًا حصانه بشدة:

ـ ليأكل الكلب كبدك، وليقتلع الغراب عينك! فالعشب أمامك، والشوفان الجميل أمامك، وجدول المياه أمامك، فهل لك مشكلة أخرى؟

ـ أخذوا زوجتك!

سأله التنين:

ـ هل آكل، هل أشرب، هل أكسر جوالًا من البندق، هل آكل كل هذا، وأسترح قليلًا؟

ـ يمكنك أن تفعل كل هذا لكن بسرعة، لأننا سنلحق بهم مع ذلك.

أكل التنين وشرب بسرعة، بعد ذلك قفز على حصانه، ونهض وراءهم. ولحق بالفتى وأخذ "أتلكا"، وقال:

ـ "يانوش" يا بني، هذا كان البلد الثاني الذي فقدته من الثلاثة حسب وعدي لك!

لقد كانوا قريبين من الحدود، لكن بلا جدوى. لم يتخطوها. ومرة أخرى يطير "يانوش" عائدًا إلى المنزل ليصطحب الحصان الثالث الأكثر شبابًا في المحاولة الثالثة. في صباح اليوم التالي باكرًا، بالكاد كان قد انبلج الفجر، انطلقا وقال له الحصان:

ـ الموضوع هذه المرة حياة أو موتًا، لكن هذه المرة لنجرب طريقا لم نتخذه من قبل.

انطلقا، وطارا، وواصلا الطيران في الأرض والسماء إلى أن وجدا المنزل، وكانت الزوجة تغسل الملابس المُدمية كعادتها عند البئر.

ـ حسنًا، زوجتي العزيزة، جئت من أجلكِ للمرة الثالثة! اركبي حصاني!

ـ سأركب، لكني أعلم أنه بلا فائدة!

امتطت الحصان، وانطلقا عائدين إلى البيت.

وعلى إثر ذلك يثور حصان التنين، فيعود التنين إلى المنزل مملوءًا بالغضب الجامح.

ـ لِمَ لا تتركني هادئًا مع ضيوفي؟ ألا تتركني في حالي أبدًا؟ ليأكل الكلب كبدك، وليقتلع الغراب عينك! فالعشب أمامك، والشوفان الجميل أمامك، وجدول المياه أمامك، فهل لك مشكلة أخرى؟

ـ أخذوا زوجتك!

سأله التنين:

ـ هل آكل، هل أشرب، هل أكسر جوالًا من البندق، هل آكل كل هذا؟

ـ يمكنك أن تفعل كل هذا، لأننا مع ذلك سنلحق بهم.

جلس التنين إلى الطعام والشراب، لكن ما هذا: لديه سبعة أفواه يكسرون جوالا من البندق، ثم نام قليلًا.

ثم امتطى جواده، ونهض في إثرهم، لكنهم كانا قد اقتربا من الحدود النهائية للبلد الأخير الذي يقع ضمن سلطة التنين، لأن التنين لديه اثني عشر بلدًا. خلاصة القول أمسك بهم بالقرب من حدود البلد الأخير، وقال:

ـ "يانوش" يا بني، الآن قد نَفُدتْ كل بلدانك الثلاثة. قلت لك إنني سأتحمل أن تأتي لزوجتك ثلاث مرات. إذا أتيت مرة أخرى، فهذا الأمر سيكلفك حياتك.

أخذ السيدة، وعاد بها هذه المرة أيضًا.

قال الحصان للفتى:

ـ صاحبي الغالي، حتى وإن كنا سنموت، لكن لنعود مرة أخرى نجرب حظنا.

ـ لا أبالي، يا حصاني العزيز حتى وإن مت في الحال.

الحياة أو الموت سيان بالنسبة لي، لكن السيدة يجب أن تعود إلى المنزل بأي ثمن ومهما كانت التضحيات!

ما إن وصل التنين إلى البيت، ووضع السيدة، وعاود ثانية إلى ضيوفه، كان الفتى قد ذهب إلى هناك ثانية. وتوسل لزوجته:

ـ زوجتي العزيزة، اطلعي مرة أخرى على حصاني! لا أبالي إن مت، لكن لا يتوجع قلبكِ بعدي.

توسلت له الزوجة ألا يفعل، لأنها تعلم أنه هكذا يسير في طريق الموت.

ـ لا يهمني الموت، فقط اركبي ولننطلق!

ركبت الحصان، وتوجها ناحية البيت. وقال لحصانه في الطريق:

ـ صاحبي الغالي، تمسك جيدًا فهذه المرة إما أن نلقي حتفنا، وإما أن نصل إلى البيت بسلام.

وبمجرد أن انطلقا، ثار حصان التنين، فعاد التنين إلى المنزل غاضبًا للغاية قائلا لحصانه:

ـ ليأكل الكلب كبدك، وليقتلع الغراب عينك! فالعشب أمامك، والشوفان الجميل أمامك، وجدول المياه أمامك، فهل لك مشكلة أخرى؟ لما لا تتركني في سلامٍ؟

قال حصانه:

ـ أخذوا زوجتك!

ـ ماذا؟ ماذا قلت؟ ـ قالها التنين. كيف جرؤ على المجيء إلى هنا مرة أخرى؟! هل آكل، هل أشرب، هل أكسر جوالًا من البندق، هل آكل كل هذا، ثم أسترح قليلًا؟

ـ لا تتحدث كثيرًا، فإنهم يقتربون ناحية البلد الأخير!

غضب التنين بسبب هذا الأمر، وامتطى حصانه، ونهض وراءهم، وقد أمسك بهم عند جسر البلد الأخيرة التي تتبع سلطة التنين، فلم يكن يتبقى سوى بضع أمتار تفصله عن البلد الحرة، والتي ليس للتنين سلطة عليها، لكي يذهب في إثرهم إلى هناك.

ـ قلت لك أيها الوغد أنني سأسامحك ثلاث مرات، لكن في المرة الرابعة فلا.

وشدَّ السيدة من حضن "يانوش"، وألقى بها على ظهر حصانه، وصاح فيها:

ـ كيف تجرأتِ على الركوب على حصانه، بعد أن أمرتك بألا يحدث هذا ثانية؟

توجه إلى "يانوش"، ومزقه إربًا، وكان على ظهر حصانه جوالًا فأمر زوجته بأن تجمع كل أشلاء "يانوش"، وتضعها في هذا الجوال، وتربطه على ظهر الحصان، وتتركه يعود إلى البيت.

- دعيهم يرون هناك أن هذا مصير كل من يجرؤ على اللحاق بكِ!

وهكذا وضعت "أتلكا" كل فتفوتة من جسد "يانوش" في الجوال، ووضعتها على ظهر الحصان ليوصلها إلى منزله.

- خذ صاحبك إلى بيته، وقل للآخرين ألا يأتي ورائي أي أحدٍ آخر!

وهكذا التقط التنين السيدة ورفعها على حصانه، وحلق بها عائدا إلى المنزل. عاد حصان "يانوش" حزينا إلى المنزل. ندب الحصان حاله وحزن، لأنه يحمل سيده قتيلًا على ظهره، فكيف له أن يجعل منه إنسانا بشريًّا مرة أخرى؟

وبينما هو يسير على طريق المشاة، إذ به يلمح ثعبانًا صغيرا. وكان يحمل في فمه عودا جميلًا من العشب، فسأله:

- ماذا تحمل، أيها الثعبان الصغير؟

فقال له الثعبان:

- إنه عشب باعث للحياة. مرت العربة على خصر ابني، وأريد أن أداويه به.

- أعطني القليل منه! لديّ صاحبي الطيب، أود لو يُبعث للحياة ثانية. إنه هنا في الجوال على ظهري.

- قال الثعبان الصغير: ليس لدي مانع لكن ابني يتخبط هناك على قارعة الطريق، فربما تأتي عربة أخرى، وتهشمه تمامًا، وعندها لن يفيد العشب معه. دعني أداويه أولًا!

- قال الحصان: حسنًا تعال، سأساعدك. سوف أحمله من ذيله بأسناني، وأبعده عن الطريق من دون أن أعضه كي لا تدهسه عربة أخرى.

وها قد فعل ذلك. قام الثعبان بسحب هذا العشب عدة مرات إلى داخل الجرح العميق، وشُفِي ابنه في الحال، وزحف بخفة ثانية.

في هذه الأثناء بحث الحصان عن مكان مناسب في الغابة حتى وجد هذا المكان؛ رفس

رفستين كبيرتين فسقط الجوال من على ظهره، فقام بفتح عنق الجوال، وأخرج أشلاء صاحبه منه، وبدأ بضبط الأنف على هيئة أنف إنسان، وبالفعل ضبطها، وسحب الثعبان الصغير العشب عليها. وحيثما يضبط الحصان، يُمرر الثعبان الصغير العشب، إلى أن شُفي الجسد كله في الحال، واستعاد عافيته.

عندما أصبح سليمًا معافى، رأى أن صاحبه نائم، وأصبح أكثر جمالا من ذي قبل بسبع مرات. وهكذا قضمه برفق من كتفه، ثم أوقفه على كعب قدميه، ثم ركله بلطف وقال له:

ـ استيقظ، يا صاحبي، لا تنم!

استيقظ الفتى في التو واللحظة.

ـ ياه، يا حصاني العزيز، لقد نمت كثيرًا!

ـ كان يمكن أن تنام حتى نهاية العالم، إن لم يكن موجودا هذا الثعبان الصغير، الذي أهدى لي هذا العشب الباعث للحياة، كي أتمكن من إيقافك ثانية على قدميك.

ـ حسنًا الآن، يا حصاني العزيز، فقد استيقظت مرة أخرى، هل نذهب الآن مرة أخرى، أم نعود إلى المنزل أولا؟

قال الحصان:

ـ لنذهب أولًا إلى المنزل، وبعد ثلاثة أيام نعود ثانية، يا صاحبي، على الأقل يكون التنين قد نسي ما حدث معه، ولا يشك في شيء.

وهذا ما تم فعله. عادا إلى المنزل، واستراحا، ثم انطلقا في اليوم الثالث وعندئذ قال الحصان:

ـ صاحبي العزيز، الآن اسمع لكلامي، في هذه المرة ليس من المسموح الذهاب مباشرة إلى التنين، لكننا يجب أن نتسلل خفية إلى قصره، لأن أمواته أيضا يخبرونه لو أن غريبا خطى بقدميه في بلاده، إذ يجب أن تكون حذرا، بحيث تذهب إلى هناك في غياب التنين فقط. واسأل زوجتك، أين التنين، ومن أين اشترى حصانه، وإلا لن تعود السيدة أبدًا إلى البيت.

تجنبا القصر، واختبأ كل منهما بجانب تل، وهناك تسللا وتصنتا، وعندما خرج التنين من منزله، توجه "يانوش" مباشرة إلى زوجته. ارتعدت مفاصل "أتلكا" عندما رأته، فلم تصدق

عينيها أنه هو حقًا.

قال "يانوش":

ـ زوجتي العزيزة، لا تخافي مني، لأنني أنا هو، فقط خبئيني حيث لا يعلم أحد!

ـ إذن أين حصانك؟

ـ إنه في مكان آمن!

حضنته "أتلكا" وقبلته واصطحبته إلى الغرفة، ثم قال لها "يانوش":

ـ زوجتي العزيزة، أطلب منك أن تسألي التنين، من أين اشترى حصانه! إذا أخبرك بذلك، وغادر المنزل، فإنني سأظهر في الحال، وعند ذلك سأذهب أنا أيضًا، وأحضر ذلك الحصان الذي هو أفضل مما يمتلكه، لكنني لا أعلم أين يوجد حصان كهذا، وعلينا معرفة من أين أتى بحصانه.

وهكذا توجب عليه أن يترك زوجته، لأن التنين قد عاد، ورجع "يانوش" يقول لحصانه:

ـ حصاني العزيز، إنها سوف تسأله، وعلينا الانتظار. من الممكن أن يكون الأمر في الليل.

أتى التنين من عند الضيوف وسأل زوجته:

ـ هل الغداء جاهزًا؟

ـ سيكون جاهزًا حالًا. تعال، يا زوجي الحبيب لنتناول الغداء سويًا!

كانت لهذه الكلمة الجميلة وقع طيب في نفس التنين فلم تعد تبكي، بل وتتحدث الآن بطريقة جذابة، ولما جلسا يأكلان طبق الطعام الأول، قالت السيدة:

ـ قل لي يا زوجي العزيز، إن لم أكن أضايقك بكلماتي، من أين اشتريت حصانك؟

وبسبب هذه الكلمة لكم التنين السيدة فجعلها تلتصق بالباب، ثم صرخ فيها:

ـ وما دخْلك به؟ ماذا تريدين من معرفة من أين اشتريت حصاني؟ سأقول لكي لكن انتظري فحسب! عندما يحين الوقت. اذهبي، واحضري بقية الطعام ودعيني أتناوله!

أمسكت السيدة بالطبق، وأحضرته ووضعته على المائدة، ثم قالت:

ـ لم أسألك بنية سيئة. قل لي حقيقة، أين اشتريت حصانك، لأنني لم أر حصانًا جيدًا مثل هذا من قبل.

تسببت هذه الكلمة مرة أخرى في لكم التنين للسيدة ثانية مما جعلها تقع في المطبخ.

ـ إلى ماذا تُلمحين بهذه الأسئلة؟ لماذا تسأليني دائمًا؟ ألا تتركيني أتناول الطعام بهدوء. اذهبي، واحضري طبق الطعام الثالث أيضًا!

قامت بإحضار طبق الطعام الثالث... وضعته على المائدة. وسألته مرة أخرى:

ـ قل لي، يا زوجي العزيز، فأنا لا أسألك عن سوء قصد، من أين اشتريت هذا الحصان الرائع؟

في المرة الثالثة خبطها التنين فجعلها تخرج إلى ساحة القصر، ثم انهمرت في البكاء، فقال التنين:

ـ الآن أرى أنكِ تطرحين السؤال بنية صادقة، لكني لم أكن أصدقك. سوف أخبرك بالأمر، لكن انتظري فحسب، حتى آخذ جولة وأعود.

بعد ذلك ذهب التنين... مر على حديقة الموتى، التي يقبع بها موتاه الذين قتلهم... وسألهم واحدًا واحدًا، ألم يروا هنا غريبًا.

ـ أخبره الموتى: لم يأت إلى هنا أحدا بعد تلك الواقعة، تحديدا منذ أن حاولوا أخذ زوجتك في المرة الرابعة.

عاد التنين إلى المنزل، وقال لزوجته:

ـ حسنًا تعالِ إلى هنا جواري. واسمعيني الآن، سأقول لك... فالآن لن تستطيعين أن تقولين له، مع العلم بأنني سأمزق عينيك إذا حدث ذلك. أنت نفسك لن تربحين كثيرًا من وراء ذلك؛ في الركن الأيمن للقلعة يوجد طريق مشاة. لا يبدو جليًّا، فنادرا ما يسير عليه بشر، مع ذلك يمكن ملاحظته، لأن العشب فيه أقصر من أي مكان آخر، هذا الطريق يؤدي إلى شاطئ بلاد ما وراء البحار. وهناك ماء يصل فقط حتى الركبة ويصل عرضه ما يقرب من عشرين ذراع، في الجانب الأبعد منها يوجد طريق المشاة هذا، الذي يقود إلى أطراف البلد الثانية، وهناك

تسكن ساحرة شريرة لديها ثلاثة أحصنة: واحد منهم مغطي بالشعر الأشيب(١) الحديدي، وهذا يفوق حصاني مرتين من حيث القوة والمهارة، لكن لن يحصل عليه إلا من يخدم هذه السيدة العجوز بإخلاص. فلديها العام عبارة عن ثلاثة أيام. من يقوم على خدمتها يحصل على ما يريد من دون فصال. الآن حسنًا سمعتي أن هذا هو الوضع. أرجو أن ترضين بهذا! الآن سأذهب. ربنا معاكِ! ـ وهكذا ذهب التنين.

قال الحصان لـ "يانوش" في التو واللحظة:

ـ لقد خرج التنين الآن من البوابة! ادخل يا صاحبي العزيز حالا، واستفسر عما قال.

دخل "يانوش" في لحظتها، وعانق زوجته ثانية.

ـ قولي لي يا زوجتي الحبيبة، ماذا قال لكِ؟

ـ أصغ إليَّ، يا زوجي العزيز: في الركن الأيمن لقلعتنا يوجد طريق مشاة لا يبدو جليًّا، فنادرًا ما يسير عليه بشر، مع ذلك يمكن ملاحظته، لأن العشب أقصر فيه من أي مكان آخر. هذا الطريق يؤدي إلى شاطئ بلاد ما وراء البحار. عليك أن تعبر البحر الذي هناك، وبه ماء لا يعلو الركبة، في الجانب الأبعد منها يوجد طريق المشاة هذا، إذ يقود إلى أطراف البلد الثانية، وفي البلد الثانية تسكن سيدة عجوز، عليك أن تخدمها بوفاء، فلديها ثلاثة أحصنة، من بينهم الأكثر شبابا هو المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وهذا يفوق حصان التنين مرتين من حيث القوة والمهارة، أما أنه كيف تحصل عليه، فالله هو المعين، فأنا لا أستطيع مساعدتك في هذا الأمر. والآن فليبارك الله فيك، لأن التنين سيكون في المنزل حالا، فإني أسمع أن حصانه يثور، سأنتظرك، مهما كان الأمر صعبا عليّ، فقط خذ حذرك وانتبه على نفسك، كي لا تحدث لك المشكلات!

قبَّل "يانوش" زوجته، وتركها هناك، وخرج إلى حصانه، ووثب على ظهره وانطلقا، وفي الطريق حكي له ماذا سمع. عادا إلى المنزل. أطعم "يانوش" كل أحصنته، ووضعها في الإسطبل. في اليوم التالي أمسك بالحقيبة التي بها عود العشب الباعث للحياة الذي بقي لدى حصانه، والذي اقتسمه معه الثعبان، وانطلق ناحية طريق المشاة المهجور، وواصل طريقه.

---

(١) صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت والقوة.

وجد شاطئ البحر. وجرب مع الماء عدة مرات يمينًا ويسارًا، فلم تعلو الركبة فعلا. تفحص في أي اتجاه يسير، ثم عبر مباشرة.

عندما عبر، رأى أن هناك سمكة صغيرة ذات قشرة ذهبية جميلة تتمرغ في التراب على الشاطئ. أحد جوانبها قد جفَّ، وأوقدته الشمس من شدة حرارتها، لكنها ما زالت على قيد الحياة، فأسف عليها، وقال:

ـ يا سمكة يا صغيرة يا مسكينة! ستهلكين هنا، فالشمس ساطعة، والمياه بعيدة، لن تستطيعين النزول إليها.

ثم حملها وألقاها في الماء، فوثبت السمكة في الماء، لكن في هذه اللحظة أصبحت أكبر مما كانت مرتين، وظهرت أكثر انتعاشا وصحة من ذي قبل، قفزت السمكة ناحية "يانوش" وقالت:

ـ حسنًا أيها الفتى، من أجل أنك حزنت عليّ وأنقذتني، لأنك رأيتني أهلك وأنا حية، خذ من جانبي الأيمن قشرة واحدة من تلك التي لم تحرقها الشمس، وإذا حدثت لك مشكلة، افركها وأنا سأكون هناك في الحال، وأساعدك على حل مشكلتك.

بعد ذلك قفزت السمكة الصغيرة في الماء، واختفت.

سرح "يانوش" بفكره:

"سبحان الله! لا يمكن للإنسان أن يعرف من أين تُمد له يد العون، ولكن فيما يمكن أن تساعدني سمكة صغيرة كهذه؟"

ومع ذلك سمع "يانوش" الكلام، ووضع القشرة الصغيرة في حقيبته، وواصل السير.

انطلق ثانية وواصل المسير عبر غابة في وسطها جدول مائي، وهناك وجد بطة برية صغيرة جميلة تندب حظها حزينة لأن أحد جناحيها كان مضروبا بطلق ناري، وتود لو تطير، لكنها لا تستطيع. أسف عليها "يانوش"، وناداها:

ـ أنت أيتها البطة الصغيرة، تعالِ إلى هنا! دعيني أضمد جناحك المجروح!

ـ لن آتي! ماذا تظن؟ هل أتى كي تعد مني وجبة بط بالفلفل، أو بطا مشويًا؟

ـ لا تخافي، لن أؤذيكِ! أقولها بقلب صادق، بل وسأداويك.

ـ حسنًا، سآتي، حتى إن كنت في حاجة إلى حياتي، فهي لن تبلغك الكثير؛ جناحي مكسور، فلا أبالي إن كنت سألقي حتفي أيضًا.

قالت ذلك البطة، ثم زحفت إلى طرف الجدول المائي، فأمسكها "يانوش"، وجلس معها، ووضعها في حضنه... أخرج من حقيبته العشب الباعث للحياة... وداوى به جناحها المجروح... فشفيت في الحال. وأضحت كما لو كانت غير مجروحة من قبل.

فرحت البطة. وفي الحال جربت جناحها، وحاولت الطيران به، بالطبع استطاعت.

ـ حسنًا أيها الفتى، لقد اعتقدت أنني سأفقد حياتي، ولكن بما أنك صنعت لي خيرا، شد من جناحي الأيمن الذي لم يكن مجروحا ريشة لامعة، وإذا حل بك مكروه في أي وقت، شقها نصفين، وستجدني في الحال هناك. لكن افعل خيرا، كي لا تفقدها!

وهكذا ألقت البطة عليه التحية وطارت، وواصل "يانوش" السير على ضفاف الجدول المائي. وعلى طرف الغابة وجد ينبوعا، فجلس هناك قليلا ليستريح. أخرج حقيبته وأكل لقمة، وفكر فيما سيفعل هو بقشرة السمكة الصغيرة وبالريشة الصغيرة. ومع ذلك احتفظ بهما!

لما أن استراح لبعض الوقت، واصل السير في طريقه، فعليه أن يبحث عن تلك السيدة العجوز، لكن أين وفي أي اتجاه؟ في البعيد رأى منزلًا، بالأحرى كوخًا يبعد عنه بضع كيلومترات، وفي طريقه وصل إلى غابة مكتظة بالأشجار. وبينما كان يسير بجانب إحدى الأشجار، فجأة قفز أحد الثعالب، لكنه كان يثب على ثلاثة أقدام فقط، أما الرابعة فكان يجرها وراءه فحسب. فقال:

ـ انتظر، أيها الثعلب الرفيق! أرى أن قدمك تتوجع. قف لأداويك!

نظر الثعلب خلفه، وأجاب على الفتى:

ـ كيف لي أن أقف، هه! هل تود أن تصيب أقدامي الأخرى أيضا؟ وعندئذ ستسلخني، وستصنع معطفًا لا بأس به من جلدي!

ـ لن أؤذيك، أيها الثعلب الرفيق، فإني حزين على حالك فحسب؛ لكن إن لم تسمع لي، فليس لي من الأمر شيئا.

ـ حسنًا، سأتوقف وأنا على ثقة في أخلاقك الحميدة، لكن إذا ضربتني، سأقضمك في الحال!

استل العشب الباعث للحياة، وعالج به قدم الثعلب التي تؤلمه. وفجأة قد شفي، كما لو كان لم يعان من آلام من قبل، وتراقص وجرب قدمه ووثب الثعلب، وقال بفرحة:

ـ حسنًا، أيها الفتى، بما أنك صنعت لي معروفًا، خذ مجموعة من الشعر الموجود في ذيلي، واحتفظ بها، وإذا حلت بك مشكلة في أي وقت، أشعلها، وسأكون أمامك في التو واللحظة.

شكر الثعلب "يانوش" على صنيعه الطيب، ورحل.

أما "يانوش" فقد ذهب واستكمل طريقه. كان المساء قد أقبل عندما وصل إلى المنزل المنشود؛ رأى أن هناك سيدة عجوز تجلس على باب المطبخ، فوقفت على أصابع قدميها لترى الفتى، من يكون هذا الذي يقترب منها.

وصل "يانوش" إلى هناك وألقى التحية بأدبٍ:

ـ مساء الخير، فليباركك الله يا أمي الحبيبة!

ـ فليبارك الله فيك أنت أيضا، يا بني! سعيدة لأنك ناديتني بأمك الحبيبة! هناك على الوتد تسع وتسعون رأسًا، وكانت رأسك ستكون المائة. قل يا بني، ما الذي أتى بك إلى هذه الأرض القاحلة؟

ـ أبحث عن عمل، يا أمي العزيزة.

ـ لقد جئت في الوقت المناسب. موافقة أن تعمل عندي. ـ لن أربط لك أجرًا معينًا. العام عندي ثلاثة أيام، ومما تتمناه، سأعطيك إياه. لكنني سأعطيك ما تريد شريطة الحفاظ على أحصنتي الثلاثة جيدًا، إذا أعدتهم لي في المساء، وما لم يهربوا منك.

ـ سأحرسهم وسأتعامل معهم، يا أمي العزيزة!

ـ حسنًا، يا بني الحبيب، تعال وتناول العشاء! سأريك أين الأحصنة، وأشرح لك صفاتهم.

أعطت الوالدة لـ "يانوش" عشاءً طيبًا، وأعدت له مكانًا مناسبًا للنوم، وبعد أن تناول الطعام وشبع، خرجا إلى الإسطبل ليرى الأحصنة الثلاثة، تلك التي لم تر عيناه مثلهم في حياته كلها. ثم قالت له الساحرة الشريرة:

ـ هؤلاء هم من ستقوم بحراستهم! داعب "يانوش" الأحصنة الثلاثة. وتركته الوالدة هناك، وظل أصغر الأحصنة يلعق في يده، ومع ذلك لم يقل له أي شيء.

بعد ذلك دخل "يانوش" إلى الوالدة في الغرفة، وسألها عن حياتها فيما أمضتها وتحدثا وتسامرا، ثم ناما.

في صباح اليوم التالي أعدت الوالدة حقيبة "يانوش"، وكان قد لجم(١) الأحصنة الثلاثة، وقفز في الحال على ظهر الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وقد أشارت له الوالدة على مكان المرعى. كانت هي نفسها تلك الأرض التي استراح عندها لدى الجدول المائي، وهناك أزاح اللجام من على الأحصنة، وشرعوا في تناول العشب، أما هو فقد استقر به الحال تحت شجرة وارفة؛ استلقى هناك وهو يتابع بنظره أحصنته فرآهم يأكلون من المرعى.

وعلى مشارف الظهيرة جاءت نسمة هواء فجأة ووقعت على عين "يانوش"، فخلد في سبات عميق. كان النهار قد اقترب من نهايته، عندما استيقظ. بحث عن أحصنته أين هم: لم يجد أيًا منهم في أي مكان. لا يوجد ولا واحد منهم، وجد المكان حيث كانوا يأكلون العشب، لكن الأحصنة ليس لها أثر في أي مكان، مع أنه بحث عنهم في كل الاتجاهات.

جال بخاطره أن السمكة الصغيرة أعطت له قشرة. وقد وعدته بأنها ستساعده، إذا حدثت له مشكلة؛ فرك قشرة السمكة، فظهرت في لحظتها أمامه، وسألته:

ـ بماذا تأمر، أيها الفتى؟

ـ أطلب منك، أيتها السمكة الصغيرة أن تخبريني أين الأحصنة.

ـ قالت السمكة: أحصنتك هناك في معسكري فقد تحولوا إلى أسماك. وأحد أتباعي أخبرني أن ثلاثة من الأسماك الغريبة قد انضمت إليهم. تعال معي لبعض الوقت، ستكون هناك على شاطئ البحر، فقط خذ حذرك! عندما يبدأ البحر في التحرك، سيسبح تجاه الشاطئ ثلاثة من خنازير السمك ذات الظهر الشائك لونهم أسود مقحل، سيقوم فتياني بتصفيتهم ومطاردتهم من البحر إلى الخارج الآن، لكن كن حريصًا! أمسك اللجام جيدًا في يدك، وعندما يصل أوسطها إلى الشاطئ، اخبطه على رأسه بقوة ليسقط في الحال. في هذه اللحظة سوف تكون هناك في مكانك بالمرعى، وستجد أحصنتك هناك.

ذهب "يانوش" إلى هناك عند شاطئ البحر... نظر: هاج البحر وامتلأ للغاية، وثلاثة من

---

(١) لجَم الفرسَ الجمه، ألبسه اللِّجام.

الأسماك السوداء تسبح نحو الشاطئ ـ مباشرة تجاهه، في هذه اللحظة أمسك باللجام بقوة، وخبط أوسطهما فسقطت في التو. وفي اللحظة التالية كان "يانوش" هناك في المرعى مع أحصنته الثلاثة.

وضع اللجام عليهم جيدًا، وامتطي الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وعاد إلى المنزل.

ـ مساء الخير، يا أمي العزيزة!

ـ فليبارك الله فيك، يا بني! هل أتيت؟

ـ كما ترين، يا أمي! يا لها من أحصنة وديعة طيبة! إنهم يتناولون العشب بصورة جيدة للغاية!

ـ حسنًا، انهض يا بني، تناول العشاء.

وبينما كان "يانوش" يتناول العشاء بدأت الوالدة في ضرب ولكم الأحصنة في الإسطبل أحدهم بالمِسْعر(١)، والآخر بمجرفة الفحم(٢) كما لو كانت تضرب على الطبلة بقوة، لأنهم لم يتمكنوا من الهرب.

ـ أيكون الاختباء هكذا بأن وجدكم؟ أنتم كذا وكذا، قفوا مكانكم! اختبئوا غدا أفضل! لأنكم إن لم تختبئوا جيدًا، سأضربكم ضربا مبرحًا!

وهكذا ذهبت إلى "يانوش" في الغرفة، كما لو أن شيئا لم يحدث. تحدثا وتسامرا، ثم استلقيا فناما حتى الصباح.

في صباح اليوم التالي أعدت الوالدة حقيبة "يانوش" مالئة إياها بالزاد أكثر مما اعتادت، كي ينتفخ من كثرة الأكل والشرب، ويخلد في نوم عميق. كما أنها وضعت له عقارا منوما في الخمر.

في صباح اليوم التالي استيقظ "يانوش" وخرج إلى الإسطبل، ولجم الثلاثة أحصنة، وقفز على ظهر الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وذهب إلى المرعى نفسه الذي كان عنده في

---

(١) مِسْعَر: جمع مَساعِر. اسم آلة من سعَرَ: مِسعار؛ أداة تحرَّك بها النار من حديد أو خشب.
(٢) مِجْرَفَة: جمع مجارفُ: اسم آلة من جرَفَ: مجراف، أداة يُجرفُ بها التُّراب والثلجُ ونحوُهما، وهي عبارة عن حديدة مسطَّحة لها مقبض سميك.

اليوم السابق. كانت هي نفسها تلك الأرض التي استراح عندها، وهناك أزاح اللجام من على الأحصنة، واستراح بجانب الجدول المائي وسط نسمات الهواء العليل.

حلّ وقت الظهيرة فجاءت نسمة رقيقة ووقعت على عين "يانوش"، فخلد في سبات عميق ثانية، ثم استيقظ عند المساء، ونظر وهو يتلفت يمينًا ويسارًا بحثا عن أحصنته: لم يجد أيًا منها في أي مكان. فكر أين ذهبوا، وأين يجدهم. جالت بعقله البطة التي ساعدها. فكر ربما لو تستطيع البطة مساعدته، فأخرج من جيبه الريشة اللامعة، وشقها نصفين، فإذا بها تحلق أمامه في الهواء، وها هي ذا قد قدمت البطة وقالت:

ـ ما مشكلتك، أيها الفتى الطيب؟ لِمَ استدعيتني؟

ـ فُقِدت أحصنتي، لا أعلم أين أبحث عنها. هل تستطيعين تقديم نصيحة لي، وتخبريني أين يمكنني أن أجدها؟

ـ لقد تحولوا إلى ثلاثة غربان بيض. وهم الآن في قطيعي، لونهم أبيض ناصع البياض لدرجة الندرة. سوف يقوم فتياني بإخراجهم من بين القطيع، ويقذفونهم نحوك، انتبه وأمسك اللجام بقوة! لا تخف، واضرب أوسطهما بشدة فسينقلب أمامك في الحال! في اللحظة نفسها ستكون أحصنتك هناك في المرعى، حيثما كانوا وقت الظهيرة.

وقد كان. ذهب "يانوش" وراء البطة إلى شاطئ الجدول المائي. فجأة نظر حوله فإذا ببط بري كثير مثل السحاب، لكنهم صفوا على الثلاثة غربان البيض. أقبلوا نحوه مباشرة، كما لو كانوا يريدون أن يدهسوه فأمسك باللجام بقوة وقام بضرب الأوسط فوقع في الحال تحت قدميه. وفي هذه اللحظة كانوا في المرعى هناك، حيث كانوا في الصباح، ومن حيث هربت أحصنته.

في الحال قام بتلجيم الثلاثة أحصنة، وامتطي المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وعاد إلى المنزل. ألقى التحية على الساحرة العجوز:

ـ مساء الخير، وليبارك الله فيكِ، يا أمي العزيزة!

ـ فليبارك الله فيك، يا بني العزيز! هل عدت حقًا؟

ـ نعم لقد عدت، يا أمي العزيزة!

ـ هل كانت الأحصنة هادئة؟

ـ نعم، كانت هادئة، يا أمي. لم يذهب هؤلاء إلى أي مكان.

ـ حسنًا انهض لتتناول العشاء. وحتى تنتهي من الطعام، سأسقيهم بالماء!

دخل "يانوش" إلى الغرفة، والوالدة إلى الإسطبل. وأمسكت بالمسعر المتقد نارا، وأخذت في ضربهم جميعًا: طراخ... طراخ!

ـ ألم تتمكنوا من الاختباء؟ توقفوا عن هذا الهراء، وإلا سأشردكم غدا! لقد عثر عليكم مرتين. وهل في الغد أيضا سيجدكم، يا له من أمر رائع! ستكونون هنا في المطبخ! البيض تحت الدجاجة!

وهكذا تركت الأحصنة هناك. ثم دخلت إلى الولد:

ـ حسنًا، كل يا ولدي العزيز! أنا أيضا سأتناول العشاء. ثم بعد ذلك فلدينا وقت فراغ لنتسامر سويًّا.

وهذا ما قد كان. دردشا لوقت، ثم ناما.

في صباح اليوم التالي، وبمجرد أن استيقظا، أعدت الساحرة الحقيبة للفتى:

ـ حسنًا، يا بني، هنا يوجد الطعام! خذ الأحصنة لترعاها!

خرج "يانوش" إلى الإسطبل... وضع اللجام لأحصنته... وامتطى الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي... وذهب إلى المرعى، إلى مكان الأمس... ترك أحصنته أحرارًا، أما هو فاضطجع بجانب الجدول المائي بين الظلال، في حضن الشجرة.

نحو الساعة الحادية عشرة جاءت نسمة دافئة أغمضت عين "يانوش" على إثرها، وراح في النوم، ثم استيقظ في المساء، ولكن لا توجد الأحصنة في أي مكان. فكر فيما عليه فعله الآن، لقد وجدهم مرتين، ولكن أين سيجدهم في المرة الثالثة؟ دار بعقله الثعلب الأعرج، فأمسك بمجموعة الشعر التي أخذها منه وأشعلها، فإذ بالثعلب يثب من بين الأشجار أمامه في الحال:

ـ مما تشتكي، يا رفيقي الطيب، بل يا صديقي الطيب، لكي تستدعيني بهذه السرعة؟

ـ لقد فقدت أحصنتي، ولا أدري أين هم، وعلى أن أجدهم بسرعة.

ـ بالطبع يا رفيقي إنها مشكلة إلى حد ما ـ قالها الثعلب الرفيق ـ ومع ذلك فلنحاول! الآن

عليك أن تستمع جيدا لكلماتي! تعال ورائي بالقريب جدًّا من المنزل، ولكن بحيث أن الساحرة لا تراك ولا حتى مصادفة، لأن لديها ديكا ذا حنجرة تصل لثلاثة بلاد؛ سوف أتعامل معه أنا، وهذا الديك المفضل بالنسبة للساحرة أكثر من الآخرين، سوف أقوم بمطاردة هذا الديك وبالتالي سيصرخ وستهب الساحرة لنجدته! أما أنت فعليك التسلل إلى جانب المنزل، لكن كن قريبًا، بحيث إنه إذا قفزت الساحرة من المطبخ، وجرت ورائي بالمسعر ـ سأجعل من الديك يجري إلى أكثر مما يمكن بعيدا بين الشجيرات، أما أنت فباللجام ـ الموجود في الركن بجانب الباب حيث تجلس الساحرة ـ ستجد عند الباب ثلاث بيضات، اخبط أوسطها، بحيث تتناثر الثلاث وتصل أجزاء منها إلى الجدار أيضا. في هذه اللحظة ستكون أحصنتك هناك في المرعى.

انطلقا بسرعة البرق من شجرة إلى أخرى خلسة تماما إلى أن وصل "يانوش" إلى مكان قريب للغاية من المنزل، والثعلب إلى كومة القمامة، حيث الديوك تبحث عن الطعام. وفجأة قفز الثعلب من جانبي إحدى الأشجار وأمسك بالديك وجرى به بين الأشجار كالبرق، صرخ الديك بطريقة رهيبة، حيث يسمع من في سابع بلد، فاتجهت الساحرة إلى الخارج لنجدة الديك وقالت:

ـ قف أيها الثعلب المكار، كيف جرؤت على القدوم إلى هنا ثانية؟ سأكسر قدمك وخصرك في إحدى المرات! توقف أيها الثعلب الشارد!

كانت الوالدة تجري من شجرة إلى أخرى، لكن الثعلب كان أسرع بكثير.

تسلل "يانوش" أثناء ذلك إلى المطبخ، وكسر البيضة الوسطى باللجام، بحيث تناثرت البيضات الثلاث. وفي هذه اللحظة وجد الأحصنه الثلاثة هناك في المرعى بالخارج. وفي الحال قد وضع اللجام على الثلاثة، وامتطى الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي، وعاد إلى المنزل. أثناء الطريق قال الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي للفتى:

ـ صاحبي العزيز، أعلم أنك تعمل هنا من أجلي، ولكنك في الغد لن تتعرف عليّ، لأنني سأكون حصانًا قذرًا يتسكع في تل الزبالة؛ الساحرة سوف تعدك بكل شيء، وربما تعطيك الاثنين الآخرين، لكن عليك اختياري أنا، حتى لو توجب عليك حملي لفترة قصيرة، والآن أنبهك: إذا تناولتما العشاء، فإن الوالدة سوف تتحدث معك مدة طويلة، لكي تنعس وتنام قبل منتصف الليل. لكن عليك ألا تنام، لأنه سيكون بلا جدوى خدمتك لثلاثة أيام، لأن رأسك ستقطع في الليل، في الساعة الحادية عشرة بالضبط ستقول لك الوالدة: تصبح على خير، يا بني العزيز، فلتنم

أنت أيضا! ـ وعلى إثر ذلك ستنام هي الأخرى، على أن تستيقظ هي في الحادية عشرة والنصف. بعد ذلك ستستل السيف من الغمد، فلا تخف منها، وستبدأ في شحذه، وفي الساعة الثانية عشرة إلا الربع سوف تبدأ بشحذ السيف أكثر وأكثر، ثم ستقول: ـ استيقظ، أيها الخادم! ـ لكن عليك ألا تتحرك، لأنها سوف تعلم أنك يقظ. عندما تدق الساعة الثانية عشرة، فإنها سوف تصرخ فيك: استيقظ، أيها الخادم، فلتضربك صاعقة رعدية! سأفلقك نصفين في الحال! ـ وفي هذه اللحظة اختبئ بجانب الجدار، وحين ذلك ستفقد الساحرة بصرها، ولن ترى حتى الصباح، وستضرب بالسيف على السرير، وأنت ستبقى عند نهاية شباك السرير بعيدًا عن ضربات السيف، وسينشق السرير إلى نصفين، وبعد ذلك ستتحسس وتبحث عن أشلائك، وعندما لا تجد شيئا سينتصب السرير ثانية، مثلما كان من ذي قبل. بعد ذلك ستذهب إلى السرير، وستعيد السيف إلى الغمد، وتنام حتى الصباح. ثم بعد ذلك تخلد إلى النوم أنت أيضا، لكن كن يقظا، لأن هذا السيف من نوعية نادرة وغير موجود منه في العالم.

وإلى أن سرد الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي لصاحبه كيف يتصرف، وماذا يفعل، كانا قد وصلا إلى المنزل. كان "يانوش" متنبها للغاية لما قد علّمه إياه حصانه، وقد ألقى السلام عليها في البيت قائلًا:

ـ مساء الخير، أمي العجوز!

ردت الوالدة التحية عليه، كما لو لم يحدث شيئا في الصباح سواء مع الأحصنة أو الديك.

ـ انهض يا ولدي، تناول العشاء! وأنا سوف أسقيهم بالماء.

وأمسكت بالمسعر ومجرفة الفحم، وشرعت في ضرب وخبط الأحصنة:

ـ حتى هذه المرة أيضا لم تتمكنوا من الهرب منه في اليوم الأخير، أليس كذلك؟ وعلى كل فلن أعطيك له أيها الحصان!(١) سأقتله في الليل! أو أن أجعل منك حصانا ضعيفا وقذرا كي لا تلزمه في شيء!

ثم ذهبت إلى الغرفة.

ـ حسنًا، أقبل يا بني لنتناول العشاء!

---

(١) تقصد الحصان ذا الشعر الأشيب الحديدي.

وبدأ في تناول العشاء. كان "يانوش" منعوسا، لكنه سمع الكلام. تحدثت معه السيدة العجوز لفترة طويلة بعد العشاء، كي يصبح أكثر ميلا ورغبة في النوم.

وصلت الساعة إلى الحادية عشرة، فقالت الوالدة:

ـ تصبح على خير، يا ولدي! مدد جسمك، ونم، لأنني أنا أيضًا سوف أخلد إلى النوم.

اضطجع "يانوش"، واستلقى وعيونه مفتوحة، أما الوالدة فقد نامت مثل الدب[1].

وعندما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف، قفزت العجوز كصاعقة البرق. اتجهت صوب السيف في الركن، استلته من غمده، وظلت تنظر إليه لبرهة من الزمن: حسنًا، هذا سيكون كافيًا للتخلص منه!

قبل منتصف الليل بربع الساعة قالت لـ "يانوش": استيقظ، يا خادمي! لكنه لم يحرك ساكنًا.

ـ حسنًا، نم، سأنال منك بعد قليل!

ومع دقات الثانية عشرة تحديدا قالت له ثانية:

ـ استيقظ، أيها الخادم، فلتضربك صاعقة رعدية! سأفلقك نصفين في الحال!

وفي هذه اللحظة اختبأ "يانوش" ناحية شباك السرير، ووقع السرير بجانبه من كثرة ضربات السيف، وبدأت الوالدة في البحث عن أشلائه بيدها؛ كانت رأسه ستكون المائة، إذا نجحت إحدى ضرباتها، ولكن لم يكن مجديا البحث عنه، فلم تعثر على شيء. فزمجرت في نفسها، فأين ذهب في هذه اللحظة، ثم قالت بعد ذلك:

ـ حسنًا، لا توجد مشكلة، فقد خدمني بإخلاص. والآن قد انتهت سلطتي، انقضى منتصف الليل. أعرف، ماذا يريد أن يأخذ مني، لكنني سوف أجعله كريما، كي لا يأخذه.

ثم استلقت وراحت في سبات عميق. كان "يانوش" حائرًا، هل ينام أم لا، لكنه لم يستطع النوم فبقي مستيقظًا ما تبقى من ساعات الليل.

---

(١) نامت مثل الدب: كناية عن الخلود في سبات عميق جدًا.

بزغ الصبح، واستيقظت الوالدة، وأعدت فطورا طيبًا، ثم قالت:

ـ حسنًا، يا بني، لقد خدمتني بوفاء، قل لي فيما ترغب، ولك ما تريد!

ـ لا أرغب في شيء يا أمي العزيزة سوى هذا السيف المغطى بالصدأ واللجام والسرج المتسخ الموجودين في الإسطبل، وهذا الحصان القذر القابع عند تل القمامة.

ضحكت الساحرة الشريرة:

ـ إذن ماذا ستفعل به، يا بني؟ فهذا لا يلزم حتى لكوم القاذورات! علاوة على ذلك فإنه عليك أن تحمل هذا الحصان على ظهرك، لأنه لن يكون قادرا على حملك.

ـ لا أبالي بهذا الأمر، يا أمي العزيزة، سوف أتولى الأمر فيما بعد وألمع هذه الأشياء.

فقالت الأم وهي تضحك:

ـ أعطيك يا بني ذهبًا وفضةً، على قدر ما تريد؛ ستصبح رجلا ثريًا، ولن يجب عليك أن تخدم أحدًا ثانية طيلة حياتك.

ـ شكرًا، يا أمي، لكنني لا أريد سوى ما طلبت.

ـ حسنًا إذا كان هذا ما يلزمك فحسب، فلتأخذه! لكن على أن أفصح لك بأنه عليك حمل الحصان القذر، لأنه لا يستطيع السير، ما لم يخرج من الحدود!

أمسك "يانوش" بالمهر وقد كان وسخًا موحلًا، ووضع على ظهره ذلك السرج المغطى بالصدأ القذر، ووضع عليه اللجام، أما السيف المكسو بالصدأ فوضعه على خصره! وعندئذٍ أمسك بالمهر الوسخ، وحمله على ظهره، لأنه لم يكن يستطيع المشي.

ـ حسنًا، فليبارك الله لكِ، يا أمي الحبيبة! أشكرك على كل شيء!

ـ ربنا معاك يا بني! فقط أعلفه جيدًا، وإلا فإنه لن يقف على ساقيه!

وبالفعل تحمل عناء الحصان حتى حدود بلد الساحرة، لكن أثناء الطريق أصبح متعبًا مجهدًا للغاية، لدرجة أنه أنزله ثلاث مرات من على كتفه، ورفعه ثلاث مرات أخرى. وعندما عبر الخندق الحدودي، قال له الحصان:

ـ أنزلني من على عاتقك الآن، يا صاحبي! أنا من سيحملك من الآن فصاعدًا!

نزل الحصان على الأرض، وفي اللحظة التالية وثب وانتفض، وصار منه الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي الذهبي الذي لم ير "يانوش" مثله قط في حياته. في هذه الآونة ظلّ يتطلع لنفسه هو الآخر، فلم يكن مصدقًا لعينيه! لمع سيفه وأشرقت ملابسه، وواخز الخيل[1] وحذائه، بطريقة لم تكن من قبل. ولم يكن يعلم، هل هو نفسه هذا الشخص أم آخر، ثم قال له الحصان:

ـ حسنًا يا صاحبي العزيز، اقفز على ظهري! الآن هل ننطلق كالزوبعة، أم كلمح البصر؟

ـ لننطلق يا حصاني العزيز، بحيث لا يقع لك ولا لي أي مكروه.

في هذه اللحظة كانا قد طارا في الهواء، ووصلا إلى المنزل، وبالكاد تعّرف عليه أقاربه من شدة جماله، ثم قال لحصانه:

ـ حصاني الحبيب، لدينا الآن وقتًا كافيًا، لكي نصل إلى زوجتي.

ـ نعم، سنكون هناك في التو واللحظة! أنا أعلم أيضًا أين هي! عند عمي!

لأن حصان التنين كان عمه.

وثب "يانوش" على الحصان، وخلال لحظات معدودة أصبحا عند التنين.

كانت زوجته في هذا التوقيت تأتي بالمياه من البئر، وعندما ظهر "يانوش" على الحصان المغطى بالشعر الأشيب الحديدي قال لها:

ـ زوجتي العزيزة، لقد جئت من أجلك! لقد وعدت، ووفيت بالوعد. هل التنين في المنزل؟

ـ لا، ليس هنا، بل عند أقربائه.

ـ حسنًا، دعيه يتمتع هناك قليلا، والباقي سيلاقيه هنا.

كانا لم يريا بعضهما البعض منذ وقت طويل، فعانقها وقبّلها، ثم قال لها:

ـ حسنًا يا زوجتي العزيزة، أعدي أمتعتك، والآن اقفزي على حصاني بكل ثقة وشجاعة!

---

(١) وخَز الشَّيءَ طعنه طعنة غير نافذة بإبرة أو رُمْح أو نحوهما "وخَز الطَّبيبُ المريضَ، ـ وخَز المبارزُ خصمَه، ـ أشعر بألم في يدي كأنّه وَخْزُ الإبر.

وبالفعل جهزت الزوجة أمتعتها، وقفزت على الحصان، وانطلقا سويًا صوب المنزل، وهي في حضن "يانوش".

ولما أن وصلا إلى البوابة، أصهل وثار حصان التنين في هذه اللحظة. فجري التنين مسرعا عائدا إلى المنزل. لقد كان مشتاطا من شدة الغضب، فصرخ في حصانه:

ـ ليأكل الكلب كبدك، وليقتلع الغراب عينك! فالعشب أمامك، والشوفان الجميل أمامك، وجدول المياه أمامك، فهل لك مشكلة أخرى؟

ـ أخذوا زوجتك!

سأله التنين:

ـ هل آكل، هل أشرب، هل أكسر جوالًا من البندق، هل آكل كل هذا؟

ـ لا يمكنك أن تفعل كل هذا، فلن نلحق بهم.

غضب التنين! وحمل واخز الخيل الذي يزن عشرة قناطير، وامتطى حصانه، وظل يضرب حصانه بواخز الخيل حتى كاد أن يفلق جانبي الحصان إلى نصفين من شدة ضربه إلى أن لحق بهم، فما كان من "يانوش" إلا أن ضحك عليهما.

ـ لا تقلق، أيها الرفيق! الآن نحن نسير بشكل أفضل!

أصهل حصان التنين للحصان الآخر وقال:

ـ توقف يا أخي... أرجوك... سيقطع أحشائي!

ـ لن يضرك إذا ألقيته من فوق ظهرك، وإلى أن يصل إلى الأرض فلن يتبقى منه شيء! ـ قال ذلك حصان "يانوش".

وعلى إثر هذا الكلام رفس حصان التنين رفسة كبيرة، فوقع التنين من على ظهره، وسقط كما لو كان قطعة من الورق. وانضم حصان التنين إلى حصان "يانوش"، وانتقلت "أتلكا" لتركب حصان التنين، وبخطوات جميلة هادئة عادا إلى المنزل.

عندما عادا إلى البيت، عمَّ الفرح العظيم جميع الأرجاء. دعيا الأقارب، وأقاما حفل زفاف، وعاشا حياتهما هناك بسعادة وحب.

وذات مرة تقابل "يانوش" هناك مع فتى جميل يشبهه، فقال له:

ـ اسمع أيها الصديق، أود أن أقول لك أمرا. سأجعل منك إنسانا سعيدًا، إذا أنصت لكلامي. تعال الآن معي إلى بيتي، لأن ملكي الذي كنت أعمل لديه حزين للغاية، لأنه ربما يعتقد أن حارسه المخلص "يانوش" لن يعد ثانية.

ـ أجاب الآخر: أنا أيضًا أود الذهاب إليه، أيها الرفيق، لكن لا أستطيع الذهاب معك إلى هناك سيرًا على الأقدام.

ـ لا يوجد مشكلة يا رفيقي، سأساعدك في ذلك. أعطيك حصانا تسافر عليه بسهولة.

وقد اتفقا على ذلك فيما بعد، وودعا الأقارب، وانطلقا إلى منزل "يانوش" في بلاد الملك الذي كان يعمل لديه حارسًا، ووصلا في اليوم الثالث.

ألقى "يانوش" التحية على الملك بأدب. ثم أحضر له جوالا مليئا بالتفاح، وطلب من الملك ما يلي:

ـ سيدي الملك! لا يمكنني الزواج من ابنتك سمو الأميرة، لأنني الآن لدي زوجة، لكن لدي صديق طيب حقًا أرشحه لها، إذا وافقت سمو الأميرة عليه بالطبع.

وافق الملك على ذلك عن طيب خاطر، لأنه عندما تناول تفاحة، وقف على قدميه في الحال، وتحسنت صحته تمامًا.

ثم أقاموا الأفراح والليالي الملاح، وكانت هناك العصائر والمشروبات، وأكل وشرب كل الحضور، وفرح الجميع فرحة لا توصف.

"نياجلاب" و"تشوباهاي" و"ماليصاي"

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، كان هناك رجل فقير لديه ثلاثة من الأبناء. أكبرهم يسمي "نياجلاب"، والثاني يدعي "تشوباهاي"، وأصغرهم "ماليصاي". كانوا يأكلون بشراهة لدرجة أن الأب لا يستطيع أن يلبي احتياجاتهم من الخبز فقط. ذات مرة طلب منهم أن يذهبوا للعمل بحثًا عن لقمة عيشهم، فلم يعد الأب قادرا على إطعامهم.

انطلق الفتى الأكبر "نياجلاب" أولًا ومشي بعيدًا إلى أن تقابل في طريقه مع رجلٍ عجوزٍ وقبله وافق على أن يعمل لديه الفتى خادمًا لمدة عام.

ولما أن انتهى العام، قال له العجوز.

ـ سأعطيك مائدة نظير خدمتك الجيدة، فقط ما يجب عليك هو أن تقول لها: تحضّري، تحضّري، يا مائدتي الصغيرة ـ وسيكون عليها كل شيء! هل تقبل بذلك؟

ـ أجاب "نياجلاب" قائلًا: هل تقصدني أنا؟ أنا الذي لم يكن لديه شيء يأكله؟ نعم أقبل، بالطبع!

انتظر "نياجلاب" بفارغ الصبر إلى أن يخرج من القرية. وبجانب إحدى الأشجار الصغيرة أخرج المائدة، وقال لها في الحال:

ـ تحضّري، تحضّري، يا مائدتي الصغيرة!

وبالفعل أصبح عليها كل شيء من الطعام والشراب مما لذَّ وطاب، لدرجة أن "نياجلاب" توقفت عيناه وفاه من هول المفاجأة. أكل وشبع بسرعة لدرجة أنه كاد أن ينفلق نصفين من كثرة ما أكل. وانطلق مواصلا طريق العودة نحو بيته. وجد في طريقه حانة(1)، فدخل فيها، ثم دخل بسرعة إلى إحدى الغرف... فرش المائدة... أكل... ملأ بطنه، ثم طلب كُوبًا من الخمر.

وبينما كان هناك لمحه صاحب الحانة ماذا يفعل. فقد رأى المائدة التي يمتلكها الشاب، وتمني لو أن هذه المائدة تكون في حانته!

وبمجرد حلول المساء ناموا جميعًا، وسبح "نياجلاب" في سباتٍ عميقٍ. أما صاحب الحانة فقد سرق المائدة المعجزة وبدَّلها بأخرى تشبهها تمامًا.

---

(1) دكان لِبَيْعِ الخَمْرِ.

في صباح اليوم التالي واصل "نياجلاب" السير ثانيةً إلى أن وصل البيت، وهناك تباهى بالمائدة التي يمتلكها، فقال له إخوته:

ـ حسنًا لنرى! ـ قالوا ذلك ـ جاءت في وقتها فنحن جوعى للغاية، كما هي الحال دائمًا!

قال "نياجلاب" التعيس للمائدة: تحضّري، تحضّري، يا مائدتي الصغيرة! لكن بالطبع لم تتحضّر المائدة. انتظرت العائلة كلها أن تأكل وتشبع، وبما أن "نياجلاب" قد خدعهم فقد ازدادت بطونهم خواء، فأخذوا "نياجلاب" وأوسعوه ضربًا مبرحًا.

انطلق الآن الولد الثاني "تشوباهاي"، ووصل إلى الرجل العجوز نفسه الذي خدم لديه "نياجلاب". وقد قبله ليعمل لديه هو الآخر لمدة عام، وعندما انقضى الوقت، طلبه العجوز ليأتي إليه، وقال له:

ـ من أجل خدمتك لي فإني أعطيك شيئًا. سأعطيك حمارًا! يجب أن تقول له فقط: "اعطس، اعطس، يا حماري الصغير!" وسيعطس مُخرِجًا لك ذهبًا، مثلما تريد! هل تقبل بهذا؟

ـ رد "تشوباهاي" قائلًا: أنت رجل في غاية الطيبة والكرم.

فرح "تشوباهاي" كثيرًا بهذا الحمار، وانطلق معه تجاه البيت. أثناء الطريق دخل هو الآخر إلى الحانة نفسها... فأكل... وشرب حتى امتلأت بطنه بالتمام والكمال، وقال إنه سيقوم بدفع الحساب في الصباح؛ أخذ الحمار معه إلى الحجرة، وبمجرد حلول المساء أوقف الحمار أمامه وقال له:

ـ "اعطس، اعطس، يا حماري الصغير!"

أشرع الحمار الصغير أذنه، ثم بدأ يعطس، وعطس مُخرِجًا ذهبًا كثيرا لدرجة أن "تشوباهاي" كاد أن يغرق فيه، فقام بجمعه ثم نام.

ولكن صاحب الحانة قد لمح ما حدث من فتحة مفتاح الباب، وعندما لاحظ أن "تشوباهاي" قد غالبه النعاس، تسلل إلى الغرفة، وبدَّل الحمار بآخر شبيهًا له.

أحضر "تشوباهاي" الحمار الصغير إلى البيت، وكان فخورًا للغاية على ما قام به. ولكنه عندما أمر الحمار أن يعطس، بالطبع لم يعطس مخرجًا أية قطعة من الذهب على الأرض. كان الانتظار غير مجدٍ، ولم يخرج "تشوباهاي" خالي الوفاض من هذا الموقف، فقد أوسعوه ضربًا مبرحًا هو الآخر.

وقع والدهم الفقير في شكٍ من أنه لا أحد من أبنائه يستطيع مساعدته؛ انطلق الابن

الأصغر "ماليصاي"، وظهر هو الآخر أمام الرجل العجوز. وقد تم الاتفاق معه على أن يكون خادمًا لديه لمدة عامٍ هو الآخر.

وعندما انتهت فترة خدمته، قال له العجوز:

ـ ابني، لن أتركك ترحل من دون مكافأة. هنا يوجد كيس به عصا؛ فقط يجب عليك أن تقول لها: "أخرجِي من الكيس، يا عصاي الصغيرة!" ـ وعندئذٍ ستثب العصا، وستضرب بها من تريد.

وضع "ماليصاي" العصا تحت إبطه، وانطلق بها عائدا إلى بيته؛ كانت الحانة نفسها تقبع في طريقه هو الآخر. لقد كان جائعًا وعطشًا جدًّا فدخل وأكل ثم شرب إلى أن أحس بالشبع والراحة، وطلب منه صاحب الحانة الحساب، ولكن "ماليصاي" لم يستطع الدفع، لأنه لم يكن يمتلك ولا مليمًا واحدًا. أخذ صاحب الحانة في الصياح في وجه "ماليصاي" وأخذ يشتمه ويسخر منه لفترة طويلة فتملك "ماليصاي" الغضب، فأخرج الكيس، وقال:

ـ أخرجِي من الكيس، يا عصاي الصغيرة! واضربِي صاحب الحانة!

وثبت العصا من الكيس وشرعت في ضرب صاحب الحانة طاخ ـ طاخ! وسرعان ما تململ صاحب الحانة من الضرب وأخذ في العويل:

ـ آه، آه! أقلع عن الضرب يا صديقي، وأعطيك كل شيء سرقته من أخويك!

أحدق "ماليصاي" فيه وقال:

ـ وماذا سرقت من أخواي؟

ـ حسنًا فقد سرقت المائدة التي تفرش وتُحضِّر نفسها، والحمار الذي يعطس مُخرجًا ذهبًا!

ولكن العصا لم تتوقف عن ضرب صاحب الحانة أثناء ذلك أيضًا، ثم قال "ماليصاي":

ـ حسنًا، إذا أرجعت لي المائدة والحمار، لن أؤذيك! عودي، عودي إلى الكيس يا عصاي الصغيرة!

عادت العصا إلى الكيس، وأحضر صاحب الحانة المائدة والحمار، وأعطاهما إلى "ماليصاي".

رجع "ماليصاي" إلى بيته. وفي المنزل قصَّ على أخويه كيف استعاد المائدة والحمار وعندئذٍ أصبح لديهم ما يأكلونه وما يشربونه، ولديهم مال أيضًا مثلما يريدون، ومنذ ذلك الحين أصبحت أسرة الرجل الفقير سعيدةً جدًّا.

القلعة الطائرة

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير عن بلاد ما وراء البحار، كان هناك رجل فقير وسيدة فقيرة يعيشان في فقر مدقع، ويتساءلان على الدوام لِمَ لا يكون لديهما طفل.

كانت لديهما شجرة تفاح.

في يوم من أيام فصل الخريف خرجت السيدة إلى الحديقة. وبمجرد أن وصلت إلى شجرة التفاح سقط منها ثلاث تفاحات مرة واحدة انقسمت كل منها إلى نصفين وخرج منها ثلاثة أطفال صغار في غاية الجمال والصحة، وكلهم كانوا ذكورا.

غمرت سعادة كبيرة السيدة! وأحضرت الأولاد الثلاثة إلى البيت وهي سعيدة:

ـ انظر يا زوجي لقد رزقنا الله ثلاثة من الأطفال الأصحاء!

ثم حكت له كيف حدث هذا الأمر: فبينما هي تسير في الحديقة، إذ بثلاث من ثمرات التفاح تسقط عليها، ويخرج منها ثلاثة من الأولاد! الموضوع الآن ماذا سيكون أسماء الأولاد.

اتفقا على تسمية كل منهم "المافي"(١): "المافي الأول"، "المافي الثاني"، "المافي الثالث".

كبر الأولاد وشبوا وترعرعوا جميعهم. كانوا يشبهون بعضهم البعض لدرجة أن الجيران لم يكونوا يستطيعون التمييز بينهم.

الأب والأم فحسب من كانا يفرقان بينهم، ولا أحد سواهما، ولما أن بلغ الأولاد سن الثامنة عشرة من عمرهم قال الأب لـ "المافي الأول" الابن البكر:

ـ حسنًا، يا بني العزيز لقد بلغت من العمر الثامنة عشرة. وكما ترى نحن فقراء. انهض وانطلق نحو هذا العالم وجرب حظك وابحث عن عمل.

أعدت أمه له خبز الشعير ليتزود به في الطريق. ثم ودَّع "المافي الأول" بيت والديه، كما ودَّع أخويه أيضًا.

(١) اسم مجري معناه "ابن التفاحة".

ذهب وسار طوال النهار إلى أن شعر بالإرهاق الشديد عند المساء وأحس بالجوع. جلس على قارعة الطريق على إحدى الأحجار وأخرج من حقيبته خبز الشعير وبدأ في أكل بعض اللقيمات، وبالكاد كان قد أكل بعضا منها وفجأة ظهر أمامه رجل طاعن في السن ألقي عليه التحية:

ـ مساء الخير وليبارك الله لك يا بني!

ـ فليبارك الله لك، يا أبي العجوز!

ـ أرى يا بني أن الله قد رزقك فأنت تأكل اللقمات بلذة، لكنني لم أتناول ولا لقمة خبز واحدة منذ ثلاثة أيام.

ـ إنها بالفعل مشكلة كبيرة، يا أبي العزيز، لكن يمكنني مساعدتك. صحيح أنه ليس لديّ الكثير، لكن فلنتقاسم ما لديّ.

وهكذا كسر الخبز وقدم نصفه للعجوز. أكله العجوز بنهم! ـ بل يمكن القول إنه ابتلعه على مرة واحدة، ثم قال:

ـ شكرًا لك يا بني، وأنا ممنون لك على هذا الصنيع الطيب، وربما أرده لك يومًا ما. أعلم يا بني أنك جئت لتجرب حظك. بالضبط لقد قدمت إلى المكان المناسب. انتظر حتى بزوغ النجوم في المساء، وانطلق في اتجاهها واتخذه طريقًا لك، وهناك سوف تنال نصيبك! لكنني أنبهك يا بني: ستصل إلى جدول مائي سريع تنحدر مياهه بسرعة شديدة لكن سر بشجاعة على الماء ولا تخف. إنه جدول مائي مسحور: بمجرد أن تضع قدميك في الماء، يصبح كما لو كنت تسير على حقل جاف.

استمع الولد بانتباه، وواصل العجوز حديثه:

ـ ولما أن تصل إلى منتصف هذا النهر، سترى ورودًا مائية جميلة جدًا؛ كل منها جميل وخلاب وجذاب أكثر من الأخرى، لكن مهما كان إعجابك بهذه الورود فلا تقطف منها، لأنها ستؤدي إلى ضياعك! أما إذا تخطيت المياه فستجد مرجًا[1] من الفضة حيث كل الأغصان والحشائش والورود من الفضة... سوف تعجبك كثيرًا، لكن من أجل حياتك لا تقطف منها شيئًا لأنها

---

(١) أرضٌ واسعةٌ ذاتُ نبات ومَرْعى للدَّوابّ. والجمع: مُرُوجٌ.

ستتسبب في ضياعك. إذا كنت محظوظًا وعبرتها ستجد مرجًا ذهبيًا حيث كل الأغصان والحشائش والورود من الذهب. هذه أيضًا سوف تعجبك جدًا، لكن لا تقطف منها شيئًا لأنها ستتسبب في ضياعك! إذا عبرتها عندئذٍ ستجد حظك ونصيبك!

شكر الفتى العجوز على إرشاده إلى الطريق الصحيح، ثم ودَّع العجوز الفتى واختفى في الحال كالكافور(١). جاء من دون أن يلحظه أحد، ومشى بلا أن يرقبه أحد.

انتظر "المافي الأول" ظهور النجوم؛ كان على علم بحركة النجوم وسار في اتجاهها نفسه مثلما شرح له العجوز، ووجد الجدول المائي السريع، ولكنه تريث فربما لم يقل العجوز له الحقيقة فكيف تستطيع أن تحمله المياه، لكن سرعان ما جالت بخاطرة كلمة العجوز المطمئنة بأن يخطو عليها بجسارة فحسب، ليحدث ما يحدث! انطلق وقد كان الأمر صدقا! لما أن خطى الخطوة الأولى في الماء كان الحال كما لو كان يسير على حقل جاف تمامًا، وعندما وصل إلى منتصف النهر، ظهرت أمامه ورود جميلة خلابة حقًا، وتذكر تنبيه العجوز له، وكان ينظر إلى المياه وهذه الورود وهو في شك وحيرة من أمره، "فيما يمكن أن تؤذيني هذه الورود الرائعة؟ ـ كان يفكر ـ سأقطف واحدة فكم هي جميلة وتليق على عروة القميص!"، بالفعل قطف الوردة وعلقها في عروة القميص. في هذه اللحظة تحديدًا تحول إلى سمكة تتلاطمها الأمواج في الجدول المائي المسحور واختفى. مر الوقت وانقضى ولم يعد "المافي الأول"، فقال الأب لـ "المافي الثاني":

ـ حسنًا، يا بني العزيز لقد حان دورك، انهض وانطلق نحو هذا العالم وجرب حظك وابحث عن أخيك الأكبر!

أعد "المافي الثاني" عدة الطريق.

حصل هو الآخر على خبز الشعير ليتزود به في الطريق. وقد سار في الطريق الذي سلكه أخوه من قبل طوال النهار إلى أن شعر بالإرهاق الشديد، وأحس بالجوع. جلس على الحجر نفسه الذي جلس عليه أخوه الأكبر وفجأة ظهر أمامه رجل طاعن في السن. اشتكى العجوز له فتقاسم معه الخبز مثلما فعل أخيه "المافي الأول". أرشده العجوز على الطريق نفسه وحذره من الجدول المائي المسحور والمرج المسحور كي لا يقطف منه ولا وردة واحدة قائلًا:

---

(١) الكافور: عبارة عن مادة صلبة توجد على هيئة صفائح بيضاء بلورية أو على هيئة كتل مربعة الشكل متلاصقة بيضاء وسهل التبخر أو التطاير حتى عند درجة حرارة الغرفة العادية.

ـ في المرة السابقة كان هنا أخوك الأكبر وقد تسببت الوردة التي قطفها في ضياعه، إذن كن حذرًا يا بني العزيز كي لا تلقى مصير أخيك!

ثم ودَّعه العجوز واختفي مثل الكافور.

انطلق "ألمافي الثاني" وعبر الجدول المسحور وحالفه الحظ، ثم أمد يده إلى الورود المائية لكنه تذكر مصير أخيه وعلى الرغم من أن هذه الورود جذبته بشدة فلم يقطف منها ولا واحدة، إلا أنه عندما وصل إلى المرج الفضي لم يتمكن من كبح جماح نفسه وقطف وردة فضية وعلقها على عروة ملابسه، وفي هذه اللحظة بالضبط تحول إلى سحلية فضية انزلقت بين الأحجار.

لقد اختفي الآن اثنين "ألمافي".

مر الوقت وانقضى ولم يعد "ألمافي الأول"، فقال الأب لـ "ألمافي الثالث":

ـ حسنًا، يا بني العزيز لقد حان دورك، انهض وانطلق نحو هذا العالم وجرب حظك وابحث عن أخويك الأكبر!

تجهز "ألمافي الثالث" للانطلاق.

حصل هو الآخر على خبز الشعير ليتزود به في الطريق. وقد سار في الطريق الذي سلكه أخواه من قبل. جلس على الحجر نفسه الذي جلس عليه أخواه الكبيران وظهر أمامه الرجل العجوز نفسه وتقاسم معه الخبز مثلما فعل أخويه، ثم قال له العجوز:

ـ أرى أنك فتى طيب القلب يا بني، بل وربما تتصرف بشكل أكثر كياسة من أخويك!

شرح له ماهية الجدول المائي المسحور والمرج وأن يحترس كي لا يلقي المصير نفسه الذي حصل لأخويه. امتثل الفتى لنصيحة الرجل العجوز الذي هو في خريف العمر بأن يأخذ حذره من كل شيء.

وصل هناك إلى الجدول المائي المسحور وأراد هو الآخر أن يقطف من الورود، لكنه تذكر نصيحة العجوز، واستطاع اجتياز الجدول المائي المسحور بنجاح وكذلك عبر المرج الفضي، إلا أنه لما أن وصل إلى المرج الذهبي استطاع بالكاد أن يجمح كباح نفسه. بالفعل أمد يده ليقطف واحدة من الورود لكن سرعان ما تذكر تنبيه الرجل العجوز.

واصل السير واستمر فيه وفجأة وصل، لكن إلى أين وصل بعد الحقل الذهبي؟ وصل إلى

صحراء رملية جرداء لا زرع فيها ولا ماء. "حسنًا ـ يقول في نفسه ـ لقد وجدها العجوز حقًا بأن قال أين سأعثر على حظي ونصيبي، لأن هنا سأموت من الجوع بلا شك! لا عشب ولا أشجار ولا شيء آخر يظهر في الأفق، ولا أثر لأي شيء... ما شاء الله!"

استمر في السير حزينًا فحسب، واعتقد أنه مادام يستطيع تحمل الجوع فليواصل السير على الأقدام لأنه سيلقى حتفه من الجوع في هذه الصحراء الرملية القاحلة على أية حال.

على مدار ثلاثة ليالي وثلاثة أيام كان دومًا يسير على قدميه جائعًا عطشًا. كان على وشك من أن يسقط مغشيًا عليه، لكنه فجأة رأى من بعيد جدًا منزلًا ضخمًا بشكلٍ مبهر. ربما فيه سكن فحسب! ربما يتمكن من تحمل الجوع إلى أن يصل إلى هناك.

ولما أن وصل إلى أمام البيت سيطرت عليه علامات التعجب والاندهاش تمامًا. توجد نافذة لهذا القصر العملاق من الخارج، لكن البيت خالٍ من أي شيء، وهناك أيضًا بابٌ صغير مخفي. على أية حال، هذا ما أعطاه الله إياه! فتح الفتى القصر ودخل إلى قاعة كبيرة وضخمة للغاية. كان بالداخل نور أبهر عينيه، مع العلم أنه لا توجد ولا نافذة واحدة بالجدران. من الداخل نظر الفتى حوله فرأى موائد مرصوصة بالترتيب. خطى إلى المائدة الأولى فوجد عليها طبق عصيدة، وبجانب العصيدة لوحة صغيرة، وعلى اللوحة الصغيرة كتابة مفادها أن هذه العصيدة هي عصيدة الجنيات من يأكل منها لن يشعر بالجوع أبدًا فيما بعد. لم يكن يلزم للفتى أكثر من ذلك، فأقبل عليه بشهية مفتوحة والتهم وعاء العصيدة كاملًا، أكل الطبق كله وشعر بالفعل أنه شبع مدى الحياة.

ذهب إلى المائدة الثانية، وكان عليها زجاجة بها سائل ما، وبجانب الزجاجة لوحة ذهبية صغيرة، وعلى اللوحة الصغيرة كتابة مفادها أن هذا المشروب هو مشروب الجنيات من يشربه لن يشعر بالظمأ أبدًا طيلة حياته، لم يكن يلزم للفتى أكثر من ذلك، فأقبل عليه بنفسٍ مفتوحة والتهم المشروب كله، وشعر بالفعل أنه لا يرغب في الشرب ثانية بقية حياته.

توجه إلى المائدة الثالثة وكان عليها طبق صغير به مرهم، وبجانب الطبق لوحة من الياقوت مدون عليها أن هذا هو دهان الجنيات ومن يدلك به جسده يحصل على قوة ألف من الرجال، لم يترك الولد الدهان من دون أن يقترب منه فدهن به جسده جيدًا.

ثم انتقل إلى المائدة الرابعة وكان عليها سيف بجانبه لوحة من الزمرد عليها كتابة مضمونها

أن هذا السيف هو سيف الجنيات ومن يضعه بجانبه فلا يخاف من أي عدو كائنًا من كان لأن هذا السيف لا يمكن هزيمته. بالتأكيد أخذه الفتى، ثم انتقل إلى المائدة الخامسة التي كان عليها إبريق صغير به زيت ذو رائحة نفاذة، وبجانب الإبريق الصغير لوحة من الماس؛ وعلى هذه اللوحة مكتوب أن من يدهن بهذا الزيت عينيه سيرى كل شيء حتى ما هو في الأعماق وما هو في باطن الأرض لأن هذا هو زيت الرؤية لاستخدام الجنيات، وبلا أدنى تفكير دهن عينيه بالزيت.

وهنا أدرك "ألمافي الثالث" ما حصل عليه من أملاك آلت إليه. لقد قال العجوز صدقًا. فلما أن دلك جسده بذلك الدهان أحس بأن قوة مخيفة قد سيطرت عليه، ولما أن دهن عينيه بذلك الزيت ونظر إلى الأرضية فرأى ما هو في باطن الأرض ذاتها وكل المسوخ[1]، وبما أنه كان شاحبًا من شدة الجوع، وقد امتلأت بطنه الآن وشرب حتى ارتوى فقد استلقى على الأرضية فنام في الحال.

إلى متى ظلَّ نائمًا فلا يدري: لكنه استيقظ على صخب عالٍ مخيفٍ، لدرجة أنه اعتقد أن المنزل ينهار، فخرج مسرعًا إلى الخلاء ونظر يمينًا ويسارًا ليعرف سبب هذا الصخب، ثم فجأة وبينما كان ينظر في الهواء إذا بقصر طائر رائع يسلب العقول يلوح في الأفق أمامه. لقد كان معجبًا مندهشًا من هذا القصر الطائر الجميل لدرجة أنه لم يلحظ إلا في اللحظة الأخيرة أن في شرف القصر تجلس فتاة حسناء رائعة الجمال. في اللحظة نفسها وقع في حبها لدرجة لا يتخيلها بشر.

كانت القلعة قد اختفت في الهواء، لكن الفتى عقد العزم على ألا يهدأ له بال حتى يجد هذه القلعة حتى ولو كلفه الأمر حياته.

ذهب وواصل السير في الاتجاه التي كانت القلعة تحلق فيه، وظل على سفر طوال ثلاثة أشهر كاملة إلى أن وصل فجأة إلى بلاد الجن، لقد كانت هذه البلاد من نوعية أنه على الأشجار الموجودة هناك بدلًا من الأوراق كانت هناك مصابيح ذهبية عشرينية التاج تضيء، أما عن الجداول المائية في هذه البلاد فكان نصف يسيل فيها اللبن والنصف الآخر يسيل فيه خمور "توكاي" شديدة الحلاوة. خلاصة القول أن كل ما في هذه البلاد لا يمكن رؤيته إلا في

---

(١) المسوخ: المفرد مَسْخُ: تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها وبابه قطع يُقال مَسَخَهُ الله قِردا. مسَخَه اللهُ حوَّل صورتَه إلى أخرى أقبح منها؛ شوَّه صورتَه، أفقده طبيعتَه الخاصّة "مسَخه اللهُ قردًا، - "وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا."

الحواديت والقصص فحسب. في يوم ما سافر "ألمافي الثالث" إلى بلاد الجن هذه، وفي المساء وصل إلى أحد المنازل حيث كانت حفلة راقصة، وكانت البنات الجذابة الجميلات ترقصن بشكل دائري. كان "ألمافي الثالث" شابًا حسن المظهر، فانضم إلى الآخرين ورقص مع البنات هو الآخر. ولما أن انتهت الحفلة بدأ في التساؤل ألم يسمعوا خبرًا عن القلعة الطائرة. لم يستطيعوا إرشاده إلى الطريق الصحيح، ثم واصل المسكين السير أكثر وأكثر، وكان يعصره الحزن فهو نفسه لم يكن يعلم إلى أي اتجاه يسير، وبينما هو يسير هكذا إذ به يصل إلى غابة شاسعة، فبحث لنفسه عن شجرة وارفة الظل، وبما أن المساء قد حل وكان متعبًا للغاية فكر في أن ينال قسطًا من الراحة، فاستلقى تحت الشجرة وفكر إلى متى سيظل هو هكذا في هذا الترحال حتى يجد هذه القلعة الطائرة.

مع أنه نام القليل فقد راوده حلم واستيقظ على صياح أحد الديوك. نظر الفتى إلى أعلى الشجرة فرأى أن أعلى رأسه يجلس ديكٌ ذو عرف ذهبي على أحد الأغصان المتمددة. فقال "ألمافي":

ـ أنت... أنت... أيها الديك ذو العرف الذهبي، ربما أنت الآخر لديك من الألم ما يجعلك تصيح بهذا الشجن.

رد الديك:

ـ بالتأكيد أيها الإنسان، فلدي أمر محزن للغاية!

سأل الفتى:

ـ لماذا، إذا كان مسموحًا أن أسأل؟ فربما يمكنني المساعدة في حل مشكلتك!

ـ لا أعتقد أيها الإنسي أنك تستطيع المساعدة في حل مشكلتي.

ـ قل فحسب بشجاعة أيها الديك ذو العرف الذهبي، فلن ينالك مني أي مكروه! انزل من على الشجرة واحك لي مشكلتك

تشجع الديك ونزل من على الشجرة إلى أمام "ألمافي".

ـ سأخبرك بمشكلتي، مع العلم أنك لن تتمكن من مساعدتي! لقد كنت عاشقًا لبنت من بنات الجن، وكان كبير جن الشر مولعًا بها هو الآخر، أما أنا فقد كنت واحدا من الجن الطيب.

كانت الفتاة تحبني أنا وليس كبير جن الشر، كنا في حفل خطوبتنا، وكنا نقيم الاستعدادات اللازمة للعرس لما أن قام كبير جن الشر بحقني ولعني بماء مسحور لكي أكون على هيئة ديك هكذا للأبد، لقد ميزني بالعرف الذهبي كي يكون هناك فارق بيني وبين الديوك العادية.

أجاب "الماڤي":

ـ قل لي فحسب كيف يمكنني أن أساعدك في استعادة هيئتك الطبيعية!

قال الديك ذو العرف الذهبي:

ـ في حديقة كبير جن الشر يوجد بئر به ماء مسحور، إذا كنت تستطيع إحضار كوب منه وترشني به ثلاث مرات لكن شريطة ألا ألاحظ ذلك عندئذٍ يمكنني استعادة هيئتي القديمة. لكن يجب الأخذ في الاعتبار أن تنينًا ذا اثنتي عشرة رأسًا يحرس هذا البئر ولا يمكن الوصول إليه لأن هذا التنين يسمع دبة النملة، وبالتالي سيلحظ الإنسان.

كان الفتى شجاعًا لم يخف من هذا الأمر، بل وكان لديه السيف الذي لا يُهزم، لكنه لم يخبر الديك ذا العرف الذهبي بهذا الأمر، وأجابه كالتالي:

ـ قل لي فحسب أين أجد حديقة كبير جن الشر هذا!

ـ يوجد جبل يمتلك القدرة على التحدث كالبشر عليه لوحة من الرخام: من يستطيع رؤيتها ويتمكن من قراءة المكتوب عليها، ويفتح حنجرة هذا الجبل سيعرف، لأن هذه الحنجرة تتحدث بصوت إنسان.

ـ لكن قل فحسب الآن كيف أستطيع الذهاب إلى هناك!

ـ اقطف جزءًا من عرفي!

ـ ألن يؤلمك؟

ـ خذ جزءا منه فحسب، ولا تهتم بألمي!

شدّ الفتى جزءًا من عرف الديك، ثم قال له الديك:

ـ اقذف هذا الجزء المقطوع من عرفي في الهواء، وهذا سوف يسير أمامك في كل مكان. إذا توقف هذا الجزء في الهواء فاعلم أنك وصلت، أما عن الباقي فمتروك عليك.

وقد كان بالفعل، فقد سار عرف الديك أمام الفتى يقوده وهو يبعد عنه مسافة ثلاثة أمتار أمامه. ظلا يسيران طوال ثلاثة من الأيام وثلاث من الليالي حتى وصلا إلى غابة كبيرة في وسطها جبل شاهق. وقف العرف الذهبي فوق الجبل ففهم "ألمافي" أنهما الآن عند الهدف.

تلفت حول الجبل كثيرًا فرأى في نهاية المطاف اللوحة المطلوبة. ماذا كان مدونًا عليها؟ كان مكتوبًا عليها أن من يريد فتح حنجرة هذا الجبل عليه أن يحضر بقوته الشخصية شجرة صنوبر لها اثنا عشر غصنا وأن يشعل النار فيها، ولما أن تخمد الشرارة الأخيرة سوف تُفتح حنجرة الجبل.

ماذا كان يمثل الأمر بالنسبة له؟ أمسك بالشجرة وأزال عنها الأشواك وصنع المشعل وأشعل النار تحتها جيدًا. خرجت منها رائحة طيبة جميلة من الصنوبر. ولما أن انطفأت الشرارة الأخيرة كانت هناك نار كبيرة مشتعلة من اثني عشر غصنًا من شجر الصنوبر فجأة قال الجبل بصوت عميق.

ـ ماذا تتمنى، أيها الإنسي الذي أحضر بقوته اثني عشر غصنًا من ورد الصنوبر، وفتحت بها حنجرتي؟

أجاب الفتى:

ـ فقط قل لي أين تقع حديقة كبير جن الشر؟ وأين أصبحت عروسة البطل المسحور إلى ديك؟

أجاب الجبل:

ـ توجد العروسة في جبل زجاجي يقبع في قاع البحر.

ـ وماذا فيما يتعلق بحديقة كبير الجن الشرير؟

ـ اتجه دومًا ناحية الشرق! وانظر فوقك إلى عرف الديك!

على هذا انطلق عرف الديك في الحال وظل يسير في سفر لمدة ثلاثة أسابيع ليلًا ونهارًا وتحته الفتى، ثم وقف العرف ثانية، فهناك كانت الحديقة.

دخل الفتى إلى الحديقة، لكن هيهات هيهات فالحديقة يحرسها تنين ذو اثنتا عشرة رأسًا، وعندما رأى الفتى أطلق التنين صيحة عالية اهتزت من وراءها كل الحديقة، فاستيقظ على إثرها كبير جن الشر، لكنه كان يعتقد أن هناك طائرا ما يحلق ولهذا صاح التنين.

في هذه الأثناء تقيأ التنين نارًا من فمه، لكن بلا فائدة فقد استل الفتى سيفه، واشتغل السيف من تلقاء نفسه: ضربة سيف واحدة تساوي قطع ثلاث من رؤوس التنين، أي أنه بأربع ضربات كانت الرؤوس الاثنتا عشرة للتنين قد سقطت طريحة الأرض، وعندئذٍ جاء كبير جن الشر إلى الحديقة. كان الفتى منهكًا ومتعبًا فاستلقى ونام: لم يلحظ أن كبير جن الشر قد كبله. واستيقظ فقط لما أن تم وضعه في الحبس، وقال له كبير الجن بشكل فج وهو يضحك ساخرًا منه.

ـ حسنًا يا أخي، سنتقابل بعد مرور ثلاثة أسابيع! وإلى ذلك الحين لن تحصل على لقمة واحدة.

كان "ألمافي" يغني ويشدو فحسب: فقد كان محبوسًا بين أربعة جدران لا يحصل على طعام ولا شراب، لكنه تحمل هذا الوضع!

ولما أن انقضت الأسابيع الثلاثة دخل عليه كبير جن الشر وقد اعتقد أن "ألمافي" قد مات من الجوع. أمر الخدم بعمل نار كبيرة ليشعل النيران في جسد "ألمافي"، إلا أنه عندما وصل إلى المكان المسجون فيه "ألمافي" ماذا سمع؟ لقد سمع "ألمافي" يغني ويشدو بعلو صوته، فتملّكه الغضب وقال.

ـ لقد ظننت أنك قد مت من الجوع منذ زمن وأنني سوف أقوم بحرق جسدك. ألازلت على قيد الحياة؟ إذًا هذا أدعي أن أشعل النار فيك حيًّا.

وانطلق نحوه ليأخذه إلى النار.

حسنًا لم يكن "ألمافي" كسولًا، فأمسك بملك جن الشر وكبّل ساقه ويده وأخذه كحزمة القش إلى الحوش الكبير. أثناء ذلك قال له:

ـ هل تعلم أن من يحفر حفرة لأخيه يقع فيها؟ أردت أن تشعل النار فيّ، لكنني أنا الآن من سوف يشعل النيران فيك.

ثم أشعل النار فيه ورمي برفاته في مهب الرياح، ومنذ ذلك الحين وقد انتشر الشر في العالم كله.

أحضر "ألمافي" إبريقًا ثم ملأه من ماء البئر المسحور ثم انطلق عائدًا. كان حظه جيدًا فقد كان عرف الديك دومًا فوقه ينتظره في السماء، فسافرا ثانية لكن هذه المرة عائدين من حيث أتيا:

ثلاثة أسابيع من السير ليلا ونهارًا إلى أن وصلا إلى تلك الغابة التي كان يعيش فيها ذلك الديك ذو العرف الذهبي، وهناك اختفت النجمة(١)، ثم استلقى "ألمافي" فراح في النوم.

نام حتى بزوغ الفجر، وعند شقشقة النهار استيقظ ثانية على صياح الديك الواقف على أحد الأشجار، فقال له:

ـ اهبط من على الشجرة، أيها الديك ذو العرف الذهبي!

هبط الديك ذو العرف الذهبي من على الشجرة، وسأل الفتى:

ـ هل كنت محظوظًا؟

ـ للأسف لا أستطيع مساعدتك، فلم أتمكن من الوصول إلى الماء المسحور!

لقد قال ذلك فقط لكي لا يعلم الديك أنه سوف يرشه بالماء المسحور.

حزن الديك ذو العرف الذهبي، وأحني رأسه، فأخرج "ألمافي" الإبريق من دون أن يلحظه الديك ورشه بهذا الماء ثلاث مرات، وعلى هذا انتفض الديك وهز نفسه وتحول إلى شاب بطل جميل أمام "ألمافي". حضن "ألمافي" وقبله وشكره على صنيعه الطيب.

عندئذٍ قال "ألمافي":

ـ هل تعلم ماذا حلَّ بعروستك؟

ـ لا أعلم ـ أجاب الجني الطيب ـ لأنني في ذلك الوقت كنت مسحورًا.

ـ لقد سألت الجبل وأخبرني أنها في أحد البحار محبوسة في جبل من الزجاج هناك، لكن أين عساه أن يكون هذا البحر فلا علم عندي بهذا الأمر.

ـ أعلم أين يكون هذا البحر، لكنني لن أستطيع أن أفعل أي شيء، فمن يستطيع أن يرى قاع البحر؟ أنا لا أستطيع فعل ذلك. أليست هناك وسيلة أخرى؟

ـ قال "ألمافي": اترك لي هذا الأمر فحسب! لننطلق في الحال!

مشيا سيرًا على الأقدام لبعض الوقت، وقد كان الجني قد استعاد سلطته، وأصبح يستطيع

---

(١) يقصد عرف الديك الذي يسايره كظله.

الطيران، فقال لـ "ألمافي":

ـ أتعلم فيم أفكر؟ اجلس فوق ظهري وسأطير بك.

ـ لكنني سأكون ثقيلًا.

ـ لا تعر الأمر بالًا. إذا تعبت من الطيران سنهبط ثانية ونواصل الطريق سيرًا على الأقدام.

طارا وقتًا طويلًا ثم واصلا طريقهما سيرًا على الأقدام. ثلاثة أيام بلياليها كانا دومًا يسيران فحسب أحيانًا سيرًا على الأقدام وأحيانًا أخرى في وضع الطيران، إلى أن وصلا إلى شاطئ البحر، عندئذ قال الجني:

ـ لقد وصلنا إلى البحر "ألمافي"، فماذا ترى؟

قال "ألمافي":

ـ لنطير إلى منتصف البحر كي أرى كلا شاطئيه.

حلقوا فوق البحر، فقال "ألمافي" فجأة:

ـ ها هي، يا صديقي الجني! لا أندهش من أن ملك الشر أراد أن يخطف عروستك فهي بنت جميلة حسناء رائعة الجمال!

ـ إذًا هل تراها يا صديقي؟

ـ نعم أراها فهي تتمشط الآن في جبل الزجاج! لنهبط إلى الشاطئ! في الواقع لا يمكنني مساعدتك في هذا الأمر، فالموضوع الآن يتوقف عليك يا صديقي الجني، فكيف نستطيع تحريرها من هنا لأنني لن أنزل إلى الماء.

ـ المهم أنك تراها أين هي، أما عن الباقي فأنا كفيل به!

نزل الجني إلى الماء، وصاح في أحد أسماك الكراكي الأمهر في السباحة من بين الأسماك بأن تجمع كل رفيقاتها من الأسماك وأن يرفعن هذا الجبل الزجاجي من قاع البحر إلى سطحه.

في الحال أخبرت سمكة الكراكي كل من في مملكتها ولم يكن مضي من الوقت ربع الساعة حتى رفعن جبل الزجاج من القاع. ولما أن قامت الأسماك برفع الجبل الزجاجي بحيث يمكن الوصول إليه أمسكه "ألمافي" وسحبه مرة واحدة فأصبح على الشاطئ، وبلكمة واحدة كسر

الزجاج إلى نصفين فتحررت الآنسة الجنية من دون ضرر أو أذى.

عمت الأفراح والسعادة هناك. احتضنا العاشقان بعضهما بسعادة غامرة فقد اعتقدا أنهما لن يتقابلا ثانية في حياتهما مرة أخرى. ولما أن همَّا بالعناق ثانية كان صقر يحلق فوقهما. لاحظ الجني ذلك فأومأ للصقر أن يقترب منه فطلب منه أن يطير إلى موطنه الأصلي ويحمل الخبر لأمه أنهم هنا وأن ترسل إليهم عربة يجرها خيل كي يصلوا إلى هناك في أسرع وقت لأنه وحبيبته يستطيعان الطيران، لكن "المافي" لا يستطيع. بالفعل وصلت العربة وكانت عبارة عن عربة من الذهب الخالص تجرها أربعة من الخيول ذوات الأجنحة الطائرة. ركبوا فيها جميعا وذهبوا إلى موطن الجن.

عمت الأفراح الغامرة في بيوت الجن. قدَّم الفتى لأمه وإخوته البنات "المافي" على أنه الذي أنقذه من السحر وكذلك من حرر عروسته، وبعد ذلك أراد "المافي" أن يودعهم، لكن الفتى الجني لم يسمح له بذلك، وقال له:

ـ ابق هنا يا صديقي حتى زفافي واختر أنت أيضًا واحدة من بين أخواتي عروسة لك.

بعد ثلاثة أيام أقاموا الزفاف، وكان "المافي" شاهدًا على عقد القران. كان هناك فرصة لـ "المافي" كي يتزوج لكن لم يقع في غرام أحد، باستثناء تلك الفتاة الموجودة في القلعة الطائرة. رأى بنتي الجن. "سوف أدخرهم لأخويّ الكبيران" ـ فكر ذلك في نفسه.

ولما أن انقضى العرس سأل الفتى الجني "المافي" ما هو الغرض من سفره، فأخبره "المافي" بأنه يبحث عن القلعة الطائرة، إلا أن الجن أنفسهم لم يسمعوا لها خبرًا من ذي قبل، إلا أن الفتى الجني قال:

ـ لقد ساعدتني، وربما أتمكن من مساعدتك أيضًا، فلنسافر سويًا.

بالفعل قطعا الطريق أحيانًا سيرًا على الأقدام وأحيانًا أخرى وهما يطيران. ظلا في الطريق ثلاثة أسابيع كاملة، وقد تجولا في سبعة وسبعين بلد.

ولما أن كانا يحلقان فوق البحر ثانية بالمصادفة فهاذا لمح "المافي" من بعيد؟ إنها القلعة الطائرة! فأشار لصاحبه بأن يسير في اتجاهها نفسه، لكن كان عليهما الطيران لمدة ثلاثة أيام أخرى بلياليها حتى تقابلا مع القلعة لأن "المافي" قد رآها من بعيد جدًا.

وقد رأيا الفتاة مرة أخرى في الشرفة، لكن كيف يمكن الوصول إليها من دون أن تشعر. قال الجني:

ـ أتعلم فيما أفكر، يا صديقي؟ أفكر في التحليق فوق القلعة ونهبط في ساحتها الأمامية، وأضعك هناك من على ظهري ونتسلل سويًّا إلى الغرف.

إلا أن "ألمافي" قال:

ـ شكرًا جزيلًا على طيبتك يا صديقي، لكن أنت لديك زوجة، فلا تخاطر بحياتك، لكنني أطلب منك شيئًا واحدًا، فأنا لدي والدان وأخوان يكبرانني، اذهب إليهم وخذهم إليك وزوِّج أخوايَّ الكبيران لأختيك.

وهكذا ودّعا بعضهما البعض، ثم توجه الفتى الجني إلى حيث طلب منه، أما "ألمافي" فقد ذهب مباشرة إلى القلعة. اقتحم الباب، وفتش في كل الغرف، فوجد سريعًا تلك الشرفة التي كانت تطل منها تلك الفتاة منهمرة في البكاء عندما دخل عليها "ألمافي"، فقال لها:

ـ لِمَ تبكين يا روح قلبي ويا عمري؟

فقالت الفتاة:

ـ ولِمَ لا أبكي وأنا مكبلة بالسلاسل هنا في هذه القلعة، وفي هذه الشرفة تحديدًا منذ ثلاثة أعوام.

نظر "ألمافي" فوجد فعلًا أن الفتاة مربوطة بقوة من ساقها ويدها بسلسلة قوية، وعلى السلسلة أقفال كبيرة، ولكنه عقد العزم على فك السلسلة من ساق ويد الفتاة.

لم يبحث عن مفتاح القفل موجود أم غير موجود، فكانت قوته هي مفتاح الأقفال.

ـ قولي لي الآن يا حبيبة قلبي ويا عمري كيف جئتِ إلى هنا... إلى هذه القلعة الملعونة؟

حكت الفتاة هذه الأشياء:

ـ أنا ابنة ملك؛ ذات مرة ذهب أبي إلى الصيد في الغابة المجاورة لكنه لم يعثر على أي صيد، ولما أن عاد من رحلة الصيد تقابل مع أحد المسوخ فأمسك بسهمه وصوب عليه، فأصاب المسخ إلا أنه قال لأبي إنه سوف يدفع الثمن غاليًا على جرحه وأنه سوف يفقد ابنته الوحيدة مهما كان حرصه عليها. ابتسم أبي فحسب فكيف يستطيع هذا المسخ الدخول إلى القصر الملكي وهناك كل

هؤلاء الجنود! ثم بعد ذلك سيطر الحزن على البيت. لم يقل لنا لكننا رأينا أن الجميع يخيم عليه الحزن، وكان من غير المجدي سؤالنا له ما السبب في كل حزنه هذا، ولكن بمجرد أن تناسى الموضوع أو ربما فكر في أن المسخ لن يفي بوعيده فقد خرجت في أحد الأيام الجميلة أتمشى في الحديقة الملكية وكان يحرسني أبي بشدة ففي كل خطواتي هناك مرافقون كي لا أبقى وحيدة في الحديقة. فجأة شيء ما شدّ انتباهي، لكن ما عساه أن يكون هذا الشيء؟ صياح عالٍ، تلفّتُ حولي لأعرف ماهية هذا الصياح فلاحظت أن هناك قلعة طائرة، ثم هبطت القلعة أمام عيني مباشرة، ولما أن هبطت على مسافة متر من سطح الأرض خرج منه واثبًا المسخ وخطفني، وعندما استدركت ما حدث وأفقت من الرعب فقد وجدت نفسي في هذه الشرفة. في البداية لم أكن مكبلة بهذه السلسلة وكنت أتجول بحرية داخل غرف القصر، لكن المسخ كان يبحث عني في كل يوم، وطلب مني أن أكون زوجة له، ولم أوافق وأردت الهرب لذلك قام بتكبيلي هكذا في هذه الشرفة، لكنه لم يتعامل معي بغلظة قط، ولم ينقصني أي شيء، فقط لم أتنقل بحرية. إلى يومنا هذا هو يظهر كل يوم ويسألني هل فكرت في الأمر، لكنني أفضل أن نطير هكذا إلى يوم القيامة على أن أكون زوجة له!

ـ أجاب "الماقي" قائلًا: أين يمكنني أن أجد هذا المسخ؟

أجابت الأميرة:

ـ يتكون هذا القصر من مائة غرفة، ويسكن المسخ تحديدًا في الغرفة المائة، وأعتقد أنه الآن يقضي القيلولة[1]؛ إنه قوي لا يمكن التغلب عليه، علاوة على ذلك فهناك في غرفة الخزين برميل يشرب من خمره، وإذا أردت مصارعته فانهض أنت الآخر واحتسي من هذا المشروب فعندئذٍ من الممكن أن تهزمه.

وجد "الماقي" غرفة الخزين والبرميل، لم يبحث عن كوب، لكنه أمسك بالبرميل وشرب منه الكثير جدًّا. فجأة شعر أن عضلاته أصبحت كما لو كانت من الحديد، كما أن قوته قبل ذلك أيضًا هي قوة ألف رجل، وانطلق الآن يبحث عن المسخ.

كان صوت الشخير عاليًا لدرجة أنه سمعه من الغرفة السبعين، فاتجه صوب الشخير إلى أن وصل إلى الغرفة المائة حيث كان يوجد المسخ، فركله من مضجعه:

---

(١) القَيْلُولَةُ: نومةُ نصف النهار، أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوم.

- استيقظ أيها المسخ!

استيقظ المسخ بالفعل وفرك بعينيه فرأى أمامه أن إنسيًا جاء في أمر ما، فقال له مباشرة وهو لم يستيقظ بشكل كامل:

- كيف تجرؤ على إزعاجي في أحلامي؟

- لأن أحدنا يجب أن يلقى حتفه الآن - قال "ألمافي".

- حسنًا، أرى أنك إنسان تقف على قدميك، وشاب جسور! إذن لننطلق ونرى حالًا!

كانت هناك كرة حديدية تزن قنطارًا. استيقظ المسخ وقال:

- من يستطيع منا أن يكسر الجدار بهذه الكرة الحديدية سيكون المنتصر.

- ارمها أنت أولًا، أيها المسخ! - قالها "ألمافي".

أمسك المسخ بالكرة الحديدية وقذفها بالجدار بيد واحدة فدخلت نصف الكرة في الحائط فقط. لم يكن "ألمافي" كسولًا، فاستخرج الكرة من الجدار ورمى بها فاخترقت الحائط وخرجت ساقطة في ساحة القلعة. فأيقن المسخ الآن مع من يتنافس، فقال:

- أرى أنك رجل قوي، لنذهب إلى الساحة لنتبارز.

بدأت المصارعة بينهما في الحوش. كان "ألمافي" يمتلك قوة ألف رجل، أما قوة المسخ فكانت بألف ومائتي رجل لذلك أمسك بـ "ألمافي" وقذفه على الأرض حتى كادت عظامه أن تتهشم، تمالك "ألمافي" نفسه بصعوبة وجمع كل قواه فأصبح يمتلك قوة ألف وخمسمائة رجل فأمسك بالمسخ ورماه أرضًا كالفطيرة في يد الخباز وأخرج روحه الشريرة من جسده.

عندئذٍ جرى "ألمافي" إلى الشرفة حيث توجد الفتاة ووقف أمامها وقال:

- يا حبيبة القلب والروح. إذا كنتِ تريدين فلن يفرقنا إلا الموت، ولا شيء إلا ذلك! فمنذ عامين وأنا أبحث عنكِ في كل مكان!

ثم قصَّ على مسامعها كيف رآها في القلعة الطائرة أول مرة، والآن أصبحت الفتاة عاشقة لـ "ألمافي" هي الأخرى فقد كان المنقذ لحياتها علاوة على أنه فتى جميل وجذاب، وفي الحال وعلى متن القلعة الطائرة أقسما يمين الولاء على الحب بينهما.

لم يكن "ألمافي" معجبا بهذا الطيران المتواصل، فسأل الفتاة عن كيفية إيقاف هذه القلعة. كانت الفتاة على علم بأن هذه القلعة لها جناحان واحد على اليمين وآخر على اليسار، لكنها لم تكن تدري كيف يمكن إيقاف هذه الأجنحة، فقال لها الفتى:

- إذا لم تكن هناك وسيلة أخرى فسأقطع جناحيها! سأقطعهما عندما أرى اليابسة!

فجأة وبينما كانا يتحدثان في الشرفة قفز "ألمافي" في لمح البصر ثم قال للفتاة الملكية:

- يا حبيبة القلب والروح، ليس فقط أرى يابسة، بل أرى مدينة كاملة!

ظلت الفتاة لا ترى شيئًا حتى مجيء اليوم التالي، أما في اليوم الثالث ولما أن وصلت القلعة الطائرة إلى المدينة فقد رأتها. استل "ألمافي" سيفه وبضربة واحدة قطع أولًا أحد جناحيها، ثم جاء دور الآخر. كانا في مكان جيد فقد كانت هذه المدينة هي عاصمة والد الفتاة.

كانت المدينة بأسرها متشحة بالحداد الأسود بعد خطف الفتاة منذ ثلاثة أعوام، وكان على الجميع أن يضع علمًا أسود على منزله ليلًا ونهارًا فقد أصدر الملك مرسوما ملكيًّا صارمًا أن الابتسامة ممنوعة على الجميع. كانوا يعاقبون حتى من فتح فمه قليلًا ليبتسم.

انتبه الملك على الضجيج فخرج إلى البلاط الملكي فرأى القلعة الطائرة! عمت السعادة عندما شاهدوا البنت المفقودة تثب خارجة مع الرجل البطل، وفي الحال عرَّفت الفتاة عريسها ومنقذ حياتها على أبويها.

توقف الحداد في المدينة، وأصدر الملك مرسوما بسحب كل الأعلام السوداء وليفرح الجميع! أقاموا الأفراح ودعوا الفتى الجني الطيب وكلا أخويّ "ألمافي" والوالدين العجوزين، فكان عرسًا عظيمًا بحق. وربما ما زالا على قيد الحياة إن لم يكن قد توفاهما الله.

الثور المطهّم

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار. كان هناك رجل فقير له ابن، ولما توفت زوجته قرر أن يتزوج من امرأة أخرى لديها خمس بنات؛ البنت الصغرى كان لها ثلاث عيون وكان للثانية أربع عيون وللثالثة خمس عيون وللرابعة ست عيون، أما الخامسة فلها سبع عيون ترى بها من كل جانب.

كان للرجل الفقير ثوران صغيران، المفضل فيهما يسمونه "سيلاي"، وكان الولد يصطحب هذا الثور إلى المراعي كل يوم، وكانت زوجة الأب تخبز للفتى الخبز بصفة مستمرة فيأكله دوما ولا شيء غير الخبز، لذلك شعر الثور بالحزن والأسى على حال صاحبه ولذلك قال له ذات مرة:

ـ يا صاحبي العزيز أنت تعيش على الخبز فقط! هناك لدي من الطعام ما يكفي لك، يجب أن تعرف أن أمرك يهمني، اسحب قرني الأيسر وتمنَّ ما تشتهيه من الطعام وستجده.

قام الولد بسحب القرن الأيسر، وبالفعل وجد ما تمنى فأكل وشرب ثم أعاد للثور قرنه، وهكذا كان النظام بشكل يومي إلى أن أصبح الولد ممتلئ البنيان وقوي الجسد. ذات مرة تساءلت زوجة الأب كيف ولماذا أصبح الولد بتلك الهيئة لذا أرسلت البنت الصغرى لتعرف ماذا يأكل الولد تحديدا.

أعطى الفتى للثيران الطعام، وكان الثور المطهّم على علم بما سوف يحدث فأخبر الفتى قائلًا:

ـ انتبه! غدًا سوف تأتي البنت الصغرى التي لديها ثلاثة عيون. العب معها حتى تغفل عيونها الثلاث تمامًا، وإلا فسوف ترى من أين تأكل، ولك كل الويل والوعيد عندئذ.

وبالفعل قد كان؛ لعب الولد والبنت معًا حتى شعرت بالنعاس وغفلت أعينها كلها، وعندئذٍ سحب قرن الثور وأكل وشبع ثم أعاد القرن إلى مكانه، وعادت البنت إلى المنزل فسألتها الأم قائلة:

ـ هل تناول الولد شيئًا؟

ـ لم يأكل سوى الخبز.

أرسلت زوجة الأب في اليوم التالي مع الولد البنت صاحبة العيون الأربع لتعرف ماذا يأكل هذا الولد. نبه الثور عليه مقدما أن عليه أن يلعب مع هذه البنت حتى تخلد للنوم وتغفل عيونها تمامًا.

استجاب الولد للنصيحة التي قيلت له واتجه ليلعب مع البنت ولكنه اكتشف بالفعل كما قيل له أن البنت لم تنم، إلا أنها في نهاية المطاف استسلمت للنوم ولما راحت في النوم سحب الولد القرن ومن ثم أكل وشرب ثم أعاده إلى مكانه كما جرت العادة؛ وفي المساء عاد الولد والبنت إلى المنزل فسألت الأم ابنتها عما شاهدته، بيد أن البنت التزمت الصمت ولم تقل شيئًا.

في اليوم التالي أرسلت زوجة الأب البنت ذات العيون الخمس ولكن أخبر الثور الولد ماذا عليه فعله، وقال له أن يلعب معها حتى تغفل أعينها كلها.

فعل الولد ما تم الاتفاق عليه وظل يلعب معها حتى غلبها النعاس. ثم أكل وشبع وأعاد القرن إلى مكانه ثم كانت العودة إلى المنزل في المساء. قالت البنت لأمها أنها لم تر سوى الخبز.

في اليوم التالي تم إرسال البنت صاحبة العيون الست، وأمرتها أمها أن تتنبه بشدة لما يدور حولها إلا أن الوضع لم يختلف كثيرًا حيث حدث معها ما حدث مع الأخريات. وفى المساء قامت الأم بضرب الفتاة لأنها لم تر شيئًا هي الأخرى.

قررت زوجة الأب أن تمضي البنت صاحبة العيون السبع لتراقب الفتى. قال الثور للفتى ما يجب عليه فعله وأخبره أن يكون متنبهًا جيدًا، وقال وهو يبكي:

ـ يجب أن تلعب مع الفتاة ذات العيون السبع حتى تنام وتغفل عيونها السبع.

بدأ الولد والفتاة في اللعب معًا حتى نامت الفتاة وفحص الولد عيونها وتأكد من نومها إلا أنه لم يلحظ أن لها عين أخرى خلف رقبتها ما زالت متيقظة. لاحظت الفتاة أن الولد قام بسحب قرن الثور ثم أكل وشرب.

فى المساء قالت الفتاة لأمها السبب في نضارة الولد وقوة بنيانه ونوعية الأكل الذي يتناوله.

ـ إنه يتناول طعام لا يتناوله النبلاء والأثرياء من قرن "سيلاي"!

عرفت السيدة بشكل مسبق ما سوف تفعله؛ ادعت أنها مريضة، وقالت لزوجها إن مرضها لن يشفى ما لم تأكل من لحم "سيلاي".

كان الأمر صعب جدًا أن يقنع الرجل نفسه بذبح الثور، لكن أمام إصرار الزوجة رضخ لطلبها في نهاية الأمر. اشتكى الثور باكيا للولد بسبب ما يخططونه له:

ـ اعلم يا صاحبي العزيز أنهم يخططون لذبحي غدًا! ولكن كن على ثقة أننا سوف نهرب. غدًا عندما يحين وقت الذبح اطلب من أبيك أن تصطحبني إلى المجزر بنفسك، وعندما أنحني اقفز بين قرني.

في اليوم التالي أخذوا الثور ليذبحوه، ولما أن رأى الولد الثور وهو ينحني استعدادا للذبح قفز بين قرنيه. لم ينبطح الثور نحو الأرض تماما ولكن ارتفع في الهواء وطار مع الولد، أما الباقون فقد مكثوا عند ظل الشجرة مندهشين مما يدور حولهم.

طارا كثيرًا ثم وصلا بعد وقت طويل إلى غابة نحاسية كبيرة حيث نزلا فيها لبعض الوقت، ثم رغب الفتى في قطف وردة نحاسية جميلة، وطلب من الثور أن يأتي له بواحدة وأن يثبتها على قبعته، وبالفعل قام بقطف واحدة وثبتها على القبعة، فقال الثور:

ـ لِمَ لا تتركني أعيش بسلام؟ يجب على أن أعاني الآن ثانية.

لما أن خرجا من الغابة النحاسية وجدا ذئبًا كبيرًا.

ـ هه... توقفا مكانكما! لما عبثتما بغابتي النحاسية؟ الآن عليك أيها الثور "سيلاي" أن تدفع ثمن ذلك وتصارعني.

ـ ليس لدي مانع من مجابهتك، فلنبدأ الآن! ـ قالها الثور "سيلاي".

أمسك الثور "سيلاى" الذئب وضربه ثلاث ضربات وقذفه في الهواء فوقع على الأرض مكسور الرقبة والقدم، ولم يستطع التحرك بعد ذلك، ثم قال الثور للولد:

ـ أرأيت أنه كان من الممكن أن أكون فريسة للذئب، لا تحاول قطف أي شيء من الغابة ثانية.

سارا وظلا يمشيان كثيرًا حتى وصلا إلى غابة فضية جميلة جدًّا أوراق أشجارها من الفضة، بدأ الولد يتوسل للثور أن يسمح له بقطف وردة. كان الثور طيب القلب وأمام إصرار الولد رق قلبه وسمح له الثور في النهاية أن يقطف وردة فضية من الغابة.

استكملا المشي إلى أن وصلا إلى حافة الغابة حيث ظهر لهما أسد هناك، وقال:

ـ ماذا حدث في الغابة؟ فقد سمعت أنكما آذيتما غابتي الفضية!

تعارك الثور والأسد. التفت قرون الثور حول الأسد وبطريقة ما قام بنطح الجانب الأيمن للأسد فتغلغلت قرونه داخل جسده. في المقابل قام الأسد بقضم الأذن اليمني للثور، ثم قال "سيلاي":

ـ هل رأيت الآن ماذا حلّ بنا، أرجوك لا تحاول مرة أخرى قطف شيء من الغابة لأنني حينها سوف أفقد حياتي.

استكملا المشي إلى أن وصلا إلى غابة ذهبية نظيفة جميلة للغاية ومليئة بالورود الذهبية. أراد الولد أن يقوم بقطف وردة ذهبية وطلب من الثور ذلك، فقال الثور باكيًا للولد:

ـ لا تقطف منها شيئًا لأن هذه الغابة ليس لها حارس واحد.

لم يأخذ الولد بنصيحة الثور فقام الثور بهز رأسه قائلًا:

ـ أرى أنني قاربت على النهاية وأنني سأصارع الأرنب الصغير وسوف يسقط قرني الأيسر، عندئذٍ خذه واعتن به وضعه في منديلك وسيظل يوفر لك ما يكفيك من الطعام.

وبمجرد أن وصلا إلى حافة الغابة ظهر نمر وتنين بثلاث رؤوس وأرنب أسود صغير. تحدث التنين كما لو كان ملك الغابة:

ـ حسنًا أيها الثور "سيلاي" يجب عليك أن تستسلم وإلا سوف تعرض نفسك ومعك الولد للعبودية بقية حياتك، كما يجب أن تصارع ثلاثتنا الواحد تلو الآخر. لمَ آذيتما الغابة الذهبية؟

حزن الولد وندم على ما فعل. كان يبكي كثيرا لأن الثور سيلقي حتفه، لكن الثور قال له:

ـ لا تبك فهذه ليست النهاية بعد، يمكنني مجابهة هذا أيضًا.

في ظهيرة اليوم التالي تقاتل كل من النمر والثور، وقد أمسك برقبة النمر محيطًا بها من كل جانب، وقذفه على الأرض فتهشمت عظامه، ثم ذهب ليرعى وقال للولد:

ـ إذا بحث عني أحد أخبره أني أتى غدا في الظهيرة، أما إذا كان الوضع لا يحتمل التأخير فانفخ في المزمار وسآتي في الحال.

جاء الأرنب الأسود الصغير وسأل الولد أين الثور "سيلاى"؟ فنفخ في المزمار كما لو كان يعزف مقطوعة موسيقية، فقال الأرنب الأسود عندئذٍ:

ـ اترك المزمار في حاله وأخبر الثور "سيلاي" أنه غدا أثناء الظهيرة سوف يقاتلني: هذا هو أمر التنين صاحب الرؤوس الثلاث ملك الغابة.

جاء الثور وسأل الولد ماذا حدث، فقال له إن الأرنب الأسود الصغير جاء أثناء غيابه وترك لك رسالة مفادها أنه سيصارعه في الغد. لما أن حلّ الغد وجاء وقت العراك بين الثور والأرنب الصغير قام الأرنب بالدوران إلى الخلف ثم وثب وأمسك بالثور وحطم عظامه. لما

رأى الولد ما حدث هرب بعد أن التقط القرن ثم وضعه في منديله وأكمل السير حزينًا. وصل الولد وحيدا هذه المرة إلى مرج جميل، فجلس وسحب القرن ليأكل ويشرب ثم رقد ونام وعندما استيقظ وجد المرج ممتلئًا بقطعان الماشية التي خرجت من قرن الثور أثناء نومه، فبدأ الولد يراوده القلق كيف سيستطيع أن يعيد كل هذه الماشية إلى قرن الثور "سيلاى" لأنهم كلهم قد خرجوا منه، لكنه لم يستطع إيجاد حل لهذا الأمر.

في هذه الأثناء جاءت امرأة عجوز ساحرة شريرة بمعني الكلمة. رأت الولد حزينًا مغمومًا فسألته بلطف عما جعله في هذه الحالة:

ـ أنا لا أستطيع إدخال كل هذه القطعان الكثيرة إلى قرن الثور.

ـ إذا كانت هذه هي المشكلة، فالمشكلة إذًا ليست بالكبيرة، فيمكنني فعل هذا الأمر لك بسهولة. فقط احلف أمامي أنك لن تتزوج قط.

حلف الولد بصعوبة، ولما أن أقسم أمامها قامت وأدخلت القطعان إلى حيث أراد الولد ثم ودّع السيدة العجوز ورحل.

ولم يمض وقت طويل إلى أن وصل الولد إلى إحدى الطواحين ثم طلب المبيت هناك. كان لدى الطحان بنت حسناء أحبها الولد وأحبته، وطلبت البنت من الولد أن يتزوجها، لكنه أخبرها أنه أقسم من قبل ألا يتزوج أبدًا.

ـ إذا كانت هذه هي المشكلة فحسب فيمكنني مساعدتك. فقط كن شجاعًا، ولن يمسك سوء ـ قالت ذلك ابنة الطحان.

عندئذٍ تعانقا وتزوجا.

ولما أن انتهت مراسم الضيافة ونام كل من في البيت وضعت العروسة على المائدة رغيفًا وإبريقًا من الماء، ثم وضعت بجانب الباب شوكة حديدية ومقشة واقفة على رأسها. كان حسابها جيدًا لأن الساحرة الشريرة قد جاءت عند منتصف الليل، وصرخت في المقشة:

ـ افتحي الباب أيتها المقشة!

فقالت المقشة:

ـ لا يمكن ذلك لأنني واقفة على رأسي!

ثم صرخت في الشوكة الحديدية:

- افتحي الباب أيتها الشوكة الحديدية!

- أنا أيضًا لا يمكنني ذلك لأنني واقفة على رأسي!

عندئذٍ صرخت الساحرة الشريرة في البيت:

- اخرج إلى هنا أيها الخائن بالقسم، فقد جاءت نهايتك!

هنا أجاب الرغيف:

- هه... أنت أيتها الساحرة الشريرة هل يمكنك أن تسمحي بشيء لا أسمح به أنا؟ لقد أخذوني وزرعوني في الأرض ثم نضجت وكبرت ورووني بالماء ثم طحنوني وسحقوني وبالماء رشوني ثم طهوني على النار ليأكلوني، وها أنا ذا ما زلت واقفا على قدماي هنا الآن بعد كل هذا.

- يا إلهي ما هذا المخلوق! هنا ساحرة أكبر مني! - قالت الساحرة الشريرة ذلك في نفسها.

فانفجرت الساحرة الشريرة من شدة غضبها وانفلقت إلى نصفين في الحال.

أما الشابان فما زالا يعيشان حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"إيلوك" و"ميهوك"

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والأوان، كانت هناك أرملة لديها طفل ساذج يدعي "ميهوك"، ذات مرة قال "ميهوك" لأمه:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ أريد إيلوك، يا أمي.

ـ انهض، وابحث عنها يا بني!

وتوجه "ميهوك" إلى بيت عائلة "إيلوك"، وهناك حصل على إبرة كهدية، وأثناء الرجوع سئم من حملها في يده، فما أن وصل إلى عربة العشب، حتى غرزها فيها، ووصلت العربة، و"ميهوك" ظلَّ يبحث عن الإبرة الملقاة في العشب من دون كللٍ أو مللٍ، ولكنه لم يجدها، ورجع إلى منزله، إلى أمه.

ـ أين كنت، يا "ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني.

ـ ماذا أعطوك؟

ـ إبرةً.

ـ دعني أراها!

ـ غرزتها في عربة العشب، ولم أجدها فيها قط.

ـ ياه، يا بني! لم تفعل الصواب، كان يجب عليك أن تغرزها في طرطورك.

ـ سأفعل ذلك المرة القادمة.

ويقول لأمه مرة ثانية:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، ياميهوك يا حبيبي؟

ـ أريد إيلوك، يا أمي.

ـ انهض، وابحث عنها يا بني!

يذهب "ميهوك" ليرى الفتاة، وحصل على محراثٍ هدية، وأثناء الرجوع للمنزل وضعه على طرطوره، ولكنه لم يثبت عليه: فكان يشد الطرطور مرةً إلى اليمين ومرة إلى اليسار، وارتطم برأسه كثيرًا، إلى أن طفح الكيل من المحراث فطرحه في الوحل، ورجع المنزل ويداه فارغتين.

ـ أين كنت، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني.

ـ ماذا أعطوك؟

ـ محراثًا.

ـ دعني أراه!

ـ غرزته في الطرطور، ولكنه لم يثبت فرميته على الأرض.

ـ ياه، يا بني، لم تفعل الصواب، كان يجب عليك أن تضعه على كتفك، وهكذا تحضره إلى المنزل.

ـ سأفعل ذلك المرة القادمة.

ومرة أخرى يطلب "ميهوك" من أمه الشيء نفسه:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ "إيلوك"، يا أمي.

ـ انهض، وابحث عنها يا بني!

يتوجه "ميهوك" إلى بيت الفتاة، ويحصل على كلبٍ صغيرٍ هدية، وأثناء العودة إلى المنزل وضعه على كتفه، وهكذا سوف أحضره إلى المنزل، ولم يُعْجب الكلب بأية حال من الأحوال بهذا الوضع، وكلما ضغط الكلب عليه، كلما انتفض "ميهوك" واثبًا إلى الأعلى، وفي نهاية المطاف بدأ في عقر كتفه، مما أوجع الفتى، فقذفه أرضًا، ورجع إلى منزله، إلى أمه..

ـ أين كنت، يا "ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني.

ـ ماذا أعطوك؟

ـ كلبًا صغيرًا.

ـ دعني أراه!

ـ حملته على كتفي، ولكنه كان شقيًّا للغاية، فتركته.

ـ ياه، يا بني، لم تفعل الصواب، كان يجب عليك أن تربطه بقطعةِ حبل، وتجره وراءك، وتناديه: بوبي تعال هنا! بوبي تعال هنا!

ـ سأفعل ذلك المرة القادمة.

ومرة أخرى يسأل "ميهوك" أمه:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، يا "ميهوك" يا حبيبي؟

ـ "إيلوك"، يا أمي.

ـ انهض، واذهب إليهم يا بني!

ينطلق "ميهوك" إلى "إيلوك"، ويحصل هذه المرة على هديةٍ تُقدر بنصف شحم الخنزير،

فربطها بحبلٍ قويٍ متينٍ، ومشي على مِهلٍ وهو يجرها خلفه باتجاه المنزل، وظل يناديها باستمرار: بوبي تعال هنا! بوبي تعال هنا! ولم تستطع الكلاب أن تمنع نفسها كثيرًا، وتجمّعوا حول شحم الخنزير من كل مكان بالقرية، وإلى أن وصل "ميهوك" إلى المنزل، كانوا قد أكلوها كلها، ولم يتبق منها سوى العظام، التي ظل الحبل مربوطًا بها.

ـ أين كنت، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني شحم خنزير كبيرًا!

ـ ولكن ليس هذا سوى العظم.

ـ ربطتها بحبلٍ وسحبتها خلفي، وربما تكون قد أكلتها الكلاب.

ـ ياه، يا بني، لم تفعل الصواب، كان يجب عليك أن تحملها على ظهرك، وتُحضرها إلى المنزل لنعلقها على الشواية.

ـ سأفعل ذلك المرة القادمة.

ومرة أخرى يسأل "ميهوك" أمه:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ "إيلوك"، يا أمي.

ـ انهض وابحث عنها يا بني!

ومرة أخرى يذهب "ميهوك" إلى بيت الفتاة، فأعطوه عِجلًا، فربط الحبل في رقبته، وحمله على ظهره، وكم من مرةٍ ضجُرَ وتململ الفتى من حمل هذا العجل، إلى أن وقع على الأرض وركل العجل بقدميه، المهم أنه أحضره إلى المنزل بعد عناء طويل، وسحبه إلى السطح وعلّقه في غرفة الخزين العلوية.

ـ أين كنت، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني عِجلًا!

ـ أين هو، لم أره.

ـ أحضرته إلى المنزل على ظهري، وعلقته على الشواية.

ـ ياه، يا بني يا حبيبي، أنت لم تفعل الصواب، كان يجب عليك أن تلف حبلًا على رقبته برفقٍ، ثم تقوده بسلاسةٍ إلى المنزل، وتضعه في الجُرْن وتربطه بالمعلفة وتضع له العشب.

ـ سأفعل ذلك المرة القادمة.

ومرة أخرى يسأل "ميهوك" أمه:

ـ أمي الحبيبة، أود أن أتزوج.

ـ ومن تريدها، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ "إيلوك"، يا أمي.

ـ انهض، واذهب إليها يا بني!

يذهب "ميهوك" ويعطونه له هذه المرة الفتاة نفسها، وإذ بـ "ميهوك" يربط الفتاة بحبلٍ، ويسحبها نحو المنزل، وهو يناديها: "يا عجلتي الصغيرة! يا عجلتي الصغيرة! وما أن وصل إلى المنزل حتى ربطها بالجرن، ووضع أمامها العشب، وأغلق الباب بالمزلاج ودخل إلى المنزل.

ـ أين كنت، يا"ميهوك" يا حبيبي؟

ـ عند "إيلوك"، يا أمي الحبيبة.

ـ وماذا أخذت لهم؟

ـ لم آخذ لهم شيئا، وإنما أعطوني.

ـ ماذا أعطوك؟

ـ "إيلوك".

- وأين هي؟

- ربطتها في الجرن.

- ياه، يا بني، لم تفعل الصواب، انهض بسرعة ورتب على كتفيها برفق، وتعامل معها بلطف وحنان، وأحضرها إلى المنزل.

وذهب ميهوك في التو واللحظة إلى الجرن، وتعامل معها بلطفٍ وحنان. اعتقدت "إيلوك" أن "ميهوك" يهزأ بها، ولكنها استثقلت هذا الهذر، وجرت عائدةً إلى منزلها.

خلال ذلك اجتمع أهل العرس لإحياء الزفاف، وذهبوا مع العريس وراء العروسة يُطَيِّبون خاطرها، وأحضروها إلى منزل عائلة "ميهوك"، ولما أن انتهى واجب الضيافة، طلَّعوا "ميهوك" و"إيلوك" إلى سطح الجرن، وأرقدوهما على العشب، ولم يكن لـ "إيلوك" مزاجًا في هذا الفراش، وقد دار في خلدها أن تترك له المكان، وظلَّت تضيع بعض الوقت، ولكن "ميهوك" لم يصدقها، لذا ربط بإصبع قدمها الكبير خيطًا طويلًا، وهكذا تركها، وحالما أصبحت "إيلوك" في الخارج، فكت الخيط في ساحة المنزل وربطته في قدم عنزة(١)، وانطلقت إلى منزلها، وانتظر "ميهوك" طويلًا، وخرج مسرعًا وراءها، وعندما لم تأت هزَّ وجرَّ الخيط، وبسبب هزْ وجرْ الخيط مأمأت العنزة، ونظرت أم "ميهوك" إلى هذا الصخب، فصعدت إلى سطح الجرن لتستطلع ماهية الأمر.

- أين "إيلوك"، يا بني؟

- هناك، تحت، لقد تحولت إلى عنزة يا أمي.

- كيف تحولت إلى عنزة؟

- ربطت بقدمها خيطًا، والآن أسحب الخيط، فلا ترد، وإنما تمأمئ فحسب.

وتتبعت الأم الخيط حتى وصلت إلى العنزة، وأدركت الحقيقة، فأيقظت الضيوف، وذهبوا إلى العروسة، وأصلحوا ذات بينهم، وأعادوها مرة أخرى إلى العريس، وتزوجا. وما زالا يعيشان حتى الآن ما لم يكن قد توفاهما الله.

---

(١) أنثى المعز والظِّباء والأوعال، والجمع عنزات.

الثعلب والذئب في عرس زفاف

ذات مرة كان هناك حفل زفاف في القرية، وشمَّ الثعلب الرائحة، ففكّر في التسلل خِفية إلى هناك، وأقنع الذئب بأن يذهبا معًا إلى هذا الحفلِ.

قال الذئب:

ـ هيا نذهب مع أنني أخشى الندم على ذلك فيما بعد.

أجاب الثعلب:

ـ لا تخف من أي شيء، فقط تعال معي!

وبمجرد أن وصلا إلى ساحة العرس، كان كل الضيوف موجودين عند مائدة الطعام في الحجرة بالداخل.

قال الثعلب:

ـ اسحب نفسك قليلًا إلى هنا، أيها الذئب الرفيق، ودعني أُشَمْشِمْ إلى أين ندخل.

شمْشمْ الثعلب، ثم دخل بحذرٍ إلى البيت.

ـ "قبل أي شيء أذهب إلى غرفة الخزين" ـ فكر هكذا في نفسه. وبالفعل بحث عن غرفة الخزين المرادة، إلى أن وصل إليها وفتحها، وشاهد كم الخمر والبالينكا والبسكويت الموجود هناك، "حسنًا من الأفضل أن نتسلل إلى هذا المكان" ـ فكر في هذا الثعلب، ثم دعا الذئب أيضًا.

شرعا يحومان حول المكان، وقد بدآ بالبسكويت، ولاحظ الثعلب وجود إناء من المحشي، فقال للذئب:

ـ من الأحرى أن تذوق هذا الإناء أولًا!

وأخذا يأكلان المحشي، ثم بعد ذلك جاء دور الفطير، فالكعك بالسمن البلدي، فالزلابية، فالفطير المقلي. ثم قال الذئب:

ـ حسنًا أيها الثعلب الرفيق لقد حان الوقت كي نحتسي شيئا.

فتحا صنبور الخمر على برميل كبير، وشرباه كله... لقد شربا حتى الثمالة، وشرعا في التهيآت والتخيلات! وصرخ وصاح كلاهما، مع هذا فإن للثعلب لم يكن قد غاب عقله تمامًا،

على الرغم من أنه كان ثملًا، واقترب من حفرة تحت العتبةِ كي يتمكن من الاختباء حال حدوث شجار.

بينما كان الضيوف يتناولون الحساء بالداخل في الحجرة انطلقت الطبَّاخة لإحضار المحشي لهم بعد الشوربة، وعندما فتحت غرفة الخزين، ماتت من الرعب مما رأت: فقد رأت ثعلبًا سكِرًا وذئبًا ثملًا يشدوان متعانقين!

جرت إلى الضيوف، وقصّت مذعورةً ما رأت! في البداية لم يرغبوا في التصديق، واعتقدوا أن هذه إحدى طرائف حفل الزفاف، ولكن البعض منهم ذهب ليكتشف الأمر، وإلى أن وصلوا فقد أخذ الثعلب نفسه واختبأ في الجحر لذلك وجدوا الذئب بمفرده، فأوسعوه ضربًا! وهكذا ضربوا الذئب، حتى تهشمت عظامه وبالكاد استطاع الهرب تسللًا من غرفة الخزين.

وأثناء ذلك فقد جري الثعلب، وخرج إلى نهاية القرية، وهناك رقد على كومة من الحطام، وراح في النوم، ولم يستيقظ إلا على شيء يتدافع أو يتهاوى على الأرض، ففتح عينيه وهو منعوس، لينظر من هذا، ولم يكن أحدًا سوى الذئب الرفيق! وبالكاد كان الذئب يستطيع السير من السُكر، ومن تورم كل أضلاعه، وتأوه مشتكيًا للثعلب:

ـ لا أستطيع حتى السير!

ورد الثعلب غاضبًا:

ـ لماذا تتأوه؟ إن عظامك ليس بها سوى تورم، أما عظامي فقد دخلت في جانبي، هل ترى كم هي بيضاء؟ ـ ويريه الحُطام المُلتصق به من مكان نومه.

توسل الذئب، كي يحمله الثعلب على ظهره، لأن في هذه المواقف تظهر الرجال على حقيقتها! وواصلا السير!

قال الذئب:

ـ كيف أحملك، وأنت ترى عظامي في هذه الحالة المرثي لها؟ من الأحرى أن تحملني أنا... احملني!

وما كان من الذئب الثمل بعقله البسيط الساذج إلا أن حمل الثعلب، وانطلق وهو يحمله على ظهره، عندئذ بدأت تظهر علامات الرضا والارتياح على وجه الثعلب لما آلت إليه الأمور،

وكان يردد قائلا:

ـ مغلوب يحمل منتصر... مغلوب يحمل منتصر!

قال الذئب:

ـ بماذا تهمس أنت فوق ظهري، أيها الثعلب الرفيق؟

فقال الثعلب:

ـ ألم تسمع ما قلت أيها الرفيق، إنني أقول مغلوب يحمل منتصر... مغلوب يحمل منتصر!

والآن فقط فهم الذئب بوضوح ما يقوله الثعلب، وحينئذ غضب وحمل الثعلب إلى بعيد، ثم رفعه لأعلى، ورماه من فوق ظهره، بحيث إن أضلاع الثعلب الآن أيضًا قد طقطقت وتورمت بالفعل في جسده.

وثب الثعلب حانقًا، وأخذ في ضرب الذئب! طاخ... طاخ! وأخذ بضربه بعيدا عن العظام حتى لا تنكسر.

وتعلق كل منهما في رقبة الآخر لدرجة أنهما لم يريا ولم يسمعا، ولم يلحظا أن الضيوف قد لحقوا بهما، وربما ما زالا يتذكران تلك الواقعة حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله!

الملك ذو اللحية الخضراء

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام في سالف العصر والزمان، فيما وراء بلاد العجائب السبع، كان هناك ملك ذو لحية خضراء.

ذات مرة عقد الملك ذو اللحية الخضراء العزم على أن ينطلق ليتجول في البلاد، وظل هكذا يسير ويجول لفترة طويلة من الزمن. فجأة تنبه إلى أنه قد مر على خروجه من منزله سبعة عشر عامًا، وقد أصبح مجهدًا للغاية من كثرة التجوال والتنقل، وشعر بالعطش فجلس على شاطئ أحد الجداول المائية، ثم شق بيده لون المياه، كي يشرب منها الكثير ويرتوي تمامًا، وبالكاد رشف واحدة أو اثنتين وإذ بأحد ما يمسك بلحيته، وود سحبه للخلف، لكنه لم يتمكن من ذلك، فصاح ناحية الماء قائلا:

- هل تسمع أيها الشخص الذي لا أعرفه، اترك لحيتي إذا كنت تريد أن تبقى في سلام!

لكنه زاد من شدها، ثم بدأ في التوسل لأنه قد تم شده داخل المياه حتى كاد يختنق، وفجأة قال أحد ما في المياه:

- إذا أعطيتني ما لا تعرفه في بلدك، سأترك لحيتك.

قال الملك ذو اللحية الخضراء:

- وما الذي لا أعلمه أنا في بلدي؟ فأنا أعرف كل خرم إبرة فيها!

- عِدني فحسب بأن ما لا تعلمه في بلدك فهو لي! - قال ذلك ملك الشياطين في الماء. نعم لقد كان هو!

قال الملك ذو اللحية الخضراء:

- حسنًا، لك ما طلبت! فأنت مع ذلك لن تستطيع طهي رغيف من الخبز في بلدي من دون علمي!

كان إحساسا سيئًا الاستلقاء الإجباري على البطن الذي لا لزوم له. في نهاية المطاف تركه ملك الشياطين، ثم انطلق الملك نحو وطنه عائدًا مفكرًا ماذا عساه أن يكون هذا الشيء الذي لا يعرفه هو في موطنه.

لما أن وصل إلى البيت فإذ بفتى يافع جميل يسرع أمامه ويثب على رقبته ويقبله كثيرًا، ويقول له:

ـ يا خسارة يا أبي، فكم من وقت طويل تركتنا! يا له من أمر طيب أن تكون معنا في البيت مرة أخرى! أنا "يانوش"!

ظل الملك يحدق فحسب، ثم دفع الفتى بعيدًا عنه وسأله:

ـ أبو من أكون أنا؟ وأنت ابن من تكون؟ أنا لا أعرفك!

لكن في الداخل حكت له زوجته أن هذا ابنه! فعمره من عمر خروج أبيه من المنزل.

عندئذٍ استعاد الملك ذو اللحية الخضراء عقله وتذكر أنه وعد ملك الشياطين شيئًا لا يعلم عنه في بلده. لقد كان هذا الشاب اليافع ابنه الذي لا يعرف عنه شيئًا! كاد أن ينفجر من شدة الغيظ! وفكر في ألا يعطيه الولد، لكنه خاف أيضًا من أن يأتي ملك الشياطين بنفسه من أجله.

استدعى ولده، وسرد على مسامعه كل شيء، لكن مع ذلك لم يرتعد الفتى وأقر بأنه ليس من الأمر في شيء أن يذهب بنفسه. في اليوم التالي استعد وذهب بالفعل.

ذهب الفتى وواصل السير في الاتجاه المعاكس لبلاد العجائب السبع، إلى أن وصل إلى ذلك الجدول المائي الذي أمسك لحية أبيه عنده. كانت هناك في المياه سبع بطات ذهبية جميلة رائعة تسبح، وكان هناك قميص ألقت به الرياح على الشاطئ. سحبه ناحيته والتقطه وأراد أن يحشره في حقيبته عندئذ تحولت إحدى البطات السبع إلى حورية جميلة، وقالت للفتى:

ـ أيها الأمير الجميل، أعرف من أنت وإلى ماذا تسرع. أنت ابن الملك ذي اللحية الخضراء وأنت ستذهب إلى أبي لأنه قد ربحك من أبيك. أعطني قميصي، واصنع خيرًا، تجد خيرًا!

أعطاها الأمير إياه. ارتدت البنت الملابس وسحبت من إصبعها خاتمًا من الذهب وأعطته للأمير:

ـ حسنًا خذ هذا! يمكنك أن تدخل إلى اثنتي عشرة بوابة للقلعة من دون أن يلحظك أحد. فقط افرك الخاتم وستنفتح البوابة أمامك. إذا ما دخلت سوف يقول لك أبي أشياء لن تستطيع فعلها مهما كانت قدراتك. أنا سأكون في عونك. قرابة الساعة الثامنة مساء سأكون في شكل نحلة تصدر طنينًا عند نافذتك، فأدخلني ولا تخف من شيء!

ارتدى الفتى الخاتم وودع الفتاة واتجه نحو قصر ملك الشياطين. قطع الطريق من خلال اثنتي عشرة بوابة، ولما كان يفرك الخاتم كانت الأبواب تفتح من تلقاء نفسها. في المرة الأخيرة فتح باب القصر ووقف أمام ملك الشياطين.

ـ جلالة الملك! العفو لرأسي! ها أنا ذا أمامك!

ـ أنت تتحدث بشجاعة ملفتة للنظر، فربما لا تعلم لمن أتيت؟

قال الأمير:

ـ بلى أعلم، أنت لست أكثر من أبي: هو أيضًا ملك، وأنت أيضًا ملك، هذا هو الأمر كله.

امتلأ الملك غيظًا.

ـ حسنًا انتظر! عليك أن تنجز ثلاثًا من المهام. إذا أنجزتها فالعاقبة خير، وإن لا، فانتظر الموت! هذه هي ورقة ملفوف(١)، أمسكها! سوف أغلق عليك الغرفة وإن لم تتمكن من صنع قبعة من الريش المرفوع منها فقل على روحك السلام!

ثم وضعوه في غرفة واحدة وأغلقوا الباب على الأمير من الجوانب الثلاثة، ووضعوا له الطعام والشراب كي لا يشعر بالملل. ولما أن جلس إلى نفسه أصبح حزينًا للغاية، ولكنه قال في نفسه:

ـ سأجعل أمك تبكي عليك يا ملك الشياطين أنت! فقد أعطيتني ما لا أستطيع فعله حتى لو تطلب الأمر عالما على العالم الذي نحيا فيه!

ظل الفتى حزينا يفكر ثم سمع طنينًا عند النافذة، فجالت بخاطره تلك الفتاة. ذهب إلى هناك وسمع أن النحلة تقول:

تعال يا حبيبي!... أريد مصلحتك!

فتح النافذة في التو واللحظة فطارت النحلة إلى الداخل، وتحولت إلى بنت جميلة خلابة الجمال.

---

(١) المَلْفُوفُ: الكُرُنْبُ وهُوَ بَقْلَةٌ زِرَاعِيَّةٌ أَوْرَاقُهَا خَضْرَاءُ، مَائِلَةٌ إِلَى بَيَاضٍ، مَعَ بَعْضِ الصُّفْرَةِ، يُؤْكَلُ مَطْبُوخاً ونَيِّئًا. او ورقُ العنب ونحوُه يلفُّ على حَشْو من الأرز واللَّحم المقطَّع ويطبخ.

ـ حسنًا يا حبيب القلب قل لي فيما يمكنني مساعدتك؟

قص عليها "يانوش" أن عليه أن يصنع من ورقة الملفوف هذه قبعة من الريش المرفوع، فقالت له الفتاة:

ـ إذا كانت هذه المشكلة فحسب، فلا تحمل للأمر همًّا. أين ورقة الملفوف هذه؟

ـ ها هي!

ـ حسنًا أنظر فحسب! ـ وفي هذه اللحظة كانت هناك قبعة لا مثيل لها من الريش المرفوع تقبع على المائدة.

أجحظ الفتى عينيه وهو يحدق، فلم ير أمرًا كهذا من ذي قبل. عندئذٍ قالت له الفتاة الجميلة:

ـ سآتي مساء الغد أيضًا لكن لا تنتظرني كثيرًا مثل اليوم. إذا سمعت طنيني اسمح لي بالدخول. الآن سأذهب، افتح النافذة.

في هذه اللحظة تحولت مرة أخرى إلى نحلة وطارت.

استلقى الفتى لينام بارتياح. علم أن ملك الشياطين سيندهش للوهلة الأولى عندما يرى هذا، وفي صباح اليوم التالي ذهب الملك إلى الأمير، وبمجرد أن فتح الباب رأى على المائدة القبعة من الريش المرفوع، فقال للفتى:

ـ حسنًا لقد أتممت ذلك بمهارة!

قال الفتى:

ـ نعم بالطبع هذا ما كان!

ـ إذا كنت هكذا فخورًا بنفسك، فإنني سأعطيك ما لا تستطيع إنجازه!

وهكذا خرج ملك الشياطين وأحضر إبريقا من الورق الملفوف.

ـ بحلول صباح الغد إن لم تستطع أن تصنع واخزًا فضيًّا للخيل فانتظر الموت!

علي هذا هزَّ الفتى كتفه فحسب.

ـ هذا أيضًا سوف يتم تدبره، فالله في العون والمساعدة!

وهكذا خرج الملك وبقي الفتى بمفرده، وقال وهو يفكر في نفسه:

"ورقة ملفوف وواخزا فضيًا للخيل! لن يكون من هذه شيئًا. يا له من عقل مجنون يمتلكه هذا الملك كي يخترع أشياء من هذا القبيل!"

انتظر المساء حتى الساعة الثامنة. جاءت النحلة الصغيرة.

تعال يا حبيبي!... أريد مصلحتك!

فتح النافذة فكانت تلك الفتاة الجميلة التي رآها من شاطئ الجدول المائي. قص عليها ماذا أمره أبوها أن يفعل. لكن كان الأمر بسيطا للغاية بالنسبة لها. لقد صنعت واخزا فضيا من ورق الملفوف لا تخطئه العين. يا لها من سعادة غمرت الفتى! حضن الفتاة وقبلها، كما رغب قلبه، ثم اهتزت الفتاة وأصبح منها نحلة صغيرة مرة أخرى، وطارت.

كاد ملك الشياطين أن يقع مغشيًا عليه لما أن رأى ذلك الواخز الفضي الباهر الجمال، إلا أنه لم يهدأ روعه حيال الفتى. المهم أراد أن يقضي عليه بكل ثمن، ويفقده حياته. أحضر إبريقا من المياه النظيفة المصفاة.

ـ حسنًا إن لم تصنع درجة نحاسية من هذا بحلول صباح الغد، فلتكتب وصيتك مبكرًا.

لم يتفوه الأمير بكلمة واحدة. انتظر حتى المساء فقد اعتقد أن الأمر سيسير كما سارت الأمور من ذي قبل ثم ينتهي الأمر. لكن هيهات هيهات لما أن تحولت النحلة الصغيرة الجميلة إلى فتاة، علمت بالأمر، هزت رأسها فحسب بأنها لا تستطيع أن تنجز هذا الأمر، ثم قالت للأمير:

ـ هل تعلم ماذا؟ لنذهب من هنا لأن هنا لن يكون مصير أحدنا محمودًا سأضربك بصولجاني لتتحول إلى خاتم ذهبي، وسيتحول حصاني إلى تفاحة ذهبية، أما أنا فسأكون عصفورة صغيرة، وسنخرج.

وقد كان. تحول الأمير إلى خاتم ذهبي والحصان الصغير الجميل إلى تفاحة ذهبية وصارت الفتاة عصفورة صغيرة في فمها الخاتم وأمسكت بقدمها التفاحة وانطلقت في لمح البصر.

في صباح اليوم التالي لاحظ الأب أن البنت والأمير غير موجودين. علم في الحال أنهما

ينفخان في الصخر، فقال لخادمه:

ـ اذهب وراءهم وإن استطعت أحضرهم إليَّ!

يا له من جري ومسافة قطعها هذا الخادم! فقد كان يسير كالبرق.

فجأة قالت العصفورة للخاتم:

ـ تهب رياح عاصفة خلف ظهري، إنهم يأتون في إثرنا! ـ وقد كان ذلك صحيحًا.

رأت شجيرة كثيفة فهبطت في وسطها.

كان الخادم في إثرهما فورًا، لكنه بحث عنهما بلا فائدة، فلم يجد شيئًا، فعاد إلى المنزل وقال للملك:

ـ جلالة الملك لم أجد لهما أي أثر في أي مكان! فقط كانت هناك شجيرة في البرية كان في وسطها عصفورة صغيرة ليس إلا.

ـ لقد كانت هي تلك العصفورة، أيها الحمار! أرى أنه يجب أن أذهب بنفسي لأنه لا يمكن الاعتماد عليكم في أمر كهذا.

ولما أن رأت هبوب رياح عاتية فقد رأت ملك الشياطين. فضغطت العصفورة الصغيرة لكن كان بلا فائدة أن تحاول الذهاب إلى أي مكان ما لم تكن على الحدود في التو، فإن لم تكن هناك لكان مسكها لا محالة. لكن قوة ملك الشياطين كانت سارية فقط حتى حدود بلده، بعد ذلك لا. لما أن رأى أنهما قد تخطيا الحدود فقد اشتاط غضبًا حتى إنفجر في الحال.

تحولت العصفورة الصغيرة ثانية إلى بنت جميلة، والخاتم إلى الأمير، والتفاحة الذهبية إلى الحصان الجميل. ركب كلاهما الحصان وعادا إلى البيت إلى بلد الملك ذي اللحية الخضراء، وهناك تزوجا وأقاموا الأفراح والليالي الملاح. لقد كنت هناك أنا أيضًا في هذا العرس كعازف الصغير، وأكلت حتى شبعت من النقانق والسجق، وبقي طعام لليوم التالي. لأدخل جهنم الحمراء إن لم تكن هذه هي الحقيقة! وما زالوا أبطال هذه الحكاية يعيشون حتى الآن، إن لم يكن قد توفاهم الله!

"يانوش" القوي

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، كانت هناك أرملة لها ابن اسمه "يانوش" عمره ثمانية عشر عامًا. لم يرغب في العمل على الإطلاق. كانت الأم تشعر بالأسى والحزن على حال ولدها ومستقبله؛ فهو لم يقم حتى بنقل أي شيء من مكانه قط.

لما بلغ من العمر عشرين عامًا كان الجيران يبنون منزلًا، وكانوا في هذا التوقيت يريدون حمل الدعامات الخشبية الثقيلة إلى أعلى. فقال "يانوش" لأمه:

ـ ماذا يفعل هؤلاء هناك في الجوار؟

ـ إنهم يشيدون منزلًا، يا بني. الجميع يعمل إلا أنت!

ـ سأذهب أنا الآخر يا أمي لأساعدهم!

وبالفعل ذهب، وكان العمال يتعذبون من حمل هذه الدعامات الثقيلة، فكانوا يسحبونها ويجرجرونها يمينا ويسارا، لكنهم لم يتمكنوا من رفعها لأعلى، فقال لهم "يانوش":

ـ تنحوا جانبًا، سأحملهم أنا... لا تخافوا! ابتعد من هنا أيها الرجل، فأنت لا تساوي شيئا! بالتأكيد أنتم لا تستحقون حتى الأكل!

وهكذا أمسك "يانوش" بالدعامات ورفعها إلى أعلى بكل سهولة ويسر، ومنذ ذلك الحين وقد أصبحت له شهرة كبيرة في البلاد: كانوا يستدعونه دوما للعمل باليومية مع العمال. ماذا جنى من عمله هذا؟ لقد عاش مستورًا هو وأمه فحسب.

كان قاضي القرية رجلًا بخيلًا. فقال لـ "يانوش" ذات مرة:

ـ اقترب مني يا "يانوش". سأعيلك أنت وأمك لمدة عام كامل، لكنني لن أعطيك أجرًا، لكن من يغضب وينفر من تصرفات الآخر أسرع سيحصل على حزام وصندل.

ـ اتفقنا، فليكن الأمر كما حكمت، يا سيدي القاضي!

كان لدى القاضي مرعى كبير به الكثير من رؤوس الأغنام.

ـ حسنًا "يانوش". ليس عليك سوى أن تصطحب هذه الأغنام لترعاها وأن تقطع كل الأشجار لنحصل على خشبها!

في اليوم الأول اصطحب "يانوش" الأغنام، ونظر في حقيبة الزاد المعدة له، فلم يجد بها أي نوع من الطعام، فأمسك بأفضل وأجمل خروفين وذبحهما وسلخهما وأشعل النار وشواهما وتناولهما، ولما أن عاد في المساء سأله القاضي:

ـ حسنًا "يانوش"، هل قطعت الكثير؟

ـ نعم بالطبع، أجمل اثنين!

اعتقد القاضي أنه قد قطع اثنين من الأشجار... بل أفضل الأشجار. في اليوم التالي اصطحب الأغنام، وأيضًا لم يضعوا في حقيبته أيًا من الطعام والشراب. في ذلك اليوم أيضًا أمسك بخروفين آخرين وذبحهما وشواهما وأكلهما بالكامل. في اليوم الثالث فعل مثلما حدث في اليوم الأول والثاني. أما اليوم الرابع فقد ذهب القاضي بنفسه ليرى ماذا يفعل "يانوش" فإذ به يرى أن ستة من الضأن ناقصون، ولا توجد شجرة واحدة مقطوعة، فسأله القاضي:

ـ ماذا اشتغلت، يا"يانوش" يا حبيبي؟

ـ كما ترى يا سيدي القاضي! لكن أرجو من الله ألا تغضب مني؟

أخذ القاضي في الاعتبار أن "يانوش" العزيز يجب أن يأكل، وإلا فإنه لن يعمل، بل وسيقضي على قطيع الأغنام كله لا محالة. في اليوم التالي وضع له عيشًا ولحمًا مقددًا وبصلًا وقليلًا من "البالينكا" في الحقيبة. رأى "يانوش" ذلك فقطع كل الأشجار، ولم يترك منها شيئًا.

حسنًا، لقد نفدت الأشجار. في اليوم التالي ذهب السيد القاضي و"يانوش" ليحرثا الأرض. بحلول الظهيرة ولما أن أكلت الثيران وتغذي السيد القاضي أيضًا، قال "يانوش":

ـ سيدي القاضي، أود أن أتجول حتى المنزل، فلدي عادة أنني عندما أحرث، يجب أن أتمشى أيضًا.

انطلق "يانوش"، متجولا نحو المنزل. في هذا الوقت لم تكن زوجة القاضي بمفردها في المنزل بل كان لديها منشد(١) المدينة. وبمجرد أن رأت "يانوش" من بعيد قالت:

ـ اختبئ في أي مكان لأن هناك مشكلة، أيها المنشد!

---

(١) من يؤدِّي الشِّعرَ بتلحين وحسن إيقاع.

بالفعل اختبأ المنشد خلف المدخنة. دخل "يانوش" فسألته زوجة القاضي:

ـ ما المشكلة يا "يانوش"؟

ـ لقد قال لي السيد القاضي أن ألقي بكل هذه الأعواد الخشبية خلف المدخنة.

في السابق كانوا قد أحضروا إلى بيت القاضي مجموعة كبيرة من أعواد الفول الخشبية شديدة الخشونة. ألقي "يانوش" بالأعواد الخشبية المليئة بالشوك كلها كلما لو كانت مسنونة كما أخبره سيده القاضي فأوخزت المنشد بشدة. ثم عاد مسرعًا إلى الحقل. سأله القاضي:

ـ حسنًا "يانوش"، هل تجولت وتمشيت؟

ـ نعم سيدي القاضي... لنواصل العمل الآن!

ظلا يحرثان الأرض حتى المساء ثم عادا إلى المنزل.

اشتكت زوجة القاضي مما فعله "يانوش" لما كان في البيت وقت الظهيرة لأنه ألقى بكل الأعواد الخشبية خلف المدخنة، إلا أنها لم تقل إن المنشد كان هناك أيضًا.

في اليوم التالي ذهبا للحرث مرة أخرى. تجول وتمشى "يانوش" ثانية في وقت الظهيرة. وفي هذه المرة أيضًا ذهب إلى المنزل. وقد كان المنشد هناك أيضًا. لما رأت زوجة القاضي "يانوش"، إذا بها تقول للمنشد:

ـ يجب أن تختفي في مكان ما، لأن "يانوش" هنا ثانية.

عندئذٍ قال المنشد:

ـ ليذهب إلى الجحيم هذا الـ "يانوش" فهو إما عفريت في ثوب إنسان أو مجنون. في المرة السابقة وخزني بشدة، فماذا سيحدث معي في هذه المرة؟

ـ اذهب فحسب، واختفي بسرعة، لأنه هنا. يوجد حوض به صوف خلف الباب، اختبئ فيه!

دخل "يانوش" فسألته زوجة القاضي:

ـ ما الذي أتى بك يا "يانوش"؟

ـ قال لي السيد القاضي أن أقوم بغلي دلوين من الماء وأسكبهما على حوض الصوف الموجود خلف الباب.

وقد كان. اعترضت زوجة القاضي، لكن ماذا عساها أن تفعل فـ "يانوش" قد سخن الماء فعلا حتى وصل لدرجة الغليان ثم سكبه على الصوف وعاد متمشيًا إلى الحقل.

ـ هل تمشيت يا"يانوش"؟

ـ نعمل بالطبع يا سيدي القاضي... لنعمل الآن!

اشتغلا حتى المساء، ثم عادا إلى المنزل. اشتكت زوجة القاضي مرة أخرى لزوجها لأن "يانوش" قد ذهب إلى البيت وقام بغلي الصوف وكذا وكذا... خلاصة الأمر أنها لا تريد الاحتفاظ به كخادم بعد الآن.

ـ لكن كيف أدمره، كيف أتخلص منه ونحن لدينا حفل استقبال عن قريب؟ كما أنه هكذا سيأخذ صندلًا وحزامًا من لحمي الحي.

لقد وجدها القاضي... سيرسل "يانوش" إلى الغابة التي لا أول لها ولا آخر، فقال له:

ـ انطلق يا"يانوش" فلدي قطيع من الخنازير وراعي خنازير في الغابة يدعي العم "ميكلوش"، خذ له قميصًا وبنطلونًا، وقل له إنك أحضرت له قميصًا أبيضًا وبنطلونًا ناصع البياض لأنه لم يغير ملابسه منذ وقت بعيد، ثم أحضرا الخنازير سويًّا إلى البيت.

ذهب "يانوش" بالفعل، إلا أن القاضي لم يكن لديه قطيع من الخنازير أصلًا. لقد كان القاضي على قناعة بأن الحيوانات المفترسة في الغابة سوف تلتهم "يانوش" لا محالة.

المهم انطلق "يانوش" ومعه القميص والبنطلون، وجاب كل مكان في الغابة.

لم ير قطيع الخنازير ولا راعيها في أي مكان، لكن فجأة إذ به يجد في هذه الغابة الشاسعة التي لا أول لها ولا آخر سربًا من الخنازير البرية ودبًّا. كان الدب في هذا التوقيت يحيط بالخنازير. رأى ذلك "يانوش" فاعتقد أن هذا الدب هو راعي الخنازير العم "ميكلوش" الذي يقصده السيد القاضي، فوجه كلامه إلى الدب قائلًا:

ـ قف وخذ القميص والبنطلون! أحضرت لك ملابس ناصعة البياض. ثم بعد ذلك لنصطحب الخنازير إلى البيت.

لكن الدب لم يقترب منه.

ـ قف أيها العم "ميكلوش"! إلى أين أنت ذاهب؟

بدأ الدب يصدر أصواتا تنم عن غضبه:

ـ ممممممممم!

ـ لا تأخير ولا تأجيل... قلت الآن يعني الآن... عليك أن ترتدي القميص والبنطلون! لقد أمر بذلك السيد القاضي.

كان الدب يتثاقل يمينًا ويسارًا فحسب، فأمسك به "يانوش".

ـ أيها العم "ميكلوش" قلت لك تفضل القميص والبنطلون، البسهما ولنأخذ الخنازير إلى البيت!

لم يرغب الدب في ذلك، فأمسك به "يانوش" وأعطاه لكمتين. شرع الدب مرة أخرى:

ـ ممممممممم!

ـ قلت الآن، حالًا لنصطحب الخنازير إلى البيت!

رأي الدب أن "يانوش" يستعد لتوجيه لكمة إليه فاعتلى إحدى الأشجار.

ـ انزل من هناك أيها العم "ميكلوش" لنصطحب الخنازير إلى البيت... ستتأخر... سيحل المساء!

لم ينزل الدب، فالتقط "يانوش" عصا كبيرة، ووخزه بها فأنزله من هناك.

ـ حسنًا أيها العم "ميكلوش" ألن تأتي معي الآن أيضًا؟

بدأ الدب ثانية:

ـ ممممممممم!

قال "يانوش" له:

ـ دائما تقول اليوم... دائما تقول اليوم! قلت لك الآن حالًا!

وقد أمسك بأذن الدب وأعطاه لكمة قوية وجرَّه. وبالعصا الكبيرة جمع الخنازير، وباليد الأخرى كان ممسكًا بالعم "ميكلوش"، ولما أن رأت الخنازير أن كل منهم يحصل على ضربة بالعصا الغليظة هذه فقد تجمعوا في مجموعة واحدة وساروا بكل أدب إلا واحدا منهم لم يمتثل لأمر "يانوش" بل وحاول عضه، إلا أن "يانوش" وجه له ضربة قاتلة بالعصا جعلته ينقلب على

ظهره في التو، ثم قام بسلخه وشويه، وأعطى نصفه للعم "ميكلوش" كي يأكل هو الآخر.

أكلاه كله، ثم انطلقا ثانية. فكَّ "يانوش" العم "ميكلوش" الآن وأمره أن يحيط بالخنازير من الجانب الآخر، لكن الدب كان يلف ويدور فقط ولم يرغب في عمل أي شيء، فأمسك "يانوش" بأذنه ثانية وسحبه، وصرخ فيه أثناء السير قائلًا:

ـ سأصطحب الخنازير إلى البيت، وسآخذك أنت أيضًا!

عندما أرادوا الدخول من البوابة مع الخنازير رآهم القاضي، فقال لزوجته:

ـ يا خبر أبيض، ارحمني يارب! عاد "يانوش" مرة أخرى وقد أحضر الكثير من الخنازير!

قال "يانوش":

ـ العم "ميكلوش" هذا لا يساوي شيئًا! أعطيته القميص والبنطلون الأبيض ومع ذلك لم يرد أن يأتي معي، أما عن تناوله للطعام فحدث ولا حرج فقد التهم نصف خنزير بالكامل. لا تعطه أجرًا، فهو لا يستحقه!

ـ حسنًا يا بني "يانوش". لن أعطيه ولا حتى قرش واحد. إنه إنسان لا يستحق الحياة!

ـ لكن أين نربط الخنازير هذه؟

ـ اربط الخنازير على الطاولة، أما العم "ميكلوش" فوضعه في الحظيرة!

فعل "يانوش" ما طلب منه بالتمام والكمال، ووضع كل منهم في المكان المحدد. في اليوم التالي قال القاضي لـ "يانوش":

ـ من أين نأتي بطعام لكل هذه الخنازير؟ إنهم سيأكلونني ما لم نبعدهم إلى الغابة مرة أخرى! يجب إعادتهم إلى الغابة ثانية من حيث قدموا.

فقال "يانوش":

ـ أنا لن أكون راعيًا للخنازير. إذا كان الموضوع هكذا فأرجعهم بنفسك يا سيدي القاضي! وإن لم تستطع فأرجعهم بمساعدة العم "ميكلوش". اضربه فحسب عندما لا يريد المشي.

لم يرغب القاضي في الاقتراب من أي من هذه الأشياء لا من الخنازير ولا من العم "ميكلوش"، فقال:

ـ فلنذبحهم جميعا يا بني "يانوش"!

شرعوا في ذلك، وخلال يومين تم الانتهاء من ذبحهم جميعا، وكانوا يغطونهم بالقش، إلا أنه قد نفد القش في اليوم الثالث. لم يكن هناك ما يغطونهم به، فقال له القاضي:

ـ انهض واذهب إلى الجيران واقترض قشًا يا "يانوش" يا بني!

ذهب "يانوش" للجيران وطلب أن يعيروه قشًا، فقال له الجار:

ـ هناك في الخلف بجانب الإسطبل. يمكنك أن تأخذ من هناك مثلما تريد يا "يانوش".

حمل "يانوش" كومة القش كلها وخرج بها عبر حوش المنزل من الحديقة.

إلا أن كومة القش قد اشتبكت في سقف الإسطبل ولم يستطع "يانوش" أن يستمر هكذا في حملها، فطلب من الجار بالسماح له بتحريكها قليلًا.

ـ مسموح "يانوش"... مسموح... افعل ما ترى!

اعتقد الجار أنه يطلب تحريك القش قليلًا.

أمسك "يانوش" بسقف الإسطبل نفسه ونقله بعيدًا، وبعد ذلك غطوا بقية لحم الخنازير. أما الآن فهم يفكرون في المكان الذي يسع كل هذه اللحوم وهذا الكم الهائل من اللحم المقدد.

في هذه الأثناء جالت فكرة برأس القاضي وهي كيف يتخلص من "يانوش" نفسه الآن. كان هناك بئر كبير في حوش منزل القاضي، لكن لم يكن به ماء منذ وقت طويل. اقترح القاضي أن يتم وضع اللحم في البئر. أوقف "يانوش" في البئر يخزن اللحم، لكن فجأة قام القاضي بوضع حجرًا ضخما من أحجار الرحى على فتحة البئر كي لا يستطيع "يانوش" الخروج. رأى "يانوش" أنهم لم يعد يعطونه اللحم المراد تشوينه ففرد ساقيه على جانبي البئر يمينًا ويسارًا إلى أن وصل إلى فتحة البئر، فوجد أن حجرًا كبيرًا من أحجار الرحى قد أغلقها، لكنه بالطبع لم يوقفه هذا الأمر فاستمر في الصعود وأخذ يرطم رأسه بحجر الرحى. وإذ به يخرج من البئر وعلى رأسه حجر الرحى وذهب إلى القاضي موجهًا له التحية:

ـ مساء الخير وليبارك الله لك سيدي القاضي! لم ألبس قط قبعة كهذه من قبل سيدي القاضي. لكن سؤال كالتالي: أين بقية اللحم، ولِمَ لم تجلبوه إلى البئر؟

فرد القاضي:

ـ لقد بعت الباقي يا "يانوش".

في هذا التوقيت بالضبط جاء حامل الأخبار أنه يلزم ما بين عشرين إلى ثلاثين جنديًا من القرية. هناك حرب ضروس، فالأعداء يريدون احتلال البلاد. فرح القاضي لأن "يانوش" سيذهب إلى المعركة وسيتم إرساله إلى الحرب، فقال له في لحظتها:

ـ يجب أن تذهب إلى الحرب يا"يانوش" يا بني!

ـ وما الذي يجب فعله هناك، سيدي القاضي؟

ـ لا يجب فعل شيء سوى القتال.

ـ حسنًا سيدي القاضي سأذهب!

وضع لـ "يانوش" كل ما يلزم في حقيبة الزاد: وضع له دقيق الذرة الخاص بالعصيدة ولحم الخنزير ومقلاة أيضًا. انطلق "يانوش" مسرعًا ووصل إلى ساحة المعركة، ثم قال في نفسه:

ـ في البداية سأقوم بطهي العصيدة، ثم أبدأ بعد ذلك في القتال. سآكل أولًا جيدًا.

وبمجرد أن طبخ العصيدة حتى جاء رجال المدفعية الأعداء.

ـ لا تضربوني، وإلا فانتظروا ضربات قاسية مني!

بالطبع استمر الأعداء في المجيء والاقتراب، فمنهم من وقف بجانبه ومنهم من كان على رأس إناء الطهي، فقال لهم:

ـ وأيضًا تريدون أن تقلبوا وعاء طهي العصيدة! لن ينالكم مني سوى المصائب، إذا تصرفتم بشكل خطأ... وسنرى!

من الأعداء من وجد إناء الطهي فرطمه وكسره إربا ووقعت العصيدة المطهية على الأرض فغضب "يانوش" كثيرًا، ولم يحتمل أكثر من هذا بعد سكب طعامه. كان في الجوار خيمة، فأمسك بساقها الخشبية الكبيرة ونزل ضربًا في الأعداء ذهابا وإيابًا.

سمع الملك بأنه قد جاء أحد الرجال ويدعي "يانوش" وقد ضرب الأعداء، فاستدعاه إليه ووقره وزوجه ابنته. أقاموا عرسًا كبيرًا، وكان هناك الكثير من الأطباق والملاعق، وكان شخصا محظوظا من أخذ ولو نقطة شربة واحدة. لقد ذهبت أنا أيضًا إلى هناك، وطلبت أن يعطوني القليل من اللحم، فرماني أحد الرجال بعظمة في قدمي اليسرى، ومنذ ذلك الحين وأن أعرج.

هذه هي النهاية، اهرب بجلدك!

الشرشور الذهبي

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبع وبلاد ما وراء البحار، وأيضًا على بعد مسافة كبيرة من بيت أمي العجوز، كان يعيش ملك لديه ثلاثة من الأبناء.

بلغ الملك من الكبر عتيًا لدرجة أنه كان يحتفظ بعينه مفتوحة عن طريق رفع جفنيه بشوكة حديدية. ذات مرة قال هذا الملك لأبنائه:

- أبنائي الأعزاء، من يستطع أن يجلب لي من إكسير الحياة وماء الموت ويأت لي بالشرشور(١) الذهبي سوف أتقاسم معه مملكتي.

وفي التو واللحظة انطلق الأمراء الثلاثة ووضع كل منهم السرج على فرسه. امتطى الأخوان الكبيران أجمل حصانين، أما الصغير فأخذ حصانًا رماديًّا قبيحًا.

لما أن رأى الأخوان الكبيران أخوهما الأصغر ضحكا كثيرًا فكيف جاءت له الجرأة أن يمتطي حصانا رديئًا كهذا. لم يلتفت إليهم الأمير وانطلق إلى الأمام.

سار وواصل السير في الاتجاه المعاكس لبلاد العجائب السبع. خدعه أخواه بأن أرشداه عن طريق وسلكا طريقا آخر، وبالتالي استهزآ به وخدعاه، ومن ثم سلك هو هذا الطريق بمفرده. في طريقه وجد كوخا متهالكا قبيحًا تسكن فيه سيدة عجوز ألقى الأمير التحية هكذا:

- صباح الخير يا أمي، وليبارك الله لك!

- فليبارك الله لك أنت أيضًا يا بني العزيز! في أي أمر جئت؟

سرد لها في أي أمر قد جاء، فقالت السيدة العجوز:

- أنا لا أعلم شيئًا، لكن انهض وواصل السير فبعد الغابة تسكن سيدة عجوز أخرى لديها ما تقوله لك في هذا الشأن.

هنا أمسكت السيدة بإبريق ووضعته في يد الأمير.

---

(١) طائر صغير مثل العصفور، منقاره مخروطيّ، جناحاه مستطيلان وذنبه طويل، يميل لونُه إلى الزُّرقة الرماديّة، صدره خمريّ، وهو من العصافير الغرّيدة المأنوسة الزّقزقة، طعامه الحشرات والبذور البريّة.

ـ ابني العزيز في طريق عودتك إلى هنا أملأ هذا الإبريق بإكسير[1] الحياة وأحضره لي. اصنع خيرًا تجد خيرًا.

واصل الأمير السير بعد الغابة فوجد السيدة العجوز الأخرى، لكنها هي الأخرى لم تدله على أي شيء مفيد ينفعه فيها جاء بخصوصه، وأعطته هي الأخرى إبريقًا في يده، وقالت له توجد سيدة أخرى تكبرها في السن تعيش في مكان ليس بالبعيد، وأن يذهب إليها وسيجد ما يسره لديها.

ذهب الأمير وبالفعل عثر على السيدة الأخرى الطاعنة في السن. لقد كانت أكبر في السن ربها من المدينة التي تعيش فيها نفسها. ألقي الأمير التحية:

ـ صباح الخير يا أمي، وليبارك الله لك!

ـ فليبارك الله لك أنت أيضًا يا بني العزيز! في أي أمر جئت؟ ـ تمتمت هذه الكلمات بصعوبة.

قص الأمير على مسامعها الموضوع من الألف إلى الياء بأنه يريد أن يحصل على إكسير الحياة وماء الموت وكذلك على الشرشور الذهبي أيضا إذا كان بالإمكان لأن هذه هي رغبة أبيه، إلا أنه بمفرده لا يستطيع الوصول للكثير لذلك فأنا في حاجة إلى نصائحك، فقالت له:

ـ إنه لأمر عسير حقًّا، يا بني العزيز! لكن يمكنك المحاولة فربها يحالفك النجاح. ما إن تنطلق من هنا وتصل إلى الغابة الكبيرة ستجد في وسطها قلعة ذهبية لها نافذة مفتوحة على مصراعيها. اربط هناك حصانك من ذيله ثم اقفز إلى الداخل من خلال النافذة. في الحال ستجد هناك الجنية الجميلة "إلونا" لكن لا تقبلها بأي شكل من الأشكال لأنك إذا فعلت ذلك فعندئذ ستكون نهايتك، لكن خذ خصلة شعر من رأسها، واربط بها فم الشرشور الذهبي الموجود بالقفص المجاور للجنية الجميلة "إلونا" التي من جانبها الأيسر يسيل إكسير الحياة ومن جانبها الأيمن تسيل مياه الموت. املأ الأباريق وعد بها ثانية، لكن كن حذرًا كي لا يلحظك أحد أو يلمح حصانك لأنه عندئذ ستكون هناك مشكلة كبيرة. خذ معك هذه الفرشاة وهذه البيضة وكذلك هذه المنشفة فهذه الأشياء ستنفعك.

---

(١) الإكسير شراب يزعم الأقدمون أنه يُطيل الحياة.

حصل من السيدة الثالثة على إبريق آخر أعطته إياه مع الفرشاة والبيضة والمنشفة، ثم انطلق.

بعد وقت قريب وصل إلى وسط الغابة حيث القلعة الذهبية.

كان منتصف النهار بالضبط. كاد الأمير يشعر بالعمى من شدة الضوء الصادر من هذه القلعة. لقد كانت الشمس ساطعة على قلعة الذهب، فزادتها بريقا على بريقها. وثب من على حصانه، وكان الشيء الأول الذي فعله هو ربط ذيل الحصان، وقفز داخلًا عبر النافذة المفتوحة. هناك لم يحرك عينيه ولا فاه من شدة الدهشة لأنه لم ير شيئا كهذا طيلة حياته.

كانت الجنية الجميلة "إلونا" تجلس على أحد الكراسي. ربما لا يمكن رؤية جمال بهذا الشكل، وكان الشرشور الذهبي بجوارها في القفص. اقترب الأمير من وجه الجنية الجميلة "إلونا" كي يقبلها، لكنه تذكر قول السيدة العجوز. شدَّ خصلة شعر ذهبية من رأسها وربط فم الشرشور الذهبي، ثم بعد ذلك ملأ كل الأباريق التي أحضرها معه من إكسير الحياة وماء الموت، أما القفص والشرشور الذهبي فقد علقه في السرج! ثم خرج من النافذة.

لكن هيهات هيهات فقد سقطت من حصانه خصلة شعر وصلت إلى القلعة. رنت خصلة الشعر هذه رنة ضخمة أيقظت كل الجنيات، وقد علموا أن هناك شخصًا غريبًا لديهم. جروا جميعهم وراء الأمير ليقبضوا عليه! ولما أوشكوا على اللحاق به قذف بالفرشاة التي أعطته إياها السيدة العجوز فتحولت الفرشاة إلى غابة كثيفة.

كانت الجنيات في حيرة من أمرهم لما رأوا هذه الغابة فوجب عليهم أن يدخلوها بأنفسهم ويعبروها أولا كي يتمكنوا من مواصلة مطاردة الأمير. خلال هذا الوقت كان الأمير قد قطع مسافة كبيرة من الطريق، لكن لا يلزم الكثير لهؤلاء الجنيات إذا استعملوا أجنحتهم للحاق به. ما إن خرجوا من الغابة كانوا خلال لحظات في إثرهم ثانية. أمسك الأمير بالبيضة وقذفها نحوهم فاشتعلت النيران تحت كعب الحصان، وتحولت هذه البيضة إلى جبل شاهق، لذلك لزم على الجنيات المشي سيرًا على الأقدام إذا أرادوا فعلًا رؤية الشرشور الذهبي مرة أخرى. بعد عبورهم هذا الجبل، ولما أن رآهم الأمير للمرة الثالثة في الركن، قذفهم بالمنشفة فصارت بحرًا لم تتمكن الجنيات من تخطيه.

بعد قليل وصل كوخ السيدة العجوز التي حصل منها على النصيحة. أحضر لها إكسير الشباب، ثم بعد ذلك ذهب بالترتيب إلى السيدتين العجوزين الأخريين ومعه الأباريق.

أصبحت الأمور الآن على ما يرام. أصبح موجودًا لديه الشرشور الذهبي أيضًا علاوة على

إكسير الشباب وماء الموت، لكن المشكلة لم تنته عند هذا الحد.

أثناء رحلة عودة الأمير إلى قصر أبيه قابل أخواه اللذان عادا من دون تحقيق أية فائدة. لما أن رأيا أن الإبريقين معلقين في رقبة أخيهما الأصغر وفي يده القفص مع الشرشور الذهبي أخذوهما منه. كما أمراه أن يرتدي ملابس الأجير ويعمل سائق عربة لديهم في القصر، ولا يبوح بكلمة واحدة عما دار لأي أحد كائنًا من كان، وإلا فالقتل مصيره لا محالة. ماذا كان بوسع الأمير أن يفعل... فعل مثلما قال له أخواه، ووعد بألا يفشي أي شيء. وهكذا ذهبوا صوب قصرهم.

فرح الملك المسن في البيت أن ولديه الكبيرين شجاعين إلى هذا القدر، وفي الحال منحهما نصف مملكته، أما الابن الأصغر الذي كان يرتدي ملابس الأجير فقد قبل أن يعمل في القصر كسائق عربة.

وهكذا عاشوا. الأميران الكبيران يتسيدان وهما في أحسن حال، أما الصغير فكان ينظف الحصان ويحرث الأرض، ويقوم بأعمال من هذا القبيل.

ذات مرة استيقظ ساكنو القصر في الليل على جسر ذهبي جميل رائع خلاب يهاجم القصر تقف في وسطه الجنية الجميلة "إلونا"، وتنادي بصوتٍ عالٍ:

ـ أيها الملك... أيها الملك... أيها الملك العجوز، أخرج ابنك هذا الذي سرقني في القلعة.

اندهش الولدان فمن تكون هذه المخلوقة وفي أي أمر قد جاءت؟!

خرج الابن البكر وامتطى حصانه مثلما جاءت الجنية الجميلة "إلونا" على الجسر الذهبي.

سألته الجنية الجميلة "إلونا":

ـ قل لي أيها الأمير هل تسيل مياه الموت في جانبي الأيسر أم الأيمن!

لم يستطع التفوه ولو بكلمة واحدة.

ـ إن لم تكن تعلم فارسل لي أخاك الثاني، فربما يستطيع أن يخبرني بذلك!

خرج الأمير الثاني وسألته عن مياه الموت، إلا أن إجابته لم تشف ولم تغن من شيء.

عندئذ قالت الجنية الجميلة "إلونا":

ـ أيها الملك... أيها الملك... أيها الملك العجوز، إن لم يستطع أحد من قصرك هذا أن يجيب عن سؤالي، سأعلن الحرب عليكم!

عندئذٍ دخل سائق العربة على الملك وقال له:

ـ جلالة الملك! العفو والسماح... اسمح لي بالذهاب إلى الجسر الذهبي كي أستطيع إنقاذك من هذه الحرب.

انتهز الملك هذه الفرصة وقال له:

ـ حسنًا انهض واذهب! لكن تحدث بحنكة ومهارة!

امتطى الأمير الصغير حصانًا هو الآخر وقطع الطريق مباشرة إلى الجسر الذهبي ووقف أمام الجنية الجميلة "إلونا"، فسألته هو الآخر:

ـ هل تستطيع أن تقول لي أيها الأمير هل تسيل مياه الموت من جانبي الأيسر أم الأيمن؟

أجاب الأمير في زي سائق العربة:

ـ من الجانب الأيسر إكسير الحياة، ومن الأيمن مياه الموت

ـ هذا صحيح! وما الذي تم مع الشرشور الذهبي؟

ـ شددت خصلة شعر ذهبية من رأسك وربطت بها فاه الشرشور، وهكذا أحضرته مع القفص.

كان الملك العجوز والأميران الكبيران يترقبان الوضع في الداخل... خصوصًا الأميرين الكبيرين. وقد علما أن هذه هي نهاية مملكتهما المزيفة. وفي الخارج سألت الجنية الجميلة "إلونا" الأمير الأصغر:

ـ إذن من أكون أنا؟

ـ أنت الجنية الجميلة "إلونا"! من قلعتك أحضرت أنا إكسير الحياة ومياه الموت، وكذلك الشرشور الذهبي الصغير.

ـ حسنًا إذا كنت أنا كذلك فأنت قلبي وحبيبي، ولن يفرقنا بعد الآن إلا الموت.

حضنا بعضهما البعض ودخلا إلى القصر الملكي. أما الأخوان الكبيران فلم يكن وجودهما مرحبًا به في البيت بعد الآن فاختفيا، ولا أحد يعلم إلى أين ذهبا. وقد منح الملك العجوز العروسين الشابين مملكته كلها وقد تزوجا وأقاما حفل عرس وصلت أخباره إلى آخر بلاد الدنيا، وما زالا يعيشان حتى الآن، إن لم يكن قد توفاهما الله.

الأميرة التي تزوجت بسبب خنزير صغير

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار وأبعد من بلاد الجبال الزجاجية، كانت هناك أرملة فقيرة لديها ابن وحيد يسمونه "يانوش". كانا فقرين للغاية يبحثان عما يأكلانه يوما بيوم، لكن لحسن حظ الفتى فقد كانت أمه في العمادة(١) لديها حياة أكثر يسرا بقليل مما في بيته فكان يزورها أحيانا لقضاء بعض الوقت هناك.

في أحد أيام الربيع الجميلة ذهب إلى أمه في العمادة حافي القدمين تغمره السعادة، ولما أن وصل إلى هناك رأى خنزيرًا كبيرا ومعه سبعة من صغار الخنازير في الحوش الأمامي لبيت أمه في العمادة. ظل "يانوش" يطارد الخنازير الصغيرة ويجري وراءهم وكم ود لو أمسك بأحدهم، فقالت له أمه في العمادة ضاحكة:

ـ حسنًا يا بني، من تمسك به من هذه الخنازير الصغيرة فهو لك! ارعاه وكبره واحتفظ به لنفسك.

بذل الفتى قصارى جهده بكل مهارة ممكنة، وأخيرًا أمسك بواحد فكان من نصيبه وأخذه إلى البيت.

مر الوقت وانقضى وكبر الخنزير الصغير وكان الربيع التالي رائعًا وجميلًا هو الآخر. في أحد الأيام لاحظ "يانوش" أن "بنسي" ـ اسم الخنزير الصغير الذي أطلقه عليه ـ كان يختفي بعض الوقت باستمرار فذهب يبحث عنه حتى وجده بجانب كومة من القاذورات يرضع خمسة من صغار الخنازير. هرول الفتى إلى أمه في الحال ليزف لها الخبر قائلًا:

ـ تعالي يا أمي! أنجب "بنسي" في الليل!

فرحت الأم لذلك الأمر أيضًا واعتادت منذ ذلك الحين على أن ترسل "يانوش" كل يوم مع الخنازير ليرعاهم ويطعمهم حيث يجد العشب ونبات الخبيزة(٢) في الحقول وعلى شاطئ الجدول المائي.

---

(١) عند تعميد الأطفال في المجر ليدينوا بالمسيحية بعد ميلادهم يكون هناك لكل طفل أو طفلة أم (أو أكثر) في العمادة، وكذلك أب (أو أكثر) في العمادة وهم من ذهبوا بالطفل إلى المعمودية لتعميده في طفولته وفي الغالب يكونون من أقرب المقربين إلى العائلة التي ينحدر منها الطفل.

(٢) نبات أخضر من الفصيلة الخُبّازيّة، فيه أنواع بعضها يُطهى ورقه ويُؤكل، وبعضها يُستعمل علاجًا، وبعضها يزرع للزينة.

ذات مرة ذهب الصبي الصغير إلى نهاية القرية فيما وراء المقابر حيث المكان جميل ومناسب للخنازير. وضعت أمه له في حقيبته كعكتين مقرمشتين كي تكفياه حتى عودته في المساء. في الظهيرة أخرج "يانوش" الكعكتين وبدأ قضمهما بتلذذ. اجتمعت حوله الخنازير فأعطاهم منها، وهكذا فقد تناولوهما مجتمعين هكذا بتلذذ ولم يلحظ "يانوش" أن خلفه توجد بنت صغيرة حسناء تحدق فيه منذ مدة، وفي نهاية المطاف نادت على "يانوش" قائلة:

ـ ألا تعطيني واحدا من هذه الخنازير الصغير أيها الصبي؟

فكر "يانوش" بعض الشيء ثم أجاب بكل فخر واعتزاز على الفتاة الجميلة الحسناء التي كانت ترتدي ملابس تغطيها حتى كاحليها:

ـ أوافق على شرط أن أرى قدميك عاريتين حتى الركبة.

ـ يا إلهي... أنت... أنت... فيما تفكر أيها الصبي؟

ثم رفعت ملابسها فجأة وجعلته يرى رجليها عاريتين حتى الركبة.

في المساء عاد الصبي الصغير إلى أمه وقد أقبلت عليه مهرولة من بعيد يملؤها الغضب والتهديد والوعيد وقالت:

ـ أين تركت الخنزير الناقص أيها الحيوان الصغير؟

ـ أمي يا روحي لا تضربيني لأن الذئب قد أخذه مني.

ـ وأنت هكذا تحرسهم وتحافظ عليهم؟ ماذا تفعل؟ هل تنام في النهار! لا تريني وجهك غدًا ما لم تعد بهم جميعًا في الغد!

في اليوم التالي ذهب "يانوش" إلى المرعى مع الخنازير، وأيضا أقبلت عليه البنت الجميلة التي ترتدي ملابس تغطيها حتى كاحليها في وقت الظهيرة وقالت له مرة أخرى:

ـ ألا تعطيني واحدا آخر من هذه الخنازير أيها الصبي؟ فالخنزير الذي أخذته منك يشعر بالملل بسبب الوحدة!

في البداية لم يرغب "يانوش" أن يعطيها واحدًا على الإطلاق إلا أن البنت الجميلة نظرت في عينيه نظرة رقيقة جعلته لا يرفض لها طلبًا وقال لها بشجاعة:

ـ أعطيك واحدا إذا رأيت حتى خصرك أيتها البنت الجميلة!

ـ يا لك من شقي أيها الفتى، فماذا عساك أن تطلب مني! المهم أنها استدارت ولفت على كعبها مرة واحدة جعلت من ملابسها تسبح في الهواء وظلت تدور هكذا أمام "يانوش" لمدة دقيقة، ثم أخذت الخنزير الصغير ورحلت.

في مساء اليوم نفسه كانت أم "يانوش" تنتظره لدى البوابة يملؤها الفضول، ولما أن رأت أن واحدا آخر من الخنازير ينقص للمرة الثانية سألته:

ـ ما هذا الذي يحدث أيها الولد الذي تستحق الحرق بالنار؟ ما الذي يحدث هنا... هيا أجبني؟ وفقدت واحدا آخرًا من الخنازير... طاخ... طاخ! وأوجعته ضربًا بالعصا الغليظة.

ـ إذا نقص شيء في الغد سأسلخ جلدك، وأجعلك تتشرد في الشوارع... لقد جلبت الخزي والعار لأمك!

في اليوم التالي خرج "يانوش" ليرعى الخنازير وقد تمنى هذه المرة في سره أن تأتي هذه البنت الحسناء مرة أخرى كي يطلب منها استعادة خنزيريه.

ولما أن حل وقت الظهيرة ظهرت أمامه البنت نفسها وقالت له:

ـ ألا تعطيني واحدا من هذه الخنازير الصغيرة يا"يانوش" يا حبيبي؟

خطر ببال الصبي تهديد أمه له، إلا أن هذه البنت ذات العيون الماسية طلبت منه ذلك بشكل جميل ورقيق للغاية. نظرت إليه بطريقة لم تجعل من قلبه يقول لها لا، فقال للبنت:

ـ موافق على إعطائك الخنزير الثالث أيضًا شرط أن تجعليني أراكِ كما ولدتك أمك.

ـ هذا ما ينقص! قالت ذلك الفتاة في البداية ثم استدارت ولفت على كعبها بسرعة كبيرة جعلت من ملابسها تتطاير في الهواء، ولفت هكذا أمام "يانوش" مرة واحدة. رأى الولد أن على ظهر البنت شمس مشرقة وتحت إبطها قمر ونجمة يتألقان. اندهش بشدة وسألها ما هذه العلامات التي توجد على ظهرها، لكن الفتاة لم تقل شيئًا سوى ألا يخبر أحدا بهذا الأمر وهكذا اختفت من أمام عينيه وبالطبع معها الخنزير الصغير الثالث.

لم يجرؤ "يانوش" في النظر في عين أمه بعد اليوم، فما الذي ينتظره في البيت هذه المرة! توجه إلى بيت أمه في العمادة فاستضافته عندها لأنه كان ماهرًا، وكان يساعدها في كل شيء يخص المنزل.

مر وانقضى الوقت. كان "يانوش" صبيًا ماهرًا فصار منه شابًا جميلًا. كان يذهب للحقل ليحرثه ويحضر الأخشاب من الغابة. كان في هذه الفترة قد وصل إلى سن الزواج عندئذ كان هناك خبر من نوع خاص يدور في البلاد، فقد أعلنوا في كل أرجاء البلاد وفي الكنائس أن الملك يريد أن يزوج ابنته، ومن يستطيع أن يقول ما هي العلامات الموجودة على ظهر ابنة الملك فإن الملك سيزوجه منها في التو واللحظة، لكن الويل كل الويل لمن لا يتمكن من معرفة ما على جسد الأميرة ابنة الملك: فجزاء ذلك قطع رقبته.

أقبلوا من كل أنحاء البلاد بل وجاء الملوك والأمراء من الدول المجاورة أيضًا لأن الفتاة كانت حقًا جميلة سبحان الخلاق، لكن ماذا عساها أن تكون هذه العلامات الموجودة في جسد البنت فهذا السر لم يتمكن أحد من معرفته، فبخلاف الأميرة لم يعلم هذا الأمر سوى ذلك الفتى الذي رأى جسدها منذ صغرها. كان المتقدمون يقولون أشياء عديدة، لكن لم يقل أحدا منهم الحقيقة قط، فكان مصيرهم جميعا القتل.

سمع "يانوش" هذا الإعلان. ربما لو كان يتذكر أنه رأى أمرا مماثلًا من قبل! عقد العزم على أن يجرب حظه هو الآخر مع الأميرة ابنة ملك البلاد. ذهب إلى البيت وقال لأمه في العمادة:

ـ حسنًا يا روحي يا أمي في العمادة، أنا لن أبقى هنا بعد الآن لكن اطه لي بعض الكعك لأنني أنوي الرحيل لأجرب حظي مع الأميرة ابنة الملك!

طلبت منه أمه في العمادة مرارًا وتكرارًا بما في الكفاية أن يعدل عن هذه الفكرة فكم من شباب لقوا حتفهم بلا جدوى: كان "يانوش" قد فكر وقرر وعقد العزم على الذهاب، فماذا عساها أن تفعل له أمه في العمادة أمام هذا الكم من الإصرار القابع في قلب وذهن الفتى. أعدت له حقيبة الزاد وبعد بكاء طويل تركته يذهب. فضلا عن ذلك فإن أمه في العمادة قد منحته حصانًا يساعده على قطع الطريق أسرع. صحيح أنه كان نحيفًا وضعيفًا هذا الحيوان، إلا أن "يانوش" قد فرح به كثيرًا، ووثب عليه وانطلق.

وصل إلى إحدى الغابات بحلول المساء وقد رأى نارا كبيرة من بعيد فواصل السير تجاهها. بمجرد أن وصل إلى هناك رأى بجانب النار فارسين جميلين يتسكعان وبجانبهما معطفان جميلان أحدهما من الذهب والآخر من الفضة، وكان بجانبهما حصانان رائعان يأكلان، فألقى "يانوش" عليهما التحية بأدب شديد قائلًا:

ـ مساء الخير وليبارك الله لكما!

ـ فليبارك الله لك أيضًا أيها الأخ الصغير! في أي أمر جئت إلى هنا؟

ـ جئت أجرب حظي مع ابنة الملك، وماذا عنكما؟

كاد الفارسان أن يموتا من كثرة الضحك والقهقهة على ما قاله "يانوش":

ـ نحن أيضًا بالطبع نبذل قصارى جهدنا للوصول إلى الغاية نفسها، ما لم تسبقنا أنت إليها بالطبع... ومع ذلك تعال معنا، فالطريق واسع ويسع من الأحبة مائة ـ وهكذا دعياه ليجلس وسطهما.

كان الوقت قد انقضى إلى أن اقترب الصباح وقد خمدت النار، فقال الفارسان للفتى المسكين:

ـ اذهب واجمع بعض الأغصان الجافة كي نضعها في النار.

ذهب "يانوش" عن طيب خاطر. كانت لديه جبة[1] بالية تركها بجانب النار كي لا يتحمل عناء حملها معه، وما أن ابتعد عن النار قليلًا حتى أمسك بها هذين الفارسين المتغطرسين ورماها في النار، ولما أن عاد "يانوش" ومعه الأغصان بحث عن جبته فلم يجدها فسألهما عنها فلم يكتفيا بما فعلاه بل وبخاه أيضًا قائلين:

ـ فلتذهب إلى الجحيم، لقد تأخرت كثيرًا علينا ولم يكن هناك ما نضعه في النار سواها كي تظل مشتعلة!

لم يتفوه "يانوش" ولو بكلمة واحدة، ولكن بعد مرور بعض الوقت قال لهما:

ـ اذهبا أنتما الآن أيها السيدين وأحضرا الأخشاب لنحمي بها النار فقد أوشك خشبنا على النفاد.

ترك السيدان معطفيهما الجميلين هناك بالطبع كي لا يتوسخا أثناء جمع الأخشاب. اعتقدا أنه ما زال هناك الكثير من الأخشاب ولن يستطيع "يانوش" القول إنه اضطر لإلقائهما في النار كي تظل مشتعلة.

---

(١) ثوب للرجل واسع الكُمَّين مفتوح الأمام يُلبس عادة فوق ثوب آخر. الجمع جُبّات وجُبَب وجِباب.

ولما أن عادا لم يجدا أيًا من معطفيهما في أي مكان فسألاه في الحال:

ـ أين معطفينا الجميلين؟

أجاب "يانوش" بكياسة:

ـ رأيت أن سحابة كثيفة قد لاحت في السماء بالقرب من المكان فخفت أن تهطل الأمطار فتنطفئ النار فغطيتها بالمعطفين. فهل لهما ألا يحترقا... هل فيهما عفريت؟

لم ينطق السيدان نهائيًا فهما من بدأ في الاستهزاء ومع ذلك فقد فكرا في نفسيهما: انتظر فحسب أيها الفطن الكبير لأننا سنلاعبك وسنوقعك في شر أعمالك اليوم!

وقد كان. أصبح "يانوش" نعسان بشدة من طول الطريق وعناء السفر، فنام على نفسه هناك في مكانه، وهذا ما كانا ينتظره الفارسان! فكرا كيف يصنعان ضررا للشاب المسكين. هداهما فكرهما إلى التالي: أمسكا حصانه الرديء بكل قوة وقذفاه إلى وسط بركة من الوحل وتركاه هناك. غاص الحصان المسكين في الوحل حتى خصره، ولم يستطع الخروج من مكانه.

استيقظ "يانوش" وذهب ليبحث عن حصانه ولاحظ أنه في وسط الوحل فشده بكل قوة وعناء ومشقة لا يعرفها إلا من مر بمثل هذا الموقف العصيب، وبالفعل أخرجه ونظفه في مياه الجدول المائي القابع في أطراف الغابة. بعد ذلك أمسك بحصاني السيدين وربطهما في أحد الأشجار وبسكينة جيبه حلق شعر زيلهما وعرف رقبتهما وتركهما.

استيقظ السيدان وقد أوشك الغضب أن يفتك بهما عندما رأيا حصانيهما أصلعان، فهما بهذا الشكل لا يمكن الركوب عليهما والذهاب بهما إلى أي من المدن، فقالا لـ "يانوش":

ـ ماذا فعلت أيها البائس أنت؟ ماذا فعلت بحصانينا الغاليين؟

أجاب "يانوش" بكل براءة:

ـ أنا لم أفعل أي شيء لكنني تعجبت كثيرًا عندما رأيت أن حصاني المسكين قد ضل الطريق إلى بركة الوحل فأسف عليه حصاناكما فشداه بسرعة من هناك وغسلاه ونظفاه تماما بل ونشفاه بعرفيهما وذيليهما فتساقط شعرهما.

ماذا كان يمكنهما القول في أمر كهذا... بالطبع لا شيء، فهما من شرعا في اللعب واللهو معه.

في هذه الأثناء كان النهار قد شقشق، وانطلقوا ثلاثتهم إلى أن وصلوا في مساء اليوم نفسه إلى القصر الملكي. دخلوا مباشرة إلى الملك وأعلنوا أنهم يتسابقون لطلب يد الأميرة، فقال لهم أبوها الملك:

ـ حسنًا أيها الأولاد، لكن تنبهوا إلى أنه إن لم تعرفوا ما على جسد بنتي فجزاؤكم القتل لا محالة!

ـ نعلم يا جلالة الملك!

تقدم أحد الفارسين فأجاب قائلًا:

ـ ورقة عنب على يدها اليسرى! فقد حلمت بذلك.

ـ خذوه من أمامي! لقد كان حلمًا كاذبًا! ليأتِ الثاني! ـ صاح الملك بغضبة شديدة.

وأشار إلى "يانوش".

تقدم "يانوش" وقال:

ـ على ظهر جلالة الأميرة هناك شمس مشرقة وأمامها قمر ونجمة براقتين!

ـ هذا هو الحق! لقد وجدتها! سوف أزوجك ابنتي!

وهنا تقدم للأمام الفارس الآخر وصرخ قائلًا:

ـ لقد أردت أن أقول هذا بالضبط! فقد كنت أعلم هذا!

حسنًا ماذا عساه أن يفعل الملك في هذا الموقف؟

الجواب صعب، لكن في النهاية أمر الشابين أن يذهبا مساء اليوم إلى غرفة الأميرة، ولتختار البنت بنفسها من تريد منهما!

فعل ذلك الشابان، وكانت الفتاة تنتظر رؤية "يانوش" على أحر من الجمر لأنها تعرفت عليه في الحال. وما أن انطفأ المصباح وجلسا بجانب بعضهما البعض في ظلمة الليل، حتى قال "يانوش" للأميرة وهي تحضنه بكل فرحة وسعادة: "حبيبتي وروحي ويمامة قلبي!".

سمع ذلك الفارس.

كان في جيب "يانوش" القليل من المكرونة والقليل من العسل وبعض حبات التين فقدمها

إلى الأميرة وشرعا في تناولهما سويًا بتلذذ فسألهما الفارس بعين الحسود عما يأكلانه، فأجاب "يانوش":

ـ ماذا؟ نحن نأكل أحد أذناي! نعطيك أنت أيضًا منها وبالفعل قدم له في عتمة الليل قطعة من البسكويت.

اعتقد السيد أن عليه فعل ما قام به "يانوش" كي تقع في حبه الأميرة وينتصر على "يانوش"، بل وقطع أذنه سوف تعجب الأميرة أكثر من أذن "يانوش": فهذه أُذن سيد من علية القوم! أمسك بالسكينة وغرزها في أذنه وأراد قطعها لكنه لم يتحمل فأقلع عن هذه الفكرة.

أما "يانوش" والأميرة فقد بقيا يأكلان شيئًا آخر ومزاجهما طيب لا يعكر صفوه شيء.

سألهما السيد هذه المرة بغضب:

ـ ماذا تأكلان هذه المرة؟

أجاب "يانوش":

ـ ماذا؟ لقد قطعت جزءا من أنفي... يالطعمها اللذيذ! أعطيك منها جزءا وقدم له واحدة من التين على أنها جزء من أنفه وكان ذلك في الظلام الدامس.

ما إن تناولها فكر السيد فيما أكله وفيما يود أن يفعل. لقد حان الوقت كي يقدم لهما هو الآخر شيئًا. عليه أن يقطع جزءا من أنفه ويعطيهما هذه المرة! بالقطع ستكون أنف ابن الكبار ألذ من أنف ابن الفلاحين!

أمسك بالسكين وقال:

ـ انتظرا وتذوقا أنفي أنا أيضًا!

أمسك بالسكينة وغرزها في أنفه وأرد قطعها لكنه لم يتحمل شدة الألم فأقلع عن هذه الفكرة. وأخيرًا غلبه النعاس وهو مملوء بالغضب.

في الصباح دخل الملك ليري من اختارت ابنته فوجد أن ابنته مع "يانوش" متعانقين سعدين، أما الفارس الآخر فقد كان مرابضًا في أحد الأركان وتسيل الدماء من أنفه وأذنه. زوج الملك "يانوش" من ابنته. وما زالا يعيشان بسعادة حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله!

أقوى الحيوانات

ذات مرة كان يعيش في الغابة دب وذئب، كان ذلك العام قحطًا وعجافًا، ولم يكن من السهلِ الحصول على طعام، وكلاهما ـ كل على حدة ـ منذ بعض الوقت قد راود خلده القيام بزيارة باتجاه إحدى غرف الخزين الخاصة بأحد سكان القرية المجاورة وحظائرهم.

وفي إحدى المرات يتقابل الدب مع الذئب.

يقول الدب:

ـ صباح الخير أيها الذئب الرفيق!

يرد الذئب:

ـ بالنسبة لي فإن هذا الصباح غير جيد، أيها الدب الرفيق، ولن يكون جيدًا من كونك تتمنى لي ذلك، وعلى كلٍ حمدًا لله على سلامتك.

يرد الدب:

ـ يالك من حزين! هل لديك مشكلات؟

يقول الذئب:

ـ ليتك لم تسأل! مشكلة؟ نعم هناك مشكلة.

فأجاب الدب:

ـ ألا يمكن أن تكون جائعًا؟ توجعك بطنك كما لو كانت بطن بعوضة.

يتنفس الذئب الصعداء:

ـ هذه أيضا مشكلة، ولكن هناك مشكلة أخرى.

والآن يحدق الدب بالذئب ويقول:

ـ يا خسارة! وفروك أيضا مُمزق! هل تشاجرت مع أحد أخواتك؟

يتحرك الذئب برفق:

ـ مع أخٍ؟ لا والله، بل مع إنسانٍ!

يبتسم الدب:

ـ فقط مع إنسان؟

وهنا يبدي الذئب ذهوله:

ـ فقط مع إنسان؟ لا يوجد حيوان أقوى منه، فلما تتعجب هكذا؟!

وهنا يشكك الدب في كلام الذئب:

ـ إذن كيف؟ وماذا حدث؟

يتلفت الذئب حوله ثم يقول:

ـ يمكنني أن أحكي لك! ذات مرةٍ شعرت بالجوع الشديد فتسللتُ خفيةً في ظلام الليل إلى القرية كي أحصل على إحدى الماشية السمينة أو أحد الخنازير الصغيرة. تجولت بحذرٍ، ولكن بمجرد أن شعرت الكلاب برائحتي، شرعت في النباح حتى جفت حلوقها، وعلى إثر هذا يخرج واثبا إنسان، وهو يرفرف بذلك الذيل المضيء الذي يطلقون عليه اسم البلطة، وبعد ذلك ما كان يحلو له سوى الضرب على رأسي، وتركني في المكان متململًا، وبالكاد استطعت أن أُجُرَّ نفسي إلى هنا.

فقال الدب مشككا في كلام الذئب:

ـ الإنسان؟ ولكنه ضعيف، فهو مجرد إنسان!

فيرد الذئب:

ـ في رأيي لا يوجد حيوان أقوى منه!

فقال الدب بفخر واعتزاز:

ـ عن نفسي لم أر إنسانا قط طيلة حياتي، ولكنني إذا ما قابلت أحدًا منهم فسوف افترسه بلا شك مثل هذه الشجيرة هنا.

عندئذ يقول الذئب آسفًا:

ـ من السهل لك أن تستبسل أو تفعل ما بدا لك هنا مع هذه الشجيرة، لكن ماذا عساك أن تفعل مع الإنسان أنت أيها المسكين! لا أعلم ماذا ستفعل في هذه الحالة؟!

ـ أنا أعرف! سأعمل على أن يتبقي منه أسنانه فحسب!

يقول الذئب ساخرًا:

ـ لا أصدقك!.

يقول الدب شائطًا من الغيظ:

ـ لنتراهن!

يبسط الذئب قدمه إلى الأمام ويقول:

ـ حسنًا لنتراهن! ولكن على ماذا؟

يقول الدب ذلك واثقًا من نفسه:

ـ على أرنب سمين!

وانتهى الأمر بهما إلى أن تسللا خِلسةً من الغابة، ووقفا على طريق البلدة الرئيسي الذي اعتاد أهل القرية المشي عليه.

ينتظران... وينتظران... وهنا يظهر في الأفق طفلٌ صغيرٌ.

فيسأل الدب:

ـ هل هذا هو الإنسان؟

ـ هذا ليس رجل بعد، ولكنه سوف يكون.

ينتظران... وينتظران مرة أخرى... وهنا يأتي شحاذ عجوز بلغ من العمر عتيًا.

فيسأل الدب الذئب:

ـ إذن هل هذا هو الإنسان؟

يجيب الذئب شارحًا:

ـ إنه كان، ولكن فيما مضى!

ينتظران... وينتظران... وهنا تأتي عروس شابة.

فيسأل الدب:

ـ ولكن هذه إنسان ولا تقول شيئًا آخر؟

يقول الذئب الذي يعرف كل شيء.

ـ هذه ليست إلا رفيقة الإنسان فحسب!

وينتظران... ينتظران... وهنا يأتي أحد رجال الخيَّالة الأقوياء.

فيسأل الدب:

ـ إذن هل هذا هو الإنسان؟

ويرد الذئب هامسًا:

ـ نعم، إنه هو.

وقام الذئب بالفرار بعد ذلك مباشرة.

جلس الدب مفتخرًا بقوته معتزًا بنفسه على قارعة طريق البلدة في طريق الخيَّال.

وما أن رأى الخيَّال الدب، حتى رفع غمد سلاحه، وسحب مسدسه وأطلق النار عليه، ثم بعد ذلك استل سيفه أيضًا، وشرع في توجيه الضربات إلى الدب ببسالةٍ! وبحنكة كان الخيَّال يراوغ الدب كي لا يستطيع الاقتراب منه. لم يتحمل الدب كثيرًا، فاستدار وفرَّ هاربًا! لم يلتفت أين الطريق، وجرى عبر الزراعات والحقول، وفي كل مكان حتى عاد إلى الغابة.

وبعد وقت ليس ببعيد تقابل الدب ثانيةً مع الذئب.

يقول الذئب:

ـ حسنًا أيها الدب الرفيق، هل سأحصل على الأرنب؟

يرد عليه الدب بمزاجٍ عكِرٍ:

ـ آه! ستحصل عليه! أعتقد الآن بأن الإنسان هو الحيوان الأقوى!

فيرد الذئب:

ـ إذن كيف؟ وماذا حدث لك أيها الدب الرفيق؟

يقول الدب متذاكيًا:

ـ أحكي لك! على مدار حياتي كلها لم أر حيوانًا غريبًا هكذا مثل الإنسان! عندما تشابكت معه على طريق البلدة، ذهبت إليه مدمدماً، وصرخت فيه فلمحني والتقطتني عيناه، فأرسلت عيناي شرارًا نحوه إثر ذلك... حتى ذلك الحين كان الأمر لا بأس به! ولكن عندما اقتربت منه ونويت القفز عليه أخرج سيفه البراق وشرع في توجيه الضربات، وضربي بحنكة وبحدةٍ، بحيث لم أستطع حتى الاقتراب منه... ولم أعد أحتمل أكثر، أيها الذئب الرفيق، وفررت شاعرًا بالخزي والعار!

"كولوج الصغير" و"كولوج الكبير"

كان هناك أخوان غير أشقاء أحدهما يدعي "كولوج الكبير" والآخر "كولوج الصغير". لم يورثا أبوهما بالعدل بعد وفاته فصار أحدهما ثريًا والآخر فقيرًا.

أصبح لدي "كولوج الكبير" أربعة من الأحصنة أما "كولوج الصغير" فلديه حصان واحد كان يحرث به الأرض.

كانت هناك كنيسة يصلي بها أبناء قريتين متجاورتين: أو بمعني آخر كان أولاد إحدى القريتين يذهبون إلى الكنيسة الموجودة في القرية الأخرى. كان الذاهبون إلى الكنيسة يمرون على أرض "كولوج الصغير" الذي كان بدوره يشعر بالخزي لأنه ورث حصانًا واحدًا عن أبيه. اقترض من أخيه أحصنته الأربعة لكنه لم يعطهم له إلا ليوم الأحد فقط لذلك قام "كولوج الصغير" بحرث الأرض يوم الأحد، ولكي لا يعرف الناس مدى فقره فقد ربط الأحصنة الخمسة أمام المحراث وكان يردد هذه الكلمات:

ـ هيا ياأحصنتي الخمسة الجميلة! هيا... هيا... انطلقوا!

سمع "كولوج الكبير" هذا الكلام فاستدعى "كولوج الصغير" وقال له بغطرسة منقطعة النظير:

ـ ما الذي سمعته؟ لا تتجرأ ثانية وتقول: هيا يا أحصنتي الخمسة الجميلة! لأن من يسمع ذلك سيعتقد مباشرة أن الأحصنة الخمسة هي ملك لك وحدك، لذلك قل: هيا يا حصاني الجميل! لأن لديك واحدًا فقط.

استمع "كولوج الصغير" لكلام أخيه الأكبر، لكنه لم يطع أمره، وفي يوم الأحد التالي كان يحفز الأحصنة بالكلام نفسه قائلًا:

ـ هيا يا أحصنتي الخمسة الجميلة! هيا... هيا... انطلقوا!

تملك الغضب "كولوج الكبير" بشدة لما أن وصل إلى مسامعه ما قاله أخوه للمرة الثانية، فهرول إلى الحقل وأمسك بالكرباج من يد أخيه وظل يضرب في الحصان الوحيد الذي يمتلكه "كولوج الصغير" حتى مات.

حزن "كولوج الصغير" وندب حظه كثيرًا، لكن ماذا عساه أن يفعل. فكر في قرارة نفسه ما الذي يمكن أن يخرج به من هذه الخسارة الكبيرة فقام بسلخ الحصان في مكانه هناك وجفف جلده وطواه ووضعه في جوال وحمله على كتفه وذهب به صوب المدينة. كان كل همه أن يبيع هذا

الجلد ويحصل من وراءه على بعض النقود. ولما أن وصل إلى المنزل الموجود على أطراف المدينة هناك، كانت الدنيا قد أمست عليه.

استرق النظر عبر نافذة المنزل لأنه لم يكن لديه شيء يفعله في المدينة في هذا اليوم وسيكون ممنونا بالطبع لو حصل على مبيت هنا، لكن ماذا رأى لما نظر خلسة إلى الداخل؟ رأى أن هناك جنديا حلّ ضيفًا بالداخل على الرغم من غياب صاحب المنزل، وقد قامت زوجة صاحب المنزل بإعداد طعام تشتهيه الأنفس يحتوي على كل ما لذ وطاب لهذا الجندي القادم من الجنوب.

لم يقل "كولوج الصغير" ولو كلمة واحدة من الشباك لأنه علم مسبقًا أنه لن يحصل على مبيت هنا لهذه الليلة، وبما أنه أراد أن يقضي ليلته تحت سقف فحسب فقد تسلق البوابة وتشبث بسقف البيت وعبر سطح البيت ونزل إلى السندرة(١) من خلال فتحة السقف العلوية.

بمجرد أن استقر به الحال هناك إذ به يسمع صوتًا؛ كانت السندرة غير محكمة البناء فكان يمكن رؤية ما في الغرف من بين طوب الجدران. نظر "كولوج الصغير" إلى أسفل فرأى مائدة الطعام ممتلئة بكل الخيرات التي يحبها الإنسان من بسكويت ولحم مشوي كما كان عليها زجاجة من الخمر أيضًا.

كان الضيف قد استعد لتناول الطعام لتوه عندما كان أحد ما يطرق على بوابة المنزل ويصيح ناحية الداخل قائلًا:

ـ افتحي البوابة ياسيدة!

ارتعدت مفاصل السيدة وقالت للجندي:

ـ إنه زوجي! اختبئ في صندوق الملابس الكبير هذا!

اختبأ الجندي بسرعة البرق في الصندوق وأخفت السيدة الخمر خلف الدولاب الصغير، أما البسكويت واللحم المشوي فقد وضعتها في الفرن، ثم خرجت جارية وفتحت له البوابة.

دخل رجل البيت وربط حصانيه، ودخل إلى الغرفة. وبمجرد أن وطأت قدماه الداخل ألقي نظرة على السنْدرة فرأى رجلًا منكمشًا، فصاح فيه:

ـ من أنت وماذا تفعل هنا؟

---

(١) مكانٌ على سطح الحجرات في المسكن، لحفظ ما لا حاجة إليه في الاستعمال اليومي.

تردد "كولوج الصغير" قليلًا ثم قال:

ـ أنا رحَّال مسكين!

ـ إذن انزل إلى هنا إلى الغرفة!

سمع "كولوج الصغير" الكلام ونفذه في الحال ونزل إلى الغرفة حاملًا معه جلد الحصان الموجود بالجوال وجلس. ثم قال الرجل لزوجته:

ـ أحضري لنا عشاءً خفيفًا! هل طبختي شيئًا طيبًا؟

قالت الزوجة:

ـ أنا لم أطبخ فلم أعلم أنك ستأتي إلى البيت، لكن لدينا القليل من الخبز والثوم والبصل.

وضعت السيدة الخبز والثوم والبصل على المائدة ودعا صاحب البيت "كولوج الصغير" لتناول العشاء، فوافق وأقبل مسرعًا فقد كان جائعًا للغاية.

أكلا الخبز والبصل وبلعا كل شيء على المائدة، وفجأة سأل صاحب البيت "كولوج الصغير":

ـ ماذا يوجد في هذا الجوال؟

ـ هنا وحدة استشعار المستقبل التي تعرف كل شيء! ـ أجاب "كولوج الصغير" على هذا النحو.

ـ وما هذه الوحدة التي تعرف كل شيء؟

ـ هذه الوحدة تستطيع أن تقول لك كل ما يحدث وكل ما سيقع في هذا العالم.

سأله صاحب المنزل:

ـ وهل تستطيع هذه الوحدة أن تقول لنا شيئًا الآن؟

ـ ولما لا... لنر ماذا ستقول وضغط في الحال على الجوال، ومن شدة الضغط انكمش جلد الحصان الموجود بالجوال وأصدر صوتًا.

قال "كولوج الصغير":

ـ لقد قالت أمرًا ما

رد صاحب البيت:

ـ وما الذي قالته؟ أنا لم أفهم أي شيء!

فرد عليه "كولوج الصغير" كما لو كان أحد العلماء المفكرين العظام:

ـ لا يفهم ذلك أي إنسان، فصاحب هذا الجوال فحسب هو من يفهمه، وله فقط يعطي الأخبار.

ـ وماذا أخبرك الآن؟

ـ لقد أخبرني الآن أن في هذا الفرن يوجد لحم مشوي وبسكويت.

تعجب الرجل لكنه قال لزوجته في الحال:

ـ أنظري يا زوجتي هل هذا الأمر صحيحًا أم لا!

جرت الزوجة من دون كلام وفتحت باب الفرن وأخرجت منه اللحم المشوي والبسكويت وأحضرته لهما ووضعته على المائدة، فأقبل على الطعام كلا الرجلين الجائعين وأكلاه بتلذذ. لم يقف الرجل صاحب البيت من دون كلام على الأكل فقال بعد قليل من الوقت:

ـ اضغط عليها مرة أخرى فعسى أن تخبرنا بشيء سيحدث مرة أخرى.

ـ ممكن... ممكن... وضغط عليها "كولوج الصغير" فأصدر جلد الحصان في الجوال صوتًا مرة أخرى.

ـ حسنًا... ماذا أخبرتك عن المستقبل؟

فقال "كولوج الصغير" وقد ظهرت عليه علامات البهجة والسرور:

ـ لقد استشعرت أن خلف هذا الدولاب الصغير زجاجة كبيرة من الخمر الطيب!

أصبح الرجل مصدقًا لما يحدث حوله فنادى على زوجته ومزاجه سعيد قائلًا:

ـ هيا انهضي أيتها المرأة، وانظري هل هذا صحيح.

كان لهذا الخمر وقع وأثر طيب عليهما بعد تناول اللحم المشوي والبسكويت.

قفزت السيدة مسرعة خلف الدولاب الصغير وأخرجت زجاجة الخمر الكبيرة ووضعتها أمامهما على المائدة فشرباها بتلذذ. أصبح مزاج صاحب البيت سعيدًا فرحًا بما يجري حوله، فلم يعد في حاجة إلى أي شيء آخر إلا أنه قال مع ذلك لـ "كولوج الصغير":

ـ اضغط مرة أخرى! ولنري ماذا ستخبرنا عن المستقبل في المرة الثالثة؟

ضغط "كولوج الصغير" على الجوال فأصدر جلد الحصان الصوت المعهود، فارتسمت علامات الدهشة والتعجب على وجه "كولوج الصغير" فسأله الرجل بشغف:

- ماذا أخبرتك الآن؟

- أخبرتني أن هناك شيطانًا في صندوق الملابس.

انتفض صاحب البيت على هذا وفتح سقف الصندوق في الحال ونظر فيه فوجد كل متعلقات الجندي من ملابس وسيف وحذاء كما رأى خلقة مشعرة مضيئة غريبة الشكل به فأغلق الصندوق فورًا بالمسامير كي لا يفر منه هذا الشيطان ليس هذا فحسب بل وجلس على الصندوق نفسه، وسأل "كولوج الصغير" بكم يبيع له هذا الجوال "وحدة استشعار المستقبل" الذي يعرف كل شيء.

- أعطيك إياه نظير ثلاثة صحون من الذهب!

- حسنًا اتفقنا. أعطيك ما طلبت من الذهب. علاوة على ذلك فسوف أعطيك هذا الصندوق أيضًا وعربة خاصة وحصان إذا أخذته من هنا وما فيه من شيطان.

ظلا يتحاوران ثم استلقيا فناما. في الصباح وبمجرد أن استيقظا من النوم وزن الرجل المتفق عليه مع "كولوج الصغير" من الذهب ثم أعطاهم له وتم وضع صندوق الملابس الكبير على العربة وبه الشيطان وسحبهم "كولوج الصغير" متجهًا صوب بيته فرحًا وأثناء سيره في الطريق كان يدندن مع نفسه بمزاج عالٍ قائلًا:

- سألقي بهذا الشيطان في نهر الـ "تيسا"(١)!

سمع ذلك الجندي في الصندوق فقال:

- لا ترميني في الـ "تيسا" وسأعطيك ثلاثة من صحون الذهب! خذني إلى بيت أبي ليعطيك ما اتفقنا عليه!

- لكنني لا أعلم أين يسكن أبوك... فربما هو من سكان جهنم الحمراء!

- شيطان... جهنم الحمراء! لا... لا... يسكن أبي في القرية الثالثة من هنا! أنا لست شيطانًا! أنا جندي.

---

(١) نهر أوروبي يمر في أوكرانيا ورومانيا والمجر وسلوفاكيا وصربيا حيث يصب في نهر الدانوب بالقرب من بلجراد بطول ١٣٥٨م.

أخذه "كولوج الصغير" إلى بيت أبيه فعلًا وانتظره هناك في باحة المنزل حيث أخرجه من الصندوق فأعطوه الذهب المتفق عليه. ثم وجه "كولوج الصغير" العربة ناحية بيته ومعه ستة من صحون الذهب.

وبمجرد أن وصل إلى بيته نادى على ابنه الأكبر وقال له:

ـ اذهب إلى عمك "كولوج الكبير" واطلب منه الميزان لأن لدينا ما نريد وزنه.

جرى الولد مباشرة إلى عمه "كولوج الكبير" بسرعة وقال له:

ـ أبي يطلب منك أن تقرضنا الميزان ياعمي!

سأله العم "كولوج الكبير":

ـ وما الذي يريده أبوك بالميزان؟

قال الولد:

ـ لقد باع جلد الحصان وأحضر بدلا منه ذهبًا.

بحث العم "كولوج الكبير" عن الميزان وأخذه بنفسه إلى "كولوج الصغير"، ووزنا الذهب سويًا ووجدوه اثني عشر كيلو جرامًا، فسأل "كولوج الكبير" "كولوج الصغير":

ـ هل حصلت على كل هذا ثمنًا لجلد حصانك؟

أجاب "كولوج الصغير":

ـ نعم!

ذهب "كولوج الكبير" إلى بيته وفكر مليًا ثم قام بقتل أحصنته الأربعة ووضع جلودهم على العربة وأخذهم هو الآخر إلى المدينة الأخرى ليبيعهم. وعدوه التجار بثمن الجلد الحقيقي، لكن "كولوج الكبير" لم يبعهم ولم يتنازل في السعر وأراد أن يحصل على ما حصل أخوه حسب روايته، وقال:

ـ جلد الواحد بستة من صحون الذهب!

بالطبع لم يحصل على أربعة وعشرين صحنًا من الذهب ثمنا لجلود الأربعة أحصنة وبالتأكيد لم يتفق معه أحد من التجار.

غضب "كولوج الكبير" بشدة على ما حدث معه. عاد إلى بيته وأمسك ببلطته وانطلق في

الحال إلى بيت أخيه "كولوج الصغير" ليقتله، لكن كان الشك قد تسلل إلى نفس "كولوج الصغير" لما سوف يحدث وكانت لديه في هذا اليوم تحديدًا ساحرة شريرة أرادت المبيت لديه فأنامها في سريره أما هو فقد نام على الأرضية. أقبل "كولوج الكبير" في الليل بحذر وحرص شديدين حاملا بلطته وتسلل في ظلمة الليل إلى بيت أخيه وتحسس هناك سرير أخيه وسحب الغطاء من على السرير وطاخ... طاخ! ـ لقد ضرب الساحرة الشريرة العجوز حتى الموت، وكانت هي نفسها الأم العجوز للشيطان نفسه.

استيقظ "كولوج الصغير" في الصباح وأجلس الساحرة الشريرة على عربته في المقعد الخلفي وانطلق نحوه المدينة الأخرى. وقبل أن يصل إلى هناك وقف أمام إحدى الحانات لأنه أحس بالعطش... دخل وطلب من صاحب الحانة كأسا من الخمر فأعطاه وعندئذ قال له "كولوج الصغير":

ـ خذ لجدة جدي كوبًا آخرًا من الخمر، لكن نادِ عليها بصوت عالي لأن سمعها ثقيل:

أخذ صاحب الحانة كاس الخمر إلى السيدة العجوز وصاح بصوت عالي:

ـ تفضلي كأس الخمر هذا: أرسله لكِ ابن ابن ابنك.

بالطبع لم تستمع السيدة له كما لو كان لم يوجه لها الحديث، فقدم لها صاحب الحانة الخمر مرة أخرى وصاح بصوت عال ثانية، لكن لا من مجيب. غضب صاحب الحانة بشدة فكسر كاس الخمر في رأس السيدة فسقطت السيدة العجوز في مكانها من على المقعد.

في هذه اللحظة بالضبط خرج "كولوج الصغير" من الحانة.

ـ يا إلهي... ما الذي يحدث هنا؟! ماذا فعلت بجدة جدتي؟ قتلتها... يا إلهي... ياللهول!

خاف صاحب الحانة بشدة وبدأ يتوسل في التو لـ "كولوج الصغير" كي لا يخبر أي شخص على فعلته الشنيعة وسيعطيه ثلاثة صحون من الذهب على سكوته وعدم فضح الأمر!

فكر "كولوج الصغير" لبعض الوقت، ثم قال:

ـ موافق لكن بشرط أن تقوم بدفن جدة جدتي ولا يعلم أحد عن مكان دفنها.

فقال صاحب الحانة:

ـ لدي حديقة كبيرة سوف أدفنها فيها، لكن أرجو من حضرتك ألا تخبر أحد على الإطلاق... أرجوك!

قام صاحب الحانة بسرعة البرق بتكييل الذهب المتفق عليه لـ "كولوج الصغير" ثم عاد بعد ذلك إلى بيته ومعه الذهب وأرسل ابنه مرة أخرى إلى "كولوج الكبير":

ـ أحضر الميزان؟

جري الولد فرحًا وقال لـ "كولوج الكبير" بوجه تنبعث منا الفرحة والسعادة:

ـ أبي يطلب منك أن تقرضنا الميزان ياعمي!

سأله العم "كولوج الكبير":

ـ وما الذي يريده أبيك بالميزان؟

قال الولد:

ـ لقد باع سيدة عجوز في المدينة الأخرى وأحضر الكثير من الذهب بدلا منه.

بحث العم "كولوج الكبير" عن الميزان وأخذه بنفسه إلى "كولوج الصغير"، ووزنا الذهب سويًا ووجدوهما ستة كيلو جرام، فسأل "كولوج الكبير" "كولوج الصغير":

ـ من أين حصلت على هذا الذهب؟

أجاب "كولوج الصغير":

ـ في الليلة الماضية قمت أنت بضرب سيدة عجوز لدي حتى الموت، كانت هي جدة جدي فأخذتها إلى المدينة الأخرى وحصلت على هذا الذهب ثمنًا لها.

ـ وهل يشترون هناك السيدات الميتة؟

ـ بالطبع يشترونها، وقد سألني الكثير منهم أليس لدي المزيد كي أبيعه لهم!

هذا ما أراد معرفته فحسب هذا الـ "كولوج الكبير" الذي هو بلا روح فجرى عائدًا إلى بيته فضرب أمه على رأسها ووضعها في البرويطة(١) وجرها إلى المدينة الأخرى وبدأ يعرض البضاعة بعلو صوته:

---

(١) البرويطة (أصلها من الفرنسية Brouette) اسم باللهجة العامية يطلق على العربة اليدوية الصغيرة المعروفة، ذات العجلة الواحدة، بمقبضين طويلين .كانت تصنع من الخشب، فأصبحت من مختلف المعادن، واتخذت عدة أشكال، أما أصلها فيشوبه الغموض، فهناك من ينسبها إلى الصينيين القدامى، وهناك من ينسبها إلى عهد الفراعنة، لأنها استعملت في مراسيم الدفن الفرعونية.

ـ تعالوا... أقبلوا... تفرجوا... هلوا لشراء سيدة ميتة! اشتروا سيدة ميتة!

بالطبع أقبل رجال الشرطة في الحال وأحاطوا به وسألوه:

ـ عن أية سيدة ميتة تتحدث أيها الرجل؟

ـ لقد ضربت أمي العجوز على رأسها وأحضرتها إلى هنا لأبيعها. ـ قال ذلك بكل فخر واعتزاز.

ظل رجال الشرطة يحدقون النظر به ثم كبلوه وحبسوه، وهكذا لحسن حظ السيدة قد تم إنقاذها.

أقسم "كولوج الكبير" على الانتقام الرهيب فلما أن تم إطلاق سراحه بعد وقت طويل أمسك بجوال كبير وتوجه إلى "كولوج الصغير" كي ينتقم منه. وما أن رأى "كولوج الصغير" حتى أمسك به في الحال ووضعه في الجوال الكبير وحمله على كتفه وحمله ليرميه في نهر الـ "تيسا".

وبمجرد أن وصل إلى الكنيسة وهو حامل الجوال كانوا لتوهم يقيمون الصلاة ففكر "كولوج الكبير" قليلًا في أمر ما. وضع "كولوج الصغير" على الأرض ودخل هو ليصلي فبما أنه مقبل على ارتكاب جريمة كهذه فمن الأفضل له أن يقوم ببعض الصلوات والأدعية كي تكفر عن ذنبه.

أثناء ذلك شرع "كولوج الصغير" في الصياح في الخارج:

ـ يا إلهي... يا إلهي... إنهم يأخذونني إلى الجنة! يا إلهي... يا إلهي... إنهم يأخذونني إلى الجنة!

كان يمر في هذا التوقيت رجل في خريف العمر ومعه قطيع من البقر يمتلكه فسمع من ينادي داخل الجوال فتوجه ناحيته وقال:

ـ أرجوك يا أخي خذني إلى الجنة... أستحلفك بالله أن تأخذني إلى الجنة! وأعطيك قطيع البقر هذا كله عن طيب خاطر نظير ذلك!

فقال الجوال، أقصد "كولوج الصغير" في الجوال:

ـ إذن فلنبدل! فك الجوال المربوط أنت واجلس مكاني في الجوال وأنا سوف أربطه!

فك الرجل الذي هو في خريف العمر الجوال وخرج منه "كولوج الصغير" ودخل مكانه الرجل ووقف فيه وقام "كولوج الصغير" بربطه وقال له:

ـ مهما تحدثوا ومهما قالوا فلا تقل شيئا على الإطلاق!

أمسك "كولوج الصغير" بقطيع البقر. سمع الرجل العجوز أن "كولوج الكبير" قد فرغ من صلاته تحية وتطيبا عن روحه وخرج من الكنيسة. التقط الجوال وحمله على كتفه وأخذه متجها إلى نهر الـ "تيسا".

لما أن وصل إلى هناك قال:

ـ حسنًا أيها الملعون "كولوج الصغير"! لننتهي من الحساب كله الآن وللمرة الأخيرة، فلن تخدعني مرة أخرى!

دحرج "كولوج الكبير" الجوال على الشاطئ إلا أن هذا الجوال قد علق بأحد أغصان شجرة صفصاف متدلية فلم يصب العجوز بأي ضرر. لم يلحظ "كولوج الكبير" بأن الجوال لم يسقط في الماء وإنما علق بشيء حال بينه وبين الغرق. عاد "كولوج الكبير" مسرعًا صوب بيته.

بمجرد أن وصل إلى طريق وسط البلدة تسمرت قدماه في الأرض وكاد يسقط مغشيًّا عليه مما رأى، فقد رأى أن "كولوج الصغير" يسحب وراءه قطيعا من البقر بكل هدوء إلى بيته القابع في قريتهم.

بلع "كولوج الكبير" ريقه وقال لـ "كولوج الصغير":

ـ من أين اشتريت قطيع البقر هذا يا "كولوج الصغير"؟

فأجاب "كولوج الصغير" بكل هدوء:

ـ ومن أين لي أن اشتريهم؟ من قاع نهر الـ "تيسا"... من العالم السفلي!

تملكت الدهشة والحيرة "كولوج الكبير" فهو يريد أن يكون له مثلها لأخيه:

ـ وهل ما زال هناك المزيد؟

ـ فأجاب "كولوج الصغير": بالطبع هناك المزيد... وكيف لا يكون هناك المزيد! فأنا أخذت أردأ ما هناك من أبقار... حقًّا هناك أبقار أجمل من الجمال نفسه!

فقال "كولوج الكبير":

ـ أطلب منك يا أخي الصغير أن تضعني في الجوال وترميني في الماء، وساعدني من فضلك بعد ذلك في أن نقود أبقاري فأنا سوف أجلب وآخذ أفضل الأبقار من هناك!

أجاب "كولوج الصغير":

- بالطبع لن أحملك على كتفي فلست أنا بهذا العبط والخبل، لكن أرشدك إلى الطريق الصحيح؛ أما ما ستفعله هناك فهذا شأنك الخاص.

فقال "كولوج الكبير" الطماع بلا حدود:

- أشكرك! تعال... دعنا نذهب بسرعة إلى هناك! أنا أعلم ماذا يجب أن أفعل!

وانطلق بسرعة البرق لدرجة أن "كولوج الصغير" كان يلحق به بصعوبة من شدة سرعته... وبمجرد أن وصل إلى شاطئ الـ "تيسا" - ألقاه في الماء فنزل وغرق ولم يصعد ثانية!

وأخيرًا تخلص "كولوج الصغير" من "كولوج الكبير"، ثم عاش بعد ذلك في سعادة مما تحصل عليه بعقله وفكره الجيد.

العنزة الفضية عازفة الموسيقى

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، كان يعيش في هذا العالم ملك عجوز عاشق للموسيقى. أمر ببناء قصر جدرانه من المرمر، أو بمعني آخر كان هذا القصر جميلًا لدرجة أن من يمشي بجانبه كان من الصعب ألا ينظر إليه من قريب، بل ويلمسه بيده.

كان الملك يخاف بشدة على قصره، فكان يقوم على حراسته أحد الجنود ليلًا ونهارًا، كي تبقي جدران القصر بيضاء جميله لا يوسخها أحد.

في أحد الليالي الشتوية كان جندي الحراسة يقف أمام القصر. كانت ليلة قمرية جميلة، لكن الجو كان باردًا للغاية، وسرح الجندي بعقله وهو يفكر: يا له من أمر جميل لهؤلاء الناس من علية القوم! بينما الرجل الفقير منا في الخارج يتجمد من شدة البرد، هم في الداخل بالبيت يتنعمون في وسائد من ريش النعام، ولا يخطر بعقلهم حتى العالم الخارجي السيء. لكن ماذا عساه أن يفعل رجل فقير مثله؟ إذا كان سيده الملك قد قال له أن عليه أن يقف هنا في البرد، إذن عليه الوقوف لا محالة.

كان الجندي الفقير يفرك في يده وينفخ في أظافره من شدة البرد، لكن بلا جدوى حقيقية. كان القمر بازغًا في كامل حليته، وكان الثلج يحيط بساق الجندي. فكر الجندي ثانية فيما لو كان الملك هو الحارس هنا الآن، وهو صار الملك، لكان بالطبع نام في مكان جميل، ولكان الملك يعاني في هذا الجو، إلا أن هذا لم يكن الحقيقة، لأنه عندئذٍ لكانت الناس تسبه وتلعنه، فلا يسلم الحكام من هذه الأشياء، ولما أن سطع القمر على القصر لمعت وتلألأت الجدران المرمرية.

فكر الجندي في فكرة، إلا أنها كانت أكبر من سابقتها.

ليعلم الجميع ما هي مشكلة الرجل الفقير! أخرج قطعة من الفحم وكتب على جدار القصر بحروف كبيرة:

من يملك المال، يملك كل شيء... ومن لا يملك المال، فلا يساوي شيئًا!

لقد سرح في هذه الفكرة لدرجة أنه لم يخطر بباله أن واجبه هو الحفاظ على نظافة الجدار، وهو الآن من وسخها!

في الصباح كان المفتشون يمرون ليروا هل حدث شيء جديد أم لا. شاهدوا الكتابة على الحائط، فأحضروا الجندي على الفور: من فعل هذا؟ ماذا عساه أن يفعل هذا المسكين؟ اعترف أنه هو من كتب على الجدار. لماذا؟ لأنه كان يعتقد أن المال كل شيء.

أحضروه أمام الملك، فقال له:

ـ خلاصة القول أن المال فقط ما ينقصك؟

أجاب الجندي بشجاعة:

ـ نعم، يا جلالة الملك!

قال الملك ردًا عليه:

ـ إذن ستموت!

إلا أن الرد المباشر والجندي نفسه أعجبا الأميرة ابنة الملك، فتوسلت من أجل العفو عنه، فقال الملك:

ـ حسنًا موافق، لكن أنت نفسك ستأخذ درسًا من المال لن تنساه أبدًا على ما فعلت من وقاحة!

كان بجوار القصر حديقة كبيرة يملكها الملك وتمتد حتى أطراف المدينة. وكعقاب للجندي حبسه الملك في غرفة تحت السور الحجري في نهاية الحديقة. وبما أنه اشتكى أنه ليس لديه من المال فقد أعطاه وفرة من النقود والذهب والفضة ووضعهم معه في الحبس. دعه يستمتع الآن، فلديه كل شيء!

حزنت ابنة الملك أكثر وأكثر الآن. ماذا عليها أن تفعل؟

كان في المدينة صائغ فقير طلبت الفتاة منه النصيحة. وبناء على نصيحة الصائغ في الليل ذهبت إلى الجندي في محبسه؛ صنعت فتحة في السور الحجري وطلبت من الجندي الحبيب أن يعطيها المال والذهب والفضة، وهي ستحضر له الطعام كل يوم. وافق الجندي على ذلك. فكرت مليًا كيف ترقق وتستعطف أباها، إلى أن وصلت لحيلة ما.

طلبت من الصائغ حمل الكنز بالكامل ليصنع لها ما تطلبه منه كي لا يلقي الجندي المحبوس حتفه من الجوع، ولكي يكون وضعه مقبولا حتى تخليصه من هذا المأزق الصعب. بناء على طلبها كان الصائغ في البيت يعمل دوما ـ كان رجلًا ماهرًا حقًا ـ وقد صنع من الذهب والفضة الكثيرة عنزة من داخلها فارغة حيث يمكن أن يجلس فيها إنسان. علاوة على ذلك فإن هذه العنزة كانت تستطيع عزف الموسيقى بشكل جميل بحيث إن سمعها أحد فإنه ينسي كل مشكلاته، بل وينصت للموسيقى فحسب. لما أن انتهى منها الرجل المحترف كسر غرفة الجندي الموجودة في نهاية الحديقة وأعطاها له كي يعزف عليها إذا أحس بالملل. وليعزف بها خاصة إذا سمع خطوات الملك تدق أعلى غرفته.

كان الجندي يعزف الموسيقى بالعنزة الموسيقية ويسلي نفسه إذا شعر بالملل وخاصة إذا سمع خطوات الملك هناك، فهذه الحديقة هي ممشى الملك المفضل ولا أحد سواه.

ذات مرة وبينما كان الملك يتمشى في الحديقة أعلى المكان المحبوس فيه الجندي سمع شيئًا ما: مقطوعة موسيقية رائعة تأتي من مكان ما. ماذا عساها أن تكون هذه، ومن أين؟ ظل الملك ينظر هنا وهناك، لكنه لم يستطع أن يخمن ما مصدر هذه الموسيقى الجميلة.

في اليوم التالي خرج إلى الحديقة بصحبة ابنته ووزيره. كان الجندي تحت في باطن الأرض في غرفة الحبس، ويمكن القول إن مزاجه كان طيبًا في ذاك اليوم فكانت الموسيقى أروع وأفضل من كل مرة، فقال الملك:

ـ حسنًا يجب عليّ أن أعلم مصدرها الآن! نظر إلى المكان، لكنه كان قد نسي من زمان أنه حبس أحد جنوده هنا لأنه وسَّخ قصره. استدعى العمال الفتيان وأمرهم بالحفر من حيث سمع المقطوعة الموسيقية.

ظلَّ العمال يحفرون ويحفرون إلى أن وصلوا فجأة إلى الغرفة القابعة تحت الأرض حيث حبسوا الجندي من قبل.

لكن الآن لم يكن هناك أي شيء باستثناء تلك العنزة الفضية، التي كانت مصدر الموسيقى عندما رفعوها لأعلى.

أمسك الملك بالعنزة العازفة للموسيقى وأدخلها إلى غرفته وظلَّ يتفحصها من الأمام ومن الخلف، إلا أنه لم يعلم ما الذي يعزف فيها هذه الموسيقى المدهشة. بعد بحث وفحص مطولٍ لاحظ الملك أن هناك فتحة مفتاح في بطن العنزة. حاولوا فتحها، لكن لم يكن هناك المفتاح المناسب. استدعوا صائغي المدينة إلا أنهم لم يتمكنوا من فتحها، وفي النهاية توجهوا إلى ذلك الصائغ الذي صنع العنزة ففتحها لما أمروه بذلك.

عندئذٍ أحدق الملك بها بشدة لما أن رأى الجندي يخرج منها، ثم صاح فيه قائلا:

ـ من أنت؟

انتصب الجندي واقفا في الحال.

ـ جلالة الملك، أنا ذلك الجندي الذي حبسته جلالتك بين الجدران لأنه كتب على حائط القصر بأن المال هو كل شيء. لم أكن على حق.

سلم عليه الملك بيده، وسأله:

ـ إذن ما الشيء الأغلى من المال؟

نظر الجندي إلى الصائغ الموجود بجوار الملك الذي كان يحمل له الطعام وأجاب:

ـ في المرتبة الثانية مساعدة الناس!

سأله الملك متعجبًا من الرد الغريب:

ـ وما الشيء الذي يقع في المرتبة الأولي؟

انتقلت عين الجندي الآن إلى ابنة الملك، وأجاب:

ـ في المرتبة الأولي: الحب النابع من القلب.

استحت ابنة الملك بشدة لكن الملك ضحك وقهقه، فقد فهم الآن ماذا حدث، وعرف أن هذا الفتى يتمتع بالذكاء.

بعد ذلك زوج الملك ابنته للجندي، وأقاموا الأفراح والليالي الملاح. لم تكن هناك حاجة إلى دعوة عازفي الموسيقى فقد عزفت العنزة الفضية لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ وحتى ظهر اليوم الرابع.

عن البنت الفقيرة التي تخطو نحو الوردة الذهبية

كان هناك رجل فقير، وكان لدي هذا الرجل اثنان من الأولاد، الكبرى بنت، والصغير ولد.

البنت كانت فطنة، وقد وُلدت خارقة من دون أن تعلم.

وعندما شبَّ الابن والبنت، ذهبا للشحاذة بما أنهما فقيران، وقد وصلا إلى سيدة أرملة، فقالت للبنت:

أيتها الفتاة، قولي لأبيكِ إنه إذا تزوجني سوف أغرقكم في الثراء والغنى.

وأعطت لكل منهما قطعة من الخبز، وقال البنت والولد لأبيهما:

ـ أبي، إن السيدة الأرملة تقول إنك إذا تزوجتها فسوف تغدق علينا من النعيم والخيرات.

فقال الأب لابنته:

ـ حسنًا يا ابنتي سأتزوجها إذا كان هذا مرضيًّا لكم.

وفي اليوم التالي ذهب ليتزوجها، وبالفعل أغرقت المرأة البنت والفتى في عزٍ ونعيمٍ لمدة أسبوعين، وبعد مرور أسبوعين إذ بها تقول لزوجها:

ـ إن لم تُبعد أولادك من هنا، فإنني أنا التي سترحل من هنا.

ماذا يفعل هذا الرجل المسكين، ربط كلتا بقرتيه في العربة، وأركب البنت والولد على العربة، وأخذهما إلى الغابة، وصنع كوخًا هناك، وأسكنهما فيه، وقال للفتاة:

ـ حسنًا، ابنتي، عندما أعود، سآخذكما إلى المنزل. سأذهب لأجمع الأخشاب على العربة.

وكانت الفتاة فطنة، فوعت ما يريده الأب. وضع الأب الفأس على العربة، وانطلق صوب المنزل، وبينما هو في طريقه كان يضرب على كل شجرة يمر بها بسن الفأس ضربةً كي يعتقد ولداه أنه يقطع الأخشاب لوضعها على العربة على غير الحقيقة، وقد ترك ولديه هناك في الغابة بالكوخ.

وهناك في الكوخ أمضت الفتاة والفتى وقتًا طويلًا، وفي أحدِ الأيامِ الصيفيةِ خرجت الفتاة تتجول في الغابة. كان في وسط هذه الغابة مرج جميل ليس له نظير في هذا العالم.

وفي إحدى المرات ذهب ابن الملك إلى الغابة ليصطاد، وبينما هو كذلك إذ وقعت عيناه على هذا المرج.

رأى الأمير المكان الخلّاب، ولاحظ أن به الكثير من العشب، وقرّرَ أن يُعطي القليل من هذا العشب لحصانه ليأكله، وعندما وصل إلى هناك تسمّر في مكانه لأنه رأى هناك ولدًا وبنتًا جميلين أعجبا الأمير بشدة، فقال للبنت:

- هل تتزوجيني؟

فقالت الفتاة للأمير:

- كيف تتزوجني سموك؟ أنا لن أترك أخي الصغير هنا بمفرده!

التقطت مشطًا، وشرعت في تهذيب شعرها، وكان على رأس الفتاة وردتان تستحي الشمس من شدة جمالهما، ثم قالت للأمير:

- إنني أعطيك هاتين الوردتين الجميلتين، خذهما إلى أمك، وضعهما في كوب من الماء في الشباك، وإذا قدمتم غدًا من أجلي، فإنني سأذهب معكم.

ذهب الأمير بالوردتين الجميلتين إلى القصر، وقصَّ على أمهِ ما دار بينه وبين الفتاة في الغابة، وأن البنت أرسلت لها وردتين جميلتين لتضعهما في كوب من الماء في الشباك، وقد روى لأمه أنه غدًا سيتزوج البنت، ولم تعترض الأم قط، واعتقدت كم أنه سيكون من الجميل أن تتخذ من البنت كِنّةً[1].

ولكي لا أنسى بقية الكلام، فإن الأمير كان مرتبطًا بخطبة ابنة إحدى الساحرات. في اليوم التالي عندما قرروا الذهاب إلى الفتاة المسكينة، صعدت الساحرة إلى آخر عربة الأمير مع بنتها من دون أن يراهما أحد، وانطلقوا إلى البنت الفقيرة. لما وصلوا إلى هناك أركبوها العربة هي وأخيها الصغير، وأثناء العودة في اتجاه القصر، تحديدًا وعندما وصلوا إلى أطراف الغابة، أوقفت الساحرة العربة بطريقة خفية، وأخذت الولد الصغير، وأنزلت الفتاة المسكينة من العربة، وبدلت ملابسها مع ملابس ابنتها، ولم تكتف بهذا بل أخذت عيني الفتاة المسكينة. في القرب من ذلك المكان كانت هناك ترعة يعج شاطئها بالبوص فربطتها فيه، ثم أجلست الساحرة ابنتها إلى جانب الأمير، أما الفتاة المسكينة فقد ظلت قابعةً بين شجر البوص الكثيف.

عادت الساحرة إلى العربة، وعادوا إلى القصر، وهناك دعوا الأمراء، والنبلاء، والبارونات إلى حفل ضيافة كبير، وكان حقًّا عُرْسًا كبيرًا.

---

(١) زوجة الإبن.

كان الأمير في صباح اليوم التالي على موعد مع الحزن، لأن خطيبته تمشطت، ولم تخرج من رأسها وردة كما فعلت من قبل، وإنما قملةً. فكَّر في نفسه: ما هي مشكلتها؟ وازداد حُزْنًا.

كان بجانب البوص ـ التي رُبِطتْ فيه الفتاة المسكينة ـ ترعة مائية، وكان يذهب إلى هناك رجل عجوز ليصطاد الأسماك منها. حدث مرة أنه ما إن بدأ الصيد هناك، فشبكتْ الصنارة البنت من شعرها، فتألمت وصرخت من الألم، وسمع الصياد العجوز هذا العويل، فصرخ بعلو صوته:

ـ إذا كنت إنسانًا فاصرخ ثانية، وسوف أعثر عليك!

سمعت الفتاة المسكينة هذا النداء، فصرخت مرة أخرى، فذهب إلى هناك الصياد العجوز، وفكها من شعرها، وأخذها معه إلى منزله المتواضع للغاية.

قالت الفتاة المسكينة، أعطوني مشطا، وتمشطت وقد أخرجت من رأسها اثنتين من الورود الجميلة تستحي من جمالها الشمس، وقالت للرجل العجوز:

ـ أبي العجوز، خذ هاتين الوردتين إلى المدينة، وفي مقابل هاتين الوردتين سيعرضون عليك ثلاثًا أو أربع عربات من الذهب، ولكن لا تبيعهم مقابل ذلك، ولكن قل: "لدي بنت وديعة كانت تتجول في الغابة، فسقطت عينها اليسرى، من يعطي لها عينًا يسرى، أعطي له الوردتين".

انطلق الرجل العجوز إلى المدينة، وبينما هو يسير في المدينة، كانوا يعدونه بأربع ـ خمس عربات من الذهب، ولكن الرجل العجوز لم يبعهم، وكان يقول فقط:

ـ "لدي بنت وديعة كانت تتجول في الغابة، فسقطت عينها اليسرى، من يعطي لها عينًا يسرى، أعطي له الوردتين".

وظل هكذا يقول إلى أن وصل إلى بوابة الملك، فسمعته الساحرة العجوز، بأنه يبيع وردتين جميلتين، فأسرعت وقالت لابنتها:

ـ ابنتي! إن زوجك ليس بالبيت، اذهبي وخذي هاتين الوردتين، وعندما يأتي إلى المنزل سيسعد كثيرا لهاتين الوردتين، وسيعتقد أنكِ أخرجتيهما من رأسك.

خرجت الأميرة، ووعدت بخمس أو ست عربات من الذهب مقابل الوردتين الجميلتين، ولكن الرجل العجوز لم يُردْ ذلك، وقال إن لديه بنتًا صغيرةً كانت تتجول في الغابة، فسقطت عينها اليسرى، من يعطي لها عينًا يسرى، أعطي له الوردتين.

وعلى هذا قالت الساحرة لابنتها:

- اذهبي يا ابنتي وأحضري من خلف المدخنة العين اليسرى لتلك الفتاة التي اقتلعناها في الغابة.

ذهبت ابنة الساحرة وأحضرت العين اليسرى لتلك الفتاة، وأعطتها للرجل العجوز، وأُعطاها الرجل العجوز الوردتين، ثم عاد المنزل، وبمجرد أن وصل أعطى الفتاة عينها. وفي الصباح الباكر استيقظت الفتاة، وخرجت، وبقطرات الندي غسلتها، ووضعت عينها في مكانها، وأصبحت ترى أفضل من ذي قبل بسبع مرات، ثم قالت:

- حسنًا عادت إلى مكانها إحدى عينيّ، أصبح مزاجي الآن جيدًا.

وبمزاج طيب قطفت الفتاة وردتين أخريين ولكن أجمل من سابقتها التي مشطتها من شعرها بسبع مرات، وقالت للرجل العجوز أن يأخذهما إلى المدينة، وأنهم سوف يعدونه مقابلهما عشر أو إحدى عشرة عربة من الذهب، ولكن لا تعطيها لأحد، ولكن قل: إن لديك بنتًا صغيرةً كانت تتجول في الغابة، فسقطت عينها اليمنى، من يعطي لها عينًا يمنى، أعطي له الوردتين.

كانوا يعدونه في المدينة بإحدى عشرة أو اثنتا عشرة عربة من الذهب، ولكن الرجل العجوز لم يُرِدْ أن يبيعها، وكان يقول فقط: "لدي بنت صغيرة كانت تتجول في الغابة، فسقطت عينها اليمنى، من يعطي لها عينًا يمنى، أعطي له الوردتين".

وظل هكذا يقول إلى أن وصل إلى بوابة الملك، فسمعت الأميرة أنه يبيع وردتين خلابتين، فاستوقفت الرجل العجوز، وقالت له:

- حسنًا أيها العجوز، بكم تبيعني هاتين الوردتين؟

قال الرجل العجوز:

- أعطيك الوردتين، إذا أعطيتني العين اليمني.

ذهبت الأميرة وأحضرت العين اليمني لتلك الفتاة، وأعطتها للرجل العجوز، وأعطاها الرجل العجوز الوردتين، وغدا عائدًا إلى المنزل، وبمجرد أن وصل المنزل، أعطي الفتاة العين. في الصباح الباكر استيقظت الفتاة، وخرجت، ووضعت عينها مكانها وبقطرات الندي غسلتها، وأصبحت ترى بها أفضل من الأخرى بسبع مرات، وقالت للرجل العجوز:

أبي، أمي، لقد تحملتما حتى الآن مشكلاتي عن طيب خاطرٍ. الآن اجمعا أوانيكما، وأحضراها إلى وسط المنزل، وكدِّسوهما فوق بعض، وعندما أحضرا كل الأواني الخاصة بهما، قالت لهما:

- حسنًا أبي العجوز، لا تخجل من فضلك، واستدر فحسب!

لم يخجل الرجل من نفسه، واستدار أمامها، وتحوَّل إلى فتى يبلغ من العمر ستة عشر عاما.

ثم قالت للسيدة العجوز أيضا:

ـ حسنًا يا أمي لا تخجلي أنت الأخرى، واستديري إذا سمحتِ!

استدارت السيدة العجوز، وأصبحت هي الأخرى فتاة ذات أربعة عشر ربيعًا، واستلت مِشطًا، وكست كل تلك الأواني التي أحضروها إلى وسط المنزل بالذهب، وقالت للرجل العجوز والسيدة العجوز.

ـ حسنًا، الآن أصبح لديكما ما تعيشان منه... آن أوان الرحيل.

وبهذا ودعتهما الفتاة، وانطلقت إلى المدينة حتى وصلت إلى بوابة الملك، فقالت لها الطبَّاخة:

ـ إلى أين تذهبين، أيتها الفتاة؟

فقالت البنت:

ـ أبحث عن عمل، إذا كان ممكنًا.

دخلت الطبَّاخة إلى الأمير، وأخبرته أنه توجد فتاة في الخارج عند البوابة، وكم أنه من المفيد أن تعمل بغسل الملابس لديهم، وعملت الفتاة هناك أيضا على مساعدة الطبَّاخة.

ومكثت هناك قرابة ثلاثة أسابيع، وبعد مرور ثلاثة أسابيع، في يوم أحد، قالت الفتاة للطبَّاخة:

ـ أيتها الطباخة طيبة القلب، أرجوك أن تسمحي لي أنا أيضًا بعمل فطيرة.

سمحت لها الطبَّاخة بعمل فطيرة، ووضعت فيها ذلك الخاتم الذي أعطاها إياه الأمير في الغابة عندما أعطت له الوردتين الجميلتين. وصلت هذه الفطيرة إلى الأمير أثناء الغداء وقت الظهيرة، فتوجه إلى الطباخة وسألها، من صنع هذه الفطيرة، فأخبرته أنها لم تصنعها، وبالطبع كان الأمير يعلم ذلك. ثم انفجر الأمير في الضحك، وبمزاج صافٍ مشي للأمام، وفي إثره أصبح هناك وردتان جميلتان لم يرهما في حياته.

وبعد وقت قصير عرف الأمير أن هذه هي حبيبته، وفي الحال، أمسكها من يدها، ورفعها، وأجلسها إلى جانبه، ثم ربط الساحرة وابنتها وحملها على الاعتراف أين وضعوا الأخ الأصغر للفتاة، وقد وضعت الساحرة وابنتها أخو الفتاة الأصغر في جدار صخري. وأخرجه الأمير من هناك، ووضع الساحرة وابنتها في برميل كبير جدًّا، وأحاطت الحاشية بهذا البرميل الكبير وظلوا يضربونها وهم يلفون البرميل، وأخذوهما إلى جبل كبير، وألقوا بهما من أعلى الجبل، فتكسرا إلى فتات، وتزوج الأمير من الفتاة، وأقاموا عُرسًا كبيرًا، وظلُّوا حتى اليوم يقيمون الأفراح والليالي الملاح، إن لم يكن قد توفاهما الله.

الجنية الجميلة "إلونا" و"آرجيلوش"

ذات مرة كان هناك ملك لديه ثلاثة من الأبناء الذكور، وكان لدى الملك شجرة تفاح تنبت تفاحا ذهبيًا. كانت شجرة فريدة من نوعها فكانت تثمر في الليل وينضج عليها التفاح في كل ليلة، وهكذا فقد كان ثراء الملك يزداد يومًا بعد يوم فأصبح ملكًا غنيًا لا نظير له في العالم أجمع.

كان من عادة الملك أن يخرج ليتمشى في الصباح الباكر في حديقته الرائعة الجميلة، وذات مرة لم يجد التفاحات الذهبية المعتادة، وتكرر الأمر في اليوم الثاني والثالث... إلخ.

جمع الملك رجال البلاط الملكي كله وأعلن أنه إذا تقابل مع أي إنسان يستطيع حراسة التفاحات الذهبية فإنه سيمنحه نصف عرشه.

لم يكن يلزم للحراس أكثر من ذلك فوقفوا هناك عند شجرة التفاح، لكن بلا فائدة، ففي منتصف الليل راحوا في سبات عميق وبالكاد كانت قد انقضت ربع الساعة على غرقهم في النوم وقد اختفت كل التفاحات الذهبية كالعادة. بعد ذلك تشاور أبناء الملك الثلاثة فيما بينهم وأعلنوا أنهم سيقومون على حراسة شجرة التفاح بأنفسهم.

في المرة الأولى ذهب الابن الأكبر ليتولى الحراسة لكن حدث معه ما حدث في السابق مع الآخرين.

لم يكن حظ الثاني أفضل من الآخرين.

حان دور الأمير الصغير "آرجيلوش". في البداية ملأ علبته الذهبية جيدًا بالتبغ ووضعها في جيبه وجلس تحت شجرة التفاح.

كان القمر يضيء جيدًا. ولما أن شعر الأمير "آرجيلوش" أن النوم يداعبه فشم بعض التبغ وفرك عينيه، فتنبه بشدة، ولما راوده النوم ثانية اشتم كمية أكبر من التبغ وفرك عينيه مرة أخرى بقوة ثم سمع صوت همس منخفضًا. نظر إلى أعلى فرأى اثني عشر غرابًا يحلقون مباشرة فوق شجرة التفاح، أما الغراب الثالث عشر فكان القائد ويطير في المقدمة. أمسك "آرجيلوش" بساق الغراب الثالث عشر، وصاح:

ـ أمسكت بك أيها اللص... أمسكت بك أيها اللص!

أثناء ذلك نظر فوجد بين يديه فتاة حسناء ضفائر شعرها تغطي كتفها الأبيض الجميل، فصمت لبرهة ثم قال لها:

ـ من أنت أيتها اللصة الجميلة؟ لن أطلق سراحك أبدًا بعد الآن!

ـ أنا الجنية الجميلة "إلونا"، وهؤلاء هن رفيقاتي، وكنوع من التسلية نطير إلى هنا كل مساء ونجمع التفاح الذهبي. لا يمكنني البقاء هنا، لكنني أعترف لك بأنك الشخص الذي لن أنساه قط، لأنني أحببتك... أحببتك أنت فقط!

ـ ابق معي ـ طلب منها ذلك "آرجيلوش".

ـ لا يمكنني البقاء، لكنني أعدك أنني من اليوم فصاعدًا سآتي كل يوم ولن آخذ التفاح بعد الآن. كن هنا دومًا إذا أردت رؤيتي!

وهكذا طارت الغربان الثلاثة عشر من دون أخذ شيء.

في اليوم التالي كان البلاط الملكي على موعد مع الدهشة الكبيرة فقد كانت هناك كل التفاحات الذهبية على الشجرة من دون أن يأخذ منها أحد، فقبّل الملك ابنه على جبينه. طلب "آرجيلوش" من أبيه الملك أن يسمح له أن يستمر في حراسة شجرة التفاح.

كان الأمير "آرجيلوش" يذهب كل ليلة ليحرس الشجرة كي يرى الجنية الجميلة "إلونا".

كان في البلاط الملكي ساحرة شريرة طاعنة في السن وضعت الأمير "آرجيلوش" تحت عينيها لمراقبته. بدأ الملك في أن يكون فضوليًا ما السبب في حب "آرجيلوش" أن يتناوب الحراسة عند شجرة التفاح؟ فاستدعى الساحرة الشريرة، وقال لها:

ـ أرى أنك وضعتي ابني الأمير "آرجيلوش" تحت عينيك لمراقبته. انتبهي إليه عندما يكون في نوبة الحراسة لدى شجرة التفاح!

فعلت الساحرة ذلك، ولما أن ذهب الأمير "آرجيلوش" ليحرس الشجرة اختبأت بين الأشجار، وفي اليوم التالي كانت قد أعلمت الملك بما جري:

ـ راقبت الأمير "آرجيلوش" فوجدته جالسًا تحت شجرة التفاح مع بنت ذات شعر ذهبي خلاب وقد جائت إلى شجرة التفاح في هيئة غراب، ثم تحولت إلى فتاة ذات شعر ذهبي.

ـ كاذبة، أيتها الساحرة الشريرة! ليس صحيحًا!

ـ لكن هذه هي الحقيقة جلالة الملك. وسأبرهن صدق كلامي.

في مساء اليوم التالي كان "آرجيلوش" والجنية الجميلة "إلونا" يستمتعان بوقتهما. لم يعلما كيف خلدا كلاهما إلى النوم، وعندئذٍ تسللت الساحرة الشريرة وقطعت ضفيرة ذهبية من شعر

الجنية الجميلة "إلونا"، ثم رحلت خلسة.

استيقظت "إلونا" وهي تبكي وتصرخ، فاستيقظ على ذلك "آرجيلوش" وقال:

ـ ما مشكلتك يا حبيبتي؟

ـ آه، يا"آرجيلوش"، انعم بحياة سعيدة، أما أنا فلن أستطع رؤيتك ثانية، ولا يمكنني البقاء لديك؛ يوجد لصوص في بيتك. أنظر فقد قطعوا ضفيرة ذهبية من شعري.

عانقت "آرجيلوش"، وخلعت من يدها خاتمًا، وألبسته في إصبعه.

ـ أعطيك هذا الخاتم وعن طريقه سأتعرف عليك في أي مكان.

هنا ربتت على كتفيه برفق ثم تحولت لغراب وطارت.

في صباح اليوم التالي أعطت الساحرة الضفيرة الذهبية للملك. تعجب الملك بشدة واستدعى الأمير "آرجيلوش" في الحال وقال له:

ـ ابني الحبيب لقد زوجت أخويك، وقد حان الآن دورك في الزواج. لقد بحثت لك عن ابنة ملك غني. أعتقد أنه لن يكون لديك اعتراض عليها.

ـ أبي العزيز، أنا سوف أتزوج فقط ممن أختار. وقد وجدتها بالفعل، إنها الجنية الجميلة "إلونا" التي ستصبح زوجتي!

لم يعجب الملك رد الأمير، وأراد أن يقنع الفتى بالتنازل عن رغبته هذه، لكنه لم يوافق. بعد ذلك حمل الأمر سيفه وذهب يبحث عن الجنية الجميلة "إلونا"، فعم الحداد على البلاط الملكي بأسره بسبب غياب الأمير.

جاب "آرجيلوش" العالم كله لكنه لم يعثر على أي أثر للجنية الجميلة "إلونا".

ذات مرة وصل إلى منزل صغير وجد فيه سيدة عجوز فألقى عليها التحية بكل أدب. كانت المرأة تجلس على كرسي فسألت "آرجيلوش" باندهاش:

ـ كيف أتيت إلى هذه الأرض القاحلة؟

ـ أمي العجوز، ألا تستطيعين أن تقولي لي أين تسكن الجنية الجميلة "إلونا"؟

ـ بالتأكيد لا يمكنني ذلك، لكن ربما أساعدك عندما تعود الشمس، فهي تسطع في كل مكان وبالتالي تعرف كل شيء، لكن اختفي من هنا الآن لأنها إذا رأتك هنا ستقضي عليك!

اختبأ "آرجيلوش". عادت الشمس إلى البيت ودخلت الغرفة، فقالت في الحال:

ـ أف، أف... ما هذه الرائحة الكريهة... إنها رائحة إنسان بلا شك، أليس كذلك يا أمي؟!

وهنا تسحَّب "آرجيلوش" من أسفل السرير، وألقى التحية على الشمس، فقالت له:

ـ أنت سعيد الحظ لأنك ألقيت التحية على بشكل طيب، وإلا لكنت في عداد الموتى! أنا لا أعلم شيئًا عن الجنية الجميلة "إلونا"، لكن ربما أخي القمر يعلم عنها شيئًا.

ذهب "آرجيلوش" إلى هناك، لكن حدث معه مثلما حدث مع الشمس، وأرسله القمر إلى الرياح.

وصل إلى هناك، وألقي التحية وسأل الرياح هل تعلم شيئًا عن الجنية الجميلة "إلونا"؟ فردت بقولها:

ـ أنا لا أعلم شيئًا لكن في الغابة التي لا تبعد عن هنا كثيرًا يسكن ملك الحيوانات، ربما يعلم عن الأمر شيئًا.

ذهب وواصل السير إلى أن أمسى المساء وأسدل الليل ستاره فهجع الكون. صعد الفتى على إحدى الأشجار ونظر هنا وهناك فماذا رأى في هذا العالم؟ فقط لمح ضوء خافت من على مسافة كبيرة يخرج من قلعة جميلة. طرق الباب فوجد قبالته فجأة عملاقًا كانت عينه في وسط جبهته.

ـ مساء الخير جلالة الملك! ألا تعرف شيئًا يدلني على الجميلة "إلونا"، أين تسكن؟

ـ من جميل حظك أن حييتني كما يجب، وإلا لكنت في عداد الموتى الآن! أنا ملك الحيوانات! لا أعلم شيئًا عن الجنية الجميلة "إلونا"، لكن ربما بين حيواناتي هناك من يستطيع أن يرشدك إليها.

وهنا أطلق صفارة فامتلأ القصر كله بالحيوانات في التو واللحظة. طرح الملك السؤال، لكن لم ينطق أي من الحيوانات بأي شيء، إلى أن خرج من بينهم ذئب أعرج وقال:

ـ أنا أعرف شيئًا عن الجنية الجميلة "إلونا"! إنها تسكن فيما وراء البحر الأسود... هناك كسروا ساقي.

ـ حسنًا! إذًا أرشد هذا الأمير المسكين إلى مكانها ـ قال الملك ذلك.

وقف الذئب الأعرج في الحال كي يركب عليه "آرجيلوش" وهكذا انطلقا سويًا وظلا يسيران لمائة ومائة عام، وفجأة أنزله الذئب من على ظهره، ثم قال:

ـ أنا لا يمكنني اصطحابك بعد الآن، وأنت سوف تجد طريقك بمفردك، فليس المكان ببعيد، فقط على مسيرة مائة عام أخرى! ـ وهكذا ودَّعه وعاد وهو يعرج.

واصل "آرجيلوش" السير إلى أن رأى واديًا يحيط به ثلاثة من الجبال. كان هناك ثلاثة من الشياطين تتعارك في الوادي فذهب إليهم وسألهم لماذا يتعاركون فحصل على الرد التالي:

ـ مات أبونا وترك لنا هذه العباءة وهذا السوط وهذا الصندل. إذا ارتديت هذه العباءة ولبست هذا الصندل وفرقعت واحدة بهذا السوط، وقلت "هيب هوب"! لأكن حيثما أريد" ستكون هناك في التو واللحظة. نحن لا نستطيع التوصل لاتفاق بشأن هذه القسمة! ولا ندري من منا يحصل على ماذا.

ـ قال "آرجيلوش": إذا كانت هذه هي المشكلة، فأنا سأقوم بعمل القسمة بينكم بالعدل، وليصعد أحدكم إلى هذا الجبل، والآخر إلى الجبل الثاني، والأخير إلى الجبل الثالث!

صعدت الشياطين إلى الجبال كما أشار عليهم "آرجيلوش" وعندئذ قام بلبس العباءة والصندل وفرقع واحدة بالسوط وقال "هيب هوب"! لأكن حيثما أريد، لأكن هناك حيثما توجد الجنية الجميلة "إلونا!"

فظهر في الحال أمام قصر من الكريستال الناصع البياض.

في هذا التوقيت بالضبط كانت إحدى رفيقات الجنية الجميلة "إلونا" تنظر من الشباك، وتعرفت على "آرجيلوش" فذهبت مسرعة إلى "إلونا" وقالت لها بصوت عالٍ:

ـ "آرجيلوش" هنا!

اعتقدت الجنية الجميلة "إلونا" أنهن يمزحن معها فحسب، فوجهت لكمة لرفيقتها.

جاءت الرفيقة الثانية والثالثة والرابعة والثانية عشرة.... وحملن كلهن الخبر نفسه الذي حملته الرفيقة الأولى.

طرق "آرجيلوش" الباب فأقبلت سيدة تفتح الباب ونظرت بدهشة له، ثم تحولت دهشتها لسعادة كبيرة وقالت:

ـ يا له من أمر طيب أن تكون هنا "آرجيلوش"! على الأقل ستحرر ابنة ملكنا! الآن يمكنك البقاء هنا حتى منتصف الليل لأنه حينئذٍ فقط يمكن تحريرها. فإذا قبلتها ثلاث مرات لن يبق تأثير للسحر عليها. لقد جئت في التوقيت المناسب لأن الساحرة الشريرة ليست في البيت، وإلا لكنت من الأموات الآن!

ـ أنا لا أخاف منها على الإطلاق، بل وسأحاربها أيضًا إن لزم الأمر ـ قالها "آرجيلوش"!

دعت هذه السيدة "آرجيلوش" إلى الداخل وفرشت له سريرًا من الحرير وأعدت له عشاءًا فاخرًا، ثم قالت له:

ـ كل ليلة تأتي إلى هنا الجنية الجميلة "إلونا"، لا تنم!

كان لدى الساحرة الشريرة التي سحرت الجنية الجميلة "إلونا" صفارة إذا نفخت فيها تجعل الحضور يغرقون في النوم. ولما أن عادت إلى البيت أخرجت الصفارة واستدارت وصفرت فخلد "آرجيلوش" إلى النوم العميق كي لا يتمكن من تقبيل حبيبته وبالتالي يحررها من السحر. جاءت الجنية الجميلة "إلونا" في منتصف الليل فرأت حبيبها وصاحت:

ـ استيقظ يا حبيبي! إذا أعطيتني ثلاث قبلات سيزول أثر السحر عني.

لكن "آرجيلوش" لم يستيقظ، فقالت الساحرة له في الصباح:

ـ كانت هنا الجنية الجميلة "إلونا"، إلا أنك قد نمت كالقتيل.

في اليوم التالي وكذلك في اليوم الثالث حدث الشيء نفسه.

ذات مرة وبينما كانت الساحرة الشريرة تغفو على نفسها لمح "آرجيلوش" الصفارة في رقبتها فأخذها ونفخ فيها فرأى أن كل الخدم قد ناموا.

عندئذٍ أدرك أنه يخلد إلى هذا النوم العميق عندما تصفر الساحرة الشريرة، وعلق هذه الصفارة في رقبته هو. أرادت الساحرة الشريرة أن تستيقظ عدة مرات، إلا أنه كان في كل مرة يطلق صفارته إلى أن حلّ منتصف الليل.

جاءت الجنية الجميلة "إلونا" في هذا الوقت فقبلها "آرجيلوش" ثلاث قبلات فأنارت القلعة كلها، وفتحت كل الأبواب، وتدمرت الساحرة الشريرة.

ولما أن هم بتقبيلها ثانية كان قد سدد إليها إحدى عشرة لكمة.

ـ هذا لأنكِ لكمتي رفيقات اللعب الإحدى عشرة لما أن قالوا الحقيقة.

ـ أستحق ذلك!

عندئذٍ أمسك "آرجيلوش" بالجنية الجميلة "إلونا" وألبسها عباءتها وصندلها، وفرقع واحدة بالصندل.

ـ هيب هوب! لأكن هناك حيثما أريد... أريد أن أكون في قلعة أبي!

كانا هناك في لمح البصر.

صار "آرجيلوش" ملكًا عظيمًا، وصارت الجنية الجميلة "إلونا" جنية عظيمة. وربما ما زالا على قيد الحياة، ما لم يكن قد توفاهما الله.

الدب الداعر

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، ذات مرة كان يعيش طفل صغير. هذا الطفل الصغير خرج في إحدى المرات إلى الغابة، وتسلق شجرة كمثرى عالية، وهناك بدأ في أكل الكمثرى بسكين جيبه المصنوع في فيينا[1]. وبينما هو كذلك، إذ بدب مهملٍ متسخٍ يقبل إليه، أو كما كان يقال عليه في تلك الآونة: دب داعر. كان على ظهر هذا الدب جوالا فارغًا. ما إن رأى الولد الصغير على الشجرة، حتى ذهب أسفلها وقال له:

- أنت أيها الطفل الصغير! أعطني ثمرة كمثرى صغيرة بسكينة فيينا هذه.

- بالطبع لن أعطيك، لأنك ستقضي عليَّ.

- وكيف لي أن أفعل ذلك، كيف؟ ليس أنا بالطبع من يُقبل على هذه الفعلة المشينة، أعطني فحسب!

قطف الولد ثمرة جميلة، وأمدها له بيده، وهنا أمسك الدب الداعر بذراع الولد الصغير، وضربه، ووضعه في الجوال، فبكي الولد الصغير وأسهب في الدموع، لكن من المؤكد أن الدب لم يكترث بدموعه، فقد حمل على ظهره الجوال فحسب، وذهب به إلى موطنه عبر بلاد العجائب السبع، وخلال الطريق شعر الدب بالإجهاد، فأنزل الجوال إلى جانبه، ونام هناك في مكانه.

وبمجرد أن رأى الولد الصغير ذلك، قطع الجوال بسكينته وملأه حتى النهاية بالحصى والشوك، ثم نجا بنفسه هاربًا.

ولما أن استيقظ الدب حمل الجوال، وانطلق به مباشرة إلى منزله. وفجأة إذ به يشعر بوخز في جانبه. فزمجر عدة مرات، ثم قال:

- لا تضايقني أيها الطفل الصغير، لأنك سترى ما سأفعله بك لاحقًا!

وهكذا واصل السير، وأصبح جانبه ينخز أكثر وأكثر، فقال ثانية:

- لا تضايقني أيها الطفل الصغير، أكثر من هذا فلسوف ترى ما سأفعله بك!

---

(١) فيينا: عاصمة النمسا (إحدى الدول الأوربية الملاصقة للمجر)، وكانت هي والمجر تشكل إمبراطورية كبرى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولم تفعل هذه الكلمات شيئا، فقط استمر الوخز، ولما أن نفد صبره وتحمله، أنزل الجوال من على ظهره، وأخذ يدلك جانبه، ثم حمله وأخذه على ظهره مرة أخرى وواصل السير في اتجاه البيت.

بعد أن وصل إلى البيت قال لوالدته الشيطانية العجوز:

ـ انهضي يا والدتي، وأحضري المرجل الكبير وفيه الماء، وأوقدي عليه النار، وسخنيه جيدًا!

ملأت الوالدة الشيطانية العجوز المرجل بالماء، وأشعلت النار جيدا أسفله.

عندما غلت المياه، فكَّ الدب الداعر حلقة جواله، وأمسك بالجزء العلوي منه، وهزه، فإذا به لا يسمع سوى خبطات الحصى والشوك، حينئذٍ تسمّر مكانه من شدة الصدمة، وقال:

ـ لم يحدث لي هذا من قبل!

وحاملا على ظهره الجوال الخاوي انطلق، وواصل السير عبر بلاد العجائب السبع، ولم يتوقف إلى أن وصل إلى تلك الغابة ثانية، حيث وجد الطفل أول مرة.

وقد كان ذلك الولد الصغير على إحدى أشجار الكمثرى الكبيرة يتناول الكمثرى بسكينة الجيب المصنوعة في فيينا.

ما إن رآه الدب الداعر، حتى ذهب إلى أسفل الشجرة في الحال.

وقال للولد الصغير:

ـ أنت أيها الطفل الصغير! أعطني واحدة كمثرى صغيرة بسكينة فيينا هذه.

ـ بالطبع لن أعطيك، لأنك ستضربني.

ـ وكيف لي أن أضربك، كيف؟ ليس أنا بالطبع من يفعل بك ذلك، أعطني فحسب!

وبالفعل أمسك الولد بواحدة، ورماها له، فقال له ذلك الدب الداعر:

ـ ياه، يا أيها الولد الصغير، لم أقل لك أن تقذف لي بواحدة، وإنما قلت أن تعطيني واحدة بسكينة فيينا هذه.

وظل الدب يُلح في طلبه ويتوسل إليه تحت الشجرة، إلى أن أسقط الولد الصغير له ثمرة كمثرى جميلة، وأمدها بيده إليه، وهنا أمسك بذراع الطفل الصغير، وحطمه ووضعه في الجوال، ورفعه على ظهره، وحمله وأحضره عبر بلاد العجائب السبع صوب بيته.

شعر الدب ثانية بالنعاس أثناء الطريق، لكن الآن كان لديه من العقل بحيث لم ينزل الجوال من على عاتقه خوفًا من أن يهرب الولد ثانية.

وفور وصوله إلى البيت طلب من الوالدة الشيطانية العجوز أن تشعل الفرن وتزيده اشتعالا بلا رحمة، وأن تشوي الولد الصغير فيه، وهكذا ذهب ليغتسل، وبما أنه كان مجهدًا للغاية، فقد استلقى لنيل قسط قليل من الراحة "القيلولة".

أحضرت والدته الشيطانية الكثير من الأخشاب ذات الجودة العالية، وأوقدت بها الفرن، حتى كاد أن ينهار من شدة اللهيب، وما أن توهج قعر الفرن، حتى أحضرت طبق الشواء المسطح، وقالت للولد الصغير:

ـ حسنًا أيها العبد الصغير، اصعد هنا على طبق الشواء المسطح هذا!

تكوَّر الولد الصغير على الطبق، وحاولت الوالد الشيطانية عدة مرات إدخاله في فوهة الفرن، ولكن في كل مرة كان يقف على قدميه، فلا يدخل من فوهة الفرن الضيقة، فقالت له:

ـ ليس هكذا، أيها الغبي، لكن اجلس كلك تمامًا!

ـ آه، أيتها الخالة لا أعرف كيف أجلس عليه، أريني أنت أولا كيف! ـ قال لها الولد الصغير.

لم تتردد الوالدة العجوز الشيطانية في ذلك، وقفزت جالسة على المطرحة، ولم ينتظر الولد الصغير كثيرا: فبمجرد أن رآها هكذا، أمسك بيد المطرحة في لمح البصر وقذف بها في الفرن المشتعل، أما هو فتسلق إلى أعلى الفرن بكل مهارة.

عندما استيقظ الدب الداعر من أحلامه، بحث عن والدته، فقلب المكان رأسًا على عقب، لكنه لم يعثر عليها قط. وفجأة نظر إلى أعلى الفرن، فإذ به يرى أن الطفل الصغير هناك رابضًا في أعلى نقطة في سطح الفرن، فقال:

ـ كيف ذهبت أنت إلى الأعلى، أيها الولد الصغير؟

ـ وضعت سيخا حديديًّا، وقفزت عليه قفزة كبيرة.

فكَّر الدب الداعر أن يفعل ذلك هو أيضًا، ولكنه بمجرد أن قفز قفزة كبيرة، مزقه السيخ الحديدي، وفتته إربًا إربًا، ومات.

أما الطفل الصغير فقد نزل من الفرن وجري وأسرع حتى وصل إلى بيته.

الناي المصنوع من شجرة الإسفندان

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، كان هناك ملك لديه ثلاث من البنات، وذات مرة أرسلهم إلى الغابة لجمع الفراولة قائلًا: من تملأ سلتها أسرع، سأشتري لها أجمل الملابس.

كانت البنت الصغرى هي الأكثر نشاطًا ومهارة، فملأت سلتها بسرعة، أما البنتان الكبيرتان فلم تجمعا إلا القليل، وقضيا الوقت في عمل أشياء أخرى، وعندما لاحظا أن أختهما الصغرى قد ربحت المسابقة، امتلأت نفسيهما بالحقد البغيض، وقالت الأخت الكبرى للأخت الوسطى بصوت خافت:

ـ ماذا سيقول أبونا عندما يرى أننا قد جمعنا القليل في حين أن أختنا الصغرى قد ملأت سلتها بالكامل! وسيسألنا: ماذا كنا نفعل؟ بماذا نجيب عليه؟ فلنقتل أختنا الصغرى كي لا نوبخ، ولنقل لأبينا أننا قد فقدناها في الغابة، وظللنا نبحث عنها كثيرًا، ولذلك لم نتمكن من ملء سلتينا، ورجعنا متأخرتين هكذا إلى المنزل.

لم تكن الفتاة الوسطى ترضى بالاتفاق، ولكن الفتاة البكر قد قامت بقتل الابنة الصغرى في نهاية المطاف، وورطت الوسطى في هذا العمل المشين، وفي المنزل كذبا على الأب مدعيتين أن أختهما الصغرى فقدت في الغابة، وأنهما بحثا عنها في كل مكان، ولكن بلا جدوى، لذلك فمن كثرة البحث لم يجمعا فراولة بالقدر الكافي، إلى أن جنح الليل عليهما، وبالكاد تمكنا من العودة!

أسف الملك على ابنته الصغرى كثيرًا، وبكى عليها بحرقةٍ، فقد كانت البنت الفضلى بين بناته.

وعلى قبر بنت الملك الصغرى المسكينة هناك في الغابة وُلدت شجرة إسفندان.

وفي الربيع كان هناك أحد رعاة الأغنام يرعى في منطقة الغابات هذه، وعندما اتجه نحو شجرة الإسفندان[1]، فكر برهةً ثم قطع منها غصنًا، وصنع منها نايًا، وفي التو قام بتجربته، ولكن هذا الناي كان يقول دومًا فقط:

أعزف، اعزف، أيها الراعي الشاب!... فقد كنت أنا أيضًا ابنة ملك،

---

(١) الاسفندان: هو جنس من الأشجار أو الشجيرات، ينمو في المناطق الشمالية في روسيا وأوروبا وكندا وغيرها، يعرف منها حوالي ٢٠٠ نوع معظمها من آسيا. بعض أنواعها صغيرة ولا يزيد طولها عن ٤٥ قدما، وتشتهر باسم القيقب. بينما أنواع أخرى قد يصل طولها ما يزيد على عشرين مترا.

ومن ابنة الملك صارت شجرة إسفندان،... ومن شجرة الإسفندان صار الناي.

ذات مرة ذهب الملك نفسه إلى هناك، وسمع ماذا يقول الناي، وكان يفكر دائمًا في ابنته الصغرى، وقد أتى إلى خلده الآن كيف اختفت ابنته في هذه الظروف الغامضة في الغابة، وسأل راعي الأغنام، من أين اشتري هذا الناي.

فأجاب الراعي:

ـ لقد قطعتها من هذه الغابة.

ففكر الملك لبعض الوقت:

ـ أعطني هذا الناي قليلًا.

أعطى الراعي الناي للملك، ووضعه الملك في فيه، ثم نفخ، فقال الناي هذه المرة:

اعزف، اعزف، يا أبي الملك!... فقد كنت أنا أيضًا ابنة ملك،

ومن ابنة الملك صارت شجرة إسفندان،... ومن شجرة الإسفندان صار الناي.

وعلى إثر ذلك أخذ الملك الناي، وأحضره إلى المنزل، وأعطاه لزوجته، كي تنفخ فيه هي أيضًا، وعندما نفخت فيه الأم، قال الناي:

اعزفي، اعزفي، يا أمي الملكة!... فقد كنت أنا أيضًا ابنة ملك،

ومن ابنة الملك صارت شجرة إسفندان،... ومن شجرة الإسفندان صار الناي.

سمع كلاهما ماذا يقول الناي، وكانت زوجة الملك تعتقد منذ وقتٍ بعيدٍ بأن بنتيها الأخريين لا تقولان الحقيقة كاملة عن فقد أختهما، فقامت باستدعائهما، وبمجرد أن دخلتا، أعطت الملكة الناي لابنتها الوسطى كي تنفخ فيه، فشرع الناي بالقول:

اعزفي، اعزفي، ياأختي السيئة!... فقد كنت أنا أيضًا ابنة ملك،

ومن ابنة الملك صارت شجرة إسفندان،... ومن شجرة الإسفندان صار الناي.

ـ الآن انفخي أنت يا ابنتي الكبرى، ولكنها لم ترد ذلك بالطبع، إلا أنها لم تفلت من الأمر، وضعوا الناي في يدها، فوجب عليها النفخ، ونفخت فيه بصعوبة، فقال الناي:

اعزفي، اعزفي، يا قاتلتي!... فقد كنت أنا أيضًا ابنة ملك،

ومن ابنة الملك صارت شجرة إسفندان،... ومن شجرة الإسفندان صار الناي.

فسقط الناي من يد الأخت الشريرة، وانحنت على ركبتها، وأقرَّت واعترفت بذنبها، وتوسلت من أجل العفو عنها.

ولكن الملك أمر بإخراجها من المنزل في التو، بل ومن العاصمة، ومن البلد كلها، متوعدًا إياها بقطع رقبتها في حالة عودتها.

الفارس والخادم

ذات مرة في قديم الزمان أرسلت الكاهنة خادما معه طبق وصينية وإناء للبن في سلة كي يغسلهم في الجدول المائي. رأى الخادم أثناء الغسيل أن واحدًا من الجمبري يخرج من الماء. ولم يكن قد رأى جمبريًا من قبل، فتوجه ناحيته، لكنه كان خائفًا منه بعض الشيء، وتصادف ذلك مع مرور أحد الفرسان، فسأله الخادم:

ـ ما هذا المخلوق الأعجوبة، أيها السيد الشجاع؟

أجاب عليه الفارس:

ـ بالتأكيد هذا جمبري يا أخي الصغير.

عندئذٍ تجرأ الخادم، وخطا مقتربًا من الجمبري، وبدأ في النظر إليه، وقال:

ـ لا ليس كما قلت، بل إنه لص بالطبع.

قال الفارس ثانية:

ـ بالقطع إنه جمبري.

قال الخادم بكل عفوية:

ـ حتمًا إنه لص.

كررها الفارس ثانية:

ـ إنه جمبري بالطبع.

ـ كيف لك أن تدّعي هذا أيها السيد الجسور، مع أنني أراه يزحف متسللًا تمامًا كاللصوص.

ـ على أي أساسٍ تقول هذا أيها الخادم، علمًا بأنني أرى أنه جمبري؟

ـ حسنًا، ولكنني لست أعمى، ولا مجنون، فهو لص بلا شك ـ قال الخادم.

ـ حسنًا، ولست أنا أيضا بأعمى، ولا بمجنون، فأنا أرى وأعرف أنه جمبري فحسب ـ قالها الفارس.

غضب الخادم، وقد قذف بكل الأواني التي لديه على الأرض، وتهشمت جميعًا وقال بغضبٍ جامحٍ:

ـ فليدمرني الله في الحال، إن لم يكن هذا لصًا.

وثب الفارس من على جواده، وسحب سيفه، وقطع رقبة جواده، وقال:

ـ اللهم اجعل الجلاَّد يقطع رقبتي هكذا، إن لم يكن هذا جمبري.

ذهب الفارس سيرًا على الأقدام، والخادم بلا آنية كل منهما إلى بيته. عندما وصل الخادم إلى البيت سألته الكاهنة:

ـ أين الأواني؟

حكى الخادم ما جرى بينه وبين الجندي فيما يتعلق باللص والجمبري، فقالت:

ـ ولهذا سببت لي هذه الخسارة؟

ـ ياه، يا سيدتي! بالطبع لم ينته الأمر عند هذا الحد، فلم أتركه عندما رأيت بأم عيني أن هذا لص، مع أن الفارس اللعين كان يدعي في كل مرة أنه جمبري!

كانت الكاهنة في تلك الفترة تحديدا تشعل الفرن، لأنها أرادت الشواء، فازدادت غضبًا، فأمسكت بمعطفها النسائي الغالي وقذفته في الفرن، وقالت:

ـ فلتشتعل ألسنة النيران في جسدي هكذا، إن لم يكن كلاكما مخبول!

ـ ما رائحة الجلد النتنة المشتعلة هذه؟ ـ سأل أحد الكهنة الآخرين القادم من بعيد، وعندما علم ما حدث بسبب الجمبري واللص، فأمسك بعباءته، وقطعها بالبلطة إربًا إربًا على العتبة وقال:

ـ فليقطعني الجلاد هكذا إن لم يكن ثلاثتكم مجانين!

وصل إلى هناك أحد الأساتذة الجيران، فقد كانت جرافته في حوش الكاهنة، فذهب ليسحبها إلى منزله، ولما أن علم بما حدث، أمسك بعصا، وظل يخبط مجرفته بقوة أمام الباب حتى إنقلبت وتحطمت، وكان يقول:

ـ اللهم اجعل من حجارة الرحى تدقني ضربا هكذا، إن لم تكونوا عبطًا أربعتكم!

وصل حارس الإكليزيا[1] أيضًا، وسأل ماذا حدث هناك، وعندما سردوا على مسامعه ما دار، غضب ومسك بالصندوق الخاص بالإكليزيا، وخبطه في الأرض فسقط مهشمًا قطعًا قطعًا فتتناثرت مفارش المائدة والمناديل على الأرض، وقال:

ـ فليدمرني الله العزيز المنتقم في هذه الساعة هكذا، إن لم تكونوا مجانين خمستكم!

---

(١) إكليزيا: كنيسة أو جماعة.

أثناء ذلك عاد إلى المنزل المتعهد بحفظ غرفة المقدسات الكنسية، ورأى مفارش المائدة والمناديل على الأرض، وسأل ماذا حدث. ولما أن علم حقيقة ما حدث أمسك بالمفارش والمناديل، وقطعهم واحدا واحدًا، وقال:

ـ فليشطرني الشيطان هكذا، إن لم تكونوا مخبولين أنتم الستة!

انتشر الخبر عن الأمور التي وقعت أكثر وأكثر، وهنا اجتمع كهنة الإكليزيا، وأشعلوا النار في بيت الكاهنة، وقالوا:

ـ فلتأكلنا النار هكذا جميعنا، إن لم تكونوا أنتم السبعة مجانين!

ابن عازف القيثارة والشياطين

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، كان هناك ثلاثة من الرجال الفقراء. ذات مرة ذهبوا إلى الغابة ليقطعوا الأشجار، وظلوا هكذا يقطعون ويقطعون إلى أن قال أحدهم فجأة:

ـ ياه لو تتحقق لي أحد أمنياتي فقط!

ـ لماذا؟ ماذا تتمني؟ ـ سأله الفقير الثاني.

ـ فقال الرجل الفقير الأول: أتمني عند عودتي إلى المنزل أن أجد طبق من السجق وخبزًا أبيض على المائدة!

ـ ثم قال الثاني: أما أنا فأمنيتي هي أن أجد فطيرة جبن على المائدة! وماذا عنك؟ ـ وتوجه بحديثه إلى الثالث.

أما الثالث الذي اعتاد العزف على القيثارة في إحدى الفرق الموسيقية كانت لديه الخبرة الكافية فقد اعتقد أنه ليس مجديًا أن يتمنى، ما لم تتحقق الأماني، لذلك أراد المزاح قليلًا، وقال:

ـ أما أنا وبما أن زوجتي تنتظر مولودا فأتمنى عند عودتي إلى المنزل أن أجد بدلا من الطفل الواحد أن يكون هناك اثنا عشر طفلا!

أقبل المساء وحملوا الأخشاب إلى المنزل، ودخل أحد هؤلاء الفقراء إلى بيته فإذا به يجد طبق السجق والخبز الأبيض على المائدة تماما مثلما تمنى!

ويدخل الآخر منزله فوجد طبق فطيرة الجبن!

وعاد عازف القيثارة أيضا إلى بيته، فوجد الداية هناك، وكما جرت العادة فقد أراد عازف القيثارة وضع الخشب في الركن، لكن الداية صرخت فيه:

ـ لا تضعه في هذا المكان، فهناك طفل!

ود عازف القيثارة وضع الأشجار في ركن آخر، فصرخت الداية ثانية:

ـ لا تضعها هناك أيضا، فهناك طفل آخر!

أراد عازف القيثارة وضع الأشجار في غرفة الخزين، فصاحت فيه الداية:

ـ لا تضع الأخشاب هناك أيضا، لأن هناك طفلين آخرين!

رغب أن يضع الأخشاب هنا أو هناك، لكن بلا جدوى فكل مكان أصبح ممتلئا بالأطفال، ولم يتمكن عازف القيثارة المسكين هذا من وضع الأخشاب من على كاهله، وفي المرة الأخيرة صرخ هو بصوت عالٍ:

ـ يا للحسرة والندامة، من أنجب كل هؤلاء، كم طفل يوجد هنا؟

أجابت عليه الداية:

ـ هنا بالضبط دستة أطفال أي اثنا عشر طفلا!

ارتعدت مفاصل عازف القيثارة لما سمع هذا الرد، فكيف يعولهم. بعد ذلك خرج من البيت، وتنهد قائلا:

ـ يا الله، يا ربي، بخلاف الزوجة أصبحنا ثلاثة عشر في المنزل، يا له من رقم منحوس الحظ! من الأفضل أن أذهب إلى جهنم الحمراء!

وبمجرد أن قال ذلك حتى ظهر أمامه شيطانًا أعرج، فقرص عازف القيثارة في رقبته، وأخذه إلى جهنم الحمراء.

أما عن الأولاد الاثني عشر فقد كبروا وشبوا وترعرعوا في المنزل حتى أصبحوا جميعا في مرحلة الشباب. ذات مرة سأل أصغرهم أمه:

ـ لما لم نر لنا أبا من قبل يا أمي؟ وإذا كان لنا أب، فأين ذهب لأنني لم أسمع عنه شيئا قط؟

قالت السيدة المسكينة:

ـ بالتأكيد كان لديكم أب، يا بني، لكنكم عندما ولدتم، قال إن رقم (١٣) هو رقم منحوس، وهو لن يكون نفسه المتمم لرقم (١٣) حيث يظلهم سقف واحد، ومن شدة غضبه خرج من المنزل، ومنذ ذلك الحين لم يره أحد... لقد فقدناه.

فأجاب على هذا أصغر الأبناء:

ـ حسنًا إذا كان الأمر هكذا يا أمي، فإنني سأبحث عنه، وسأعيده إلى البيت، مهما كلفني الأمر!

وهكذا انطلق الفتى يجوب العالم بحثًا عن والده، وظل يبحث ويبحث هنا وهناك، حتى لف الكرة الأرضية كلها، ولكنه لم يعثر عليه.

وبينما هو هكذا يبحث عنه، تحديدا في الغابة حتى وصل إلى شجرة شاهقة الارتفاع تمتد إلى

عنان السماء، وجذورها إلى جهنم. كان الفتى يفكر في نفسه، إن لم يكن أبي هنا على الأرض فإنني بالتأكيد سأعثر عليه في السماء، سأصعد إلى هناك أيضا، على الأقل هناك في الأعلى سأنظر على كل شيء بالأسفل وأراه بوضوح.

وهكذا أحضر فأسا وبدأ في حفر سلالم له في الشجرة، وهكذا ظل يحفر لنفسه خطوة بخطوة إلى أن وصل فعلا إلى السماء في نهاية المطاف. وما أن صعد إلى هناك وبدأ ينظر يمينا ويسارا فإذا به يرى أرواحا كثيرة لا توصف واقفة أمام بوابة الجنة. ظل يشاهدهم لكن لم يكن أبوه من بينهم، وقد مشى بينهم متفحصًا إياهم يمينا ويسارا، وذهب هناك حتى البوابة، وخبط عليها، فسأله من الداخل القديس "بيتر"، حارس البوابة:

ـ من الطارق؟

أجاب الولد:

ـ أنا "جيجا" الابن الثاني عشر لعازف القيثارة.

قال من الداخل:

ـ غير مسموح بالدخول الآن، انتظر.

ـ أنا لن أنتظر فهذا ليس شأني. اسمحوا لي بالدخول فحسب ودعوني أبحث عن والدي.

أجابوا عليه ثانية من الداخل:

ـ الآن لا يمكننا أن ندخلك يا بني لأن الملك ليس في البيت، تعال إلى هنا عندما يعود.

رأي الولد أن الأمر هكذا لا يستقيم، ففكر في حيلة جهنمية قام على إثرها بقذف قبعته إلى داخل البوابة، وصرخ بصوت عالٍ:

ـ ياه، يا سيدي القديس "بيتر" لقد قذفت الرياح قبعتي إلى الداخل، أخرجها لي من فضلك.

أجاب القديس "بيتر" من الداخل:

ـ سأخرجها لك يا بني، لكنها تدحرجت بعيدا، ولم أعد أراها. سأذهب وأظل أبحث عنها وسط كل هذه الأرواح الكثيرة.

صرخ الفتى:

ـ اسمح لي بالدخول وأنا سأتولى البحث عنها!

ـ ياه، يا بني، لا يمكن هذا الأمر! لقد قلت ذلك من قبل!

صرخ الولد بصوت غاضب نحو الداخل قائلا:

ـ حسنًا! سوف أشتكيك للملك بمجرد أن يعود إلى المنزل وسيحبسك إذا علم أنك لم تسمح لي بالدخول لأبحث عن قبعتي!

ماذا كان بوسعه أن يفعل القديس "بيتر" فقد خاف أن يوبخه سيده فأدخل الولد فعلا. لكنه قد حصل منه على وعد أنه بمجرد عثوره على القبعة سيخرج عائدًا في الحال. وقد وعده الولد لكن لم يكن في خلده أن يعود في الحال بالقطع إذا كان قد أصبح بالداخل. بحث عن قبعته ووضعها على رأسه وقبل هذا كان يبحث عن أبيه في كل مكان.

وبينما هو كذلك إذ وصل إلى تل، وعلى أعلى نقطة في سطح التل هذا كان هناك كرسي فخم له مسند، وكان حوله الكثير من الكراسي الأخرى.

كان الكرسي الكبير الفخم ذو المسند هو كرسي الملك، ومنه كان يمكن رؤية الأرض كلها! أما الكراسي الأخرى فاعتاد المستشارون على الجلوس عليها. انطلق الفتى نحو التل، وعندما وصل إلى الكرسي لم يسأل ولم يسمع. جلس عليه فحسب وبدأ يحدق ويفحص الآن لأنه يرى من هناك لمسافات بعيدة للغاية. وبينما هو كذلك ينظر من أعلى إذ تقع عيناه على كوخ أمه، فنظر إلى هناك بانتباه أكثر، فربما يرى والدته هي الأخرى!

وفجأة لاحظ أن جارهم يريد أن يسرق الخنزير الصغير الوحيد الذي يمتلكونه والذي تحصَّلوا عليه بالكد والعرق، فقال في نفسه:

"حسنًا توقف أنت! سوف أخيفك الآن." والتقط أحد الكراسي وقذفه في اتجاه الأرض! لكنه لم يصل ولا حتى بالقرب من القرية، وبالتالي لم يلمس اللص. وأمسك بالآخر، لكنه لم يصل للهدف المطلوب هو الآخر! التقط الثالث والرابع والخامس... ثم بدأ في إلقاء الكراسي الصغيرة، وبمجرد أن همّ بقذف أحدهم وكان في يده مقلوبًا رأسا على عقب، أي في وضعية الاستعداد للقذف، عاد الملك إلى المنزل، وقال للفتى:

ـ ماذا تفعل هنا، أيها النذل؟

أجاب الفتى:

ـ وكيف لي ألا أقذف كرسيًا وأنا أرى أن جارنا يريد أن يسرق كل ما نملك! لقد سرق الخنزير الصغير لأمي. أردت أن أمنعه فحسب! لكنني لم أتمكن من ذلك.

- إذا كنت سأضرب كرسيًا في كل رجل يسرق خنزيرا صغيرا فلن أستطيع التغلب على كل البشر في هذا العالم. أخرج من هنا بسرعة، وإلا ستكون العاقبة وخيمة!

ارتعدت مفاصل الولد وتراجع بسرعة كما لو لم يكن هناك من الأساس. عندما أصبح خارج بوابة الجنة شرع في التفكير أين يكون أبوه فليس على وجه البسيطة ولا في السماء، إذن أين هو؟ "من المؤكد أنه في جهنم الحمراء فقد أخذته الشياطين إلى هناك" - فكر في هذا الأمر في نفسه. لن يقبضوا علي، سأذهب أنا إلى هناك! وسوف أعطيهم درسًا لن ينسوه!

وهكذا انطلق ولم يتوقف حتى وصل إلى حدود جهنم.

وبينما هو يسير ويواصل المسير إذا به يتقابل مع فوج من الجنود.

- إلى أين تذهب، أيها الولد؟

- أذهب إلى جهنم الحمراء لأبحث عن أبي.

- ليس مفيدًا أن تذهب إلى هناك. نحن أيضا كنا هناك لأن الشياطين قد سرقت الابنة الوحيدة لملكنا! أردنا أن نستعيدها، لكنهم بالقطع لم يعطوها لنا، مع العلم أن الملك وعد من يستعيدها بتزويجه إياها ومعها نصف مملكته! لذلك من الأفضل ألا تواصل السير وإنما تستدير وترجع من حيث أتيت.

أجاب عليهم الولد:

- من المؤكد أني لن أرجع، طالما أنني قطعت كل هذا الطريق!

وهكذا واصل طريقه، وفجأة وصل إلى بوابة جهنم، وطرق عليها وسأل:

- هل "بلوتو"(١) موجود هنا؟

أجاب صوت من الداخل:

- غير موجود.

قال الولد مواصلا حديثه:

- إذن أخرجوا أبي! أعلم أنه هنا!

---

(١) بلوتو: بحسب الأساطير والحكايات الشعبية فهو أخر زعيم للشياطين والذي تعرض للهزيمة على يد قوات البشر، ومع ذلك فقد هرب وأقسم أن ينتقم من الذين هزموه وأوقفوا خططه الشريرة.

أجاب عليه الكثيرون من الداخل في صوت واحد:

ـ لن نعطيك إياه بالطبع! لم نصب بالجنون بعد!

صرخ الفتى متراجعًا إلى الخلف:

ـ حسنًا! سوف تخرجونه بلا شك... أنا على يقين من ذلك!

ضحكت الشياطين على غضب الولد، لكنه لم يكترث بأي شيء فأخرج مجرفة ثم بدأ بالحفر أمام بوابة جهنم بكل همة ونشاط من أمامها ومن جانبيها وأخذت الحفرة تتسع عرضًا وطولًا في المكان.

رأى الشيطان ذلك عبر الفتحة الموجودة في البوابة، فخرج وذهب إليه وسأله:

ـ ماذا تفعل هنا أيها الشاب؟

أجاب الفتى:

ـ أنا؟ أشيد كنيسة فحسب وذلك حتى لا يدخل جهنم ولا يخرج منها أي من أبناء الشياطين لأنكم لم تطلقوا سراح أبي.

خاف الشيطان من ذلك، ودخل مسرعا وأحضر عازف القيثارة العجوز، وقال:

ـ هذا هو أبوك، خذه واذهب لحالك!

لكن الفتى واصل الحفر بالمجرفة في الأرض وقال:

ـ لم ينته الأمر عند هذا الحد! ولن أتراجع قيد أنملة ما لم تعطوني ابنة الملك هي الأخرى.

انتفض كبير الشياطين لما أن سمع ذلك:

ـ ياه، لا تطلب هذا! بالأحرى نعطيك ذهبا وفضة قدر استطاعتك!

أجاب الفتى:

ـ لا يلزمني ذهبكم ولا فضتكم، فقط أريد ابنة الملك.

رد الشيطان:

ـ إذن انتظر حتى يعود "بلوتو" إلى المنزل.

واصل الفتى الحفر ثانية ثم قال:

ـ أنا لن أنتظر ولا حتى مجرد طرفة عين واحدة! ستعطونني إياها أم لا؟ حالًا سأبني كنيسة كبرى هنا حتى أجبر "بلوتو" نفسه على الخروج من جهنم الحمراء!

ارتعدت الشياطين بشدة، فأطلقوا سراح ابنة الملك في الحال، وهكذا انطلق الولد وعازف القيثارة العجوز وابنة الملك في التو نحو العالم الخارجي.

عاد "بلوتو" إلى جهنم، ولاحظ بسرعة أن هناك خطأ ما، فسأل بغضب:

ـ أين ابنة الملك؟

فقال أحد كبار الشياطين مرعوبًا:

ـ بالطبع أعطيناها للفتى لأنه قال إننا إذا لم نعطها له فسيبني كنيسة أمام البوابة كي لا نتمكن من الخروج أو الدخول!

ـ قال "بلوتو": ياه... يا أيها المجانين، لم يكن بوسعه بناء كنيسة، فلم يكن لديه ما يشيدها به. فلينهض وراءه أحد رجالي في الحال بأقصى سرعة ليستعيد منه ابنة الملك! إذا لم يعطها له الفتى، فليقنعه بأنه أقوى منه في سباق الجري.

انطلق المرسال ولحق بالفتى فعلًا بسرعة، ونادى عليه بصوت عالٍ من بعيد:

ـ مهلًا، مهلًا! أعطني ابنة الملك ثانية! أو لنتسابق والمنتصر منا يحصل عليها!

تمهل الفتى ثم قال له:

ـ أنا لا أتسابق بنفسي مع ولد صغير مثلك أنت؟ سأتفوق عليك قطعا في كل شيء!

قال الشيطان:

ـ إذن فلنقم المسابقة.

وبينما كان يتحدث بهذه اللهجة مع الشيطان كان يفكر في نفسه بطريقة أخرى: "وكيف لي أن أتنافس في مسابقة جري مع متسابق كالسرج هكذا! يا له من أمر غير يسير! فلتكن الآن فتى ماهرًا!" رأى الفتى هناك في بجانب إحدى الأشجار أرنبا مستلقٍ، فجالت في خاطره فكرة، فقال بأسلوب يغلب عليه التكبر والعجرفة:

ـ هه... من تتصور نفسك! أنت أيها الشيطان المسكين ما زلت شابًا صغيرًا... ومع مثلك أنت لا أجري بنفسي لكنني سأرسل أخي الصغير لينافسك... حتى هو أيضا سينتصر عليك! انهض وناده، وسيجيب عليك من داخل الشجرة! وإذا انتصرت عليه، إذن تعال إليَّ.

ذهب الشيطان إلى هناك حيث الشجرة، فانتفض الأرنب من مكانه وبدأ في الجري بأقصى سرعة ووراءه الشيطان، لكن لم يلحق به على الإطلاق. لما أن تعب الشيطان من كثرة الجري وعدم لحاقه بالأرنب توقف بعد مسافة ليستريح، وهكذا فقد صدق فعلا أن الأخ أو الفتى الجاري أسرع منه، ولم يجرؤ على طلب ابنة الملك ثانية. عاد مرة أخرى بعين الخزي والعار إلى جهنم الحمراء، فسأله "بلوتو":

ـ أين ابنة الملك؟

رد عليه الشيطان بخزي:

ـ بالقطع بقت هناك! لماذا؟ فقد حدث كذا وكذا! ـ وحكى له ما دار. فأصبح "بلوتو" غاضبًا:

ـ يا مخبول! إنه لم يكن بأخيه الصغير، لكنه كان مجرد أرنب. فلم يكن الولد ليتمكن من الجري هكذا.

وهكذا فقد توجه إلى شيطان آخر مشهور جدًا بأنه يستطيع أن يقذف بصولجانه بشكل لا يضاهيه فيه أحد، وقال له:

ـ انهض وراءه يا بني يا قاذف الصولجان! واستعد منه ابنة الملك!

انطلق قاذف الصولجان وراء الفتى في الطريق هذا وبالفعل لحق به بسرعة، ونادى عليه من بعيد:

ـ مهلًا، مهلًا! أعطني ابنة الملك! أو لتنافسني!

توقف الفتى وفحص الشيطان قاذف الصولجان وقال:

ـ أنا... هل أن سأتسابق بنفسي مع شاب صغير مثلك أنت؟ سأتفوق عليك قطعا في كل شيء!

أخذ الشيطان قاذف الصولجان نفسًا عميقًا ثم قال:

ـ فلنر إذن! من يستطيع قذف الصولجان ذي القنطارين إلى الأعلى أكثر من الآخر!

احتار الفتى قليلا، لكنه قال مع ذلك:

ـ حسنًا ارمه أنت أولًا!

فقذف الشيطان الصولجان إلى أعلى بحيث لم يعد يظهر من كثرة بعده وارتفاعه، ولما سقط

على الأرض أمسك الفتى بهذا الصولجان، وبدأ الصياح: "أخي! أخي!" وهو ينظر إلى السحاب، فسأله الشيطان

ـ لمن تصيح؟

أجاب عليه الفتى:

ـ بالتأكيد لأخي، فهو يعمل حدادًا فوق السحاب في العالم الآخر، وأنا أريد أن أقذف إليه هذا الصولجان فربما يستطيع الاستفادة من الحديد الكثير الجيد المصنوع منه! فقط أنتظر حتى يرد عليّ!

ارتعد الشيطان وقال:

ـ لا... لا... لا... أرجوك لا تفعل! من الأفضل ألا تقذفه إذن! فلتبق لك ابنة الملك، لكن لا تبعدني عن صولجاني إلى الأبد.

عاد هذا الشيطان هو الآخر إلى جهنم من دون ابنة الملك، فسأله "بلوتو" بغضب:

ـ أين ابنة الملك؟

ـ بالقطع لم أستعدها! فقد حدث كذا وكذا! وحكى له ما دار مع الفتى.

امتص بلوتو غضبه ثم قال:

ـ يا مخبول! لم يكن الولد ليتمكن من تحريك صولجانك من مكانه أصلا!

ثم توجه إلى شيطان آخر:

ـ انهض وراءه أنت يا بني يا حامل السوط، واستعدها منه!

وانطلق في إثره الشيطان حامل السوط الذي كان معروفا عنه أن يستطيع أن يفرقع بالسوط بشدة كالمدفع، ولحق بالفتى:

وصرخ فيه من بعيد أيضًا:

ـ مهلًا، مهلًا! أعطني ابنة الملك! أو لتتبارَ معي!

توقف الفتى واستدار ثم قال:

ـ أنا، سأتسابق مع شاب صغير مثلك أنت؟ سأتفوق عليك قطعًا في كل شيء!

أجاب الشيطان المفرقع للسوط بغطرسة:

ـ هل تستطيع أن تصنع فرقعة أكبر مني بهذا السوط الدائري؟

قال الفتى:

ـ فلنر فرقعتك بالسوط أولًا... دعني أرى ماذا تستطيع أن تفعل أنت!

فرقع الشيطان واحدة بالسوط كما لو كانت مدفعا وقال بافتخارٍ شديدٍ:

ـ حسنًا فلتفرقع مثلها!

لم يتفوه الفتى بكلمة واحدة، لكنه بحث بسرعة عن أطواق، ثم ربطها أولا برأس ابنة الملك برفق للغاية ثم في أبيه، وأخيرا فيه نفسه، فسأله الشيطان:

ـ ماذا تفعل؟

أجاب الفتى ببساطة:

ـ فقط أربط رؤوسنا بالأطواق لأنني حالًا سأفرقع فرقعة بالسوط والذي لن تكون رقبته مربوطة هكذا فستنفجر.

ـ يا إلهي، إذن اربط رأسي هي الأخرى أرجوك! ـ ارتعدت مفاصل الشيطان.

وبدأ الفتى في ربط رأس الشيطان لكن بقوة شديدة حتى إن الشيطان توسل إليه بشدة قائلًا: "أتوسل إليك لا تشد الرباط أكثر من هذا، ولتبقى لك ابنة الملك، المهم أن تتركني في حالي!"

أفسح الفتى الطوق عن رقبة هذا الشيطان بعد ذلك، وعاد الشيطان محمرا وجهه من شدة الخجل، فسأله "بلوتو" حانقًا:

ـ أين ابنة الملك؟

رد عليه الشيطان المشهور بفرقعة السوط ماسكا برأسه:

ـ بالقطع لم أستعدها! فقد حدث كذا وكذا! وحكى له ما دار مع الرباط بالطوق، ولقد حكى له وأراه ما وقع له.

لم يعد "بلوتو" يرى أمامه من شدة الغضب ومع ذلك قال:

ـ يا مخبول! لم يكن الولد ليتمكن من عمل فرقعة كهذه على الإطلاق!

ثم يتوجه إلى شيطان آخر:

ـ انهض وراءه أنت يا بني ياسائق عربتي، واستعدها منه بأية طريقة كانت!

وانطلق في إثره الشيطان سائق عربة "بلوتو" بشوكة حديدية، ولحق بالفتى فعلًا، وصرخ فيه من بعيد:

ـ مهلًا، مهلًا! أعطني ابنة الملك، وإلا سأطعنك حتى الموت حالًا! أنقذ نفسك!

أجاب الفتى:

ـ أنا لا أخاف منك، ويمكنني التباري معك أيضا، ولكن اعلم أن القتال على الأرض المنبسطة ليس بحرفية كبيرة. إذا كنت رجلا بمعنى الكلمة فعلا، فقف على الجانب الداخلي لهذا السياج الحديدي، وأنا سأقف خارجه ولنر من يستطيع أن يطعن الآخر عبر السياج.

كان الشيطان لديه شوكة حديدية ذات سنتين، أما الفتى فقد أمسك بسيخ حديدي.

وشرعا في توجيه الطعنات لبعضهما عبر السياج، لكن الشيطان لم يتمكن أن يطعن الفتى بالشوكة ذات السنتين قط، لأنها دائما ما كانت تعلق وتصطدم بالسياج، لكن الفتى تمكن من طعن الشيطان باستمرار ذهابا وإيابا بالسيخ الحديدي حتى استكثر الشيطان الأمر ولم يعد يحتمل فنهض جاريًا هاربًا: وعاد أدراجه إلى الجحيم، فسأله "بلوتو" بغضب جامح:

ـ هل أنت أيضا لم تحضر ابنة الملك؟

أجاب الشيطان سائق العربة مستحيًا من نفسه:

ـ لم يكن بالإمكان فعل أكثر مما كان! وحكى له ما دار مع معه، وكيف كان يطعنه الفتى.

أضحى "بلوتو" ممتلئا بالغضب عن آخره:

ـ أهكذا يكون التصرف يا معتوه! فلم يكن من الممكن أن تطعنه ولا واحدة بالشوكة ذات السنتين عبر السياج!

ثم توجه إلى الشيطان التالي:

ـ انهض خلفه أنت يا بني يا خياط، وجرب حظك معه!

انطلق في إثره الشيطان الخياط، ولحق بالفتى فعلا بجانب منزل صغير، وصرخ فيه من بعيد أيضًا:

ـ مهلًا، مهلًا! أعطني ابنة الملك ثانية، وإلا فلتتبارَ معي!

أجاب الفتى: بكل سرور، لكن ما هي حرفتك أولًا؟

جحظ الشيطان عينيه ثم قال:

ـ حرفتي؟ الخياطة! فلنجرب من يستطيع الخياطة أفضل من الآخر! تعال ولندخل إلى هذا البيت الصغير، ولنبدأ مسابقة الخياطة!

دخلا إلى المنزل وبدآ في الحياكة. هذا الشيطان ولكي لا يظل يسحب الخيط في الإبرة كثيرا فقد سحب خيطا طويلا في الحال لدرجة أنه كان عند كل غرزة يجب عليه أن يقفز من النافذة ويدخل من الباب، أم الفتى فقد لضم الإبرة بخيط قصير وبه عمل غرزا مضاعفة. لمدة عشر دقائق كاملة لم يكن الشيطان قد صنع غرزا، بينما كان الفتى ماهرا وانتهى من الحياكة، وهكذا لم يربح هذا الشيطان هو الآخر بينت الملك. وعاد إلى جهنم بخفي حنين.

كاد "بلوتو" أن يتمزق من شدة الغضب فسأل قائلا:

ـ هل أنت أيضًا لم تحضر ابنة الملك؟

أجاب الشيطان الخياط بوجه شاحب:

ـ كان الوضع هكذا بالطبع! فقد كان هذا الفتى يستطيع الحياكة بشكل جيدا للغاية، ولكي لا أظل أسحب الخيط في الإبرة عدة مرات فقد لضمت خيطا طويلا لدرجة أنه كان عند كل غرزة وجب على أن أقفز من النافذة، أم الفتى فقد لضم الإبرة بخيط قصير وعمل به غرزا مضاعفة، وقد كان الفتى جاهزا من أمره وانتهى من الحياكة أسرع.

أجاب "بلوتو" حانقا:

ـ أهكذا أيها الساذج! انقضى الوقت الكثير في القفز خارجًا وداخلًا عبر النافذة!

ثم توجه إلى الشيطان التالي:

ـ أسرع وراءه أنت يا بني ياراعي الخنازير، فربما تستعيدها منه!

وانطلق في إثره الشيطان راعي الخنازير، ولحق بالفتى فعلا على حدود جهنم، وصرخ:

ـ مهلًا، مهلًا! ليست ملكا لك ابنة الملك!

ـ إذن ملك من؟

فقال الشيطان راعي الخنازير:

ـ إنها ملك لمن يفهم أفضل في حرفة رعي الخنازير. هنا يوجد إسطبل كبير مليء بالخنازير. إذا تمكنت من أن تخرج خنازير أكثر مني خلال ساعة واحدة، فستحصل على ابنة الملك!

ـ كما تريد ـ أجاب الفتى.

ـ لكن كيف نميز الخنازير التي يُخرجها كل منا؟ سأل الشيطان.

ـ أنا سوف أقود الخنازير ذات الذيل المجعد فحسب، أما أنت فاقتاد ذوي الذيل المستقيم ـ أجابه الفتى هكذا.

وهكذا وقف الشيطان على قدميه وشرع في اقتياد الخنازير، وكان الفتى قد اقتاد عشرين أو ربما ثلاثين رأسا، وكذا استراح بعض الوقت، أما الشيطان فظل يبحث خلال الساعة كلها عن الخنازير من ذوي الذيل المستقيمة، بيد أنه لم يجد ولا واحد. ولما أن انقضت الساعة نادي الفتى على الشيطان قائلًا:

ـ حسنًا أيها الشيطان تعال إلى هنا ولنر من الأكثر ذوي الذيل المجعد أم ذوي الذيل المستقيم. من قاد أي من هذه الخنازير إلى الخارج؟

بالطبع ظلا يبحثان، ولم يعثرا ولو على واحد فقط من ذوي الذيول المستقيمة، وهكذا أصبح الفتى منتصرا مرة أخرى. عاد الشيطان إلى جهنم ثانية منكسا رأسه، وكان الفتى قد وصل إلى خارج حدود جهنم ومعه ابنة الملك. ولم يعد لـ "بلوتو" سلطة عليه خارج الحدود.

وما إن وصلوا إلى هذا العالم توجهوا مباشرة إلى والد ابنة الملك. ولما أن رأى الملك ابنته الوحيدة أمام عينيه ولما أن علم كم المشكلات والأخطار التي استطاع أن يحررها من وسطها الفتى وفَّى بوعده في الحال: زوجه بابنته وأعطاه نصف مملكته، وأقاموا عرسًا كبيرًا وأكلوا وشربوا، وربما ما زالوا ينعمون بالحياة على وجه البسيطة، ما لم يكن قد توفاهم الله.

ذهب الذئب ليمرح، بعدها تعلم الطير!

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والأوان، كانت هناك سيدة عجوز لديها ديكا ودجاجة، وقد ذهبا كلاهما إلى كومة القمامة للبحث فيها، فوجد الديك قرشًا، فقال للدجاجة:

ـ فلنذهب إلى الحانة لنشرب الخمر!

أجابت الدجاجة:

ـ فلنذهب.

وبمجرد أن بدأوا السير وجدوا أرنبًا، فقال الأرنب:

إلى أين تذهبان، أيها الديك الرفيق، وأيتها الدجاجة الرفيقة؟

فقالت الدجاجة الرفيقة:

ـ لقد وجد الديك الرفيق قرشًا، وسنذهب إلى الحانةِ لنحتسِ الخمر!

فقال الأرنب:

ـ أنا أيضًا سأذهب معكم.

ـ تعال، تعال، سوف نصبح كثيرين!

وبمجرد أن أخذوا في السير وجدوا ثعلبًا، فقال الثعلب:

إلى أين تذهبون، أيها الديك الرفيق، ويا أيتها الدجاجة الرفيقة، ويا أيها الأرنب الرفيق؟

فقال الأرنب الرفيق:

لقد وجد الديك الرفيق قرشًا، وسنذهب إلى الحانة لنشرب الخمر!

ـ أنا أيضا سأذهب معكم.

ـ تعال، تعال، سوف نصبح كثيرين!

وبمجرد أن أخذوا في مواصلة السير وجدوا ذئبًا، فقال الذئب:

ـ إلى أين تذهبون، أيها الديك الرفيق، ويا أيتها الدجاجة الرفيقة، ويا أيها الأرنب الرفيق، ويا أيها الثعلب الرفيق؟

فقال الثعلب الرفيق:

لقد وجد الديك الرفيق قرشا، وسنذهب إلى الحانة لتناول الخمر!

فقال الذئب:

ـ وأنا أيضا سأذهب معكم.

ـ تعال، تعال، سوف نصبح كثيرين!

وأثناء السير وجدوا أمامهم حفرة عميقة، فتوقفوا عند طَرفِها، وعندئذٍ قال الديك الرفيق:

حسنًا، الآن سوف يأتي معنا لتناول الخمر من يثب من على هذه الحفرة!

قفز الديك، ووثبت الدجاجة، ونط الأرنب والثعلب، وأراد الذئب أن يقفز، ولكنه وقع فيه.

وهناك بكى الذئب، لأنه لم يستطع الخروج من هذه الحفرة العميقة، ولأنه سوف يموت من الجوع، وهكذا ظلّ يبكي حتى ما إن مرت عليه مجموعة من الطيور الصغيرة تلتقط الحبوب، فسألوه لِمَ البكاء؟

ـ منذ ثلاثة أيام وقعت في الحفرة، ولا أستطيع الخروج ـ قالها الذئب وتوسل إليهم بأن يساعدوه كي يتمكن من الخروج.

كانت هناك بقايا حطام أربع أشجار، ألقوها له.

وحملت الطيور الصغيرة كمًّا من الحطام والنفايات كي يتمكن الذئب من الصعود عليها، ومن ثم الخروج. فرح الذئب لأنه لم يفقد حياته، وفرحت الطيور الصغيرة، لأنها أنقذت روحا، ثم صنعوا عشا يفقسون فيه أعلى إحدى الأشجار الموجودة هناك. لقد فقسوا هناك أيضًا، وكان الصغار على قدرٍ من الجمال، وفرحت الأمهات بهم فرحا لا مثيل له. وفي إحدى المرات مرَّ الذئب من هناك، وصاح صوب الشجرة:

ـ أيها العصفور، أعطني ابنًا من أبنائك، كي لا أقطع الشجرة، وأدمر جذورها! استعدي يا قدماي، ويا أذناي، وأمسك يا ذيلي المحراث جيدًا!

وبالفعل قام هذا العصفور بإحضار أحد أبنائه الصغار إليه، فأكله الذئب، وشبع، وشعر بانتعاش إلى أن غلبه النعاس. وعندما أخذ كفايته من النوم، استيقظ مرة ثانية، وذهب إلى الشجرة المكسورة نفسها التي عليها العش، وعندما رآه العصفور، ارتجف وأخذ في البكاء، لأن

الذئب ظهر مرةً ثانيةً هنا، وبمجرد أن وصل الذئب إلى هناك، وقف تحت الشجرة، ونظر إلى أعلاها، وصاح في الطائر الصغير:

ـ أيها العصفور، أعطني ابنا من أبنائك، كي لا أقطع الشجرة، وأدمر جذورها! استعدي ياقدماي، وياأذناي، وأمسك ياذيلي المحراث جيدًا!

وهنا ارتجف الطائر الصغير، لأنه سوف يقطع الشجرة فعلًا، وأنزل له أحد أبنائه الصغار ثانيةً، فأكله الذئب وشبع وذهب تحت الشجرة ذات الظلال الوارفة واستراح.

وظل العصفور يبكي لأن هذا الذئب القبيح قد أخذ اثنين من أبنائه، وما الذي سيتبقى إن حصل في كل مرة على واحد.

وعندما أخذ كفايته من النوم، استيقظ مرة أخرى، وذهب إلى الشجرة المكسورة، وعندما رآه الطائر الصغير، ارتجف وأجهش في البكاء، لأن الذئب ظهر مرةً أخرى هنا، وما أن وصل الذئب إلى هناك، وقف تحت الشجرة المكسورة، ونظر إلى أعلى الشجرة، وصاح بفخرٍ واعتزازٍ إلى أعلى الشجرة:

ـ أيها الطائر الصغير، أعطني ابنا من أبنائك، كي لا أقطع الشجرة، وأدمر جذورها! استعدي ياقدماي، ويا أذناي، وأمسك يا ذيلي المحراث جيدًا!

وهنا ارتعدت مفاصل الطائر الصغير، لأنه في الواقع سوف يقطع الشجرة، وأنزل له أحد أبنائه الصغار هذه المرة أيضًا، فأكله الذئب وشبع وذهب تحت الشجرة الوارفة الظلال لينام، وظل الطائر الصغير يبكي لأن هذا الذئب المخادع سوف يأكل كل أبنائه.

وهنا يحلق حوله أحد الغربان ويسأله:

ـ لماذا تبكي أيها العصفور؟

ـ ولِمَ لا أبكي، وقد التهم هذا الذئب المخادع ثلاثة من أبنائي ولم يتبق لي سوى واحد.

ولكن الغراب أعطي نصيحةً طيبةً للعصفور:

ـ حال أن يأتي الذئب إليك مرةً أخرى، ويقول لك: أيها الطائر الصغير، أعطني ابنا من أبنائك، كي لا أقطع الشجرة، وأدمر جذورها!، قل له: اقطع الشجرة، إذا كانت لديك فأس، ودمر جذورها إذا كان لديك محراثًا!

وفرح العصفور لهذه الفكرة، وطار الغراب، وجاء الذئب ثانية، وقال للعصفور:

ـ أيها الطائر الصغير، أعطني ابنا من أبنائك، كي لا أقطع الشجرة، وأدمر جذورها.

وهنا قاطعه العصفور وصاح قائلًا:

ـ اقطع الشجرة، إذا كانت لديك فأسا، ودمر جذورها، إذا كان لديك محراثًا!

فقال الذئب:

ـ ثكلتك أمك! إنني أعرف من علّمك هذا، وإنني لسوف ألقنه درسًا لن ينساه أبدًا.

غادر الذئب المكان، وجلس إلى ركم من حبوب الذرة والتي علق بعضها بجسمه، ثم خرج إلى وسط طريق البلدة، وهناك استلقى مُمَدَّدًا جسده، وإلى هناك اتجه الغراب لالتقاط البذور، ورأى حبات الذرة على الذئب، فذهب ليلتقطها بمنقاره، إلى أن أمسك الذئب برأس الغراب في إحدى المرات، فتوسل له الغراب:

ـ اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلمك الطير!

ـ لا! ثكلتك أمك! هل تخدعني أنا!

ـ اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلِّمك الطير!

تركه الذئب، ولكن الغراب قد طار، وجلس الذئب هذه المرة وسط حبات الدخن[1]، وذهب ثانية إلى طريق وسط البلدة، واضطجع هناك، وكالمرة الفائتة اتجه الغراب لالتقاط البذور، ورأى حبات الدخن الكثيرة على الذئب، فذهب إلى هناك لالتقاطها بمنقاره، ولكن أمسك الذئب رأس الغراب مرة أخرى، فتوسل الغراب له:

ـ اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلِّمك الطير!

ـ لا! ثكلتك أمك! ـ قالها الذئب، هل تخدعني مثل المرة السابقة!

ـ اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلمك الطير!

تركه الذئب، ولكن الغراب قد طار كما المرة السابقة.

وبعد ذلك ذهب الذئب إلى كومة من حبات القمح النظيفة، وذهب مرة أخرى إلى طريق وسط البلدة، واستلقى هناك. اتجه الغراب لالتقاط البذور، ورأى حبات القمح الكثيرة على الذئب، وظل يلتقطها إلى أن أمسك الذئب برأسه. توسل الغراب له:

ـ اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلمك الطير!

---

(١) نَبَاتٌ عُشْبِيٌّ مِنْ فَصِيلَةِ النَّجِيلِيَّاتِ، أَنْوَاعُهُ عَدِيدَةٌ، بَرِّيَّةٌ وَزِرَاعِيَّةٌ، حَبُّهُ صَغِيرٌ أَمْلَسُ يُشْبِهُ حَبَّ السِّمْسِمِ، يُعَدُّ مِنَ النَّبَاتَاتِ الطِّبِّيَّةِ.

ـ لا! ثكلتك أمك! هل تخدعني أنا مثل المرات السابقة!

ـ لن أخدعك! اترك رأسي أيها الذئب الرفيق، وسوف أعلمك الطير!

ـ إذن هيا علمني! قالها الذئب، وتركه.

أمسك الغراب الذئب ورفعه إلى أعلى، وعندما رفعه إلى أعلى سأل الذئب:

ـ هل ما زلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ نعم أراها!

ـ ما حجمها؟

ـ حجمها كبير مثل العالم!

وهنا رفعه الغراب إلى أعلى أكثر، وسأله مرة أخرى:

هل لازلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ نعم أراها!

ـ ما حجمها؟

ـ حجمها مثل نصف العالم!

وهنا رفعه الغراب إلى أعلى أكثر وأكثر، وسأله:

ـ هل ما زلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ نعم أراها!

ـ ما حجمها؟

ـ حجمها مثل الدنيا كلها!

وهنا رفعه الغراب إلى أعلى أكثر من ذلك بسبع مرات، وسأله مرة أخرى:

ـ هل ما زلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ نعم أراها!

ـ ما حجمها؟

ـ حجمها مثل التفاحة!

وهنا رفعه الغراب إلى أعلى أكثر وأكثر، وسأله مرة أخرى:

ـ هل ما زلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ نعم أراها!

ـ ما حجمها؟

ـ حجمها مثل الإبرة!

وهنا رفعه الغراب إلى أعلى أكثر، وسأله مرة أخرى:

ـ هل ما زلت ترى الأرض أيها الذئب الرفيق؟

قال الذئب:

ـ لا، لم أعد أراها!

وهنا تركه الغراب، فهوى الذئب إلى أسفل، ولاحظ وهو يسقط في الأسفل وجود أروما[1] محترقة، فصرخ فيها:

ـ انهضِ يا صديقتي لأنني سأحطمك! انهض يا صديقتي لأنني سأقع عليكِ!

ولكن الأروما المحترقة لم تُحرك ساكنًا، وأصبحت كل قطعة فيها إربًا إربًا، ولكن الغراب ذهب إلى هناك، وسأل الذئب:

ـ هل تعلمت الطير؟

ـ آه منّك! ثكلتك أمك! كل جزء في جسدي تهشّم على هذه الأروما المحترقة.

وضحك الغراب كثيرًا، لأنه خدع الذئب، ومن لم يصدق بعد ذلك، فعليه أن يُحقق في الأمر.

---

(١) قطعة خشبية متماسكة وقوية، وعادة ما تكون مصنوعة من الجزء السفلي من الأشجار.

"الغالي الوسيم"

كان هناك ملك لديه بنت جميلة، أما جاره فلديه ثلاثة من الأبناء الذكور: "الغالي الوسيم"، و"الكاذب المرح"، و"الشاب الجميل ماكوش".

ذات مرة قال الملك إن من يستطيع أن يحضر له فرسًا جميلة كالشمس والقمر سيعطيه نصف مملكته ويزوجه ابنته، أما من لا يستطع فمحكوم عليه بالموت. سمع "الغالي الوسيم" هذا الأمر فقال لإخوته:

ـ لنذهب، لكن علينا أن نعلم أنه إذا لم نحضرها، فستكون نهاية حياتنا!

أعطاهم الملك حصانا من عنده وانطلقوا. ساروا وواصلوا السير طويلًا إلى أن وجدوا منزلا صغيرًا بجانب أحد المستنقعات. كان في هذا المنزل سيدة عجوز حصلوا منها على مبيت هناك. وقد حكوا لها في أي أمر قد جاءوا، من أجل الفرس الجميل كالشمس والقمر، فقالت السيدة العجوز لهم:

ـ لن تجدوا فرسا جميلا كالشمس والقمر، فلم أسمع عنه خبرا من قبل، مع العلم أنني قد بلغت من الكبر عتيًّا.

واصل الفتيان الثلاثة السير في الصباح، وعند الوداع أعطت السيدة العجوز فرشاة إلى "الغالي الوسيم" كي يستفيد منها لاحقًا.

وواصلوا السير وقد وجدوا بجوار المستنقع من الجهة الثانية منزلًا صغيرًا ثانيًا. كان في هذا المنزل سيدة عجوز أخرى فتقدمهم "الغالي الوسيم" وطلبوا المبيت هناك، وحصلوا على ذلك بالفعل. حكوا لها في أي أمر جاءوا: من أجل الفرس الجميل كالشمس والقمر، وسألوها هل تعرف عنه شيئًا، فقالت السيدة:

ـ لقد بلغت من الكبر عتيا إلا أنني لم أسمع عنه خبرا من قبل.

انطلق الفتيان لاستكمال طريقهم في الصباح، وعند الوداع نادت السيدة العجوز عليهم وقالت:

ـ خذوا هذه المكشطة[1] لعلها تفيدكم في شيء!

---

(١) اسم آلة من كشط وهي صفحة معدنيّة مسنَّنة، أو قُفّاز من شريط يُستعمل في كشط الجلود وغيرها. وهي أيضا قطعة من المحراث الحديث تتقدَّم السِّكّة وظيفتُها كشْط التُّربة، والجمع: مكاشط.

كان للأولاد عم يعمل حداد أرادوا الوصول إليه، فأسرعوا في السير ليصلوا إليه بأقصى سرعة. وكان يعمل لدى عمهم اثنا عشر شابا يافعا.

لاحظ الحداد من بعيد أن "الغالي الوسيم" وأخويه قادمون ففتح البوابة. دخل الفتيان وقصوا عليه في أي أمر قد جاءوا. كان العم الحداد على علم بمكان الفرس الجميل كالشمس والقمر وحكى لهم أن الابن الأصغر للساحرة الشريرة هو من يملك هذا الفرس. أخبرهم أن عليهم السير حتى يصلوا إلى بيت غريب الأطوار، حيث تسكن الساحرة الشريرة مع أبنائها الثلاثة.

استراح الأولاد لدى الحداد حتى ثبت الحدوة بأقدام الخيول ولما حان وقت الرحيل أعطى لكل واحد منهم حدوة كي يستفيدوا منها. وظلّ يلمحهم بنظره بعد خروجهم، بعد أن فتح البوابة ليواصلوا رحلة البحث.

ظلوا يسيرون ويجولون ويواصلون المسير حتى وصلوا إلى البيت غريب الأطوار، فقال "الغالي الوسيم" لأخويه أن يواصلا السير وهو سوف يلحق بهما وهكذا دخل وحيدا إلى المنزل. ربط الحصان في إحدى الأشجار ثم تحول إلى قطة ذهبت إلى الباب وظلت تخدشه فسمحوا لها بالدخول وبدأت في المواء وكانت تسترق السمع أثناء ذلك.

سألت الساحرة الشريرة زوجة ابنها البكر:

ـ متى سيأتي زوجك إلى البيت؟

أجابت السيدة:

ـ في الساعة العاشرة.

أما زوجة الابن الأوسط فقد قالت إن زوجها سوف يعود إلى المنزل في الحادية عشرة، أما الصغرى فتنتظر مجيء زوجها الساعة الثانية عشرة. عندما سمع ذلك "الغالي الوسيم" قفز من على المقعد واتجه ناحية الباب، وبدأ يخدش فيه، فسمحوا له بالخروج. ولما أن خرج اهتز منتفضا فأصبح إنسانا ثانيةً، ثم امتطى حصانه وقطع الطريق ناحية أخويه.

سار هؤلاء الأولاد وواصلوا السير في المستنقع وقد وجدوا جسرا ومرعى. كانت المياه تنساب تحت الجسر، فاستراحوا هناك وخلدوا إلى النوم، لكن "الغالي الوسيم" وقف على الشاطئ ولم ينم.

عاد الابن البكر للساحرة الشريرة في الساعة العاشرة، وما أن وصل إلى الجسر حتى صهل

حصانه، فقال:

- حسنا يا حصاني العزيز! لا تترك عظمة واحدة من "الغالي الوسيم"!

- بالطبع هذا مستحيل! - أجاب "الغالي الوسيم".

وظلا يوجهان الضربات لبعضهما البعض ويتصارعان ولم يتمكن أحدهما من الانتصار على الآخر، وهنا يهبط غرابا، فيقول له الابن البكر للساحرة:

- أيها الغراب، يا غراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفة![1]

ثم قال "الغالي الوسيم" على هذا:

- أيها الغراب، يا غراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفتين!

أسقط الغراب قطرة المياه على "الغالي الوسيم"، وهكذا هزم "الغالي الوسيم" ابن الساحرة، كما أعطى حصان ابن الساحرة للغراب.

عاد الابن الأوسط للساحرة الشريرة في الساعة الحادية عشرة، وما أن وصل إلى الجسر حتى صهل حصان، فقال له صاحبه:

- حسنًا يا حصاني العزيز! لا تترك عظمة واحدة من "الغالي الوسيم"!

أجاب عليه "الغالي الوسيم":

- قطعًا مستحيل تحقيق ذلك!

وظلا يوجهان الضربات لبعضهما البعض ويتقاتلان لمدة طويلة ولم يتمكن أحدهما من الانتصار على الآخر، وهنا يهبط الغراب ثانية، فيقول له الابن الأوسط للساحرة الشريرة:

- أيها الغراب، ياغراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفة واحدة!

ثم قال "الغالي الوسيم" للغراب:

- أيها الغراب، ياغراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفتين!

أسقط الغراب قطرة المياه على "الغالي الوسيم"، وهكذا انتصر على الابن الأوسط، كما أعطى حصان ابن الساحرة للغراب.

---

(١) جيفة: جمع: جِيَفٌ، أَجْيَافٌ. "تَجَمَّعَتِ الصُّقُورُ تَنْهَشُ الجِيفَةَ": جُثَّةُ المَيِّتِ إِذَا أَنْتَنَتْ.

عاد الابن الأصغر للساحرة في الساعة الثانية عشرة على الفرس الجميل كالشمس والقمر وكان يتوهج بريقًا من بعيد من شدة لمعانه لما أن وصل إلى الجسر. وما أن وصل إلى الجسر حتى صهل فرسه هو الآخر ولم يرغب في العبور من عليه بأية طريقة كانت، فقال الابن الأصغر:

ـ حسنًا يافرسي العزيز! لا تترك عظمة واحدة من "الغالي الوسيم"!

أجاب عليه "الغالي الوسيم":

ـ بالطبع وما نيل المطالب بالتمني فحسب!

وظلا يوجهان الضربات لبعضهما البعض ويتبارزان لمدة طويلة ولم يتمكن أحدهما من هزيمة الآخر إلى أن هبط الغراب وقال:

ـ يا خسارة، يا خسارة!

ـ أيها الغراب، يا غراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفة! ـ قال له ذلك ابن الساحرة.

فقال "الغالي الوسيم":

ـ أيها الغراب، ياغراب، أيها الغراب الحبيب! أقطر على قطرة من الماء، وسأعطيك جيفتين، كما أنك قد حصلت مني على أربع جيف من قبل!

أسقط الغراب قطرة المياه على "الغالي الوسيم"، وهكذا فقد هزم "الغالي الوسيم" الابن الأصغر أيضًا. ثم فرش بطانية على رأس وأرداف الفرس الجميل مثل الشمس والقمر كي لا يضيء، وأيقظ أخويه "الكاذب المرح"، و"الشاب الجميل ماكوش"، وكانا لا يعلمان ما حدث.

قال لهم ذلك "الغالي الوسيم":

ـ لنعد!

ساروا وواصلوا السير حتى وصلوا إلى منزل الساحرة الشريرة. ربط "الغالي الوسيم" الحصان في الشجرة بالقرب من هذا المكان، وتحول إلى قطة وتوجه ناحية الباب ليخربش فيه، فأدخلوه ووثب على المقعد، وكان في الداخل زوجات أبناء الساحرة الشريرة يبكين ويولولن لأن "الغالي الوسيم" قد قتل أزواجهن، وكانت أكبرهم تقول:

ـ عما قريب يعود "الغالي الوسيم" إلى منزله، سأذهب إلى قارعة الطريق، وأتحول إلى شجرة تفاح جميلة، لكنه إذا قطف ثمرة واحدة مني فقط وأكلها فإن سيموت، أما إذا لم يتناولها، فسوف تمسك وتلتصق به شجرة التفاح.

ـ أما أنا فسوف أكون شجرة كمثرى ـ قالت ذلك البنت الوسطى ـ من ينظر إلى سوف يلقي حتفه، وهو سوف يسير بجانبي كي يأخذ إحدى ثمراتي. لكنه إذا قطف ثمرة كمثرى واحدة فقط وأكلها فإن سيموت، أما إذا لم يتناولها، فسوف تمسك به وتقبض عليه شجرة الكمثرى.

عندئذ قالت الصغرى:

ـ أما أنا فسأكون ماء نظيفا كالذهب إما أن يشرب مني "الغالي الوسيم" أو يستحم فيه لأنه متعب، عندئذ ستكون نهايته!

وثبت القطة من على المقعد كي تخرج.

فقالت الساحرة الشريرة لزوجة ابنها الكبرى:

ـ أحضري هذه القطة إلى هنا ولنر فربما تكون "الغالي الوسيم"، فإذا كان هو هذا: فليستعد للقاء ربه!

أمسكت السيدة بالقطة ونظرت إليها، بالفعل إنها "الغالي الوسيم".

ـ حسنًا "الغالي الوسيم" أيها الكلب، أنت في يدي الآن! أنت يا زوجة ابني الأوسط، ابحثي عن الفأس، أما أنتما فأمسكا بقدميه وضعاه على العتبة واقطعا رقبته!

ظلا يبحثان لفترة طويلة عن الفأس، وقد هربت القطة نفسها. "الغالي الوسيم" أسرع هاربا وفي الخارج اهتز منتفضا وتحول إلى إنسان ثانية، ثم امتطي حصانه وانطلق قاطعًا الطريق أمامه بقوة. خاف على أن يقع أخواه في الفخ المدبر.

وصل في الوقت المناسب لأخويه، فتحديدا عندما كانا يريدان قطف التفاح، فصرخ فيهما:

ـ ليس من المسموح، سوف أقطف لكما أنا منها! وهكذا أمسك بسيفه ومسحه بمنديل صغير ثم قطف تفاحة وقطعها نصفين، فتحولت التفاحة إلى دم في الحال.

واصلو السير وقد غضب كل من "الكاذب المرح"، و"الشاب الجميل ماكوش" لأنهما لم يأكلا من شجرة التفاح، لكنهما عندما رأيا أن التفاحة تحولت إلى دم، قد هدئا بعض الشيء.

وعندما وصلوا إلى شجرة الكمثرى أمسك "الغالي الوسيم" بسيفه ومسحه بمنديل صغير ثم قطف ثمرة كمثرى وقطعها نصفين، فتحولت ثمرة الكمثرى إلى دم في الحال.

وعندما وصلوا إلى المياه أخذ يضرب الماء بسيفه فتحول إلى دم هو الآخر، لكنه عندئذ شرح لأخويه لِمَ فعل هذا، ثم واصلوا السير تجاه بيت عمهم.

لم تستطع الساحرة الشريرة انتظار زوجات أبنائها، فجلست على المكنسة المسحورة وانطلقت، وعندئذ قال الفرس الجميل كالشمس والقمر:

ـ احني فرشاتك يا صاحبي الصغير، فعما قريب ستلحق بنا الساحرة الشريرة.

نظر "الغالي الوسيم" إلى الخلف فرأى أن الساحرة الشريرة قد جاءت بالفعل. في الحال أحنى فرشاته التي حصل عليها من السيدة العجوز، وقد أضحت غابة كثيفة للغاية مثل شعيرات الفرشاة.

عندما وصلت الساحرة إلى الغابة سقطت في وسطها، فصححت المسار بصعوبة وراء "الغالي الوسيم"! لكنه كان ذهب بعيدا جدًا في هذه الأثناء.

قال الفرس الجميل مثل الشمس والقمر فجأة:

ـ احني مكشطتك يا صاحبي الصغير، فعما قريب ستلحق بنا الساحرة الشريرة.

التفت "الغالي الوسيم" إلى الخلف فرأى أن الساحرة الشريرة قد لحقت بهم فعلًا. في الحال أحنى مكشطته التي حصل عليها من السيدة العجوز، وقد أضح منها طينا ووحلًا كثيرا غاصت فيه الساحرة الشريرة حتى أذنيها. وبعد عناء شديد خرجت منه بصعوبة واتجهت مرة أخرى وراء "الغالي الوسيم"! لكنه كان قد ذهب بعيدًا للغاية.

قال الفرس الجميل كالشمس والقمر فجأة:

ـ احني حدوتك يا صاحبي الصغير، فعما قريب ستلحق بنا الساحرة الشريرة.

نظر "الغالي الوسيم" إلى الخلف فرأى أن الساحرة ليست ببعيدة عنهم حقًا. في الحال أحنى حدوته التي حصل عليها من عمه، فخبطت في ساق حصان الساحرة الشريرة وعرقلته لبعض الوقت كي لا يلحقا بـ "الغالي الوسيم".

شاهد عم الأولاد ما يدور بين الساحرة الشريرة وأولاد أخيه عندما اقتربوا من مقره، وكانت البوابة مفتوحة. وكانت الساحرة قد ضربت أرداف فرس "الغالي الوسيم" بكتلة من النار. ولما أن سمح لهم عمهم بالدخول، أغلقوا البوابة في لمح البصر، ولم تتمكن الساحرة من الدخول ورائهم، فظلت تصرخ وتصيح من الخارج:

ـ احفروا لي فتحة كي أنظر في عيون "الغالي الوسيم"!

قال "الغالي الوسيم":

ـ لا تفعلوا ذلك وسخنوا السيخ الحديدي حتى يتوهج، لأن الساحرة الشريرة تريد أن تخترق السياج.

ولما أن أصبح السيخ الحديدي متوهجًا كالجمرة صنعوا لها فتحة، فأدخلت الساحرة الشريرة لسانها داخلها، لكنهم قطعوا لسانها بهذا السيخ المحمي، فعادت أدراجها متذمرة.

وهنا استراح الأبناء، ولما أن استراحوا قال "الغالي الوسيم":

ـ الآن يمكننا السير بسلام، لأن الساحرة الشريرة لن تعود ثانية، وهكذا ودعوا عمهم.

انطلقوا صوب بيتهم. أثناء الطريق وجدوا شخصا يشعر بالبرد الشديد: عليه تسعة من المعاطف، وتسع من العباءات الفرو التي يرتديها الراعي المجري. كان عليه من كل نوع من الملابس تسعة، ومع ذلك فقد كان يشعر بالبرد، فقال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا لأننا سنجد لك جوًّا تستطيع أن تشعر بالدفء فيه!

ـ فعلا أنا بحاجة إلى ذلك! ـ قال ذلك الشخص الذي يشعر بالبرد الشديد، وانضم إليهم.

واصلو السير فوجدوا راميًا محترفًا كان يقذف بطريقة رهيبة، فقال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا لأننا سنجد لك مكانا تمارس فيه الرماية بحق!

ـ هذا ما أود أن أحصل عليه فحسب! ـ قال الرامي ذلك، وانضم إليهم.

وبينها كانوا يواصلون المسير إذا بهم يجدون شخصا حاد البصر: فقد كان يرى بقوة كما لو كانت عيناه ستخرج من شدة جحوظهما من قوة الإبصار. فقال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا وسيأتي الوقت الذي تستخدم فيه قدرتك على النظر هذه!

ـ هذا ما أوده فحسب! ـ قال ذلك الشخص حاد البصر، ثم ذهب معهم.

وبينها يواصلون المسير إذا بهم يجدون أكولًا شرهًا: فقد كان مقبلًا على الأكل بغض النظر عما كان يتناوله من كميات كبيرة. فقال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا لأننا سنجد لك مكانا نستطيع أن نرعاك فيه جيدا!

ـ هذا ما يلزمني! ـ قالها الأكول، والتحق بهم.

وبينها هما يواصلون المسير إذا بهم يجدون شريبًا كبيرا: الذي كان إذا شفط شفطة من نهر الـ "تيسا"، كان منسوب المياه ينخفض فيه، ومع ذلك كان يود المزيد. فقال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا لأننا سنجد لك المكان الذي يليق بك!

ـ هذا ما أود أن أراه! ـ قالها الشريب، وانضم إليهم.

وبينما هم يسيرون إذا بهم يجدون عدَّاءً كبيرا: الذي كان إذا جرى مهما جرى، كان يود المزيد من الجري. قال له "الغالي الوسيم":

ـ تعال معنا لأننا ربما نجد لك مكانا تستطيع أن تجري وتصول وتجول فيه!

ـ هذا بغيتي ومرادي! ـ قال العدَّاء، وانطلق معهم.

وإلى أن وصلوا إلى القصر الملكي كان عددهم قد أصبح تسعة، وقد أخبرهم "الغالي الوسيم" أنه قد أحضر الفرس الجميل كالشمس والقمر، فقال الملك:

ـ هناك مشكلة أخرى لدي: منذ ثلاثمائة عام تحديدًا منذ أن تم إنشاء هذا الفرن، وأنا أود أن أجربه!

ـ لا توجد مشكلة! ـ قال "الغالي الوسيم"، وتبادل أطراف الحديث مع رفيقه الذي يشعر بالبرد الشديد حول الموضوع.

فقال له هذا الشخص:

ـ لقد انتظرت هذا منذ وقتٍ طويلٍ!

ما وجده من أشجار بالساحة الملكية وكان يقدر بستمائة وستين ذراعا خشبيًّا فقد أشعل النيران فيهم، ثم ذهب في المساء إلى الفرن وهو متقد ونزل فيه.

في الصباح أرسل الملك رجله إلى الفرن ليرى ماذا حدث؟

ذهب الرجل إلى هناك ووجد أن الشخص الذي يشعر بالبرد الشديد موجود داخل النار!

ذهب هو أيضا إلى الفرن فوجد أن الرجل موجود في النار فعلا.

دخل "الغالي الوسيم" على الملك وقال له إنه تم إشعال ستمائة وستين ذراعا من الأشجار في هذه النار، فقال له الملك:

ـ تبقى مشكلة أخرى هنا! لدي من الثيران السمان ثلاثمائة ومن براميل الخمر ثلاثمائة من يستهلكهم جميعا فهو من يريد ابنتي!

ـ لا توجد مشكلة! ـ قال "الغالي الوسيم"، وتبادل أطراف الحديث مع الأكول الشره والشريب المفرط.

فأجاب عليه الأكول الشره:

ـ فقط لابد من كسر قرون الثيران، وأنا سأتولى الباقي!

ابتلع الأكول العملاق الثيران بسرعة، ولم تكن هذه الثيران الثلاثمائة السمان بكافية له، وما وجده من طعام بجواره فقد التهمه أيضًا، أما الشريب المفرط فقد تعامل مع الثلاثمائة برميل من الخمر، ولم يتبق منها سوى خشب البراميل فحسب.

أخبر "الغالي الوسيم" الملك أن كل شيء قد تم شربه وأكله، فقال الملك:

ـ هناك مشكلة أخرى! منذ ثلاثمائة عام وملابس ابنتي في جهنم الحمراء، من يجلبها فسأزوجه ابنتي، وهناك من هو في طريقه ليحضرها بالفعل، فقال "الغالي الوسيم" للشخص حاد البصر:

ـ أنظر هل هذا الرجل الذي ذهب ليحضر الملابس بعيد من باب جهنم الحمراء؟

نظر الشخص حاد البصر وقد جحظت عيناه فرأى الرجل وكان على بعد أمتار منها فنادى على الرامي العملاق ليوقفه فأتي وقذفه بحجر أوقفه مكانه.

وما أن سمع العدَّاء الكبير هذا الكلام حتى إنطلق بسرعة البرق ليصل إلى الرجل الذي سرعان ما استعاد وعيه وقوته بعد أن أوقفه الحجر المقذوف فيه لبعض الوقت ليواصل طريقه لاحضار الملابس من جهنم الحمراء. كان هذا الرجل المنافس حاذقا وماهرا فعندما رأى العدّاء الكبير الذي يفوقه في السرعة قادم جلس في الطريق وطلب منه أن يجلس معه ليتسامرا، ثم وضع وسادة تحت رأس العدَّاء فخلد إلى النوم.

انتظروا العدَّاء الكبير، لكنه لم يأت. قال "الغالي الوسيم" للشخص حاد البصر:

ـ انظر أين يوجد العدَّاء الكبير! ألقى نظرة من نظراته ثم قال:

ـ إنه نائم. توجد وسادة تحت دماغه، ورجل آخر يُحضر الملابس.

عندئذ طلب "الغالي الوسيم" من الرامي العملاق أن يقذف بالوسادة من تحت دماغ العدَّاء الكبير، فقال الرامي العملاق:

ـ نعم أستطيع فعل ذلك بل ويمكنني تدمير الوسادة مع رأسه سويًّا!

ـ ليس هذا هو المطلوب، فقط أبعد الوسادة من تحت رأسه فحسب! ـ قال له ذلك "الغالي الوسيم".

ـ سأحاول! ـ قال الرامي العملاق.

فبحثوا له عن حجر صغير ورماه في الوسادة حتى تبعثرت وتناثرت أشلاؤها هنا وهناك. استيقظ العدَّاء الكبير وأسرع نحو البيت، ولحق بالرجل الآخر وأخذ منه الملابس وقذفه في الأرض بحيث كان يلزم أن يلملم أحد جسده، وأحضر الملابس إلى المنزل.

ثم تزوج "الغالي الوسيم" من ابنة الملك، وأقاموا حفل زفاف كبيرًا، وما زالوا على قيد الحياة، إن لم يكن قد توفاهم الله.

الصبي الكتوم وسيفه الصغير

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار كانت هناك قرية صغيرة تسكن فيها سيدة أرملة لديها ولد صغير جميل ازدهرت على وجهه وردة. ولد هذا الولد الصغير وعلى جانبه الأيسر غمد سيف، وكلما كبر الولد كبر معه غمد السيف الذي على جانبه أيضًا.

كان لهذا الولد سيف خارق موجودا بحديقة المنزل، وكان هذا السيف يكبر بمقدار ما كان يكبر غمد السيف الموجود على جانب الولد. ولما أن بلغ الصبي من العمر عاما كان يغمس سيفه في الغمد عند كل شروق شمس. وفي مساء أحد الأيام وبمجرد أن غربت الشمس استلقى الصبي وراح في سبات عميق حتى شروق شمس اليوم التالي، ثم قام بضبط السيف مرتين الواحدة تلو الأخرى ليدخل في الغمد حتى تأكد أن الغمد مناسب تماما للسيف، ثم جري فرحا إلى أمه التي استيقظت لتوها، وقال لها:

ـ ياه يا أمي الحبيبة! هل تعلمين بما حلمت!

ـ بما حلمت، يا بني؟ ـ سألته أمه.

ـ آه يا أمي لن أقول لأحد ما لم يتحقق حلمي هذا!

ـ لكنني أود أن أعرف ـ قالت له الأمر غاضبة ـ وإذا لم تقل لي، سأضربك!

لم يكن مجديًا أن تهدد الأم ولدها الصغير: فلا بالكلمات المعسولة ولا بالتهديد والوعيد وصلت معه لشيء.

ذهب الصبي إلى الحديقة وجلس على ركبتيه أمام سيفه. كانت من خصائص هذا السيف أنه يدور دومًا ومن يقترب منه يقطع يده، باستثناء الصبي الصغير. لما دخل السيف في الغمد حتى نهايته، ظل الصبي يشاهد سلاحه لفترة طويلة، ويبكي بمرارة.

وبينما هو كذلك يبكي بحرقة في الحديقة الخاصة بأمه مرَّ بجانب السياج ملك البلاد، وسمع بكاء الصبي، فأوقف عربته، وقال:

ـ اذهب أيها الخادم، وانظر من يبكي هناك في هذه الحديقة الصغيرة، ولمَ البكاء!

ذهب الخادم وعاد ليقول:

ـ جلالة الملك، هناك طفل يجلس على ركبتيه بين الزهور، ويبكي، لأن أمه قد ضربته.

ـ أحضره إلى هنا! وقل له إن الملك الذي لم يبكِ قط، ولا يتحمل سماع البكاء يستدعيه.

أحضر الخادم الولد، ومسح دموعه، وسأله الملك هل يرغب في أن يذهب معه، ويعيش مع أبنائه.

ـ أذهب بكل سرور، إذا سمحت أمي بذلك.

ـ إذن اذهب إلى أم الصبي الصغير ـ وجه الملك كلمته إلى خادمه ـ وقل لها إن الملك سيأخذ ابنك إلى القصر، وإذا استطاع تحمل الأمر فله نصف عرش الملك وأجمل بناته.

بكت الأرملة الغاضبة من شدة فرحتها ووضعت ابنها بنفسها في حضن الملك، ثم قالت له:

ـ لكن لا تكن عنيدا في البلاط الملكي أيضًا!

وما أن صعدوا على العربة حتى طلب الصبي إنزاله، ودخل إلى الحديقة الصغيرة والتقط سيفه من مكانه وغرسه في غمده. ولما أن تقدموا بالعربة مسافة طويلة، قال له الملك:

ـ لِمَ بكيت بهذه المرارة؟

قال الصبي الصغير:

ـ لأن أمي ضربتني بشدة!

سأله الملك:

ـ ولِمَ ضربتك أمك هكذا بشدة؟

ـ لأنني لم أقص عليها حلمي.

ـ ولِمَ لم تسرد لها حلمك؟

ـ لأنني لن أقله لأحد ما لم يتحقق.

قال الملك مندهشًا:

ـ ولن تقله لي أيضًا؟

ـ بالتأكيد لا، لن أقله لأحد كائنًا من كان!

قال الملك مبتسما:

ـ بل ستقوله لي، عندما نصل إلى المنزل.

بعد مسير ثلاثة أيام وصلوا إلى مدينة الملك. فرحت زوجة الملك وبناتها الثلاث أن زوجها أحضر لها ولدا جميلا هكذا وتعاملت معه البنات مثل أخيهم، ثم قال لهم الملك:

ـ لا تجبوه هكذا، فلا يستحق هذا: يخفي سرًّا، ولا يريد أن يبوح به لأحد!

قالت ابنة الملك الكبرى:

ـ سوف يقوله لي.

هز الصبي رأسه.

قالت البنت الوسطى:

ـ لكنه سيبوح به لي أنا.

قال الصبي الصغير:

ـ بالتأكيد لا.

قالت البنت الصغرى:

ـ سيقوله لي.

قال الصبي الصغير مهددًا:

ـ لن أقوله لأحد حتى يتحقق، وسأضرب من يجرؤ على سؤالي!

غضب الملك لهذا بشدة، واستدعى خدمه وقال لهم:

ـ خذوا هذا الصبي العنيد، فليس له مكان في هذا القصر!

أخذ الخدم الصبي إلى هناك حيث يسكنون. بكي الصبي الصغير، وواساه أطفال الخدم وقدموا له الفاكهة وتصاحبوا عليه ولعبوا معه.

وحتى اقترب من بلوغ سن السابعة عشرة من عمره كان الصبي الصغير يسكن معهم دائما.

كانت بنتا الملك الكبيرتان قد تزوجتا من ملكين من ملوك بلدان ما وراء البحار.

وجاء دور البنت الصغرى كي تتزوج.

ذات مرة نزلت من القصر العالي إلى بيت الخدم لأنها سمعت أن الصبي الصغير الساكن هناك قد أصبح جميلا لدرجة أنه لا يوجد نظيره حتى في بلاد العجائب السبع. اندهشت الفتاة لأنها لم تر فتى بهذا الجمال في الحقيقة، فقالت:

ـ يا لك من شاب جميل! إذا قلت لي سرك، ستكون لي، وسأكون لك، ولن يفرقني عنك إلا الموت!

ـ أنا لن أفصح به لأحد!

ـ ولا حتى لي؟

ـ ولا حتى لكِ!

ـ وحتى لو سألتك مائة مرة، لن تقله لي أيضا؟

ـ لا، بل ومن يلح في السؤال فسأضربه أيضًا، كما قلت ذلك من قبل.

لم تقلع الفتاة عن الإلحاح في السؤال حتى ضربها الفتى فعلا في نهاية المطاف، فبكت بشدة وهرعت إلى أبيها الملك الذي قام في الفور بتوجيه التهمة للفتي، وقال الملك بغضب شديد:

ـ حتى وإن كانت لديه مائة روح، يجب أن يموت، لا بد أن تختفي سيرته من على وجه الأرض، إذا لم تطلبي له العفو والسماح.

سمعت ابنة الملك ذلك.

في اليوم نفسه صنعوا مشنقة عالية في الأرض من ناحية غروب الشمس بمدينة الملك، تحديدا في المكان الذي ضرب ابن السيدة الأرملة الأميرة ابنة الملك. اتجهت المدينة كلها إلى مكان تنفيذ حكم الإعدام، وربط الجلاد يد الفتى من الخلف، وتوقفت أنفاس الشعب الصاخبة.

ولما أن قرأ واعظ الملك الحكم اندلع ضجيج كبير، ووقفت سيارة مبهرجة بجانب المشنقة، وعلى مقدمة العربة علم أبيض يرفرف، وكان داخل العربة ملك المجر الذي طلب العفو في الحكم الصادر في حق الفتى بالموت شنقًا. قال الملك الغاضب إن السبب في شنق هذا الفتى المارق قوي ويستحق الشنق لأنه أوسع بنته ضربا ليس إلا لأنها سألته عن سر، والسر عبارة عن حلم سيبوح به فقط حال تحققه، فقال الملك المجري:

ـ أعطني هذا المذنب، أيها الملك الرفيق، فسيقول لي السر. لدي بنت جميلة كلؤلؤة الفجر، سيبوح لها حتمًا بكل شيء.

سلم الملك السجين إلى الملك المجري، فأجلسه في العربة وطلب منه أن يبوح بسره له، فقال الفتى حزينًا:

ـ لا يمكن يا سيدي الملك، ما لم يتحقق على أرض الواقع.

قال الملك المجري مبتسمًا:

ـ سوف تقوله لابنتي.

رد الولد بحزمٍ وقد رن سيفه بقوة:

ـ لن أبوح به لأحد.

وصل الملك والفتى الجميل إلى بودا خلال بضعة أيام. كانت ابنة الملك تتمشى في الحديقة تحديدًا لما أن عاد أبوها مع الفتى إلى المنزل. أسرعت البنت الجميلة صوب أبيها، ولما كانت تقبل يد أبيها رأت الفتى الجميل الجذاب الذي لم تر مثله من ذي قبل، فقالت:

ـ هل أحضرته لي، من بلاد الجن؟

ـ ليس من بلاد الجن، بل من تحت المشنقة يا بنيتي ـ يقول الملك على مضض لبنته التي لم تتقابل مع أي رجل في حياتها وقد وقعت في حبه فجأة.

ـ لا أبالي يا أبي العزيز حتى إن كنت قد جلبته من على المشنقة فهو لي وأنا له، سنموت سويًا.
ـ وقالت ابنة الملك المعجبة بالفتى هذا الأمر. وعلى هذا قام الفتى بتقبيل الأميرة ابنة الملك عدة مرات.

ـ قال الملك المتشح بالحزن: ستغضبين أنت عليه أيضًا، يا ابنتي الجميلة، ما إن تسأليه عن السر فهذا الفتى منتمٍ إلى دماء وجذور ليست ملكية، بل إن مكانه بين العبيد.

ـ حتى إذا قتلني أو فقأ عيني، فلن أغضب عليه، سيبوح لي بسره. سوف يسكن في غرفة الضيوف وستكون مزرعته في وسط قلبي.

هزَّ الملك رأسه وأرسل الفتى إلى غرفة الحديقة لكي يتسلى مع الكتب. كان قد مر أسبوع بالكاد، لبست البنت الجميلة أجمل ملابسها وأضحت كحوريات الجنة وذهبت إلى بيت الحديقة.

ولما أن رأى الشاب البنت الرائعة الجمال وقع الكتاب من يده، ولم يستطع أن يتفوه ولو بكلمة واحدة، وقد نادت عليه بصوت عذب رقيق لم تسمع به أذنه من ذي قبل:

ـ قل لي أيها الفتى اليافع، لِمَ جئت إليك؟ إذا عرفت، سأكون لك.

ـ لمعرفة سري؟

ـ ألهذا؟

ـ هذا ما لن أبوح لكِ به يا روح قلبي ويا ملاكي إذا كنتِ ترغبين في الذهاب إلى قصر أبيكِ الملك فافعلي ولا تأتي إلى هذا الاتجاه ثانية.

لكن الفتاة لم تنصت لحديث الفتى، وألحت عليه في السؤال بقوة وحضنته وقبلته، فسقط الفتى في غضب جامح وضرب البنت حتى سال الدم من أنفها.

جرت ابنة الملك إلى القصر وهي تصرخ، وقد رأى الملك الدماء المسالة على الملابس الجميلة لابنته الجميلة، فصرخ في الحديقة:

ـ يجب أن تموت من الجوع، أيها الحيوان! وبدأ في مسح وجه وأنف ابنته.

وفي هذا اليوم جمع الملك كل النحاتين العاملين في المدينة. أمرهم أن يعدوا له بناء مكون من أربعة حوائط لا يسع سوى لكرسي ومائدة صغيرة، ولتكن المائدة صغيرة بحيث لا يوضع عليها أكثر من كتاب فحسب.

أصبح البناء المطلوب جاهزًا خلال ساعتين، وقد انطلق النحاتون صوب بيوتهم يخبرون الملك أنه قد تم إنجاز العمل المطلوب، لكنهم تقابلوا مع ابنة الملك. فقد كانت هي هناك بين النحاتين، تحديدًا مع كبير النحاتين. سألته هل يستطيع أن يصنع فتحة في هذا البرج يتم من خلالها إدخال طبق وزجاجة من الخمر، ولا يستطيع أحد أن يلاحظها، فقال لها كبير النحاتين:

ـ بالطبع أستطيع، أستطيع فعل ذلك إذا لزم الأمر.

ـ أصبحت الفتحة جاهزة خلال ربع ساعة، وقد دفعت ابنة الملك بسخاء للنحات وعادت إلى المنزل.

أحضروا الفتى إلى المبني الحجري وقت شروق الشمس بصحبة جيش من الرجال وسردوا عليه جرائمه وأغلقوا عليه الجدران.

لكن الفتاة الملكية لم تتركه يموت من الجوع أو من العطش، فقد كانت تزوره ثلاث مرات يوميًا، وتحضر له المزيد من الكتب التي يطلبها.

كان الملك يلقي نظرة على الأسير مرة كل ثلاثة أيام، ويري هل مات؟ لكنه كان دائمًا على قيد الحياة، فاستغرب الملك.

ذات مرة بعث القيصر التركي للملك المجري برسالة. وقد أحضر الرسول حامل الرسالة ثلاثة من أعواد الخوص معه. كتب القيصر في خطابه يقول إذا لم يتمكن الملك المجري على أن يقول أي من هذه الأعواد الثلاثة كانت تنضج أكثر قربًا للجذر، وأيها كانت في وسط الأعواد ومن كانت في النهاية أي أكثر بعدًا عن الجذر فسيعلن الحرب عليه. ارتعدت مفاصل الملك وحزن. لاحظت الفتاة حزنه فسألته:

ـ لِمَ كل هذا الحزن يا أبي الملك؟

ـ وكيف لي ألا أحزن يا ابنتي الحبيبة. انظري لقد أرسل لي القيصر التركي بثلاثة من أعواد البوص وكتب يقول إذا لم أتمكن من تحديد أي من هذه الأعواد الثلاثة كانت تنضج أكثر قربًا للجذر، وأيهم كانت في وسط الأعواد ومن كانت في النهاية فسيعلن الحرب ضد بلادنا.

ـ لا تندب حظك يا أبي العزيز، سنعثر على مساعدة، وبعد مرور وقت قليل كانت بجانب حبيبها عند فتحة البرج، وقد سردت له رسالة القيصر التركي.

ـ اذهبي إلى المنزل ياحبيبة قلبي! استلق ونامي وما أن تستيقظين، قولي لأبيكِ أنك قد حلمتي أنه إذا غمسنا أعواد البوص في المياه الساخنة فسوف نعرف أي جزء كان يقف بالقرب من الجذر لأن من يغرق إلى قاع المياه فهذا كان الأقرب إلى الجذر، وما لا يهبط إلى القاع ولا يبقى طافيا على سطح المياه فهذا هو وسط البوص، أما ما يطفو على السطح فهذا هو طرف نهاية البوص، أي الذي ينمو أكثر بعدا عن الجذر.

أسرعت الفتاة إلى البيت... استلقت... نامت... استيقظت... حكت لأبيها الحلم. وفعل الملك كما قالت البنت وقد علّم أعواد الخوص من كانت من بينهم الأقرب إلى الجذر بشد خط واحد عليها، والأوسط ميزه بخطين والأخير بثلاثة، وكتب شارحا للقيصر التركي. بالفعل نضجت هذه الأعواد تمامًا مثلما أشار الملك المجري: لم يعلن القيصر التركي الحرب على المجر.

بعد مرور عام كتب القيصر التركي للملك المجري ثانية وأرسل له ثلاثة من المهر. كان مدونًا بالخطاب في أنه في حالة استطاع الملك المجري أن يقول من مِن المهر الثلاثة ولد صباحًا ومن منهم ولد ظهرًا، ومن في المساء، فإنه لن يخوض حربًا ضده. حزن الملك وندب حظه ثانيةً، فسألته ابنته مرة أخرى لِمَ كل هذا الحزن والأسى، فقال لها الملك العجوز:

ـ وكيف لي ألا أحزن يا ابنتي الحبيبة. أرسل لي القيصر التركي بثلاثة من المهر وكتب يقول إذا لم أتمكن أن أقول أي من هذه المهر الثلاثة ولد صباحًا ومن منها ولد ظهرًا، ومن في المساء، فإنه سيخوض حربًا ضد بلادنا.

ـ لا تندب حظك يا أبي العزيز ـ واسته البنت مبتسمة ـ وبعد انقضاء نصف ساعة كانت هناك مع حبيبها المحبوس بين الجدران، وقد سردت له مشكلة أبيها وحزنه هذه المرة، فقال لها الفتى السجين من وراء الجدران:

ـ عودي إلى البيت ياحبيبة القلب والروح، استلقى ونامي... ووسط أحلامكِ صيحي

بصوت عالٍ، وإذا سألكِ أبوكِ ما مشكلتك، فقولي له بأنك حلمتي كما لو أن القيصر التركي أرسل رجالًا من أجل أبيكِ كي يأسروه ويحضروه إليه لأنه لم يتمكن من القول مَنْ هذه المهر الثلاثة ولد صباحًا ومَنْ منهم ولد ظهرًا، ومن في المساء. ولما أن قاموا تحديدًا بتكبيل أبيكِ الملك حلمتي أن الفتى الذي ضربكِ تحرر من بين الجدران الصخرية بطريقة ما وقال مَن مِن هذه المهر الثلاثة ولد صباحًا ومن منهم ولد ظهرًا، ومن في المساء.

أسرعت ابنة الملك إلى المنزل وكما قال الفتى تصرفت.

في اليوم التالي حطموا الجدران الصخرية وأحضروا الفتى الجميل أمام الملك الذي قال:

ـ حظك رحيم بك يا بني، لأنك بقيت حيًّا في الحبس هذه المدة الطويلة. أنا على استعداد أن أعفو عنك لكن قبل هذا أود أن أحصل على خدمتك بتوضيح أمر جلل. كتب القيصر التركي لي خطابًا، ها هو، تفضل اقرأه! المهر الثلاثة في إسطبلي... هل تستطيع الرد على الخطاب؟

ـ سأجيب يا سيدي الملك، لكنني أود أن أسأل شيئا قبل هذا، هل لديك ثلاثة أحواض متطابقة في كل شيء؟

ـ لا، لكن سآمر بتحضير ما طلبت في الحال.

خلال ربع الساعة كانت هناك الأحواض الثلاثة المتطابقة في الحجم واللون.

ـ هيا يا سيدي الملك، فلنعمل بجد أكثر وأكثر. ضعوا الشوفان في أحد الأحواض، وفي الحوض الثاني فحمًا طبيعيًّا، وفي الحوض الثالث فحما صناعيًّا، فالمهر الذي يسرع نحو حوض الشوفان ولد في الصباح، والمهر الذي يتجه إلى حوض الفحم الطبيعي ولد في الظهيرة، ومن يتجه صوب الفحم الصناعي فجاء إلى الدنيا في المساء.

فعل الملك ما نصحه به الفتى؛ قام بتمييز المهر الثلاثة وأعاد إرسالهم. كان القيصر التركي راضيًا ومقتنعًا بالإجابة، وعليه لم يعلن الحرب ضد الدولة المجرية.

لكن كان للقيصر التركي عمة ساحرة، وقد طلب منها الآن النصيحة، ماذا عساه أن يفعل كي تطول يداه الدولة المجرية ويسيطر عليها، وكيف يعرف من هذا الرجل الذي يجيب على أسئلته كلها بشكل صحيح وحكيم؟ فقالت له الساحرة:

ـ مهلًا أيها الملك العزيز! ليس الملك المجري من أجاب على أسئلتك. بل هناك شاب أمه سيدة فقيرة للغاية، لكنه سيكون ملك المجريين عما قريب، ما لم تقتله فليس من المجدي أن تشحذ أسنانك ناحية المجر.

وعلى هذا كتب القيصر التركي للملك المجري إنه حال لم يرسل إليه هذا الفتى ابن السيدة الفقيرة الذي يعيش عنده، فسيعلن الحرب عليه.

قام الملك المجري بحزن بتسليم الرسالة إلى الفتى الجسور، وعلى إثر ذلك قرأ سطور رسالة القيصر المتغطرس كاملة، وقال:

ـ أنا لا أخاف من هذا المتغطرس وسأمزق بلدهم إربًا إربًا ـ وعندئذٍ رن السيف على جانبه مثلما لم يحدث من ذي قبل.

ـ لسنا في حاجة إلا لشابين توأم في كل شيء تمامًا. أما أنا فسأرسم قناع كي يكون ثلاثتنا متطابقين تمامًا، وأنا لا أخاف من العالم بأسره.

كان في مدينة الملك شابان توأمان لا يستطيع أن يفرق بينهما أحد، أما الفتى الجميل فقد قام برسم قناع لنفسه ولبسه وانطلقوا صوب بلاد الأتراك.

ولما أن وصل الشبان الثلاثة إلى قصر القيصر التركي، ألقوا التحية في صوت واحد، وانحنوا جميعًا مرة واحدة، وأجابوا عن سؤال الملك دفعة واحدة، وجلسوا على العشاء مرة واحدة معًا، ثم بعد العشاء انحنوا ثلاثتهم ثانية دفعة واحدة، وبناء على إشارة القيصر ذهبوا إلى غرفة النوم معًا. لم يتمكن من التمييز بينهم، فقد أراد أن يقتل الثلاثة، إلا أن الساحرة أخبرته أنها تستطيع أن تفرق بين الشابين والفتى الحقيقي، فمنحها القيصر فرصة، فقالت الساحرة:

ـ حسنًا سترى الأمر في الصباح يا جلالة الملك وستعرف من تقتل منهم، من تجد ياقة قميصه مقطوع منها جزء، فهذا هو رجل الملك المجري.

قبل منتصف الليل بساعة عندما تكون الساحرات غير مرئيات يمكنهن التسلل من خرم إبرة، وعبر فتحة مفتاح الباب تسللت الحيزبون(١) العجوز إلى الغرفة حيث ينام الفتيان الثلاثة. نام ثلاثتهم على سرير واحد، وكان على طرفه الفتى الجميل، وبالمقص الموجود لدى الساحرة قصت قطعة من قماش ياقة القميص الذي يرتديه الفتى الحقيقي، وخرجت متسللة من الغرفة ثانية. رأى الفتى الجميل عند ارتداء الملابس في المرآة الياقة المقطوعة، فقطع من ياقة رفيقيه الآخرين بالمقدار نفسه بالضبط.

دعا القيصر الشبان الثلاثة لتناول الفطور، ووقفت الساحرة في النافذة؛ فقد تعجبت أن

---

(١) امرأة عجوز سيئة الخُلق.

هناك جزءً مقطوعًا من ياقات الشبان الثلاثة، وبعد تناول الفطور انحنوا جميعًا، وذهبوا.

لم تهدأ ابنة الملك كثيرا طيلة فترة غياب حبيبها عن الديار، وفي مساء أحد الأيام ظهر الفتى سليما معافًا أمام قصر أبيها ففرحت وطلبت أباها الملك أن يسمح لها أن يتزوجا، لم يتفوه الملك بكلمة واحدة. توسلت الفتاة لأبيها كثيرًا، وفي مساء أحد الأيام الأخرى وصل إلى الملك خبر بث الخوف والرعب في نفسه. وكان خطابا من قبل القيصر التركي مفاده أن يرسل له الشاب الأجنبي بمفرده لأنه ليس إلا رجل مفقود بالنسبة للمجر. أرسل الملك العجوز الخطاب مع ابنته إلى الفتى، وسلمته البنت باكية.

ـ لا تبكِ، يا قلبي! واسى الفتى ابنة الملك.

– في الصباح الباكر سأنطلق عند شروق الشمس، لكن في غضون عام واحد سنتزوج.

ذهب الفارس الشجاع بمفرده إلى القيصر التركي. قابل الساحرة في حوش القصر، فقالت له السيدة العجوز هامسة له:

ـ ها أنت ذا قد جئت إلى تركيا الجميلة الآن!

لم ينصت الفتى إلى كلام السيدة. ولما أن خطى إلى عتبة القيصر، وقف مجابها له خمسة عشر من الأتراك المدججين بالسلاح، فأخرج السيف من غمده، وقتلهم جميعًا، ثم أعاد السيف إلى غمده ثانيةً، وفي الليل أرادت الساحرة أن تسرق سيف الفتى، لكن السيف انتفض واثبًا ومزق الساحرة الشريرة.

في صباح اليوم التالي مبكرًا أعد القيصر جيشًا لمجابهة الفتى، إلا أن السيف كان يدور بسرعة حول الفتى بحيث لم تصل إليه ولا حتى خدشة سيف أو نصل رمح، وقد فرَّ الأتراك جميعهم من أمامه.

تملك الشك ابنة الملك المجري بأن حبيبها لن يعود في اليوم المتفق عليه وظلت تلح على أبيها أن يرسل جيوشه صوب تركيا. بالفعل استجاب الأب لنداء ابنته وأعد الجيوش وكانت الفتاة تسير بملابس عسكرية في مقدمة الجيش. سار الجيش مسافة ميل واحد حتى وجد نفسه أمام الفتى لأنه كان قريبا إلى حدود الوطن، وصحبته ابنة الملك والجيش إلى القصر الملكي، وهللوا للملك الجديد.

بعد ذلك ذهب الملك الشاب بصحبة بضعة آلاف من الجنود إلى البلد التي ولد فيها، تحديدا إلى بيت أمه.

ارتعدت أمه لما أن رأت كل هؤلاء الجنود لأنها اعتقدت أنهم يريدون أن يدمروا المدينة، لكنها قد خافت أكثر وأكثر عندما لم يدخل ولا جندي واحد إلى حوش البيت، مع أنه إن ألقت بإبرة فإنها لن تسقط على الأرض بسبب كثرة الجنود هناك.

ارتعشت لما أن رأت أحد الرجال الأبطال ينزل من على جواده ويقترب منها أكثر وأكثر... واستعجبت عندما أمسك هذا الرجل الشجاع بيدها وقبّلها وقال لها:

ـ حسنًا يا أمي العزيزة! الآن سوف أقول لكِ بما حلمت. لقد حلمت بأنني سأصير ملكًا. لقد تحقق حلمي الآن ولهذا أبوح بهذا السر لأنني أصبحت الملك المجري فعلًا. عندما ألححتِ عليّ بالسؤال في طفولتي لم أبح لكِ بالحلم لأنكِ كنت ستنشرينه، وكان الملك عندئذٍ سيرمينني تحت قدميه. فلتباركك السماء لأنك ضربتني، فإن لم تبرحيني ضربًا، لم يكن الملك ليأخذني، وإن لم يأخذني، لم يكن ليريد أن يشنقني، وإن لم يكن يريد شنقي، لم يكن ليأخذني الملك الآخر. الآن أنا ذاهب لأتزوج.

وقد كان؛ عاد إلى بيته بجنوده وتزوج من ابنة الملك المجري. وها هو الآن ما زال على قيد الحياة، ما لم يكن قد توفاه الله.

خاتم ملك الثعابين

ذات مرة كانت هناك زوج وزوجة فقيرين يعيشان في منزل صغير، يعج بالأتربة والدخان ولم يكن في بيتهما مدخنة تشفط الدخان وتخرجه إلى خارج البيت، لذلك لم يكن يخرج دخان الموقد شديد الحرارة إلى أعلى السقف مباشرة بل كان يتسرب من داخل البيت إلى السطح، وبالتالي كان البيت مليئا بالأتربة والدخان على الدوام. كما أن هناك سببًا آخر لعدم وجود مدخنة في بيتهم وهو أن الدولة كانت تفرض الضرائب بحسب وجود المدخنة وحجمها، فعدم وجود المدخنة أعفاهم من دفع ضرائب.

وهكذا كانت حياتهما حتى مات الرجل الفقير فجأة، ومنذ ذلك الحين كانت السيدة المسكينة تعمل بمفردها كي تربي ولدها الوحيد الصغير.

وذات مرة ادخرت ثلاثة من الفورنتات، وقالت لولدها:

ـ ابني الصغير العزيز! لقد حرمت من كل شيء. خذ هذه الفورنتات الثلاثة، وهناك في القرية الثالثة يوجد سوق، انهض واشترِ لنفسك ما يعجبك. فقط لا تنفقهم فيما لا ينفع.

ذهب الولد، وبينما يسير في الطريق رأى على طرف إحدى القرى أن الأطفال يهرولون بسرعة حول شيء ما، فذهب نحوهم وسألهم:

ـ ماذا تفعلون هنا؟

فقالوا:

ـ نريد أن نضرب هذا الكلب الصغير حتى الموت.

ـ فقال الولد: لا تضربوا هذا المسكين حتى الموت، سأشتريه، وسأعطيكم فورنتًا واحدًا ثمنًا له.

بالفعل أعطاهم الفورنت وواصل السير وفي إثره الكلب.

وبينما يسير في الطريق رأى حشدًا كبيرًا من الأطفال أمام القرية التالية يحومون حول أمر ما، فتوجه إليهم وسألهم ماذا هم فاعلون.

إنهم كانوا يضربون قطة حتى الموت، فقال لهم الولد:

ـ لا تضربوا هذه المسكينة حتى الموت، سأشتريها، وسأعطيكم فورنتًا واحدًا ثمنا لها.

بالفعل أعطاهم الفورنت وواصل السير والآن في إثره الكلب وخلفه القطة الصغيرة.

وما أن وصل إلى القرية الثالثة حيث السوق، فماذا رأى هناك. رأى أطفالًا يطبلون ويضايقون شيئا ما... فقد كان هؤلاء يريدون أن يقتلوا ثعبانًا صغيرًا.

فقال لهم الولد:

ـ لا تؤذوه أيها الأطفال. سأشتريه، سأعطيكم فورنتًا واحدًا من أجله.

وهكذا فقد أعطاهم الفورنت الأخير الذي يملكه ولم يعد لديه ما يبحث عنه في السوق فعاد إلى المنزل وفي إثره الكلب وفوق الكلب القطة وأعلى القطة الثعبان الصغير.

لما أن وصل إلى البيت سألته الأم:

ـ فيما أنفقت النقود، ماذا اشتريت، يا ولدي؟ أنا متأكدة أنك اشتريت شيئا مفيدًا، أليس كذلك؟

أجاب الولد:

ـ أولا اشتريت كلبا صغيرا وقطة صغيرة ثمنهما اثنين من الفورنتات، أما بالنسبة للفورنت الثالث فقد دفعته لشراء حيوان جميل صغير!

فقالت له الأم:

ـ أرني يا بني، هذا الحيوان الصغير الجميل!

فالتقط الولد الثعبان الصغير من على الأرض.

ـ ها هو يا أمي الحبيبة.

ـ ياه، يا بني هل دفعت فورنتًا واحدًا من أجل هذا؟ كانت خسارة أن تدفع من أجل القطة والكلب، لكن كيف تجرؤ على شراء حيوان سيئ كهذا؟

وهكذا أمسكت بالمقشة كي تضربه، ولكن الولد قال لها:

ـ لا تؤذ هذا الحيوان المسكين الصغير، يا أمي الغالية، فربما نحتاج إلى مساعدته في وقت ما!

غضبت الأم أكثر وأكثر بسبب الثعبان الصغير. أمسك الولد بالثعبان الصغير ووضعه في إناء حجمه كبير وحمله إلى سطح المنزل المصنوع من الخوص الصغير. كانت لديهم عنزة صغيرة نحيفة، اعتاد الولد رعايتها. كل يوم كان الولد يعطي الثعبان الصغير القليل من اللبن الذي يحلبه من العنزة. بل كان يعطيه كله للثعبان ويبقى هو كل يوم من دون طعام.

وهكذا كبر الثعبان الصغير بحيث إن الولد لم يجد له وعاءً مناسبًا له، ثم كان يتوجب عليه إحضار اللبن إليه كل يوم، لكن الولد لم يهمل الثعبان الصغير قط، ولما أن أصبح الثعبان كبيرا مكتملا النمو، فجأة نما على رأسه تاج، ففرح الولد فرحا شديدا.

وفي ذلك الحين كانت أمه تقول له:

ـ ياه يا بني، هذا الثعبان سوف يدمرك في نهاية المطاف!

ـ أنا لا أخاف يا أمي منه، إنه لن يؤذيني! تعالِ فحسب وانظري كيف يحبني!

وهكذا انحنى للثعبان وظل الثعبان يلعق وجهه، لكن هذا قد زاد من خوف الأم أكثر وأكثر.

خلاصة القول عندما أصبح الثعبان كبيرا ناضجًا تمامًا قال:

ـ صاحبي العزيز الصغير! الآن أصبحت كبيرا بما فيه الكفاية، ولديّ الخبرة اللازمة، سأذهب لأساعد أبي في إدارة شئون الحكم فأنا ابن نجل ملك الثعابين! أنت أيضا ستأتي معي، ستجلس على ظهري وأصطحبك إلى أبي.

وفي ذلك الوقت كان الثعبان لديه أجنحة وأرجل أيضا. جلس الفتى اليافع على ظهره، ومن هناك ودَّع أمه، وقد بكت كثيرا بعده خوفًا من أن يأخذ الثعبان الكبير ابنها إلى الأبد.

سارا وذهبا أحيانا سيرًا على الأقدام وأحيانا طارا إلى أن وصلا إلى بلد الثعبان، وحيثما أخذ الثعبان الولد، أرادت الثعابين الأخرى أن تأخذه من على ظهره لتحمله هي برغبة كبيرة، لكن الثعبان الكبير أصدر صوتا فانسحبت كل الثعابين الأخرى تمامًا.

وما أن وصلا إلى ناحية القصر الملكي، حتى قال الثعبان للولد:

ـ هل تعلم يا صاحبي الصغير ماذا سيدفع لك والدي من فرحته لأنك أنقذتني من الضياع. لا تقبل أي شيء من أبي، لكن يوجد في الغرفة الداخلية خاتم مملوء بالصدأ، اطلبه منه فحسب! لن يريد أن يعطيك هذا الخاتم، بالأحرى يريد أن يجبرك على الحصول على كنوز نفيسة كثيرة أخرى، لكنك تمنَ هذا الخاتم فقط.

وها هما قد وصلا إلى القلعة، وطرقا باب الملك، فقال الملك العجوز:

ـ من الطارق؟

فقال ابن ملك الثعابين:

ـ هذا أنا، يا أبي!

فرح الوالد بعودة ابنه فرحًا جمًّا:

ـ ياه يا بني الغالي، ما هذه الخلقة التي أحضرتها إلينا هذه؟

يجيب عليه ابنه:

ـ من فضلك اسمعني يا أبي، سأحكي لك كل شيء! هذا المخلوق إنسان بشري، وهذا الولد الجسور أنقذ حياتي!

فقال الملك الثعبان:

ـ ياه، سُررت كثيرا يا بني! وكيف لي أن أكافئ هذا الإنسي؟

ثم توجه إلى الولد:

ـ أنت أيها الإنسان لك كل كنوزي إذا أردت.

فأجاب الولد:

ـ شكرًا جزيلًا سيدي الملك، لكن لا تلزمني كنوز؛ فقط ما يلزمني هو الخاتم المليء بالصدأ الموجود بالغرفة الداخلية!

ـ وماذا عساك أن تفعل بهذا الخاتم المليء بالصدأ، يا بني؟

ـ أفعل به ما أشاء، لكني أريده فحسب، بل أرغب فيه بشدة.

لم يجد الملك مفرًّا من ذلك، فوضع الولد الخاتم الصدئ بالجعبة. نعم لقد كان خاتما مليئا بالصدأ، لكنه كان ذو فصًّا ذهبيًّا أحمر. ثم بعد ذلك اصطحب ملك الثعابين الولد إلى خارج بلد الثعابين، وما أن خرجا منها، إذ به يقول له:

ـ صاحبي العزيز الصغير، الآن أفصح لك فيما يمكنك أن تستخدم الخاتم؛ هذا الخاتم من نوعية أنه إذا تمنيت أمرا، فقط افرك مقدمة الخاتم بإصبعك، وكل شيء سيكون أمامك كما تمنيت. لكن كن حريصا كي لا يعلم أحد سواك هذا السر. والآن الله معك يا صاحبي! فلتصاحبك السلامة وليكن الحظ حليفك!

عاد الثعبان إلى أبيه، أما الولد المسكين فقد انطلق عائدًا إلى بيته. سار ومشي كثيرًا، وفجأة أصبح متعبا للغاية من كثرة المشي على الأقدام، فجلس تحت شجرة، ولكنه كان جائعا جدًّا. فكر فيما يفعل، فمنزله ما زال بعيدًا، ولا يمتلك شيئا من المال. ماذا عساه أن يفعل وهو يتضور جوعًا

حتى يصل إلى المنزل؟ فجأة تذكر الخاتم في يده فجال بخلده كلمات ابن ملك الثعابين!

فرك الخاتم في الحال فظهرت أمامه مائدة مفروشة عليها كل شيء مما لذّ وطاب، فجلس بهدوء على المائدة وأكل وشبع، ثم فرك الخاتم ثانية فاختفت المائدة في الحال، ثم واصل السير صوب بيته.

وعندما أصبح قريبًا من منزله رأى أن أمه تنتظره! عاد إلى المنزل بفرحة غامرة، وقد حكى كثيرا لأمه الحبيبة.

قالت له أمه بعد كل هذا:

ـ يا حبيبي يا مسكين، أكيد أنك جائع الآن! سأسرع حالًا إلى غرفة الخزين وأحضر لك بعض حبات البطاطس وأطبخها لك.

عندما ذهبت الأم إلى غرفة الخزين كان الولد قد فرك الخاتم في يده، وفورا ظهرت مائدة مفروشة في الغرفة عليها مما تشتهي النفس، وعندما حضرت الأم ورأت هذه المائدة لم تستطع أن تقول ولو كلمة واحدة من شدة اندهاشها. قلقت السيدة المسكينة بشدة، ومع ذلك فقد جلست على المائدة لتناول الطعام، لكن عقلها قد انشغل من أين جاءت كل هذه الأشياء. سألت ولدها لكنه لم يقل لها، بيد أنه أجاب كالتالي:

ـ نحن بحاجة إليها، فنحن فقراء!

عندما أكلت السيدة العجوز وملأت بطنها، نهضت مع ابنها من أمام المائدة، وأرادت أن تغسل هذه الأواني الرائعة، لكن الولد فرك الخاتم خِلسة فاختفت الأطباق ومعها كل شيء تمامًا، فتعجبت السيدة المسكينة كثيرًا لأنه حتى تنظيف الأواني أصبح غير لازم.

أراد الفتى أن يتزوج الآن، فقال لأمه:

ـ هل تعلمي يا أمي أنني سأتوجه إلى الملك نفسه، لأتزوج من إحدى بناته الثلاث.

أجابت الأم على ذلك:

ـ يا خسارة يا بني، كيف لك أن تفكر في أمرٍ كهذا. هل سترضى بك أنت ابنة الملك؟ وهل ستقبل أن تسكن معك في هذا البيت المترب؟ يوجد في القرية بنت ملتزمة ومجتهدة وتحبك، فلتتزوجها.

أخذت الولد العزة بالنفس، ولم يستمع لأمه، وانطلق نحو الملك، وبمجرد أن وصل إلى

القصر الملكي أخبرهم في الحال في أي أمر قد جاء. أرسله الحراس إلى الملك في التو واللحظة، فسأله الملك:

ـ ماذا تريد يا بني؟

حكي له الفتى أنه يرغب في الزواج، وقد سمع أن هناك ثلاث أميرات يود أن يتزوج أصغرهن الأكثر جمالًا والأكثر حيوية وقوة! فأجاب الملك على ذلك:

ـ مهلًا... مهلًا يا ولدي أنت ما زلت فقيرا للغاية كي تتزوج من إحدى بناتي! لكن سأمنحك فرصة! أعطيك مهمة، إذا استطعت إنجازها بحلول صباح الغد، ستكون ابنتي لك، والمهمة كالتالي: أن تقوم بعمل طريق لتسلكه يمتد من كوخ أمك حتى قصري يكون مليئا بأشجار الفاكهة الرائعة!

ودَّعه الفتى، وعاد إلى المنزل. ما إن وصل إلى المنزل حتى قام بفرك الخاتم، وبحلول الصباح كان هناك طريق ذهبي خلاب قد أشرق من البيت المترب للأم وصولا حتى القصر الملكي، وعندما استيقظ الملك في الصباح وخرج إلى حوش القصر فإذ به يرى المعجزة التي لم يستطع النظر إليها من شدة الإضاءة والبريق، فبعث للفتى أن يزيل هذا البريق الشديد لأنه لا يتحمل أن ينظر إليه من شدة الوضاءة، وقد فعل الفتى.

عندئذ قال الملك:

ـ هذا كان مَهر ابنتي الكبرى.

لم يرض الفتى بذلك، لذلك فكر الملك في مهمة جديدة يقوم بها الفتى، ثم قال:

ـ على صباح الغد فلتكن حول القصر أشجار عنب ذهبية، وعليها أوراق ذهبية، وفوقها عصافير صغيرة تزقزق!

ذهب الفتى إلى بيته ثانية، وفي المساء فرك الخاتم، ومع بدايات بزوغ صباح اليوم التالي، وكان الملك قد استيقظ لتوه، فلم يحتمل المزيد من النوم لأن الطيور الصغيرة كانت تزقزق، ومن شدة انبهاره نظر من النافذة بسرعة، ورأى أن كل شيء تمناه موجود؛ كانت هناك أشجار العنب الرائعة الجميلة، وعلى أشجار العنب عصافير ذهبية جميلة صغيرة تغرد.

استدعى الملك الفتى كي يضع نهاية لهذا الأمر البراق المشرق للغاية، ففرك الفتى الخاتم خلسة وفي الحال فاختفي العنب الذهبي والطيور الصغيرة المغردة، وقال له الملك:

ـ كان هذا هو مهر ابنتي الوسطى.

ولكنها لم تكن مرضية لكبرياء الفتى، فأعطاه الملك مهمة أخرى عليه إتمامها؛ هذه المرة عليه القيام حتى صباح اليوم التالي بعمل بحيرة ذهبية أمام القصر وأن تسبح فيها أسماك ذهبية في هذه الحالة فقط سوف يمنحه ابنته الصغرى.

ذهب الفتى إلى المنزل، وأثناء الطريق فرك الخاتم ومرة أخرى تحققت أمنيته، واستيقظ الملك في الصباح ورأى بالفعل أن المهمة الثالثة قد تم إنجازها فما كان عليه إلا أن زوج الفتى الواثق بنفسه من ابنته الصغرى الأكثر جمالًا ونشاطا، وتزوجا في الحال في القصر الملكي، إلا أن الجميع كان يعلم أن هذه البنت كانت تربطها علاقة حب مع سائق عربة موكبها.

أحضر الفتى المسكين زوجته الأميرة ناحية القرية، وقد سألته وهي في حيرة من أمرها:

ـ أين منزلك؟

أجاب الفتى على هذا النحو:

ـ سوف ترينه!

وعندما وصلا قريبًا منه، فإذ بابنة الملك ترى المنزل الصغير فامتلأت عيناها بالدموع لأنها بعد كل هذا ستسكن في هذا المنزل الصغير المتواضع.

وصلا إلى المنزل وظلت هكذا ابنة الملك الشابة تبكي هناك، وكان غير مجدٍ مواساة الفتى لها:

ـ ليست هناك مشكلة يا حبيبتي، سوف تعتادين عليه!

في الحقيقة لم تدر أم الشاب المسكين ماذا عليها أن تفعل الآن فأين ستوفر مكانًا لنوم ابنها وعروسته، لأنه لم يكن هناك سوى سرير واحد، فقالت لولدها:

ـ يا خسارة يا بني كيف ستنام هذه المخلوقة الرقيقة في منزلنا الصغير البسيط هذا؟

أجاب الفتى بكبرياء:

ـ ليست هناك مشكلة يا أمي، كل شيء سيكون على ما يرام!

في المساء استلقيا على الأرض، وما إن نامت أمه وزوجته الباكية، فرك الفتى الخاتم فتحول المنزل الصغير المتواضع إلى قصر رائع جميل في الحال. لم تلحظ السيدتان ذلك واستمرا في النوم.

استيقظت السيدة العجوز أولا، وقد خافت من شدة جمال المنزل حتى إنها لم تجرؤ على الحركة من مكانها. كان على الفتى أن يستيقظ ويشجع أمه ويقنعها، لكنه كيف يبرر ما حدث

ففي المساء عندما ناموا كانوا في منزلهم القديم والآن هم في قصر رائع الجمال. لم تقتنع الأم بمبررات ابنها، مما اضطره في النهاية إلى أن فرك الخاتم وعاد الوضع على ما كان عليه من قبل، وهكذا فقط هدأت السيدة العجوز في نهاية المطاف.

لكن السيدة الشابة كانت تحب الأبهة، وكان القصر مناسبا لها، لكن الفتى كان قد سحر القصر إلى كوخ ثانية.

في نهاية المطاف لاحظت زوجته ماهية الخاتم الذي يمتلكه زوجها؛ تجسست عليه في إحدى الليالي، وكان في السرير فتحة، في مساء كل يوم عندما كان الفتى ينام كان يضعه فيها، وفي أحد الليالي عندما ناموا، استيقظت ابنة الملك وسرقت الخاتم وهربت به إلى بيتها.

في البيت فركت الخاتم وتمنت أن تكون هي وحبيبها سائق عربة موكبها يسكنان بمفردهما في قصر، وعلى إثر ذلك ظهرت قلعة معجزة وكانت هي ومعها سائق العربة يتمشيان حول القلعة ممسكين بأيدي بعضهما البعض في طريق رائع.

في الصباح استيقظ الفتى المسكين... لقد اختفي الخاتم! ولم يدر ماذا يفعل من شدة حزنه، ثم نادى الكلب الصغير والقطة الصغيرة وقال لهما:

ـ انتبها إليَّ! واجلسا أمامي هنا!

جلس الكلب الصغير والقطة الصغيرة ونظرا إلى صاحبهما بانتباه.

أما هو فقد واصل الحديث قائلًا:

ـ أيها الكلب الصغير وأيتها القطة الصغيرة أنتما الآن ستسافران إلى ابنة الملك، لكن اذهبا إلى هناك مباشرة حيث ترون هذا القصر الخلاب! واحصلا على الخاتم وأحضراه لي إلى البيت!

ذهب الكلب والقطة الصغيران واستمرا في السير، وفجأة وصلا إلى أرض واسعة مملوءة بالماء، فوقفا على شاطئ المياه.

ـ اسمع! أنت تستطيع السباحة، وأنا لا أستطيع، كيف سنتمكن من العبور من خلال هذه المياه الشاسعة؟

ـ نستطيع العبور إذا جلستِ على ظهري.

وبالفعل امتطت القطة ظهر الكلب، وتشبثت بأظافرها في أذن الكلب الصغير المسكين، وسبحا وعبرا بنجاح.

ثم توجها ناحية القصر وتساءلا من سيحصل على الخاتم.

فقالت القطة:

- أنا سوف أحصل عليه لأن لديّ أظافر طويلة. هل تعلم كيف سننجز المهمة؟ أنت سوف تنام في الخارج، ثم سأتسلل أنا إلى الغرفة.

وظلا هكذا يدردشان ويمشيان سيرًا على الأقدام، وفجأة ماذا رأيا؟ رأيا أن ابنة الملك وسائق موكبها يسيران أمامهما في الطريق، وما أن وصلا بالقرب منهما حتى قالت ابنة الملك لسائق موكبها وعشيقها:

- آه، أنظر فحسب إلى هذا الكلب وهذه القطة فقد جاءا من طرف الفتى المشين القذر الفقير! حتى الحيوانات لا تحبه، فكيف لي أن أحبه أنا.

تظاهرت القطة الصغيرة والكلب الصغير كما لو كانا فرحا بشدة من اللقاء، وكما لو أنهما يمكنهما البقاء للأبد هناك معها وهكذا ظلا يلعقان ابنة الملك ويداعبانها.

فرحت ابنة الملك كثيرا أن الكلب الصغير والقطة الصغيرة أصبحا ملكا لها، وأعطت لهما ما يكفيهما من الطعام والشراب.

عندما أقبل المساء وضعت قطعة من القماش في الطرقة على الأرض للكلب الصغير والقطة الصغيرة كي يناما عليها، وبالفعل نامت القطة والكلب، ولكن بمجرد أن فتح الباب، تسللت القطة إلى الغرفة، واختبأت أسفل السرير، ولما نامت ابنة الملك وسائق موكبها، وكانت ابنة الملك تضع الخاتم عند شباك السرير كل مساء، وقد كان هناك فتحة صغيرة أيضًا للخاتم، وما إن راحوا في سبات عميق حتى خرجت القطة من تحت السرير وأخرجت الخاتم من الفتحة وأمسكته بفمها، لكنها لم تستطع الخروج من أي مكان فقفزت من النافذة، فانكسرت النافذة بالكامل.

عندئذٍ قالت القطة للكلب:

- لنهرب الآن بسرعة، فلدينا الخاتم الآن!

عندما كسرت النافذة، انتفض سائق الموكب وابنة الملك واثبين نحو الصوت، لكن القطة والكلب قد هربا، وعندئذٍ لاحظت الفتاة أن الخاتم لم يعد موجودًا، فقالت للسائق.

- هذه هي نهايتنا، لقد جاءت القطة والكلب إلى هنا من أجل الخاتم!

وصلت القطة والكلب مرة أخرى إلى هناك حيث المياه الشاسعة، فتوقفا ليتفقا من سيحمل الخاتم. فقالت القطة أنها سوف تحمله، واتفق معها الكلب على ذلك مرة ثانية. وتشبثت القطة برقبة الكلب وسبحا في الماء: حمل الكلب القطة. عندما كانا في منتصف المياه قال الكلب للقطة:

ـ لقد حملتي الخاتم بما فيه الكفاية أيها القطة، أعطني إياه الآن!

قالت القطة:

ـ كيف لي أن أعطيك إياه، بينما هو في فمي؟

فقال الكلب:

ـ سوف أفتح فمي على مصراعيه، فقط اقذفي الخاتم فيه!

بالفعل فتح الكلب فاه على مصراعيه، وأرادت القطة أن تقذف به في فاه، لكنه لم يسقط في فم الكلب، بل في الماء، وقد شاهدت القطة أحد أسماك الكراكي[1] الرائعة الكبيرة وهي تلتقطه في اللحظة نفسها، وعندما خرجا من الماء بكيا، فماذا هما بفاعلين الآن؛ لا يجرؤا على العودة إلى المنزل ـ فقد فقدا الخاتم! سيضربهما صاحبهما حتى الموت! في النهاية ومع هذا فقد عادا حزينين بشدة إلى البيت.

في البيت بالطبع كان يتوجب عليهما الوقوف أمام صاحبهما. سألهما:

ـ أيها الكلب، أيتها القطة، أين الخاتم؟

عوى الكلب وانتحب، وظل يشير للقطة بساقه، أما القطة فتظاهرت كما لو كانت لا ترى إشارات الكلب، وظلت هي الأخرى تومئ إليه بقدمها بأنها ليست السبب وإنما الكلب الذي أضاع الخاتم، حنق عليهما بشدة صاحبهما، وبحزام البنطلون ضربهما وطردهما من المنزل.

في هذا التوقيت تحديدًا كانت تسير عربة أمام المنزل، كان رجل صياد يجلس فيها يبيع السمك. خرج صاحب الكلب والقطة على ضجيج السيارة، وأوقف الرجل وسأله:

ـ ماذا تبيع، أيها العم!

قال له الرجل:

ـ سمك! تفضل بالشراء، ليس غاليًا!

---

(١) سمك الكراكي: هو سمك كبير يعيش في أنهار أوربا وأمريكا ويتغذى على غيره من الأسماك.

صعدت القطة في الحال على السيارة، ومن وراءها الكلب، وفي الحقيقة كانت هذه السيارة تحمل سمكة الكراكي المعجزة الكبيرة التي ابتلعت الخاتم، فلما رأتها القطة ظلت تصدر مواء باستمرار وتشير بقدمها وتمسك بسمكة الكراكي الكبيرة، ثم نظرت إلى صاحبها، وشرحت له بصراحة أن سمكة الكراكي هذه هي من ابتلعت الخاتم، فانتبه الفتى للقطة وفهم في النهاية ماذا تريد، واشترى سمكة الكراكي المعجزة الكبيرة، وعندما نظفوها وقطعوها سقط من داخلها الخاتم، وفي الحال لبسه وتمنى أن تكون ابنة الملك وسائق موكبها معا أمامه هناك عند المنزل بقلعتها.

وهناك بالفعل كانا سويًّا بقلعتها، وعندئذ طلب الفتى من الأميرة ابنة الملك أن يرحلا عن هذه القلعة لأنه يريد أن يسكن فيها مع أمه ومع تلك البنت الفقيرة الملتزمة المجتهدة التي كان حظها أن أحبته قبل ذلك.

وما زالا يعيشان حتى اليوم، ما لم يكن قد توفاهما الله.

الملك المغرور

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والأوان، في بلاد ما وراء البحار، كان هناك رجل عجوز لديه ثلاثة من الأبناء، وذات مرة أعلن الملك في جميع أرجاء البلاد بأنه سيزوج ابنته لمن سيقول أمامه شيئا لا يصدقه.

سمع الابن البكر للرجل العجوز هذا الأمر. كان الابن يدعي "بيتر"، فعقد العزم وذهب إلى الملك، وأخبر أحد رجال الملك بأنه يريد التحدث مع الملك شخصيًّا. فكَّر الملك ماذا يريد منه هذا الفتى، المهم أنه أمر بالسماح للفتى بالدخول إليه في التو واللحظة.

جاء إلى الملك من قبل كثير من الأبناء، وعديد من رجال علية القوم، فقد كانوا كثيرين كالنجوم في السماء، وكانوا يريدون الزواج من ابنة الملك، ولكن بالطبع لم يكن هناك من استطاع أن يقول شيئا لم يصدقه الملك. دخل "بيتر" على الملك، وألقى عليه التحية:

ـ مساء الخير، وربنا يبارك فيك، يا جلالة الملك!

ـ ليبارك الله فيك، يا بني! في أي أمر جئت؟

ـ إني أود الزواج، يا جلالة الملك!

ـ فعلت خيرًا، يا بني، وكيف ستعول زوجتك؟

ـ الله أعلم! سوف أعولها بطريقة ما إن شاء الله، كما أن أبي لديه منزلًا، وقطعة من الأرض أيضًا.

ـ أصدقك يا بني.

ـ علاوة على ذلك فإن لدينا ثلاثًا من الأبقار.

ـ أصدق هذا أيضًا.

ـ منذ زمن ليس ببعيد تكدس السماد في حوش بيتنا لدرجة أننا لم نكن نستطيع التحرك منه.

ـ أصدقك.

ـ وذات مرة قال أبونا: "أبنائي! احملوا هذا السماد إلى تلك الأرض الصغيرة، فربما نقوم باستخدامه في أمر ما مفيد!

ـ أصدقك.

ـ وقمنا جميعا بحمل السماد بعربتين على مدار ثلاثة أسابيع.

ـ أصدقك.

ـ وبالخطأ حملنا كل السماد إلى أرض الجار.

ـ أصدقك.

ـ وعندما حدث هذا الأمر، عدت إلى المنزل، وأخبرت أبي.

ـ أصدقك.

ـ ثم بعد ذلك ذهبت أنا وأبي وأخواي الصغيران إلى الأرض.

ـ أصدقك.

ـ ثم أمسكنا بأرض الجار من جوانبها الأربعة كما لو كانت مفرش مائدة، ونقلنا السماد من عليها إلى أرضنا نحن.

ـ أصدقك.

ـ ثم بعد ذلك نثرنا البذور في أرضنا.

ـ أصدقك.

ـ وبعد ذلك نبتت فيها أشجار وعشب كثيف، لدرجة أن الفرد منا لا يستطيع أن يرى كامل الأرض.

ـ أصدقك.

ـ ولم يرض أبي أن يقطع هذه الأشجار الرائعة: فاشتري قطيعًا من الخنازير.

ـ أصدقك.

ـ ثم اتخذ من والد جلالتك راعيًا لهذه الخنازير!

كاذب! سأشنقك...! ولكن تذكر الملك مباشرة أن عليه قبول الحقيقة، فما كان عليه أن يفعل سوى أن يستدعي البابا والمأذون، وزوج ابنته لابن الرجل الفقير، ثم أقاموا الأفراح والليالي الملاح، التي انتشر خبرها إلى آخر البلاد، وأعطوا للأطفال اليتامى الفطائر في أيديهم، وكانت هناك العصائر واللحوم الكثيرة!

الفارس "روجا"

كان هناك ملك لديه ثلاثة من الأبناء، هاجم بلادهم العدو واحتلها، وسقط الملك، وكان الأمراء أبناء الملك صيادين مهرة. بعد الهزيمة تحولوا ثلاثتهم إلى صيادين وظلوا يسيرون ويسيرون لا يعلمون إلى أين هم ذاهبون حتى وصلوا أخيرًا إلى جبل شاهق حيث يتفرع الطريق عنده وقرروا أن ينفصل كل منهم عن الآخر وليجرب كل واحد منهم حظه.

لكنهم كانوا قد اتفقوا على أن يقوموا بتثبيت علامة عالية على أعلى شجرة موجودة على قمة الجبل ويربطون عليها منديلًا أبيض وكل منهم يطل عليه من حين لآخر وينظرون إلى المنديل، ومن يرى منهم أن المنديل صار مدميًا أي به دماء فلينطلق ليلحق إخوته فأحدهما في خطر.

كان أصغرهم يدعي "روجا" وقد اتجه ناحية اليسار، أما الاثنان الآخران فقد انطلقا ناحية اليمين. ولما أن دخل "روجا" إلى الجبل الجليدي السابع رأى قلعة جميلة من بعيد تلوح في الأفق فدخل فيها لأنه كان متعبًا من كثرة الترحال كي ينال قسطًا من الراحة، ولكنه لم يجد بها أي روح من أي نوع واستقر به الحال في إحدى الغرف.

كان كل شيء هادئًا وعلى ما يرام حتى المساء إلى أن انفتحت بوابة القلعة بصخب عالٍ.

تسلل "روجا" من خوفه إلى أسفل السرير فقد دخل هناك العمالقة وقال أحدهم:

ـ أف! يا لها من رائحة آدمية نتنة حلت بالمكان!

بحثوا عن "روجا" وأمسكوا به وقطعوه إربًا إربًا ثم رموه من النافذة.

في الصباح ذهب العمالقة مرة ثانية للعمل.

عندئذ زحف من بين إحدى الأشجار ثعبان ذو رأس فتاة جميلة وجمع كل قطعة من جسد "روجا" ووضع كل جزء من الجسد في مكانه الأصلي، وأثناء ذلك كان يقول "هذا الجزء مكانه هنا... وهذا هنا" ولصق أجزاء الجسم بلحام العشب، ومن مصدر مياه قريب أحضر المياه الباعثة للحياة ورشه بها.

وقف "روجا" على قدميه وأصبح أقوى مما كان بسبع مرات، وهنا خرج الثعبان ذو رأس الفتاة من جلد الثعبان حتى الإبط.

أصبح "روجا" واثقا في نفسه لأنه صار قويًا للغاية فلم يختبئ أسفل السرير في المساء لكنه انتظر العمالقة عند البوابة لدى عودتهم. وصلوا إلا أنهم في هذه المرة أرسلوا خدمهم إلى "روجا"

كي يمزقوا بقايا الإنسان الآدمي الحقير هذا، لكن لم يتمكن الخدم من ذلك، لذلك وجب على العمالقة الخروج إليه بأنفسهم ليكسروا عظامه في لحمه، وبالفعل قاموا بذلك.

في صباح اليوم التالي أعاد الثعبان ذو رأس الفتاة "روجا" إلى الحياة مرة ثانية وقد خرج هذه المرة من جلد الثعبان حتى الخصر، وأصبح "روجا" أقوى من أي عملاق من العمالقة بمرتين.

في المساء قام العمالقة السبعة بقتله لكن بعد كفاح وصراع شديد لأن في هذه المرة طارد الخدم وجرح ثلاثة من العمالقة أيضًا.

في الصباح ذهبت العمالقة كما هو معتاد، وأعاد الثعبان "روجا" للحياة مرة أخرى وقد أصبح قويًا أكثر من العمالقة السبعة مجتمعين، كما أصبح جميلًا كالبدر في كماله. خرجت الفتاة بكامل جسدها من جلد الثعبان، وكانت حقًّا مخلوقة حسناء ولطيفة جدًّا.

حكى كل منهما للآخر أمره وحياته، فقالت الفتاة إنها من سلالة ملكية وأن العمالقة قتلوا أباها واحتلوا بلدها، والقلعة الموجودة هناك هي ملك لأبيها التي ينطلق منها العمالقة كل يوم يضايقون العباد من أبناء الوطن، وقد تحولت الفتاة إلى ثعبان وأقسمت أن تظل في هيئة ثعبان ما لم تنتقم من هؤلاء العمالقة. رأت الآن أن جلد الثعبان ينزلق من عليها وهذا معناه أنه يمكنها تحقيق غايتها لأن "روجا" أصبح قويًا لدرجة أن يهزم العمالقة السبعة مرة واحدة بسهولة ويسر.

- هيا يا "روجا" دمرهم... اقتلهم! أما أنا فلن أكون جاحدة معك أبدًا!

- أيتها الفتاة الرقيقة! - أجاب "روجا" - لقد أعدتيني إلى الحياة ثلاث مرات، فكيف لي ألا أكون ممتنًا لكِ؟! لكي حياتي وروحي كلها!

أقسما على الحب والوفاء حتى الموت وانقضى اليوم بشكل طيب وجميل حتى المساء. ولما أن وصل العمالقة صاح فيهم "روجا" قائلًا:

- هل تصدقون أيها المارقون أنكم قتلتموني ثلاث مرات من قبل؟ أقول لكم إن أقدامكم لن تطأ خارج هذه البوابة بعد الآن! هل تصدقوني؟ لنتصارع!

تملكهم الغضب فهجموا عليه لكن هيهات هيهات فلم يكن الأمر مثلما كان في السابق فقد قتلهم "روجا" جميعًا وأخذ من جيوبهم المفاتيح، وفتش كل ركن في القلعة.

صاروا الآن أكثر جرأة لأن القلعة صارت ملكا لهم، وليس هناك ما يخيفهم.

مر الليل بهدوء. في الصباح أطل "روجا" على قمة الجبل الجليدي من الساحة الأمامية للقلعة فوجد المنديل الأبيض ممتلئًا بالدماء عن آخره!

حزن وندب حظه ثم قال لحبيبته:

ـ يجب علي الذهاب لأبحث عن أخويَّ لأنهما ليسا على ما يرام. انتظريني حتى أعود لأنني إذا عثرت عليهما فبالقطع سوف أرجع إليكِ.

استعد وحمل السيف والسهام وأخذ معه اللحام العشبي والماء الباعث للحياة وذهب إلى حيث انفصل عن أخويه.

اصطاد أرنبا في طريقه ولما أن عثر على الطريق الذي سلكه أخواه وجد كوخًا صغيرًا أمامه شجرة فوقف هناك فإذا بكلبي صيد أخويه مربوطين بسلسلة! فكهما وأشعل النار وبدأ يشوي الأرنب.

وبينما هو يشوي إذا به يسمع صوتا قادم من على الشجرة يقول وهو يرتعش:

ـ يا لهذا البرد... إنه برد قارص!

فرد عليه "روجا":

ـ إذا كنت تشعر بالبرد فتعال لتتدفأ!

فقال له:

ـ نعم أريد لكنني أخاف من الكلاب!

ـ لا تخف لأن هذه الكلاب لا تهاجم الشرفاء!

ـ أصدقك القول، لكن الاحتياط واجب: خذ خصلة الشعر هذه ودعهم يشمونها أولًا، وسوف يعرفونني من خلالها!

أخذ "روجا" خصلة الشعر وألقاها في النار فإذا بساحرة شريرة طاعنة في السن تهبط من على الشجرة وتأتي لتتدفأ ثم قامت بسلخ ضفدعة من قشورها وشرعت بشوائها وأخذت تقول لـ "روجا":

ـ هذا لي... وهذا لك! وقذفت في وجهه الضفدعة، عندئذ لم يقف "روجا" مكتوف الأيدي فأشهر سيفه وهم بضرب الساحرة فتحول سيفه إلى قطعة من الخشب فتوجهت إليه لتقتله وقالت:

ـ حسنًا هذه هي نهايتك لا محالة! فأنا من قتلت كلا أخويك انتقامًا منك على قتلك أبنائي العمالقة السبعة.

أطلق "روجا" الكلبين على الساحرة فلم يتركاها حتى أمسكا بها وسالت دمائها وسقطت الدماء على السيف الذي تحول إلى قطعة خشب فصار سيفا كما كان من قبل فالتقطه "روجا" وقطع ذراع الساحرة الأيسر فأرشدته على المكان الذي دفنت فيه كلا أخويه.

ضربها "روجا" مرة أخرى بالسيف فانتقلت إلى مثواها الأخير في جهنم الحمراء.

أزال "روجا" التراب من على أخويه وجمع جسديها المقطعين ولحمها باللحام العشبي ونثر عليهما المياه الباعثة للحياة.

ولما أن فتحا عينيهما ورأيا "روجا" قال كلاهما في صوت واحد:

ـ ياه... لقد نمت كثيرًا!

قال "روجا":

ـ بالطبع نمتما كثيرًا، بل وإن لم أتى إليكما لنمتما أكثر وأكثر...!

حكيا له أنهما بعد انفصالهما عنه سمعا أن الأعداء قد غادروا بلادهم واتفقا على أن يقوم الأخ الأكبر بالعودة إلى ديارهم ليرتب شئون البلاد وأن يذهب الآخر للبحث عن "روجا".

دخلا في الكوخ الصغير وهناك وجدا الساحرة الشريرة العجوز وفعلت معهما مثلما أرادت أن تفعل مع "روجا" نفسه.

كما حكى لهما "روجا" ما مر به ثم قال:

ـ أخي الأكبر، عد إلى ديارنا الأصلية واجلس مكان أبينا! أما أنت يا أخي الأصغر فتعال معي لنرتب ونعيد الأمور إلى نصابها في هذه البلاد الكبيرة التي كان يسيطر عليها العمالقة.

انفصلوا وذهب كل منهم إلى مكانه.

عثر "روجا" على حبيبته التي كانت في غاية الحزن والأسى لكن بمجرد أن رأته امتلأت بالبهجة والسعادة. آلت مقاليد الحكم في البلد الكبيرة التي تم إنقاذها من العمالقة إلى أيديهما، ثم عانق "روجا" وحبيبته كل منهما الآخر، ثم أقيمت الأفراح والليالي الملاح، وكان هناك من الضيوف الكثر... وحصل الجميع على واجب الضيافة على أكمل وجه ورقصت العروسة، وربما ما زالا على قيد الحياة حتى اليوم، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"بندبوك"

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، كان هناك رجل عجوز وامرأة عجوز لديهما ولدان أحدهما يدعي "بندبوك"، كانوا يعيشون في فقر مدقع لا كتبه الله على أحد من عباده.

توفي الرجل العجوز سريعًا ولم يترك لـ "بندبوك" إلا معطفًا باليًا قديمًا ومحكًا معدنيًا للأحذية، وترك لأخيه مثله. فقالت لهما أمهما:

ـ لقد كبرتما ويمكنكما الآن البحث عن عمل، فانطلقا على بركة الله لأنني لم أعد أتحمل مصاريف كسائكم وإعالتكم.

بالفعل انطلقا الولدان يشقان طريقهما في الحياة.

مشيا وذهبا وواصلا السير إلى أن وصلا إلى إحدى الغابات. كانت هناك شجرة حور ينقسم عندها الطريق إلى اثنين أحدهما إلى اليسار والآخر إلى اليمين.

هنا انفصل الأخوان عن بعضهما بعد بكاء مرير، وسلك "بندبوك" جهة اليسار، وأخوه جهة اليمين ليجربا حظهما في هذه الدنيا وليبحث كل منهما عن لقمة عيشه.

مشي "بندبوك" يعصره الحزن والأسى على فراق أخيه وفجأة سمع صوت عراك وقتال فسار في اتجاه الصوت.

ولما أن اقترب وجد أن ثلاثة من أبناء الشياطين يتقاتلون على حزامٍ واحد تركه لهم أبوهم بعد موته كإرث لهم، لكنهم لم يتمكنوا من تقسيمه بالعدل لأنه لم يكن لديهم سكين يقطعونه به ليأخذ كل منهم نصيبه، وبمجرد أن رأت الشياطين الثلاثة "بندبوك" نادوا عليه في الحال، وقال له كبيرهم:

ـ أعطني سكينة أيها الولد وأعطيك مكانها قبعة إذا وضعتها على رأسك ستنير الطريق أمامك وستظلم الطريق خلفك، ولن يراك أحد.

فقال له ابن الشيطان الأوسط:

ـ أما أنا فسوف أعطيك مصباحا إذا فتحته وأمرته بأي شيء فإنه سينفذه في الحال.

فقال الثالث:

ـ أما أنا فسوف أعطيك حقيبة إذا وضعت فيها العالم كله فلن يظهر منها.

حسنًا! اشتبه الأمر على "بندبوك" فخاف أن يفقد الأشياء التي وعدوه بها. المهم أنه بمجرد أن أعطاه كل واحد منهم ما تم الاتفاق عليه فأعطاهم سكينته القديمة البالية ووضع القبعة التي أخذها من أحدهم على رأسه فلم تعد الشياطين تراه.

وواصل السير في الطريق المعاكس لبلاد العجائب السبع إلى أن وجد نفسه قبالة مدينة كبيرة. فكر في نفسه قليلاً ثم توجه إلى قصر الملك وقال للحراس:

ـ اسمحوا لي بالدخول أيها الحراس فقد سمعت أن مساعد خياط البلاط الملكي قد توفي وأريد أن أعمل مكانه.

هاجمه الحراس فماذا يريد هو بهذا المعطف البلي القديم الذي يرتديه، فهو ليس مناسبًا كي يعمل مساعدًا للخياط، لكنه ظل يلف ويدور هناك إلى أن سمحوا له بالدخول في نهاية المطاف. دخل على الخياط وقال له:

ـ أود أن أعمل مساعدًا لك يا سيدي الخياط بالطبع إن لم يكن لديك مانع، وقد مات مساعدك منذ فترة!

فقال له الخياط:

ـ ليس لدي مانع، لكن هل تعلم واجباتك؟ في الصباح عندما نستيقظ يجب أن يكون الحوش مكنوسا وأن تقوم بإشعال نار الموقد بالمطبخ وتضع عليه الماء ليغلي في الإناء. إذا فعلت ذلك فسأحبك!

وعده "بندبوك" أن يقوم بتنفيذ ما قاله له.

في صباح اليوم التالي ولما أن استيقظا كان الحوش نظيفًا لامعًا وفي المطبخ نار الموقد مشتعلة وعليها الإناء به الماء الذي قد تبخر نصفه من كثرة الغليان.

رأت زوجة الخياط كل ذلك فقالت لـ "بندبوك":

ـ لا تشعل نار الموقد مبكرًا جدًّا هكذا لأنك كما ترى الآن فقد تبخرت نصف المياه من الإناء!

قبل "بندبوك" النصيحة وفعل كل ما يريدونه بالتمام والكمال فأحبه الجميع، ولما أن مرت أربعة من الأيام قال للخياط:

ـ اسمح لي يا سيدي الخياط أن أذهب لورشة الخياطة معك واتركني أحيك ولو حتى شيئًا بسيطًا!

سمح له الخياط بذلك، ونزل "بندبوك" إلى ورشة الخياطة وكان هناك رجل خياط عجوز

يسمونه "يانوش" ذهب إليه "بندبوك" وقال له:

ـ أعطني شيئا أفعله يا"يانوش"!

ـ وكيف تستطيع الحياكة وأنت لم تمسك إبرة من قبل!

ظل الفتى يلح في طلبه إلى أن أعطاه بنطلون جندي كي يخيطه حتى الركبة.

ذهب "بندبوك" ومعه البنطلون إلى وراء الباب وفتح المصباح الذي أعطاه له الشيطان وقال:

ـ القص بالمقص، والخياطة بالإبرة والكي بالمكواة على ألا يوجد به أي خطأ أو عيب من أي نوع!

وبمجرد أن قالها كان كل شيء جاهزًا على أفضل وأجمل حال. ولما أن أخذه "بندبوك" إليه تعجب وسيطرت عليه الدهشة فكيف قام الفتى بخياطته هكذا!

في اليوم التالي ذهب "بندبوك" إلى الورشة ثانية واتجه إلى "يانوش" فوجده حزينًا يندب حظه فسأله:

ـ لِمَ الحزن والندب يا"يانوش"؟

ـ وكيف لي ألا أبكي وأندب حظي يا أخي ويجب على الانتهاء من خياطة مائة من ملابس الجنود بمفردي وذلك خلال أربع وعشرين ساعة!

ـ لا تحزن أبدًا، فسأقوم بذلك أنا... كل وأشرب ونم أنت فحسب ولا تقلق على الباقي!

سمع "يانوش" الكلام وفعل ما قيل له، وهمَّ "بندبوك" في العمل، لكنه لم يكن يفعل شيئًا سوى أنه كان يقول دومًا:

ـ القص بالمقص، والخياطة بالإبرة والكي بالمكواة!

ولما أن فرغ من قولته هذه كانت الملابس المطلوبة كلها جاهزة، وعندما استيقظ "يانوش" كانت قطع الملابس المائة جاهزة. في اليوم التالي أعطى "يانوش" فطوره لـ "بندبوك" نظير ما فعله معه من صنيع طيب.

في اليوم التالي لذلك ذهب "بندبوك" إلى هناك فرأى "يانوش" حزينًا يندب حظه فسأله: لِمَ كل هذا الحزن والندب يا"يانوش"؟

ـ وكيف لي ألا أبكي وأندب حظي يا أخي ويجب على الانتهاء من خياطة مائتين من قطع الملابس بمفردي وذلك خلال أربع وعشرين ساعة!

ـ لا تحزن أبدًا، فسأقوم بذلك أنا... كل وأشرب ونم أنت فحسب ولا تقلق على الباقي!

نام "يانوش" ولما أن استيقظ كانت كل قطع الملابس المائتين جاهزة. ولما أن حان وقت الغداء أجلس "يانوش" "بندبوك" على مائدة الطعام مكانه وظل "بندبوك" يعترض على هذا فكيف يجلس مكان من هو أقدم منه في المهنة، لكنه خضع في النهاية وجلس مكان "يانوش". في هذه الأثناء أقبل خياط البلاط الملكي بنفسه لتناول الغداء فرأى أين يجلس "بندبوك" فتملكه الغضب وثار في وجه "بندبوك" فكيف أتت له الجرأة ليجلس في هذا المكان. كانت نهاية الغضب أنه طرد "بندبوك" طردة بلا رجعة.

ذهب "بندبوك" بمعطفه الصغير البالي مرة أخرى إلى مدينة كبيرة ودخل على بستاني الحديقة الملكية وأخبره أنه يريد أنه يعمل مساعدا له فقبله البستاني لأنه كان في حاجة إلى مساعد بالفعل وأرسله إلى الحديقة كي ينظف الزهور من الذباب والحشرات، ولم يكن هناك شيء يفعله "بندبوك" سوى أن يتمشى في الحديقة هنا وهناك يهذب الورود وينسقها. ذات مرة وكان ذلك يوم الأحد نظرت ابنة الملك الصغرى إلى الحديقة فوجدت بها غلاما صغيرًا يهذب وينسق الزهور وعليه معطف بالٍ قديم، لكن فجأة صار فارسًا بملابس نحاسية ممتطيا حصانا ذا شعر نحاسي يقطع بحصانه كل نباتات الحديقة حتى صارت خالية من الورود ليس بها شيء ثم زرعها كلها بالزهور النحاسية الخلابة.

جن جنون الملك من دهشته لما أن رأى ذلك ومنح البستاني هدية كبرى، لكن البستاني نفسه لم يدر من زرع هذه الزهور ومنع "بندبوك" أن يقترب منها. ضحك "بندبوك" في نفسه لأنه هو من قطع الحديقة كلها، وهو أيضا من زرعها كلها. لقد كان هو الفارس ذو الرداء النحاسي.

في يوم الأحد التالي مكثت ابنة الملك الوسطى في القصر ولم تذهب إلى الكنيسة فألقت نظرة على الحديقة فوجدت بها غلاما صغيرًا يهذب وينسق الزهور وعليه معطف بالٍ قديم، لكن فجأة صار فارسًا بملابس فضية وعلى حصان ذي شعر فضي يقطع بحصانه كل الحديقة حتى صارت خالية من الورود ليس بها شيء ثم زرعها كلها بالزهور الفضية الجميلة. في يوم الأحد الذي تلي ذلك لم تذهب ابنة الملك الكبرى إلى الكنيسة فرأت الحديقة فوجدت بها غلاما صغيرًا يهذب وينسق الزهور، لكن فجأة صار فارسًا بملابس ذهبية وعلى حصان ذي شعر ذهبي يقطع بحصانه كل الحديقة حتى صارت خالية من الورود ليس بها شيء ثم زرعها كلها بالزهور الذهبية البراقة. عندئذٍ كافأ الملك البستاني مرة أخرى بحق على ما رآه من زهور في حديقته. لقد كان كل شيء فيها من الذهب الخالص. لكن بنت الملك الكبرى لم تعلم أن الفارس ذا الرداء الذهبي هو نفسه "بندبوك".

في يوم الأحد الرابع على التوالي أرادت الابنة الصغرى للملك أن تمكث في البيت مدعية مرضها، لكن أباها الملك أخبرها أنها ستذهب معهم حتى لو كانت تموت.

ـ حسنًا!

قالت ابنة الملك الصغرى للبستاني:

ـ قل لمساعدك أن يعد لثلاثتنا ثلاث باقات من الورود، أيها البستاني!

جهز "بندبوك" ثلاث باقات من الورود ليس لها مثيل حتى في بلاد العجائب السبع، فقد استطاع من عمل لوحة فنية جميلة للبنات الثلاث من الورود لا يمكن عمل أفضل ولا أحسن منها قط. حملها في معطفه البالي القديم. أراد البستاني أن يأخذها منه ويدخلها هو إلى الأميرات، إلا أن "بندبوك" أصر على أن يدخلها هو إليهن. بمجرد أن دخل إلى غرفة الأميرات الثلاث حتى صاحتا فيه الأميرتان الكبيرتان قائلتين له:

ـ اخرج واغرب عن وجهنا!

أما أصغر الأميرات فقالت:

ـ أحضر لي باقة الورد الخاصة بي يا أخي الصغير!

عندما أعطاها باقة الورد أعطته الأميرة الصغرى في الحال خاتما ذهبيًا.

بعد مرور وقت ليس بالطويل صنع الملك لبناته الثلاث تفاحة ذهبية وجمع النبلاء والأمراء وقال لبناته:

ـ من تريدن الزواج به ألقوا إليه هذه التفاحة الذهبية!

كان الأمراء والنبلاء في غرفة كبيرة ومعهم كل خدام الملك إلا "بندبوك"، وفجأة جاء هو الآخر مرتديًا معطفه البالي القديم ووقف عند الباب خلف أحد النبلاء.

ألقت الأميرتان الكبيرتان التفاحة الذهبية على اثنين من الأمراء، أما الصغرى فقد قذفت بها إلى "بندبوك"، فاعتقد النبيل الواقف أمامه أنها قد ألقتها له فأراد أن يحملها فقالت له أصغر الأميرات:

ـ لم أقذفها لك!

عندئذ التقطها "بندبوك".

بعد ذلك دقت الأفراح والليالي الملاح، إلا أن الملك غضب بشدة على ابنته الصغرى لأنها

اختارت هذا الجرو الفقير. لم يكن من المسموح لـ "بندبوك" وزوجته الجلوس على مائدة الطعام مع الباقين، فكانا دومًا يجلسان بجانب الباب.

في اليوم التالي ذهب الأميران لصيد الحيوانات البرية على ظهر أحصنتهما فسألا "بندبوك":

ـ ألا تأتي معنا للصيد، ياصهرنا!

قال لهما "بندبوك" أنه سيذهب معهما إذا أعطوه حصانًا. بالفعل أعطوه حصانا رديئًا هزيلا قذرًا نحيلًا بالكاد يستطيع أن يخطو للأمام. وبمجرد أن وصلوا إلى نهاية المدينة وجب عليهم المرور من خلال بركة من الوحل فبقي حصان "بندبوك" المسكين فيها ولم يتمكن من الخروج منها فضحكا عليه وقهقه الأميران.

عندئذٍ قال الحصان لـ "بندبوك" لأنه كان حصانًا من الفصيلة الشامانية:

ـ ماذا عليّ أن أفعل، يا صاحبي الصغير؟

فرد عليه "بندبوك":

ـ كن حصانا ذا شعر نحاسي، وأنا سأكون فارسًا مرتديًا ملابس نحاسية ومعي أرنب ذو فرو نحاسي!

وقد كان! فسأله الحصان ثانية!

ـ كيف أنطلق: كالرياح أم كلمح البصر؟

فقال له "بندبوك":

ـ انطلق كلمح البصر، وكن أمام الأميرين في الحال!

وحدث هذا بالفعل. وبمجرد أن أغلق "بندبوك" عينيه وفتحهما إذا به يرى الأميران أمامه. بالطبع لم يتعرفا عليه، فألقيا عليه التحية وبدؤوا يتحدثون مع بعضهم البعض:

ـ بكم تعطينا هذا الأرنب؟

فرد عليهم "بندبوك" كما لو كان لا يعرف ما هذا الشيء قائلًا:

ـ أعطيكم إياه لمن يعطيني منكما هذا الشيء الدائري الأصفر الموجود في إصبع كل واحد منكما!

فهمس أحد الأميرين للآخر قائلًا:

ـ أنا سأعطيه خاتمي ثم أدعي في البيت أنه كسر ثم سقط فتاه مني!

بالفعل أعطاه له ثم تفرقوا كل منهم ذهب في اتجاه مختلف، ولما أن وصل الأميران إلى نهاية المدينة وجدا "بندبوك" ما زال يعاني ويكافح في بركة الوحل حتى الآن، وبصعوبة تمكن في النهاية من الخروج من هذا المأزق، وحممته زوجته في حوض كبير من الماء.

في اليوم التالي دعا الأميران "بندبوك" للذهاب في رحلة صيد، وأعطياه حصانا أردأ من سابقه، فغرز في مستنقع الوحل السابق، لكن الأميران واصلا طريقهما بحصانيهما.

ـ ماذا على أن أفعل، يا صاحبي الصغير؟

فرد عليه "بندبوك":

ـ كن حصانا ذا شعر فضي، وأنا سأكون فارسًا مرتديًا ملابس فضية ومعي أرنب ذو فرو فضي!

وقد كان! فسأله الحصان ثانية! كيف أنطلق: كالرياح أم كلمح البصر؟ فقال له "بندبوك": انطلق كلمح البصر، وكن أمام الأميرين! وحدث هذا بالفعل. وبمجرد أن أغلق "بندبوك" عينيه وفتحهما إذا به يرى الأميران أمامه. بالطبع لم يتعرفا عليه، فألقيا عليه التحية وقد أعجبهما الأرنب فقالا: بكم تعطينا هذا؟

فرد عليهم "بندبوك":

ـ مقابل الشيء الدائري الأصفر الآخر!

في هذه المرة أعطاه الأمير الآخر خاتم خطوبته الذهبي ثم تفرقا بعد ذلك، ولما أن وصل الأميران إلى نهاية المدينة وجدا "بندبوك" ما زال يعاني في بركة الوحل مع حصانه حتى خرج منها بالكاد، ولما أن عاد إلى البيت حممته زوجته بالماء.

في اليوم الثالث خرج الأميران للصيد ودعيا "بندبوك" للذهاب معهما، وأعطياه حصانا أردأ من سابقيه، فغرز في مستنقع الوحل المعتاد فربما أصبح هذا هو المعتاد ونصيبه هكذا، ولكن بمجرد أن رحل الأميران من أمام عينيه قال "بندبوك" لحصانه:

ـ كن حصانا ذا شعر ذهبي، وأنا سأكون فارسًا مرتديًا ملابس ذهبية ومعي أرنب ذو فرو ذهبي!

وقد كان! فسأله الحصان ثانية! كيف أنطلق: كالرياح أم كلمح البصر؟ فقال له "بندبوك":

انطلق كلمح البصر، وكن أمام الأميرين! وحدث هذا بالفعل. وبمجرد أن أغلق "بندبوك" عينيه وفتحهما إذا به أمام الأميرين.

وحدث ذلك بالفعل! لم يدر الأميران كيف لهما أن يلقيا التحية على هذا الفارس المغوار الجميل... المهم أنهما نهضا للتحدث معه وسألاه:

ـ بكم تبيع لنا هذا الأرنب؟

فرد عليهما "بندبوك":

ـ أعطيه لمن يتركني فيكما أن أطبع خاتمي على جانبه!

تركه أحدهما كي يمهر خاتمه على جانبه، ثم تفرقوا، ولما أن وصلوا إلى المدينة وجدا "بندبوك" كالمعتاد يعاني في بركة الوحل مع حصانه، ثم عاد إلى البيت فحممته زوجته بالماء.

ذات مرة جمع الملك أثرياء مملكته كي يريهم هذه الأرانب التي أمسك بها زوجا ابنتيه الكبيرتين، وبينما كان الجمع يحصل على واجب الضيافة كان الأميران يحكيان ويقصان كيف قاما باصطياد هذه الأرانب وإذ فجأة يدخل عليهم فارس في ملابس نحاسية فاعتقدوا أنه أحد الأثرياء وطلبوا منه الجلوس، فقال لهم هذا الفارس ذو الملابس النحاسية:

ـ كلاكما كاذب أيها الصهران فقد بعت الأرنب النحاسي مقابل هذا الخاتم، أما الأرنب الفضي فقد بعته مقابل الخاتم الآخر... أنا "بندبوك"! أما الثالث فقد كان نظير أن أمهر خاتمي على صهرك! إن لم تكونوا مصدقين ما أقول، فهيا تحققوا من صدق كلامي!

شاهدوا ووجدوا أن كل ما قاله صدق! عندئذ قام "بندبوك" وقال:

ـ فليبارك الله لك، يا أبي الملك... فليبارك الله لكِ يا زوجتي! وهكذا رحل.

ذهب وواصل السير بمعطفه الصغير البالي إلى أن وصل إلى أحد الملوك فقال له:

ـ سمعت يا جلالة الملك أن زوجتك لديها ابنة تستهلك كل ليلة دستة كاملة من أزواج الأحذية، ولم يستطع أحد حتى الآن معرفة كيف يحدث هذا الأمر، سأجرب وسأعرف ماهية الأمر حتى لو كانت تعاشر الشياطين أنفسهم.

فقال له الملك:

ـ كل ما قلته صحيح يا بني، لكن اعلم أنه إن لم تعرف السبب فسيكون مصيرك الموت لا محالة... ستكون رأسك المائة بعد أن قطعت تسعًا وتسعين رأسًا للسبب نفسه.

كان "بندبوك" عند كلمته، ولم يتراجع عنها قيد أنملة.

في المساء استلقى "بندبوك" بجانب باب ابنة الملك مرتديًا معطفه البالي، وبينما هو مستلقي هناك فجأة حوالي الساعة العاشرة ليلًا أقبلت عربة مشتعلة إلى داخل باحة القصر الملكي ونزل منها رجل ذو لحية كبيرة ودخل إلى غرفة الأميرة ابنة الملك واصطحبها إلى العربة وجلس كلاهما عليها، وأمسك "بندبوك" بقبعته في الحال ووضعها على رأسه وجري وراءهما... كانوا يسيرون بسرعة كبيرة.

وبينما كانا يسيران هكذا وصلا إلى غابة نحاسية ووقفا عند ينبوع مياه نحاسي هناك فأكلا وشربا وتحدثا واغتسلا وتحمما. وأكل "بندبوك" من طبق الرجل ذي اللحية الكبيرة من دون أن يراه أحد بالطبع، ولما أن هما بالانطلاق أمسك "بندبوك" بكوب نحاسي ووضعه في حقيبته وأمسك بغصن نحاسي وكسره وقال:

ـ لأذهب أنا أيضا في إثرهم!

وبمجرد أن كسر الغصن النحاسي حتى اهتزت الغابة كلها فقالت ابنة الملك وقد تملكها الخوف الشديد:

ـ ياه يا زوجي ويا ملكي من الواضح أن الفتى الصغير يفعل شيئًا ما!

فقفز هذا الرجل ذو اللحية الكبيرة ـ وهو "بلوتو" نفسه ملك الشياطين ـ وبدأ ينفخ في النار الموجودة على العربة حتى وصلت إلى كل مكان فيها حتى إلى نهاية رمح الدبوس الصغير، لكنه لم يجد شيئًا على الإطلاق فقال لسائق العربة:

ـ لا الحصان ولا السوط ملكا لك، انطلق فحسب!

ساروا بسرعة كبيرة إلى أن وصلوا إلى غابة فضية ووقفوا عند ينبوع مياه فضي هناك فأكلا وشربا وتحدثا واغتسلا وتحمما. أمسك "بندبوك" بكوب فضي ووضعه في حقيبته وأمسك بغصن فضي وكسره ووضعه في حقيبته هو الآخر.

وما أن انطلقوا عبر طريق ضيق سارت فيه العربة بصعوبة حتى وصلوا إلى قلعة تلف وتدور على ساق بطة. وبمجرد أن همت ابنة الملك بالنزول منها حتى جرى قبالتها بنتان جميلتان يسألانها:

ـ ماذا أحضرتي لنا... ماذا جلبتي لنا يا أمي؟

دخلوا جميعهم إلى القلعة وجلسوا لتناول العشاء. كان "بندبوك" مختبئًا في حفرة ما خلف

بوابة القلعة، ولما أن أحضر الخادم بقايا الطعام أخذها "بندبوك" من يده ووضعها في حقيبته كما أخذ دستة الأحذية التي أحضرتها معها ابنة الملك ووضعها في حقيبته.

لما أن انتهوا من تناول العشاء خرجت ابنة الملك إلى غرفة أرضيتها مسقوفة بالأمواس الحادة. بالطبع كلما كانت تخطو خطوتين كان ينتهي عمر الحذاء الذي تلبسه فصرخت في الخادم كي يحضر بقية الأحذية لكنهم ليسوا موجودين في أي مكان! لم يجدوهم في أي مكان على الإطلاق! ارتعدت مفاصل الأميرة وقالت لـ "بلوتو":

ـ ياه يا زوجي ويا ملكي من الواضح أن الفتى ذا المعطف الصغير قد فعل شيئًا. أنا لن أبقى هنا... سأعود إلى بيتي!

ركبت العربة وذهبت وراءها البنتان الصغيرتان وبينما كانا يقبلانها أمسك "بندبوك" برقبتيهما وقال:

ـ أدخلا كليكما إلى الحقيبة!

وبينما كان "بلوتو" يقبلها هو الآخر أمسك "بندبوك" بلحيته الكبيرة وقال له:

ـ ادخل أنت الآخر إلى الحقيبة!

فعل "بندبوك" كل هذا وبالطبع لم يره أحد لأن القبعة كانت على رأسه.

عادت الأميرة إلى البيت وعندما دخلت إلى غرفتها قالت:

ـ إذا كنت أعلم أنك هنا لمَ أتيت.

في الصباح يستدعي الملك "بندبوك" ويسأله:

ـ ماذا رأيت؟

حكى له "بندبوك" كل ما جرى. وبينما كان يحكي كان ممسكا بلحية "بلوتو" بيده وهو في الحقيبة وقال:

ـ إذا لم تكن مصدقًا لكلامي يا جلالة الملك، فهنا كل شيء!

وفتح حقيبته في الحال في وسط الغرفة وبما أن "بلوتو" هذا شيطان فقد اختفى في التو واللحظة.

ثم أخرج بعد ذلك البنتين وكل الأشياء الأخرى التي وضعها في الحقيبة وعندئذٍ قال الملك:

ـ بما أنك استطعت فك اللغز، فإنني سأزوجك من ابنتي، وأعطيك نصف مملكتي!

فقال "بندبوك":

ـ لا تلزمني ابنتك يا جلالة الملك ولا حتى نصف مملكتك!

أعطى الملك مفاتيح إحدى عشرة غرفة لـ "بندبوك" وقال له أن يأخذ ما يحلو له، إلا أن الخدام قد قالوا لـ "بندبوك" أن الملك لديه غرفة أخرى رقمها الثانية عشرة بها مصابيح معجزة معلقة. قالوا له إنها أفضل الحجرات. طلب "بندبوك" مفتاح الغرفة الثانية عشرة فرفض الملك في البداية إلا أنه سرعان ما تراجع عن ذلك وأعطاه المفتاح ففتح الغرفة الثانية عشرة وأخذ الفانوس، وهكذا ترك الملك وابنته هناك، وعاد إلى بيته.

من باب الفضول فحسب فتح الفانوس فخرج منه اثنا عشر عملاقًا وسألوه:

ـ شبيك لبيك عبادك بين يديك!

فقال لهم "بندبوك":

ـ شيدوا لي مدينة من هنا حتى بيت أمي!

بالفعل فعلوا ما أمرهم به صاحبهم!

ولتجلس أمي على كرسي من ذهب في أجمل القصور، وليكن تحت قدميها مقعد صغير من الذهب.

بمجرد أن فرغ من كلامه تم تنفيذ ما أمر به. تذكر "بندبوك" أنه كانت لديه زوجة صالحة فأمر بأن يحضروها له، وبالفعل حققوا له أمنيته. كان هناك مائة من الطهاة يطبخون الطعام ورقصوا بعد العشاء وفرح الجميع وانتهت الحكاية عند هذا الحد.

القطة الكسولة

تزوج أحد الفتيان بنتًا غنية لا تفعل أي شيء، علاوة على هذا فقد تعهد ألا يضربها قط.

لم تعمل العروسة الصغيرة قط، لكنها كانت تتجول من منزل إلى آخرٍ فحسب لتدردش مع هذه، وتثرثر مع تلك وتفعل كل ما هو لا قيمة له.

لم يضربها زوجها ولا حتى مرة واحدة.

ولكن ذات مرة في الصباح، عندما ذهب لقضاء عمله، قال لقطته الصغيرة:

ـ آمرك أنت أيتها القطة الصغيرة بعمل كل ما هو واجب في البيت لحين عودتي! نظفي البيت جيدًا، وعدي الطعام بحلول الظهيرة، واغزلي بالمغزل، وإلا فعندما أعود، سأضربك ضربًا مبرحًا!

كانت القطة تقضي القيلولة بجانب موقد النار، واستمعت للحديث بإنصات، لكن السيدة اعتقدت في نفسها أن زوجها هذا قد أصيب بالجنون! فقالت

ـ لِمَ تأمر القطة بهذه الأشياء وأنت تعلم أنها لا تستطيع القيام بها؟

قال الرجل:

ـ تعرف أو لا تعرف، الأمر بالنسبة لي سواء، يا زوجتي! ليس لدي شخص آخر كي آمره! ولكنه إذا لم تستطع القيام بكل هذا، سوف ترين ماذا سأفعل بها!

وهكذا ذهب إلى عمله.

شرعت السيدة في تشجيع القطة:

ـ اعملي أيتها القطة، لأن زوجي سيضربك!

لكن القطة لم تنجز شيئا مما طُلِبَ منها. ذهبت الزوجة إلى عدة بيوت كعادتها، وعندما عادت إلى المنزل، كانت القطة ما زالت تقضي القيلولة أيضًا، وكانت النار قد انطفأت، فقالت لها ثانية:

ـ أوقدي النار، واعملي أيتها القطة، لأنكِ ستُضربين اليوم!

لكن القطة لم تصنع شيئًا.

عاد رجل البيت، وتلفت يمينًا ويسارًا، ووجد أن كل شيء سيئًا، فأمسك بالقطة وربطها

على ظهر زوجته، وظلّ يضربها حتى شرعت زوجته في التوسل إليه والتضرع له:

ـ لا تضرب القطة ثانية، فهي ليست مخطئة، فهي لا تعرف هذه الأشياء!

سألها الزوج:

ـ إذن هل تقبلين أن تفعلي كل شيء بدلًا منها؟

ـ سوف أفعل أكثر مما طلبت منها، فقط لا تضرب هذه المسكينة مرة أخرى!

أسرعت العروسة الصغيرة إلى بيت أمها، وشكت لها الأمر، وقالت:

ـ لقد قبلت بأن أفعل كل شيء بدلًا من القطة، على ألا يضربها هكذا ثانية على ظهري بلا رحمة.

تدخل الأب في الحديث:

ـ إذا كنت قد قبلتي، فنفذي أيضًا! لأن غدًا ستُضرب القطة ثانية، إن لم تفعلين!

وهكذا أرسلها إلى بيت زوجها.

في صباح اليوم التالي أمر رجل البيت القطة بما عليها القيام به.

لكن القطة لم تفعل أي شيء هذه المرة أيضًا، وقام صاحبها بضربها ثانية بعد ربطها على ظهر زوجته.

وعلى إثر ذلك أسرعت العروسة الشابة لتشتكي، لكن أباها طردها، ولم يجعل قدمها تطأ المنزل.

في صباح اليوم الثالث قال الرجل للقطة الأمر الثالث. لم تستطع القطة حتى الاستماع إلى النهاية، فقد كانت مرتجفة للغاية، ومع ذلك وفي هذه المرة أيضًا لم تفعل شيئًا، لكن الزوجة الشابة فعلت كل شيء مكانها. ولم تنس الآن، ماذا قبلت أن تفعل: أشعلت النار، أحضرت المياه، أعدت الطعام، وكنست. أتمت ما كان يجب عليها القيام به.

لقد انفطر قلبها على القطة الصغيرة: فعندما كان يضربها الزوج كانت القطة تغرس أظافرها في ظهر الزوجة من شدة ألمها وكربها، كما أن طرف السوط ذات الطبقتين كان يطول ظهر الزوجة أيضًا في كل ضربة كما هي الحال بالنسبة للقطة.

عندما عاد الزوج إلى المنزل، كان كل شيء على ما يرام!

وظل الرجل يردد أيضًا:

ـ لا تخافي أيتها القطة، لن أؤذيك!

فرشت الزوجة المائدة بكل سعادة، وجهزت الأكل، ووضعته أمام زوجها، وأكلوا وشبعوا بمزاجٍ طيبٍ.

ثم سار الوضع هكذا بعد ذلك، ولم يتم ضرب القطة مرة أخرى، وصارت العروسة الصغيرة ربة منزل حقيقية بمعنى الكلمة!

"مارتسي" اللص الشريف

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان، كانت هناك امرأة عجوز، لديها ولد يُدعى "مارتسي"، وكان "مارتسي" هذا شريفًا ومستقيمًا. علاوة على ذلك فلقد كان ماهرًا وذكيًّا ومشهورًا، لدرجة أن ذاع صيته في سائرِ أنحاءِ البلادِ بأنه يستطيع أن يفعل كل شيء وأي شيء. ووصلت أخباره إلى الملك أيضًا، إلاَّ أنَّ هذا الملك كان ذا طبيعةٍ حاسدةً: فقد أغضبه أن شهرة "مارتسي" غطت على صيته، لذا استدعى الفتى، وقال له هذه الفكرة التي أراد من وراءها المراوغة:

ـ سمعت كم أنك مشهور للغاية أيها الفتى! يا لك من شهير يا"مارتسي"! إذا كنت فعلًا تعرف كل شيء، فبرهن على ذلك، وإلا دمَّرتكَ! إذا كنت تعرف كل شيء، فهل تستطيع أن تسرق أيضًا؟

أجاب "مارتسي" الصادق:

ـ جلالة الملك أنا لم أسرق قط طيلة حياتي، وإنني لا أريد أن أفعل أمرًا كهذا.

أجاب الملك على هذا منتشيًا:

إذا كنت لم تسرق قط، فالآن إما أن تفعل وإلا فانتظر نهايتك! لديّ في الحقل اثنا عشر مستأجرًا، إما أن تسرق منهم من الحقل الاثني عشر محراثًا ومعهم الاثني عشر ثورًا، وإما أنني سأفعل شيئًا آخر: سأقضي عليك! ولكن إذا اجتزت التجربة، فإن لك كل خزائني، لأنني أنا أيضًا سرقتهم كذلك!

حزن "مارتسي" على سوء حظه، ولكن الآن ليس أمامه أي اختيار آخر. عاد إلى المنزل، وقصَّ على أمه ما دار في لقاء الملك، فقالت الأم له:

ـ الآن شَغِّلْ عقلك يا بني وتدبر الأمر!

فكر "مارتسي" جيدا، ثم ابتسم، وطلب من أمه أن تحضر له اثنتي عشرة دجاجة سوداء نظيفة ورنْقاء أسود.(١)

سألته الأم:

---

(١) الرَّنْقاءُ من الطير: الجاثمة على البَيْض.

ـ لِمَ تريد هذه الأشياء، يا بني؟

ومع ذلك فقد أحضرت له أمه ما يريد، وخرج "مارتسي" ومعه الدجاج إلى الغابة التي على طرفها يوجد الاثنا عشر محراثًا المخصصة للملك، وهناك أطلق "مارتسي" سراح الرنقاء ومعها الدجاج وصاح:

ـ هه، الرنقاء مع الدجاج! أمسكوا بهم، لقد جلبت لنا الحظ!

وعلى إثر ذلك ترك المستأجرون المحاريث، وذهب الجميع وراء الدجاج! خاف الدجاج وانطلق صوب الغابة، والمستأجرون في إثرهم، وفي هذه الأثناء قام "مارتسي" بالإمساك بالثيران ومعها المحاريث وأخذها معه.

قاد "مارتسي" الثيران بالمحاريث حتى المنزل، لأنه كان قد اتفق مع الملك على هذا بأن ما يستولي عليه فهو ملكه، ولكن الأم أرسلت الثيران إلى الملك كي لا ينتظر عودتها.

استدعى الملك "مارتسي" في اليوم التالي واستقبله مغتاظًا بشدة:

ـ سمعت أنك نجحت في سرقة الثيران والمحاريث!

أجاب "مارتسي" بتواضع:

ـ نعم نجحت.

ـ هذه المرة كنت محظوظًا، ولكن الآن يجب أن تسرق القمح من مخزني الذي تحرسه الجنود ليلًا ونهارًا، وإن لم تسرقه حتى صباح الغد، تعلم ماذا سأفعل، سوف أقطع رقبتك! ولكن إذا اجتزت التجربة فإن لك بلدي لأنني أنا أيضًا سرقتها كذلك.

ـ سأحاول يا جلالة الملك.

وعاد "مارتسي" مرة أخرى للتفكير في كيفية سرقة القمح من المخزن وهناك كل هؤلاء الحراس؟

وفي اليوم نفسه قام الملك باستدعاء الحراس، وقدم لهم البالينكا، ورفع من حالاتهم المعنوية كي يتنبهوا إلى "مارتسي" ذلك الملعون، كي لا يتسلل في الخفاء، فليوقعوا به فحسب، وليضربوه حيثما ثقفوه.

سمع "مارتسي" هذا الأمر أيضا، وفي الحال دبَّر أمرًا: صنع رجلًا من التبن، ووضع عليه قبعته، وأوقفه بالتحديد أمام المخزن بكل حرص، وعطس بقوة، وأسرع الحراس خارجين،

ورأوا الرجل التبن المرتدي الملابس، لقد رأوا قبعة "مارتسي"! إلى الأمام، بأقصى سرعة، إليه! وبسبب تناول الكثير من البالينكا فقد أصابهم الدوار قليلًا، ثبطت الهمة والمثابرة، وقد أقسموا أن "مارتسي" أتى لسرقة القمح! رويدًا رويدًا، إنها كانت رأسه وقبعته فقط! وقد أتموا واجبهم حياله بحيث لم يتبق منه، ولا حتى غباره أو رائحته.

وقد ذهبوا بعد ذلك سعداء، وانطلقوا صوب الملك يخبروه بأن "مارتسي" لم يسرق القمح من المخزن! وأنهم قد قتلوه ضربًا!

سعد الملك كثيرًا، وأجلسهم وقدَّم لهم الطعام والشراب، وأثناء ذلك كان "مارتسي" قد سرق القمح كله.

أرسلت أمه إلى الملك هذه الرسالة: اجتاز "مارتسي" الاختبار.

ازرقَّ واخضرَّ وجه الملك من الغضب، وجرى إلى المخزن، وكان "مارتسي" بالطبع لم يترك ولا حبة قمح واحدة. واستدعاه ثانيةً، والآن أصبح مغتاظًا بالفعل.

- حسنًا، هل سرقت القمح، يا "مارتسي"؟

- نعم سرقته، يا جلالة الملك.

- حسنًا! لكني الآن أطالبك بعمل حقيقي فعلًا، اسرق حصاني ذا الشعر الذهبي الذي يحرسه مائة سائق عربة ممن يعملون لديّ، إن لم تفعل، سأقطع رقبتك لا محالة، ولكن إذا نجحت في الاختبار فليكن لك تاجي، لأنني أنا أيضًا سرقته كذلك.

تأمل "مارتسي" وفكر وخطَّط أمرًا آخرًا. اشترى زجاجة بالينكا لنفسه، وارتدى ملابس بالية، وفي المساء توجه إلى الإسطبل، وظل يخدش ويخربش باب الإسطبل، ولكن سائقي العربات لم يريدوا السماح له بالدخول، لأن الملك حثهم على اليقظةِ والانتباه، ولكن عندما رأوا أن هذا ما هو إلا مجرد رجل ذو ملابس ممزقة ثمل، فقد كان محتسيًا البالينكا ومعه الإبريق، فسمحوا له بالدخول، وأقعدوه إلى جانب المعلفة(١)، وظل "مارتسي" هكذا يستخدم مهاراته إلى أن أقنعهم بالشرب من البالينكا، وشربوا حتى الثمالة إلى أن غلبهم النوم بشدة، ومع ذلك كانوا متأكدين بأنهم يحرسون الجواد، لأن من بينهم واحدا يمسك بحبل الحصان، وآخر يتشبث بذيله، والثالث يجلس فوقه، بالنسبة للحارس الذي كان ممسكا بذيل الحصان، فقد أعطاه "مارتسي" في

---

(١) المكان الذي يتم ربط الحيوانات الأليفة والماشية فيه، وتوضع أمامهم الأعلاف والأطعمة المختلفة لتناولها.

يده قنبًا(١)، وبالنسبة للذي كان جالسًا على الجواد، فقد حمله مارسي وأجلسه على المعلفة، وأما الممسك بحبل الحصان، فقد ترك الحبل في يده، وحل الحصان منه، وقاد الحصان من الإسطبل، ومن ثم إلى البيت.

في اليوم التالي اتجه الملك في أمان تام إلى الإسطبل، ولكن سرعان ما اشتاط غيظًا:

وصاح في الرجال:

ـ هل تنبهتم إلى حصاني لدرجة أن سرقة "مارتسي"؟

وقد كان هؤلاء ما زالوا محتسين الشراب، فقال أحدهم:

ـ أنا ممسك بذيله!

والآخر:

ـ وأنا أجلس عليه!

والثالث:

ـ إنني أمسك بحبله!

ووبخهم الملك بشدة، وقرر أن يحرس هو نفسه ما تبقي له من أملاك، ولكنه مع ذلك أقسم أنه سيدمر "مارتسي"، هذا إذا ما كان على قيد الحياة.

أخذ في التمعن، كي يحيك له مكيدةً، نعم وجدتها!

استدعى "مارتسي" إليه في التو واللحظة، وأمره في حالة إن لم يسرق الغداء من أمامه حتى منتصف نهار الغد فإنه سيتم فصل رقبته عن عنقه.

ـ ولكن إذا نجحت في الاختبار، فلك السيف الملكي، لأنني أنا أيضًا سرقته كذلك.

أخذ "مارتسي" في التدبر والتفكر.

وفي اليوم التالي جلس الملك إلى مائدة الطعام، وانتظر غداءه، فقد أعدته الطبَّاخة ووضعته على الصينية، مستعدةً لإدخاله إلى الملك، ولكن فجأة جرت لأن هناك يدا تدخل من شباك المطبخ.

---

(١) القُنَّبُ: نبات حوليّ زراعيّ ليفيّ من الفصيلة القِنَّبِيَّة، يُفتَل لِحاؤه حبالًا. والقِنَّب الهنديُّ: نوعٌ من القِنَّب يُستخرَجُ منه المخدِّر الضَّارُّ المعروفُ بالحشيش.

ففي اليوم السابق عندما لم يره أحد قط، صنع "مارتسي" يدًا خشبيةً وطلاها، وعلّقها من طرفها بحبل، وربط الحبل في ساقية البئر المستديرة، وتحت شباك المطبخ فَتَحَ فتحةً، وأدخل فيها اليد، بالتحديد حتى المنضدة، وهذه هي التي رأتها السيدة الطباخة، لذلك فقد جرت مسرعةً إلى الملك قائلة إن "مارتسي" موجود هنا وقد أدخل يده بالفعل!

وجرى الملك وحرمه إلى المطبخ، وشرعوا في سحب اليد، وظلوا يسحبون ويسحبون إلى أن قُطع الحبل، والجميع وقع على ظهره، وإلى أن قاموا ونظروا فيما حولهم، كان "مارتسي" قد سرق الغذاء.

ثم تناوله مع أمه.

ولم يعرف الملك ما الذي يفعله من شدة غضبه. الآن حقًا يود أن يقضي عليه، وفي اليوم التالي استدعاه للحضور وأمره بأن يسرق الخاتم الذهبي من إصبع جلالة الملكة زوجته، وأعطى له فرصة حتى الصباح.

ـ إذا اجتزت الاختبار فلك ابنتي، هذه بالذات لم أسرقها ولكنني وددت أن أزوجها إلى رجل يستحقها، ولذلك كانت كل تلك الاختبارات.

في المساء تسلل "مارتسي" خفية إلى غرفة الملك، وسمعه يقول لزوجته:

ـ سأخرج قليلًا الآن قبل النوم، وعندما أعود يا حبيبتي أعطني الخاتم بسرعة لأنه معي سوف يكون في مكان أكثر أمانًا.

خرج الملك، ونظر حوله بحذاقةٍ، كي يتأكد من أن "مارتسي" ليس بالقرب. عند ذلك وبفتحة باب بسيطة كان "مارتسي" داخل الغرفة، وقد غيَّر صوته قائلًا لحرم الملك:

ـ حبيبتي، أعطني الخاتم بسرعة، لأن الملعون "مارتسي" يمكن أن يصبح هنا في أية لحظة.

وفي حلكة الظلام سلَّمت زوجة الملك الخاتم له، وسحب "مارتسي" نفسه ناحية الباب، وعندما فتح الملك الباب، ودخل، كان "مارتسي" قد تسلل خفية بمهارة.

ولما عاد الملك للنوم مرة أخرى على السرير، قال لزوجته:

ـ حبيبتي، أعطني الخاتم!

ـ كيف أعطيه لك ثانية، وقد أعطيته لك من قبل! فقد طلبته وأنا بنفسي أدخلته في إصبعك ـ قالتها الملكة ماعضةً!

وقد أصبح الملك ثائرًا لدرجة الموت من الغيظ، ولكنه الآن لم يتحدث، وفي هذه المرة لم تذهب أم "مارتسي" إلى هناك، وإنما ذهب "مارتسي" نفسه إلى القصر من أجل ابنة الملك، من أجل السيف الملكي، من أجل التاج الملكي، من أجل الدولة كلها.

أقاموا حفل الزفاف، وكان موجودا كل شيء يمكن أن يتخيله المرء مما يلزم ومما لم يلزم في، فالضيوف حصلوا على العصائر، أمَّا الغجريون فحصلوا على القهوة.

الصديق الذي تحول إلى حمار

كان يا ما كان، كان هناك رجل يحرث في أطراف الغابة بحمارين، فذهب إلى داخل الغابة لجمع الحطب، وترك الحمارين مربوطين في المحراث هناك.

ذهب إلى هذا المكان كاهنان صديقان كان يجر عربتهما حمار واحد. ماذا عليَّ أن أقول؟ فقط جرها، لكنه لم يعد يتحمل من شدة الجوع، وحينئذٍ رأيا على طرف الغابة الحمارين. تحدثا واتفقا سويًّا أن يأخذا أحد هذين الحمارين.

وهكذا ذهبا إلى هناك حيث المحراث، وأمسك أحد الصديقين بالحمار الموجود على الجانب الأيسر وأخذه، أما الصديق الآخر فأمسك بعِدَّة ذلك الحمار[1]، الذي أخذه رفيقه. ووقف مكانه أمام المحراث، إلى أن جاء صاحبهما.

ولما عاد صاحب المحراث ظلَّ ينظر إليهم بحدة فحسب، ثم قال

- عما تبحث هنا حضرتك؟ وثانيا أين الحمار الآخر؟

فقال له:

سيدي لقد كنت مسخوطًا حتى الآن. وقد انقضى الوقت، وتحولت إلى إنسان ثانية.

نظر الفلاح باندهاش إليه، وقال:

- يا للخسارة، لقد ضربت حضرتك كثيرا، لكنني أرى أنك لم تصب بأذى، وبما أن الأمر هكذا، فاذهب حرًا طليقًا حيثما شئت!

أنزل من عليه اللجام والبردعة والأشياء الأخرى، وتركه يرحل.

انتظره صديقه الآخر عند نهاية الغابة، والتقيا وظلا يسيران لبضعة أيامٍ، ثم أوقفا الحمار المسروق للبيع في أحد الأسواق، وعندما باعا الحمار، عادا إلى المنزل.

ذهب صاحب الحمار الأصلي إلى السوق، لكي يبحث عن زوج آخر بدلا من الحمار الذي كان مسخوطًا. بينما هو هناك يتجول، إذ تقع عيناه على حماره من بين كل الحمير المراد بيعها. لم يستطع أن يفكر كيف أصبح الرجل حمارا مرة أخرى.

---

(١) عِدَّة ذلك الحمار: يقصد بها البردعة واللجام والمستلزمات الأخرى.

ذهب إليه هناك، وهمس له في أذنه:

ـ سيدي المحترم، ليس من المجدي أن تقف هنا، فأنا لن أشتريك مرة أخرى!

وهكذا لفّ ودار هنا وهناك، وقام بشراء حمار آخر.

"خالع الأشجار" و"عاجن الحديد" و"محرك الجبال"

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام في سالف العصر والزمان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبع، وأيضا أبعد من بلاد ما وراء البحار والمحيطات، بجانب الجبال الزجاجية، كان هناك بيت صغير لرجل فقير يعيش فيه مع زوجته، ودائما كان يتمنى هو وزوجته أن يكون لهما ابن لأنهما لم يرزقا أطفال. ذات مرة قالت الزوجة لزوجها والسعادة تغمرها:

ـ أشعر أنى سأكون أم.

مر الوقت وجاء اليوم الموعود وولد الابن. فكرا أي اسم يسميانه، وبما أن الأب لم يكن لديه عمل، ولم يكن يعيش إلا على خلع الأشجار وتقطيعها فقد سمى ابنه "خالع الأشجار".

كبر الطفل وترعرع بشكل جيد وكان يقوى من سنة لأخرى إلى أن صار عمره ست سنوات، لكنه كان ما زال يرضع من ثدي أمه. ذات مرة خرج مع أبيه في الغابة ليساعده في تقطيع الشجر حتى لا يشعر بالملل في البيت. وهناك توجه الولد إلى شجرة كبيرة قوامها قوي وحاول بيديه أن يحركها، ولكن حتى أوراقها لم تهتز من مكانها فبكى، وقال في نفسه:

ـ ياه، إنني ما زلت طفلا ضعيفا!

وبينما هو حزين هكذا ظهر أمامه رجل عجوز وسأله:

ـ لماذا تبكى يا بني؟ ما هي مشكلتك؟ ما زلت صغيرا على البكاء!

ـ أبكى لأنني أريد أن أكون قويًا بحيث أستطيع أن أخلع هذه الشجرة من جذورها، وأخذها إلى حيث أريد.

قال له الرجل العجوز:

ـ ألهذا تبكي يا بني! أنا سأساعدك. اذهب إلى البيت، وقل لأمك الحبيبة أن ترضعك سبعة أعوام أخرى. وتعال إلى الغابة كل عام وحاول تحريك الشجرة!

شكر الولد الرجل العجوز، ثم افترقا. ولما أن عاد الولد إلى البيت قال لأمه:

ـ أمي الحبيبة، أنا ضعيف جدًا. وقد أخبرني الرجل العجوز أن أطلب منك أن ترضعيني مدة سبعة أعوام.

ـ ليس لديّ مانع يا بني، لكن لابد أن نبحث عن طعام ورزق وفير حتى يكون هناك لبن كاف.

وهذا ما حدث مرت السنوات وانقضت، وكان الولد يذهب كل سنة إلى الشجرة يحاول

تحريكها، وفى نهاية السنة السابعة وقد اقترب من سن الرابعة عشرة ذهب ليحاول تحريك الشجرة فسقط منها الثمر كزخات المطر. هكذا صار قويًا، لكنه قال في نفسه:

ـ أريد المزيد والمزيد من القوة.

رغم محاولاته ومعاناته في أن يخلع الشجرة إلا أنه لم يستطع، وظهر أمامه الرجل العجوز ثانية وقال له:

ـ ابني الحبيب، أرى أنك تبذل جهدًا كبيرا، لكنك مازلت ضعيفًا. اذهب إلى البيت وقل لوالدتك أن ترضعك لسبع سنوات أخرى. عندئذ ستستطيع أن تخلع الشجرة بيد واحدة!

ذهب الولد إلى البيت، وأخبر أمه بما قاله الرجل العجوز، فقالت له:

ـ يا بنى الحبيب، أنت الآن قد كبرت، وسيصعب عليَّ أن أتحمل رضاعتك وأنت في هذه السن، لأن ظهري يؤلمني. ومع ذلك سأفعل.

مرت سنة وسنتين، وأتت الثالثة. كان دائما الولد يذهب إلى الشجرة يحاول، لكن فعلا لم يصل إلى شيء. ولكن في السنة الرابعة أصبح قويًا، لدرجة أنه استطاع أن يمسك بالشجرة، بيديه الاثنتين ويميلها على كلا جانبيها. كان يسمع صوت زحزحة في جذورها حين يحركها، ولكن لم تخلع في يده مثلما أراد، فرجع إلى البيت وقال لأمه:

ـ أمي الحبيبة! باقي ثلاث سنوات، وأصل إلى ما أريد. حينئذ سأحضر الكثير من الأخشاب التي سنبيعها ونعيش منها فيما بعد، لأنه لا يوجد حطاب أو خالع أشجار في البلد منذ عشر سنين يعمل بالبلطة. سيكون لدينا الكثير من الخشب والحطب، ومن هذه الموارد سيكون لنا دخل كافٍ.

بعد أن مرت السنوات الثلاث المتبقية، وفى آخرها ذهب الولد إلى الشجرة ثانية وشدها بيد واحدة فأخرجها من الأرض وحملها على كتفه مثل الجزر الأصفر وعاد بها إلى البيت، وعندما رأوه سكان القرية اندهشوا وتعجبوا من صنيع الفتى لأنه لم يقطع أي فرع منها، وإنما أحضرها كما هي، وعندما أنزلها من على كتفه، أطلقت صوت ارتطام بالأرض، لدرجة إن البيت الصغير غاص مترًا في الأرض من ثقلها وكبر حجمها. خافت الأم لما رأت ذلك وقالت:

ـ ماذا فعلت يا بني؟ سينهار بيتنا!

ـ لن ينهار، يا أمي الحبيبة. وإن حدث سنبنى بيتا آخرا، ولكن الآن عليَّ أن أقطعها. سأضعها في كومة واحدة، وبعدها تفعلان ما تريدان بها. وتبيعانها، أو تدفآن بها. بعد ذلك وضع

الخبز في حقيبة الظهر، وأمسك بالبلطة، وانطلق بحثا عن أكل عيشه في الدنيا.

وبينما هو يسير من بلد إلى بلد رأى أمامه سلسلة جبال ضخمة، ولكن جبلًا منها يتحرك.

ـ ماذا يكون هذا؟ فكر في نفسه. لكن لم ير أحدًا سوى إنسان صغير أسفل الجبل. هذا الإنسان الصغير مال على الجبل بكتفه عند صخرة كبيرة، ودفعها بأقصى قوة فتحرك الجبل من مكانه. فكر الفتى في نفسه قائلا: يا له من رجل قوي جدًّا! لأنه استطاع أن يحرك الجبل! المهم وصل إليه، وألقى السلام:

ـ السلام عليكم، "محرك الجبال" رفيقي!

ـ السلام عليك، "خالع الأشجار" رفيقي!

قال الفتى:

ـ من أين عرفت أنني "خالع شجر"؟

ـ لقد سمعت أخبارًا عنك، إنك بيد واحدة خلعت غابات كثيرة تماما كما تفعل النساء مع الزهور في الصيف. لكن أنا لم أذهب نواحيكم، لأنه لا توجد جبال. أنا أحب أن أكون بالقرب من الناس أساعدهم أحيانا وأضايقهم أحيانا أخرى. إذا أغضبوني، أحرك أحد الجبال في اتجاههم. وبعدها يأتوني يطلبون مني أن أرجع الجبل إلى مكانه.

قال الولد:

ـ سيكون أفضل يا رفيقي، إذا أتيت معي نمشي سويًّا.

قال "محرك الجبال" لزميله:

ـ إلى أين عسانا أن نذهب، يا"خالع الأشجار"؟ في أي اتجاه نمشي؟ لن نجد عملًا يناسبنا بأية حال.

قال الولد:

ـ ولمَ لا، سنجد إن شاء الله! لا تخش شيئا! أنا سمعت أنه يوجد ملك في الدولة المجاورة له ثلاث بنات جميلات. لكن الحزن يتملكه، لأنهم خطفوا بناته. ولا يعرف لهم طريقًا، ولا إلى أين أخذوهم. يمكننا مساعدة الملك في استعادة بناته لكن نحن قلة لارجاعهم؛ لابد من البحث عن صديق آخر.

قال "محرك الجبال":

ـ لا توجد مشكلة، فلديَّ صديق صدوق هنا ليس ببعيد عند أسفل جبل الحديد وهو يشتغل بتشكيل الحديد. لنذهب إليه. وبالتالي فإن قابلهم جبل في طريقهم فإن محرك الجبال سيزيحه عن طريقهم بسهولة. أما إذا اعترض طريقهم نهر عندها "خالع الأشجار" سيتدخل ويخلع إحدى الأشجار ويلقي بها بعرض النهر فتصير كالجسر يعبرون من فوقها إلى الضفة الأخرى.

قال "محرك الجبال":

ـ صديقي "خالع الأشجار"، نحن اثنان، ولكن أحدنا لا بد أن يصبح قائدا! فلنجرب، من منا الأقوى! ولكن لا نتشاجر، فقط نجرب من منا سيكون القائد.

قال "خالع الأشجار":

ـ فلنجرب ياصديقي... هيا نتصارع!

أمسكا ببعضهما البعض وبدآ المصارعة. ألقى "محرك الجبال" بـ "خالع الأشجار" في الأرض، لدرجة إن كعب رجليه دخل في الأرض، أما "خالع الأشجار" فقذف بـ "محرك الجبال" لدرجة أنه غاص في الأرض حتى ركبتيه.

ـ أرى أنك أنت الأقوى ياصديقي. لكن لنجرب مرة أخرى!

أمسكا ببعضهما للمرة الثانية وبدأت المصارعة الودية بينهما على شارة القيادة فألقى "محرك الجبال" بـ "خالع الأشجار" حتى إنه نزل في الأرض حتى ركبتيه. أما "خالع الأشجار" فتماسك، وبعدها ألقى بـ "محرك الجبال" فغاص في الأرض حتى خصره.

تماسك "محرك الجبال" لكي يخرج من الأرض، ونجح بصعوبة في الخروج منها بعد أن أمسك "خالع الأشجار" بيديه وسحبه، ثم سأله:

ـ هل تأكدت الآن ياصديقي؟

أجاب "محرك الجبال":

ـ نعم تأكدت! أنت أقوى مني، وستكون القائد.

مشيا واستمرا في السير حتى قابلا رجلا قويًّا آخرا عند سفح جبل ضخم. كان هذا الرجل يحرك كومة ضخمة من الحديد ويشكلها تماما كما تفعل النساء مع العجين. ألقى "خالع الأشجار" عليه السلام:

ـ السلام عليك، يا"عاجن الحديد"!

ـ وعليكم السلام، أين تذهبان وما الذي أتى بكما إلى هنا؟

قال "خالع الأشجار":

ـ سنذهب نجرب حظنا في هذه الدنيا. يمكن أن يكون لنا حظ في مكان ما. تعال معنا!

ـ ليس لدي مانع في الذهاب معكما، فقط أريد أن أعرف من منا الأقوى ليكون القائد؟ فلنتصارع إذا!

ـ قال "خالع الأشجار": حسنا فلنتصارع!

أمسكا ببعضهما البعض؛ أمسك "خالع الأشجار" بـ "عاجن الحديد" وقذفه في الأرض فنزل فيها حتى كعبيه، وكذلك الحال ألقى "عاجن الحديد" بـ "خالع الأشجار" في الأرض فنزل حتى ركبتيه هو الآخر. فكر "خالع الأشجار" في نفسه لبعض الوقت قائلا: "إن لهذا الرجل يد قوية، أكثر بكثير من "محرك الجبال". لا بد من الإمساك به جيدا."

أمسكا ببعضهما للمرة الثانية. عندها ألقى "عاجن الحديد" بـ "خالع الأشجار" فدخل في الأرض حتى خصره. ولما أن حان الدور على "خالع الأشجار" بعد أن تماسك وقفز إلى خارج الأرض كالكرة أمسك بـ "عاجن الحديد" ورماه في الأرض فغاص فيها تماما بها حتى عنقه، ثم قال:

ـ أترى الآن يا صديقي، يمكنني قتلك، لأن رأسك فقط هي التي في الخارج، لكن لن أؤذيك. هيا تعال معي!

رد "عاجن الحديد" عليه قائلا:

ـ أصدقك أنت أقوى مني فعلا. سنسمع كلمتك أنا ورفيقنا "محرك الجبال". لنمشِ معا! ولنكن أصدقاء بمعنى الكلمة!

أثناء سيرهم وجدوا اثنتي عشرة عربة يجرها الثيران، أمام كل واحدة أربعة ثيران. كانت هذه العربات ممتلئة بالحديد، لكنهم غاصوا في الطين والوحل تماما. فعلت الثيران المستحيل ولم يستطيعوا إخراجهم: توسل إليهم قائد العربات ومعه مستأجرو العربات أن يخرجوهم من الطين، فقال "خالع الأشجار":

ـ كم ستدفع إذا أخرجنا العربات من الطين؟ أبعدوا الثيران من أمام العربات فحسب!

لم يصدقوهم في البداية، ومع ذلك أمر قائد العربات الباقين أن يبعدوا الثيران من أمام العربات، كما وعد بأنه سيدفع كل شيء في سبيل إخراجهم من الوحل.

فرد "خالع الأشجار":

ـ أنا لا أريد شيئًا سوى حديد قدر ما يستطيع صديقى أن يحمل!

قال قائد العربات:

ـ بكل سرور أعطيك لأن لدينا ما يكفي من الحديد!

فى الوقت نفسه كان يتصور أن هؤلاء الثلاثة لن يستطيعوا حمل أكثر من بعض الحديد القليل لأنه ثقيل للغاية.

أمسك "خالع الأشجار" العربة الأولى وسحبها بقوة فخرجت من الوحل وأصبحت في أمان، وهكذا الواحدة تلو الأخرى إلى أن تم اخراجهم من الوحل جميعا. عندئذ وقف مع رفيقيه بجانب العربة الأولى وسحب منها عمودين حديديين ووضعهما على كتف رفيقيه بالعرض وأخذ يضع الباقي حتى فرغت العربة الأولى من الحديد.

كان قائد العربات ينظر فقط، ولا يتكلم. ذهب "خالع الأشجار" إلى العربة الثانية وأخذ يضع الحديد على كتف أصدقائه حتى فرغت العربة الثانية وبقية العربات كلها. ثم قال:

ـ الآن اذهب إلى البيت يا قائد العربات، وأحضر حديدًا آخر، أما نحن سنأخذ هذا الحديد!

ذهب الرجل وكان يفكر فيما سيحدث له. ماذا سيقول له الملك لما يرى أنهم عادوا من دون الحديد المطلوب. ثم قال "خالع الأشجار":

ـ نحن نحتاج إلى هذا الحديد. ولا يمكن أن نساعدك في هذا الأمر.

مشوا بعد ذلك حتى وصلوا إلى أرض فضاء موجود بها أكوام من القمح لم يروا مثلها من قبل.

قال "خالع الأشجار" لصاحب القمح عندما سلم عليه:

ـ سيدى، نحن سنحصد لك القمح في خلال أسبوع واحد إذا أعطيتنا ما نريد.

قال المالك:

ـ سأعطيكم أي شيء تريدونه من مأكولات ومشروبات وأيضا المال الذي تحتاجون إليه.

ـ فقال "خالع الأشجار": ضعا الحديد عن كاهلكما ياصديقاي! وأنت يا"عاجن الحديد" هيا اعجن هذا الحديد واصنع منه ماكينة مثل المطحنة تستطيع أن تحصد وتدرس المحصول.

بدأ "عاجن الحديد" في العمل، وفي اليوم نفسه انتهى من تصنيع الماكينة المطلوبة وفى التو بدأ الحصاد. وضع "محرك الجبال" القمح في الماكينة، ولم يحتاجوا إلى أي شيء إضافي، ثم أحضروا أجولة كبيرة ووضعوا فيها الحبوب. خلال أسبوع واحد حصدوا ودرسوا كل الحبوب، وامتلأت الأجولة، ولما انتهوا من العمل وقفوا أمام المالك لكي يعطيهم أجرهم، فسألهم ماذا يطلبون، فقال "خالع الأشجار":

ـ لا نريد سوى أن نأخذ من القمح على قدر ما نستطيع أن نحمل.

ـ بالطبع خذوا قدر ما تستطيعون أن تحملوا.

قال "خالع الأشجار" لـ "عاجن الحديد".

ـ أعد عجن الماكينة الحديدية هذه واصنع منها جسما مستويا نضع عليه الحمولة التي سنأخذها نظير عملنا هنا! ولنحمل الحمولة على أكتافنا مثلما فعلنا في المرة السابقة وذلك حتى نصل إلى الغابة.

وهذا ما قد حدث؛ رفعوا الحمولة الكبيرة كلها، وكان المالك ينظر إليهم متعجبا. المهم أخذوا الحمولة الضخمة وذهبوا بها إلى الغابة الكبيرة، ووضعوها على أحد أطراف الغابة، ثم قام "خالع الأشجار" بخلع شجرتين من الأرض وقطع أغصانها بالبلطة ووضعهما بشكل مستوٍ على الأرض، ثم وضع عليهما الحمولة بالعرض، ثم انطلقوا بعدها. وقال "خالع الأشجار" لـ عاجن الحديد":

ـ يا صديقي العزيز، لديك يدان قويتان! اصنع لي بلطة قوية عندما ألقيها في الهواء وتسقط على ظهري لا تنكسر يدها قط!

بدأ صديقه "عاجن الحديد" في تصنيع هذه البلطة له وعمل جراب لها، وفي هذه الأثناء رأوا فحل خيل عملاقًا يأتي صوبهم وعيناه تخرج شرارا، فقد أرسله مالك الحبوب التي أخذها الثلاثة منه لكي يستعيد الحبوب مرة أخرى ويعطيها للمستأجرين الذين يعملون لديه ليزرعوها.

قال "خالع الأشجار":

ـ يا صديقي أنا سوف أتعامل معه. أنت اصنع البلطة فحسب.

عندما وصل إلى هناك، ضربه "خالع الأشجار" على رأسه ضربة شديدة لدرجة أن جزءًا

من قرنه كُسر، ولكن الفحل دار وانطلق في اتجاهه مرة أخرى فضربه ثانية فكسر الجزء الثاني من قرنه، وفي الضربة الثالثة وقع ميتا. ووضعه على قمة الكومة:

ـ هذا جيد يا صديقي، ممكن أن نطهي! ولكن هل انتهيت من صناعة بلطتي التي طلبتها؟

قال "عاجن الحديد":

ـ الآن انتهيت من البلطة وصارت جاهزة!

ـ إذن أعطها لي كي أجربها!

أمسك بها من يدها، وأدارها فوق رأسه، وألقى بها إلى أعلى بعيدا لدرجة أنهم لم يعدوا يرونها، ولما سقطت على ظهر "خالع الأشجار"، انقسمت يدها إلى نصفين، عندئذ قال "خالع الأشجار":

ـ عملت عملا غير متقن، يا صديقي! اعجنها مرة أخرى وأعد تشكيلها لتصير أقوى، لأنها كسرت على ظهري كما رأيت وهي لا ينبغي أن تكسر هكذا!

شكلها "عاجن الحديد" وعجنها أقوى من سابقتها ومرة أخرى ألقى بها "خالع الأشجار" إلى أعلى في الهواء لدرجة أنهم لم يروها تمامًا. ولما سقطت هذه المرة أيضا كسرت يدها للمرة الثانية، فقال "خالع الأشجار":

ـ أنت لست محترفًا في صنعتك يا صديقي!

غضب صديقه "عاجن الحديد" من هذه الكلمات، ثم قال:

ـ انتظر يا صديقي، سأصنع لك الآن واحدة لن تكسر مهما حدث!

عجنها حتى أصبحت أقوى بكثير مما كانت. عندما ألقاها "خالع الأشجار" في المرة الثالثة انتظروا يومين حتى سقطت على الأرض، ولكن هذه المرة لم تكسر حقًا. عندئذ قال "خالع الأشجار":

ـ أحسنت عملا يا صديقي! لنمسك بالحمولة ونرحل! لدينا لحم وخبز، لماذا نبق هنا؟

عندما انطلقوا نظر "خالع الأشجار" وراءه، فوجد أن هناك ثورًا هائجًا يأتي وراءهم. أتى من المكان نفسه الذي أتى منه فحل الخيل. اندهش كلا رفيقيه، بل وكادا أن يلقيا الحمولة من شدة ذهولهما، فالثور كاد ينطحهم فعلا، فقال "خالع الأشجار":

ـ لا تخافا! أنا سأواجهه، معي بلطة قوية وحادة.

عندما لحقهم الثور، ضربه "خالع الأشجار" ضربة واحدة سقط على إثرها صريعا، ثم واصلوا السير في طريقهم، وفجأة نظر "محرك الجبال" خلفه فإذ بجاموس وحشي كبير يأتي نحوهم، ولكن يخرج من منخاره نار متوهجة؛ كان متضايقًا منهم لأنهم أخذوا حبوب سيده فهو من أرسله وراءهم. وصل إليهم الجاموس، فصارعه "خالع الأشجار"، ولكن كان معه شوط كبير؛ كان لا بد من أن يضربه أكثر من مرة، لأن هذا الجاموس الوحشي كان يريد أن يدهسه بأية طريقة، ولكن وجّه إليه ضربة جعلته يسقط قتيلا، ثم أمسكه "خالع الأشجار" ووضعه في الجوال، ثم قال:

ـ والآن لدينا لحم لكل واحد منا بها فيه الكفاية.

لما وصلوا إلى المدينة ورأى الناس أن رجلين ضخمين يحملان كل هذه الحمولة على كتفيهما، والثالث يحمل بلطة كبيرة، خاف الجميع منهم بشدة. سأل "خالع الأشجار" بسرعة أحد الرجال عن قصر الملك، لأنهم يريدون أن يعملوا لديه بل ويحرروا بناته، لأنهم سمعوا أن أحدًا ما اختطفهن.

عندما سمع الملك بذلك، أمر أن تفتح لهم أبواب القصر على مصاريعها على الرحب والسعة وقيل لهم:

ـ تفضلوا بكل الحب والترحاب!

توجه "خالع الأشجار" إلى الملك، وألقى عليه التحية باحترام:

ـ السلام عليكم وطاب يومكم، يا جلالة الملك!

ـ وعليكم السلام، يا بني! لا أعرف، بما أناديك.

قال "خالع الأشجار":

ـ اسمي "خالع الأشجار". معي صديقان الأول اسمه "عاجن الحديد"، والثاني "محرك الجبال". إذا قبلت جلالتكم فنحن مستعدون للبحث عن الأميرات الثلاث المخطوفات وسنحررهن. فقط فلتعطنا جلالتك ما نريد ونطلب. أو بمعنى آخر أعطنا اثنتي عشرة عربة من القنب واثني عشر برميلا من النبيذ، واثنتي عشرة عربة فاكهة، وإناء كبيرًا نطبخ فيه. علاوة على ذلك نريد اثني عشر ثورًا لكي يكون لدينا اللحم والفاكهة معا.

أعطاهم الملك كل ما طلبوه منه؛ أمسكوا بالعربات، وربطوها ببعضها وودعوا الملك، وانطلقوا إلى طريقهم يجرون العربات إلى أن وصلوا إلى غابة كبيرة في وسطها ثلاث شجرات

كبيرة. جلسوا هناك يتحدثون فقال "خالع الأشجار" لزميليه:

ـ لن نمشي أكثر من ذلك وسنعسكر هنا، وسننطلق من هنا للبحث عن الأميرات ففي الغالب أخذوهم إلى عالم ما تحت الأرض. ولكن من أخذهم ولماذا؟ هذا ما لا يعرفه أحد بعد. إذًا أول شيء نريده هو البحث عن الفتحة التي نزلوا منها. وبالفعل نصبوا خيمتهم، وشيدوا كوخا صغيرا، وموقدا للطهي.

من سيبقى في البيت أول يوم؟ سيظل في البيت "محرك الجبال". هو الذي سيطهي. وضع العصيدة في الوعاء، ووضع الثور بأكمله بعد أن ذبحوه وسلخوه ونظفوا أحشاءه.

ذهب "خالع الأشجار" و"عاجن الحديد" إلى الغابة بحثا عن الطريق المنشود، وفي هذه الأثناء فجأة وبحلول الظهيرة أقبل رجل ذو لحية بيضاء ووقف أمام "محرك الجبال". كانت لحيته طويلة للغاية تصل إلى سبعة أذرع لذلك سموه "الرجل ذو السبعة أذرع" ألقى عليه التحية:

ـ السلام عليكم، يا رفيقي "محرك الجبال"! ماذا تفعل هنا؟ ماذا تطبخ؟

رد عليه قائلًا:

ـ أطبخ العصيدة.

ـ أتعطيني منها؟

ـ كيف أعطيك منها وقد أعددتها لي ولصديقيَّ فقط. إذا أعطيتك منها فماذا سنأكل نحن؟

أجاب "الرجل ذو السبعة أذرع":

ـ إذا لم تعطني من هذا الطعام سوف آكله من على بطنك بعد سكبه عليها.

وفى لحظة واحدة أمسك الرجل بـ "محرك الجبال" وبدأ يتعارك معه. لم تستمر الملحمة لوقت طويل لأن "الرجل ذا السبعة أذرع" كان أقوى فقد ألقى بـ "محرك الجبال" على الأرض، وسحب وعاء الطهي من على النار، وسكبه على بطنه. وبعدها جلس على ركبتيه، وبدأ يأكل. وكان "محرك الجبال" يصرخ لأن الطعام المسكوب ألهب بطنه ولكن لم يستطع القيام من مكانه. ثم قال له "الرجل ذو السبعة أذرع":

ـ لا فائدة من البكاء يا رفيقي! أنا آكل الآن وأولًا، ثم سيأتي دورك بعد ذلك.

بعدها اختفى تماما!

إذًا هذا ما حدث مع "الرجل ذي السبعة أذرع" فقد أكل العصيدة. أما "محرك الجبال" فقد

استطاع القيام من مكانه بصعوبة، ولكن فعلا تعكر مزاجه للغاية، لأن بطنه كانت تؤلمه. أمسك الوعاء الثاني من العصيدة وطبخ اللحم أيضًا، وحقًّا عندما أتى زملاؤه الاثنان في الليل لم يكن الأكل قد نضج بعد. كان الاثنان جائعين، وهو أيضا لأنه هو أيضا لم يأكل طوال النهار بسبب ما حدث له، ثم قال "محرك الجبال":

ـ أنا مريض، وأشعر بالألم والتعب. احتمال أن العصيدة لم تنضج، لأنه لم يكن فيه وقت كافٍ.

أنزل "خالع الأشجار" الوعاء من على النار، ثم قال له:

ـ تعال يا صديقي، وكل ولو شيئًا بسيطًا حتى لو كنت مريضا! لأنه لا بد من تناول الطعام، لأنك ستمرض أكثر إن لم تأكل.

ثم انقض ثلاثتهم على الطعام فالتهموه كله، مع أنه كان نصف ناضج، واللحم كان لا يزال به الدم. في هذا اليوم لم يفعلوا أي شيء بعد الأكل إلا النوم حتى الصباح.

في اليوم الثاني سيظل "عاجن الحديد" في البيت. وقال:

ـ أنا سأطهي العصيدة لأن "محرك الجبال" لم يكن ماهرا في الطهي!

لم يرد عليه "محرك الجبال"، ولم يحك سبب المشكلة. تركه يجرب هو أيضا! وضع "عاجن الحديد" العصيدة على النار. ووضع الحطب والخشب كي تكون النار شديدة، ووضع اللحم كي ينضج، وبدأ في صناعة حبل متين طلبه منه "خالع الأشجار".

لم يمض وقت طويل وكانت أجراس الكنيسة الخاصة بالمدينة البعيدة تقرع حتى ظهر أمامه "الرجل ذو السبعة أذرع" وقال له:

ـ السلام عليكم يا صديقي "عاجن الحديد"! ماذا تطبخ؟

ـ أطبخ العصيدة.

ـ أتعطيني منها؟

ـ لا، لن تأكل منها لأنها لي ولصديقي.

ـ فرد عليه "الرجل ذو السبعة أذرع" قائلا: إذن سأكلها من فوق بطنك!

أمسكا ببعضهما، وتصارعا لبعض الوقت. كان "الرجل ذو السبعة أذرع" هو الأقوى هذه المرة أيضًا فألقى بـ "عاجن الحديد" على الأرض بقوة وسكب على بطنه العصيدة، ثم أكلها من

على بطنه كما كان يقول فعلًا. هو أيضا أحس بالتعب والمرض مما حدث له. وضع العصيدة مرة أخرى ليطهيها، ولكن الحبل لم يستطع غزله، لآن بطنه كانت ملتهبة بشدة.

عاد صديقاه في المساء وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب حين وصولهما، وكانت نتيجة عملهم طوال النهار بلا جدوى، لأنهما لم يجدا الطريق الذي يذهبان منه إلى العالم السفلي.

ولما عادا وجدا رفيقهما "عاجن الحديد" مستلقيا ويتألم، فسأله "خالع الأشجار":

ـ ماذا بك أيها الرفيق، هل أنت مريض؟

ـ تعبت وقت الظهيرة، ولم أتمكن من طهي العصيدة حتى تنضج.

ـ لا تحمل همًّا، يا صديقي! البطن تأكل أي شيء كما هو ـ أجابه "خالع الأشجار" بهذه الكلمات مطيبا خاطره.

أنزل "خالع الأشجار" المأكولات من على النار وبدأوا في التهام الطعام حتى قضوا عليه تماما، لكن "عاجن الحديد" لم يقل مع من كانت مشكلته، ثم قال "خالع الأشجار":

ـ لا تحمل همًّا يا صديقي! غدا سأظل أنا في البيت، وأنتما اذهبا لاستكمال البحث.

هذا ما حدث. في اليوم الثالث مكث "خالع الأشجار" في البيت. وبمجرد أن غادر رفيقاه وضع المأكولات على النار كي يطهوها وتنضج. أوقد النار ووضع الثور بأكمله، ثم بدأ في طبخ العصيدة هي الأخرى. وحتى وقت الظهيرة كان قد غزل ستة من الحبال القوية. كانت هناك كومة من الحبال الكبيرة حقًّا، لدرجة إن عربتين لا تستطع حملها. فجأة تحديدا في وقت الظهر وبينما هو يغزل الحبال ويشدو ببعض الأغنيات المسلية أقبل عليه "الرجل ذو السبعة أذرع" وأحدق فيه، ثم ألقى عيه السلام قائلا:

ـ السلام عليك، يا "خالع الأشجار"!

ـ وعليكم السلام، أيها "الرجل ذو السبعة أذرع"!

ـ ماذا تفعل؟ ماذا تصنع؟

ـ أغزل الحبال. وأطبخ العصيدة واللحم.

ـ أتعطيني من هذا الطعام؟

ـ لن تأكل من هذا يا صديقي! أعرف أنك أكلت من طبخ رفيقاي، ولكن مما معي لن تأكل أبدًا. ثم أمسك لحية الرجل بيده وسحبه وراءه بقوة.

ثم جرجره ناحية شجرة كبيرة ثم أمسك بالشجرة بيد واحدة وأخذ يجذبها يمينا ويسارا حتى إنشقت إلى نصفين فقام بوضع رقبة "الرجل ذي السبعة أذرع" بين شقي الشجرة، فلم تظهر منه سوى منخاره وأعاد الشجرة إلى وضعها الطبيعي أي ضم شقيها مرة أخرى كما كانت بما أنها لم تكن قد كسرت وإنما فلقت من النصف فحسب. رجع "خالع الأشجار" إلى كوخه الصغير لكي يطهي المأكولات. وبدأ في غزل الحبال ثانية.

استمر في التصفير والغناء. ثم انتهى من الغزل، حتى صار لديه حبل طويل للغاية. كان طويلًا كما كان يريد بالضبط. بعد ذلك أحضر فرعًا رفيعًا وطويلًا من الشجرة التي في الغابة، وصنع منه سلة كبيرة يمكن أن يضع فيها رجلين واقفين أو جالسين بسهولة وارتياح. وبحلول المساء كان قد انتهى من كل شيء أراد أن يقوم به، ثم حضر رفيقيه وألقيا عليه السلام:

ـ حسنا كيف حالك، أيها الرفيق "خالع الأشجار"!

ـ جيد، أيها الرفيقان.

ـ ألم تمرض؟

ـ لا، لم أمرض ولم يصبني أي مكروه ـ أجاب "خالع الأشجار".

ـ هل طهوت العصيدة؟

ـ نعم طهوتها.

ـ إذًا، أعطينا منها لنأكل!

ـ تعاليا إذًا لأنني لم آكل أيضا!

جلسوا وتناولوا الطعام وشبعوا ثم شرب كل واحد منهم برميل نبيذ، لأنه حتى ذلك الحين لم يكن قد شرب أحد منهم أي شيء، لأنه لم يكن ببالهم، وكان اثنان منهم مريضين. لكن الآن أقبلوا جميعا بنهم واشتياق لاحتساء النبيذ، لأنهم قد شفوا تماما من المرض. بعد ذلك قال "خالع الأشجار":

ـ أتريان يا رفيقي أنا غزلت الحبال القوية وصنعت سلة، كما أنني وجدت الفتحة التي ممكن النزول منها إلى طريقنا الذي نريده ونبحث عنه!

أخذ "الرجل ذو السبعة أذرع" يحرك الشجرة المحبوس فيها وهو بداخلها حتى أخرجها من الأرض وكانت تحتها الفتحة الكبيرة التي تؤدي إلى الطريق المراد. كانت الشجرة بعرض

الفتحة بالضبط، و"الرجل ذو السبعة أذرع" كان يتدلى بلحيته في الفتحة وهو بداخل الشجرة رويدا رويدا.

ـ انظرا، يا رفيقي، هذا أراني الطريق إلى العالم السفلى!

هناك تدلى "الرجل ذو السبعة أذرع" في الفتحة. بعد ذلك أمسك "خالع الأشجار" ببلطته وقطع لحية هذا الرجل فسقط في الفتحة لكن لحيته ظلت معلقة على الشجرة. أمسك بها "خالع الأشجار" ولفها ووضعها في جيبه. بسبب هذا أصبح أقوى بسبع مرات مما كان، لأن القوة كانت موجودة في لحية "الرجل ذي السبعة أذرع". ثم قال لرفيقيه:

ـ الآن تعاليا يا صديقاي ننام حتى الصباح وبعدها ننزل بالترتيب عبر الفتحة.

وهذا ما حدث. استيقظوا في الفجر وطهوا العصيدة، وأكلوا وشبعوا تمامًا ثم ذهبوا إلى العمل. من سيكون الأول الذي يجلس في السلة وينزل؟ "محرك الجبال" كان الأول! أجلساه في السلة، وأنزلاه ببطء بالحبل.

فجأة صاح "محرك الجبال" وهو في السلة يهزها ويقول:

ـ اسحباني إلى أعلى! اسحباني إلى أعلى! يوجد ثعابين وضفادع كثيرة... سيأكلوني! كلهم يفتحون أفواههم على مصاريعها.

لم يكن هناك شيء. كان "محرك الجبال" خائفا، ولم يرغب في النزول فقط.

جلس "عاجن الحديد" الآن في السلة ونزل إلى منتصف الحفرة، ولم يهز الحبل إشارة إلى أنه ليست هناك مشكلات حتى الآن. فجأة بدأ في هز الحبل وبقوة، لكي يرفعوه إلى أعلى. ولما أن طلع لأعلى ثانية سأله "خالع الأشجار":

ـ ماذا رأيت، يا رفيقي؟

ـ الكثير من الثعابين والضفادع الحارقة والغربان وكادوا أن يفقأوا عيني. في الأسفل هناك ظلام دامس، لدرجة أنى لم أر يديّ!

ـ قال "خالع الأشجار": إذًا أنا سأجلس في السلة، فقط انتبها إذا هززت الحبل ثلاث هزات، هذا معناه أنني وصلت إلى الأرض. عندئذ اسحبوا السلة إلى أعلى! إذا كانت خالية أنزلوها ثانية بهدوء!

أمسك "خالع الأشجار" ببلطته، وجلس في السلة التي أنزلوها بهدوء وعلى متنها "خالع

الأشجار"، وظلا ينزلانها شيئا فشيئا إلى أسفل! فجأة رأى "خالع الأشجار" ضوءًا من تحته، فقال في نفسه:

- "ربما أوشكت على الوصول... ليس الهدف بعيدا!"

وبعدها وصل إلى المكان المنشود. وجد نفسه في بلد جميل، وفى جزء جميل من العالم لم ير مثله من قبل. نزل من السلة ونظر حوله ثم هز الحبل ثلاث مرات بقوة، فجأة رأى السلة تختفي رويدا رويدا ورفيقاه يسحبانها لأعلى، فقال في نفسه: "حسنًا هذا جيد سأنتظر الآن حتى ينزلاها مرة أخرى".

وأثناء انتظاره عودة السلة حتى ينزلاها، فجأة رأى أمامه واقفا "الرجل ذا السبعة أذرع" يقول له:

- أعطني لحيتي يا "خالع الأشجار"! فكما ترى لا أستطيع المشي من دونها، لأن بها القوة التي تعينني على الحركة.

قال له "خالع الأشجار":

- سأعطيها لك، إذا أريتنى أين قصر الأميرة الكبيرة.

قال "الرجل ذو السبعة أذرع":

- سأريك إياه، يا رفيقي. انظر فقط إلى اليمين ستجد جبلا، وعلى قمة هذا الجبل توجد قلعة دوارة على رجل طائر العقعق وهي قلعة من النحاس الخالص. أترى كيف تبرق عندما تقع عليها أشعة الشمس؟ تسكن فيها الأميرة الكبيرة. ولكن أنت لا تستطيع دخول هذه القلعة لأنها دائما تدور، ولا تقف أبد، ولا تستطيع إيقافها، لأن صاحبها هو التنين ذو الرؤوس السبعة.

قال "خالع الأشجار":

- سأحاول حتى لو كانت حياتي هي الثمن!

انطلق "خالع الأشجار" في اتجاه الجبل حيث تقبع القلعة إلى أن وصل إلى هناك، تقريبا وقت غروب الشمس. نظر إلى القلعة فوجدها تدور بشكل لا يستطيع الإمساك بها من خلال المقبض ولا حتى إيقافها. ياه، ما هذا! أنا سوف نرى! ثم أمسك بالبلطة وضرب رجل طائر العقعق التي تدور عليها فكُسرت في الحال وتوقفت القلعة عن الدوران.

خرجت الأميرة إلى الخارج بسرعة عندما سمعت الارتطام، لآن معظم شبابيك القلعة قد

كسرت هي الأخرى، ثم قالت:

ـ من جاء إلى هنا؟ زوجي التنين ذو الرؤوس السبعة سيمزق أي غريب يأتي إلى هنا!

ـ أجابها "خالع الأشجار": كائنا من كان زوجك هذا، ومهما كانت عدد رؤوسه، فقط أعطني ما آكل وأشرب لأنني جوعان وأكاد لا أرى أمامي، ثم اتركي الباقي عليّ! لقد أتيت من عند أبيك أبحث عن الأميرات الثلاث لتحريركن.

ابتهجت الأميرة، ومن قمة سعادتها أخذت ترقص، وقفزت متعلقة في رقبة "خالع الأشجار" واحتضنته وقبلته.

ـ تعال إلى الداخل! سأعطيك ما يكفى من المأكل والمشرب!

دخل "خالع الأشجار" وأكل وشبع ثم أحضرت الأميرة أقوى وأفضل نبيذ خاص بالتنين وأعطته له؛ وبسببه أصبح أقوى بسبع مرات من ذي قبل. وبينما يتكلمان هكذا ارتطم شيء في الخارج فسأل "خالع الأشجار" الفتاة:

ـ ما الذي ارتطم؟

ـ قالت الأميرة: زوجي ألقى بصولجانه من على بعد سبعة أميال... إنه في الطريق سيصل قريبا.

ـ قال "خالع الأشجار": إذا هو رمى بصولجانه من على بعد سبعة أميال، فأنا سأرميه له على بعد أربعة عشر ميلا!

بهذا خرج من الغرفة، وأمسك بالصولجان، ورماه بقوة بحيث إنه كاد يرتطم بالتنين. وسقط الصولجان على مسافة أربعة عشرة ميلا داخل الغابة في إحدى الأشجار الضخمة. اضطر التنين العودة مرة أخرى من أجل صولجانه. عندما وجده تضايق بشدة مما حدث وفكر في من يكون هذا الغريب الذي أتى إليه بل وأقوى منه إلى هذا الحد. المهم عاد إلى بيته بسرعة شديدة ليستطلع ماهية الأمر. وبالفعل عاد إلى البيت وسأل من بعيد:

ـ من أتى هنا؟ حتما سأقطعه إربا!

ذهبت إليه الأميرة، وقالت:

ـ زوجي العزيز، لا تؤذه إنه أخي وقد أتى في زيارة إلينا!

ـ قال التنين: حسنًا... أهلا يا نسيبى! أمد التنين مخالب يده لكي يكسر بها يد "خالع

الأشجار"، ولكن "خالع الأشجار" ضغط على يد التنين بحيث إن أصابعه قد تكسرت، وأصدر التنين أصواتًا تدل على شعوره بالألم الشديد.

ـ ياه، يا نسيبي، لديك يد قوية للغاية!

قال له التنين:

ـ تعال الآن لنأكل أولا لأني جوعان! وبعدها نتصارع، الأقوى هو الرابح.

أكلا ثم خرجا إلى الفناء، وأمسكا ببعضهما البعض. في البداية أسقط التنين "خالع الأشجار" على ركبتيه، لكن "خالع الأشجار" تماسك ثم أمسك بالتنين وقذفه بقوة حتى غاصت ركبتيه داخل الأرض، فقال التنين:

ـ يدك قوية حقًّا!

قفزا كلاهما من الأرض ثم أمسكا ببعضهما من جديد. أما هذه المرة فقد أمسك "خالع الأشجار" بالتنين وقذفه بطريقة رهيبة غرسه حتى غاص كله تماما في الأرض باستثناء رؤوسه فقط هي التي ما زالت تظهر على الأرض، وعندئذ أمسك بالبلطة، وقطع رؤوس التنين، وألسنته ووضعها في جرابه. ثم قال للأميرة:

ـ اجمعي كل ما يخصك، وهيّا إلى الفتحة كي تخرجين وتصلين بأسرع وقت!

خرجت الأميرة من القلعة. كان في جنبها سهم نحاسي أمسك به "خالع الأشجار" وضرب القلعة فصارت تفاحة نحاسية. ثم وضعها "خالع الأشجار" في حقيبته، أما الأميرة فقد أوصلها إلى مكان الفتحة حيث كانت هناك السلة. فأجلسها بها وهز الحبل فانطلقت السلة إلى أعلى.

لما رأى الرفيقان الآخران الأميرة الكبيرة كادا أن يتحاربا فكلاهما يريد أن يتزوجها بما أن الملك قد وعد من يحرر بناته بالزواج بإحداهن.

ظلت الأميرة معهما. قالت إنها لن تذهب إلى أبيها، حتى لو اضطرت لأكل العصيدة فقط. ستنتظر حتى تذهب مع أختيها الأخريين بعد تحريرهما.

انطلق "خالع الأشجار" مرة أخرى يبحث في كل مكان وينظر حوله لعله يجد مكان الأميرة الثانية، وفجأة إذ بـ "الرجل ذي السبعة أذرع" يقف أمامه ويقول:

ـ أعطني لحيتي يا رفيقي "خالع الأشجار" بما أنني أرشدتك إلى قصر الأميرة الكبيرة؟

ـ سأعطيها لك إذا أعلمتني أين الأميرة الوسطى؟

ـ قال له "الرجل ذو السبعة أذرع": هذه أبعد بعض الشيء. هل ترى هذا الجبل الفضي؟ توجد عليه قلعة جميلة من الفضة الخالصة تدور على رجل غراب فضي. ستصل إلى هناك، ولكن كيف ستحررها من هناك هذا ما لا أعلمه.

انطلق "خالع الأشجار" إلى هذه القلعة أيضا والتي كانت تدور بسرعة كبيرة ومن الصعوبة بمكان إيقافها. كيف يدخل إلى هناك؟ ضرب القلعة فكُسرت رجل الغراب وتوقفت القلعة الفضية عن الدوران، وفي لحظة واحدة خرجت الأميرة من الداخل. كانت فتاة جميلة جدًّا فرح "خالع الأشجار" لما رآها فكانت أجمل من سابقتها! وسوف تساعده هي أيضا كما سنرى. بعد ذلك ناداها قائلًا:

ـ السلام عليكم وطاب يومك، يا سمو الأميرة!

ـ وعليكم السلام، لكن كيف استطعت أن تأتي إلى هنا؟ زوجي التنين ذو الرؤوس التسع سيمزق أي إنسان يصل إلى هنا!

ـ قال "خالع الأشجار": ليس مهم ياأختاه، فقط إذا سمحتِ أعطني أشرب وأكل، لأنني جوعان جدًّا!

ـ قالت له الأميرة، أعطيك بكل الحب والترحاب، يوجد لدينا من الطعام والشراب بما فيه الكفاية.

أعطته الأميرة المأكل والشرب بما فيه الكفاية. وأعطته من أقوى أنواع النبيذ. وأصبح "خالع الأشجار" أقوى بكثير مما كان لدرجة أنه عندما فرد ذراعه كادت عروقه أن تخرج منها من شدة بروزها. وبينما هما يتحدثان ارتطم شيء ما على الأرض في الفناء. لاحظت الأميرة ذلك بسرعة، فقالت:

ـ زوجي التنين في الطريق إلى البيت! لقد رمي بصولجانه.

ـ قال "خالع الأشجار": ليس مهمًا، أنا سأرسله له ثانية. إذا كان قذفه من مسافة تسعة أميال إلى البيت، فأنا سأقذفه إلى مسافة ثمانية عشر ميلا... دعيه يتمشى وراءه. خرج إلى الفناء، وأمسك بالصولجان، ثم قذفه فعلا لمسافة ثمانية عشر ميلا. طار التنين وراءه وهو في قمة الغضب. ولم يكن سهلا عليه أن يجد صولجانه المفضل مرميًا في الوحل الذي سقط فيه. سحبه وطار به إلى البيت. ثم صاح من بعيد: من خاطر بالمجيء إلى هنا، سأمزقه الآن!

خرجت إليه الأميرة، وقالت:

ـ زوجي العزيز، لا تؤذه إنه أخي وقد أتى في زيارة إلينا!

ـ قال التنين: حسنًا... أهلا يا نسيبي! مد التنين مخالبه ليكسر بها يد "خالع الأشجار"، ولكن "خالع الأشجار" فطن إلى نية التنين فضغط على يده بقوة بحيث إن أصابعه كادت تنكسر.

ـ لديك يد قوية للغاية يا نسيبي!

قال له التنين:

ـ تعال الآن لنتناول الغداء لأني جوعان وبعدها نتصارع! الأقوى هو الرابح.

أكلا ثم خرجا إلى الفناء، وأمسكا ببعضهما البعض. في البداية أسقط التنين "خالع الأشجار" على ركبتيه، لكن "خالع الأشجار" تماسك ثم أمسك بالتنين وقذفه بقوة حتى غاص في الأرض حتى خصره، فقال له التنين:

ـ يدك قوية حقًا!

قفزا كلاهما من الأرض حيث كانا مغروسين ثم أمسكا ببعضهما من جديد. أما هذه المرة فقد أمسك "خالع الأشجار" بالتنين وقذفه بطريقة رهيبة: غرسه حتى غاص كله تماما في الأرض باستثناء رؤوسه التسع هي التي ما زالت تظهر على الأرض. عندئذ أمسك بالبلطة، وقطع رؤوس التنين وألسنته ووضعها في جرابه. ثم دخل على الأميرة الوسطى في غرفتها وقال:

ـ اجمعي كل ما يخصك، وهيّا إلى الفتحة كي تخرجين وتصلين بأسرع وقت! سأوصلك إلى الطريق الذي يقودك إلى سطح الأرض.

وأخيرا خرجت الأميرة من هذه القلعة. كان في جنبها سهم فضي أمسك به "خالع الأشجار" وضرب القلعة فصارت تفاحة فضية. ثم وضعها في حقيبته، أما الأميرة فقد أوصلها إلى مكان الفتحة حيث كانت السلة. فأجلسها بها وهز الحبل فانطلقت السلة إلى أعلى.

بعد تحرير الأميرة الوسطى نظر "خالع الأشجار" مرة أخرى حوله بحثا عن الأميرة الصغيرة، لكنه لم ير أي شيء. دقق النظر إلى اليسار فإذ بـ "الرجل ذي السبعة أذرع" يقول له:

ـ أعطني لحيتي، يا "خالع الأشجار"!

ـ إذا أرشدتني عن قصر الأميرة الصغيرة سأعطيها لك.

ـ لقد أرشدتك عن اثنتين، هل تريد أن أرشدك عن هذه أيضا؟

ـ نعم أريد الثلاث كلهن ـ هذه كانت الإجابة.

ـ أصبح لصديقيَّ زوجتان، أما أنا فليس لي بعد.

قال "الرجل ذو السبعة أذرع":

ـ سأريك مكانها هي الأخرى. انظر إلى اليسار ستجد جبلا أصفر من الذهب عليه قلعة من الذهب تدور على ساق بطة ذهبية.

وصل بسرعة إلى هناك ولكن القلعة كانت تدور بسرعة كبيرة، لدرجة أنه لم ير أين المدخل إليها. "ياه، هناك مشكلة كبيرة مع هذه القلعة! لكن سأوقفها لا محالة، سواء رضيت أم أبت!" أمسك ببلطته وكسر ساق البطة، فتوقفت القلعة عن الدوران. وعلى ذلك أسرعت الأميرة الصغيرة في الخروج، وقالت:

ـ من أتى إلى هنا؟ زوجي التنين ذو الرؤوس الاثنتي عشرة سيمزق من يجده هنا.

ـ لا أبالي بهذا الأمر! فقط قولي له إنني أخوكِ! لأنني سأحررك بأية وسيلة يا سمو الأميرة. أختاك موجودتان فوق سطح الأرض الآن، وينتظرانك، لأنهما لا تريدان العودة إلى جلالة الملك أبيكم من دونك.

ـ إذًا تفضل إلى الداخل!

دخل "خالع الأشجار" عند الأميرة، ووقع في حبها من اللقاء الأول، وأقسم لها بالوفاء. ثم قال لها:

ـ أود أن آكل وأشرب، فأنا جوعان جدًّا!

ـ بالطبع أعطيك ما تريد ـ أجابته الأميرة.

ـ قدمت له الطعام، وأحضرت له كثير من النبيذ، لكي يزداد قوة.

بعدما شبع، ظل يتكلم بلطف مع الأميرة الصغيرة. فجأة والهدوء يخيم على المكان، سمعا صوت ارتطام شديد، فخرجت الأميرة بسرعة وقالت:

ـ زوجي قادم إلى البيت فقد قذف بصولجانه وهذا علامة مجيئه إلى البيت.

ـ غير مهم، سأعيده له ثانية.

التقط "خالع الأشجار" الصولجان، وقذفه بقوة لدرجة أنه أطاح بثلاث من رؤوس هذا التنين مرة واحدة فحزن التنين كثيرا على رؤوسه الثلاث، وأن أحد ما قذف له صولجانه بهذا الشكل. كان متضايقا لدرجة لا توصف، ورجع إلى البيت مملوءا بالغضب وصاح من بعيد قائلا:

ـ من أتى إلى هنا؟ حالا سأمزقه! لقد فقدت ثلاثًا من رؤوسي!

أسرعت الأميرة الصغيرة إلى الخارج، وقالت:

ـ زوجي العزيز، لا تؤذه إنه أخي وقد أتى في زيارة إلينا!

ـ قال التنين: حسنًا... أهلا يا نسيبي! أمد التنين مخالبه لكي يكسر بها يد "خالع الأشجار"، ولكن "خالع الأشجار" فطن إلى ماذا يريد التنين أن يفعل فضغط على يده بقوة بحيث إن أصابعه كادت تتهشم تماما كما فعل في المرتين السابقتين.

ـ لديك يد قوية للغاية يا نسيبي!

قال له التنين:

ـ تعال الآن لنتناول الغداء أولا لأني جوعان! وبعدها نتصارع، الأقوى منا هو الرابح.

أكلا ثم خرجا إلى الفناء. وهناك أمسك "خالع الأشجار" بالتنين وقذفه بقوة أدخلته حتى ركبتيه في الأرض، وكذلك الحال فعل التنين بـ "خالع الأشجار" فقد كانا متساويين في القوة هذه المرة، وهذا التنين يختلف كثيرًا عن حال سابقيه الآخرين. بعد ذلك أمسك "خالع الأشجار" بالتنين وقذفه بكل قوته حتى إنزله في باطن الأرض كله تماما باستثناء رؤوسه التي ما زالت تظهر على الأرض. هم التنين في إخراج اللهب من منخاره كي يحرق به "خالع الأشجار"، ولكن في هذه اللحظة أحضرت الأميرة إناءين ماء أحدهما سكبته على التنين كي لا يحرق "خالع الأشجار" والأخر على رقبة "خالع الأشجار" نفسه كي لا يحترق. عندئذ أمسك بالبلطة، وقطع رؤوس التنين وألسنته ووضعها في جرابه. ثم دخل على الأميرة الصغيرة في غرفتها وقال:

ـ اجمعي كل ما يخصك، وهيا إلى الفتحة كي تخرجين وتصلين بأسرع وقت! سأوصلك إلى الطريق الذي يقودك إلى سطح الأرض.

خرجت الأميرة من القلعة. كان في جنبها سهم ذهبي أمسك به "خالع الأشجار" وضرب القلعة فصارت تفاحة ذهبية. ثم وضعها "خالع الأشجار في حقيبته. وانطلقا إلى الفتحة ووصلا إلى هناك واحتضنا وقبلا بعضهما بعضهم ثم وضع "خالع الأشجار" الأميرة بداخل السلة

بمفردها، ولم يجلس معها، لأنه خاف أن رفيقيه لا يستطيعان سحب الحبل فيموتا كلاهما، ولكن كل منهما على حدة سيصل بسلام.

هز الحبل وانطلقت السلة وبسرعة عادت فارغة. أمسك "خالع الأشجار" بحجر كبير، ووضعه في السلة. كان يريد أن يختبر زميليه. هز الحبل. والسلة انطلقت إلى أعلى، أما هو فوقف في أحد أركان الفتحة بعيدا. بعد دقائق ارتطم شيء ما. وقعت السلة بالحجر مع الحبل إلى الأسفل! فقال في نفسه:

"فعلا كما ظننت وهذا ما عملت حسابه. إذا كنت بداخلها لكنت في عداد الموتى الآن. أراد رفيقاي موتي".

عاد الرفيقان بصحبة البنات إلى القصر الملكي وفرح الملك بشدة. أخذا يثبتان له أنهما من صارعا التنانين الثلاثة وقضيا عليهم. وهددا البنات بأن يؤكدوا كلامهم وإن لم يفعلوا سيقتلونهم.

أخذت البنات يؤكدن ويثبتن كلام الشابين، ولكن لم يستطع الشابان أن يقولا للملك أين زميلهم الثالث. قالت الأميرتان الكبيرتان لوالدهما أنهما لا يرغبان في الزواج من أحد حتى يأتي الشاب الثالث وتتزوج أختهم الصغيرة معهما.

أما خطيبها فكان مازال في الأسفل عند الفتحة يبحث يمينا ويسارا عن مخرج يؤدي إلى سطح الأرض. لم يجد أي مخرج على الإطلاق. فجأة نظر حوله فوجد "الرجل ذو السبعة أذرع" أمامه ويقول له:

ـ أعد لي لحيتي، يا "خالع الأشجار"! ألم أرشدك عن قصور الأميرات الثلاث من قبل؟

ـ إذا أرشدتني أين الطريق إلى سطح الأرض، سوف أعيدها لك.

ـ أجابه "الرجل ذو السبعة أذرع": اطلع من حيث نزلت أول مرة.

ـ من هنا لا يمكن فرفيقاي خذلاني وخدعاني.

ـ عندئذ قال له "الرجل ذو السبعة أذرع": يوجد هنا جبل قريب، وعلى قمته يوجد عش لأنثى نسر كبيرة. إذا طلبت منها أن تساعدك، وأخذت معك أكل يعينها على الصعود إلى أعلى، من المحتمل أن تأخذك على ظهرها.

قال "خالع الأشجار":

ـ إذا أحضرت لي اثني عشر رغيفا، واثني عشر برميل نبيذ واثني عشر ثورا سأعطيك لحيتك.

ـ سأحضرهم لك حالا، فقط أعد لي لحيتي.

أحضر الثيران والخبز والنبيذ على العربة بسرعة كبيرة. وفي المقابل أعاد "خالع الأشجار" إليه لحيته وثبتها في مكانها فنمت لحيته كما كانت بالتمام والكمال. فرح "الرجل ذو السبعة أذرع"، وشكر "خالع الأشجار" أنه قضى على التنانين الثلاثة، لأنه كان هو القائد في العالم السفلى قبل مجيء التنانين. وبهذا استعاد سلطته وقوته مرة أخرى أيضا.

أما "خالع الأشجار" فانطلق في طريقه إلى الجبل إلى أنثى النسر. كانت هناك عاصفة كبيرة عندما وصل إلى قمة الجبل المنشود، وبسرعة اكتشف أين عشها. كان لأنثى النسر هذه ابنان صغيران وكادت العاصفة أن تقذف بهما من العش فأمسك "خالع الأشجار" بمعطفه الذي يرتديه ووضعه على الهيثمين(١) الصغيرين وعلى نفسه كي لا يبتلوا من المطر وكي لا تقذف بهما العاصفة لمكان مجهول. لأنه سقطت قطع كبيرة من الثلج أثناء العاصفة. لما أن انتهت العاصفة كانت أنثى النسر قد وصلت. فور وصولها أول شيء فعلته قامت بمهاجمة "خالع الأشجار"، بل وأرادت أن تمزقه، لكن ابنيها قالا لها:

ـ لا تؤذه يا أمنا، لأن هذا الرجل الطيب أنقذ حياتنا. لولاه لكاد الثلج أن يقتلنا، كانت هنا عاصفة عاتية.

قالت:

ـ ماذا تطلب نظير أنك أنقذت ابنيَّ؟

أجابها "خالع الأشجار":

ـ لا أريد شيئًا سوى أن تأخذيني إلى سطح الأرض!

ـ سأخذك لكن الطريق صعب بعض الشيء، والمسافة بعيدة من هنا. لا أستطيع الصمود حتى الوصول إلى هناك، فليست لدى قدرة على جلب غذاء طول الطريق.

سألها "خالع الأشجار":

---

(١) المفرد هيثم وهو صغير النسر، ويقصد هنا ابني أنثى النسر.

ـ كم تحتاجين من الغذاء تقريبا؟

ـ اثنا عشر ثورًا، واثنا عشر برميل نبيذ، واثنا عشر رغيفا.

ـ قال "خالع الأشجار": كل هذا موجود الآن، أما أنا سآكل مما معي. إذا فلننطلق بعد أن أستريح بعض الشيء.

وضعته على ظهرها مع الطعام وتمسك برقبتها وانطلقا. وأخبرته أنها إذا أحست بالجوع فإنها ستميل رأسها ناحية اليمين عندئذ على "خالع الأشجار" أن يضع في فمها الخبز. أما إذا أمالت رأسها إلى اليسار فيضع ثورا. أما إذا رفعت رأسها فيضع النبيذ.

مع هذا الطيران الحلزوني الكبير الذي قامت به أنثي النسر هذه وهي تحمل "خالع الأشجار" ارتفعا في الهواء إلى أعلى وأعلى بسرعة. فجأة أمالت رأسها إلى اليمين وبعد ذلك إلى اليسار، ففهم "خالع الأشجار" معنى ذلك ووضع الخبز، ثم الثور. كل مرة يضع لها ما تريد طبقا للتعليمات التي حصل عليها منها في البداية، ولما أن اقتربا من الوصول إلى سطح الأرض على بعد مسافة مائة متر فقط نفد المأكل والمشرب فأمسك "خالع الأشجار" بسكينه وقطع قطعة لحم من فخذه، لأن الطائر أخذ يدور في الهواء، وكاد أن يسقط. وبسبب قطعة اللحم هذه صارت قوية جدًّا لدرجة إنها بضربتين من جناحها فقط وصلا إلى سطح الأرض كما أرادا.

فور وصولهما إلى سطح الأرض نزل "خالع الأشجار" من على ظهرها. ثم سألته:

ـ ما نوع اللحم التي أعطيتني منه آخر مرة؟

ـ قطعة من لحمي، وقد قطعتها من فخذي.

ـ لو كنت أعلم أن من لحم البشر تكون لي هذه القوة، لأكلتك على الرغم من إنقاذك ابناي. لكن بما أنك أنقذت حياتي، ولم ترد أن أسقط ونحن نطير في السماء، سأرد إليك قطعة اللحم التي أعطيتني إياها من فخذك. ثم أخرجت قطعة اللحم من فمها ووضعها "خالع الأشجار" في مكانها. حينئذ قالت: اسحب ريشة من جناحي حيث يوجد بها سائل لو وضعته على الجرح سيلتئم ولن يكون له أي أثر. احتفظ به فقد تحتاج إليه مرة أخرى. مسح به على الجرح. واستأذن من أنثى النسر فطارت عائدة إلى بيتها.

انطلق "خالع الأشجار" إلى طريقه من جديد يبحث عن البلد، التي تعاهد فيها مع الملك، لكنه الآن لا يعرف أين هو، أو حتى في أي اتجاه يكون.

ظل يمشي ويمشي في هذه البقعة الواسعة من الدنيا وصادفه الحظ أنه وجد صديقًا قديمًا بدأ

يتباهى أمامه بأنه مدعو إلى حفل زواج كبير في البلد المجاور! فقال "خالع الأشجار":

ـ سأذهب معك يا صديقي!

مشيا حتى وصلا إلى هذه المدينة التي يسكن فيها الملك، وتوجها مباشرة إلى قصر الملك واستأذنا في الدخول لأنهما مدعوان. عندما رأى "عاجن الحديد" و"محرك الجبال" أن "خالع الأشجار" حضر، شعرا بالرعب. وذهبا إلى الملك خائفين من أن يقضي عليهما "خالع الأشجار"! لحسن الحظ رأت الأميرة الصغيرة "خالع الأشجار". لم تنطق بشيء بل توجهت لأبيها وقالت له:

ـ أبي الحبيب، لا تدع أحدًا يؤذي أو يحبس الرجل الذي سيأتي إلى هنا الآن. هو سيكون أفضل مدعو عندنا لأنه من أنقذنا في حقيقة الأمر!

عاهدها الملك على هذا، بألا يؤذيه أحد. تجهز الجميع للحفل الضخم. ولكن فقط أميرتين هما العروستان، أم الثالثة فلا! هي ليس لها خطيب.

قالت الأميرة لأبيها الحبيب:

ـ أحضر المدعوين بالدور أمامي! ليمشوا أمامي فهناك احتمال أن أجد بينهم من أبحث عنه. عندئذ سأذهب إلى الفرح.

عاهدها الملك بأنه سيسمح لها بذلك ثم أخبر الحضور أن عليهم التوجه إلى أمام القصر. كان "خالع الأشجار" في الآخر. تقريبا ذهب كل المدعوين، وحزن الملك على أن الأميرة لن يكون لها زوج. ومرة واحدة تبسمت واحمر وجهها من الخجل! ها هو! إنه هو! فقال أبوها الملك:

ـ أي واحد تقصدين، يا ابنتي الحبيبة، أريني إياه؟

أحضرت الأميرة "خالع الأشجار" أمام أبيها فعرفه في الحال فقال:

ـ أنت هذا الذي طلب مني الاثني عشر ثورًا، والاثنتي عشرة عربة قنب، واثنتي عشرة عربة فاكهة، واثنتي عشرة عربة خبز؟

ـ نعم، أنا هو ـ قالها "خالع الأشجار".

ـ سأله الملك: ولما لم تأت مع رفيقيك إلى البيت؟

حكى له "خالع الأشجار" ماذا حدث منهما بعدما أوصل الأميرات الثلاث إليهما، وظل

هو في النهاية ليركب السلة. وكيف أنهما أرادا له الموت، لكنه كان أكثر ذكاء وحذاقة منهما فوضع حجرًا بدلا منه في السلة، وهكذا فقد ظل على قيد الحياة، لأنهما رميا الحجر بدلا منه. قال الملك لما سمع ذلك:

ـ ما هي نوع العقوبة التي يستحقانها؟

ـ قال "خالع الأشجار": لا شيء يا جلالة الملك. لقد سامحتهم وعفى الله عن ما سلف. دعهما هكذا! فليكونا صهري الملك، ولكن ليكن مسكنهما بعيدا عن هذا البلد. جهز الملك "خالع الأشجار" بأحلى الملابس كما لو كان ملكا بالفعل. وهكذا ذهبوا ثلاثتهم إلى الفرح، وصار الآن هناك ثلاثة أزواج في عرس الزفاف.

أما "عاجن الحديد" و"محرك الجبال" فقد اعتذرا بشدة لـ "لخالع الأشجار" وطلبا منه العفو والسماح على ما اقترفاه في حقه. في نهاية حفل العرس أخرج "خالع الأشجار" من جرابه التفاحات الثلاث وأعطاها للملك وقال:

ـ انظر أيها الملك المبجل! هذا كان قصر أكبر أميرة... قلعة من النحاس تدور على ساق طائر العقعق. أما هذه قلعة الأميرة الوسطى الفضية فكانت تدور على ساق غراب. سألقي هاتين التفاحتين وحيثما تقعان سيسكن كل منهما في مكان وقوع التفاحة الخاصة به.

أما القلعة الثالثة المصنوعة من الذهب الخالص وتدور على ساق بطة ستظل هنا. أمسك بالتفاحة النحاسية ورماها إلى الشرق، بعدها ذهب "عاجن الحديد" وزوجته ليسكنا فيها، بعد أن وجداها بعد شهور من السفر. أما التفاحة الثانية فرماها ناحية الغرب وبالتالي اتجه إلى هناك "محرك الجبال" وزوجته وقد استمرا شهرين من البحث عنها حتى وصلا إليها. أما الثالثة فوضعها في ساحة القصر الملكي وقد أصبحت قلعة تدور على ساق بطة ذهبية.

وما زالوا يعيشون في سلام إلى يومنا هذا، ما لم يكن قد توفاهم الله.

"بالوتس"[1] وكنيسة "أجر" الكبيرة

عندما تم تشييد كاتدرائية مدينة "أجر"[2]، كان يأتي إليها كثيرون من المناطق الريفية، خاصة يوم الأحد، ذلك من أجل الاستمتاع بالقداس الموسيقي الكبير للكنيسة الجديدة، ومن بين هؤلاء الكثر ذهب المدعو "بيشو ميذش" ومعه ابنه "بيرا" من "إشتنمزيه"[3] إلى الكنيسة بالعربة.

ـ "بيرا"، ابق أنت هنا مع الأحصنة، كي لا يتم طردها، أما أنا سأذهب إلى القداس ـ قال "بيشو" ذلك، ثم دخل إلى الكنيسة.

استغرق القداس الكنسي ما يزيد على الساعة، وخلال ذلك الوقت شعر "بيرا" بالملل في الخارج، وفجأة أقبل عليه العجوز خارجا بعد هذا الوقت الطويل:

ـ حسنًا ماذا فعلت خلال هذا الوقت الطويل، وقد أشرف وقت الظهيرة على الانقضاء؟

ـ مهلًا، يا"بيرا"! ياه لو كنت هناك أنت أيضًا! فبينما كنت أنظر إلى الصور والنوافذ الكبيرة بداخل الكنيسة، إذ بهم يقرعون الجرس! لكنه كان كبيرا للغاية ليس مثل الجرس الصغير لدينا! ثم بعد ذلك خرج كثير من البابوات حاملين الشموع! وقد كانوا هكذا كثيرين كالبراغيث في الكلب! بعد ذلك خرج أب طاعن في السن عصبي المزاج يظهر عليه الغضب، لأنه لم يكن يصلي، فأخذ نفسه وجلس على الكرسي الفخم. ثم شرعت فرقة الإنشاد الديني في عزف الترانيم الموسيقية. وكان هناك رجل ألماني ضخم البنيان طويل القامة يشير لعازفي الموسيقى بالعصا، كي يرقصوا، لكن بالتأكيد ظل الألمان الكثر ينظرون في عيون بعضهم البعض، ولم يجرؤ أحدهم على البدء! لم أكن كسولا فوثبت إلى وسطهم، ورفعت ثوبي وبدأت في الرقص! اندفع نحوي الألمان بعددهم الكبير المهيب كي يرموني في الخارج، لأنه ليس من المسموح الرقص هناك، بيد أنني لم أترك لهم نفسي وقلت إنني لا أعرف العادات هنا، لكن بما أنه غير مسموح بالرقص، فلم يعزفون الموسيقى، وعلى ذلك تركوني هناك. مع كل هذا لم يرد البابا الطاعن في السن أن يصلي بأية حال من الأحوال. أحد البابوات وضع أمامه كتابًا كي يبدأ في الصلاة، لكنه لم يفعل سوى هز كتفيه، وكلما يقربون أمامه الكتاب، فلا جدوى! ثم جاء أحدهم ووضع قبعة الرياسة على رأس البابا، وأعطاه في يده عصا فضية للجزاءات، ثم بعد ذلك تحرك البابا، لأن الوقت قد

---

(١) مناطق ريفية في وسط المجر.

(٢) مدينة مجرية ذات تاريخ قديم تشتهر بالسياحة الثقافية وبها العديد من الآثار.

(٣) اسم إحدى القرى الزراعية المأهولة بالفلاحين والمزارعين.

أشرف على الظهيرة، وهكذا قاد القداس بصعوبة بالغة. وكان هناك فرقة الإنشاد الديني التي بدأت في نفخ البوق والموسيقى وكان التصفيق حارا من شدة فرحتهم على أنهم تمكنوا من تحريكه من مكانه. وهكذا وبعد وقت طويل كانت نهاية القداس.

أمنيات ثلاث

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، كان هناك رجل وزوجته. كانا شابين في مقتبل العمر. لم يكن لديهما أطفال، وكانا يحبان بعضهما البعض، وكانا متفاهمين، بيد أنه بسبب الفقر المدقع كانت هناك أحيانًا بعض الخلافات.

ذات مرة وصلت الزوجة من الحقل إلى المنزل مبكرًا قبل الرجل، وقد فكرت كثيرًا ماذا ستعد للعشاء. المهم أنها أوقدت النار، ولم تستطع فعل شيء سوى وضع بعض المياه لعمل الشوربة، وأثناء ذلك فكَّرت لِمَ هما فقيرين إلى هذا الحد لدرجة أنها لا تستطيع أن تُدهش زوجها مرة بعشاءٍ فاخرٍ؟!

وبينما هي تفكر في ذلك، سمعت بجوارها صوت تنفس الصعداء... نعم إنه جن ظهر أمامها... إنها المرة الأولى التي ترى فيها جنًا، وقال:

ـ حسنًا، أيتها السيدة الفقيرة، لكِ ثلاث أمنيات، وسوف أرى كما لكِ من عقل ـ واختفى في لمح البصر مثلما ظهر.

هل ما رأت السيدة حقيقة أم خيالًا؟ لم تكترث بهذا الأمر وفكرت مباشرة في الأمنية الأولى وجهزتها في رأسها: إنها تمنت أن تحصل على سجق، وفي التو واللحظة كان أمامها وعاء به سجق فاخر، كان يجب فقط وضع الوعاء على النار، وكان به سمن كافٍ أيضًا.

وعندما وصل زوجها كانت شهيته مفتوحة وكان المطبخ مليئًا بالروائح الذكية. عندما حكت الزوجة ما حدث، شرع الرجل في التفكير ماذا ستكون الأمنيتان الأخيرتان، فالرجل أراد حصانًا وعجلًا سمينًا وخنزيرًا صغيرًا، أما الزوجة فقد أرادت شيئا آخر، ولم يستطيعا التوافق فيما بينهما، فظلا يتجادلان فقط كما لو كانا ليسا بجائعين، وعندئذٍ شرع الرجل في شرب السجائر دون أن يأكل، وطرح وعاء السجق على الأرض بلا اهتمام.

خافت السيدة بالتأكيد، وحاولت أن تمسك بالسجق قبل أن يسقط، لكنها فشلت ثم عاتبت زوجها قائلة:

ـ كان من الأفضل أن ينمو هذا السجق على أنفك بدلًا من أن يسقط هكذا!

وبالفعل هذا ما قد كان! تدلي السجق ونما بالفعل على أنف الرجل حتى وصل إلى ركبته.

في البداية لم تخف السيدة، وحاولت أن تقطع السجق من على أنف زوجها، ولكنه كان قد كبر بحيث لم يعد من الممكن أن يتم قطعه من هناك، وهنا خافت السيدة الشابة، وبكت، ولكن

ما الذي سيحدث مع هذا السجق؟

ـ سوف نقطعه ـ قالتها السيدة.

ـ أنا لا أريد أي شيء إلا أن تعود حياتنا كما كانت في السابق فحسب.

ـ ولكن ماذا عن الحصان والعجل السمين والخنزيرّ الصغير! هكذا قالتها السيدة.

أجاب الرجل على ذلك:

ـ ولكن بشارب كهذا لا يمكنني السير، وأنت كيف ستقبلينني إذا كان السجق سيتدلى هكذا من على أنفي!

في الواقع فإن الأمنية الثالثة لهم كانت عودة السجق إلى الوعاء مرةً أخرى.

لم تكن هذه النوعية من الطعام اللذيذ لهذين الفقيرين، وكانا دائما متذمرين لما دار، وكم تمنيا لو تعود الأمور لما كانت عليه من ذي قبل.

"روجا" و"إبويا"

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، كان هناك ملك لديه ابنة حسناء وجميلة للغاية تدعي "إبويا"، وكان للملك زوجة ثانية، هي الساحرة الشريرة التي لم تحب ابنته قط، وذات مرة قالت لزوجها:

ـ ينبغي أن تتزوج هذه الفتاة، لكن نزوجها فقط لشاب يستطيع أن يحقق الأمنيات الثلاث التي نتمناها نحن.

ذهب الكثيرون لرؤية الفتاة، لكن لم يتمكن أحد من أن يتزوجها، لأنه لم يتمكن أحد من تحقيق هذه الأمنيات.

سمع الملك الجار بهذا الأمر، فقال لولده "روجا":

ـ انهض واذهب لرؤية هذه الفتاة. تزوجها إذا أحببتها. أنا أعرف والدها، فهو رجل طيب.

استعد ابن الملك الجار وذهب لرؤيتها، وكان اللقاء الأول مع الفتاة ابنة الملك للمرة الأولى فقالت له:

ـ هل جئت إليّ، يا حبيب القلب؟

ـ لا تطلبني لأن زوجة أبي الشريرة ستطلب منك تحقيق ثلاث أمنيات، وإن لم تتمكن من الرد، ستلقي حتفك. ـ أجابت "إبويا".

لكن "روجا" لم يخف، وذهب إلى الملك، وطلب يد "إبويا". ودخلت الساحرة، ثم قالت:

ـ إذا حققت الأمنيات الثلاث، ستتزوج "إبويا"، وليست هناك طريقة أخرى لنيل ذلك. الأمنية الأولي: هل ترى هذا الجبل الكبير؟ سوف تنقله من هناك، وتزرع مكانه عنبًا، وتحصده وتعصره، وفي الغد تحضر لنا من خمره الأحمر الجميل ما نتذوقه.

ذهب "روجا" حزينا أسفا مباشرة إلى "إبويا"، فسألته الفتاة:

ـ لِمَ كل هذا الحزن والندم؟

ـ يا للخسارة، لا أعلم ماذا أفعل فيما طلبته زوجة أبيك، ولهذا لن تصبحين زوجتي! فقد قالت لي أنه عليّ حمل الجبل الضخم في الليل، وأن أزرع مكانه عنبا، وأحصده وأعصره وعلى ظهيرة الغد أقدم لها من خمره اللذيذ الأحمر.

ـ هل هذه هي المشكلة فقط؟ إذن اذهب ونم هادئا، واستيقظ صباح الغد الساعة السادسة، وارتدِ ملابسك، وتعال إليّ!

نام "روجا"، وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظ نظر من النافذة، فلم ير جبلا في أي مكان، بل رأى عنبًا. ارتدى ملابسه، وذهب إلى غرفة "إبويا". كانت "إبويا" تحمل في يدها زجاجة من الخمر الأحمر.

ـ ها هو تفضل، خذه إلى غرفة زوجة أبي وأعطه لها.

عندما رأت الساحرة العجوز "روجا" محضرًا الخمر، اشتاطت غضبًا، ومع ذلك قالت:

ـ حتى الآن تسير الأمور بشكل طيب، لكن هل ترى هذه الغابة الكبيرة؟ عليك أن تقطع أشجارها وتجمعها في مكان واحد، وتحرث الأرض، وتزرعها بالقمح وتحصدها وفي صباح الغد تحضر لي كعكًا مطهيًا من قمحها الذي طحنته وعجنته! ـ عندئذٍ ذهب روجا إلى "إبويا" حزينا نادبًا حظه:

ـ كانت الأمنية الثانية لزوجة أبيكِ أن أقطع هذه الغابة الكثيفة، وأجمعها في مكان واحد، وأن أحرث الأرض، وأزرعها بالقمح، وبحلول صباح الغد أحضر لها كعكة مطهية من القمح نفسه.

ـ أهه، هل هذه هي المشكلة فحسب؟ إذن اذهب ونم بهدوء، واستيقظ غدا صباحا في السادسة، وتعال إليّ!

نام "روجا"، وفي صباح اليوم الثاني عندما استيقظ نظر من النافذة، بيد أنه لم ير سوى القمح يملأ الأرض. ارتدى ملابسه، وذهب إلى "إبويا". وكانت لديها الكعكة الجميلة.

قالت "إبويا":

ـ خذها إلى زوجة أبي!

عندما رأت الساحرة العجوز الكعكة الجميلة، تملكها الغضب، وفكرت محدثةً نفسها: "حسنًا توقف، وانتظر فحسب، ونفذ الأمر الثالث، أعرف أنه ستكون به نهاية حياتك!" ثم قالت له بصوت عالٍ:

ـ لديَّ ثلاثة أفراس، إذا تمكنت من سرجهم، ستكون لك "إبويا"!

ذهب إلى "إبويا" مهمومًا تعيسًا، وقال:

ـ ساعديني الآن، يا حبيبتي "إبويا"!

ـ ماذا أمرتك السيدة الشريرة هذه المرة؟

ـ لقد قالت لي أن لديها ثلاثة أفراس، إذا تمكنت من سرجها، ستكونين لي.

ـ ياه، يا حبيبي! ـ قالت "إبويا" ـ هذا هو الأكثر صعوبة! الفرس الأول هو أبي ـ سوف تسحره الساحرة الشريرة ليكون فرسا ـ وعليك أن تستشعر طيبة أبي، فليس له ذنب في أي شيء؛ والثانية ستكون زوجة أبي الشريرة، فضايقها وجرها بشدة وافعل فيها ما شئت! أما عن الفرس الثالثة، فإنك سوف تكتشف الأمر بسهولة، فأنا أثق في قلبك!

انطلق "روجا" ناحية الإسطبل، فأمسك بالفرس العجوز، وامتطاها، ولفَّ بها واحدة، ونزل من عليها، ثم قادها إلى الإسطبل.

ثم أمسك بعد ذلك بالساحرة العجوز، وجلس على ظهرها، وسرّجها جيدًا، وكان يوخزها بشدة إلا أنها لم تتمكن من السير، فنزل من عليها، واصطحبها إلى الإسطبل، ثم قال:

ـ حسنًا، أيتها الكلبة العجوز، هل هذا ما كان يلزمك؟

أمسك بالفرس الثالث، وامتطاه برفق، واستدار به مرة، وقاده إلى الإسطبل، وبمنديله الحرير مسح عليه كله برفق، ثم عاد إلى المنزل.

ذهب إلى "إبويا" في اليوم التالي، فقالت له:

ـ لقد تحققت الأمنيات الثلاث، ومع ذلك لن يعطوني لك!

قال "روج":

ـ إذن سنهرب!.

ردت عليه "إبويا":

ـ لكنهم سوف يلحظون الأمر.

قالت "إبويا":

ـ لنعثر على إبرة، ولنوخز بها أيدينا، ولنسقط ثلاث قطرات من دماء كل منا على المائدة، وما لم تجف هذه القطرات، فإنها سترد عليها زوجة الأب هذه إذا نطقت بأسمائنا.

ونفذا ما اتفقا عليه وهربا. وفجأة تقول الساحرة العجوز:

ـ "روجا"! "إبويا"!

ـ أنا هنا، أنا هنا! ـ أجابت عليها قطرات الدم.

هدأت الساحرة العجوز، ونامت ثانية، وأثناء ذلك فقد وصلا "روجا" و"إبويا" إلى بعيد.

وفجأة قالت "إبويا":

ـ أنظر إلى الخلف، أذني تكاد تحترق، وأبي يقترب منا.

نظر "روجا" إلى الخلف، فإذا به فعلًا يرى العجوز يأتي وراءهم على هيئة ريح. أمسكت "إبويا" بمشط، وصنعت من أسنانه غابة ضخمة كثيفة الأشجار خلفها لدرجة أن أباها العجوز عندما خرج منها، كانا هما قد اجتازا بلاد العجائب السبع.

وفجأة قالت "إبويا" مرة ثانية:

ـ انظر إلى الخلف، أبي هنا مرة ثانية!

نظر "روجا" إلى الخلف.

ـ لقد أصبح هنا بالفعل في إثرنا! فأمسكت بمشط وحولت المكان خلفها إلى بركة ضخمة مليئة بالمياه لدرجة أن العجوز لم يستطيع عبور الماء، فعاد، فضربته الساحرة الشريرة ضربًا مبرحًا.

والآن أمسكت السيدة بالمكنسة المسحورة، وجلست عليه وانطلقت وراءهما.

قالت "إبويا" لـ "روجا" فجأةً:

ـ انظر إلى الخلف، أشعر بحكة في الرأس. الساحرة العجوز في إثرنا. لتتحول أنت إلى بحيرة، وأنا إلى بطة بداخل البحيرة.

وهذا ما قد صار، وإلى أن وصلت الساحرة إلى هناك، كانت "إبويا" تسبح في مياه البحيرة، لكن الساحرة لم تكن بساحرة حقًّا إن لم تعلم بهذا الأمر. نزلت من على المكنسة المسحورة، ومشت في مياه البحيرة.

ـ حسنًا، توقفي أيتها البنت الكريهة! سوف أمسك بكِ الآن!

لكن "إبويا" كانت تعرف ماذا تريد منها زوجة الأب الشريرة، فسبحت أكثر وأكثر إلى داخل البحيرة، ثم خرجت "إبويا" فجأة، وتحولت إلى بنت، و"روجا" إلى شاب ثانية. أمسكت "إبويا" بالمكنسة المسحورة، وذهبا بها، ولم يتوقفا. أما الساحرة الشريرة فقد عادت إلى بيتها، وأوسعت زوجها العجوز ضربا مبرحا في البيت مرة أخرى، وقالت له:

ـ أنت السبب في أن ابنتك هكذا!!

وعندئذ لعن العجوز ابنته كي ينساها "روجا" تمامًا.

وبالفعل فبينما "روجا" و"إبويا" يسيران في طريقهما إذ بـ "إبويا" تقول فجأة:

انهض أنت إلى الأمام، أما أنا فسوف أذهب إلى بيت أبي؛ إذا كنت ألزمك حقًّا، ستأتي من أجلي، وإلى ذلك الحين سوف أبني قصرا من الضباب.

وبالفعل انطلق "روجا" وحيدًا عائدا إلى موطنه. وكان أبوه جالسًا عند البوابة، فلما رأى ابنه عائدا سأله:

ـ أين ذهبت، وأين كنتِ طيلة هذه المدة كلها؟

لكن كان قد نسي كل شيء، فلم يستطع التفوه ولو بكلمة واحدة، فأردف الأب قائلا:

ـ حسنًا أنك عدت إلى البيت، سوف أزوجك. غدا سيكون يوم عرسك!

ـ حسنًا، يا أبي العزيز، لقد حان الوقت... موافق!

في اليوم التالي حضر ضيوف ليلة الزفاف. رأت "إبويا" ما يدور، فقالت لبعض الشحاذين:

ـ أعطيكم هذا القصر، إذا نفذتم ما أقول.

لكن الشحاذين قالوا إنهم لن يفقدوا لقمة عيشهم من أجل هذا. في المقابل كان هناك أيضا عشرة من أولاد الغجر، فقالت لهم "إبويا" هذا، فوافقوا في الحال.

ـ نحن سننفذ ما تريدين أيتها الآنسة!

ـ حسنًا إذا نفذتم، فسيكون لكم هذا القصر الجميل! سوف أقول لكم ما يجب فعله، أنتم فقط سترددون بصوت عالٍ ورائي ما سأقوله لكم، عندما أشير إليكم!

وعندما وصل "روجا" بالقرب من هناك كان مصطحبًا عروسته، فقال الأطفال العشرة:

ـ لا تنسوا اليتامى المساكين، مثلما نسيتم "إبويا"!

وهنا تذكر "روجا" أن لديه "إبويا"، فجرى إليها، وانطلقت عروسته إلى عريس آخر، لأنه كان لديها عريس آخر تحبه. فقد قبلت بالزواج من "روجا" فقط لأنه كان ثريًّا.

ثم بعد ذلك وبحضور الجميع تم عقد قران "روجا" على "إبويا". تبقي للغجر القصر الكبير الذي وعدتهم به "إبويا" وفرحوا به كثيرًا، فلم يكن لديهم مثله، وناموا فيه، ونحو منتصف الليل لاحظوا أنهم يشعرون بلسعة برد شديدة، فاستيقظوا ونظروا فإذ بهم يرون النجوم

من فوق رؤوسهم، ومن أسفلهم النجيل الأخضر، ذلك لأن القصر كان مشيدًا من الضباب وقد تبخر.

قال الغجريين لبعضهم البعض:

- لم يتم خداعنا على الإطلاق!

وما كانوا ليتمكنوا من الوقوف على أقدامهم، إن لم يكن لديهم ثلاثة أرجل، ومن شدة شعورهم بالخجل مما حدث لهم انطلق هؤلاء يهيمون في العالم فتاهوا جميعا، لذلك لا يوجد الآن غجري بثلاث أقدام.

مغامرات الولد "جوثي"

ذات مرة لاحظت أن أبي يريد الزواج، حيث قال لي في إحدى المرات:

ـ اذهب إلى الطاحونة واطحن ما يلزم لصناعة الخبز اللازم لحفل الزفاف.

ماذا كان عليَّ أن أفعل في هذا الموقف؛ قمت في الحال وبحثت عن حقيبة ظهري، وقمت بملء تسع من الشنط بالقمح الذي يشبه ثمر شجرة البلوط، وحملت الشنط التسع على كتفي مرة واحدة، ووضعتهم على العربة، وانطلقت نحو الطريق.

ولما أن وصلت إلى الطاحونة أوقفت الثورين اللذين يجران العربة، وثبّت مقبض السوط بالأرض كي لا يجريان إلى أي مكان آخر ولا أجدهما بعد ذلك، ثم دخلت بنفسي إلى الطاحونة وقمت بالنداء على العم الطحان كي يساعدني على حمل القمح المراد طحنه، ومن ثم إدخاله إلى داخل الطاحونة استعدادا لسحقه وطحنه.

لم يرد على أي فرد على الإطلاق من داخل هذه الطاحونة، فقررت في نفسي أن أنتظرهم بعض الوقت هناك، لكنني قبل هذا تلفت يمينا ويسارا لعلي أجد أحدا في هذا المكان، لكن للأسف لم يكن هناك أي أحد؛ نظرت تحت السرير الموجود هناك في الطاحونة وأيضا خلف المدخنة فلم أعثر على أي شيء، ولما أن نظرت ورأيت بعيني أن إبريق المياه ليس معلقا هناك على المسمار في مكانه المعتاد ليشرب منه العمال والضيوف علمت علم اليقين أن الطاحونة خالية من العمال في هذا التوقيت، ربما يستريحون أو يتناولون الطعام. ماذا أفعل هل أنتظرهم هنا؟ أم أذهب إلى البيت وأعود مرة أخرى؟ جالت بخاطري حكمة أن الاستعجال ليس من الأخلاق الحميدة، وإنما في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، وعلى ذلك قررت الانتظار بالقرب من الطاحونة، وأطعم الثورين اللذين يجران العربة، بعد أن أبحث لهما عن طعام مناسب، لأنني لم أحضر لهما طعاما من البيت عندما قدمت إلى هذا المكان.

في هذه الأثناء رأيت كلبا يعوى ويسير بين الشجيرات الصغيرة، فقد أراد أن يبحث عن طعام يأكله في شنط القمح التي أتيت بها، إلا أنني لم أسمح له بهذا الأمر، وفي الحال التقطت هراوة قوية وجريت وراءه لأضربه كلما رأيته، وجريت وراءه كثيرا وكثيرا داخل الوادي المليء بالأشجار الكثيفة، لعلي أتمكن من هذا الكلب الأحمق. المهم في النهاية عندما هممت بالعودة إلى حيث العربة التي جئت بها وعليها القمح سمعت صوت الطاحونة وهي تدور لتطحن وتسحق القمح الذي أتيت به ليصير منه الدقيق الذي نصنع منه الخبز الذي نأكله ونعيش عليه فيما بعد، قابلت أحد الأولاد فصنعنا أرجوحة وظللنا نلعب هناك سويًا وأقبلت الأطفال ولعبنا

واستمتعنا بوقتنا كثيرًا وكثيرًا للغاية هناك، ولم نشعر بمرور الوقت. وبعد أن شعرنا بالتعب من كثرة اللعب قررنا أن نفترق ويذهب كل منا إلى طريقه.

بعد انتظار مجيء الطحان والجري وراء الكلب واللعب واللهو والأطفال تذكرت أنني لم أجيء إلى هذا المكان من أجل اللعب واللهو، وإنما جئت لطحن القمح في الطاحونة، فانطلقت مباشرة إلى حيث الثورين لأرى ماذا يفعلان وهل ذهبا إلى أي مكان آخر أم لا. ظللت أسير وأسير طويلا حتى تعبت من كثرة السير إلى أن رأيت في أحد الحقول حصانا ففكرت وقررت أن أركب هذا الحصان لأصل بسرعة وبسهولة إلى المكان الذي أرغب في الذهاب إليه، فركبت على هذا الحصان وأوقفته في الاتجاه الصحيح للطريق المنشود وانطلقت أطوي الأرض من خلفي بسرعة.

وأثناء طريقي وقعت عيني على مكان يعج بأشجار الفاكهة وخاصة العنب، فنزلت من على الحصان وربطته، ثم قمت بهز الأشجار الموجودة في هذا المكان الواحدة تلو الأخرى، ثم قمت بجمع الفاكهة التي سقطت من على الأشجار بسبب هزي لها فجمعت البرقوق والجوز والسوداني إلى أن امتلأت ملابسي التي رفعتها حتى صدري.

كان الجو حارا للغاية فعطشت بشدة، فرأيت من بعيد المزارعين الذي يحصدون الزرع فتوجهت إليهم وسألتهم من أين يمكنني أن أحصل على بعض الماء، فأشاروا عليّ بينبوع مياه ليس بالبعيد منهم، فذهبت إلى هناك وشربت من الماء حتى ارتويت وأطفأت نار الظمأ التي كادت تحرقني. وهكذا انتهت مرحلة العطش التي كادت تعصف بي في هذه الرحلة.

بعد ذلك ركبت على الحصان مرة أخرى بعد أن فككته من المكان الذي ربطته فيه، وانطلقت عائدا إلى الطاحونة حيث يتم طحن القمح لنحصل منه على الدقيق الذي نصنع منه الخبز الذي نتناوله ونعيش عليه أكثر من أي شيء آخر.

ولما أن وصلت إلى الطاحونة لاحظت أن أبي لم يطيق الانتظار في البيت وجاء للبحث عني لما تأخرت إلى هذا الوقت، وبما أنه لما جاء إلى هنا عند الطاحونة لم يجدني فانهمر في البكاء وهو يقول بحسرة وندم: يا بني، يا حبيبي، يا روحي، أين ذهبت؟ ولِمَ أرسلتك أنا إلى هنا من الأساس؟ هذه نهايتك يا بني يا حبيبي، وأنا السبب في كل هذا؟ يالله ما الذي حدث لك يا بني، يا غالي؟ ربنا يستر! لم أكن أتوقع قط أن أبي سيحزن ويتألم إلى هذا الحد عندما أغيب عنه بعض الوقت، لأنه كان يؤنبني ويضربني أحيانا في السابق، ولما رأيت حاله من بعيد قلت له وأنا قادم من بعيد: "لا تحزن يا أبي يا حبيبي أبدًا، لأنني أنا هنا لم يصبني أي مكروه أو أذي!."

لقد عادت الروح إلى أبي مرة أخرى بعد أن رآني، ثم وضعنا الدقيق على العربة وعدنا إلى بيتنا، واحتفلنا بكل الحب والسعادة بحفل زفاف أبي، وكانت العروسة هي أمي، وليس أحدًا آخر! أما بالنسبة للرقص مع العروسة فكنت أنا أول من رقص معها.. مع أمي، ثم بدأ الدور على الآخرين.

ولما أن انتهى حفل الزفاف، رحل الجميع وبقينا نحن في البيت مع أنفسنا، وما زلنا على قيد الحياة حتى اليوم، ما لم يكن قد توفانا الله.

كنت مازلت صغيرا في السن في تلك الفترة، ولكنني الآن صرت شابا فتيًا قويًا وماهرًا.

ابن الملك يتقدم نحو الزواج

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير عن بلاد العجائب السبع، حيث كانوا يضربون البراغيث بحدوة الحصان النحاسية، كانت هناك ملكة أرملة، وكان لديها ولد وحيد.

هذا الفتى لم يرغب في الزواج، لكن الأم أجبرته على ذلك.

وقد قال لها ذات مرة:

ـ لِمَ على الزواج، يا أمي الحبيبة؟ ما زال الوقت مبكرًا جدًّا فيما يتعلق بزواجي.

ـ ولما لا يا بني. إنني أنتظر بفروغ الصبر أن تتزوج، لأنني عما قريب إن لم يكن اليوم فغدا سأنتقل إلى الحياة الآخرة، وأود أن أطمئن على حياتك مع زوجتك!

ـ حسنًا يا أمي العزيزة، إذا كانت هذه رغبتك، فالسمع والطاعة يا أمي العزيزة، سأذهب لأبحث عن شريكة العمر.

وهكذا انطلق الفتى.

سار وواصل السير متخطيًا الغابة إلى أن وصل إلى منطقة جبلية شاهقة مغطاة بالثلج، وهناك رأى قطيعًا من الأغنام ذهبية الوبر يحرسه رجل عملاق، فسأله هذا الرجل العملاق:

ـ عما تبحث هنا، أيها الولد الصغير؟ كيف أتيت إلى هنا، إلى حيث لا تحلق الطيور ذاتها؟

أجاب الولد بأدب:

ـ انطلقت لأجرب حظي في هذه الدنيا وأبحث عن زوجة.

قال الرجل العملاق:

ـ حسنًا تعال إلى هنا فحسب، أنا سوف أقول لك أين ستجد حظك!

وهكذا أمسك بيد الفتى وأخذه معه. ساق الرجل العملاق قطيع الأغنام إلى حظيرة الماشية، وأخذ الولد معه إلى القصر الحجري المظلم القابع في نهاية الحظيرة، وأغلق عليه الباب هناك. وفي النهاية قال العملاق للفتى:

ـ لحظك السعيد أنني سآكلك في صباح الغد، والآن سأنام. لقد أغلقت الباب، ولن تستطيع الهرب، كما آمرك بأن تقوم بغلي اللبن الموجود بالحوض الموجود في الركن، وعندما يغلي

اللبن ويطيب، أيقظني كي أحتسيه.

قبل الفتى أمر العملاق وبما أن الجنيات الجميلات لم ترد الهلاك للفتى فقد همست له في السر بالآتي:

ـ أيها الفتى، لا توقظ الرجل العملاق! لكن عندما يغلي اللبن جيدًا خذ من الوعاء ملعقة كبيرة من ملاعق الحداد التي يقلب بها، وأملئها عن آخرها من الحوض الكبير، واقذفها في عيون العملاق.

أوقد الفتى النار، وسخن اللبن حتى درجة الغليان، وعندما طاب جيدًا، أمسك بالملعقة الكبيرة ووضع فيها اللبن المغلي، وقذف بها في عيون العملاق كي لا يتمكن من رؤية أي شيء. شرع العملاق في الولولة والقفز من مكانه مما حدث له.

ارتعدت مفاصل الولد فماذا سيحدث معه الآن، وجري إلى ركن الباب، وبدأ يجري في الجزء الداخلي المضيء للغرفة، ووراءه العملاق يتبعه على إثر خطواته. حصل الفتى هناك على إحدى الثمرات يأكلها، لكن الطعام لم يكن مشكلته! أمسك بجوال البندق وفك رباطه، وأخذ ينثره على سطح المنزل. وقرقع هنا وهناك البندق الكثير واعتقد العملاق أن الولد يسير هناك، فبحث عنه في هذا المكان. وعلى قرع البندق ومن دون أن يلحظه ترك الغرفة إلى حظيرة الماشية، لكن العملاق ذهب إلى هناك وراءه أيضا!

حتى ذلك الحين قام الفتى بسلخ حمل ذهبي الوبر واختبأ في جلده، وعندئذ سمع صوت العملاق يقول:

ـ انتظر، انتظر أنت أيها المار على الطريق، أيها اللص! لقد سخرت مني وأنا سأُريك بأنني أيضًا سأستهزئ بك! إما أن تستسلم لي وإما أن ترحل عن هذا العالم من الجوع والعطش!

بحث العملاق عن ابن الملك في كل مكان، لكن بلا جدوى! لم يجل بتفكيره أين عساه أن يكون هذا الولد، وظل يبحث عنه حتى المساء، ولم يمسك به.

انقضى الليل، ويجب أن تخرج الأغنام للمرعى. ماذا كان بوسعه هذا العملاق، كان يجب عليه أن يطلق القطيع من الحظيرة، لكن ماذا إن هرب ابن الملك هو الآخر؟ خرج العملاق من البيت. أمسك بمفتاح القفل، وفتح القفل الحديدي ذا القناطير الثلاثة وعلقه على الصفيحة الحديدية ذات القناطير العشرة، ثم قال لأغنامه:

ـ أغنامي الصغيرة الحبيبة، تعالوا الواحدة تلو الواحدة أتلمسكم وأتفحصكم كي أطلقكم

في المرعى. لقد أحسستم بالجوع حتى الآن بسبب هذا الأجنبي اللص!

وهكذا فقد وقف هذا العملاق عند الباب، ووضع قدمه تحت الصفيحة الحديدية، ومن هناك كان يتفحص أغنامه واحدة بواحدة كي يسمح لها بالخروج. تلمس وتفحص العملاق الجميع وكل قطعة من الأغنام، كي لا يخرج ابن الملك من بين قدميه. وأخيرًا بقي الحمل ذات الشعر الذهبي، الذي اختبأ الفتى في فروته. أمسك العملاق بفرو الحمل ذي الوبر الذهبي بين قدميه وقال:

ـ انهض أيها الحمل الوديع الحبيب ذو الوبر الذهبي، أنا أعرفك جيدًا، وفيك يكمن كل ما لذ وطاب.

عندما خرج ابن الملك في صورة الحمل ذي الوبر الذهبي خرج من فرو الحمل وضرب العملاق على كاحله، فقال:

ـ أنا هنا، أيها اللص الشرير، لكن بداخلي لن يكون أبد ما لذ وطاب بالنسبة لك. أنا الآن حرًا طليقًا مع نفسي، فعقلي قد حررني من بين يديك.

أجاب عليه العملاق:

ـ ياه أيها الولد الصغير العزيز، لقد كنت أمزح معك فحسب! عد إلى ثانية فحسب، وانظر بعينيك إلى الهدية التي سأمنحك إياها! مع أنك قد خفت مني، بيد أنني لن أؤذيك. هنا يوجد خاتم ذهبي، البسه في إصبعك!

أجاب ابن الملك قائلًا:

ـ هه، لن تخدعني ثانية! إذا كنت ترغب في إعطائي الخاتم، فألقه إليَّ!

قذف العملاق بالخاتم إلى ابن الملك، وأمسك بالخاتم من على الأرض، لكن الخاتم خلال دقيقة واحدة قد التصق بإصبع الفتى بحيث لم يستطع خلعه ثانية، وأخذ يصرخ بصوت عالٍ من إصبعه:

ـ إلى هنا، إلى هنا، أيها العملاق!

لقد خاف ابن الملك الآن، فربما تكون نهاية حياته. لكن ماذا كان باستطاعته أن يفعل، أخرج سكينة صغيرة من جيبه وقطع إصبعه في الحال، وألقاه في إحدى البحيرات، لكن الخاتم ظل يردد بصوت عالٍ:

ـ إلى هنا، إلى هنا، أيها العملاق!

العملاق الذي لم يعد يرى بعد، مشى وراء صوت الخاتم، وإذ به فجأة يقع في البحيرة بسرعة.

انطلق الآن ابن الملك بكامل حريته مواصلًا سيره في هذا العالم، فسار وتجول وواصل السير إلى أن تقابل مع دب أسود كبير الحجم، فقال له هذا الدب

ـ هه أنت أيها الدودة البشرية، سوف آكلك الآن! لماذا سخرت من أخي؟

توسل ابن الملك من أجل حياته بكل السبل والأشكال، لكن الدب قال له في النهاية:

ـ سأتركك تعيش، لكن حال أن تتزوج، وحيثما تكون هذه الزيجة سوف أكون هناك، وعندئذ ستلقى حتفك على يدي!

لم يعر ابن الملك التهديد انتباها، لأنه اعتقد في نفسه: "لن أتزوج حاليًا على أية حال." وهكذا سار وواصل المسير لكي يعثر على مكان مناسب للراحة.

وفجأة وصل إلى غابة شاسعة.

كان في وسط الغابة كوخ صغير. رأى الأمير أن هناك ساحرة طاعنة في السن، فخبّط عليها الفتى، فإذا بالساحرة تظهر أمامه فجأة، وتسأله:

ـ عما تبحث هنا؟

أجاب ابن الملك:

ـ بالطبع أبحث عن عمل، يا أمي العجوز.

تطلعت الساحرة إليه، وقالت:

ـ موافقة أن تعمل لديّ!

وبالفعل قبلت الساحرة الطاعنة في السن ابن الملك، وكان على الفتى أن يصطاد حيوانات برية كل يوم، وخاصة الأرانب.

كان لدي الساحرة بنت ماهرة جميلة، في البداية لم يعرها الأمير أي انتباه، ثم بعد ذلك سرعان ما وقع في حبها، وعقد العزم أن يطلب البنت من أمها الساحرة!

وقد كان، فطلب الفتاة، ووافقت الساحرة العجوز قائلة:

- لا يفرق بينكما إلا الموت.

وبمجرد أن ذهبوا إلى العرس، وبينما هم هناك أمام الكنيسة، إذ بهم يسمعون صوت الدب، فنظر ابن الملك يمينًا ويسارًا، فلمح دبًّا أسود كبيرا يأتي من ناحية الجبل.

تعَّرف عليه بسرعة فهو الدب الأسود الذي تركه يعيش حتى يتزوج. لم يبتعد الأمير، وخلع خاتم الخطوبة من إصبعه وقضمه نصفين، ثم قطع منديل الخطوبة، ثم أعطي نصف الخاتم ونصف المنديل إلى الفتاة، والنصف الثاني تبقي له، وودعا بعضهما البعض فجأة.

ثم هرب الأمير ثانية! لم يفكر الآن سوى في الموت.

وهكذا سار الأمير وواصل السير بعيدًا عن بلاد العجائب السبع إلى أن وجد كوخا صغيرا ثانية، فدخل فيه فوجد رجلا طاعنا في السن، ربما يبلغ من العمر مائة عام.

ألقى عليه التحية بأدبٍ جم:

- مساء طيب وحظ سعيد، يا أبي العجوز.

رد الرجل العجوز:

- من الجيد أنك ناديتني بأبيك العجوز، وإلا لكنت لقيت حتفك في الحال وأصبحت ابن موت؛ عما تبحث هنا، بينما منذ مائة عام لم أر إنسانا في هذا المكان.

اشتكى الفتى ساردا ما حدث معه، فاستمع إليه الرجل، وأسف على ذلك وأعطاه خاتما، وقال له:

- ابني الحبيب، على مسافة ثلاثة أيام من هنا ستجد رجلا أكبر مني سنًا، اذهب إليه فربما يعطيك شيئًا آخر.

وبالفعل انطلق الأمير نحو الطريق، وفي اليوم الثالث وصل إلى كهف صغير، فدخل فيه أيضا ورأى هناك رجلا عجوزًا بحيث أن لحيته من طولها يكنس بها أرضية المنزل، وإن لم يكن قد تخطي المائة فإنه لن يقلّ عنها، ألقى عليه التحية:

- مساء الخير، أبي العزيز!

استقبله العجوز قائلًا:

- أنت محظوظ لأنك ناديتني بأبيك العجوز وإلا فلم تكن رقبتك لتبقي وقتا طويلًا، في أي أمر قدمت؟

سرد الأمير مشتكيًا ما حدث معه وأن رجلًا عجوزًا هو من دلَّه عليه، وهذا الرجل أعطى له خاتمًا هو الآخر، وقال له:

ـ هناك أرض على مسافة ثلاثة أيام يوجد بها رجل أكبر مني سنا، اذهب إليه فهو يعرف أكثر مني.

انطلق الفتى ووصل إلى منطقة غابات كبيرة، في وسطها يقبع كوخ صغير، يدخل فيه وهناك رأى رجلا عجوزا. لقد كان هذا الرجل عجوزا أكبر من الاثنين السابقين لدرجة أن الطيور قد اتخذت من لحيته عشًا.

ـ مساء الخير، أبي العزيز!

استقبله هذا العجوز قائلًا:

ـ أنت محظوظ لأنك ناديتني بأبيك العزيز، وإلا فلم تكن رقبتك لتبقى، في أي أمر حملتك قدماك إلى هنا؟

سأله العجوز فيما جاء. سرد الأمير مشتكيا ما حدث معه وأن رجلين عجوزين هما من أرشداه إليه، فقام هذا الرجل العجوز بإعطائه خاتما أيضا، وقال له:

ـ على مسافة يوم من هنا توجد منطقة مميزة كبيرة في الغابة؛ عندما تصل إليها، اقضى ليلتك هناك، وضع الخواتم الثلاثة في منتصف المنطقة المميزة بالغابة. في الصباح عندما تستيقظ سوف يكون هناك ثلاثة من الكلاب الكبيرة، ناديها بأسمائها. اسم الأول "ثقل الأرض"(١)، والثاني "علاَّمة"(٢)، والثالث "عيون الصقر"(٣).

وهكذا فعل ابن الملك. عندما وصل إلى الغابة في المساء، وضع الخواتم الثلاثة في وسط الغابة. لما أن استيقظ في الصباح، وجد ثلاثة من الكلاب الكبيرة، فناداها بأسمائها فشرعت في مصادقته ومداعبته وهي تلعق يده وساقه.

انطلق الآن ابن الملك مع الكلاب ولم يعد يخاف من الدب، وعندما وصل إلى قرية الفتاة بدأ يسأل ما الأخبار هنا. فأخبروه أنهم الآن يجبرون الفتاة على الزواج من رجل آخر، إنها تلك الفتاة التي كان هو حبيبها من قبل.

---

(١) "ثقل الأرض": أطلقوا عليه هذا الاسم كناية على ثقله وقوته الشديدة.

(٢) "علاَّمة": أطلقوا عليه هذا الاسم كناية على كثرة وغزارة معرفته وعلمه.

(٣) "عيون الصقر": أطلقوا عليه هذا الاسم كناية على حدة وقوة النظر لديه.

فكر الأمير، وارتدي ملابس شحاذ وهكذا ذهب إلى البيت حيث العرس، وبمجرد أن رأته العروسة أحضرت له في الحال كعكة وكوبا من الخمر، حيث جرت العادة. شكرها الشحاذ وقال:

ـ عروستي الحبيبة أنا سأتناول نصف الخمر، وأنت اشربي النصف الآخر.

وقد كان هذا ما فعله الفتى. فقد شرب نصف الخمر، ثم ألقى في الكوب بنصف الخاتم الذي كان قضمه نصفين في السابق. وعندما شربت الفتاة النصف الثاني من الكوب رأت نصف الخاتم الثاني، فسألت ابن الملك:

ـ أين حصلت على هذا الخاتم.

ـ أجاب الأمير في زي الشحاذ: من المكان الذي حصلت منه أنت على النصف الثاني.

وعندئذ مسح فاه بالمنديل.

نظرت الفتاة على المنديل وسألته:

ـ أين حصلت على هذا المنديل.

ـ أجاب الأمير في زي الشحاذ: من المكان الذي حصلت منه أنت على النصف الثاني.

وهنا تعرفت الفتاة أن هذا هو حبيبها الذي كان خطيبها في وقت من الأوقات، وقبّلا بعضهما البعض وأفسحوا الطريق لرحيل العريس الذي أجبروا الفتاة لتتزوجه، ثم أقاموا عرسا استمر عامًا كاملًا.

فرح ابن الملك على أنه استعاد حبيبته القديمة. كان يذهب لصيد الحيوانات البرية دائما لكن الدب العجوز بكل تأكيد يتبعه باستمرار، لكنه لم يكن يجرؤ على أذية ابن الملك بسبب الكلاب الكبيرة التي تحيط به دائما. اتفق الدب مع الساحرة العجوز على تدمير ابن الملك، لكن كيف؟ قالت الساحرة، فقط اترك الأمر لي.

في اليوم التالي لم تسمح الساحرة للفتى أن يصطحب الكلاب معه إلى الصيد، لكنها وضعتها بين جدران حجرية كبيرة. ولما حل المساء واستعد ابن الملك لكي يذهب إلى المنزل، فإذ به يرى أنه وجه لوجه مع الدب الكبير، ومن شدة خوف ابن الملك جرى صاعدا إلى أعلى شجرة، فقال الدب صارخًا

ـ حتى إذا فررت إلى آخر العالم، سأمسك بك وأنال منك لا محالة.

رد عليه ابن الملك:

ـ أعلم أنك ستقتلني، لكن اسمح لي أن أطلق ثلاث صيحات.

قال الدب:

ـ فلتطلق ثلاث عشرة صيحة كما تشاء، فعلى كل حال سأمزقك إربًا.

نادى ابن الملك مرة بصوت عالٍ:

ـ النجدة يا "علاَّمة"، النجدة!

سمع الكلب هذا، وقال للآخرين:

ـ ينادي أحد باسمي.

قال الآخران:

ـ لا تعو هكذا، فربما تحلم.

ثم صرخ الفتى ثانية:

ـ النجدة يا "عيون الصقر"، النجدة!

سمع هذا الكلب المدعو بـ "عيون الصقر"، وقال للآخرين:

ـ الآن ينادوني أنا.

قال الآخرين:

ـ ربما أنت أيضا تحلم.

فصرخ الولد للمرة الثالثة:

ـ النجدة يا "ثقل الأرض"، النجدة!

وهنا قفز "ثقل الأرض" من مكانه، وركل "العلاَّمة" الجدار الحجري فاهتز، ثم ركله "العلاَّمة" مرة ثانية فتصدّع، ثم في النهاية ركله "ثقل الأرض" فإذا بالجدار الحجري كله ينهار رأسًا على عقب.

تحررت الكلاب الطيبة من بين الجدار الحجري! يخطو "عيون الصقر" خطوة واحدة فإذا به هناك عند الشجرة بالضبط، التي تسلق عليها الأمير. قفز "العلاَّمة" قفزة واحدة فإذا به قد وصل إلى رقبة رفيقه الآخر، وإذا بـ "ثقل الأرض" يلتصق بالدب وقذفه في الأرض فصار

أشلاء كفتافيت الخبز الصغيرة.

وبسبب هذا لم يرد الأمير أن يعيش مع الساحرة تحت سقف بيت واحد، حتى وإن كانت أم زوجته. وانطلق الأمير صوب بيت أمه، وفي الجبال الشاهقة أعاد الكلاب لأصحابها وشكرها على مساعدتها له. ثم انطلقا إلى أن وصلا بسلام إلى المملكة الأرملة، فقبلتهما كثيرا وكثيرا وأقاموا عرسا كبيرا، وربما ما زال الرقص والحفل الموسيقي الساهر مستمرًا حتى الآن.

الرجل ذو الرأس الوردة

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، في بلاد ما وراء البحار، كان هناك ملك، وكان لهذا الملك حمّام يستحم فيه كل صباح. ذات مرة ذهب للاستحمام كعادته فوجد أن المياه الموجودة في الحمام ضئيلة، بل وفي صباح اليوم التالي عندما ذهب للاستحمام لم يجد هناك ماء على الإطلاق، ولم يستطع الاستحمام، واعتقد أن خُدّامه غافلون ولم يملؤوا الحمام بالمياه، فاجتمع بهم، ولكن الخدام كانت لديهم الأدلة التي تفيد بأنهم ملؤوا الحوض بالمياه في المساء.

ومن ثم أمر الملك: بأن يقوم أحد الجنود بحراسة حمام المياه طوال الليل.

وكان كل هذا بلا جدوى، فدائما كان في الليل من يقوم باستهلاك مياه الحمام. وفكّر الملك في حيلة آخرٍ: أفرغ كل المياه الموجودة بالحمام، ثم ملأه بالبالينكا حتى فاض، وليجلس بالحمام أحد بعد ذلك وسنرى! وفي صباح اليوم التالي عثر الخدم هناك على جنٍ صنديدٍ جميلٍ رائعٍ نائم بالفعل، وكان جميلًا لا مثيل له في العالم كله، فقد كان كله عبارة عن ورود، حتى على رأسه فبدلا من خصلات الشعر كانت هناك بعض الورود التي تضفي عليه زينة وجمالًا.

وبصياح شديد أخبر الخدم الملك ولم يكن قد استيقظ بعد من نومه:

ـ أمسكنا بمبذر المياه! بالرجل ذي الرأس الوردة!

وجرى الملك وفي إحدى قدميه حذاء والأخرى حافية كي يرى هذه المعجزة، وكانوا بالفعل قد ألقوا القبض على الرجل ذي الرأس الوردة، فسأله الملك:

ـ من أنت؟

أجاب الرجل ذو الرأس الوردة:

ـ أنا ملك الجن!

جن أو ليس بجنٍ لا يهمني هذا الأمر! أودعوه في السجن، لأنه نظير جُرمِهِ هذا فسوف يُحاكم من قبل قادةِ الدولةِ، ومن ملوكِ الدولِ المجاورةِ أيضًا.

وكان لهذا الملك طفل عمره عشر سنوات، وقد رأى الرجل ذا الرأس الوردة حينما وضعوه في سرداب السجن، وقد حام حوله كي يتمكن من رؤيته جيدًا، وعبر نافذة شبكية حديدية تبادل أطراف الحديث مع الملكِ الجن.

ـ ياه! يا لك من جميل، أيها العم! أود أن أراك بصورة أفضل.

أجاب ملك الجن:

ـ يمكنك أن تراني بسهولة، فقط أطلق سراحي، اصعد إلى الغرفة، واحضر مفتاح السجن، وسوف أعطيك قبعتي الوردية الجميلة هذه.

لأن ملابسه وقبعته وحذاءه كانت من الورد.

صعد الطفل إلى القصر ليبحث عن المفاتيح، وقد كان الجميع مشغولين لدرجة أنه لا أحد سأله ما مراده من المجيء إلى هنا. بحث الولد في كل مكان عن المفاتيح: وأخيرًا وجد على سقف الدولاب لفة مربوط بها الكثير من المفاتيح، أوقعها بعصا من البوص، وما أن اقترب من باب السجن حتى فتحه بالمفتاح، وقد شكر ملك الجن معروف الفتى الصغير له، وقد جعل الولد يرى طبيعته كاملةً، ثم إنه بعد أن استدرك نفسه، كان الملك الجن قد اختفى، وقد ظلت عصا البوص بين شبكة باب السجن.

وعما قليل سوف يتم سؤال كبار مستشاري الدولة وملوك الدول المجاورة في كيفية الحكم على الرجل الوردة جرَّاء أنه قام بالاستحمام خِفية في مياه الغير، وهم يسيرون متجهين إلى السجن فرحين بنشوةِ النصرِ، إذ بهم يجدوه فارغًا، ولكن بين الشبكة كانت عصا الفتى محشورة.

تعرَّف الملك على العصا، ومن ثم فقد أيقن أن الذي قام بتهريب الرجل ذي الرأس الوردة ليس أحدًا آخر سوى ابنه.. نعم ابنه من دمه ولحمه! واغتاظ بشدة، فأمر سائق العربة في الحال أن يذهب ويأخذ الأمير بعيدًا إلى دولةٍ أجنبيةٍ إلى أبيهِ في العمادة، لأنه لو بقى هنا لن يستطيع تحمل ما سيحدث له.

ومن أجل ذلك أعطى لابنه مالًا كافيًا، وكذلك أعطى له مرافقًا أيضًا.

امتطى السائق عربة يجرها أربعة من الخيلِ، وتذودوا ببعض المأكولاتِ القليلةِ، وانطلقوا إلى البلد الأجنبي. قطعوا مسافة كبيرة، وابتعدوا عن بلد الملك أبي الطفل. بالإضافة إلى المرافق فقد أخذ الطفل خادما مراوغا. وقد أخذت تراود هذا الخادم أفكارًا شريرةً، فدار في خلده ماذا لو أن يصبح هو الأمير بمعني آخر أن يقتل الولد ابن الملك، ويقول عن نفسه أنه هو الأمير الذي ينتظرونه في البلد الأجنبي.

وعلى ذلك صاح في سائق العربة قائلًا:

ـ قف هنا!

توقف سائق العربة، ودعاه الخادم إلى جانب الطريق، وقال له ماذا ترى:

ـ لو أننا قتلنا الأمير؟ وأنا أصبح الأمير، وأُعينك خادمًا لي، وبالنسبةِ للمالِ الذي لدى الأمير فلنتقاسمه!

فكر سائق العربةِ قليلًا وقال:

ـ من المؤكد أنها ليست بفكرةٍ سيئةٍ.

قد سمع الأمير ما دار، وشرع في البكاء بشدة، وعرض عليهما أن يعطيهما ثلاثمائة قطعة نقود ذهبية مقابل ألا يُزهقوا روحه.

حسنًا، فقد رأفوا بحاله، ولكن بعد مواصلة السير، وبعد مرور بعض من الوقتِ سأل الخادم ثانيةً:

ـ لنقتل الأمير!

سمع الأمير الحديث الدائر بينهما مرة أخرى، ومرة أخرى توسل إليهما، كي يعفيا عن حياته البريئة، وقد وعدهما الآن بستمائة قطعة نقود ذهبية.

اتفقوا وواصلوا الرحلة.

ولكن بمجرد الوصول إلى أحد الأنهار المائية الكبيرة، فقد خرج الخادم ثانيةً بأن: لا يعتقوا الأمير، وإنما يلقوا به في هذه المياه.

رأى الأمير الآن ماذا يريد الخادم، ولماذا يريد قتله، فَأَخَذَ في التوسل إلى الخادمِ بأن يبدِّلوا مصائرهم: بحيث يصبح الخادم أميرًا، ويصبح سائق العربة خادمًا، ويصبح هو[1] سائق العربة، فقط فليعتقوا رأسه المسكينة.

وافق الخادم، وحلَّفَ الأمير على ألا يقول عن أمر هذا التبديل لأي مخلوق في هذا الكون، وقد قاموا بتنفيذ هذا التبادل، فقد أخلعوا الأمير ملابسه الجميلة، وارتدى الخادم ملابس الأمير، وأعطى ملابسه إلى سائق العربة، وقد حصل الأمير على ملابس سائق العربة.

واصلوا السير، ولم يكونوا قد وصلوا بعد إلى المدينة البعيدة حيث قصر الملك هناك، وكما اتفقوا، فالخادم قدَّم نفسه على أنه الأمير، وسائق العربة زعم أنه الخادم، أما الأمير الحقيقي فقد أرسلوه إلى الإسطبل بصفته سائقًا للعربة.

---

(١) الأمير ابن الملك.

وعلى شرف ابنهِ في العهادة كما هو معروف فقد أقام الملك العجوز وليمةً كبيرةً، واستقبل أرباب الموسيقى، وأكلوا وشربوا وتمتعوا وخطّط للتنزه والتمتع كل يوم.

وهكذا مرَّ الوقت، وقد تعامل الملك العجوز بأدبٍ جمٍ مع قريبه الشاب، أو مع ذلك الذي اعتقد أنه هو ـ مع الخادم ـ وهو بدوره استمتع بهذا الأمر.

وخلال ذلك فإن الأمير بصفته سائقًا للعربة، قد كان ينجز المهام المنوط به القيام بها في الإسطبل على أكمل وجه. وكان كل مساء، عندما ينهي عمله بالإسطبل، يُخرج الناي، ويبدأ في عزف بعض المقطوعات بإتقانٍ لدرجة أن من بالقصر جميعًا بمن فيهم الملك العجوز أيضًا تساءل عن هذا الذي يعزف بهذا الجمال وهذه العذوبة على الناي، وأراد أن يتعرَّف عليه، ولكن الخادم المرتدي ذي الأمير رد بازدراء هكذا:

ـ آه، إنه مجرد متشرد، وكاذب كبير! نشعر بالخزي والعار لأنه أتى معنا.

بعد ذلك خرج إلى الإسطبل، وأمر الأمير أن يلتزم الصمت ولا يعزف على الناي طالما أن وراءه ما يشتغل به.

واستمع الأمير إلى الكلام، ولم يعد يعزف على الناي، ولكن الملك العجوز تذكر ذلك العزف، فقد كان لصوت الناي وقع طيب في نفس الملك العجوز! وفي أحد الأيام سأل مرة أخرى:

ـ من هذا الذي كان يعزف على الناي؟ لأنه لم يأت إليَّ كي أراه.

ـ اتركه وشأنه، جلالة الملك ـ يقول الخادم، لقد ذكرت سلفًا أن هذا ما هو إلا كاذب كبير، ومتطلِّب ومخادع، هل تعلم ماذا كذب هذا اليوم؟ لقد ادَّعى بأنه أفضل مكانةً لدى الملك لأنه يستطيع أن يُحضر العجل الذهبي ذا الحبل الذهبي في عنقهِ، لكن إن لم يحضره، فقد اتفق على أن يتم تعليقه على أول شجرة!

غَضبَ الملك العجوز من سائقِ العربةِ الكاذبِ الكبيرِ المتباهِي بنفسهِ، وقام باستدعائه في التو غاضبًا عليه وقال:

ـ حسنًا، أنت أيها المغرور والكاذب إذًا! أذهب الآن وحقق وعدك، أحضر العجل الذهبي، وإلا فالقتل مصيرك لا محالة!

حزن الأمير على حاله كثيرا، ولكن ما الذي كان بوسعه أن يفعله، انطلق إلى أنحاء البلاد بحثًا عن العجل الذهبي. حيثما توجه، كان يشعر بالأسى الشديد، إلى أن وصل إلى النهرِ الكبيرِ

الذي أراد الخادم وسائق العربة أن يُلقياه فيه، وقد فكر الأمير الحقيقي في قرارة نفسه فيما تهمه الحياة، فليرمي نفسه بنفسه في هذا النهر لتنتهي معاناته في هذه الحياة.

وعندما همَّ بإلقاء نفسه، في تلك اللحظة سمع شخصا يقول له:

ـ ماذا تفعل، هل أنت تعيسُ الحظ؟

ينظر هناك، إنه رجل جميل جدًّا وذو طبيعةٍ خاصةٍ.

لقد اشتكى له كيف أصبح تعيس الحظ بسبب ملك الجن، فإذا بالرجل يقول له:

ـ ألا تعرفني؟ إنه أنا ملك الجن، الرجل ذو الرأس الوردة، الذي تتحدث عنه! لا تحزن ولو لقيد أنملةٍ، ولكن قل ما هي مشكلتك فحسب.

ومن ثم فقد قصَّ الأمير عليه لماذا يجب عليه أن يجوب العالم، فأين يجد هو عجلًا ذهبيًّا؟ ولكن ملك الجن لم يخف أبدًا، وإنما أمسك بالفتى من ظهره، ووجَّهه إلى الطريق، وشرح له بأن يذهب فقط في الطريق المستقيم أولًا، إلى أن يصل إلى القصر، وعلى بوابة القصر سوف يجد العجل الذهبي المعقود بالحبل الذهبي.

وقد كان، فقد وجد الفتى العجل الذهبي المعقود بالحبل الذهبي، ثم فكَّه بكل سلاسة واتجه للخلف وهو يقود العجل الذهبي المعقود بالحبل الذهبي إلى ساحة الملك، وقد أحضره مباشرةً إلى أمام جلالته:

ـ ها هو ذا هنا، جلالة الملك!

ـ شكرًا يا بني، سوف أرسل لك مرة فيما بعد، كي أحتفي بك ضيافةً ولنتسامر سويًّا.

وانتظر الفتى الرسالة، ولكن الخادم السابق لم يعطه فرصةً.

ففي إحدى الأمسيات، وبعد تعبٍ مُضنٍ أمسك الأمير ـ سائق العربة ـ بالناي مرةً أخرى وأخذ يعزف عليه، ومرة أخرى أرسل الملك الخادم كي يحضر هذا الشاب إلى داخل القصر ليعزف على الناي أمامه. وهنا نزل الخادم إلى الإسطبل، وقاطع الأمير الحقيقي، وأمره بأن يسكت فاه، ولا يعزف على الناي مرة ثانية، طالما أن وراءه ما يشتغل به.

رجع الخادم إلى الملك وقال له:

ـ جلالة الملك، إن هذا الكاذب لا يريد أن يأتي إلى جلالتك! وقد زَعَمَ بأن إحضاره العجل

الذهبي بمثابة لا شيء بالنسبة له، لأنه يستطيع إحضار أم العجل[1] أيضًا، أقصد البقرة الذهبية!

قام الملك العجوز مرة أخرى باستدعاء الأمير، وأمره بأن ينطلق في الحال ويحضر له أم العجل الذهبي... البقرة الذهبية.

وهنا شعر الأمير بمزيدٍ من الأسى والحزن على حالهِ، فكان ينبغي عليه أن ينطلق، وبالفعل انطلق إلى أن وصل مرةً أخرى إلى النهر ذاته، وفي هذا التوقيت أيضًا كان هناك الرجل ذو الرأس الوردة، فقال للولد:

لا تحزن لأنني قد أعددت لك كل شيء، فقط اسلك هذا الطريق، وستجد البقرة الذهبية مربوطة هناك حيث وجدت العجل الذهبي عند بوابة القصر.

وهكذا فالأمير هذه المرة أيضا قد حصل على مراده، والآن أحضر البقرة الذهبية أيضًا إلى الملك.

ها هو ذا هنا، يا جلالة الملك!

- شكرًا يا بني، سوف أرسل لك فيما بعد، كي أحتفي بك في ضيافتي ونتسامر.

وانتظر الفتى الرسالة. ولكن الخادم السابق لم يعطه فرصةً.

في مساء أحد الأيام، وبعد تعب شديد طوال النهار أخذ يعزف على الناي، ونزل له مرة أخرى الخادم مُسكتًا فاه لأنه الآن كيف تجرأ على العزفِ ثانية. وبهذا رجع إلى الملك ليقول له:

- ياه! هذا المتفاخر بنفسه، هذا الكاذب تصوَّر بماذا يدعي هذه المرة، لقد قال أنه يستطيع أن يحضر السلحفاة الذهبية أيضًا.

قام الملك العجوز باستدعاء الأمير مرة أخرى، ووجهه بأن ينطلق في الحالِ ويُحضر له السلحفاة الذهبية.

انطلق الأمير هذه المرة بأسي شديد، وعندما وصل إلى النهر، وجد هناك الرجل ذا الرأس الوردة كعادته، وقد اشتكى له إلام وصلت الأمور، فقال له.

- لا تضع في بالك، ولا تحزن أبدًا. لقد أنقذتني، لذا فإني أيضًا سأنقذك.

أوصل الفتى إلى قصره الملكي الأصلي الخاص، وألبسه رداء الأمير الجميل، وأعطى له

---

(١) العِجْلُ: ولَدُ البَقَرَة والجمع: عُجُولٌ. قال تعالى: "فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ".

حمامتين، الحمامة الأولى نزلت على كتف الأمير، والأخرى طارت على الكتف الآخر، وبعد ذلك لقَّن ملك الجن الولد بأن يذهب مباشرةً إلى قصر الملك "أبيه في العمادة"، وكان في ذلك الحين احتفالية ضيافة، فليدخل إلى وسط جمع الضيوف وعندما تبدأ الموسيقى، يقول بصوت عالٍ قوي:

ـ ليستمع إليَّ الجميع، لأن ما سوف تقوله هاتان الحمامتان هو الحقيقة بعينها!

وهكذا فعل الأمير، وما أن وصل حتى ربط السلحفاة الذهبية عند بوابة القصر، أما هو فقد صعد مباشرةً إلى قاعة القصر الكبيرة. في الواقع كان هناك لهو ومرح جمٍ، ودخل الأمير ببسالةٍ، وعندما سمع الموسيقى طلب الانتباه إليه لأن شيئًا باهِرًا في طريقه للحدوث. هو نفسه وقف فقط، وهو نفسه انتظر المعجزة.

وقد بدأت الحمامتان في التحدث، وقد روتا قصة حياة الأمير كلها.

بادئتين من نقطة كيف أنه أنقذ الرجل ذا الرأس الوردة، وكيف أنه اختفى، وكيف هدده الخادم وسائق العربة، وكم مرة أرادا قتله، وكيف اتفق هو معهم في النهاية على تبديل مصائرهم، وعندما سمع الخادم وسائق العربة ذلك أرادا لو أن الأرض تنشق وتبلعهما، لكن الوقت كان قد فات، لقد أمر الملك بالقبض عليهم وإيداعهم في السجن.

وعانق الأمير وقبَّلَهُ وبعد ذلك زوجه من ابنته.

أقاموا عُرسًا كبيرًا.

ـ أنا أيضًا كنت هناك، وقطعت الشجرة بالمعزقة، وحملت الماء في الغُربال، وجريت كثيرًا في النار، ومشيت بقدمي على القوالح المشتعلة، حتى إنها إلى الآن تؤلمني!

الصياد العجوز وزوجته الطماعة

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، في بلاد العجائب السبع، كان هناك صياد عجوز لديه زوجة طماعة.

ذات مرة ذهب هذا الصياد العجوز إلى البحر ليصطاد، وبسرعة التقط سمكة كارب[1] خلابة وجميلة وكبيرة.. كانت معجزة المعجزات بحق، وفجأة قالت له السمكة:

ـ أيها الصياد الفقير، اتركني وشأني! وسوف أكافئك بألا تكون لديك مشكلة في حياتك أبدًا. ستتحقق كل أمنياتك.

بعد هذا التوسل الشديد أطلق الصياد الفقير سراح سمكة الكارب ثانية في البحر، ثم عاد إلى المنزل، فسألته زوجته:

ـ حسنًا، ماذا اصطدت؟ هل أحضرت شيئا؟

ـ أمسكت سمكة كارب جميلة جدًّا.

ـ حسنًا ولِمَ لم تحضرها إلى البيت؟

ـ لقد توسلت إلى تلك المسكينة، فأطلقت سراحها، وستحقق لنا كل أمانينا.

ـ إذًا انهض إليها ثانية، وقل لها أنني أرغب في منزلٍ جميلٍ للغاية.

فقد كانا يسكنان في كوخ على شاطئ البحر.

عاد الرجل الصياد إلى شاطئ البحر ثانية، ووقف هناك على طرف المياه، وقال بصوت عالٍ:

ـ هل تسمعيني يا سمكة الكارب! زوجتي تتمنى أن يكون لنا منزل جميل صغير على شاطئ البحر!

وبعد قليل ظهرت الكارب، وقالت:

ـ ارجع مرة أخرى إلى البيت أيها الرجل الطيب! وسيكون الأمر، كما تمنت!

---

(١) الكارب: سمك المبروك العادي أو الكارب العادي سمك واسع الانتشار في أوروبا وآسيا. نشأ في أوروبا وآسيا ومنها نقله الإنسان لكافة أرجاء العالم للتربية وإنتاج اللحم للغذاء البشري، حيث تتميز السلالات المنتجة منه بالنمو السريع والتحويل الكبير للعلف. أقصى عمر شوهد كان ٤٧ عامًا.

وكان الأمر كذلك، فبمجرد أن عاد إلى المنزل، وجد منزلًا جميلًا خلابًا لهم. وكانت زوجته هناك في المطبخ تطوف وتجول. وقد كانت سعيدة للغاية لفترة من الزمن، لكن فجأة قالت له زوجته ثانية:

ـ اسمع، ارجع إلى تلك الكارب، وقل لها إنني قد سئمت هذا المنزل، ولتعطني قلعة، وأن نصبح من النبلاء!

وفي ثوانٍ معدودة ذهب الرجل إلى طرف البحر، وقال بصوت عالٍ:

ـ اسمعي أيتها الكارب! المشكلة الآن أن زوجتي دائما تتشاجر معي!

بعد انقضاء القليل من الوقت، إذ بالسمكة تظهر، وتسأل:

ـ حسنًا ماذا تريد زوجتك؟

ـ إنها تريد قلعة، وأن نصبح من النبلاء!

ـ انهض ثانية إلى البيت! وسيكون الأمر، كما تمنت!

بالفعل كان الأمر هكذا عندما عاد إلى البيت، فقد رأى قلعة خلابة جميلة، وزوجته كما النبلاء تتنقل من غرفة إلى أخرى فحسب.

ـ هل أصبحت راضية الآن؟

كانت زوجته سعيدة للغاية.

في صباح اليوم التالي، وكانا قد استيقظا بالكاد، فقالت له الزوجة الطماعة:

ـ اسمع، انهض إلى تلك الكارب، وقل لها أنني أريد أن أصبح ملكة، وأسكن في قلعة!

ذهب الرجل الصياد المسكين حزينًا مرة ثانية إلى شاطئ البحر، فما بيد الحيلة. قال بصوت عالٍ:

ـ اسمعي أيتها السمكة الكارب! الوضع الآن أن زوجتي تريد أكثر من ذلك!

بعد مرور وقت قليل، إذ بالكارب تأتي، وتسأله:

ـ حسنًا ماذا تريد زوجتك هذه المرة؟

ـ إنها تريد أن تصبح ملكة، وأن تسكن في قصر!

ـ عد إلى البيت! ولك ما تمنيت!

بالفعل نال ما تمنى عندما عاد إلى البيت، ولم يستطع حتى الاندهاش: قصر رائع، الكثير من جنود الحراسة. وكلهم كانوا في وضع الانتباه أمام الصياد الفقير عندما مر أمامهم، وفي نهاية المطاف دخل إلى السلالم الطويلة عبر العديد من الغرف ويسأل زوجته:

ـ حسنًا يا زوجتي، هل أنتِ راضية بنصيبك الآن؟

ـ نعم... بالتأكيد... أنا فرحة جدًّا.

وبالكاد كان قد بزغ فجر اليوم التالي، وإذ بها تقول:

ـ اسمع، عدْ إلى الكارب، وقل لها إنني أريد أن أصير إمبراطورة، وأريد قصورًا وقلاعًا لا نظير لها في العالم بأسره!

حاول الرجل أن يتماسك هذه المرة ويشد من أزره كي يذهب مرة أخرى إلى شاطئ البحر. وبالفعل ذهب إلى السمكة، وقال بصوت عالٍ:

ـ اسمعي أيتها السمكة الكارب! الموضوع الآن أن زوجتي تريد أكثر من ذلك كعادتها!

أصبح ماء البحر عكرًا، وأصبح يعج بالأمواج، وبعد وقت طويل ظهرت سمكة الكارب غاضبةً:

ـ حسنًا ماذا تريد زوجتك الآن؟

ـ إنها تريد الآن أن تصير إمبراطورة، وتريد قصورا وقلاعا لا نظير لها في العالم برمته!

ـ مع أنها لم تعمل من أجل ذلك ولا تستحقه، لكن عدْ ثانية إلى البيت! ولك ما تمنيت!

عاد الرجل المسكين إلى المنزل، ومن شدة الانبهار بالكاد تمكن من استعادة نفسه وعقله، فقد كانت قصورا وقلاعا مضيئة وحاشية في كل مكان، ويسأل زوجته:

ـ الآن ليس لك إلا أن تكون راضية، لأنني لن أذهب مرة أخرى إلى الكارب!

ـ نعم... بالتأكيد... أنا فرحة جدًّا.

ارتسمت علامة الفرحة والسعادة الغامرة على السيدة، ومع ذلك وبمجرد أن استيقظت في اليوم التالي إذ بها تقول لزوجها:

ـ اسمع، عدْ إلى تلك الكارب، وقل لها إنني أريد أن أصير سيدة العالم! ينحني لي الجميع، وأن ينحنوا أمام أقدامي، وأن تكون إمبراطوريتي تمتد من بداية العالم حتى نهايته!

لم يكن اعتراض الصياد المسكين مجديًا أمام إصرار زوجته. فقط كان يجب عليه الذهاب هذه المرة أيضًا.

قال بصوتٍ حزينٍ:

ـ اسمعي أيتها السمكة الكارب! الموضوع الآن أن زوجتي تريد أكثر وأكثر مما طلبت من قبل!

كان عليه الوقوف فترة طويلة هناك، كان البحر غاضبا، يقذف بالرغاوي، ويعج بالأمواج بشكل لم يحدث من ذي قبل. أصبح ماء البحر عكرا في كل مكان، وبعد وقتٍ طويلٍ جدًّا ظهرت السمكة الكارب:

ـ حسنًا ماذا تريد زوجتك الآن؟

ـ إنها تود أن تصير إمبراطورة العالم، وأن ينحني الناس جميعًا أمام أقدامها في العالم بأسره!

ـ حسنًا، إذا كانت زوجتك تعتقد أنه يمكن أن تعيش وتتحكم في الآخرين بلا عمل ولا جهد، فلتعودا صيادين مرة ثانية! انهض عائدًا إلى المنزل ثانية، وستجدها في كوخكما القديم!

وقد كان! فقد وجد الصياد الفقير كوخ الصياد الصغير الذي كان يعيش فيه، وفيه زوجته. ومنذ ذلك الحين اتعظت الزوجة وتعلمت الدرس وأصبحت سيدة مجتهدة وماهرة، وربما لا يزالان على قيد الحياة، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"جيزي" المنتصر

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان وفي مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبعة، كان هناك بحر كبير. في هذا البحر الكبير سمكة كبيرة مكتوب على أسنانها هذه الحكاية:

كان هناك ملك في هذا العالم لديه ثلاثة من الأبناء أكبرهم اسمه "زولتان"، والأوسط يدعي "أرباد"، والأصغر "جيزي". سئم الملك العجوز حكم البلاد وحمل التاج الملكي على رأسه ففكر في تسليم مملكته لابنه الأكبر "زولتان"، إلا أن "زولتان" لم يقبل بهذا وطلب تقسيم البلد إلى ثلاثة أجزاء كي يصير أخواه ملكين مثله.

لم يوافق كبار رجال الدولة على هذا الأمر وتمت دعوة البرلمان للانعقاد ليقرر هذه المسألة المصيرية، إلا أن الأعضاء لم يستطيعوا اتخاذ قرار في هذا الشأن، وكان من بينهم سيد عجوز فقام وقال:

ـ أقترح عليكم بأن ينطلق الأمراء الثلاثة في هذا العالم ومن يحضر إلى بلدنا أثمن شيء فسيتولى حكم البلاد.

وافق الأمراء الثلاثة على هذا الاقتراح وانطلقوا في مهمة البحث هذه في اليوم نفسه.

أمسى عليهم المساء وهم في الغابة فقال "زولتان":

ـ لننم هنا يا أولادا ـ وبالفعل قطعوا شجرة وصنعوا من أغصانها سريرًا ينامون عليه.

وما أن قطعوا الأغصان إذ هبت ريح عاتية اجتثت شجرة زيزفون(١) عفية، فحفروا فتحة في الأرض وأعادوا زراعتها وتثبيتها من جديد، وحملوا الماء في قبعاتهم ليرووا به هذه الشجرة، ثم استراحوا لأنهم كانوا في غاية التعب، وراحوا في النوم بسرعة.

قرب منتصف الليل أحاط بهم نور متوهج فارتعدت مفاصلهم، لكنهم سمعوا صوتا يقول:

ـ لا تخافوا مني فأنا ناسك(٢) هذه الغابة، وبما أنكم قد أنقذتم شجرة زيزفون من الهلاك، فتعالوا إلى في بيتي واستريحوا حتى الصباح.

---

(١) زيزفون: شَجَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الزَّيْزَفونِيَّاتِ، لَهُ زَهْرٌ أَبيَضُ صَغيرٌ ذُو رائِحَةٍ طَيِّبَةٍ عَطِرَةٍ، بَرِّيٌّ وَزِراعِيٌّ، يَكْثُرُ حَوْلَ البَساتِينِ والحَدائِقِ، يُتَداوَى بِهِ.

(٢) ناسك: نَسُكَ الرَّجُلُ صار ناسكًا؛ أي: زاهِدًا مُتَعَبِّدًا، نَسُكَ الرَّاهِبُ.

اصطحبهم الناسك العجوز فكان لديه قصر مكون من ثلاثة طوابق في الغابة فأعطى لكل واحد منهم غرفة بها سرير، فخلد الأمراء إلى النوم بكل ارتياح.

لما أن استيقظوا في الصباح كانت الشمس ساطعة في السماء، فتلفتوا حولهم فلاحظوا وجود صورة على الجدار بها ثلاث من الفتيات. لم يستطع الأمراء الثلاثة إنزال أعينهم من على الصورة من شدة جمال وجوه الفتيات وكانت أحدهن ذات رداء ذهبي والأخرى ذات رداء فضي، أما الثالثة فكانت ذات رداء رصاصي. أعجب "زولتان" بالفتاة ذات الرداء الذهبي، و"أرباد" بذات الرداء الفضي، و"جيزي" بذات الرداء الرصاصي، وقالوا أينما تكون هذه الفتيات سيبحثون عنهن ليجدهن، وبالفعل أرادوا أن ينطلقوا بحثًا عنهن، إلا أن "جيزي" أوقفهم قائلًا:

ـ لننتظر رب البيت أولا لعله يرشدنا إلى الطريق الصحيح، فربما تكون هذه الفتيات الثلاث قريباته، ياأخواي.

عاد ناسك الغابة قرابة الساعة العاشرة فرأى كيف يحدق الأمراء الثلاثة بالصورة، فلقد كانوا مسلطين أعينهم على الصورة لدرجة أنهم لم يلحظوا عودة العجوز، فقال لهم الناسك:

ـ بِمَ تحدقون، أيها الأولاد؟ لن تستطيعوا الوصول إليهن أبدًا! فلا إنس ولا جن يستطيع الاقتراب من مكان هذه الفتيات.

فأجاب الأمراء قائلين:

ـ دلنا على الطريق الصحيح فحسب! سنبحث عنهن وإن كلفنا الأمر حياتنا!

فرد العجوز:

ـ حسنًا، سأرشدكم على الطريق، لكنني أعلم أنكم لن تعودوا ثانية.

قالوا له ألا يعبأ بالأمر مهما حدث، فهم سيذهبون إلى الفتيات الثلاث مهما كلف الأمر.

ـ أرى أنكم أصبحتم مولعين بهن للغاية. ليأتي معي أولًا أكبركم: "زولتان"، وقال له:

ـ اسمعني يا بني، ستسلك اتجاه غروب الشمس، ولما أن تغرب الشمس ستكون قد وصلت إلى جدول مائي، أعبره حتى النهاية واستمر في السير إلى أن تصل إلى جسر؛ إذا وصلت إلى هناك فمد يدك وخذ بعض الحصى من الماء وافرك بها يدك وضع ثلاث قطرات من دمائك في الماء وقل "لينفتح الطريق أمامي إلى الفتاة ذات الرداء الذهبي". سيفتح الطريق أمامك ثم اصعد السلالم الذهبية، ولما أن تصعد إلى هناك ستجد بابا ذهبيًا وبابًا خشبيًا. ادخل أولا من الباب الخشبي وستجد زجاجة ذهبية خذها معك ثم ادخل عبر الباب الذهبي، وبعد ذلك رش

الزجاجة الذهبية على الجنية الموجودة هناك وعندئذٍ ستكون لك مملكة الجن. هل فهمت ما قلت؟

فقال الأمير إنه قد فهم ووعى ما قاله العجوز.

ـ إذن اذهب وليحالفك الحظ والتوفيق!

انطلق "زولتان" ولما أن غربت الشمس كان قد وصل فعلا إلى الجدول المائي فعبر إلى نهاية الشاطئ الآخر وواصل السير إلى أن وصل إلى الجسر فقال:

ـ "لينفتح الطريق أمامي إلى الفتاة ذات الرداء الذهبي"!

بالتأكيد لم ينفتح الطريق أمامه فتذكر أنه يجب عليه فرك يده بالحصى ويضع ثلاثًا من قطرات دمه في الماء، فانحنى في الحال وأخذ بعض الحصى من الماء وفرك به يده وألقي بثلاث قطرات من الدم في الماء، ثم قال مرة أخرى:

ـ "لينفتح الطريق أمامي إلى الفتاة ذات الرداء الذهبي"!

انفتح الطريق وصعد السلالم، إلا أنه لم ينتبه للباب الخشبي فدخل مباشرة عبر الباب الذهبي، ولما أن دخل كانت الجنية تجلس على الكرسي الملكي على العرش الذهبي فقالت له:

ـ يالك من أمير جميل. لقد سعدت لأنك أنقذتني من العبودية! اقترب واجلس على عرشي الملكي!

أسرع "زولتان" ولم يتمهل ليفعل ما قالته له، فأشارت الفتاة إلى صوجانها الذهبي، فحولت الأمير إلى عمود من الذهب في الحال.

وبالتالي لم يعد "زولتان".

كان الناسك العجوز ينتظره كل يوم، لكنه لم يأت، ولم يهدأ أخواه، وأرادا أن يذهبا هما الآخرين، لكن العجوز لم يسمح لهما بذلك، وقال لهما:

ـ لا تذهبا، فقد تاه أخوكما هناك... وستفقدان أنتما أيضًا!

لم يستطع "أرباد" الصبر وقال إنه سيذهب مهما كلفه الأمر، ومهما حدث. فقال له العجوز.

ـ بما أن تشوقك ورغبتك وصلت إلى هذا الحد، تعال وسأدلك على الطريق الصحيح، لكن تذكر أنني قلت لك أن تكون حذرا وحريصا للغاية!

ولما أن خرج من البيت قال له العجوز في الخارج:

ـ ستسلك اتجاه شروق الشمس مباشرة، ولما أن يأتي وقت منتصف النهار ستكون قد وصلت إلى تل كبير، حيث توجد هناك شجرة زان[1]؛ وستكون شجرة الزان هذه متكئة على صولجان نحاسي. اضرب الأرض بهذا الصولجان فستنشق فانزل فيها عندئذٍ ستجد كوخا من الفضة وشجرة فضية؛ على الشجرة الفضية قفص فضي به عصفور فضي يغرد. أولا أخرج الطائر الفضي وخذه معك وادخل عبر الباب الفضي، وهناك ستجد الفتاة ذات الرداء الفضي تجلس على الكرسي الملكي، لكن خذ ريشة من الطائر الفضي أولا وارمها على الجنية وستكون لك مملكة الجن. هل فهمت ما قلت، يا بني؟

ـ نعم فهمت.

ـ إذن اذهب على بركة الله وليحالفك الحظ والتوفيق! كن حذرا كي لا تلقى مصير أخيك الأكبر نفسه!

انطلق الأمير وبالفعل كان قد وصل إلى ذلك التل الكبير بحلول منتصف النهار، ووجد هناك الصولجان الفضي فقذف به الأرض فانشقت فنزل فيها فلاحظ أنه أمام الكوخ الفضي، لكنه لم ينتبه لوجود الشجرة الفضية فدخل في الكوخ الفضي ورأى هناك الجنية فقالت له في الحال:

ـ يالك من أمير جميل. لقد سررت لأنك أنقذتني من العبودية! اقترب مني واحضني!

جن جنون الأمير فهرول إلى الفتاة بلا أي تفكير فلمسته بصولجانها الفضي فتحول إلى عمود من الفضة. وعلى هذا لم يعد الأمير الثاني هو الآخر.

عدَّ العجوز الأيام فمر أسبوع ولم يعد أي من الأميرين.

لم يتحمل "جيزي" أكثر من هذا الوقت فتوسل للعجوز كي يدله على الطريق، فقال له العجوز:

ـ لا تذهب يا بني، فقد فُقد كلا أخويك، وأنت أيضًا ربما تنال المصير نفسه!

فأجاب الفتى:

---

(١) الزَّانُ نوع من الشجر العظيم الطويل، المستقيم الجذع الأملس اللُّحاء، ينبت في أوروبا وآسيا، وقد يبلغ ارتفاعه أربعين مترًا، ويُتخذ منه الأثاث ونحوه.

ـ إذن لماذا أطلقوا على اسم "منتصر"(١) إذا لم أنتصر!

فقال العجوز:

ـ حسنًا يا بني! سوف أسمح لك أنت أيضًا بالذهاب، لكن كن أكثر حرصا من أخويك. انطلق في اتجاه الشمال واتبع جانب الطريق المطحلب(٢) المليء بالأشجار الخضراء، ولما أن تستيقظ في الصباح ستصل إلى حفرة عميقة بها كوخ فولاذي وكوخ من القش. ادخل أولا في كوخ القش ستجد هناك سيفًا فولاذيًا خذه وادخل به عبر الباب الفولاذي واكسر السيف الموجود في يد الجنية وستكون لك سلطة الجن. هل فهمت؟

أشار الولد بأنه فهم ووعي ما قيل.

ـ انطلق وليحالفك الحظ والتوفيق!

انطلق "جيزي" ولما أن أشرقت الشمس كان قد وصل إلى الحفرة العميقة، فلاحظ في الحال وجود الكوخ المبني من القش والكوخ الفولاذي الآخر، فدخل أولا في الكوخ المصنوع من القش وأخذ السيف الفولاذي ثم دخل في الكهف الفولاذي فوجد هناك جنية بيدها سيف وتجلس على الكرسي الملكي، فقالت له الفتاة:

ـ يا لك من أمير جميل. لقد سعدت لأنك أنقذتني من العبودية! اقترب وقبلني!

فأجاب "جيزي":

ـ دعيني أولًا أرى هذا السيف!

عندئذٍ رفعت الفتاة الملكية السيف في يدها فضربه "جيزي" ضربة كسرته نصفين فاختفي كل شيء حولها وإذ بهما يقفان على مرج أخضر مسطح، فقبلا بعضهما البعض ووعدا بعضهما على الإخلاص والوفاء طيلة حياتهما، ثم سأل "جيزي" عن أخويه، وكانت الفتاة تعلم أين هما فقالت له:

ـ سنذهب ونحررهما من السحر.

وبالفعل ذهبا إلى أن وصلا إلى الجدول المائي، وواصل "جيزي" السير حتى الجسر وأخذ

---

(١) "منتصر": اسم "جوزو" المجري معناه "منتصر" باللغة العربية.

(٢) مطحلب: طحلب الماءُ علاه الطُّحْلُب، كثُر طُحلُبُه "بركة مطحلِبَة". طحلبت الأرضُ: اخضرّت بالنبات "طحلبت ضفافُ البحيرة."

بعضًا من الحصى الموجود في الماء وفرك به يده واسقط ثلاث قطرات من دمه في الماء، ثم قال:

- "لينفتح الطريق أمامي إلى الفتاة ذات الرداء الذهبي"!

انفتح الطريق وصعد السلالم، فدخل مباشرة عبر الباب الذهبي، ولما أن دخل كانت الجنية تجلس على الكرسي الملكي على العرش الذهبي، وهناك رأى أخاه الأكبر المتحول إلى عمود من الذهب، فقالت له الفتاة الملكية بسرعة:

- يا لك من أمير جميل. لقد سعدت لأنك أنقذتني من العبودية! اقترب واجلس على عرشي الملكي!

فأجاب "جيزي":

- سأقطع رقبة زجاجتك الذهبية حالًا إذا لم تعيدي أخي إلى هيئته البشرية!

عندئذٍ لمست الفتاة الذهبية بصولجانها الذهبي "زولتان" فتحول إلى إنسان مرة أخرى، ثم رش "جيزي" الجنية من الزجاجة الذهبية فاختفي كل شيء حولهم وانتهي السحر ووجدوا أنفسهم على مرج أخضر مستوي، وهكذا أصبحت سلطة الجن من نصيب "زولتان". احتضنوا بعضهم البعض ووعدوا بعضهم على الوفاء والإخلاص مدي الحياة، ثم أعطي "جيزي" أخاه الزجاجة الذهبية هدية له.

ثم انطلقوا ليخلصوا "أرباد" فوصلوا إلى التل الكبير، وكانت هناك شجرة الزان الكبيرة حيث وجدوا الصولجان الفضي فقذفه "جيزي" بالأرض فانشقت فنزل فيها فلاحظ في التو واللحظة وجود كوخ فضي وشجرة فضية. وكان العصفور الفضي يغرد في القفص الفضي، فأخرج العصفور من القفص ودخل به عبر الباب الفضي فكانت هناك الجنية تجلس على الكرسي الملكي وأمامها أخوه واقف وقد تحول إلى عمود من الفضة، فقالت له الجنية في الحال:

- يالك من أمير جميل. لقد فرحت لأنك أنقذتني من العبودية! اقترب واحضني!

فقال لها "جيزي":

- سألوي رقبة العصفور الفضي إذا لم تعيدي أخي إلى هيئته البشرية مرة أخرى.

عندئذٍ لمست الجنية "أرباد" بصولجانها الفضي فاستعاد هيئته الطبيعية ثانية، أما "جيزي" فقد قطف ريشة من جناح العصفور الفضي ورماها على الجنية فاختفي من حولهم كل شيء وانتهي السحر بلا رجعة، وإذا بهم يقفون على مرج أخضر متساوي الأطراف، وأصبحت سلطة الجن من نصيب "أرباد" هو الآخر، وأعطى "جيزي" العصفور الفضي هدية إلى أخيه "أرباد".

اجتمع الستة مع بعضهم وانطلقوا إلى الناسك العجوز الذي كان يعتقد أن الأمراء الثلاثة قد فقدوا جميعًا، ولم يعد يطيق انتظارهم، فكان يقول في نفسه:

ـ مر خمسة عشر يوما، ولم يعد منهم أحد.

ولما أن حل اليوم الخامس عشر، ولم يعد ينتظرهم لأنه فقد الأمل في عودتهم فإذ به يرى الستة يأتون قبالته، فصاح قائلًا:

ـ حسنًا... لقد انتصرت أيها الـ "منتصر"!

ولما أن وصل إلى هناك حكى لهم أن هذه البنات الثلاث أخوات، وبهذه الطريقة فقط كان يمكن تحريرهم مما كن فيه من سحر، ولقد حاول الكثيرون تخليصهم، لكن لم ينجح أحد في ذلك.

وكان والدا الأمراء ينتظران قدومهم على أحر من الجمر، وقد غمرتهم السعادة لما أن عرفوا أنهم قد أنجزوا واجبهم بنجاح.

لكن أي منهم سيصبح الملك؟ دعوا البرلمان للانعقاد ثانية، ولم يستطع البت في مَنْ مِن الأمراء الثلاثة يتولى الحكم، عندئذٍ وقف العجوز الذي قدم الاقتراح الأول بإرسال الأمراء وقال:

ـ لي اقتراح آخر. صحيح أن "زولتان" و"أرباد" جلبا لنا الذهب والفضة وهما أغلى كنز في الدنيا، أما "جيزي" فقد أحضر الحديد، وبالحديد نحرث ونزرع الأرض، وبه نحمي بيوتنا، فليحيا "جيزي" الملك الجديد!

وهكذا أصبح "جيزي" الملك الجديد.

الرَّحالة الثلاثة

ذات مرة تقابل ثلاثة من الرحَّالة الشبان من ذوي العقل الراجح، وكان لديهم كل شيء في هذا العالم الفسيح إلا المال، مع أنهم كانوا في حاجة إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، لأن أم أحدهم قد أصابها المرض، حتى إن منزلهم الصغير القابع في نهاية القرية قد تم بيعه وصرفه على الصيدلية والطبيب والسيارة والمعدية. ظلوا يفكرون كثيرًا: كيف يحصلون على القليل من المال؟

قال أحدهم في نهاية المطاف:

- هل تعلمون كيف نتغلب على هذه العقبة؟ من مدينة "أجر"[1] حتى "بست"[2] لا يوجد ثري بخيل سوى ذلك المراكبي الذي نعرفه جيدًا، لقد خطرت ببالي فكرة؛ سأطلق على نفسي اسم القديس "بيتر"، وأنت يا رفيقي ستكون القديس "بال"، أما أنت فستكون القديس "يانوش". أنا سأبيع حذائي وبردتي، ومن سعرهما نشتري سمكة كبيرة جميلة من مكان ما، ورغيفًا كبيرًا مطهيًّا جيدًا، وكوبًا من الخمر ذي الجودة العالية، واتركا الباقي عليَّ.

وقد كان؛ وأثناء الطريق عثروا على كوخ صياد، فاشتروا منه سمكة كبيرة جميلة، ثم بعد ذلك حصلوا على رغيف قابب مرتفع وكبير من عند الطاهية، ومن صاحب الحانة أخذوا جرة من الخمر الطيب، ومن خازن غرفة المقدسات بالكنيسة على عباءة كبيرة من الحرير، وقميصين بيض؛ بالنسبة للعباءة فقد لبسها القديس "بيتر"، الرحال الأكبر سنًا، أما القميصان فارتداهما الاثنان الآخران، وجزوا قبعة من الورق، وصنعوا قبعات من الورق ووضعوها على رؤوسهم.

ثم ذهبوا إلى المراكبي وطرقوا الباب.

قال المراكبي:

- تفضلوا!

على المائدة كانت هناك مِسْرجة صغيرة مشتعلة. وقف "بيتر" بجانب المائدة، و"بال" بجانب الباب، أما "يانوش" فعلى الباب من الخارج، أما المراكبي البخيل، وزوجته الأكثر بخلًا فقد أبديا تعجبهما فحسب.

---

(١) "أجر": مدينة مجرية مشهورة بها أعلى تعداد سكاني بمدن شمال المجر بعد "ميشكولتس" وبها الكثير من الآثار المجرية والإسلامية.

(٢) "بست": تنقسم العاصمة المجرية إلى جزأين "بودا" و"بست" ليشكلا المدينة العاصمة "بودابست".

قال الرَّحال الأكبر سنًا:

ـ أنا القديس "بيتر" وهذا القديس "بال"، وهناك في الخارج عند الباب القديس "يانوش".

أمسك بيد العجوزين البخيلين. عندئذٍ قالت السيدة العجوز:

ـ يا الله، يا رب العالمين! من أين نستحق نحن هذا التقدير والاحترام حتى يأتي إلى مسكننا القديس "بيتر" والقديس "يانوش" أيضا؟! ثم أومأت إلى زوجها:

ـ هيا أسرع، وأحضر شيئا! ياه، يا روحي، أيها القديس "بيتر"، لا تغضب لأننا لا نستطيع ضيافتكم وخدمتكم كما يليق بكم! تفضل بالجلوس!

عاد المراكبي العجوز وقد أحضر سمكة صغيرة للغاية، وقال، بينما كان يقذفها إلى زوجته:

ـ اشويها!

ـ بل من الأفضل أن أطبخها كي لا يُسْتهلك ويضيع سمنها في الشواء.

قال القديس بيتر "ردا" على هذا:

ـ أعطوني إياها فحسب! أيها الرفيق القديس "بال"، خذ هذه السمكة إلى الخارج إلى القديس "يانوش"، وقل له أن يمنحها البركة.

أخذها "بال" إلى الخارج، ثم عاد بعد قليل بتلك السمكة الكبيرة، التي حصلوا عليها من الصياد. سقط العجوزان مغشيًا عليهما مندهشين مما حدث للسمكة.

ثم طبختها السيدة. لقد كان هذا الأمر جيدًا، وكانت كافية لخمستهم، لكنهم هل يتناولونها وحدها. ثم سأل "بيتر":

ـ ألا يوجد خبز هنا؟

وعلى هذا أحضرت السيدة خبزًا، لكنه كان جافًا، وأسود مثل طين الأرض.

ـ ابني القديس "بال"! خذ هذا الخبز إلى الخارج لـ "يانوش"، واجعله يباركه أيضا!

أخذه "بال" إلى الخارج، وبدلا منه أحضر الخبز الكبير الجميل.

ظلا العجوزان يتأملان بعضهما البعض فحسب فسأل القديس "بيتر":

ـ ألا يوجد خمر؟ أليس هذا مناسب مع السمك؟

فأحضر المراكبي العجوز إبريقا سيئا، وسكينة جيب للفتح فشمها القديس "بيتر"، فأرسله به إلى الخارج ليباركه "يانوش". عندما دخل بال، كان هناك خمر ملء الكوب، ورووا به بطونهم.

حسنًا فقد صدق العجوزان المعجزة، وظلا ينظران إلى بعضهما البعض، إلى أن اقتربت

السيدة من أذن زوجها، وهمست له فيها:

ـ هل تسمع ذلك؟ لدينا هناك سلة بها نقود ذهبية. ألا يمكن أن تباركوها لنا هي الأخرى، والآن يوجد هنا القديس "بيتر" أيضا.

ـ بلى، بالتأكيد سيكون هذا أمرًا طيبًا! قال العجوز بصوت عال.

أحضرت السيدة العجوز في التو واللحظة سلة النقود الذهبية تلك، وقد وعى القديس "بيتر" في الحال ماذا يريد بها.

ـ انهض أخي "بال"، وقل لـ "يانوش" أن يبارك هذه النقود اليسيرة!

كان "يانوش" هو أكثرهم سرعة، فبمجرد أن حصل على سلة النقود الذهبية، انطلق بها في الحال عائدًا إلى "أجر".

دخل القديس "بال" بعد مرور وقتٍ قصيرٍ وقال:

ـ لقد توجت المباركة بالنجاح الكبير. سأذهب وأساعد.

وهكذا كان خارج الباب، وقد طوى الأرض تحت قدميه من سرعة الجري.

انتظر القديس "بيتر" قليلا، ثم تنهد:

ـ سأرى الأمر، وأبارك بنفسي أيضًا، فربما يتكاثر ويتضاعف أكثر وأكثر!

خرج القديس "بيتر" من البيت بخفة هو الآخر، وعندما وصل إلى خارج الباب، رأى أين يوجد رفيقاه الآخران. وبالطريقة نفسها رفع العباءة وفرَّ حتى كادت أن تسقط بطنه من بين قدميه من شدة سرعته.

في البداية تقبل العجوزان التأخير وتمهلا، لكن في النهاية استكثرا وقت المباركة، فنظر الرجل في الخارج: ماذا عساهم أن يفعلوا كل هذا الوقت.

لقد رأى ما رأيته بأم عيني! فلم يكن هناك أي منهم، ولا حتى روحهم! على فكرة كان الجو قد أمسى تماما، وأقحل الليل.

دخل الرجل مسرعا إلى زوجته:

ـ يا للخسارة، يا للحسرة والندامة! لم يعد لدينا نقود ذهبية! لقد أخذها القديس "بيتر"! لقد أخذها القديس "بال"، لقد أخذها القديس "يانوش"! أين نبحث عنهم الآن؟

تأتي الإجابة من بعيد جدًا:

ـ في جهنم الحمراء!

الأنسة السمكة

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، وبعيدًا عن بلاد ما وراء البحار، ذات مرة كانت هناك سيدة أرملة بائسة. حظها الوحيد في هذه الدنيا أنها رزقت مولودًا واحدًا، وكان ولدا؛ لأنها إذا أنجبت الكثير من الأبناء، فربما قد هلكوا من الجوع والعطش بسبب الفقر المدقع الذي كانت تعيشه.

عندما شب الطفل ووصل لمرحلة الشباب، ذهب يوم الأحد ليصطاد، لكي يكون لديهم في هذا اليوم على الأقل ما يأكلونه، ولا يجب عليهم أن يحتفلوا بهذا اليوم جوعًا وعطشًا. ظل يصطاد ويصطاد هناك على شاطئ البحر حتى أمسك بسمكة صغيرة وبراقة. مهلًا فقد التقط السمكة في يده بسعادة غامرة، وعاد مسرعا إلى المنزل، كي تصنع منها الأم وجبة غداء صغيرة ليوم الأحد، وذهب مهرولًا ثانية إلى الصيد فربما يواتيه الحظ مرة أخرى.

في هذه الأثناء أمسكت أمه المسكينة ـ مغمورة بالفرح ـ بالسكين في المنزل لكي تقطع السمكة، لكن إذ بالسمكة تقول فجأة:

ـ لا تقطعيني أيتها السيدة المسكينة، إذا أردتي الخير لنفسك ولولدك!

ـ ياه، يا أيتها السمكة الصغيرة الحبيبة، هل تستطيعين التحدث فعلًا؟ ـ قالتها السيدة بفرحة. وكيف لي أن أوذيك! على الرغم من... وبما أنه... لكن الأمر... ماذا ستتناول على الغداء، إذا لم نأكلك، في حين أنه ليس لدينا حتى الخبز؟

قالت السمكة الصغيرة:

ـ ياه، إذا كانت هذه هي المشكلة فحسب، وإذا كان لهذا السبب تريدين قتلي لكي تأكلوا، فيمكنني المساعدة في هذا الأمر. اذهبي إلى ولدك، وتمني في شبكته، وستجدين من السمك الكثير الطيب. ولكن ضعيني حتى ذلك الحين بين الوسائد.

ـ أنت أيتها السمكة الصغيرة؟ ألن تختنقين هناك؟

قالت السمكة الصغيرة:

ـ اتركي الأمر لي وضعيني حيث طلبت منك فحسب.

حسنًا فقد وضعت السمكة الصغيرة بين الوسائد وانطلقت السيدة نحو ولدها فرحة. فقال ابنها لها ماذا فعلت بالسمكة الصغيرة:

ـ من الجميل والرائع أن هذه السمكة الصغيرة تتحدث، لكن هل تتحدث الصدق أم لا؟ فلنجرب! ماذا يحدث إذا تمنينا كبداية فقط سمكة عملاقة؟

وبشكل جميل ولم يكن الولد قد انتهى من قول الأمنية بفيه حتى كان السمك يثب على ظهر بعضه البعض في الشبكة فقد كان كثيرًا، وبرفعة واحدة فقد حصل على السمكة العملاقة وعلى الفور جمعت الأم السمك الجميل المخصص للشواء في مئزرها، ثم قال الفتى:

ـ يكفي هذا اليوم.

وحمل على كتفه السمكة وعادا سويًا إلى المنزل بسعادة غامرةٍ. تقول السمكة في البيت من تحت الوسائد بمجرد أن فتحت أم الولد الباب:

ـ حسنًا يا روحي، يا أمي العجوز، هل أنت راضية عني؟

ـ بالطبع راضية، يا سمكتي الصغيرة، بل راضية جدًّا، ويا ليت لدي من السمن كي أشوي هذه الأسماك!

قالت السمكة:

ـ يا حرام! يا روحي يا أمي العجوز، الآن يجب أن تطلبي هذا أيضًا: اطلبي لنفسك، قدر ما تريدين، لكن ابذلي قصارى جهدك كي نتناول الغداء، لأنني أريد أن التهم الطعام بشدة.

وحسنًا فقد فكرت الأم أن تطلب لنفسها زبدية من السمن، وما كانت لتنتهي من التفكير حتى كانت هناك زبدية السمن على المائدة. في تلك اللحظة تحديدا أرادت الأم أن تشكر السمكة الصغيرة على معروفها، فنظرت نحو الوسائد، فماذا رأت؟ رأت فتاة شابة جميلة على الوسائد، لكنها كانت شديدة الجمال لدرجة أنه لا يمكن أن يتمنى المرء أجمل منها أبدًا.

وها هي تنتفض من على السرير إلى وسط الحجرة.

ـ يا الله! أمسكت السيدة العجوز بيدها مندهشة سعيدة للغاية، وأيضا كان هذا حال الفتى! فلم يستطع حتى إن ينطق ولو بكلمة واحدة، فقط أضاءت عينيه من شدة الانبهار فحسب. فعساها أن تكون زوجة مناسبة له! يجب أن يطلبها في الحال على الأقل لكي يكون مجبرًا على إخراج صوت من حلقه.

لكن الآنسة الجميلة قالت:

ـ لا تحدق هكذا، أيها الفتى المسكين. أنا على قيد الحياة، أنا هنا، إذا كنت ألزمك، وإذا كنت

تريد أن تتزوجني، فليكن الأمر كذلك، ولن يفرقنا عن بعضنا إلا الموت. ادع الضيوف ودعني أكون زوجتك لأنك أنقذتني من اللعن!

ـ ياه، يا عمري وكيف لا تلزميني ـ قال الفتى مغمورا بالسعادة. ومن ثم خرج من المنزل في الحال، وانطلق ليعزم الضيوف الكثر لليلة العرس.

بمجرد أن رجع الفتى إلى البيت سألته الفتاة السمكة:

ـ من دعوت؟

سرد الفتى بفخر إلى من وجّه الدعوة: فقد دعا الملك ذاته وكبار الحاشية الملكية أيضًا.

ـ يا للخسارة، يا للخسارة ـ قالت الفتاة على مضض ـ ألا تعلم أنه ليس بالأمر المستحسن تناول الكرز من طبق واحد مع علية القوم؟ ألم تستطع بالأحرى دعوة الفقراء من طبقتك نفسها فحسب؟ إذا كان الأمر هكذا، فلا تندم. وكيف سيسع هذا الكوخ المترب هؤلاء؟ كيف سنستقبلهم، وأين سيجلسون؟ حسنًا، ومع كل هذا سوف أساعدك!

وهكذا خرجت البنت إلى باحة المنزل، وخلال دقيقة واحدة أقامت قصرا ذهبيًا مرصعًا بالماس يدور على قدم ديك يستطيع أن يرى الشمس، لكن لا يمكن التطلع إليه من دون أن يسرق نور العين.

وصل الملك وكبار حاشيته في الوقت المحدد. نظر الملك إلى البنت، فأعجبته جدًّا، بل وقد أصبح متيمًا بها، وعلى ذلك قال لمستشاريه من الخبراء:

ـ بأية طريقة كانت سواء كانت بقوة ربانية أو بحيلة شيطانية افتحوا لي طريقا أسلكه كي تكون مِلكا لي هذه الحورية الحسناء لأنني قد أصبحت عاشقا لها لدرجة أنه من دونها لن تكون الحياة لها طعم بعد الآن.

ـ قال أحد مستشاريه: يمكننا المساعدة في ذلك يا جلالة الملك. لا يوجد أسهل من ذلك! استدعِ هذا الفتى، وقل له إن لم يتمكن من قطع جميع الأشجار من الغابة المجابهة للقصر الملكي بحلولِ صباح الغد ويضعها في كومة حتى تجف، فإن رأسه ستقطع.

حسنًا فقد مر العرس على خير، ومرت الليلة الأولى على الزفاف بسلام، فإذا بالملك يستدعي الفتى ويقول له هذا الأمر، وأن هذا يجب عليه إنجازه بحلول الغد! حزن الفتى، فماذا هو بفاعل الآن؟

تسأل زوجته في البيت ما سبب شجنه وماذا يدور برأسه حتى يصل إلى هذا الحزن.

ـ مشكلتي كبيرة للغاية لأن اليوم أنا على قيد الحياة، لكن الغد سأودع الدنيا، ستقطع رأسي! لن أقول شيئا آخر.

لكن زوجته لم تدعه في حاله، وظلت تلح عليه في السؤال حتى حكى لها ما هذه المشكلة الكبيرة.

ـ ألم أقل لك أنه ليس من المناسب تناول الكرز مع علية القوم من طبق واحد! لكن هذا ما قد كان. مع ذلك سأحاول أن أساعدك في هذا الأمر. نم أنت فحسب، وسنرى في الغد ماذا سيحدث.

نام الولد وخرجت البنت السمكة أمام الباب، ونفخت بسرعة في صفارة فضية، وفجأة بدأت في جمع الكثير من الشياطين في باحة المنزل لدرجة أنه كان من الصعب أن ترى الأرض من كثرتهم.

عندئذ قالت البنت السمكة:

ـ آمركم أن تنطلقوا نحو الغابة الملكية الواسعة كالعالم وأن تقطعوا منها كل الأشجار حتى آخر فرع فيها وضعوها في كومة، وليكن للملك خشبًا كافيًا، إذا كان يلزمه الخشب حقًا!

وما إن انتهت البنت السمكة من إصدار أمرها حتى كان هؤلاء الشياطين الكثيرون قد بدؤوا العمل فعلًا، وحتى عادت واستدارت الفتاة كانوا قد قطعوا تلك الغابة الشاسعة حتى آخر عود فيها ووضعوها في كومة حتى الرقاقة الخشبية الأخيرة لم يتركوها. ثم جاء بعد ذلك دور الفتاة لكي تجفف هذه الأخشاب من الرطوبة.

وما أن بزغ الصباح ألقى الملك نظرة من النافذة ليرى ماذا حل بغابته. فقد صدمته حقيقة ما رأى، ووجه اللوم لمستشاريه ولنفسه لأنه لم يعط أمرا آخرا يستحيل تحقيقه. وبما أنه لم تعد هناك غابة، فلم تعد هناك سيدة الآن!

قال المستشارون للملك المكروب الآن: لا تشغل بالك قط، فهذا يضر بصحة فخامتك! ولكن ماذا بعد؟ الآن يجب أن يتم تدمير هذا النكرة! وهكذا ستصبح البنت السمكة حرم جلالتك! لكن كيف السبيل إلى هذا؟ رد المستشارون:

ـ يجب أن تعطي أمرا مفاده أنه حتى صباح الغد ما لم يتمكن الفتى من إزاحة الصخرة الممتدة إلى عنان السماء وأن يضع في مكانها جبلا من العنب ويأكل الملك من هذا العنب في الصباح، ويشرب من عصيره، فإن رأس الفلاح ستطير بلاشك!

استدعى الملك الولد في الحال وأفصح له عن رغبته.

حزن الفتى وندب حظه حتى كاد لا يرى أمامه، ولكن هذه المرة حكى لزوجته كل ما دار لكي تتصرف هي الأخرى، وليكن ما يكن! فقالت الزوجة:

ـ حسنًا! ألا ترى هكذا يحصل مع من يطمح فيما هو أعلى منه، والآن أنت في هذا الشيء. استلقى فحسب ونم حتى الصباح وأنا سأحاول تدبر الأمر.

بحلول المساء ذهبت الفتاة السمكة إلى تحت الصخرة، وأخرجت صفارتها الفضية ونفخت فيها، فتدفق الشياطين ثانية وقد كانوا كثيرين كالأحصنة والأبقار في سوق البهائم الكبير، فقالت لهم:

ـ آمركم أن تزيحوا هذه الصخرة حالًا، وأن تضعوا السماد مكانها وتزرعوها بالعنب!

وما إن انتهت من كلامها ولفت حول نفسها بضع مرات حتى إنجز فريق الشياطين المهمة كاملة.

وقامت البنت السمكة بتخطيط الأرض ووضع نظام لكل شيء فيها وزرعت العنب، وبالفعل نضج في الصباح أيضا!

أيقظت الزوجة الفتى في الصباح كي يخرج ليجمع العنب، ويصنع منه عصيرا ويقدمه للملك.

وهذا ما قد كان بالفعل.

أكل الملك من العنب، وشرب من عصيره. وعلى قدر ما كان الأمر فيه مواساة أن هناك عنبًا على الأقل مكان غابته إلا أنه كان حزينا لأن الحورية الجميلة ما زالت بعيدة عن يديه وليست ملكا له.

استدعى المستشارين وهو في غاية الحزن ونبه عليهم الآن أن يجدوا له مهمة صعبة يسقط فيه هذا الفتى ولا يستطيع القيام بها، فقال المستشارون:

ـ سيدي الملك، إذا كان الأمر قد أصبح بالغ الصعوبة هكذا، فاستدعِ هذا النكرة الشرير إلى البلاط الملكي وقل له أن يحضر "ملاكا من السماء" على ظهيرة الغد. وإن لم يفعل، فسيفقد رأسه.

استدعى الملك الفتى إليه، وقال له ماذا عليه فعله، لأنه إن لم يتمكن من ذلك فستقطع رأسه.

صُدِمَ الفتى بسبب هذا الأمر الملكي الجديد الذي سببه له في الأساس تفاخره ورغبته في التباهي. لم يعد يستطيع النظر إلى بيته، فقد كان ينظر إلى الطريق فحسب وانطلق بمفرده هائما على وجهه لا يدري في أي اتجاه يسير. كان لديه ألف حظ وحظ أنه قابل زوجته البنت السمكة في هذا الوقت بجانب جسر كوكوللو(١) حيث كان يسير هناك شارد الذهن ومن هناك نادت عليه بصوت عالٍ. على الرغم من حزن الفتى إلا أنه أخبر زوجته عن سبب صدمته وكدره. عندئذ قالت زوجته البنت السمكة:

ـ هل ترى هذا الطائر الجميل؟ اجلس على ظهره، وثق في نفسك. واذهب حيثما تريد... انطلق... هيا!

على كل فالأمر بالنسبة له سيان. كان الفتى مصمما على أن يواصل المشوار حتى يصل إلى بحر الأوبرانسياش(٢)، وهناك يُغْرق نفسه ويتخلص من حزنه وكدره الذي أصبح يسيطر عليه تماما.

ومع ذلك فقد صعد على ظهر الطائر وانطلق، ولم يكن قد ذهب بعيدًا حتى فرقعت السماء فرقعة كبيرة توقف على إثرها الطائر وسمع صوتا يقول له:

ـ عد إلى المنزل أيها الفتى المسكين، وقل للملك أنك ستكون هناك ظهر الغد مثلما طلب!

عاد الطائر من هذا المكان وفي مساء اليوم نفسه قال الفتى للملك الرسالة.

في اليوم التالي ظهر "الملاك من السماء" فعلا، ونادى الفتى ليذهبوا إلى الغداء الملكي معا. استولت المهابة على الفتى لكنه ذهب معه.

كان هناك صخب وفوضى وذهاب وإياب، ولم يكن شيء مفروشًا في القصر الملكي.

وعلى هذا اتجه "الملاك من السماء" من هناك بدون كلمة واحدة وانطلق جهة الطريق.

عندما سارا لمدة من الوقت إذ بالسماء تصدر صوت فرقعة كبيرة، فقال "الملاك من السماء" للفتى:

ـ انظر إلى الخلف فحسب، ماذا ترى؟

ـ قال الشاب: لقد اختفى القصر من على وجه الأرض، ومكانه توجد بحيرة، وفي البحيرة

---

(١) كوكوللو: أحد الأنهار الموجودة في رومانيا وتحديدًا في حوض ترانسلفانيا حاليًا.

(٢) البحر الأكثر شهرة في الحواديت والأساطير الشعبية المجرية، وهو بحر خيالي غير موجود في الواقع.

هناك ضفادع تقفز.

ـ قال "الملاك": هذه الضفادع ليست إلا الملك ومستشاريه، وهكذا يعاقب الله كل إنسان متطاول طبعه سيئ وطماع وشرير. والآن انتبه أنت أيضًا دائمًا إلى من تنتمي ومع من تتآخى وتتعامل.

وهكذا اختفى "الملاك" كما لو لم يكن هناك من الأساس، أما الشاب فقد عاد إلى المنزل بكل سعادة، وقد تعلم الدرس بالدليل والبينة. ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم لم يوجه الدعوة للملك ثانية.

سباق الحمقى

كان هناك رجل فلاح، وكانت لديه زوجة عنيدة، وكانت تريد أن تعرف كل شيء أكثر من زوجها، بيد أنها لم تكن لتنال مُرادها هذا لأنها كانت حمقاء بصورة استثنائية.

اعتاد الفلاح على الذهاب إلى السوق بنفسه لبيع قمحه، فهناك ينبغي أن يُعمِل عقله بذكاء، لأن التجار يخدعون الفقراء، وخاصة أولئك التجار العاملين ببيع القمح.

مرت فترة الحصاد والدِرَاس، واستعد الفلاح المسكين للسوق.

ولكن زوجته ذات الأفق الضيق واللسان الطويل، بدأت تدسُّ أنفها في الموضوع، بحجة أن زوجها هو الذي يذهب دائما إلى كل الأنحاء، وهي الآن تريد الذهاب إلى السوق بدلًا منه.

في نهاية المطاف قال لها زوجها:

ـ إذن اذهبي أنت!

وبهذا ترك لها العربة بالقمح ومعها الفتى الصغير العامل لديهما.

بعد مسير قرابة خمسة كيلومترات من القرية دار في خلد السيدة أنها لا تعرف بكم من المال يجب أن تبيع القمح، فقد نسيت أن تسأل زوجها عن ثمن سعر القمح! وقالت في الحال للصبي العامل لديها:

ـ عُد ثانيةً إلى سيدك واسأله كيف نبيع القمح!

عاد الصبي وصاح من الشباك، ولكن سيده لم يخرج ليرد عليه، وقال له من الشباك، بيعوه كما هو مُتّبع، أو بمعنى آخر مثلما يباع ويُشترى في الغالب!

وصلا إلى السوق ـ المرأة والصبي ـ وفي التو واللحظة توجه إليهما تاجر مراوغ، وسأل السيدة:

ـ بكم تبيعين القمح؟

أجابت السيدة بكل بساطة:

ـ كما هو الحال في الدنيا كلها.

فأجاب التاجر بأنه سيذهب للسؤال عن كيفية بيع القمح في الوقت الراهن، وأثناء ذلك فكّر أن يخدع السيدة، التي حتى مجرد الفصال لم ترده، فعندما عاد قال لها إن القمح في هذه الأيام

يباع كالتالي: نصفه يباع بالدَّين، والنصف الآخر انتظارا لما بعد البيع.

ـ حسنًا، إذا كان هذا هو حال البيع، فإنني موافقة ـ قالت ذلك السيدة الحمقاء، ومتى سأحصل على المال؟

ـ في أقرب سوق قادم!

ـ حسنًا! وكيف سنتعرف على بعضنا البعض؟ لأن هذا سيكون بعد وقتٍ طويلٍ.

أجاب التاجر المراوغ:

ـ إنني أعطيكِ معطفي القديم، وأنت تعطيني معطفك، وكل منا سيتعرف على حاجته بالطبع، وبهذه الطريقة نجد بعضنا.

رأت الحمقاء أن هذا حل وجيه للغاية، وفي الحال خلعت معطفها وسلَّمته للتاجر، وأعطاها التاجر معطفه البالي، وانتهى البيع وانطلقوا نحو المنزل، وأخذ التاجر القمح، وأخذت الحمقاء مصدر فخرها وعزها، الذي به يمكننا القول بأنها هي الأخرى تستطيع البيع والشراء في الأسواق، أقصد الجاكت القديم البالي.

سألها الزوج ما أن وصلت إلى المنزل:

ـ بكم بعتِ القمح؟

أجابت السيدة:

ـ كما هي الحال عند الناس!

ـ فعلتي الصواب، إذن أين المال؟

ردت السيدة بشموخ البلهاء:

ـ لا يوجد مال، لأن بيع القمح في الوقت الحالي يتم بالشكل التالي: نصفه يباع بالدَّين، والنصف الآخر انتظارا لما بعد البيع.

استغرب الرجل، ولكنه ظلَّ يتساءل:

ـ ومع ذلك، متى ستحصلين على النقود؟

قالت السيدة صاحبة المخ التالف ورأسها مرفوعة لأعلى:

ـ في أقرب سوق قادم!

نظر إليها الرجل، وسألها بغضب:

ـ ومن أين ستتعرفين على التاجر؟

أجابت السيدة واضعة يديها على خصرها كالمحاربة في سبيل الغباء:

لقد بدّلت معطفي بالجاكت الخاص به! وعن طريق هذا ستتعرف على بعضنا البعض.

فقد الرجل صبره وصرخ:

ـ إنني لم أر مجنونةً كهذه من قبل!

ردت السيدة مغتاظةً:

ـ وماذا ترى سيادتك؟ مع أنك لا تكاد تبرح مكانك، ولا تعرف أي شيء!

ازداد حنق الرجل:

ـ حسنًا! سأذهب أغوص في هذا العالم وأبحث، ولن أعود إلى المنزل حتى أعثر على مجنونةً أخرى بهذا القدر!

في الواقع انطلق الرجل في الحال إلى الخارج، وتجول ببطء، لأنه اعتقد بصدقٍ بأن عليه التجول كثيرًا، وأنه من الصعب أن يجد امرأة أكثر حمقًا من زوجته، وعبر غابةٍ مُكحلةٍ ذهب الرجل، ورأى من بعيد بيتًا يلوح في الأفق، وشحذ هِمَّتهُ، وخبَّط على الباب.

ألقي التحية:

ـ بارك الله فيكِ، مساء الخير!

استقبلته سيدة عجوز، وسألته:

ـ ما الأمر؟

وكان الرجل قد أعد خطته للتعامل مع الأغبياء، لذلك أجاب بكل هدوء:

لقد وصلت في التو من العالم الآخر.

لم تستغرب السيدة ولو للحظةٍ واحدةٍ.

سألته متنفسةً الصعداء:

ـ ألم تجد هناك ابني ولو بالمصادفة؟

وكان الرجل على موعد حقًّا ليتعرف على مدى تغلغل الغباء في هذه المخلوقة.

ـ بالطبع نعم! هو يتاجر بالعظام والخِرَق[1] هناك!

سألت السيدة:

ـ بجد؟

واصل الرجل حديثه بهدوء.

يا له من مسكين ذي ملابس بالية، ومعطفه قديم، ويجر عربة العشب بنفسهِ.

ـ ياه! يا لك من رجل طيب وهل ستعود ثانية إلى العالم الآخر؟

ـ نعم سأعود، لا بد وأن أكون هناك في صباح الغد.

ـ إن لدي حُصانا رماديًّا، ألا يمكنك أن تعطه لولدي؟ كي لا يَجُرَّ العربة بنفسه!

ـ بلى! إنني سآخذ له أي شيء يمكنك إرساله إليه.

ـ لقد تبقت لديَّ ثلاث فطائر منذ العيد، ثم أطهي له ثلاثًا من الإوز، وإنني قد جمعت بعضًا من المال، لا يعرف عنه زوجي شيئًا، خذهم له لكي يكون لديه ما يتاجر به لبعض الوقت، وقد جال بخاطري الآن: إن زوجي قد حصل بخداع على معطف من سيدة غبية في السوق الماضي، خذه لهذا المسكين أيضًا، كي لا يبرد.

قال الرجل في نفسه:

ـ "من الواضح أنني وجدت بُغيتي التي أبحث عنها ولم يتوجب على الذهاب بعيدًا"

لم يتفوه بكلمة واحدة، فقد استراح قليلًا، حتى تصنع له السيدة الشواء، فذبحت الإوز، وأعدَّت الزاد، وفي الصباح استيقظ الرجل وسَرَّجَ[2] جواده، وهكذا مشى:

وما أن مشى الرجل حتى وصل التاجر زوج هذه السيدة إلى المنزل.

وقد استقبلته بفرحةٍ عارمةٍ من على بعدٍ:

---

(١) الخرقة: القطعة من القماش الممزق البالي.

(٢) سرج: يُعِد ويجهز جياده "فرسه". والسروج التي نراها اليوم تعود في تصاميمها إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. واليوم تصنع السروج حسب الحاجة إليها وطبيعة الركوب إن كان للتنزه أو للسباقات أو للعمل. ودورها أن تعين الفارس وجواده على أداء مهمتهما بفعالية عالية. العناية الصحيحة بالسرج تطيل من عمره وتحفظه لمدة طويلة.

- تعال، تعال، لقد سمعت خبرًا عن ابننا!

ونظر إليها التاجر مشككًا في الأمرِ:

- اغربي عن وجهي، هل جننت؟

- ألا تصدقني؟ هنا الدليل! أنظر فقد أرسلت له الحصان، فابننا المسكين يتاجر هناك في العظم والخِرَق، وهو يَجُرُّ العربة بنفسه، وأرسلت له أيضا فطيرة صغيرة، وثلاثًا من الإوز، وبعضًا من المال الذي ادخرته من دون أن تعرف عنه شيئًا، وأيضًا أرسلت له ذلك المعطف الذي حصلت عليه بالغش من تلك السيدة!

أخذ التاجر نفسًا عميقًا، وقد تملكه الغضب.

- من كان هذا الذي أعطيته هذه الأشياء، أيتها التعيسة؟

- إنه كان رجلًا من العالمِ الآخرِ!

صرخ الرجل فيها قائلا:

- إنها حماقة ليس لها مثيل في هذا العالم، إنني لم أر قط أحدًا ساذجًا وأبله وأحمق بهذا الشكل!.

وعلى إثر ذلك انطلق التاجر وراء الرجل عسى أن يلحق به، وقد لاحظه الرجل من بعيد، فهناك من يتبعه بغضب، فدخل إلى الغابة القريبة، وربط الحصان بشجرةً، وهناك على أحد أطراف الغابة كانت هناك شجرة مائلة كما لو كانت ستسقط، فأخذ الرجل نفسه ومسكها كما لو كانت الشجرة متكئةً عليه وستهوي إن تركها.

فذهب التاجر إليه وسأله:

- قل لي، ألم تر رجلًا ممتطيًا جوادًا رماديًا؟

أدرك الرجل أن الغضب قد أذهب عقل التاجر، ولذلك أجاب على النحو التالي:

- بالطبع رأيته! ولكن من غير المُجدي أن تذهب وراءه، لأنه رجل قوي جدًّا لدرجة أنه لا يهاب أحدًا.

خاف التاجر قليلًا، بلع ريقه، ولكنه لم يمتص غضبه وقال.

- ألا تخاف أنت منه؟

فرد الرجل بهدوء:

ـ إنه يخاف مني.

ـ هل تتكرّم على بأن تُحضِرَ لي هذا الرجل؟ سأعطيك مائة فورنت(١) مقابل ذلك.

فكَّر الرجل: "حسنًا، سأجرب حماقة هذا أيضًا"، وأجاب:

ـ إنني لا أستطيع الذهاب! لأنني محكوم على بأن أسند هذه الشجرة، وإلا فإن أبي وأمي وأخي سيموتون جميعًا.

في الواقع فإن التاجر جرَّاء غضبه وشُحِّه لم ير ولم يفكر، وقال:

ـ سأسند أنا هذه الشجرة، فقط اذهب أنت بسرعة! أحضره فقط، لأنه قد حصل بالاحتيال على الكثير والكثير من زوجتي!

أومأ الرجل برأسه، ألقى التحية، امتطى الجواد، وانطلق، وذهب مباشرةً إلى المنزل.

وفي المنزل قال لزوجته:

ـ لقد عدت إلى المنزل، لأنني عثرت على مجنونة وحمقاء مثلكِ!

وانتظر التاجر الرجل طوال اليوم، كي يعود إليه، وعندما سئم الانتظار، قفز بحذرٍ وحِرِصٍ، كي لا تسقط عليه الشجرة الآيلة للسقوط، وقد أدرك أن الشجرة لا تهوي، وهنا أدرك أيضًا أنه هو نفسه المراوغ الكبير قد تم خداعه فكما تُدين تُدان.

سألته زوجته الحمقاء:

ـ لماذا عدت إلى المنزل؟

أجاب الرجل:

ـ لأنه يوجد حمقى آخرين مثلك!

ـ لقد قلت لك ذلك سلفًا؟ وقطعت السيدة حديثها في الحال.

ـ ألم يكن لدي حق فيما قلته؟

أراد الرجل السلام والهدوء، ولذلك أجاب بهدوءٍ:

ـ كان عندك حق، أنتِ لستِ أحمق المخلوقات.

---

(١) العملة المستخدمة في بلاد المجر حتى صدور هذا الكتاب، والجنيه المصري يعادل ثلاثين فورنت مجري بالتقريب في هذه الفترة.

حكاية عن الأمير "برونتسيك"

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، كان هناك ملك يدعي "فوروش" أو الملك الأحمر. كان لديه ثلاثة أبناء وسيمين جميلين، لكن الملك العجوز كان دائمًا غضبًا، ولم يتحدث بهدوء مع أي من أبنائه؛ حتى وإن وجب التحدث معهم، فكانت تسيل دموعه كالمطر. لم يصبر الأبناء الثلاثة على هذا الوضع وعقدوا العزم على أن يسألوا أباهم لِمَ هو غاضب ويبكي هكذا كثيرًا! قرروا أن يدخل إليه أكبرهم، وبالفعل دخل عليه، وسأله:

ـ أبي جلالة الملك المعظم، قل لي لِمَ يكسوك الغضب هكذا، ولِمَ تبكي أحيانًا أيضًا؟

ـ يا للخسارة أيها الحيوان، وكيف لك أن تطرح هذا السؤال؟

التقط الملك سيفه وقذفه ناحيته، فقفز الفتى خارج الباب فرشق السيف بخشب الباب، وفي الخارج سأله أخواه الأصغران:

ـ ماذا قال أبونا؟

ـ ادخلا له، وسيقول لكما أيضًا.

فدخل أوسطهم وسأله:

ـ أبي جلالة الملك المعظم، قل لي لماذا أنت غاضب هكذا، ولِمَ تبكي أحيانًا أيضًا؟

ـ يا للخسارة، أيها الحيوان، وكيف تجرؤ على طرح هذا السؤال؟!

رفع سيفه وقذفه ناحيته، فقفز الفتى ناحية الباب وارتشق السيف في الباب ثانية، وفي الخارج سأله أخوه الأصغر:

ـ ماذا قال أبونا؟

ـ ادخل له وسيخبرك بنفسه.

فدخل أصغرهم وسأله:

ـ أبي جلالة الملك المعظم، قل لي لماذا أنت غاضب هكذا، ولِمَ تبكي أحيانًا أيضًا؟

ـ وكيف تجرؤ على سؤالي أيها الحيوان؟!

التقط سيفه وقذفه ناحيته، فقفز الفتى ناحية الباب ودخل السيف في خشب الباب مرة أخرى، لكن الولد لم يخرج مسرعًا كأخويه السابقين، لكنه سحب السيف من خشب الباب،

وأعاده لأبيه:

ـ هذا هو السيف يا أبي! اقتلني لكني لن أخرج حتى تقول لي ردًا على سؤالي، فقال له الملك:

ـ حسنًا، أرى أنه ما زال باقيًا فيك شيء من الخير. اعلم يا بني إنني أبكي من سعادتي لأنني لدي ثلاثة من الأبناء الوسيمين، وأبكي من غضبي لأنه ليس من ورائكم أية فائدة، فأنتم لم تروا الدنيا على حقيقتها بعد، وليس لديكم أية خبرة في أي مجال.

ـ إذا كانت هذه المشكلة فحسب يا أبي العزيز، فإننا سنجوب البلاد كلها حتى آخر نقطة فيها.

ولما أن خرج من الغرفة، سأله أخواه الكبيران:

ـ ماذا قال أبونا؟

قال لهم الأخ الأصغر في الحال.

ـ حسنًا! لنذهب نشق طريقنا في هذا العالم. انطلق الأخوان الكبيران في التو واللحظة إلى الإسطبل، واختارا حصانين جميلين، وقاما بوضع سرجين عليهما وقالا لأخيهما الأصغر:

ـ تعال واختر حصانًا أنت الآخر، لنشق طريقنا ولنذهب بعيدًا.

دخل الأخ الأصغر إلى الإسطبل فوجد الأحصنة تصهل وترفس وتقضم بعضها البعض فخاف بشدة. فهو يريد أن يبقى في صداقة حتى مع الحيوانات التي يرافقها.

وبينما هو كذلك يفكر إذ به يرى على تل الروث حصانا نحيفا مسالما للغاية. طلب الأمير من سائق العربة لجامًا. ذهب إلى الحصان الصغير المحني ووضع عليه اللجام، وسحبه وراءه. رأى أخواه الكبيران هذا فقالا له:

ـ ياه، يا أخانا الصغير، هل ستأتي معنا هكذا! لا يمكن السفر بهذا الحصان الوسخ!

ـ لا توجد لدي مشكلة، سأذهب بمفردي، لكنني لن أتركه.

أعد الأخوان الكبيران زاد السفر، وأخذا معهما المال، وبينما كان الأخ الأصغر يكافح مع مهره الصغير المحني، كان أخواه الكبيران قد قطعا شوطًا كبيرا في الطريق.

وصلا إلى مدينة مجاورة؛ دخلا إلى الحانة، وبدآ في الاستمتاع بوقتهما! وكان هناك فتيات جميلات وظلا يستمتعان بنقودهما حتى نفدت سريعا. في النهاية بقت أحصنتهما هناك أيضًا، فقد

أخذتها الفتيات! وجب عليهما مواصلة السفر سيرًا على الأقدام.

أما الأمير الصغير فقد قاد الحصان السيئ من المدينة بكل عناء وبلاء. وكل من رآه كان يحملق في وجهه وقد صرخ أحدهم قائلًا:

ـ أنت تمامًا، مثل الأمير "برونتسيك" في الحكايات!

التفت إلى هناك الأمير الصغير:

ـ من الجيد أنكم منحتموني هذا الاسم! سوف أحمل هذا الاسم، ما دمت على قيد الحياة!

ولما أن وصل إلى مشارف نهاية المدينة، أسرع إلى طريق مليء بالمروج على جانبيه. فجأة توقف الحصان الهزيل. لم يكن هناك فائدة من سحبه أو ضربه فلم يخطو للأمام ولو خطوة واحدة.

ـ تعال يا حصاني الصغير وأنصت إليَّ فحسب.

ـ حسنًا توقف إن لم تأت سأضربك حتى الموت ـ قال ذلك الآن الأمير وقد أمسك بقطعة من الخشب من على حافة الطريق مهددا بها الحصان!

انطلق الحصان إلى هناك، ومشى عشر خطوات فقط، وتوقف ثانية. عندئذٍ شرع الأمير "برونتسيك" الصغير في البكاء من شدة غضبه، وتوسل للحصان باكيًا:

ـ يا حصاني الصغير المتذمر، إن كنت لا أستطيع أن أجلس فوقك لأنك لا تتحملني، على الأقل تعال ورائي، ولا تجعلني أحملك!

لكن الحصان لم يتحرك. عندئذٍ فكر الأمير "برونتسيك" في أمر ما: احتضن الحصان الهزيل، وبدأ في حمله! لكنه كان ثقيلًا، لدرجة أنه استطاع حمله ثلاث خطوات فقط.

اعتصرت الأمير الصغير المرارة أكثر وأكثر الآن:

ـ فلتأكلك الكلاب، لن أحملك بعد الآن، بل وسأضربك حتى الموت! وسأحصل مقابل بيع جلدك على شيء!

حمل الخشبة الكبيرة لكي يضرب الحصان ويقتله من الضرب، لكنه رأى أن الحصان قد انتفض وقام، فأنزل الخشبة وأمسك باللجام[1]، وبدأ في سحب الحصان وراءه.

---

(١) لجام: ما يجعل في فم الفرس من الحديد ومعه السير وغيره، جمع: ألجمةٌ، ولُجُمٌ، ولُجْمٌ.

مشى الحصان ثلاث أو أربع خطوات، ثم توقف ثانية، فأمسكه الأمير "برونتسيك" وحمله مرة أخرى وسار به عدة خطوات، ثم تركه على الأرض لأنه ثقيل.

مدد الحصان سيقانه الأربعة، وجحظ عينيه ورفع ذيله وبدأ يرتعش وينتفض، ثم أطلق رفسة كبيرة، وهوي على الأرض.

أما الأمير جلس "برونتسيك" بجانب الحصان وبدأ يبكي بمرارة، ولما أن انتحب كثيرا قال:

ـ بما أنه قد نفقت هكذا يا حصاني الصغير العزيز، فأنا سأذهب إلى الجزار ليسلخك، وأحصل مقابل بيع جلدك على بعض النقود.

انطلق فعلًا. وبالكاد سار خمس أو ست خطوات، ونظر للخلف صوب حصانه. يا إلهي ماذا يحدث؟ انتفض الحصان وقفز لأعلى، وهز نفسه، وأصبح أكثر جمالًا وصحة بسبع مرات من ذي قبل! كان الأمير ينظر ويحدق فحسب، لكننا سنسمع عن معجزة أخرى ستحدث الآن! الحصان يتكلم:

ـ عد للخلف يا صاحبي العزيز الصغير!

فصرخ فيه "برونتسيك":

ـ هل تستطيع أن تتكلم أيضًا؟

ـ بالطبع أستطيع! تعال واركب على ظهري!

ـ لن أركب أنا، يكفيني أن تأتي ورائي كي لا يلزم أن أحملك ثانية!

هز الحصان نفسه ثانية وأصبح أكثر جمالًا وصحة بسبع مرات أخرى، ورأى الأمير "برونتسيك" أن الحصان أصبح لديه ست أرجل.

ـ ما هذه المعجزة، ألديك ست أرجل؟

ـ نعم أنا كذلك، فأنا من الفصيلة الشامانية. الآن اصعد على ظهري!

تلبية للتوسل الشديد ركب الأمير "برونتسيك" في النهاية على الحصان، وفي الحال طار به في الهواء عاليًا جدًا حتى إن "برونتسيك" أصبح يرى الأرض بالكاد من كثرة ارتفاعه. عندئذ رفس الحصان واحدة برجله السادسة، فسقط "برونتسيك" من على الحصان، ولما أن اقترب من الأرض بعشرين مترا فقط تقدم الحصان بسرعة ناحية الأرض وأمسكه، ثم صعد به ثانية إلى

الأعلى حتى أصبحت النجوم قريبة منه على مسافة عشرين مترًا، فرفس الحصان واحدة فسقط الأمير من عليه متجها ناحية الأرض! ولما أن اقترب سقوطه على الأرض بعشرة أمتار التقطه الحصان مرة أخرى، لكنه الآن هبط معه إلى الأرض. ثم نزل "برونتسيك" من على الحصان.

شجعه الحصان:

ـ اركب ثانية يا صاحبي الصغير!

ـ وكيف لي أن أركب ثانية، وأنت ترميني هكذا وأكاد أن أموت. ماذا أقول بعد ذلك لأبي، إلى أين ذهبت؟

ـ لا... لا تخف من شيء... فقط اجلس على ظهري!

ركب "برونتسيك"، فصعدا إلى الهواء ثانية لكن إلى ارتفاع شاهق للغاية حيث وصلت رأس "برونتسيك" إلى نجوم الفجرية. عندئذٍ رفس الحصان واحدة فسقط "برونتسيك" من على الحصان ثانية. ظل يهوي ويهوي ناحية الأرض... صوب الأسفل، حتى أصبح على مقربة ثلاثة أمتار من الأرض، فنزل الحصان أسفله، لكنه لم يستطع إلا من مد ذيله إليه، فتشبث به "برونتسيك"، وهكذا وصلت قدمه إلى الأرض، ثم سأله الحصان

ـ خفت، أليس كذلك؟

ـ بالقطع تملكني الخوف، فلن أجلس على ظهرك قط طيلة حياتي!

ـ اسمع! أنا أيضا ارتعدت مفاصلي عندما أمسكت الخشبة كي تضربني حتى الموت! في المرة الثانية خفت أكثر وأكثر. وفي المرة الثالثة عندما أردت الذهاب إلى الجلاد عندئذ كان الخوف يتملكني تمامًا. لقد وفيت الدين الآن، فكما تدين تدان. فقط اصعد على ظهري فحسب، وقل فقط كيف نسير كالرياح أم كلمح البصر.

قال "برونتسيك":

ـ كلمح البصر! لنسير بسرعة سبع بلاد في الدقيقة الواحدة!

وبمجرد أن قالها، ولم تغمض عيون "برونتسيك" بعد إلا وقد انطلقا محلقين في الأرض، وفجأة إذ بهما يصلان إلى غابة لا يمكن رؤية أشجارها ذات الأوراق العملاقة فقد حلَّ المساء وأظلمت الدنيا. بعد كل هذا العناء اعتقد "برونتسيك" أنه حان الوقت لنيل قسط من الراحة هنا، وقد كان. ولما رغبا في النوم أراد "برونتسيك" غطاء، فقال له الحصان أن يسحب سيفه وأن يقطع ورقة شجرة نصفين. وبنصف ورقة الشجرة هذه يغطي نفسه وبالنصف الآخر يغطيه.

أحلام سعيدة! في الصباح عندما استيقظ، "برونتسيك" قطع ورقة شجرة كاملة ووضعها في حقيبته، ثم ركب على حصانه.

ـ إلى أين يا صاحبي العزيز؟

ـ فلنكن الآن في البيت يا حصاني الحبيب الصغير!

وما أن قالها حتى كانوا هناك في بلاط القصر الملكي. دخل "برونتسيك" إلى أبيه الملك، فأخرج ورقة الشجرة هذه وأعطاها لأبيه:

ـ انظر يا أبي العزيز ماذا أحضرت!

ـ ما هذا يا بني الصغير؟

ـ إذا استغطيت بها فلن ينالك مكروه أو حزن!

ـ أرى الخير فيك يا بني، وأود أن أترك لك العرش، لكن تزوج أولًا.

ـ السمع والطاعة، يا والدي. سأتزوج!

في صباح اليوم التالي ما إن استيقظوا وتناولوا الفطور ذهب إلى حصانه وسأله:

ـ ألست جائعًا؟

ـ نعم بالطبع أنا جائع!

ـ إذن انتظر، سأحضر لك القليل من الشوفان.

قال الحصان:

ـ قف، لا يلزمني الشوفان

ـ فأجابه الأمير: إذن ماذا تود أن تأكل، يا حصاني العزيز؟ أعطيك ما تتمنى.

ـ شكرًا. هل ترى تلك الشجرة هناك التي هي ملك أبيك التي وزنها مائتا قنطار؟ اجمعها وأشعل النار فيها.

فعل "برونتسيك" ما قيل له: أوقد النار في الشجرة. ولما أن اشتعلت الشجرة وأصبحت كالجمرات المضيئة، أحضر هذه البقايا المشتعلة وذهب بها إلى الحصان الشاماني، فأكلها جميعا حتى آخر ذرة.

ـ حسنًا يا صاحبي العزيز، الآن يمكننا السير لثلاث ليالي وثلاثة أيام من دون جوع!

وهز نفسه وانتفض، فصارا لامعا براقا بحيث يمكن النظر للشمس وقت سطوع أشعتها أم له فلا.

ركب عليه "برونتسيك" وانطلقا. الآن هما يسيران في الهواء. ولما أن وصلا إلى هذه الغابة الكبيرة التي كانا فيها ذلك اليوم، سأل الحصان:

ـ هل نواصل السير إلى الأمام؟

ـ فأجابه "برونتسيك": نعم!

ـ فقال الحصان: ليست لديّ مشكلة لكنني سأقول لك أمرًا: لا تسمع، لا تعلم، لا ترى! لأن من يسمع كثيرًا يرى كثيرًا ويريد أن يعلم كثيرًا، ومن هو كذلك فلديه مشكلات كثيرة.

صحيح! قبل "برونتسيك" النصيحة ووعد حصانه الالتزام بها. عطس الشاماني عطسة ثم طار في السماء. مواصلين السير مارين على الكثير من الغابات. لقد كان هناك أشجار كثيفة جدًا. فجأة نظر "برونتسيك" إلى الأرض فإذ به يرى حدوة ذهبية، فقال:

ـ حصاني العزيز الصغير اسمح لي أن ألتقط هذه الحدوة الذهبية الجميلة!

ـ ليس لديّ مانع، التقطها ولكن اعلم ماذا قلت لك من قبل، وتذكر النصيحة!

ـ لا تخف، يا حصاني الصغير العزيز، لن تكون هناك أية مشكلة!

هبطا على الأرض، والتقط "برونتسيك" الحدوة الذهبية ووضعها في الحقيبة ثم حلقا ثانية في الهواء، وواصلا السير إلى الأمام. وبعد مرور بعض الوقت إذ بـ "برونتسيك" يقول:

ـ حصاني العزيز الصغير أرى على الأرض ريشة طائر ذهبية... حصاني العزيز الصغير اسمح لي أن ألتقطها!

ـ التقطها!

التقطها "برونتسيك" ووضعها في الحقيبة. ذهبا وواصلا التحليق والطيران إلى الأمام. وبدأت الأشجار الكثيفة الكثيرة في أن تقل ثم تندر، لكنها كانت كبيرة كالأبراج العالية. رأى "برونتسيك" عند جذر إحدى الأشجار خصلة شعر ذهبية.

ـ حصاني العزيز الصغير اسمح لي أن ألتقط هذه الخصلة أيضًا!

ـ التقطها، لكن لا تطلب شيئا آخرا بعد الآن!

التقطها "برونتسيك" ووضعها في الحقيبة هي الأخرى. عاودا الطيران مرة أخرى في الهواء،

ووواصلا التحليق إلى أن بدأت الشمس في الغروب وقد بزغت أمامهما مدينة جميلة خلابة رائعة. لقد كانت مضيئة وكان من حظ "برونتسيك" أنه كان هناك وقت غروب الشمس، لأنه إذا وصل هناك وقت الظهيرة فربما أخطأت عيناه من شدة الإضاءة. قال لحصانه هناك:

ـ لنهبط يا حصاني العزيز في هذا المكان!

إلي أين تذهبان؟ أنتما أمام بوابة القلعة الملكية! ماذا رأى "برونتسيك"؟ رأى جنودا سودًا مثل السخام![1] فسأل أحدهم:

ـ من أنتم، وماذا تفعلون؟

ـ ألا تعلم؟ ـ سأل الجندي.

ـ إذا كنت أعلم، ما كنت لأسأل! ـ أجابه "برونتسيك".

ـ أعلم أيها القادم الجديد أن هذه بلد الحظ! وهذا القصر هو لملك الحظ!

ـ ادخلوا وأخبروا الملك أن أمير شاب يقف ببابه.

دخل أحد الجنود مسرعًا وقال لملك الحظ من وماذا يوجد أمام البوابة، فقال له الملك:

ـ اسمحوا له بالدخول.

دخل الأمير "برونتسيك". وأقبل عليه ملك الحظ متشحا بالسواد مثل ظلمة الليل، مع أنه شاب مثله، وقال ملك الحظ:

ـ من سلالة مَنْ مِنَ الملوك أنت؟

ـ من نسل الملك "الأحمر".

ـ حسنًا يا صديقي. فقد سمعت من أبي كثيرا أن أباك كان رفيق أبي في العيش. حسنًا يا صديقي الآن ابق معي، ولتعش في بلاطي إن أردت!

ـ ليس لديّ مانع، لكنني لن أجلس من دون عمل. أعطني شيئا افعله.

ـ موافق، المهم لديّ الإخلاص. هل تقبل؟

ـ بالطبع موافق بكل سعادة.

---

(١) السُّخَامُ : سوادُ القِدْر.

وقد كان، أصبح "برونتسيك" مخلصًا للغاية. تحرك ولف ودار بين الخدم. وكما الأمر في المعتاد، فقد ظهرت بوادر الحسد الآن. رأى الخدم القديم كيف أن علاقة الملك طيبة بالخادم الجديد. فقد أصبح يتحدث معه أكثر مما يتحدث معهم. وبدؤوا يفكرون أنه ينبغي عليهم أن يجعلوا الملك يغضب منه. عقدوا العزم على أن يقيموا حفلة للخدم. أحضروا الموسيقيين وأعلنوا في المدينة كلها أن كل خدم الملك: عمال اليومية ورعاة الماشية ورعاة الخنازير مدعوون ووجهوا الدعوة لـ "برونتسيك" أيضًا الذي قال:

ـ إذا سمح الملك، فسأكون أنا هناك أيضًا.

بدأت الاحتفالية. لما أن سمع "برونتسيك" الموسيقى والمقطوعات الموسيقية قال للملك:

ـ انظر يا صديقي، لقد وجهوا الدعوة لي أيضًا. وأنا أقول إنه إذا سمحت لي فسأكون بينهم.

ـ بالطبع يا صديقي يمكنك الذهاب. استمتع بوقتك!

وبالفعل ذهب "برونتسيك". وكانت هناك المأكولات والمشروبات لمن أراد وبكميات كبيرة. عند منتصف الليل جلس الخدم سويًا. اصطف الرجال بجوار مائدة طويلة. شربوا وتحدثوا. ثم فجأة بالجالس عند نهاية المائدة يقول قصة حياته. وهكذا كان على الجميع بالدور أن يقولون أين ولدوا ومن أين جاءوا وأين ذهبوا، وماذا رأوا في هذا العالم. ولما أن أتى الدور على "برونتسيك"، قال:

ـ أنا لم أر شيئًا، ولا أعرف أي شيء.

فقال له الجالس بجواره وهو يحفزه:

ـ اكذب أنت الآخر، فنحن قد فعلنا ذلك.

قال "برونتسيك":

ـ لم أعتد الكذب! ومع ذلك أقول لكم واحدة. عندما قدمت إلى هنا وجدت حدوة ذهبية في الطريق.

صرخ الخدم بصوت عالٍ:

ـ هذا هو الكلام! ألا تستطيع أن تريها لنا؟

ـ بلى أستطيع.

مد "برونتسيك" يده بالحقيبة وأخرج منها الحدوة.

حدق الخدم بها. وبالكاد انتظر أحدهم الصباح، ثم ذهب إلى ملك الحظ ليخبره عن حدوة "برونتسيك" الذهبية، وقال للملك:

- يقول هذا الخادم الجديد إنه يستطيع أن يحضر الحصان الذي سقطت هذه الحدوة من قدمه.

استدعى ملك الحظ "برونتسيك" فجاء وقال:

- صباح الخير!

- مرحبًا يا صديقي العزيز "برونتسيك".

- كيف استمتعت؟

- كله تمام. شكرًا.

- سمعت أن لديك حدوة ذهبية! كما أنك قد قلت إنك تستطيع أن تحضر ذلك الحصان الذي سقطت الحدوة من قدميه.

- أنا؟ أنا لم أقل ذلك قط.

- حسنًا اعلم يا صديقي العزيز أنه إن لم تحضر الحصان قبل مرور ستة أيام، فستقطع رأسك.

حزن "برونتسيك"! ذهب إلى الإسطبل وشكى لحصانه ما حدث، فقال الحصان:

- الآن افعل ما تريد، لقد نبهت عليك في الطريق: لا تعرف، لا تسمع، لا ترى! -

ازداد حزن "برونتسيك". طوال الأسبوع كانت رأسه تنفجر من كثرة التفكير. في اليوم الخامس دخل إلى الإسطبل إلى جانب حصانه وأمسك بمسدسه وصوب نحو جبهته، فسأله الحصان:

- ماذا تريد أنت، وماذا تفعل؟

- أريد أن أموت، من الأفضل أن أقتل نفسي بدلا من أن تقطع رأسي.

أجاب عليه الحصان الصغير:

- افعل ما تريد، فأنا لا أستطيع مساعدتك.

لكن عندما شد "برونتسيك" الزناد رفس الحصان رفسة كبيرة طيرت المسدس على الأرض وحطمته، ثم قال له:

ـ ضع عليَّ السرج، ولنذهب نجرب حظنا.

سرج "برونتسيك" الحصان الشاماني الصغير. ولما أن أقحل الليل وثب خارجا من القصر الملكي. طار معه فوق الجبال والأودية والغابات المسحورة الصغيرة. ولما دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وقفا تحت قلعة من الذهب، وقال الحصان:

ـ لنهبط على هذه القلعة، لكن كن حذرًا عندما ندخل إلى الإسطبل! فهناك فحل الخيل ذو الشعر الذهبي الذي سقطت منه الحدوة، لكن هذا الحصان يشعر بدبة النملة الغريبة إذا حامت حول القلعة. ما أن نصل إلى الإسطبل ستتحول أنت إلى حب الشوفان وتختبئ في أذن الحصان، لكن اختفى واعلم أنهم سيبحثون عنك هناك، وإن وجدوك فهذه نهايتك، ونهايتي معك.

سأله "برونتسيك":

ـ وأنت أين ستختبئ؟

قال الحصان الصغير:

ـ لا تشغل نفسك بهذا الأمر فسوف أدبر أمري.

قفز الحصان قفزة كبيرة فظهر هو و"برونتسيك" في الإسطبل، فشرع فحل الخيل في الصهيل والصريخ والصياح على قدر جهده. هرع إلى هناك رعاة المهر وسائقو العربات وزعق البواقين ودقت صفارات الإنذار في القلعة كلها؛ بحثوا عن الغريب في المكان كله، حتى بين أعواد العشب وفي المعلفة بالإسطبل، وفي كل مكان آخر. المهم لم يعثروا على أي شيء في أي مكان. ثم أمسك اثنان من رعاة المهر كل منهما بعصا من الخوص وضربا فحل الخيل حتى تمدد على لوح الخشب لا يقدر على الحركة، لأنه سبب لهم كل هذا الضجيج والإزعاج.

ـ أنت فعلا تتبع فصيلة الكلاب، أيها الجيفة النتنة، لقد قلبت القلعة كلها، ومع ذلك لم نجد ولا حتى طائرًا صغيرًا غريبًا.

ولما أن ترك الرعاة فحل الخيل هناك خرج "برونتسيك" من أذن فحل الخيل متخفيًا، وتحول إلى إنسان ثانية. عندئذٍ وجد أن حصانه يقف بجانبه وقال لـ "برونتسيك":

ـ اسحب بعض الشعر من ذيلي، واقذفها على فحل الخيل واركب على ظهري، ولا تشغل نفسك بشيء آخر.

وحدث هذا بالفعل؛ قذف "برونتسيك" بالشعر على فحل الخيل، وخرج الشاماني من الإسطبل منطلقًا، ووراءه فحل الخيل! حلقوا في الهواء وطاروا خارجين من القلعة! عندما طاروا

خارجين عبر جدار القلعة خبطت ساق الحصان في الجدار، فاهتزت القلعة بشدة! فأسرع الجنود واثبين على طرف أقدامهم، وصرخوا قائلين:

ـ أه أيها اللص الوسخ هل جرأت على أن تأتي إلى هنا؟

قال المهر لـ "برونتسيك"

ـ اصرخ وقل نعم!

صاح "برونتسيك" بصوت عالٍ:

ـ نعم!

ولما أن بزغ الفجر كانوا في بيت ملك الحظ، وكان معهم فحل الخيل. خرج ملك الحظ ورأى فحل الخيل الجميل فصاح قائلًا:

ـ صديقي العزيز، لم أر في حياتي حصانا بهذا الجمال قط. من اليوم فصاعدًا لن تتناول الطعام في بيت الخدم.

وعلى هذا غضب بقية الخدم أكثر وأكثر على "برونتسيك". وقاموا بتنظيم حفل آخر ووجهوا الدعوة لـ "برونتسيك". وقد فعلوا في هذه الحفلة مثلما فعلوا في سابقتها. كل منهم قد حكى قصة حياته. ولما أن حان دور "برونتسيك":

ـ أنا لا أعلم شيئًا.

قال له الجالس بجواره وهو يحفزه:

ـ اكذب أنت الآخر، فنحن قد فعلنا ذلك.

فقال "برونتسيك":

ـ لم أعتد الكذب! ومع ذلك يمكنني أن أقول لكم أنه عندما قدمت إلى هنا وجدت ريشة طائر ذهبية.

وقد أخرج من حقيبته تلك الريشة الذهبية وأراها للآخرين. لم يلزم شيء آخر للخدم! وقالوا إن "برونتسيك" حكى ذلك وأنه يستطيع أن يحضر ذلك الطائر الذي حصل منه على تلك الريشة. بالكاد انتظر الملك بزوغ الصباح، ثم استدعاه في الحال وقال له:

ـ قبل مرور ستة من الأيام عليك أن تحضر هذا الطائر، وإلا فالموت لك لا محالة!

ـ أري أنه ينبغي أن أفكر في الأمر، لأنني لم أر هذا الطائر من قبل! ـ قال "برونتسيك".

وهكذا خرج متجها إلى الإسطبل حيث حصانه ليحكِ له الأمر الجديد.

أجاب الحصان الصغير:

ـ ألم أقل لك من قبل: لا تعلم، لا تسمع، لا ترى! الآن افعل ما ترى!

هكذا يكون الأمر! وشعر "برونتسيك" في التضرع له، ويتوسل للحصان باكيًا كي يساعده هذه المرة فحسب.

ـ ليس لديّ مانع من مساعدتك، فلنحاول. إذا مت أنت، فسأموت أنا الآخر! ـ قال ذلك الحصان.

في مساء اليوم الخامس طارا بعيدا خارج البلاط الملكي، لكن أين توقفا؟ لقد توقفا أمام بوابة القلعة الذهبية! قال الحصان الصغير لـ "برونتسيك":

ـ حسنًا يا صاحبي العزيز، الآن ندخل إلى القلعة. تتكون هذه القلعة من العديد من الغرف لكن كل أبواب الغرف تترك مفتوحة. يمكنك التقدم عبر تسع وتسعين غرفة. في الغرفة المائة معلقا على الجدار قفص ذهبي. في هذا القفص يوجد الطائر ذو الريش الذهبي. اسحب من عُرْفي مجموعة من الشعر وضعها على القفص، ثم خذه معك. يمكنك أن تحضره معك بكل هدوء، لكن انتبه عند خروجك بألا تخبط في الأبواب الخشبية أو الأثاثات لأنه في لمح البصر سوف تنقلب القلعة رأسا على عقب، وسوف نلقي حتفنا هنا.

كانا يقفان سويًا عند القلعة. بعد ذلك انطلق "برونتسيك" من غرفة لأخرى عبر القصر، ولما أن وصل إلى الغرفة السابعة والتسعين رأى فيها سريرا نحاسيًا. عليه بنت ذات شعر نحاسي معلق أحد ذراعيها. أحدق فيها "برونتسيك" وأراد أن يذهب إليها لينزل ذراعها، إلا أنه لحسن حظه قد تذكر أنه لا يجب عليه لمس أي شيء.

دخل إلى الغرفة الأخرى، إلى الثامنة والتسعين. هناك وجد سريرا فضيًا تنام فيه بنت يغطيها لحاف فضي حتى خصرها. علاوة على ذلك فقد رأى "برونتسيك" الصدر والرقبة البيضاء الجميلة للبنت. ظل يحدق فيها وقد لاحظ أنه يقف بجانب السرير تماما. عندئذٍ جال بعقله أنه لا يجب عليه لمس أي شيء.

دخل إلى الغرفة التالية، الغرفة التاسعة والتسعين. وما أن دخل حتى أجحظت عيناه من الذهول. فهنا يوجد سرير ذهبي عليه فتاة ذات شعر ذهبي مستلقية! وليس عليها أي غطاء، فقط

غطت شعرها الذهبي، وأحد ذراعيها وأحد ساقيها قد تدلي ساقطا على السرير. فكر "برونتسيك": "لا أبالي، فليحدث ما يحدث، لكنني لن أترك هذه الساق ولا هذا الذراع الملفوف الجميل ينمل ويتألم... سأرفعه على السرير."

ولما أن همّ بالاقتراب من هناك تذكر أنه ليس مسموحًا له ذلك. نظر بعيدًا فرأى على الجدار الأخير في الغرفة المائة القفص الذهبي، وبه الطائر الذهبي!

أخرج شعر عُرْف الفرس الذي سحبه من الحصان الشاماني ووضعه على القفص، ثم أمسك به ووضعه تحت إبطه جيدًا ثم انطلق به نحو الخارج.

بالطبع عندما مر من خلال الغرفتين كان ينظر دائمًا نحو الخلف: لم يستطع نسيان تلك الفتاة ذات الشعر الذهبي! ولما أن خرج من الغرفة الأخيرة، نظر أيضًا للخلف وارتطم مصادفة في الباب، فاهتزت القلعة!

هرع الجنود، وجرى إلى هناك حصانه الصغير، والتقط "برونتسيك" ومعه القفص والطائر، ووضعه على ظهره، واخترق جدار القلعة به، وطار به إلى الخارج!

ـ هل ترى يا صاحبي العزيز؟ لقد كنت على علم أنك ستنسى نفسك، لذلك ذهبت إلى الباب كي أنقذك في الوقت المناسب.

قال وهو ينظر للخلف على الدوام:

ـ شكرًا يا حصاني الصغير العزيز.

ثم واصلا السير بعد ذلك! ولما أن بزغ نور الفجر كانا في قلعة ملك الحظ.

أحضر "برونتسيك" القفص وبه الطائر وسلمه لملك الحظ الذي قام بدوره بتعليقه على شجرة بمسمار، إلا أن العصفور لم يغرد. عندئذ قال ملك الحظ:

ـ صديقي العزيز من الآن فصاعدًا سنتناول الغداء على مائدة واحدة ونتمشى سويًا.

لكن ماذا يحدث؟ لقد ازداد حنق الخدم، فقاموا بتنظيم حفلة أخرى، ووجهوا الدعوة مرة أخرى لـ "برونتسيك"، وبالفعل ذهب. قضوا وقتًا ممتعًا، وظلوا يرقصون حتى منتصف الليل. في الساعة الثانية عشرة جلسوا حول المائدة المستطيلة ثانية. أطلق كل منهم كذبة، لكن "برونتسيك" لم يفعل، لكن لما أن ألحوا عليه وأجبروه أخرج خصلة الشعر الذهبي وقال:

ـ انظروا يا أصدقائي. لما أن جئت إلى هنا فقد وجدت خصلة الشعر الذهبية هذه.

وبالكاد ما إن حكى هذا "برونتسيك"، إلا وقد انتهى الاستمتاع. ذهب هو الآخر لينام. أحد الخدم دخل مسرعًا إلى الملك ليخبره:

ـ جلالة الملك، لدى الغريب خصلة شعر ذهبية، وقد قال إنه يستطيع أن يجلب تلك الفتاة التي سقطت من رأسها الخصلة.

لم يكن يلزم شيء آخر لملك الحظ، فقد أسرع هو بنفسه إلى "برونتسيك"... لم ينتظر الصباح... أيقظه:

ـ استيقظ يا صديقي! هل صحيح أن لديك خصلة شعر ذهبية؟

أجاب المسكين "برونتسيك":

ـ نعم لديّ

ـ إذا كانت لديك فعلًا، إذن أحضر لي تلك الفتاة، وإن لم تفعل فستموت بالتأكيد، كما أنني سأعلن الحرب على أبيك وسوف أقتله مع ابنيه الآخرين، وسأحتل بلادكم كلها.

ـ حسنًا يا صديقي لكن هل تعطني القليل من الوقت للتفكير؟

ـ ليس لدي مانع... أمامك ثلاثة أيام.

خرج "برونتسيك" إلى الحصان الصغير وسرد له طبيعة الأمر الجديد، فأجاب عليه الحصان الصغير:

ـ قل لملك الحظ أن يأمر بتصنيع أرجوحة ذهبية وستة من الأحصنة البيضاء ويمنحك ألفًا من الجنود وأن يجمع من البلد مائة من البنات على أن ترتدي البنات ملابس بيضاء. ولما أن يتم تجهيز كل ذلك، سننطلق.

قال "برونتسيك" ذلك، وقد قبل الملك الأمر.

أقبل صائغو الذهب وأعدوا الأرجوحة الذهبية وقام الخيالة بتجهيز الأحصنة البيضاء، ونظف الجنود أسلحتهم واستحمت البنات وارتدين جميعهن الأبيض. خلال هذا الوقت كانت العربة قد تجهزت هي الأخرى.

ركب "برونتسيك" حصانه الصغير وقاد الفريق. ذهبوا وواصلوا السير. وقد مر على سيرهم أسبوع. الجميع شعر بالجوع وتذمرت الجنود.

ذهب الحصان الصغير إلى "برونتسيك" وهمس له:

ـ قل لهم إنه علينا التحمل ليوم واحد آخر والجميع سيكون بخير وسعادة.

توسل "برونتسيك" للجنود:

ـ صبر قليل يا أصدقاء المحنة، فالأمر كله تحمل يوم ليس أكثر، ثم ستأكلون وتشربون ما تشتهيه أعينكم وأفواهكم.

هدأ الجنود، وواصلوا السير، ثم قال الحصان الصغير:

ـ صاحبي الصغير العزيز احني الأرجوحة نصفين من الطريق وليصطف الجنود والفتيات على جانبي الطريق لأنه ستأتي الخنازير البرية. لقد كانت في حرب، وهي متعبة للغاية.

عندما مر قطيع الخنازير البرية كله، قال ملك الخنازير البرية:

ـ عزيزي "برونتسيك" لأنك صنعت لي ولجنودي طريقًا، إذن فعندما تكون في احتياج إليَّ، فقط فكِّر فيَّ وسأكون أمامك في الحال أقدم لك يد العون والمساعدة.

انسحب قطيع الخنازير البرية، وانطلقت مجموعة "برونتسيك". بالكاد كانوا قد قطعوا مسافة كيلومترين فحسب وإذ بالحصان الصغير يقول:

ـ صاحبي العزيز، أوقف الفريق نصفين مرة أخرى. الآن تأتي الشياطين، فهي أيضا مجهدة للغاية، فقد عادت لتوها من الحرب.

وبالكاد كانوا قد صنعوا طريقًا إلا ولاح في الأفق ضباب أسود قبالتهم! فقد كانت الشياطين كثيرة كأعواد العشب في المروج. فكان من بينهم المصاب، وكان منهم من قطعت أحد قرونه. ولما أن وصل ملك الشياطين إلى "برونتسيك" قال له:

ـ عزيزي "برونتسيك" أنا "بلوتو" كبير الشياطين. بما أنك صنعت لي ولجنودي طريقًا، إذن فعندما تكون في احتياج إليَّ، فقط فكِّر فيَّ وسأكون هناك في الحال أقدم لك يد العون والمساعدة.

جمع "برونتسيك" رجاله مرة أخرى وتقدموا للأمام في الطريق، وما أن ساروا ثلاثة أو أربعة كيلومترات حتى قال الحصان ثانية:

ـ مُر جنودك أن يقفوا صفين لأن النحل يأتي الآن، فقد كان في معركة لأن الزنابير[1] قد هاجمتهم، وقد ضربوا هؤلاء.

---

(١) الزنابير: الدبابير.

أوقف "برونتسيك" رجاله صفين وأمرهم ألا يحركوا آذانهم. وصل النحل. لقد كان هؤلاء المساكين متعبين للغاية، فنزلوا على أذن وأنف الجنود، لكن لم يتحرك منهم أحد مهما احتكت أذنهم وأنوفهم. عندما استراح النحل تجمع وتكور ليواصل الطير. عندئذ توجه ملك النحل إلى "برونتسيك" وقال له:

ـ صديقي العزيز "برونتسيك". لا أحد يدري متى ستكون في حاجة للسكريات الحلوة؛ لكن إذا احتجت لشيء من هذا القبيل عندئذ فكر فيَّ فحسب وسأحضر لك ما يكفيك أنت وجنودك حتى تمتلئ البطون.

جمع "برونتسيك" رجاله ثانية ووواصلون السير للأمام. قال الحصان الصغير لـ "برونتسيك" ثانية:

ـ أمامنا ساعة لنصل إلى القلعة الذهبية، لكن تذكر جيدًا ماذا قلت لك! لما ندخل وتذهب إلى سيد القلعة وتقول له إنك كنت في معركة حربية فاطلب الاستراحة لديه فحسب. ولا تتحدث عن أبيك أو عن ملك الحظ لأنه عندئذ سيتم طردك من القلعة! قل إنك ابن الملك "الأخضر".

ولما أن انتهيا من هذا الحديث كانا قد أصبحا هناك عند بوابة القلعة. نزل "برونتسيك" وتقابل مع صاحب القلعة في الحال. ألقى عليه التحية بشكل لائق. قص عليه أنه كان في حرب ويريد أن يستريح هنا لبضعة أيام، فقال له صاحب القلعة:

ـ لا تشغل بالك! أعلم أنكم جوعي. هنا من الطعام والشراب الذي يكفي، وسيحصل جنودك أيضًا على ما يريدون.

وقد كان. افترشوا الحديقة المزهرة، وجلس الجنود على المائدة، وبعد جوع شديد أكلوا بشهية مفتوحة. فجأة أقبلت تلك الفتاة ذات الشعر الذهبي أيضًا. ألقى "برونتسيك" نظرة عليها... ولنسمع هناك ماذا حدث؟ وقعت الفتاة في حب الأمير "برونتسيك" على الفور... ذهبا سويًا ليتمشيا، وقد لاحظ "برونتسيك" من نظرات الفتاة أنها تحبه؛ اشتعلت عين الفتاة كحجر الماس أو كعين القطة في عتمة الليل كلما نظرت إليه. فقال لها "برونتسيك":

ـ أتعرفين ماذا، ياروحي، وياحبيبة قلبي؟ سأطلب يدك من أبيكِ.

ـ ليس لديَّ مانع، وسأذهب معك إلى آخر الدنيا عن طيب خاطر لأنني أحبك من كل قلبي.

وبالفعل ذهب "برونتسيك" إلى سيد القلعة وطلب يد الفتاة بكل أدب واحترام، فرد عليه قائلا:

ـ لا تحمل للأمر همّا يا بني. سأزوجك إياها. فقط لديّ بضع أمنية حققها لي أولًا.

ـ ما هذه الأمنية؟

ـ هل ترى هذا الحقل الموجود أمام القلعة؟ احرثه وازرعه بالعنب على أن نصفيه في الصباح. ثم إن لديّ غرفة. في هذه الغرفة يوجد برميل سعة جالونين[1]. فليكن مملوءا بالعسل على صبيحة الغد. إذا لم تحقق هذه الأمنية فلن أعطيك ابنتي، وسوف أطردك من قلعتي.

خرج الأمير "برونتسيك" وقال لحصانه:

ـ اسمع ما هي الأمنية.

لما سمع ذلك، سأله الحصان الصغير:

ـ مع من تقابلنا أولا في الطريق؟

ـ مع ملك الخنازير البرية ـ قال "برونتسيك".

في هذه اللحظة ظهر بجانب "برونتسيك" الخنزير الذكر فسأله وهو ينخر بشدة:

ـ ما المشكلة صديقي العزيز "برونتسيك"؟

أجاب "برونتسيك":

ـ بالطبع هناك مشكلة! انظر إلى هذا الحقل. يجب أن أحرثه.

نخر ملك الخنازير البرية بشدة فأقبل على الفور قطيع من الخنازير البرية. وحرثوا الحقل كله خلال بضع دقائق!

نظر "برونتسيك" ثانية إلى الحصان وقال:

ـ حسنًا من أين نشتري العنب الآن؟

سأله الحصان الصغير:

ـ مع من تقابلنا في المرة الثانية؟

---

(١) جالون: وعاء أو إناء أو مقياس لحجم السوائل.

ـ مع الشياطين ـ قال ذلك "برونتسيك".

وبالكاد تلفظها حتى كان بجانبه كبير الشياطين يسأله:

ـ ما مشكلتك؟

ـ لدي مشكلة عويصة! هل ترى هذا المكان المحروث؟ يجب زراعته بالعنب لكن بطريقة نستطيع أن نصفيه في الصباح أيضًا.

عطس "بلوتو" عطسة فأتت على إثرها الشياطين فأعطاهم الأمر:

ـ اذهبوا في الحال إلى بلاد العجائب السبع، هناك عنب ناضج الآن. كل واحد منكم عليه أن يأتي بنبات العنب! ازرعوه هنا. رشوا الجذور كي لا تجف!

بالكاد كنت الساعة الثانية عشرة وقد كان العنب جاهزًا!

نظر "برونتسيك" ثانية إلى حصانة الصغير:

ـ لكن من أين نحضر العسل؟

سأله الحصان الصغير:

ـ مع من تقابلنا أيضًا؟

قال "برونتسيك":

ـ مع النحل!

وما أن قالها حتى كان هناك ملك النحل.

ـ ما مشكلتك يا صديقي العزيز؟

ـ أنا في حاجة إلى الكثير من العسل.

أصدر ملك النحل أزيزًا[1]، أقبلت على إثره أعداد غفيرة من النحل على كل عود من العشب اثنان أو ثلاثة من النحل يقف. أعطاهم الأمر:

في الغرفة يوجد برميل، املؤوه بالعسل حتى يفيض ويسيل منه.

ولما أن بزغ نور الفجر كان الحوض ممتلئًا.

---

(١) أزيز: صوت النحل.

استيقظ سيد القلعة ونظر من النافذة فرأى العنب. ظن أن عينيه ترى سرابا فحسب، فخرج والتقط واحدة وقد كانت حلوة لذيذة للغاية لدرجة أن حلاوتها علقت وبقت بلسانه لمدة طويلة. دخل إلى الغرفة ونظر إلى البرميل فرأى أنه مملوء على آخره لدرجة أن العسل يسيل على جانبه. دخل إلى غرفته واستدعى ابنته و"برونتسيك"، ثم قال:

ـ حسنًا يا صديقي العزيز، لقد حققت أمنيتي. أنا أيضا ملتزم بكلمتي لك. أزوجك ابنتي إذا كانت تحبك.

إذن ما الذي حدث فجأة؟ قفزت الفتاة ذات الشعر الذهبي على رقبة "برونتسيك" وقبلته كثيرًا، ثم قال "برونتسيك" من النافذة:

ـ أمسكوا الأحصنة! ولتقف العربة في الأمام وتستعد!

ودَّعت الفتاة والديها، وجلست مع "برونتسيك" في العربة الذهبية وانطلقوا صوب بلاد الحظ. وبمجرد أن انطلقوا في الطريق سألت الفتاة:

ـ تحدث جنودك ليلة أمس أن ملك الحظ أرسلك من أجلي.

قال "برونتسيك":

ـ دعيهم يتحدثون!

سألته الفتاة:

ـ قل هل تأخذني لنفسك؟ هل تقول الحقيقة؟

ـ لماذا تعتقدين أنني آخذك لشخص آخر؟

ـ لا تأخذني لأحد آخر بأية حالٍ من الأحوال! لأنني أفضل الموت إن لم أكن زوجتك.

مر الوقت وتقدموا للأمام، ثم وصلوا في النهاية إلى أرض الحظ ودخلوا إلى القصر الملكي.

لما أن رأى ملك الحظ الفتاة جرى مسرعًا إلى العربة وأراد أن يحضنها في الحال ويقبلها، لكن الفتاة تراجعت للخلف ولم تسمح له. في هذه الأثناء عندما سمع العصفور ذو الريش الذهبي صوت الفتاة، شرع يغرد بشكل رائع في الحال، فقال ملك الحظ للفتاة:

ـ مع العلم أنني لم آمر بإحضارك كي تكونين لي، لكنني أريدك الآن!

ردت الفتاة على ملك الحظ قائلة:

ـ هل تريد أن أكون لك؟ إذن حقق أمنيتي.

سألها ملك الحظ:

ـ ما هي؟

ـ لدي أبي قطيع من الفرسات البرية. أحضرهم لي.

قال ملك الحظ:

ـ أنا لا أستطيع أن أفعل هذا الأمر.

ـ أعلم يقينا أنك جبان، لكن سيحضره لي من أحضرني إلى هنا في الأساس.

في الحال توجه ملك الحظ إلى "برونتسيك" وقال:

ـ آمرك أن تذهب وراء الفرسات البرية وتحضرها!

ذهب "برونتسيك" إلى حصانه الصغير واشتكي له الأمر، فقال الحصان:

ـ قل للملك أن يملأ ستة أجولة من رماد الفحم واطلب منه فأسا ومجرفة واربطهم على ظهري واركب على ظهري فحسب.

عندما أصبحت هذه الأشياء جاهزة، ركب "برونتسيك" حصانه. وطارا بعيدًا في الحال. فجأة هبطا في مرعى كبير ثم ذهبا إلى أسفل شجرة ناضجة وكثيفة الأغصان، وهناك قال الحصان الصغير:

ـ على بعد خمس خطوات من الشجرة هنا احفر حفرتين بجانب بعضهما البعض. فلتكونا عميقتان بحيث إذا نزلت فيهما أختفي تماما ولا تظهر حتى شحمة أذني. في إحداهما نضع أجولة رماد الفحم، أما الثانية فسأكون فيها أنا؛ أما أنت فهل ترى غصن الشجرة هذا؟ اجلس عليه ومعك سيفك. أنا سوف أقاتل وربما أصهل أيضًا، لكن حال إن صهلت للمرة الثالثة فهذا يعني أننا قد هزمنا وهذه هي النهاية، ولم أعد أحتمل المزيد من الضربات. عندئذ اغرس السيف في قلبك لتموت في الحال أنت أيضًا.

لما أن أصبحا جاهزين بكل شيء صهل الحصان صهلة استعدادا للمعركة القادمة. سمع "برونتسيك" كما لو كانت هناك حرب سماوية قد اندلعت في هذا المكان: حدث صياح رهيب! اعتقد أن العاصفة سوف تمزق الشجرة التي تسلقها، لكن ماذا يري؟ مائة من الفرسات البرية يقودها فحل خيل تسير بقوة كما لو كانت تريد أن تدك الأرض من تحتها! ولما أن أحاطت

بالمرعى أصهل الشاماني مرة أخرى. عندئذٍ لمحه فحل الخيل البري فوثب إلى الحفرة حيث الحصان الشاماني، فخرج منها الشاماني واثبًا ثم قفز في الحفرة الأخرى! ووراءه فحل الخيل البري أيضا وهناك بدأ يمضغ ويعض ويأكل أجولة الرماد الفحمية كما لو كان يقاتلها! لما أن رأى "برونتسيك" أن جوالا واحد قد تبقى أمام فحل الخيل أمسك بالسيف لينزله في قلبه، فإذ بالشاماني يقول له:

ـ تعال وانزل، يا صاحبي الصغير؛ لا توجد مشكلة؛ لقد نجينا.

نزل "برونتسيك" من على الشجرة فقال له حصانه الشاماني:

ـ انظر لقد مزق كل الأجولة، ولم يتبقى منها سوى واحد لكن من شدة العراك فقد أصبح مسالما وستتبعه بقية الفرسات. خذ خصلة من عُرفي وألقها على فحل الخيل البري هذا ثم بعد ذلك سيأتي هو ورائي ومن وراءه بقية الأحصنة البرية الأخرى.

وهذا ما قد حدث. وقطعوا الطريق إلى بلاد ملك الحظ. عندما وصلوا خرج ملك الحظ وخرجت الفتاة ذات الشعر الذهبي. وتباهي ملك الحظ أمام الفتاة قائلًا:

ـ انظري يا حبيبتي هذه هي أحصنتك البرية! هل ستصبحين الآن زوجتي؟

أجابت الفتاة:

ـ سوف أكون زوجتك إذا حلبت هذه الفرسات البرية وسكبت لبنها كله في حوض، واستحممت فيه.

رد عليها الملك قائلًا:

ـ أنا لا أستطيع أن أفعل هذا الأمر. لن أحلب هذه الحيوانات المفترسة!

فقالت الفتاة:

ـ كنت أعلم أنت لست مناسبا لهذا العمل، لكن سيحلبهم من أحضرهم إلى هنا.

استدعى "برونتسيك". فأتي وبجانبه حصانه الشاماني الصغير. أطلق "برونتسيك" صافرة وذهب كلاهما إلى الحوض، لكن ماذا حدث هناك؟ وقفت الفرسات البرية بجانب الحوض مثل الأغنام الأليفة ممدة سيقانها فحلبها بسلاسة ويسر، ولما أن تم حلبها كلها كان اللبن يغلي في الحوض كالحديد السائل المغلي! عندئذ قالت الفتاة ذات الشعر الذهبي:

ـ حسنًا أنت أيها المختال الشهير يا ملك الحظ، استحم فيه! فأنا سوف أكون لمن ينغمس فيه!

- "برونتسيك" انهض واستحم بدلًا مني! وإلا فالموت ينتظرك!

ماذا كان بوسع "برونتسيك" أن يفعل؟ اتجه نحو الحوض، لكن ماذا بعد؟ فقد حدث أن قام الحصان الشاماني بنفخ نفخة في اللبن جعلته فاترا كله مرة واحدة تماما مثل مياه الجدول المائي في الصيف. خلع "برونتسيك" ملابسه بسرعة ووثب فيه. استحم جيدًا وشرب منه أيضًا، ثم خرج.

ثم خلع ملك الحظ ملابسه هو الآخر لينزل في الحوض لتكون الفتاة له!

رمى ملابسه وقفز في الحوض أيضًا، لكن حينئذ كان الحصان الشاماني قد نفخ فيه نفخة جعلته يبدأ في الغليان من جديد. كان يكفي بالنسبة للملك الحظ أن يغمس أصابع قدميه فحسب ثم هرب بمجرد أن لمس طرف الحوض وكان عاريًا، في خزيه - جاريًا! ثم دخل إلى القصر... إلى غرفته الداخلية... إلى أسفل السرير... إلى أسفل زغب الطيور![1]

ثم قفزت الفتاة ذات الشعر الذهبي في حضن "برونتسيك".

- لقد كافحت من أجلي! أنا لك، وأنت لي!

تم استدعاء الكاهن وتزوجا وأقيمت ليلة عرس باهرة ثم سافرا والسعادة تغمرهما إلى والد الفتى.

وما زالا يعيشان حتى الآن إن لم يكن قد توفاهما الله.

---

(١) الزَّغَبُ: صَغارُ الريش والشَّعر ولَيِّنُه.

راعية الإوز التي صارت ملكة

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان، كان يعيش في هذا العالم رجل فقير وزوجته، وكان لديهما ثلاث من البنات.

ذات مرة استعد أبوهن للذهاب إلى السوق... أراد أن يشتري هدية لبناته... فجمع البنات الثلاث أمامه، ثم سألهن بالترتيب عن مقدار حبهن له فقالت الأولى:

ـ أحبك يا أبي كحبي لأفضل الملابس التي يبيعونها في السوق!

أجابت الثانية كالتالي:

ـ أحبك يا أبي مثل حبي للملابس الماسية، هل لك أن تشتري لي من هذه النوعية؟

فالتفت إلى الثالثة وسألها:

ـ كيف تحبيني، يا بنتي الصغيرة؟

ـ أبي العزيز أحبك كالملح في الطعام!

ـ يا للخسارة، فليمضغك الكلب كلك ولا يترك منك شيئا! كيف تجرؤين على أن تقولي هذا؟ ماذا تعتبريني؟ هل أساوي هذا القدر القليل بالنسبة لك؟ انصرفي من أمام عيني الآن، واذهبي حيث تريدين، لا تلزميني! أصبح الأب عصبيًا وحاد المزاج بشكل مخيف لأن بنته قدرته هذا التقدير القليل.

ولكن أين عساها أن تذهب هذه الفتاة الصغيرة الآن؟ لقد طُردت بسبب هذه الكلمة. ماذا كان بوسعها أن تفعل هذه المسكينة: جمعت أمتعتها القليلة، وانطلقت هائمة في الأرض.

سارت وواصلت السير وهي نفسها لا تعلم إلى أين، وبعد مسير طويل إذ بها تجد نفسها في منطقة غنية لا تعلم مِلْك من. ظلت تسأل هنا وهناك حتى سمعت أنها لملك ثري جدًا.

عندئذٍ حكت له في أي أمر قدمت ومن هي وماذا تريد، وأنها جاءت تبحث عن عمل، إن أمكن. فهي لا تبالي بنوعية العمل الذي يتم توفيره لها! لقد أسفوا كثيرا على الملابس المهلهلة التي ترتديها تلك الفتاة غير الهندامه، لكن أي عمل يعطونها، المهم أنهم وافقوا على أن تعمل راعية للإوز.

وهناك كانت البنت مسكينة مظلومة لمدة طويلة. كان يتوجب عليها دوما تناول طعامها في المطبخ. ذات مرة كانت تتلوى وتلف في ملابسها المهملة المصنوعة من القش فصرخ فيها الطباخ صرخة كبيرة:

ـ لن تخرجي من هنا! أنت دائما تحت القدم! يا ويلك إذا سقط شيء من ملابسك في الطعام! ستنالين عقابك، وربما يشنقونك بسبب هذا! اغربي عن وجهي حالًا!

خرجت البنت المسكينة، وبمجرد أن خرجت من المكان، كانت نافذة الأمير مفتوحة.

ـ إلى أين يتجهز الأمير؟ ـ قالت الفتاة المسكينة من النافذة وهي ترى الأمير يرتدي ملابسه.

ـ ماذا تسألين أنتِ؟ أذهب حيثما أريد. أذهب في المساء إلى حفلة راقصة ساهرة، ابعدي عن نافذتي! ـ وألقي في وجهها المنشفة.

عقدت راعية الإوز العزم وذهبت إلى عِشة الإوز، إلى مكان النوم المفضل بالنسبة لها، فأخرجت من جيبها ما أخذته في المطبخ، ثم انهمرت في بكاء مرير تملكها أثناء العشاء. وبينما هي تتناول العشاء إذ بها تسمع فأرا يقرض الخشب. نظرت إلى هناك فكان فعلا هكذا. أسفت عليه وأعطته لقمة عيش ليأكلها. ثم أحضر الفأر معه قشرة بندق، ووضعها بجانب راعية الإوز، ثم جري مسرعا عائدًا إلى جحره.

نظرت البنت المسكينة إلى قشرة البندق ماذا يوجد بداخلها: ثلاثة من الملابس الفخمة للغاية. بمجرد أنها نظرت إليها أول مرة رأت ملابسا ذهبية رائعة، ففرحت لذلك جدًّا، وصفقت من شدة فرحتها! "توقف أيها الأمير، توقف! عما قريب سأكون أيضا أنا هناك في هذه الحفلة الراقصة الساهرة!" وقد قررت أن تذهب تستمتع بوقتها هناك، بما أن لديها ملابس جميلة! استعدت بسرعة وأعدت نفسها واغتسلت، وارتدت الملابس الذهبية. وانطلقت في لمح البصر إلى الحفلة الساهرة.

عندما وصلت إلى هناك، شرعت في الرقص في الحال، وكان الأمير معها دائما، لم يترك لأحد الفرصة ليرقص معها قط. أدهشته جدًّا، وأحبها أيضًا.

ثم ظل يسألها من تكون، ومن أين جاءت؟ لكن الفتاة الجميلة لم تقل سوى:

ـ القذف بالمنشفة في القلعة!

وعندئذ عزفت مقطوعة موسيقية جديدة، وذهبا ثانية للرقص. ظلت هذه المقطوعة تعزف حتى الصباح.

أمسك الأمير بالبنت الجميلة ذات الملابس الذهبية بيده وطلب منها أن تسمح له بأن يصطحبها إلى منزلها، لكن البنت بدأت في المهمهة بأن الأمر ربما يكون كذا أو كذا، ولكن فقط، وربما مرة أخرى، ثم هربت، ولم يجد الأمير سوى مكانها المحفوف بالرقة.

عادت الفتاة إلى كوخ الإوز، ووضعت الملابس الذهبية في قشرة البندق، وأمسكت بملابسها البالية المصنوعة من وبر الماشية ولبستها، وأضحت راعية الإوز من جديد. وظلت حتى الظهيرة مع الإوز في الخندق، ولم يخطر ببالها أن هناك من يعاني بسببها الآن!

حلَّ منتصف النهار، وكان الإوز في كوخه، والبنت تتراقص هناك في المطبخ، فوبخها الطباخ ثانية بحدة أكثر.

- انهضي من هنا، فلتأخذك الريح ولتغرقكِ المياه! إذا تعكر الطعام بسببك فيا ويلي أنا! - ثم أعطى لها القليل من الطعام لتأكله، ثم طردها.

ذهبت الفتاة إلى نافذة الأمير، فنظرت خلسة ورأت أن الأمير يمشط شعره ويستعد للذهاب إلى مكان ما! فسألته:

- إلى أين تستعد، يا حضرة الأمير لكي تتمشط هكذا جيدًا؟

- ما شأنك بهذا، فأنا أذهب حيثما أريد. سأذهب إلى حفلة راقصة ساهرة! ابتعدي عن نافذتي! وقذف المشط في وجه الفتاة.

ذهبت الفتاة إلى الكوخ، وهناك في أحد الأركان انتظرت المساء عندما فكرت في أنه يمكنها الانطلاق، ثم أخرجت من قشرة البندق ملابس فضية وتحممت جيدًا، وانطلقت في لمح البصر إلى الحفلة الساهرة.

كانت الحفلة متوقفة. لم يستمتع الأمير بل كان يشعر بالحزن جالسًا في أحد الأماكن بجانب المائدة، إلا أنه عندما لمح الفتاة ذات الملابس الفضية فقد تغير تمامًا كما لو كانوا قد بدلوه بشخص آخر! أرقصته وسحرته بجمالها، وأصبح مزاجه طيبًا للغاية! ألح عليها في السؤال ثانية، من هي ومن أين تكون، لكن الفتاة لم تقل سوى:

- قذف المشط في القلعة!

فكر الأمير من تكون هذه، لكنه لم يتوصل لشيء، ثم طلب من الفتاة أن يصطحبها إلى منزلها، فراوغته وتسحبت وفجأة اختفت مرة أخرى، مثل ذلك المساء السابق.

ذهبت الفتاة إلى البيت وخلعت الملابس الفضية ووضعتها في قشرة البندق، ثم ارتدت ملابسها المصنوعة من وبر الماشية، وما أن بزغ نور النهار، إلا وقد كانت مع الإوز في التلة.

صعدت الفتاة إلى المطبخ نحو الظهيرة، لكنها لم تتشاق هناك كثيرًا، وانتظرت حتى يعطونها شيئا تأكله، وذهبت، لكن الأمير كان هناك في النافذة في الأعلى.

ـ هل تستعد ثانية يا حضرة الأمير للذهاب إلى الحفلة الساهرة؟

ـ بالفعل سأذهب إلى هناك! لكنك لما أنت دومًا صفيقة(١) تتسلي بالنظر إلى نافذتي؟

وهكذا قذفها بالمرآة هذه المرة. وهنا فكرت الفتاة في نفسها قائلة:

"حسنًا، كله تمام، سأكون هناك أنا أيضا سريعا مثلك، لا تقلق!"

انتظرت ثانية حتى المساء، وارتدت الملابس الماسية، وانطلقت في لمح البصر إلى الحفلة، وقد كانت هناك أسرع من الأمير، وكانت ترقص مع شخص آخر عندما وصل الأمير إلى هناك.

لم يستطع الأمير تحمل أن يرى من يحب ترقص مع غيره، فذهب إلى هناك، وأمسك الشاب من يده بغضب، ثم رقص معها.

في هذه المرة قضيا وقتا ممتعا أكثر وأكثر من اليومين السابقين. لقد أصبح الأمير عاشقا لها متيمًا بها للغاية، وسيطرت الفتاة على فكره. سألها ثانية كي تخبره من أين هي، لأنه عندما سأل عنها لم يجد أحدًا قد سمع عنها قط، أجابت الفتاة:

ـ قذف المرآة في القلعة!

ـ أين تكون هذه؟ لا أعرفها. لدينا في الجوار رجل عجوز سافر إلى العديد من البلدان، سأسأله، لكن هذه البلاد هو نفسه لا يعرفها!

لم توضح له البنت الأمر.

لم يستطع الأمير أن يأمرها، فما كان منه إلا أن خلع الخاتم من إصبعه، وأعطاه لها لكي تحتفظ وتعتني به، لأنه يريد خطبتها! وعدته الفتاة لكنها لم تنتظر أن يطلب منها الأمير اصطحابها إلى البيت هذه المرة، فانزلقت مثل الفراشة وجرت مسرعة مباشرة إلى الكوخ، وهناك خلعت رداءها، وارتدت ملابسها غير الهندامة.

كان الأمير تواقًا إليها مشتاقا لها للغاية وأحبها من كل قلبه، وفجأة اختفت. كيف هربت، فقد كانت تدخل هنا وهناك في الحفلة ومن بين الجميع تمكنت من الهرب. عندما عاد إلى المنزل تملكه الحزن، ولم يكن يتفوه بكلمة واحدة... نعم إلى هذه الدرجة كان حزينا. ذهبت إليه أمه وأبوه ليواسياه، لكن الأمير كان حزينا، ولم يستجب لأحد. لقد تألم قلبه، لدرجة أنه كاد أن يموت به.

---

(١) صفيقة: وقحة أو سليطة اللسان.

عندما أقبل منتصف النهار، كان المطبخ قد اكتظ بالطعام.

ذهبت راعية الإوز إلى المطبخ هي الأخرى. تلف وتدور حول الطباخ حيثما خطت قدماه. كانت دائما أسفل قدميه.

- عما تبحثين هنا؟ اغربي عن وجهي حالا! كان الطباخ بحكم عمله يتنقل في المطبخ كثيرًا، وكانت البنت هناك تتلاعب وتتراقص، وبطريقة ما وضعت الخاتم في الطبق... ذلك الخاتم الذي حصلت عليه من الأمير.

خرجت مسرعة.

عندما أحضروا الطعام، وهموا يغرفون من الطبق، كانت الملعقة تخبط في شيء ما، فأخرجوه ورأوه. ماذا كان هذا الشيء؟ إنه الخاتم.

استدعوا الطباخ: من ذهب إلى المطبخ؟ ارتعدت مفاصل الطباخ، ولم يكن في جيبه بنسًا واحدًا. الآن هناك فعلا مشكلة! لم يجرؤ على أن يقول إنها راعية الإوز تلك التي ترتدي الملابس المصنوعة من وبر الماشية، لأنهم بالتأكيد سيشنقونه. فأنكر دخول أي شخص.

- أيها الطباخ! قل من دخل هناك، وإلا سأشنقك! لكن إن قلت الحقيقة، فلن تكون هناك مشكلة بالنسبة لك!

ماذا كان بوسعه أن يفعل! قال الطباخ الحقيقة إنه لم يدخل هناك أحد سوى راعية الإوز بملابسها المصنوعة من وبر الماشية.

- استدعها في الحال! ولتنظف نفسها جيدا، ثم تأتي إلى هنا!

اغتسلت راعية الإوز جيدًا، وسرحت شعرها، وارتدت الملابس الماسية، ودخلت عليهم.

كاد قلب الأمير أن ينفلق من الفرح عندما رآها. نعم إنها هي... هي من رقص معها... هي من أعطاها الخاتم! عانقها وقبَّلها وقال إنه سيتزوجها في الحال.

استعدوا لحفل الزفاف. فكروا من يعزمون؟ ومن بين الكثيرين وجهوا الدعوة لوالد الفتاة أيضًا.

تركتهم الفتاة في المطبخ لكي يعدون لأبيها كل شيء يحبه على وجه الخصوص، لكن من دون ملح.

أتي يوم الزفاف. وهناك والد الفتاة، وكان الجميع يتمتع بمزاج طيب، لكن والد الفتاة لم

يأكل، كما لو كان حزينا.

ثم سألوه، ماذا وجد؟ لما لا يأكل؟ ربما يكون الطعام غير طيب؟

لكن الرجل لم يفعل سوى الهمهمة، ولم يقل شيئًا.

ذهبت إليه الفتاة أيضًا، وسألته هي الأخرى:

ـ لِمَ لا تأكل، يا أبي العزيز؟ لا تحزن، فنحن الآن في عرس!

قال الأب إن هنا كل شيء جيد، وكل شيء معد بطريقة لذيذة، لكن المشكلة أنه لا يوجد ملح بالطعام.

عندئذ قالت له الفتاة:

ـ هل ترى، يا أبي العزيز أنك طردتني بسبب هذه الكلمة لأنني قلت إنني أحبك مثل الملح في الطعام. ألا ترى أن من دونه لا يساوي الطعام شيئًا.

عندما قالت البنت ذلك، انهمرت الدموع من عين أبيها. وتعانقا، وكان هناك فرح لم يكن له مثيل حتى في بلاد العجائب السبع. أصبحت الفتاة زوجة للأمير. وعاشا سعيدين مدة طويلة، وربما ما زالا يعيشان حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله.

الملك "ماتياش" والرجل العجوز

ذات مرة كان الملك "ماتياش" يتجول في البلاد في صحبةِ بعض سادة القومِ، وكان لطيفًا مع الجميعِ، ولم يهتم بشخصية وماهية مع من يبادله أطراف الحديث، وكان ينادي الجميع، ومن بين من ناداهم رجل عجوز كان أحد جنوده في السابق، وبعد تبادل بعض الكلمات تعرَّف الملك عليه، لأن الملك "ماتياش" يتعرف على من خدم عنده حتى بعد مرور أعوامٍ عديدة، ثم تبادل عبارات غامضة مع هذا الرجل:

- في طهارة أيها العجوز!

أجاب العجوز:

- شكرًا للسيدة!

سأل الملك:

- كم تحصل من المال مقابل عملك؟

أجاب العجوز:

- على ستة!

- بكم تعيش منهم؟

- باثنتين!

- إذن بماذا تفعل بالأربعة المتبقية؟

- ألقي بهم في الوحل!

- وكم بقي من الاثنين والثلاثين؟

- بقي منهم اثنتا عشرة فقط!

- هل تستطيع حلب التيس؟

- نعم، وأنا أيضًا!

سيطرت الدهشة والاستغراب على السادة فحسب، ولم يفهموا شيئًا من هذا الحديث، وقد رأى الملك دهشة السادة واستغرابهم، فأكمل حديثه ضاحكًا وهو يقول:

ـ وما لم تر صورتي، فلا تفسر ذلك لأي شخص!

وبهذا واصل الملك مسيره، ووراءه السادة الذين شرعوا في الحال في الاستفسار:

ـ ما فحوى هذه الكلمات التي تبادلتها مع هذا الفلاح العجوز، جلالتك؟ لم نفهم ولا كلمة واحدة!

أجاب الملك "ماتياش":

ـ من يجد تفسيرا لهذا الكلام، فسيحصل على مكافأة كبيرة!

فكَّر السادة، ولكن بلا جدوى! وعادوا بسرعة إلى الرجل العجوز، وأحاطوا به وطلبوا منه وأحثوه على أن يفسر لهم هذه الأسئلة، فقال لهم:

ـ لن أقول أي شيء حتى أرى صورة الملك.

سأله السادة:

ـ أين؟ عن أية صورة تتحدث؟

قال العجوز:

ـ أقصد تلك الصورة المطبوعة على العملات الذهبية[1].

وقد اتفقوا على عشر عملات ذهبية.

وهنا بدأ العجوز في الشرح.

ـ "في طهارة، أيها العجوز!" الملابس النظيفة هي الطهارة، ولذلك فإنني طاهر، لأن السيدة تغسل الملابس باستمرار، ولذلك فإنني قد قلت شكرًا للسيدة، أي لزوجتي.

ـ ولكن لماذا ترمي بأموالك في الوحل؟ لماذا ترمي من بين الستة أربعة؟ ـ سأله السادة.

أجاب العجوز:

ـ أتقاضى عن عملي ستة من النقود أعيش باثنين منها، والأربعة المتبقية أنفقها على ابني، وهذا الأمر يعد بمثابة أنني ألقيت بها في الوحل!

---

(١) يقصد الحصول على مبالغ مالية من تلك النقود الذهبية المطبوع عليها صورة الملك، مقابل أن يقوم بتفسير ما لم يفهموه من كلمات وأسئلة.

ـ إذن ماذا يعني: " وكم بقي من الاثنين والثلاثين؟

ـ أقول لكم مقابل عشر عملات من النقود الذهبية الأخرى!

اتفق السادة على عشر عملات ذهبية أخرى للعجوز.

أجاب العجوز ضاحكًا:

ـ في سنوات شبابي كانت لدي اثنتين وثلاثين سِنَّة، ولكن الآن لم يتبق منها سوى اثنتا عشرة فقط، وهذا هو التفسير.

لم يتبق سوى سؤال واحد، ومقابل هذا السؤال لم يبخل السادة بعشر عملات ذهبية أخرى للعجوز.

ـ ماذا يعني "كيف تحلب التيس؟"

ـ أحلبه كما أقوم الآن بحلب نقودكم واستنفادها أيها السادة مقابل تفسير ما لا تفهمون.

الملك "ماتياش" وراعي الأغنام الصادق

ذهب الملك البروسي[١] إلى الملك "ماتياش"[٢]، وبصفتهم من أصحاب الأطيان فقد ألقوا التحية على بعضهما البعض، وقال الملك البروسي:

ـ سمعت أن لديك خروفًا ذا شعر ذهبي!

رد الملك "ماتياش":

ـ نعم عندي خروف ذو شعر ذهبي، كما أن لدي راعي أغنام لا يعرف للكذب طريقًا على الإطلاق ـ

يقول الملك البروسي:

ـ سأثبت لك أنه يكذب!

يقول الملك "ماتياش":

ـ بالطبع لا إنه لا يكذب، بل ولا يعرف الكذب أصلًا!

ـ ولكنني سأبرهن لك أنه يكذب، لأنني سأخدعه، بحيث إنه لابد عليه أن يكذب.

قال الملك "ماتياش":

ـ أراهنك على أي شيء سأعطيك نصف دولتي.

ـ أنا أيضا سأعطيك نصف دولتي إذا لم يكذب هذا الراعي.

اتفقا وتصافحا، وهكذا قضى الملك البروسي ليلته، ثم عاد إلى منزله حيث يقيم، وهناك ارتدى الملك البروسي ملابس علية القوم[٣] من الفلاحين، وانطلق في التو واللحظة إلى الحقول، إلى رعاة الأغنام، ألقى التحية على راعي الأغنام، وهو بدوره رد التحية:

ـ حمدًا لله على سلامتك، سيدي الملك!

---

(١) منسوب إلى بروسيا، شخص من بروسيا: هو اسم كان يطلق بالأصل على المقاطعة الألمانية التي أطلق عليها لاحقا اسم "بروسيا الشرقية". سميت المنطقة على اسم السكان الأصليين البروسيين ذوي الأصول البلطيقية.

(٢) نسبة إلى الملك المجري "ماتياش" الأول، أو الملك العادل كما كانوا يلقبونه، وهو أحد أشهر الملوك المجريين على مدار التاريخ، وهو أشهر من ورد ذكره في الحكايات والحواديت.

(٣) أشرافهُم وصفوتهم وأرفعهم قدرًا وأسماهم مكانةً "كان من علية قومه".

ـ ومن أين علمت أنني ملك؟

قال راعي الأغنام:

ـ من خلال حديثك عرفت أن جلالتك ملك.

يقول الملك البروسي:

ـ أعطيك الكثير من المال، علاوة على ستة من الجياد، وعجلًا سمينًا، فقط أعطني الخروف ذا الشعر الذهبي.

قال راعي الأغنام:

ـ يا للخسارة! ولا حتى مقابل العالم بأسره لن أعطيك إياه، لأن الملك "ماتياش" سيشنقني.

وعرض الملك البروسي مبلغًا أكبر من المال عليه، ولكن لم يقبل راعي الأغنام بعرض الملك.

يعود الملك البروسي إلى محل إقامته، ويزداد غضبًا، وكانت هناك ابنته أيضا، فقالت:

ـ لا تغضب لأنني سوف أذهب إلى راعي الأغنام بالكثير من الذهب الخالص: أنا الذي سوف أوقع به!

أخذت الفتاة صندوقًا صغيرًا من الذهبِ الخالصِ، وزجاجة من الخمرِ، معسول للغاية كي تتمكن من الإيقاع براعي الأغنام، ولكن راعي الأغنام قال لها، بأن المال لا يلزمه! فالملك "ماتياش" سوف يشنقه عندما يعلم ماذا حلَّ بالخروف ذا الشعر الذهبي.

وتحدثت الفتاة وداعبت راعي الأغنام حتى إنهما في النهاية شربا الخمر، ولكن وجب على الفتاة أن تحتسي الخمر قبل راعي الأغنام، وأراد راعي الأغنام أن يرى أنها لم تضع له فيها ضررًا، وبسبب الخمر تحوَّل مزاج راعي الأغنام إلى أن قال آخر المطاف: أنه سيعطيها الخروف، إذا كانت الفتاة ستتزوجه في الحال، فالمال لا يلزمه، فلديه الكثير منه.

وضعت الفتاة الكثير من الشروط، ومع ذلك في النهاية فقد اتفقا، ثم قالت لراعي الأغنام:

ـ اذبح الخروف، كل أنت اللحم، لأن لحمه لا يلزمني، فقط فروه ما أحتاج إليه!

ذبح راعي الأغنام الخروف، وقد أحضرت الفتاة لوالدها فرو الخروف ذي الشعر الذهبي بسعادةٍ بالغةٍ، وهنا فرح الأب، لأن ابنته استطاعت الإيقاع براعي الأغنام.

أقبل الصباح، وكان الحزن يلف براثنه على راعي الأغنام من كل جانب، فماذا يقول الآن للملك "ماتياش"، كي لا يعرف أنه قد فقد الخروف ذا الشعر الذهبي. انطلق نحو القصر، وأثناء الطريق فكر فيما يقول، عندما يقف بين يدي الملك. أدخل عصاه في وكر الفئران، ووضع قبعته فوق العصا، وابتعد عنها قليلا ووقف قبالتها، وألقى التحية على سيده الملك، وتحدث باسم الملك وأجاب أيضا، كما لو كان واقفًا بالفعل أمام جلالته:

ـ ماذا عن المرعى؟

ـ بالتأكيد ليس هناك أي شيء سوى أن الخروف ذا الشعر الذهبي قد فُقِدَ... أكله الذئب! ـ قال ذلك لنفسه وهو يرتجف.

ـ أنت تكذب، فلماذا أكل هذا تحديدا وترك باقي القطيع!

بعد ذلك أخذ عصاه وانطلق مواصلًا السير صوب قصر الملك، ومرة أخرى يجد جحرًا آخر للفئران، فثبت عصاه عليه، وفوقها القبعة، وألقى التحية على الملك كما لو كان واقفًا أمامه:

ـ ماذا عن المرعى؟

ـ بالتأكيد ليس هناك أي شيء سوى أن الخروف ذا الشعر الذهبي قد سقط في البئرِ!

ـ أنت كذاب، لأنه إذا كان حدث ذلك، للقي باقي القطيع المصير نفسه أيضا! ـ تخيل أنه صوت الملك.

ثم أخذ عصاه وانطلق مواصلًا السير صوب قصر الملك، ومرة ثالثة يعثر على جحرًا للفئران، فوضع عصاه عليه، وفوقها القبعة، وألقي التحية على الملك، كما لو كان أمامه حقًا:

ـ ماذا عن المرعى؟

ـ لقد سرقوا الخروف ذا الشعر الذهبي!

ـ أنت تكذب، لأنه إذا كان حدث ذلك، لسُرِقَ باقي القطيع أيضًا!

الآن أخذ عصاه وانطلق مواصلًا السير تجاه قصر الملك "ماتياش"، وكان الملك البروسي جالسا هناك لدى المائدة ومعه ابنته، فدخل عليهم راعي الأغنام، وألقى التحية على كلا الملكين والبنت أيضًا، وكان قد تم إحضار فرو الخروف أيضا إلى الملك "ماتياش". الآن ينتظر الجميع هل يكذب راعي الأغنام، لأنه إذا كذب، فإن الملك "ماتياش" بهذا الاستقبال سوف يفقد نصف مملكته.

سأله الملك "ماتياش":

ـ ما الأخبار في المرعى؟

ـ لا يوجد شيء سوى أنني بدّلت الخروف ذا الشعر الذهبي بآخرٍ ذي شعر أسودٍ جميلٍ.

كانت سعادة الملك "ماتياش" كبيرة.

قال لراعي الأغنام:

ـ إذن أحِضِر الخروف!

يجيب راعي الأغنام:

ـ إنها تجلس في المنتصف بين الملكين.

ـ عاش، عاش! قالها الملك "ماتياش" لراعي الأغنام. ـ لم تكذب! لذلك أعطيك نصف الدولة التي ربحتها من الملك البروسي.

قال الملك البروسي:

ـ حسنًا وأنا سأزوجه ابنتي، فقد أحبا بعضهما البعض.

وهكذا صار من راعي الأغنام ملكا بروسيًّا.

الملك "ماتياش" وابنة رجل سيكاي

عندما كان الملك "ماتياش" شابًا، كان لديه خادم مخلص يأمنه على كل شيء. فكر الملك ذات مرة في أمر ما، وقد قال هذا الأمر لخادمه الوفي:

ـ توجد صخرة هناك في الخارج بجانب طريق وسط المدينة. اذهب إلى هذا الطريق، واستطلع الأمر، وسأل الناس هل يمكن أن يسلخ أحد منهم هذه الصخرة. لقد كان هذا أمرًا ملكيًا، لقد كانت هذه هي رغبة الملك! سيمنح مكافأة من أجل ذلك! وهكذا أراد أن يختبر عقلية شعبه، وكيف سيكون ردهم!

خرج الخادم المخلص، ووقف هناك عند الصخرة، وسرد الأمر على الناس. على وقع الوعد بالمكافأة الملكية أقبل إلى هناك الكثير من الرجال، والعديد من هؤلاء حاولوا سلخ الصخرة فعلا: منهم على سبيل المثال من حاول ذلك عن طريق حكها بكتفه، ولكن الجميع قالوا:

ـ كيف هذا! كيف لنا أن نسلخ حجرًا؟

كان منهم من حاول، ومنهم من لم يفعل من الأساس، عندما علم بالمطلوب.

ذات مرة كان يمر بالقرب من هناك رجل من سيكاي(١) مع ابنته، فأخذه خادم الملك إلى الصخرة. وفجأة قالت ابنة الرجل الصغيرة، بينما كان الآخرون هناك يفكرون ويتمعنون بالأمر:

ـ أبي، اذهب إلى بودا(٢) عند الملك "ماتياش"، وقل له أن يذبح الصخرة أولًا، ثم سنسلخها نحن!

نظر رجل سيكاي إلى ابنته وتعجب، وذهب مباشرة إلى بودا حيث الملك "ماتياش"، وأخبره ما قالته ابنته الصغيرة.

قال الملك "ماتياش" لرجل سيكاي هذا ردًا على سؤاله: أين تعلمت أنه يجب على أولًا ذبح الحجر قبل السلخ؟ يا لك من رجلٍ ماكرٍ!

لم يرغب رجل سيكاي في التباهي بعلمه فهو لم يكن من توصل إلى هذا الرد، فحكى قائلا إن لديه بنتًا صغيرة خرجت من رأسها هذه الفكرة.

---

(١) سيكاي: نسبة إلى إحدى المناطق المجرية التي تقطنها مجموعة من السكان من ذوي الطبائع والعادات المختلفة، ويعيش منهم الكثير في رومانيا وصربيا، ويمتد تاريخهم إلى فترة العصور الوسطى.

(٢) بودا: تنقسم العاصمة المجرية إلى جزأين "بودا" و"بست" ليشكلا سويًا مدينة بودابست.

نظر إليه الملك "ماتياش" وأعجبه هذا الرد المباشر، فأعطى هذا الرجل الكثير والكثير من المال وحبتين من البندق.

وقال له:

ـ خذهما لابنتك. ازرعهما، لكن في أرض ينمو فيها من دون شجر. عندئذ تعال إليَّ، لأنني ربما أعطيك مكافأة لها... سأتخذها زوجة لي!

ماذا عساه أن يفعل هذا الرجل، أحضر إلى البيت ثمرتي البندق، وأعطاهما لابنته، وقال لها:

ـ حسنًا لقد أعطاك الملك "ماتياش" الكثير من المشكلات!

ارتسمت الابتسامة على شفاة البنت الصغيرة وكسرت حبتي البندق وأكلتهما.

انتظر الأب فحسب. وانتظر الملك "ماتياش" هو الآخر، بيد أنه لا ينتظر شيئًا سوى رد الفتاة، وليس سلخ الصخرة.

وبعد مرور الوقت قالت البنت لأبيها:

ـ حسنًا يا أبي اذهب إلى الملك "ماتياش" وقل له إن البندق قد نما وكبر.

كان المقصود هو نهدي الفتاة الصغيرين.

ذهب رجل سيكاي هذه المرة إلى الملك "ماتياش"، حاملًا له الرسالة.

استمع الملك "ماتياش" للرسالة، وفكر ثم أعطى لرجل سيكاي عودين من القنب. تم إرسال رسالة من الملك "ماتياش" إلى الفتاة السيكية مفادها أن تقوم بعمل منديل رابط لمقر الإقامة الملكي من هذين العودين من القنب فقط وليس أكثر، وأعطي الملك رجل سيكاي الكثير من المال ثانية.

حمل الرجل عودي القنب حزينًا إلى البيت: فكيف لها أن تصنع من هذين منديلا رابطا كهذا؟ وقال لابنته:

ـ الآن أيضًا منحكِ الملك مشكلة!

وسرد لها أمر الملك كلمة بكلمة.

لكن الفتاة رأت في حوش المنزل عودين من قِشارة الخشب، فالتقطتهما وقالت لأبيها:

ـ خذهما إلى الملك وقل له أن يصنع هو أولا من هاتين القشارتين كرسيا منسوجا بالحياكة

وملفافًا(١)، ومكوك نسيج(٢)، ثم بعد ذلك سأصنع هذا المنديل الرابط من عودي القنب، مثلما طلب جلالة الملك.

جاب رجل سيكاي "بودا" مرة ثانية، وقد أجاب عليه الملك "ماتياش" هذه المرة بالشكل التالي:

ـ قل لابنتك إن سطح منزلي مليء بالجرار، إذا كانت تستطيع طي كل هذا، فإنها ستحصل على أمير كزوج!

ردت ابنة رجل سيكاي على هذه الرسالة بالقول إنها ستطوي كل الجرار بكل ترحاب، لكن من الخلف عكسيًّا، على أن يقوم الملك بطيهم أولا من الأمام في الاتجاه الصحيح، لأنه بسبب لونهم لا يمكن طيهم جيدًا.

قال الملك "ماتياش" في معرض إجابته على هذه الرسالة لرجل سيكاي ردًا على الفتاة الصغيرة ذات العقل النابه:

ـ قل لابنتك إذا كانت هكذا ذكية فعلًا، فلتأتِ هي أيضًا إلى بودا إلى على أن تأتي لا على الطريق ولا في وسط الطريق، لا مرتدية ملابسها، ولا عارية، وإذا كانت هكذا مجتهدة مثلما هي تتمتع بالذكاء، فإنني سأتزوجها. وعليها أن تحضر هدية، لا تحضرها في الوقت نفسه، وعندما تأتي لتدخل تلقي التحية، ولا تلقيها أيضا!

ـ حسنًا، يُضاعف لك الملك المشكلة! ـ يقول رجل سيكاي في البيت لابنته.

ولكن إذ بالبنت تمسك عصفورا، ووضعته في قفص: هذا سيكون الهدية. كان لوالدها شبكة كبيرة فارتدتها كما لو كانت ملابس، وكان لأبيها حمارا، فأمسكت بذيله وأطلقته أمامها، ومشت وراءه، وهكذا فهي لم تسر في طريق وسط المدينة، ولكنها مشت وراء الحمار.

عندما وصلت إلى الملك، انحنت فقط، ولم تتحدث، أو بمعنى آخر ألقت التحية هكذا، ولم تلقها في آن واحد. بدلا من الملابس كانت مرتدية شبكة، أو بمعنى آخر كانت ترتدي ملابس،

---

(١) مِلْفاف: آلة تعمل على لفّ القماش ونحوه، والجمع ملافيف.

(٢) مكوك النسيج: أداة مصممة لتخزين خيط اللحمة أثناء النسج. يقذف المكوك فيمر جيئة وذهابًا عبر النفس بين خيوط السدى. أبسط مكوك مصنوع من قطعة مسطحة رقيقة من الخشب ذات أثلام في نهاياتها لكي تحمل خيط الحدف. وهناك المكوك الأكثر تعقيدًا والذي يحمل البكرة معه. تصنع المكوكات عادة من خشب شجرة القرانيا لأنه قاسٍ ومقاوم للتشظي والتشقق، ويمكن أن يصقل ليعطي ملمسًا ناعمًا.

ولم تكن كذلك. أمسكت بالقفص، وجعلته يرى العصفور، ثم أطلقته وقد طار في التو واللحظة، أو بمعنى آخر كان هذا هو الهدية، ولم يكن كذلك أيضًا.

وبما أنها لم تكن ذكية فحسب، بل كانت مجتهدةً أيضًا وجميلة، فقد انتفض الملك "ماتياش" مباشرة من كرسي العرش، وقبّلها، وأمسك يدها واحتضنا بعضهما البعض. تزوجا، وكانت حفلة زفاف الملك "ماتياش" ذائعة الصيت، وبها من الخمر الكثير.

عاشا سويًّا في تباتٍ ونباتٍ لفترة من الزمن، طالما كانا زوجين حديثين! إلى أن كان في إحدى المرات هناك حشد جماهيري كبير... كان سوقًا كبيرًا في بودا! بمجرد أن تجمعت العربات حتى استلقت فرس أحد الرجال الفقراء، وولدت مُهرا، ولكن تم هذا تحت عربة رجل آخر. عندما رأى الرجل الفقير أن فرسه تلد مهرا، أراد أن يسحب المهر من تحت العربة الأخرى، والتي لم تكن تجرها الأحصنة، لكن الرجل الذي كان يمتلك العربة لم يسمح له بذلك: فقال له إن عربته هي من ولدت هذا المهر!

اشتكيا الأمر في النهاية إلى الملك، بيد أن الملك "ماتياش" أفتى بأن المهر ملك صاحب العربة التي وجدوها تحتها بالقطع.

حزن هذا الرجل المسكين وندب حظه بشدة الذي تكبد هذه الخسارة على عاتقه، ولكن بمجرد خروجهم من بيت العدالة، ماذا يسمع؟ سمع أن الملكة أكثر ذكاء من زوجها، فقرر أن يدخل إلى حرم الملك، ليطلب منها النصيحة، وبالفعل ذهب إليها في التو واللحظة وشكا لها مشكلته.

قالت له زوجة الملك، البنت السكلية الماهرة:

- ياه، أيها الرجل المسكين! من الواضح أنك رجل فقير مسكين! حسنًا سأقدم لك المساعدة! اذهب واحضر شبكة ومجداف من نوعية ما يتم استخدامه للصيد والتجديف في الماء. اذهب إلى الحقول، وهناك أمسك بالمجداف وجدف به في الرمال كما لو كنت تطارد الأسماك وتصطادها لتدخل في الشبكة، أما الشبكة فافعل بها مثلما يفعل الصياد.

وهذا ما قد فعله الرجل المسكين بالفعل، وعندما سار الملك من جانبه ورآه يفعل ذلك، فاستدعاه في الحال ليعرف ما قصة هذا الرجل الأحمق الذي يبحث عن الأسماك في الرمال الصحراوية!

فقال له الرجل الفقير ما علمته إياه زوجة الملك:

ـ بالتأكيد، لا يوجد هنا سمك! لكن قعر العربة أيضًا لا يلد مهرا!

ـ هه، أنت أيها الرجل التعيس، أعلم أن زوجتي هي من نصحتك بهذا الأمر! حسنًا هذا ليس مشكلة بالنسبة لك، سوف أحضر لك مهرتك، لكن المسألة لم تنته عند هذا الحد فيما يتعلق بإذلالي هكذا!

غضب الملك لأن زوجته نصحت الرجل المسكين بأن يفعل هذا الأمر، فتوجه إلى زوجته في الحال، وأمر بأن يبعدوها عن المنزل فورًا، ولا تطلع عليها الشمس ثانية هناك!

فقالت السيدة بهدوء، وهي تعرف طبيعة زوجها المتسرعة:

ـ لا أبالي، سأرحل حالا. فقط اسمح لي بأن آخذ معي أكثر شيء أحبه وأفضله!

فقال لها الملك:

ـ أسمح لك بذلك عن طيب خاطر.

وبالفعل عزَّلت السيدة في اليوم نفسه إلى منزل صغير، لم يكن به زجاج في نوافذه وطلبت أن تأخذ معها السرير ذات الناموسية وما عليه. وما أن حلّ المساء، ذهبت إلى هناك مع أربعة من الرجال، وقد أمسكوا بالجوانب الأربعة للسرير ذي الناموسية، وعليه الملك غارقا في النوم، حيث انتقلت هي إلى المنزل ذي النوافذ التي بلا زجاج. عندما استيقظ الملك "ماتياش" في اليوم التالي، ورأى أنه بالكاد يستطيع أن يرى من النافذة من شدة الضوء، فقال:

ـ ما هذا؟ أين أنا؟ من جرؤ على فعل ذلك معي؟

فقالت زوجة الملك بكل هدوء:

ـ لقد سمحت لي أن آخذ معي أفضل شيء أحبه، لذلك أخذتك معي!

وهنا قبّلا بعضهما البعض، وربما ما زالا على قيد الحياة إلى يومنا هذا!

المذنب "ماتي"

ذات مرة كانت هناك سيدة لديها ابن يدعي "ماتي". كان هذا الـ "ماتي" لا يريد أن يكون إنسانًا نافعًا. لم تستطع أمه أن تجعله يربح أي نقود من عرق جبينه. لم تتمكن من تحفيزه ليكون مع أولاد جيله يعمل ويربح مع أنه كان شابا. كان يفضل الجلوس في البيت فحسب. وكان يقول ذلك لأمه عندما تعاتبه:

ـ لن أعمل لدى الآخرين!

لم يكن يفعل شيئا على الإطلاق باستثناء أنه كان يقوم على رعاية الإوز. كان هناك ست عشرة من صغار الإوز وأمين لهم بالإضافة إلى الذكر ليصبح العدد الإجمالي تسع عشرة.

لقد كبر الإوز عندما حان موعد السوق في "دوبروج"(١). فقال الفتى لأمه:

ـ أمي سوف آخذ هذا الإوز إلى السوق... إلى "دوبروج".

لكن الأم قالت:

ـ لمِ ستأخذهم إلى هناك في حين يمكننا الاستفادة منها في المنزل أيضًا!

أصر الفتى على أن يأخذها إلى السوق، ولم تعترض الأم فطهت له بعض الكعكات يتقوت بها في طريقه. إذا كانت لديه شهوة حب السفر والتجوال بهذا الشكل، فليذهب لعل ذلك يكون خيرا له. ترك الفتى الإوزات الثلاث الكبيرة وأخذ الست عشرة الصغار.

وصل إلى هناك حيث سوق "دوبروج"، فتوجه إليه سيد من هذه البلدة، كان سيد المدينة وسأله:

ـ هل لك أن تعطيني زوجين من هذه الإوز؟

قال الفتى:

ـ ثمنها اثنان من الماريان(٢)، ولن أبيعها أقل من ذلك حتى وإن كان أبي نفسه هو المشتري.

ـ فقال سيد مدينة دوبروج: مهلًا أنت ولد خبيث تستحق الشنق على هذه الشجرة. أنا سيد

---

(١) دوبروج: اسم إحدى المناطق التي تشتهر بسوقها الكبير.

(٢) ماريان: اسم علم مؤنث إنجليزي عبري، وهي المنسوبة إلى مريم؛ المريمية، المتعلقة بمريم العذراء. يقصد بها هنا النقود.

هذه البلاد ولم يسبق أن حدد لي أحد ثمن بضاعته، وأنت لم تسعرها بعد! هل تبيعها بفورنت واحد؟

ـ لن أبيعها! ثمنها اثنان من عملة الماريان، قلت!

خلف سيد مدينة "دوبروج" كان يقف هناك اثنان من الجنود، فأمرهما.

ـ أمسكا هذا الذي يستحق الشنق وخذاه إلى منزلي، وخذا الإوز إلى هناك أيضًا.

اصطحبا "ماتي" إلى بيت سيد "دوبروج". أخذا منه الإوز مجانًا، وضربا "ماتي" خمسًا وعشرين جلدة كانت بمثابة ثمنًا للإوز! بعد ذلك قال "ماتي":

ـ حسنًا! لكنني سأرد الصاع ثلاثة لهذا السيد!

كسا الغضب وجه سيد "دوبروج"، فقال لرجليه:

ـ اقبضا على هذا الخبيث واجلداه ثلاثين جلدة أخرى!

أمسكا "ماتي" ثانية وجلداه ثلاثين جلدة أخرى، ثم أطلقوا سراحه. خرج "ماتي" ولم يتفوه لكن ما فكر فيه كان من الأفضل ألا يعرفه أحد سواه.

انقضت عدة سنوات وذهب "ماتي" إلى بلدان كثيرة مملوءا بخزيه وغضبه، لكنه لم ينس ما حدث له قط. عاد إلى موطنه الأصلي لكن ماذا سمع في ذلك اليوم؟ سمع أن سيد "دوبروج" يشيد قصرًا جديدًا! وعلى ذلك ارتدى "ماتي" ملابس النجار وذهب إلى مدينة سيد "دوبروج". كان القصر الجديد جاهزًا. كانت أخشاب المبني بجانب القصر منحوتة بشكل جيد. ذهب "ماتي" إلى هناك يقيس الأخشاب كما لو كان نجارا محترفا.

رأى سيد "دوبروج" أن نجارا من خارج بلده عند منزله. خرج وسأله من يكون وماذا يفعل، فقال "ماتي":

ـ أنا نجار من خارج البلد! ويمكنني القول بأنني مشهور للغاية.

سأله سيد "دوبروج" بقلق وحيرة:

ـ هل هذا الخشب مناسب لهذا البناء الفخم؟

قال "ماتي" في زي النجار:

ـ ليست مناسبة بل ومن المؤسف وضع هذه الأخشاب العادية على هذا القصر الفخم، فهي غير مناسبة.

فكر سيد "دوبروج" فيما يفعل، فقال للنجار في النهاية:

ـ لدي غابة بها أشجار من أجود الأنواع. إذا كانت هذه غير مناسبة تعال معي واختر بنفسك!

في الحال أعطي أوامره لمائة من الرجال الحاملين للفئوس بالتوجه إلى الغابة، أما هو فقد جلس في العربة ومعه النجار.

خرجوا للذهاب إلى الغابة، وتوغلوا داخل الغابة... دخلوا إلى هناك في عمق الغابة... حيث الأشجار الأكثر كثافة... بحث وبحث النجار عن الأشجار المناسبة لاستخدامها في المبنى. كان يحدد لهم الأشجار المطلوبة ثم يوجهون المائة رجل الحاملين للفؤوس بأن يقطعوا هذه الأشجار بالترتيب.

وتعمقوا أكثر وأكثر داخل الغابة إل أن وصل النجار ومعه سيد "دوبروج" إلى وادي عميق حيث لا يسمع حتى صوت قطع الأشجار. وجد هنا شجرة مناسبة أعجبته، فقال النجار لسيد "دوبروج":

ـ قس عرض هذه الشجرة، فربما تكون مناسبة.

احتضن سيد "دوبروج" الشجرة ليري هل سميكة بما يكفي أم لا. وهذا ما انتظره "ماتي". من الجانب الآخر للشجرة ربط يدي السيد بالحبل، أما فوه فقد ملأه بالطحالب الجافة كي لا يسمعوا صراخه ثم قطع عصا ملتوية وظل يضرب بها على جسد السيد حتى تحسّن وارتاح مزاجه تمامًا. أخرج من جيب الرجل ثمن الإوز وأخذه وانطلق عائدا. ثم أضاف بما أن السيد في وقت خرسه كان يتساءل محركا عينيه من عساه أن يكون هذا الرجل:

ـ أنا لست بنجار، لكنني أنا "ماتي"! هل تتذكر: راعي الإوز! وأنا سأظل هكذا: "ماتي" راعي الإوز! الذي أخذت منه الإوز عنوة، الذي أمرت بضربه بدلًا من أن تدفع له ثمن الإوز! سوف أتى مرتين لأنني قد وعدت بأن أرد الصاع ثلاثة، وأنت هكذا ما زلت مدانًا لي بعلقتين!

وهكذا ترك سيد "دوبروج" هناك. قطع المائة رجل الحاملين للفؤوس الأخشاب ثم استراحوا ثم انتظروا عودة سيدهم مع النجار. سئم المائة رجل الانتظار وفي نهاية المطاف انطلقوا واقفين على شكل سلسلة كما يصطاد الصيادون الأرانب وظلوا يبحثون في كل الغابة. بعد وقت طويل وجدوا سيد "دوبروج"، لكنهم لم يعثروا على النجار في أي مكان: استطاع نطق بعض الكلمات بصعوبة. لقد كان في حالة يرثى لها حقًا. قال بصوت خافت ضعيف:

ـ إنه لم يكن نجارًا! إنه "ماتي" راعي الإوز المارق الذي أخذت منه ذات مرة إوزه، لكن منذ متى كان هذا! فقد نسيت هذا الأمر! لكنه قال إنه سيأتي مرتين ويضربني!

أحضروا سيد "دوبروج" إلى بيته في ملاية فلم يفق من رجفته وخوفه بعد. وبقى في السرير لفترة من الزمن، وقد أرسل العديد من الخطابات إلى الأطباء في جميع التخصصات لكي يأتوا لعلاجه، لكن لم يستطع طبيب واحد مداواته. بعد بضعة أيام سمع "ماتي" هذا الأمر، ففكر بحيلة أخرى.

ارتدى ملابس الطبيب العالم ومعه عربة وانطلق نحو مدينة "دوبروج". نزل في دار الضيافة وهناك استمتع ودردش كما لو كان طبيبًا فعلا قادمًا من خارج البلد، فسأل صاحب الخان الذي نزل فيه:

ـ ما الأخبار في هذه المدينة؟

قال صاحب الخان:

ـ ليس هناك جديد ما لم تكن تعلم أن سيد "دوبروج" مريض جدًّا. إذا كان هناك طبيب يستطيع مداواته سيحصل على مقابل كبير للغاية.

قال "ماتي" مداعبًا لحيته الصغيرة:

ـ أستطيع القيام بهذه المهمة، نعم أستطيع أن أداويه!

سعد لهذا صاحب الخان وفي الحال بعث رسالة إلى منزل سيد "دوبروج" أنه هنا طبيب من خارج المدينة يداوي الجميع. فليأتوا من أجله!

ذهبوا إليه بالعربة. ذهب الطبيب إلى المريض وتحسسه ونظر سيد "دوبروج" إلى الطبيب ذات العدسة المجهرية وقال له بصوت خافت:

ـ لا أمل في شفائي، أليس كذلك؟

أجاب الطبيب بعد مدة ليست بالقليلة:

ـ إذا سمحت لي يمكنني مداواتك!

ابتهج سيد "دوبروج" قليلًا ثم طلب "ماتي" أن توقد الطاهية النار وأن يسخنوا المياه للاستحمام، ثم قام بطرد كل الخدم إلى الغابة من أجل العشب والجذور. لم يبق في المنزل أحد سوى سيد "دوبروج" و "ماتي" راعي الإوز. ولما أن أخلوا المنزل من كل الموجودين أمسك

"ماتي" بعصا قوية وجلس بجوار السيد، وقال له وهو يوجه له الضربات الواحدة تلو الأخرى:

ـ لقد حان الوقت لتسديد بقية الدين! كان بإمكان السيد التحدث هذه المرة لكن من شدة رعبه كان يحدق بعينيه فحسب.

ـ لست أنا بطبيب، لكنني "ماتي" راعي الإوز! وقد جمع كل الأموال الموجودة في الصوان[1] والبوفيه، وحصل منها على ثمن الإوز مرة أخرى.

ثم قال:

ـ لقد كنت هنا مرتين! سوف أتى إليك مرة أخرى!

أصبح سيد "دوبروج" أكثر مرضا من الضرب بالتأكيد. عاد الخدم إلى المنزل بالعشب والجذور لكن السيد لم يستطع سوى أن يصدر أنينا[2] عندما سألوه عن الطبيب قائلًا:

ـ لم يكن طبيبا! بل كان "ماتي" راعي الإوز!

حسنا لقد جاء الكثير من الأطباء من أجل المال الكثير إلى أن نجح أحدهم فعلًا في علاج سيد "دوبروج". علاوة على ذلك فقد طلب حراسة مكثفة عليه من خلال العديد من الجنود كي لا يقترب منه "ماتي" راعي الإوز، إلا أنه وبمرور الوقت قد تناسى الأمر رويدًا رويدًا.

ذات مرة كان هناك سوق في هذه المدينة، وقد جال بخاطر "ماتي" أن عليه الذهاب مرة أخرى للبحث عن سيد "دوبروج". ارتدى زي تاجر الأحصنة واشترى لنفسه حصانا جيدًا وهكذا ذهب إلى السوق. وقف بين أصحاب الخيول ليبيع حصانه.

لما أن باعه ظل يتسكع وينظر هنا وهناك في السوق... كان ينتظر السيد. فجأة سمع أن أحد الرجال يتباهي بأن لديه أفضل حصان يجري بسرعة في المنطقة.

خطا إلى هناك "ماتي" راعي الإوز وقال لهذا الرجل:

ـ هل هذا حقيقي؟ لأنني أود حصانا كهذا! سأشتريه إن جربته أمامي وجرى بالشكل الذي أريده.

وقف الرجل وقال:

---

(١) الصُّوانُ: ما يُصانُ به أو فيه الكتبُ والملابسُ والأموال ونحوه.
(٢) صوت التوجّع أو التأوّه ألمًا، للساقية صوت يشبّهونه بأنين المتوجِّعين.

ـ سأفعل.

ـ حسنًا قف بحصانك هنا على قارعة الطريق واركبه وعندما يأتي سيد "دوبروج" بعربته اصرخ قائلًا: أنا "ماتي" راعي الإوز! ثم انطلق قاطعا الطريق وإلا سيقتلونك.

استعد الرجل وذهبوا إلى نهاية القرية في الساعة الثانية عندما وصل سيد "دوبروج" على العربة. اقترب الرجل من العربة وقال:

ـ أنا "ماتي" راعي الإوز!

ثم ضرب الحصان بقوة.

فقال سيد "دوبروج" في الحال:

ـ اترك الأحصنة يا سائق العربة! والحق به ولا تتركه! من يمسك هذا الرجل المارق سيحصل على قطعتين من الذهب. اذهبوا جميعكم!

ركب سائق العربة على أحد الأحصنة وركب على الآخر جندي مجري مجند من بين الطبقة الفقيرة، ونهضا وراءه. أما سيد "دوبروج" فبقي بمفرده على العربة يتابع المطاردة.

وقف "ماتي" راعي الإوز بجانبه بخفة وقال له بهدوء:

ـ لم يكن هذا "ماتي" راعي الإوز! أنا "ماتي" راعي الإوز!

هوى الرجل على الأرض كما لو كان قد فقد الوعي، لكن "ماتي" راعي الإوز أعطاه القسط الثالث ثم حصل على ثمن الإوز للمرة الثالثة من جيبه وقال له إن هذه كانت المرة الأخيرة.

وهكذا اختفي "ماتي" واستقر بمكان آخر وتزوج هناك وربما يعيش حتى الآن ما لم يكن قد توفاه الله.

الولد الموضوع في النعش

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، كان هناك اثنان من الرحالة يسيران ويتجولان هنا وهناك كما هي الحال بالنسبة للرحالة دوما، وفجأة حلَّ عليهما المساء، وأقبل الليل.

وصلا إلى قرية وأرادا أن يطلبا مبيتًا لقضاء الليل لكن طلبهما رُفض في القرية كلها. طلبا ذلك في كل مكان لكن لم يوافق.

وفي النهاية توجها إلى رجل فقير كان لديه من الأولاد الكثير لدرجة أنه لم يكن يستطيع تمييزهم. وكانت زوجته في هذا الوقت تحديدا تنتظر مولودا آخر، فقال لهما هذا الرجل المسكين:

ـ أوفر لكما مبيتًا لكن لا يوجد مكان لدي كي تناما فيه، فلدينا الكثير من الأولاد!

ـ لا توجد مشكلة لدينا. سننام نحن على الأرض على القليل من القش.

ـ إذا كان الوضع هكذا فليس هناك مشكلة! إلا أن هناك مشكلة أكبر من ذلك فنحن ننتظر مولودا في أية لحظة، ماذا إن حان وقت الولادة فجأة. عندئذٍ ماذا سيكون الوضع بالنسبة لكما؟

ـ ليقضي الله أمرا كان مفعولا. ساعتها سنتصرف!

بعد ذلك استلقيا فناما بسلام. أحضر لهما الرجل الفقير القش، وكان هذا بمثابة السرير لهما، ولم يكن هناك حتى ملاية يفرشونها على القش. طلبا القليل من الخبز سائلين الرجل الفقير:

ـ هل يوجد طعام؟

فقال الرجل الفقير أنه منذ عشرين عامًا لم ير خبزًا فهم يعيشون على بقايا الكعك والفطير، لهذا فقد ناموا وهم جوعى.

وفجأة صرخت السيدة من شدة الألم:

ـ الحقوني... أنقذوني... سأموت!

ارتعدت مفاصل الرجل الفقير فماذا سيحدث الآن. ماذا سيفعل الآن الرحالين، وزوجته تلد هكذا؟

قال أحد الرحالين للآخر:

ـ انهض إلى الخارج وانظر في أي وقت نكون!

خرج الرحال وعاد في التو ليقول:

ـ الجو ملبد بالغيوم جدًّا.

أجابه رفيقه:

ـ حسنًا لا يمكن أن يكون هناك مولود في هذا الوقت!

ازداد صراخ المرأة وعويلها.

تألمت وصرخت السيدة لدرجة أن الرحال الأول قال:

ـ انهض واخرج ثانية وانظر في أي وقت نكون!

خرج الرحال مرة أخرى وعاد ليقول:

ـ بدأت سحب الجو في الانكسار قليلًا.

ـ حسنًا لا يمكن أن يكون هناك مولود في هذا الوقت أيضًا ـ أجابه رفيقه!

لكن ازداد صراخ السيدة أكثر وأكثر لدرجة أن الرحال الأول لم يستطع السكوت أكثر من ذلك فقال:

ـ اخرج ثانية وانظر في أي وقت نكون!

خرج الرحال مرة أخرى وعاد ليجيب:

ـ الجو صافي وجميل جدًّا ـ لا توجد سحب في أي مكان.

ـ حسنًا هكذا يمكن أن يوضع المولود ـ أجابه الرحال الأكبر سنًا!

خلال دقيقة وضعت المرأة مولودها: كان صبيًا جميلًا.

في هذا الوقت أيضا جاء إلى الدنيا مولود آخر في الجوار. مولودا لأحد الأثرياء، الذي كان غنيًا للغاية: رزقه الله بنتًا. كان هذا الثري من بين من رفض مبيت الرحالين لديه.

حسنًا فقد أشرق النهار، وانطلق الرحالين نحو الطريق لكن الرحال الأكبر سنًا ترك خاتمه هناك بين القش كما لو كان نساه. إنه أراد أن يعرف فقط ماهية قلب هذا الرجل الفقير.

وبينما هم الفقير ليحمل القش من على أرض المنزل وجد الخاتم، فقال لزوجته:

ـ لقد نسي أحد الرحالين خاتمه هنا! لقد كان هنا بين القش. سأذهب لألحق بهما في الطريق! لكن في أي اتجاه؟ لست أدري في أي اتجاه ذهبا وفي أية ناحية انطلقا!

مع ذلك انطلق الرجل الفقير ليبحث عنهما، ولما أن خرج من القرية رأى الرحالين وهما

يسيران. صاح لهما لكنهما لم يسمعاه ولوح لهما الرجل الفقير بقبعته فلم يرياه. وفجأة سمعه أحدهما، فقال للآخر:

ـ أنظر إلى هذا الرجل الفقير يجري وراءنا وقد خلع قبعته، ماذا عساها أن تكون المشكلة؟

ـ لننتظر لنرى ما المشكلة!

ولما أن لحق الرجل الفقير بالرجلين الرحالين قال لهما لاهثًا:

ـ لقد نسي أحدكما خاتمه، وقد أحضرته أعيده لصاحبه.

ـ قال الرحال الأكبر: شكرًا جزيلًا أنك أحضرته إلينا، سوف نرد الجميل لك!

ـ أجاب الرجل الفقير: إذن فلدي طلب، إذا تفضلتما عودا ثانية لأنني فقير جدًّا لدرجة أنني لا أملك من يأخذ الطفل ليعمده في الكنيسة!

ـ سنعود معك عن طيب خاطر!

بالفعل عادا. لم يعرفا بأي شيء يغطون المولود، لم تكن لديهم قماش مناسب لذلك... نعم لقد كانوا فقراء إلى هذا الحد. وهكذا حمل الرجلان الولد إلى حفلة التعميد عاريًا.

في هذا اليوم تحديدا أخذوا ابنة الثري الجار جدًّا ليعمدوها هي الأخرى في توقيت تعميد ابن الرجل الفقير نفسه. كانت أمهات ابنة الثري في العمادة ابنة الثري يحملنها وكانت المولودة في أبهى وأجمل صورها، فملابسها جميلة تشد الناظرين. أراد من يحمل البنت أن يعمدوها أولا وليس ابن الرجل الفقير، لكن عندئذ تدخل أحد الرحالين قائلًا:

ـ أليسوا هم أناس أيضًا! نحن جئنا أولا ويجب أن يتم تعميد الولد أولًا!

وهكذا تم تعميد ابن الرجل الفقير أولًا.

ولما أن عادوا من حفلة التعميد حكت الواقعة أمهات العمادة للرجل الثري. قالوا إن اثنين من الرحالة أخذا ابن الفقير ليعمداه وهما من لم يسمحا بأن يتم تعميد ابنته أولا قبل ابن الفقير.

غضب الثري غضبًا شديدًا بسبب ذلك وقال متهكما: سوف نرى ماذا سيعطي هذا الشحاذ إلى أبوي طفله في العمادة ليأكلاه، فهو لا يمتلك حتى فتافيت الكعك!

لم تكن السيدة الفقيرة متعبة على الرغم من أنها أنجبت طفلا في الليل. فطلب منها أحد الرحالين التالي:

ـ ألا يوجد لديكم القليل من الدقيق لكي تطهي لنا الكعك؟

قالت السيدة الفقيرة:

ـ يا خسارة منذ عشرين عاما وأنا لم أر لون الدقيق.

ـ اذهبي فحسب وانظري في البرميل! فقد اعتادوا أن يضعوا الدقيق على سطح البرميل، فربما تستطيع أن تلملم القليل من الدقيق الموجود هناك!

ذهبت السيدة ولملمت كمية من القمح التي ربما لا تكفي، ثم قال الرحال لها:

ـ حسنًا ضعيه في المقلاة!

ـ فقالت السيدة الفقيرة: لكن هذا قليل الغاية ولن يظهر في المقلاة.

ـ لا تشغلي نفسكِ به، فقط ضعيه في المقلاة!

وضعته في المقلاة وغطسته.

قال أحد الرحالين للسيدة:

ـ حسنًا اجمعيه على بعضه في كومة واحدة!

ثم كومته السيدة على بعضه، لكن لم يكن هناك ما تكومه على بعضه، فقد كنسته فحسب. أصبح منه كومة قليلة مثل حبة الذرة ليس أكثر.

قال أحد الرحالين للرجل أن يذهب إلى السطح وينظر ألم يبق هناك في مكان ما القليل من اللحم.

ـ قال الرجل الفقير راثيا حاله: يا خسارة حتى حبل اللحم المقدد فقد أكله الفأر الذي أحرقه الدخان.

ـ شجعه الرحال قائلا: اذهب فحسب وانظر حول المكان!

ذهب الرجل إلى أعلى. عندما خطا على السطح برأسه ترتطم بخنزير كبير. نظر حوله فقد كان اللحم كثيرًا بجانب بعضه البعض لدرجة أن اللحم المقدد والأوريان والسجق وكل الأنواع تتلامس في بعضها. فقال من أعلى السطح سائلا:

ـ أي جزء من لحم الخنزير أقذف لكم؟

ـ أجابوا من تحت: الجزء الذي وصلت إليه أولًا!

فقذف لهم بجانب خنزير كبير كامل.

قال الرجلان الرحالان للسيدة أن تشعل الفرن وتدع النار تتوهج. أحمت السيدة الفرن جيدًا كما اعتادوا لطهي الخبز، عندئذ قال أحد الرحالين:

ـ حسنًا أنزلي هذه العجينة الصغيرة وألقها في النار!

سألت السيدة باستغراب:

ـ أين ألقها؟ بصرف النظر تمامًا عن هذه النار الكبيرة! فلن يراها أحد على الإطلاق.

ـ لا تشغلي نفسك بالأمر ـ هدأها الرحال ـ شمها ثم اقذفيها في الفرن!

شمتها السيدة الفقيرة ولم تكن هذه العجينة بأكبر من حبة القمح.

وضعتها في الفرن الكبير، ثم فكرت في نفسها، فلن يرى أحد من هذه خبزًا قط!

فجأة طلب الرحال من السيدة أن تنظر هل استوى الخبز على النار! نظرت السيدة فرأت خبزًا كبيرًا في الفرن مثل البوشل[1]. اندهشت السيدة ما الذي جرى بفتفوتة العجينة هذه!

ثم سأل أحد الرحالين ثانية الرجل الفقير هل لديه القليل من الخمر.

ـ مهلًا نحن نحفظ بقايا الفحم في برميل الخمر، حيث إنه لا يوجد لدينا خمر منذ وقت بعيد.

شجعه الرحال:

ـ اذهب فحسب، وابحث في غرفة الخزين!

ذهب الرجل الفقير إلى غرفة الخزين. لقد كان البرميل مليئًا بالخمر الأحمر الجميل! فأحضر منه بالقارورة الكبيرة، ثم قال هذا الفقير:

ـ يا إلهي! الخمر يملأ البرميل عن آخره.

قال الرحال:

ـ يا سبحان الله مع أنك نفيت ذلك من قبل وقلت إنه لا يوجد لديك لا خمر ولا لحم!

وضعوا لحم الخنزير المطهي في صينية مسطحة كبيرة، وتم إعداد العشاء، وجلسوا ليتناولوه.

---

(١) البوشل: أداة قياس بريطانية وأمريكية للأحجام الجافة وتستعمل لقياس السلع الأساسية الجافة، وغالبا في الزراعة. هناك عدة أنواع من البوشل حسب السلعة المراد قياسها.

كانت عند الثري الجار الصحب الكبير ينشدون ويلهون، وفجأة بالثري يقول لرفقائه:

ـ ماذا عساه أن يعطي هذا الشحاذ كطعام لأب العمادة؟

السيدات كما هي الحال غالبًا لديهن فضول زائد. ذهبن إلى الرجل الفقير يختلسن النظر. لاحظ أحد الرحالين أنه يوجد شخص ما تحت النافذة يتنصت عليهم فرمى من الشباك بعض عظام جانب الخنزير الكبيرة. تلك من التي كان عليها لحم أيضًا، وبما فيه الكفاية، ثم قال وهو يرميها:

ـ هذه ستكون طيبة بالنسبة للكلاب!

جمعت السيدات العظام المرمية من بيت الفقير، ولم يتركوها هناك، وقالت إحداهن في نفسها:

ـ هذه هي الصحبة بحق! ليست كتلك التي نحن فيها!

ثم قذف الرحال ببعض قطع الخبز الأبيض، فالتقطتها النساء ووضعتها في رابطة رؤوسهن. في نهاية المطاف فقد ألقى من اللحم والخبز هذا الرحال ما يكفي بأن كل واحدة من السيدات قد جمعت رابطة رأس كبيرة ممتلئة عن آخرها.

عادت النساء مرة أخرى إلى الرجل الثري جدًا، فسألهم بدهشة:

ـ حسنًا ماذا وجدتما هناك أيتها السيدات؟

أجبن عليه السيدات:

ـ هناك الصحبة والرفقة على حق، وليس هنا! فكم من لحم ألقوا من النافذة للكلاب! أما نحن فقد جمعناها لتكون لنا وليس للكلاب. كما أنهم يشربون خمرًا أحمر مثل الدم.

كانوا لدي الرجل الفقير ما زالوا يتناولون الطعام. أثناء الطعام همس أحد الرحالين للآخر، لكن النساء قد سمعوه ايضًا، فقد قال:

ـ انظر، هل تعلم أن ابن الرجل الفقير هذا سيتزوج من ابنة الرجل الثري الجار!

قالت السيدة هذا الأمر أيضًا إلى الغني الفاحش، فانفعل الثري وقال:

ـ ماذا، سيتزوج من ابنتي؟ ستتزوج ابنتي من ابن الشحاذ هذا؟ من الأفضل أن أقتل هذا الولد!

في اليوم التالي انطلقا الرحالين ليواصلا طريقهما، وودعا الرجل الفقير. لم يبق اللحم

والخمر كثيرًا لدى الفقير. فجأة قد نفد، ثم اضطروا بعد ذلك للعودة إلى بقايا الكعك، كما كان الوضع من قبل.

منذ ذلك الحين ويشغل تفكير الرجل الثري كيف يطرد ويحطم ابن الرجل الفقير هذا.

لذلك كان يذهب في بعض الأحيان إلى الرجل الفقير ويقول له:

ـ أعطني الولد الصغير فلا يوجد لديك ما تعطيه له! ومن المحتمل أن تكون ابنتي زوجة له. لدي سيكون وضعه أفضل. أعطيك بدلًا منه اثنين من بوشل الذرة!

فيما فكر الرجل الفقير؟ فكر كي لا يجوع الولد الصغير في بيته فقد أعطاه له مقابل اثنين من بوشل الذرة.

كان الشيء الأول بالنسبة للثري الفاحش أن أمر بعمل نعش صغير ووضع ابن الرجل الفقير في هذا النعش وألقاه في النهر كي تأخذه المياه.

أخذت المياه النعش الصغير بعيدًا بعيدًا إلى مكان به طاحونة فارتطم النعش الصغير بهذه الطاحونة.

كان الطحان في هذا الوقت تحديدًا في الخارج يصطاد السمك. فرأى النعش الصغير فأمسك به بمهارة وأخذه معه وقال لزوجته:

ـ انظري لقد أحضر لنا الماء هذا النعش الصغير! لا أعلم ما بداخله. من المؤكد أنه طفل.

ـ وما أن فتح الطحان النعش فإذ به يجد فيه طفلا صغيرا جميلًا. لم يكن ميتًا، بل كان حيًا.

قال الطحان:

ـ ياه، يا له من حظ سعيد لأن القدر وهبنا هذا الطفل! فلم يكن لدينا أطفال أبدًا وبما أننا عجوزان فلن يكن لدينا مستقبلًا.

أخرجا الولد ووضعاه في مكان نظيف وأطعماه، وتحملا كل مشكلاته. كان الطحان رجلًا عجوزًا، وكانت زوجته سيدة عجوزًا هي الأخرى لكن فرحتها بالطفل لا توصف.

كبر الطفل إلى أن أصبح شابًا. وشبت ابنة الرجل الثري إلى أن أصبحت في سن الزواج. أقبل العرسان سريعا يطلبون يد ابنة الثري ورغبت البنت في الزواج من أحد المتقدمين فبدأت الاستعدادات للعرس.

ربط الثري أربعة من الثيران في العربة وذهب إلى الطاحونة بعربة قمح كبيرة لكي يطحنه من أجل ليلة الزفاف.

عندما وصل إلى الطاحونة رأى أن هناك شابًا يافعًا جميل الشكل في الطاحونة. كان الطحان العجوز يتجول أسفل وأعلى. فكر في الحال في نفسه ألا يمكن أن يكون هذا الفتى هو من ألقاه باليم؟ ظل ينظر إليه على أنه هو ذلك الفتى، وقال في نفسه:

"الآن أيضًا يمكن أن تكون ابنتي له، من غير المجدي أن هناك ارتباطًا بخطبة."، وعلى ذلك قال للطحان:

- إذا تكرمت اسمح لهذا الفتى أن يحمل رسالة لزوجتي لأنني نسيت أمرًا ما!

فقال الطحان العجوز:

- ليس لدي مانع، لكن لديه عمل كثير ولا أستطيع أن استغني عنه أبدًا.

- سيعود سريعا ولا تقلق عليه– وهكذا كان يهدئه الثري.

ظل يتوسل ويتضرع إليه وتحدث الثري إلى الطحان ليسمح للفتى بالذهاب. انطلق الفتى بالخطاب إلى زوجة الثري. كان عليه الذهاب عبر أحد المروج.

كان هذا المرج مليئا بالأشجار الكبيرة. ما إن سار الشاب في هذا الاتجاه إذ برجل في خريف العمر يقول له:

- إلى أين أنت مسرع أيها الولد؟

- سأذهب إلى تلك وتلك القرية الفلانية، أحمل خطابا إلى زوجة أحد الأثرياء.

قال له الرجل العجوز:

- دعني أرى هذا الخطاب!

اعترض الفتى:

- ليس من المسموح فتحه

- دعني أراه فحسب!

ظل يعنف الفتى حتى أعطاه الخطاب وفتحه الرجل العجوز. قرأه في الحال. كان مكتوبا بالخطاب:

"زوجتي العزيزة، إذا كنت تلتزمين بكلامي من قبل قيراطًا، فالتزمي به في هذه المرة قيراطين! اشتري سمًا فتاكًا وضعيه في مشروب لهذا الشاب كي يموت!"

فكر الرجل العجوز فكرة فكتب خطابًا آخر وبدله في الحال وأغلق المظروف مثلما كان من قبل.

- حسنًا يا بني تفضل الخطاب خذه وسلمه للسيدة!

بالفعل أخذ الفتى الخطاب للسيدة، وأعطاها إياه. قرأته السيدة فقد كان مدونًا بالخطاب:

"زوجتي العزيزة، إذا كنت تلتزمين بكلامي من قبل قيراطًا، فالتزمي به في هذه المرة قيراطين! ما إن تحصلين على خطابي فزوجي ابنتي إلى هذا الشاب! افعلي هذا في كل الأحوال!"

وقد فعلت. ما إن حصلت السيدة على الخطاب حتى ذهبت مباشرة إلى المأذون ودعته لكتب الكتاب. وقام بتزويج الشابين.

لم يكن هذا الرجل العجوز سوى ذلك الرحال الذي كان حاضرًا ولادة الطفل الفقير.

لما أن انتهى الثري من طحن القمح عاد إلى بيته من الطاحونة. ما إن دخل إلى حوش المنزل حتى وجد هناك الشابين واقفين في الرواق(١) يحتضنان بعضهما البعض، مثلما اعتاد الشباب أن يفعل. فقذف بالسوط من شدة غضبه، وقال وهو مشتاط:

- أيتها الزوجة! هل هذا ما كتبته لكِ؟

- أجابت الزوجة: هذا هو الخطاب... انظر فيه بنفسك! هذه كتابتك، أليس كذلك؟!

نظر الثري إلى الكتابة فلم تكن سوى كتابته بالفعل، فقال:

- حسنًا، لا توجد مشكلة، ومع ذلك فلن تبقى ابنتي زوجة له، فسوف أتخلص منه بطريقة أو بأخرى.

ثم توجه إلى الفتى الفقير قائلًا:

- لا فائدة من زواجك بابنتي فلن تكن ابنتي ملكا لك، إلا إذا ذهبت إلى ملك الورود المعظم وأحضرت من هناك ثلاثة أعواد من الورود، عندئذ ستكون ابنتي زوجة لك!

وهكذا أعدوا حقيبة للفتى وانطلق نحو الطريق ليذهب إلى هناك. سار وواصل السير عبر بلاد العجائب السبع. وظل هكذا يسير حتى أوشك زاده على النفاد.

فجأة وصل إلى قرية كان يسكنها أحد الملوك. فكر الفتى بفكرة فذهب إلى الملك فعساه أن

---

(١) الرِّوَاقُ: بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد طويل. روَاق البيت: مُقَدَّمُهُ.

يحصل على زاد يسير منه.

كان هذا الملك به جراح وتقرحات كثيرة لم يستطع الحركة بسببها. سأل الفتى:

ـ إلى أين أنت مسافر؟

أجابه الشاب:

ـ أنا ذاهب إلى ملك الورود المعظم من أجل ثلاث من الورود.

ـ حسنًا اسأله إن كنت ستذهب إليه لما أنا مملوء هكذا بالجروح والتقرحات، وعندما تعود تعال إليَّ وأخبرني.

ثم بعد ذلك أعدوا له حقيبة من الزاد وأعطوه من المال لإعانته على مشقة السفر. انطلق الفتى مرة ثانية مواصلا رحلته. ذهب وواصل السير عبر بلاد العجائب السبع.

ظل يسير إلى أن نفد زاده مرة أخرى، وكان قد وصل إلى إحدى المدن التي يسكن فيها ملك آخر فدخل على هذا الملك، فكان أعمى لا يبصر، فسأله الملك:

ـ إلى أين تنوي الذهاب؟ حسنًا إذا كنت ذاهب إلى ملك الورود ـ يقول الملك إلى ذلك الفتى ـ فاسأله لِمَ أنا أعمى؟ وفي طريق عودتك تعال إليَّ وأخبرني ماذا سمعت!

ثم بعد ذلك أعدوا له حقيبة من الزاد وأعطوه من المال لاستكمال الطريق. انطلق الفتى مرة ثانية مستكملا طريقه. ذهب وواصل السير عبر بلاد العجائب السبع إلى أن نفد زاده مرة أخرى.

ثم وصل إلى بقعة كبيرة مليئة بالماء، فكيف له أن يعبرها؟

وبينما هو يفكر في ذلك رأى أن إحدى السيدات تجرجر سفينة في الماء، فنادى بصوت عالٍ على السيدة وقال:

ـ احمليني بها لأعبر هذه المياه!

ـ إلى أين تذهب؟

ـ أذهب إلى ملك الورود المعظم!

ـ حسنًا سأجعلك تعبر الماء على أن تسأله لِمَ أن هنا أجرجر هذه السفينة؟

ـ حسنًا ـ هدأ من روعها الفتى ـ سأسأله.

بعد ذلك أخذت السيدة وجعلته يعبر الماء.

في نهاية المطاف وصل الفتى إلى ملك الورود لكن في ذلك الوقت تحديدًا لم يكن الملك هناك في البيت، فقط زوجته. تقول زوجة الملك:

ـ يا خسارة أين أنت ذاهب في هذه الأرض القاحلة؟

أجاب الفتى:

ـ لقد جئت من أجل ثلاثة أعواد من الورد ياملكة الورود العظيمة.

ـ قالت زوجة الملك: عندما يعود زوجي إلى البيت فإنه سيقتلك في الحال إن رآك. ما العمل بالنسبة لك؟ سأخبئك! فعلى كل سيكون زوجي متعبًا عندما يعود إلى المنزل. سيتناول العشاء ويستلقي ليخلد في النوم.

خبأت السيدة الفتى تحت السرير وقالت:

ـ لا تنم كي تسمع ماذا يقول زوجي!

كان الفتى هناك تحت السرير. وبعد قليل عاد إلى المنزل ملك الورود. بمجرد أن دخل الغرفة إذ به يقول لزوجته:

ـ من أتى إلى هنا؟ أشتم رائحة غريبة!

ـ لم يأت إلى هنا أي أحد ـ قالت زوجته ـ فقط أنت ذهبت بعيدًا وتجولت هنا وهناك لذلك تشعر برائحة غريبة.

ـ أتى هنا شخص ما!

ظل يلح بالسؤال على زوجته لكن الزوجة كانت تصر دوما أنه أتى من بعيد لذلك يحس بهذه الرائحة الغريبة.

في النهاية هدأ الملك... تناول العشاء... وما أن وضع رأسه على السرير حتى راح في النوم واستقرت بجانبه الزوجة.

بمجرد أن نام الملك شدت زوجته خصلة من شعره. كان كل شعره عبارة عن ورود. كل خصلة من الشعر هي عود من الورد.

ما إن شدت الخصلة الأولى حتى إنتفض الملك من مكانه مستيقظا، وسألها:

ـ لما تزعجينني؟ دعيني أنام!

قالت الزوجة:

ـ يا خسارة اسمع ماذا حلمت.

ـ إذن بمَ حلمتي؟

ـ حلمت أن في تلك وتلك المدينة كان هناك ملك جسده مليء بالجروح والتقرحات لدرجة أنه لم يتمكن من الحركة، إذن لماذا يا ترى كان هكذا مليئًا بالجراح؟

ـ أجاب ملك الورود: إن لديه فرنا يطهون فيه الخبز توجد أسفله ضفدعة كبيرة كالبوشل تتألم، لذلك فهو مملوء بالجروح والتقرحات. إذا هدموا هذا الفرن وصنعوا مكانه فرنا آخر وأكل منه الخبز المطهي سيخرج منه كل الجروح. حسنًا لا تزعجيني مرة أخرى ـ قال ذلك لزوجته متجهمًا.

هكذا نام ملك الورود ثانية. راح في سبات عميق، وفجأة شدت زوجته منه خصلة شعر ثانية انتفض على إثرها ملك الورود من مكانه مستيقظا وهو يقول:

ـ لما هذا الإزعاج المتواصل؟

قالت له زوجته:

ـ يا خسارة، هل تعلم بما حلمت ثانية.

ـ بِمَ حلمتي؟

ـ لقد حلمت بأن في مدينة صفاتها كذا وكذا يسكن ملك، لكن يا ترى لمَ قد أصيب بالعمى؟

ـ لقد حدث له ذلك لأن قصره بالكامل حتى حظيرة الدجاج مرصعة بالذهب. إذا أزال هذا الذهب وألقى به في الماء الذي يسير بجانب قصره ويغطيه بالقرميد[1] أو الألواح الخشبية فإنه سيستعيد نور عينيه في الحال!

هكذا نام ملك الورود ثانية. راح في سبات عميق، وفجأة سحبت زوجته منه خصلة شعر ثالثة انتفض بسببها ملك الورود مستيقظا وهو يؤنب زوجته قائلا:

---

(١) قِرْمِيدُ الدَّارِ: "الآجُرُّ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى حَافَّةِ سَطْحِ الدَّارِ أَوْ حَافَّةِ شُرْفَةِ البَهْوِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ حِجَارَةٍ مَصْنُوعَةٍ مُجَوَّفَةٍ تُنْضَجُ بِالنَّارِ.

ـ لِمَ لا تدعيني أنام بسلام؟ لن تصلين إلى أمر طيب معي إذا ظللت تزعجيني هكذا دائمًا!

ـ يا خسارة، هل تعلم بما حلمت هذه المرة.

ـ بمَ حلمتي؟

ـ لقد حلمت بأنه يوجد بجانب مياه امرأة تجر سفينة. دائمًا ما تجرها لأعلى وأسفل من دون توقف، لكن لِمَ تجر هذه السيدة تلك السفينة هناك؟

ـ لقد حدث لها ذلك لأنها لا تستطيع أن تطهي خبزا حتى من القمح الجيد. فلتطه خبزًا طيبًا عندئذٍ لن تجر السفينة ثانية! لكن حال إن أزعجتني مرة أخرى فلن يمر الأمر على خير.

ـ لا تخف! لن أزعجك ثانية ـ وهكذا هدأته زوجته.

ثم راح ملك الورود في سبات عميق وخرج الشاب من مخبئه فسألته السيدة:

ـ هل سمعت ماذا قال؟

ـ نعم سمعت كل شيء كلمة بكلمة.

قالت زوجة الملك للفتى:

ـ لكن لا تقل ذلك لتلك السيدة حتى تعبر بك الماء، وإلا فإنك لن تعبر النهر. فقط على الشاطئ الآخر من النهر قل لها ماذا سمعت من الملك.

حصل الفتى على أعواد الورود الثلاثة وشكر زوجة الملك على طيبتها وانطلق عائدًا نحو المنزل.

عاد ثانية إلى الماء. وجد السيدة تنتظره هناك مع سفينتها. سألته بلا صبر:

ـ ماذا قال ملك الورود؟

ـ خذيني إلى الجانب الآخر أولا، عندئذٍ سأخبرك.

ـ لن آخذك ما لم تقل لي.

أجاب الفتى:

ـ وأنا لن أخبرك ما لم تأخذيني إلى الشاطئ الآخر.

وظلوا يفاصلون هناك وفجأة قالت السيدة:

ـ حسنًا اصعد إلى السفينة!

صعد الفتى إلى السفينة وعبرت به السيدة عبر الماء. وعلى الشاطئ الآخر سألته هذه السيدة:

ـ قل إذن ماذا قال لك؟

ـ قال ملك الورود أنك تجرين هذه السفينة هنا لأنك لا تستطيعين أن تطهي خبزًا طيبًا.

ـ يا خسارة، إذا قلت هذا هناك على الشاطئ الآخر، لما كنت أحضرتك إلى هنا قط!

ـ إذن اطه خبزًا طيبًا!

ـ لكن لا أستطيع!

ـ إذن استمري في جر السفينة!

ـ لحسن حظك أنك لم تخبرني هناك على الجانب الآخر وإلا قد بقيت هناك للأبد!

لم يتناحر الفتى معها طويلًا، وتركها هناك. وعما قريب وصل إلى تلك المدينة حيث الملك الأعمى. دخل إليه لكي يقص عليه ماذا قال له ملك الورود.

بمجرد أن قال ذلك أودعوه السجن في لمح البصر فكيف جرأ أن يتفوه به بأن يقوم الملك بإزالة كل الذهب من على المبنى وأن يلقه بالماء! ومع ذلك فقد أنزلوا الغطاء الذهبي كي يروا هل يتحدث الفتى الصدق أم لا.

استدعوا الحرفيين وغطوا القصر بالكامل بالقرميد.

لما أن غطوا المبنى بالكامل بالقرميد أصبح الملك يرى مثلما كان يرى وهو في سن العشرين من عمره. فرح الملك لذلك لأن الفتى قد صدق، وفي الحال أطلقوا سراحه من الحبس، وسأله الملك:

ـ حسنًا ماذا تتمني لأنني استعدت بصري؟

ـ أتمنى فقط ما تريده لي يا جلالة الملك.

أمر الملك في الحال أن يحضروا له حصانًا جميلًا وملؤوا له حقيبتي ظهر بالذهب ووضعوهما على ظهر الحصان، ثم قال له الملك:

ـ حسنًا من هذا ستعيش سعيدًا بقية عمرك.

أتى الفتى الآن على ظهر الحصان، لم يعد يلزمه أن يسير على الأقدام. وصل سريعًا إلى المدينة

الثانية. كان عمله الأول في المدينة الأخرى أن يذهب إلى الملك. سأله هذا الملك أيضًا:

ـ هل سألت ملك الورود؟

أجاب الفتى:

ـ نعم سألته.

ـ ماذا قال؟

ـ إنهم يطهون الخبز لجلالتك في فرن تحته ضفدعة كبيرة كالبوشل تتألم، لكن حال أن تهدم هذا الفرن وتشيد غيره في الحال وتأكل منه ستشفى. وحتى يجهزون الفرن كان الطباخون يعدون مستلزمات الخبز كي يدخلون به الخبز عندما يحمي الفرن. اشتاق الملك لتناول هذا الخبز الذي سيطهونه في الفرن الجديد.

أصبح الفرن جاهزًا... أحمره... أدخلوا فيه الخبز، لكن الطباخون مثلما اعتادت نساء الفلاحين في القرى أدخلوا مع العيش بعض الأرغفة الصغيرة التي تستوي بسرعة. وكان الملك قد شعر بالجوع بسرعة.

نضج رغيف أو اثنان من الخبز الصغير وقد انتظره الملك بفارغ الصبر كي يأكل منه. لما أن بدأ يأكل من هذا العيش تداوت جراحه. ولما أن أكل وشبع لم يبق على الملك ولا حتى ذرة جرح واحدة، فقال للفتى:

ـ حسنًا لقد قلت صدقا.

بعد ذلك استدعى الملك الفتى ثم سأله قائلًا:

ـ ماذا تطلب مني؟

ـ ما تمنحني إياه جلالتك.

أمر الملك في الحال أن يحضروا حصانًا جميلًا وملؤوا له حقيبتي ظهر بالذهب ووضعوهما على ظهر الحصان.

ـ أعطيك هذه كهدية يا بني لأنك سألت ملك الورود عن سبب مرضي.

شكره الملك وانطلق مستكملا طريقه الآن ومع حصانين وأربع من الحقائب المملوءة بالذهب وهكذا واصل حتى البيت.

لما أن وصل إلى البيت رأى أن الثري جاثم في قلب السياج ويرتجف هناك من شدة البرد.

كانت نافذة البيت قد نما عليها الشوك، وفي حوش المنزل كان هناك كل شيء سيئًا. ولم يكن هناك في الحوش ما يكفي لطعامهم حتى. بالكاد استطاع أن يعيش يوما بيوم، فبقاء الحال من المحال.

أسرع نحو هذا الفتى الشاب وكانت أعواد الورد الثلاثة معقوفة على قبعته. ألقى عليه التحية:

ـ حسنًا يا أبي هذه هي أعواد الورود الثلاثة أحضرتها من ملك الورود المعظم.

ـ حسنا يا بني أنك أحضرتها. فقط احتفظ بها لنفسك فهي مناسبة لك، وليس لي. لم أعد في احتياج إلى الورد.

ـ لا تحزن ولا تندب حظك فقط تعال معي!

دخلا سويًا إلى البيت فوجد الفتى زوجته جيدة وعلى ما يرام. بعد ذلك أقاموا عرسًا لأنه لم يقيموه من قبل عندما تزوج.

لقد أقاموا حفل زفاف كبيرًا وصلت أخباره إلى بلاد العجائب السبع. دعا الفتى أقاربه: أمه وأباه والرجلين الرحالين أيضًا. وأقيم الحفل. أنا أيضا كنت هناك أجلس القرفصاء في أحد الأركان وانتظرت إذ ربما أحصل على نصيبي من الطعام. حصلت أنا أيضًا على قطع من اللحوم الكبيرة لأكلها بل وأخذت منها إلى بيتي أيضًا.

الفتاة "كاتيتسا"

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان، كانت هناك سيدة عجوز لديها ابنة ماكرة للغاية لدرجة أنها كانت تراوغ الجميع بذكاء ومهارة منقطعة النظير، وانتشر صيتها في سائر أنحاء البلد.

سمع الملك ذلك أيضًا، فأمر أن تذهب إليه الفتاة، وأن تلعب عليه، وتحاول مراوغته.

كانت في هذا الوقت تحديدا والدة الفتاة مريضة، وكانت تقول مرارًا وتكرارًا: "ذات مرة أكلت من بسكويت الملك، والآن أشعر بطعمه في حلقي، انهضي، واحضري لي من هذا البسكويت!"

ذهبت البنت إلى قصر الملك، وطافت حوله كما لو كانت تبحث عن أحدٍ ما، وها هي ذا ترى الطبَّاخ وهو يحمل طبقًا من البسكويت إلى غرفة الخزين، وفجأةً قالت له بأن يذهب على الفور إلى الملك، لأنه يريده في أمر ما وإلى حين عودته، هي ستحمل الطبق وتنتظره. قبل الطبَّاخ هذا الاتفاق وذهب إلى الملك، فطرده الملك، لأنه بالطبع لم يقم باستدعائه، وظل حائرا، بسبب ما يحدث له وحكى للملك ما قالته له الفتاة التي ربما ما زالت هناك أمام المطبخ تحمل طبق البسكويت. المهم ذهب الملك مع الطبَّاخ ليريا الفتاة، ولكن لم تكن الفتاة في المطبخ ولا حتى طبق البسكويت، ولما دخل الملك والطبَّاخ إلى المطبخ، كان كل شيء قد انقلب حاله تماما، وقد كان مكتوبًا على الباب:

"كنت هنا، بالطبع كنت هنا... وضحكت عليك، ضحكت عليك... إنني أنا "كاتيتسا" الصغيرة، شجن الملك "إمري"... إن لم يعجبك، فأرني ماذا ستفعل".

وأحضرت "كاتيتسا" البسكويت إلى المنزل.

عندما أكلت الأم وشبعت، قالت لبنتها مرة أخرى: "ذات مرة شربت من خمر الملك، والآن أشعر بطعمه في حلقي، انهضي، واحضري لي من هذا الخمر!"

واعتقدت "كاتيتسا" لقليل من الوقت أن هذه ربما قد تكون نهايتها، ومع ذلك فقد ذهبت، ودخلت قبو(١) القصر الملكي، وقالت للخمَّار(٢) بأن يذهب في الحال إلى الملك لأنه يريده في أمر ما، وإلى أن يعود فهي ستدير بالها على القبو.

---

(١) القَبْوُ: بناءٌ تحت الأرض تنخفض حرارته في الصيف فيحفظ فيه الجُبن والزُّبد والفواكه وغيرها. والجمع: أقْباءٌ.

(٢) الخمَّار: الموظف أو العامل المسؤول عن إعداد وتقديم الخمور والمشروبات المشابهة في القصر الملكي.

بالفعل ذهب الخمّار إلى الملك، فطرده الملك، لأنه بالطبع لم يقم باستدعائه، وظل حائرًا، فحكي الخمار للملك ما حدث له، فذهب الملك معه ليريا الفتاة، واعتقد الملك أن "كاتيتسا" هناك وأنها فعلت شيئًا آخر، ولكن كانت البراميل مقلوبةً، وكان مكتوبًا على أكبرها:

"كنت هنا، بالطبع كنت هنا... وضحكت عليك، ضحكت عليك... إنني أنا "كاتيتسا" الصغيرة، شجن الملك "إمري"... إن لم يعجبك، فأرني ماذا ستفعل".

وأحضرت "كاتيتسا" الخمر إلى أمها.

وعندما شربت الأم وملأت بطنها، قالت لابنتها: "ذات مرة أكلت من تفاح الملك، والآن أشعر بطعمه في حلقي، انهضي، واحضري لي تفاحةً صغيرةً من حديقة الملك!"

اعتقدت "كاتيتسا" مرة أخرى لبرهة أن هذه ربما تكون نهايتها حقًّا، ومع ذلك فقد ذهبت، ودخلت إلى بستاني حديقة الملك، وقالت له بأن يذهب في الحال إلى الملك لأنه يريد في أمر ما، وإلى أن يعود فهي ستدير بالها على الحديقة.

وبالفعل ذهب البستاني إلى الملك، فطرده، لأنه بالتأكيد لم يطلبه، وظلَّ حائرًا، لأنهم قالوا له ذلك: الآن أيضًا ما زالت الفتاة هناك، تحرس الحديقة، وذهب الملك مع راعي الحديقة ليروا الفتاة، واعتقد الملك أن "كاتيتسا" هناك وأنها فعلت شيئًا آخر، وبالفعل كان التفاح الكثير الجميل مبعثرًا على الأرض، وقد كان مكتوبًا على باب الحديقة:

"كنت هنا، بالطبع كنت هنا... وضحكت عليك، ضحكت عليك... إنني أنا "كاتيتسا" الصغيرة، شجن الملك "إمري"... إن لم يعجبك، فأرني ماذا ستفعل".

وأحضرت "كاتيتسا" التفاح إلى أمها في المنزل.

وبسبب شدة ضيق وغيظ الملك فقد غمرته المرارة، وجمعوا له الأطباء لكن بلا جدوى، فلم يستطع أي منهم معرفة مما يعاني الملك.

سمعت "كاتيتسا" هذا، فارتدت زي الطبيبة، وذهبت إلى القصر الملكي، مدعية أنها تستطيع أن تداوي الملك. فليأخذوها إليه فحسب، وبالفعل أخذوها إلى الملك، ففتحت "كاتيتسا" يده، ونظرت إلى لسانه، وأطرقت على صدره، وقالت إن الملك قد تضايق كثيرًا بسببِ أمرٍ ما، وتضخمت مرارته، واقترحت وصفةً طبيةً، بأن ينثروا الملح والفلفل على كامل جسد الملك ثم يضعوا عليه جلد ثور، وهذا سوف يسحب المرارة، وفعلوا ذلك، ولكن الملح والفلفل أحرقوا جسد الملك كثيرًا، فنهض جلالته خارجًا من الغرفة، ثم بعد ذلك أحضروا له قصاصةً

ورقيةً مكتوبًا عليها:

"كنت هنا، بالطبع كنت هنا... وضحكت عليك، ضحكت عليك... إنني أنا "كاتيتسا" الصغيرة، شجن الملك "إمري"... إن لم يعجبك، فأرني ماذا ستفعل".

أصبح الملك أشد حنقًا على "كاتيتسا"، فأرسل وراءها جنودًا، وعندما أحضروها أمامه، أمر بأن يتم سجنها بالقصر لأنه يريد أن يقتلها بنفسه.

طلبت "كاتيتسا" لحظة القبض عليها أن يتركوها تأخذ دميتها التبنية معها، وكانت كبيرة مثلها تمامًا، وكانت ترتدي الملابس نفسها التي ترتديها "كاتيتسا" أيضًا، وقد ملأت بطن الدمية بالعسل حتى الرقبة، وأخذتها معها، وبمجرد أن وصلت إلى القصر أرقدت الدمية على السرير، واختبأت هي تحته.

وفي المساء فُتِحَ الباب، وجاء الملك، وأدخل سيفه في صدر الدمية التبنية ظنا أنها الفتاة نفسها، ومن ضربة السيف تناثر العسل إلى أن وصل إلى فم الملك ... كان حُلوًا جدًّا، فقال الملك: "إذا كنت أعرف أن دمك بهذا الطعم، ما كنت لأقتلك!" وعلى كل حال فإنه الآن يأسف على هذا الأمر، مع العلم بأنه هو الذي أمر بأن تذهب "كاتيتسا" إليه، وأن تراوغه محاولة الدخول إلى غرفته، فقد أوفت "كاتيتسا" بوعدها، ونادمًا الآن قال الملك بأنه إن لم تكن "كاتيتسا" قد ماتت، لكان اتخذها زوجة له، لأنها فتاة بارعةً حقًّا.

وعلى هذا فقد تحدثت "كاتيتسا" من تحت السرير، وأخبرته أنه قتل الدمية فحسب، ولم يغرز السيف في صدرها هي، ثم خرجت من تحت السرير، وبفرحة غامرة قام الملك بعناقها وقال لها: "أنا ملككِ، وأنت ملكي، ولن نفترق بعد الآن حتى الموت!"

وظل العرس لمدة أسبوعين، واستمرت الزيارات لمدة أسبوع آخر بعد العرس، وكانت هناك جميع المشروبات، وكان الخمر هناك كالسيل، وكاد كرشي أن ينفجر من كثرة الشبع، و"كاتيتسا" والملك يعيشان في سعادة حتى الآن، إن لم يكن قد توفاهما الله.

الثعلب والدب والرجل الفقير

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، كان هناك رجل فقير. في صباح أحد الأيام انطلق هذا الرجل ببقرتيه إلى الأرض ليحرثها. ولما أن كان يسير بجانب الغابة، فإذا به يسمع صوت دب وأرنب. دخل إلى الغابة ليستطلع الأمر: ماذا عساه أن يكون هذا؟ بالفعل يرى دبًّا كبيرا يتعارك مع أرنب صغير، فقال الفقير:

ـ يا إلهي لم أر أمرًا كهذا من قبل ـ وانفجر في الضحك والقهقهة حتى كاد أن يسقط على الأرض.

ـ كيف تجرؤ أنت أيها الرجل الضائع التافه على الضحك عليَّ هكذا؟ ـ هذا كان رد فعل الدب. ـ ولهذا سوف يستقر بك الحال في بطني، سوف أكلك أنت وبقرتيك.

لم يعد الرجل الفقير يضحك بعد الآن. وقد طلب من الدب بإلحاح ألا يأكله، وإذا كان الأمر حتميًا فليمهله للمساء على الأقل، حتى يحرث أرضه، كي لا تبقى عائلته الفقيرة من دون عيش في الفترة القادمة، فقال له الدب:

ـ حسنًا لن أؤذيك حتى المساء، ولكن عند ذلك الحين سآكلك!

وهكذا انطلق الدب إلى طريقه، لكن الرجل العجوز ظل يحرث حزينا نادبًا حظه، وكم من مرة تدبر وشغل مخه، إلا أنه لم يتمكن من التفكير بماذا يسترضي الدب... ظهر له ثعلب نحو الظهيرة: وقد لاحظ أن الرجل الفقير مهمومًا، فسأله عن مشكلته، فربما يستطيع مساعدته.

حكى له الرجل المسكين، ماذا دار مع الدب، فقال له الثعلب:

ـ إذا كانت هذه هي المشكلة فحسب، فإنني أستطيع مساعدتك بسهولة. ولن تكون لديك أدنى مشكلة، لكن ماذا ستدفع لي، إذا ساعدتك؟

لكن الرجل الفقير لم يعرف بما يعده، لأنه لم يكن لديه شيء، وقد طلب الثعلب الكثير. وفي نهاية المطاف اتفقا على تسع من الدجاج وديك واحد. وعده الرجل المسكين بصعوبة، لأنه لم يكن يعلم من أين يأتي بها؛ ومع ذلك فقد قطع على نفسه عهدا بهذا الاتفاق.

ـ حسنًا اسمعني الآن أيها الرجل الفقير! عندما يأتي إليك الدب في المساء، سأختفي في إحدى الشجيرات، وسأصدر صوتًا كما اعتادت الحيوانات المفترسة أن تفعل. عندئذ سيسأل الدب: ما هذا؟ فتقول له: الحيوانات المفترسة قادمة... الحيوانات المفترسة قادمة! عندئذ سيرتجف الدب ويطلب منك أن تخفيه. أنت قم بإخفائه في هذا الجوال المتسخ، وقل له ألا

يتحرك. في هذا التوقيت سأخرج أنا من الشجيرة، وأسأل ماذا يوجد في هذا الجوال؟ أنت ستقول لي أن به كوسة. سأتظاهر بأنني لا أرغب في تصديقك، وسأقول لك: اقطع رأس هذا الجوال بفأسك. فتمسك أنت بالفأس، وتضربه على رأسه ضربة يقع الدب قتيلًا في الحال على إثرها.

فرح الرجل المسكين بالنصيحة، ونفذها أيضًا. وكل شيء قد حدث مثلما قال الثعلب: تلقي الدب ضربة مميتة، وهكذا تمكن الرجل الفقير من النجاة هو وبقرتيه.

قال الثعلب:

ـ ألم أقل لك أن هذا ما سيحدث؟ تعلم من هذا أيها الرجل الفقير أن تُعْمل عقلك أكثر من قوتك؟ والآن لدي عمل أقوم به، وعليَّ الإسراع بالذهاب إلى البيت. غدا سأذهب إليك من أجل الدجاجات التسع والديك. فليكونوا سمانًا شدادًا! كن في المنزل، وإلا فستذوق المرارة.

حمل الرجل المسكين الدب على عربته، وعاد إلى المنزل فرحًا، وأقام عشاء طيبًا في البيت، ثم نام. ولم يخف كثيرا من الثعلب، لأنه قد تعلم من الثعلب: إعمال العقل، أكثر من إعمال القوة!

في الصباح وبالكاد كان الرجل قد فتح عينيه، فإذ بالثعلب يخبط على الباب، يطلب الدجاجات التسع والديك.

ـ في الحال، أيها الثعلب الرفيق، فقط سأرتدي ملابسي ـ قال ذلك الرجل المسكين. ارتدي ملابسه سريعا، لكنه لم يفتح الباب، ووقف في وسط المنزل، وشرع في العواء[1]، مثل الكلاب.

ـ أنت أيها الرجل الفقير! ماذا يفعل هذا هنا، أليس هذا بكلبِ صيادٍ للثعالب؟

ـ بالطبع يا صديقي، إنه كلب صياد للثعالب، بل إنهما كلبان من هذه النوعية. ناما هنا تحت السرير، ولا أحد يعلم كيف تمكنا من التسلل إلى هنا. لقد اشتما رائحتك، إنهما يريدان أن يجريا وراءك، وبالكاد أستطيع الإمساك بهما.

ـ أرجوك أوقفهما حتى أتمكن من الهرب... أوقفهما! وليبق لك الدجاج والديك أيضا... لا أريد شيئًا!

ولما أن فتح الرجل المسكين الباب، كان الثعلب قد انطلق بعيدًا في لمح البصر، فانفجر الرجل في الضحك، وربما ما زال يضحك حتى الآن، إن لم يكن قد مات.

---

(١) العواء: صوت الكلب.

أسئلة الشيطان التسعة

ذات مرة فكَّر أحد فتيان منطقة سيكاي في الزواج، وقد صارح أمه فيما يجول بخاطره، فقالت له بغضب جامح وهي تنفخ بشدة:

ـ ياه، أنت لا تساوي شيئًا، وأيضًا كسولًا! هل تعتقد أن الزواج مناسب لأمثالك! إياك وأن تفكر في هذا الأمر ثانية! ولا تكن مخبولًا! من الأفضل أن تبحث عن شيء تفعله بدلًا من التفكير في هذا الأمر.

قال الشاب بكل عفوية:

ـ ولِمَ لا يا أمي؟ بالطبع سأتزوج! وها قد حان الوقت كي لا أجلس في المنزل.

ـ إياك أن تحضر عروسة إلى هنا، إلى هذا البيت. سأطبخ وأشوي وأغسل لك، وسأحتمل ذلك على نفسي. ألا ترى في الجوار العروسة الصغيرة سليطة اللسان، وكيف يتعامل زوجها مع أمه! فهي مبذرة وشتامة ومعروفة بذلك في كل مكان، كما أنها مليئة بالعيوب مثلها كمثل الحديقة النباتية السيئة المكتظة بالأعشاب الضارة. ويمكن أن تتعامل زوجتك معي بهذه الطريقة، لأنني لست أدري فربما تجلب عروسة كالعاصفة إلى بيتنا، ولا أحد يعلم كم من الضوضاء ستصنع بمنزلنا. لا تعارضني وصدقني ستلقى ضربة قاسية إذا لم تغير رأيك!

قالت والدة الشاب كل هذا في نفس واحد.

فقد الشاب المسكين كل مزاجه، وأجحظ عينيه لأمه، وقال لها في نهاية المطاف بكل برود:

ـ لا تعانديني هكذا يا أمي، فقد تزوج تقريبا كل شباب القرية الذين هم في مرحلتي العمرية نفسها، والآن حان دوري.

ـ قالت الأم له ثانية وهي غاضبة للغاية: لا تنظر إليَّ هكذا بعينيك القبيحتين. لا أعلم نوعية الروح الشريرة التي بداخلك كي لا تشعر بالخجل من نفسك. من الأفضل لك أن تمسك فاك وتنصت إليَّ فحسب، مفهوم؟!

ـ فقال الشاب مغمغمًا: ليس بداخلي أي روح شريرة، لكن قد حان وقت زواجي أيضًا!

ردا على ذلك قالت الأم ثانية:

ـ حسنًا إذا كان الأمر هكذا وتصر على الزواج، إذًا فمن الأفضل لك أن تأخذها إلى جهنم، لكن لا تحضرها إلى هنا، لأن خلع رقبتك أفضل بالنسبة لي من أن أسمح لك بذلك.

لم يتدخل والد الشاب في الأمر لا من بعيد ولا من قريب، ليس إلا لأن زوجته الحازمة قد أصدرت أمرها في البيت.

تأثر قلب الفتى ومشاعره للغاية، وخرج متبرما حزينًا بشدة من البيت، ولم يذهب إلى العشاء، لكنه استلقى على كومة من القش المغبرة في حوش المنزل، إلا أنه لم يستطع النوم طوال الليل ولا للحظة واحدة حتى بزوغ الفجر. عندئذ استيقظ انطلق يبحث عن زوجة!

ذهب وهو يتملكه الحزن والأسى لأن أمه تصرفت معه بهذه الطريقة السيئة وغضبت عليه لأنه يريد أن يتزوج!

سار وسافر وحده منفردا ومعه أعواد صغيرة وحقيبة فارغة، لأن أمه لم تعطه زادا يعينه على مشقة الطريق.

واصل السير عبر طرقات وجبال وأودية وسهول غريبة ومجهولة حتى وصل إلى جسر نحاسي وضيء، فوقف هناك واندهش لهذا الجسر، وخاف من المرور عليه. وبينما هو يقف هكذا إذ يراه رجل عجوز ذو لحية بيضاء، فيقول له:

ـ أنت أيها الشاب المسكين اصعد إلى الجسر، ولا تخف من شيء، لكن سر على أصابع قدميك، وإلا فستلقى حتفك، لأنه يقال إن هذا هو جسر الشيطان. سر عليه بحيث لا يقرعه نعل حذائك! حتى الآن فقد تسعة وتسعون شخصًا حياتهم هنا لأنهم كانوا لا يمرون من خلاله برشاقة كبيرة ولكن بصخب جامح، لا بهدوء حذر. وذات مرة فقدت عائلة كاملة بعربتها وحصانها والعريس والعروسة فقط لأنهم ساروا عبر هذا الجسر لأنهم كانوا يقرعون الخيل ليسرع بهم!

في البداية خاف الشاب بشدة من أن يخطو على الجسر. ارتعدت مفاصله وارتجف تماما، ولكن ليس هناك مناص من العبور من خلال هذا الجسر فليس هناك طريق آخر. شجع نفسه وتجرّأ، ولحظه الوفير فقد تمكن من العبور من خلال الجسر النحاسي متبعًا الطريقة التي تعلمها من الرجل العجوز ذي اللحية البيضاء.

وبالكاد تمكن هذا الشاب المسكين من الوصول إلى الطرف الآخر للجسر، وقد وثب أحد الشياطين من تحت الجسر وصرخ فيه:

ـ قف، قف أيها الشاب المسكين! لدي حديث بسيط معك!

وقف الشاب في مكانه مرتجفا لدرجة أن نَفَسَهُ كاد يتوقف من الخوف. اقترب الشيطان منه، وقال:

ـ حسنًا أيها الشاب! أنا أعلم في أي أمر جئت إلى هنا! أعلم أنك ترغب في الزواج، كما أعرف أنك فقير، لكن بما أنك قد مررت عبر جسري بهدوء وسكينة ولم تتعارك ولم تولد أي روح انتقامية تجاهك مثل مسافرين آخرين، فإنني سأكافئك. عندما تحضر زوجتك إلى هنا فإنك سوف تحصل مني على ما تكفي به ضيوف حفلة زفافك، لذلك فعندما تعود بزوجتك سويًا، وليس شيئًا آخرًا، فاذهبا من هنا فحسب، لأنني سوف أعطيكما ما أريد إعطائه لكم. الآن اذهب إلى القرية "التسعين"، أو كما يطلقون عليها "الموقع المقدس". إذا ضللت هذا الطريق، فقط اسأل أين توجد هذه القرية، وسوف يدلك أحد ما. في هذه القرية وتحديدًا في نهايتها عند ركن بوابة البذور يسكن رجل مزارع لديه ثلاث من البنات، أطلب أصغرهن سنًا، إن لم يزوجوك لها، اطلب أية واحدة أخرى.

انطلق الشاب المسكين وظل على سفر إلى أن وصل إلى قرية "الموقع المقدس" هذه.

وهناك سار مباشرة إلى هذا البيت الذي دله عليه الشيطان.

أحسنوا استقباله عند المنزل، وتشككت فيه البنات، في أي أمر قد جاء هذا الفتى، ولففن ودرن حوله وحفظنه. وبينما كان الشاب يستمتع هكذا، أخبرهن أنه جاء إلى هنا كي يحصل على أي من البنات زوجة له، إذا أعطينه.

سأله والد البنات:

ـ من تريد من بين الثلاث؟

أشار الشاب إلى البنت الصغرى، وقال:

ـ يا ليتها تكون من نصيبي!

ـ فقال الأب: مهلا يا أخي، ليس من المعتاد البدء بالبنت الصغرى. وحتى وإن تقدم لخطبتها في الحال أغنى أمير، فلن أعطيه آخر العنقود هذه، ما لم تتزوج الأختان الكبريان.

ـ ليست لديَّ مشكلة إذا تزوجت بالبنت الكبرى، إذا أردتم أن تزوجوني إياها.

وعده الأب والأم بالبنت الكبرى، وفي الحال وجهوا الدعوة للبابا وفي اليوم نفسه تم الزواج.

وبما أن الزواج قد تم فقد تناولا الغداء سويًا، وهكذا انطلق الزوجان الجديدان نحو الطريق.

وعندما وصلا إلى جسر الشيطان، مرا عليه بهدوء شديد مثلما مر عليه في المرة السابقة العريس وحده.

وما أن تخطياه حتى قفز الشيطان من أسفل الجسر، وصرخ صرخة كبيرة:

ـ تمهلا! قفا! دعوني أعطيكما ما وعدت به!

فوقفا، فأخرج الشيطان تسعة من الخنازير السمان من تحت الجسر، وقال للعريس:

ـ حسنًا سوف أعطيكما الخنازير التسعة هذه. اذبحوها في البيت! أعدوا عشاء ليلة الزفاف من أحشاء اثنين منها، أما اللحم المقدد للتسعة فانشروه على السطح وعيشوا منه بادخار، لكنني أود أن أقول لك أنت أيها العريس أنه ابتداء من اليوم وبعد انقضاء ثمانية أسابيع فسوف أبحث عنك في الساعة العاشرة مساء. إذا لم تتمكن من الإجابة عن أسئلتي التسعة، ستفقد اللحم المقدد للخنازير التسعة، وعلاوة على ذلك فستبلى بمشكلات أخرى! لكن لا تهرب من المنزل من شدة خوفك، لأنه حتى وإن كنت تختبئ في قاع البحر، فسأخرجك من هناك!

كان كلامه هذا بمثابة المسمار في رأس الفتى. على كل فقد أخذ الفتى ومعه زوجته الخنازير التسعة السمان وقادوها إلى البيت، لكن ليس إلى منزل الأب لأن أمه قد قالت له ألا يحضر زوجته إلى هناك أبدًا. استأجرا منزلا محترما بالقرية من مال العروسة، وانتقلا إليه، ثم ذبحا الخنازير التسعة السمان ومن أحشاء اثنين منهما أقاما عشاء ليلة العرس للمعازيم، أما اللحم المقدد للتسعة فقد علقاه على السطح واستخدماه بادخار.

وعندما مر ثمانية أسابيع على الزواج، خيم الحزن على العريس، وشعر بعدم الراحة وقلة الهدوء لأن الشيطان سيطرح عليه الأسئلة التسعة، وربما لا يستطيع الإجابة عليها.

وبينما هو هكذا يفكر إذ دخل عليهما شخص غريب رث الثياب في هيئة شحاذ، وطلب الإقامة لليلة واحدة، فقبلا في الحال، وقدموا له عشاء طيبًا.

ثم استعدا للنوم، واضطجع الشحاذ بجانب موقد النار. وبينما كانت الرمال المتقدة تشتعل أكثر وأكثر، سأل الشحاذ العريس لمَ لا ينام، ولمَ يشعر بكل هذا الحزن، بينما العرسان الجدد ـ كما جرت العادة ـ يكون مزاجهم طيبا أكثر من هذا غالبًا، فرد عليه الشاب قائلًا:

ـ لديَّ ما يكفي من المشكلات. ابتليت بشيء كبير يدور في رأسي! هو أنني اليوم يجب عليَّ الإجابة عن تسعة أسئلة! وياليتني أعلم ما هي هذه الأسئلة! فربما لو علمت لما حزنت، وإنما أفكر فيها، لكن كل المشكلة أنني لا أعلم ما هي، وإذا لم أتمكن من الإجابة، سيحدث لي أمر سيئ!

ـ لا تحمل همًا ولا حتى قدر أنملة ـ قالها الشحاذ من أمام الموقد. ـ اترك الأمر كله لي! أنت فقط أنصت، ولا تقل ولا كلمة واحدة، وأنا سأجيب عن كل الأسئلة بدلا منك كما لو كنت أنت.

بدأ العريس في استرداد هدوئه رويدًا رويدًا، وقبّلا الزوج والزوجة الحديثين بعضهما، لكن لم يخلدا إلى النوم، وظلا يخمنان ماذا سيجلب لهما الليل.

وما إن اضطجعا حتى كان هناك طرق على النافذة نحو منتصف الليل.

كان الشيطان هناك، وصرخ بغضبٍ شديدٍ:

ـ هل أنت نائم، أيها الصاحب؟

أجاب بصوت عالٍ الشحاذ من أمام الموقد بدلا من صاحب المنزل:

ـ لست نائمًا!

سأل الشيطان ثانية:

ـ إذن هل تستطيع التماسك والإجابة عن الأسئلة التسعة؟

أجاب الشحاذ:

ـ نعم متماسك وأقدر على ذلك!

ـ قال الشيطان: حسنًا أود أن أسألك في البداية عن ما هو الشيء في هذا العالم الذي هو واحد فقط؟

أجاب الشحاذ:

ـ هناك شمس واحدة في السماء، ولديها رأس واحدة تطل على كل الناس.

سأل الشيطان:

ـ هل تستطيع أن تقول شيئًا عن رقم اثنين؟

أجاب الشحاذ:

ـ من لديه عينان يرى بهما، فهو محظوظ: يرى كل شيء بوضوح تحت ضوء الشمس.

سأل الشيطان:

ـ ماذا تقول في الثلاثة؟

أجاب الشحاذ:

- البيت الذي له ثلاثة نوافذ، فهو مضيء بشكل كافٍ.

سأل الشيطان:

- دعني أنصت ماذا تقول في رقم أربعة؟

رد الشحاذ:

- أربع عجلات تلزم للعربة، ولا يلزم أكثر من ذلك.

سأل الشيطان:

- حسنًا وهل تستطيع قول شيء عن الخمسة؟

أجاب الشحاذ:

- خمسة أصابع تكفي اليد لعمل القبضة.

سأل الشيطان:

- قل شيئا عن الستة؟

أجاب الشحاذ:

- من لديه ستة من الثيران الجيدة بمقدوره أن يحرث ويحصد ويمشِّط الأرض من دون حاجة إلى مساعدة.

سأل الشيطان وهو مملوء بالغضب:

- وهل لك أن تقول شيئا عن السبعة؟

أجاب الشحاذ:

- من لديه سبع من البنات فسيضطرب فكره حتى يزوجهن جميعًا ويصلح حالهن.

سأل الشيطان غاضبًا:

- قل شيئا الآن عن الثمانية؟

رد الشحاذ:

ـ من لديه ثمانية من أكوام القمح في سقيفة(١) الحديقة، فلن يلجأ لأحد آخر فيما يتعلق بأمر الخبز.

سأل الشيطان بحنقٍ شديد:

ـ حسنًا للمرة الأخيرة ماذا تقول في التسعة؟

أجاب الشحاذ:

ـ من لديه لحم مقدد لتسعة من الخنازير على السطح لن يذهب للجار من أجل شيء يشويه.

تعجب الشيطان من الردود الجاهزة، وتحشرجت كلماته في حنجرته. وأعتقد أن صاحب المنزل هو من أجاب عن كل هذه الأسئلة، وظل يردد:

ـ حسنًا أيها الفتى، ثق في نفسك! أرى أنك تعلم أكثر مني!

وهكذا عاد من حيث أتى، لكن من خطواته ومشيته كان واضحا أن الغضب يتملكه.

في اليوم التالي قدَّم الصاحب الجديد للشحاذ طعامًا وشرابًا طيبًا. أعطاه زادا للطريق من فخذ الخنزير وساقه وأشياء أخرى مما كان لديه لأنه ساعده للخروج من هذه المشكلة. أما هو نفسه وزوجته بذلا قصارى جهدهما أن تكون لهما سمعة طيبة، وعلى هذا بنيا حياتهما. كانت الزوجة سيدة فاضلة، فقد ساعدت أم زوجها كثيرًا خاصةً عندما تقدم بها العمر، وحتى اليوم أيضا فهي تخبز الفطير الفاخر "البلاتشينطا"(٢) إذ إن اللحم المقدد للخنازير التسعة قد نفد كله أيضًا.

---

(١) السقيفة: بناء بارز خارج البيت. جمع سَقيفات وسَقائِفُ: أو عريش يُستظلّ به "جلس العجوز تحت السّقيفة للاحتماء من حرارة الشمس، ـ على باب داره سقيفة".

(٢) البلاتشينطا: أشهر الفطائر المجرية التي يتفرد بها المطبخ المجري.

ابن راعي الماعز

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبع، كان هناك راعٍ للماعز. كان هذا الراعي لديه ولد. كان هذا الولد يرعى الماعز في أحد جوانب الجبل. ذات مرة وبينما كان في غفوة، إذ انفتح أمامه باب فجأة، فاستيقظ من نومه ليرى ما هذا الباب. رأى أن هذا الباب خاص بإحدى المغارات، فعقد العزم على الدخول فيها.

كان في هذه المغارة الكثير من الأحواض لدرجة أنه لم يعرف إلى أيها ينظر أولًا. أحدها كان مليئًا بالذهب، والآخر بالفضة، والثالث بالماس، أما بقية الأحواض كلها فكانت مليئة بالنقود. على سطح الحوض المليء بالذهب كان هناك محراث ذهبي، وأمامه أربعة من الثيران الذهبية، ورجل ذهبي يمسك بالمحراث.

أمسك الولد بالمحراث الذهبي وبالأربعة ثيران والرجل الذهبي، وأخرجهم من المغارة. كانت هناك شجرة وضع هذه الأشياء عند جذورها وغطاها، ثم عاد إلى المغارة هذه، كما أنه أخفى قبعته المكتظة بالنقود الفضية، ووضعها أسفل شجرة أخرى.

عندما رجع للمرة الثالثة ظل واقفا ومتعجبا لأن الباب امتنع عن الفتح وهو في الداخل.

وقف هناك لا يدري ماذا يفعل. عندما شعر بالجوع، ظهر له رجل كبير وأعطى له بعض الحجارة، فلعقها وكسر جوعه. عندما عطش، ظهر أمامه ثانية الرجل الضخم، وأعطى له بعض الحجارة الأخرى فلعقها وكسر ظمأه.

وهكذا عاش ستة أعوام متتالية على هذه الحال.

في العام السابع سقطت ملابسه عنه، وعندئذ فتح الباب وخرج من هناك مهرولًا. بعد خروجه وقف هناك ولاحظ من أين يُفتح الباب، ثم ذهب إلى الشجرة، فنظر إلى المحراث الذهبي والرجل الذهبي هل ما زالا هناك على حالها. بالفعل كان هناك المحراث الذهبي، والرجل الذهبي، إضافة إلى الثيران أيضًا. انتقل إلى الشجرة الأخرى ليرى قبعته، هل ما زالت النقود بها على حالها... نعم لقد كانت هناك هي الأخرى.

همَّ الفتى وذهب لينزع لحاء[1] إحدى الأشجار، ومن لحائها صنعا كوبا كبيرا. ثم جمع

---

(١) لحاء: نسيج خاصّ بين القشرة والخشب في ساق النّباتات الوعائيّة وجلدها يختصّ بتوصيل العصارة الغذائية في النبات.

العديد من أوراق الأشجار المرة ولف بها خصره وبقشر الخشب ربطها على جسده، وهكذا خبأ المحراث الذهبي مع الثيران والرجل الذهبي في الكوب كي لا يراهم أحد، وبقت النقود بجانبه.

لقد نساه والده، واعتقد أن ابنه مات في مكان ما. فجأة عاد الفتى إلى المنزل ومعه الثيران الذهبية والمحراث والرجل الذهبي وكذا النقود.

تطلع إليه أبوه بشدة وقال.

ـ ياه، يا بني، أين كنت؟ اعتقدت أنك قد مت.

ـ أبي العزيز، لقد تجولت هنا وهناك. كنت أرعى الماعز في جانب الجبل، فتمددت مستلقيا، فغفوت، وكان باب قد فتح أمامي، فدخلت من خلاله إلى المغارة. كان هناك الكثير من الأحواض المليئة بالمال، وكان أحدها مليئًا بالفضة، والآخر بالذهب والثالث بالماس. أما هذا المحراث الذهبي والرجل الذهبي والثيران الأربعة الذهبية فقد كانت على سطح أحد الأحواض في ذلك المكان، وأخذتها من هناك. وضعتها تحت شجرة وغطيتها، وعدت وملأت قبعتي بالنقود الفضية وأخرجتها ووضعتها تحت شجرة أخرى. ولكنني عندما ذهبت للمرة الثالثة أُغلق الباب ولم يفتح، فبقيت هناك بالداخل.

ـ حسنًا يا بني العزيز، وكيف عشت هناك طيلة هذه المدة؟

ـ عندما أحسست بالجوع ظهر أمامي رجل عملاق وأعطاني حجرا صغيرًا، فلعقته وهكذا كسرت الجوع. ولما شعرت بالظمأ جاءني ثانية وأعطاني حجرًا صغيرًا آخر فلعقته وكسرت عطشي، وهكذا ظللت طوال سبع سنوات محبوسًا في هذا المكان.

ـ أين كنت تنام؟

ـ كنت أنام على الأرض الجرداء، وقد علمت المكان الموصل إلى المغارة، فلنذهب إلى هناك ونحفر وندخل.

وبالفعل ذهب الأب والابن معا إلى هناك، وشرعا في الحفر، فوجدا الباب، فأخرج الفتى من جيبه المفتاح وفتح الباب. نظر إلى المغارة ورأى والده الأحواض الكثيرة المملوءة بالذهب، ثم قال لابنه:

ـ حسنًا يا بني، لا نستطيع الذهاب بهذا إلى أي مكان، لكن علينا أن نستدعي أباك في العمادة.

كان لديه رفيق ثري للغاية ذهب إليه يطلب منه المساعدة.

فقال له الرجل:

- حسنًا أيها الرفيق تعال بالعربة والثور لأننا حصلنا على نقود.

وبالفعل ذهبوا وفتحوا الباب.

فقال الثري:

- أولًا فلنسحب حوض الذهب بالثيران.

ربطوا السلسلة بالحوض الذهبي، وجرتهم من الأمام أربعة من الثيران، وشرعوا في السحب، بينما كان يقول الثري:

- حسنًا أيها الرفيق، يلزمني من هذا الكثير لأن ثوري هو من يجره!

وبمجرد أن قالها حتى سقطت السلسلة وقرعت الأحواض وتدحرجت وانزلقت على الأرض ولم يروا منها شيئًا. ثم قال راعي الماعز:

- هل ترى أيها الرفيق إذا لم تكن بدأت في الفصال، لكان هناك المال الآن.

لكن الرجل الثري جدًّا لم يهدأ له بال، فرأى لنفسه الأمر وجمع الرجال، وذهب في جنح الليل إلى المغارة وبدؤوا في حفر ذلك المكان. ظلوا يحفرون ويحفرون حتى تساوي الجبل كله بالأرض، ولم يعثروا على الأحواض.

ذهب الرجل الفقير مع ابنه وشرعا في الحفر ووجدا حوضًا مليئًا بالنقود الذهبية. وبمجرد عثورهما على الحوض، إذ يظهر لهم الرجل العملاق ويقول للولد:

- حسنًا هل تتذكر أنك بقيت هنا لمدة سبع سنين، احملا الحوض وارحلا من هنا؟!

وضع الأب والابن الكثير من المال في جوال على قدر ما استطاعا أن يأخذا من الذهب وانصرفا.

وهكذا أصبحا من الأغنياء. اشتروا لأنفسهما ماشية وثورًا وبقرة وكل شيء.

حسدهما الرجل الغني جدًّا. وقال لزوجته:

- أنت أيتها الزوجة، كم كان فقيرا رفيقنا هذا، والآن وعما قريب سيسبقنا في الثراء. سأحاول مرة أخرى، سأجمع الرجال وننطلق نحفر فربما نحصل على شيء.

جمع الرجال وانطلقوا مرة أخرى إلى المغارة، وشرعوا في الحفر، وظلوا يحفرون إلى أن وجدوا النقود الفضية.

عندئذ قال له عماله:

ـ نحن الآن أمسكنا بالحوض، لكن سيكون نصيبنا منه أكثر من نصيبك، لأننا من اشتغلنا لنجده، وليس حضرتك.

عندما قالوا هذا حضن الرجل الثري الحوض بجشع، لكن الحوض انزلق وهوى إلى أسفل الأرض وقد أخذ معه ذراع الثري أيضًا.

وعاد الثري بخفي حنين، ولم يحقق شيئًا!

أما ابن راعي الماعز فقد تزوج من فتاة فقيرة، وأقاموا حفل زفاف كبيرًا، وما زالا يعيشان حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"أوه، يا له من شعر"

كان يا ما كان، كان هناك رجل فقير لديه ولد صغير. كانا يعيشان في فقر مدقع، وكان الرجل يبحث عن قوت يومه بيده وأسنانه. ذات مرة ولما أن شب الولد قليلًا وأصبح بارعًا بعض الشيء قال لأبيه:

ـ حان الوقت كي أبحث عن عمل يا أبي؟

ـ لكنك ما زلت صغيرًا على هذا الأمر، يا بني.

ـ ليست هناك مشكلة يا أبي... سأعمل قدر استطاعتي.

ـ يمكنك الذهاب إذا كنت تريد ذلك، لكنني آسف على هذا الوضع، لأنك ما زلت صغيرًا على العمل، يا بني.

طهت له أمه بعض الكعك في الحال، ووضعته في حقيبته، وأعطته ما يلزمه للسفر والترحال.

ودع أمه وأباه، وشكرهما على تربيته ثم انطلق، وظل يسير في الطريق إلى أن أحس بالجوع، وكان قد وصل عندئذ إلى بئر مليء بالماء، فاعتقد أن هذا المكان مناسب ليجلس هناك ويتناول الطعام. أنزل حقيبته من على كاهله وأخرج منها الكعك وكسر منها واحدة وأمسكها وأكل نصفها فقط، مع أنه كان يمكنه أن يأكلها كلها على مرة واحدة بالطبع، لكنه أراد أن يتبقى منها للغد أيضا. عندما أكلها نهض واتجه ناحية البئر ليشرب الماء. أثناء ذلك وبما أنه كان جائعًا وقد شبع فكان يردد من باب الدعابة فحسب:

ـ ياه... يا سلام! وبمجرد أن قالها حتى خرج من البئر رجل عملاق لحيته طويلة تصل إلى قدميه، وقال:

ـ لقد ناديتني، يا بني! أنا هنا!

ـ لم أناديك يا أبي، بل ولا أعلم أساسًا أنك هنا.

ـ وكيف لم تنادني... لقد قلت اسمي "يا سلام"... ولذلك فقد جئت تلبية للنداء.

ـ لقد قلت "يا سلام" فقط لأنني كنت جائعًا ثم شبعت فحسب...

ـ وإلى أين تذهب، أيها الولد؟

ـ أذهب للبحث عن عمل.

ـ يمكنك أن تعمل لديّ، لكنني أقول لك مقدمًا إنني لن أعطيك أجرًا، لكن خذ ما تجد.

ـ موافق.

وهكذا انطلقا نحو الغابة، ولما أن تعمقا في الغابة عثرا على منزل.

ـ سأسكن هنا. تعال معي يا بني.

وعلى الفور خرجت من هناك بنت حسناء كالقمر، فقال لها الرجل العجوز:

ـ لقد أحضرت لكِ ولدا، وسأسلمه لكِ في يديك، أما الباقي فأنتِ تعرفينه جيدًا.

وهكذا رحل العجوز.

أمسكت البنت بيد الولد ولم تسأله هل جوعان أم متعب أو أي شيء من هذا القبيل، بل أمسكته ووضعته في إناء كبير من الماء الساخن، ثم سكبته في دلو من الماء البارد، فصار منه ولد أجمل مما كان من قبل بمائة مرة، فسألته البنت:

ـ ماذا تعلمت، يا بني!

ـ تعلمت أنه عندما تلف رأسي هكذا، فإنني أصبح كحدوة الحصان!

عندئذٍ أمسكت البنت بالولد ووضعته مرة أخرى في الإناء الأول ثم وضعته في إناء من الماء البارد فصار أجمل مما كان أكثر وأكثر، ثم سألته:

ـ ماذا تعلمت، يا بني!

ـ تعلمت أنه عندما تلف رأسي هكذا، فإنني أصبح كسعر الحصان!

عندئذٍ أمسكت البنت بالولد ووضعته مرة ثالثة في الإناء الساخن، ثم وضعته في إناء من الماء البارد فصار أجمل مما كان أكثر وأكثر.

ـ ماذا تعلمت، يا بني!

ـ تعلمت أنه عندما تلف رأسي هكذا، فإنني أصبح حمامة بيضاء جميلة!

ـ حسنًا يا بني، لقد وصلنا إلى الهدف المراد. في الغد سينقضي العام بالنسبة لك. أقول لك إن غدًا سيأتي أبي إلى البيت ويسألك ماذا تعلمت، فقل له إنك إذا لفيت رأسك ستكون حدوة حصان، ثم سعر حصان، ثم حمامة. إذا سألك شيئًا آخر فلا تقل شيئًا. علاوة على ذلك فإن غدًا هو يوم الأحد، وسيأتي أبوك أيضًا ليأخذك. وإن أبي لديه عادة أنه عندما يقوم بنثر حبات الدخن

في الحوش فإن الحمام يقبل عليه بكثرة وسيجتمع هنا أكثر من ألف حمامة، وأنت ستكون من بينها عندئذ في هيئة حمامة. ثم سيقول أبي لأبيك:

"هل جئت من أجل ابنك؟ اختر من بين كل هذا الحمام ابنك. إذا تعرفت عليه من بينها يمكنك أن تأخذه معك إلى بيتك، لكن إذا لم تعثر عليه بعد المحاولة الثالثة فلن تتمكن من استعادته أبدًا."

ـ إلا أنني سأعلمك وسأهمس في أذن أبيك أيضًا أنك ستكون عند قدمه، وعندئذ ستعود إليه مرة أخرى، لأن هذه الحمامات كانت أشخاصا من قبل وقد بقيت هنا لأنه لم يتعرف عليها أحد.

شكر الولد الفتاة صنيعها الطيب.

في اليوم التالي عاد الأب العجوز وسأل الولد فقال له ما أخبرته له الفتاة لا أكثر ولا أقل. وكانت الفتاة تقوم تحديدا بإعداد الغداء لما أن جاء والد الولد، فسأل الرجل في الحال عن ابنه، فقالت البنت أنه ليس في البيت الآن، إلا أنه سيعود في القريب العاجل، ثم همست في أذن العجوز هذا إلى أية حمامة يشير لأن هذه الحمامة التي سيشير إليها هي ابنه.

ولما أن انتهيا من الغداء أتى والد الفتاة هو الآخر وسأل:

ـ ماذا تريد أيها الأخ الكريم؟

ـ جئت من أجل ابني.

وفي الحال قام والد البنت بإحضار طبق من حبات الدخن ونثره فأقبل في إثره الحمام مالئًا الحوش تمامًا، وكان الحمام كله كبير الحجم بالتساوي وكله أبيض الشكل! لكن أبا الولد يعلم إلى أي الحمامات يشير وستكون ابنه. بالفعل أشار إلى الحمامة التي تخصه!

ـ أنت محظوظ حقًا لأنك عثرت عليه، وإلا بقى هنا أمد الدهر، وهكذا يمكنك أن تأخذه، وحالا سيخرج مما هو فيه ويتحول إلى ولد جميل.

بالفعل هذا ما قد كان ففرح الأب فرحا كبيرا، واتجه بصحبة ولده عائدا إلى البيت. أثناء سيرهما في الطريق سرح والد الولد بفكره فكم هو فقير، وماذا سيقدم للولد من طعام يأكله؟ لا يوجد ما يقدمه له ليأكله، لكن الولد عرف ما يفكر فيه أبوه فقال:

ـ ما الذي يحزنك، يا أبي العزيز؟

ـ ما يحزنني يا بني أنني أفكر فيما سأقدمه لك من طعام.

ـ لا تحمل همًا ولا قدر أنملة لهذا السبب. فأنا سأتحول الآن إلى كلب سلوقي ذي شعر ذهبي، وعلى رقبتي حزام ذهبي مرصع بأزرار ماسية وعليه سلسلة من الذهب أيضًا. وحضرتك يا أبي اسحبني فحسب وستقابل بعد قليل مع عربة يركبها أربعة من الرجال سيسألونك أين تذهب بهذا الكلب؟ قل لهم حضرتك أنك ستأخذ الكلب إلى السوق، وعندئذ سيسألونك بكم تبيعه؟ فقل لهم ببوشل من الذهب، لكنني أقل لحضرتك أيضا أنه إذا بعت الكلب فلا تبع الحزام الذهبي أيضًا، وإنما ضعه في جيبك.

وبمجرد أن قال ذلك تحول الولد بالفعل إلى كلب سلوقي جميل للغاية لا مثيل له، وبعد لحظات أقبلت عربة عليها أربعة من الرجال الأثرياء. وما أن وقعت أعينهم على الكلب الجميل حتى أوقفوا العربة وسألوا الرجل:

ـ إلى أين تأخذ هذا الكلب الجميل؟

ـ آخذه إلى السوق لأبيعه.

ـ وبكم تريد بيعه؟

ـ أريد بيعه بواحد بوشل من الذهب.

ـ وهل هذا السعر يشمل كل شيء من السلسلة والحزام أيضًا؟

ـ لا... الكلب فقط للبيع... ولا شيء آخر.

ـ ولكن ماذا سأفعل بالكلب أيها الرجل إذا أخذت السلسلة منه؟

ـ اشتر أخرى فهي تباع في المحلات!

ودفعوا الثمن في الحال من الذهب.

ـ حسنًا أعطنا الكلب!

حملوا الكلب ووضعوه على العربة، وأخذوه وهم في غاية الفرح والسعادة، أما الرجل الفقير فقد حمل النقود على ظهره ومشى في الطريق. ولم يكن قد ساروا بالعربة ما لا يزيد على نصف كيلومتر إلا وقد خرج في طريقهم أرنب لمحه الكلب، وهم بالجري وراءه ليصطاده، إلا أن صاحبه الذي اشتراه أمسكه بقوة فقال له الرجال الثلاثة الآخرون:

ـ ولِمَ لا تترك الكلب؟ فهو يريد أن يصطاد هذا الأرنب.

ـ وكيف لي أن أتركه! فإن تركته سيجري ويهرب ولن يعود ثانية قط.

ـ وكيف لك أن تقول هذا الأمر، فهذا كلب صيد مدرب وحتما سيعود ومعه الأرنب.

وظلوا يلحون عليه هكذا إلى أن ترك الكلب فجرى وراء الأرنب فعلا بجانب الطريق حيث الأشجار. انتظروه... وانتظروه.. لكن بلا فائدة. صفروا له، لكن الكلب لم يظهر مرة أخرى، وقد اختفى تمامًا.

ـ ألم أقل لكم أنه لا يجب تركه؟ فهو غريب في هذا المكان، ولن يتمكن من العودة ثانية.

نزل الجميع من على العربة يبحثون عن الكلب، لكن الكلب غير موجود في أي مكان! في نهاية المطاف فكر صاحب الكلب الجديد أن الكلب ربما قد ذهب وراء صاحبه القديم، فركبوا على العربة وانطلقوا وراء الرجل الفقير مرة أخرى الذي كان يسير بهدوء مع ابنه! نادوا عليه بصوت عال سائلين إياه: ألم ير الكلب؟ فرد عليهم قائلا:

ـ وكيف لي أن أراه مرة أخرى وقد بعته؟ كيف يستقيم هذا الأمر، وأين هو؟

ـ فقال هؤلاء: كان هناك أرنب يجري على جانب الطريق فلمحه الكلب وانطلق وراءه، إلا أنه ذهب ولم يعد، وليس له أثر في أي مكان، وقد اعتقدت أنه قد عاد إلى حضرتك مرة أخرى.

قال الرجل الفقير:

ـ أنا لم أره مرة ثانية.

لم يفقدوا الأمل وظلوا يبحثون عنه في الأماكن المحيطة إلا أن تعبهم كان سدى، ولم يعثروا على أي أثر للكلب، أما الرجل الفقير وولده فقد عادا إلى البيت، وقد أصبح لديهما كل شيء من الأموال الكثيرة.

ذات مرة قال الرجل:

ـ كم جميل أن نذهب إلى السوق الكبير.

ـ ولم لا، فلدينا المال، لنذهب يا أبي!

انطلقا وقال الولد لأبيه أثناء الطريق:

ـ أبي العزيز سأتحول الآن إلى فرس ذي شعر ذهبي عليه لجام ذهبي. اسحبني حضرتك فحسب وستأتي التجار إليك تسألك بكم تبيع هذا الفرس. اطلب منهم اثنين بوشل من الذهب ولا تقبل بأقل من ذلك قط، لكن لا تبع اللجام، وقل لهم إنك تود بيع الفرس وحده، وإلا فلن أعود لحضرتك مرة ثانية إذا بعت هذا أيضًا.

وبالفعل هذا ما قد كان حيث تحول الولد إلى فرس ذي شعر ذهبي يجلب الناظرين من شدة جماله. وذهبا إلى المدينة فأقبلت الحشود من الناس ترى هذه المعجزة التي لم ير أحد مثلها من قبل، وسأله رجل من الناس:

ـ بكم تبيع هذا الحصان الجميل؟

ـ باثنين بوشل من الذهب من دون فصال.

ـ هذا السعر يشمل اللجام أيضا؟

ـ لا، فهذا ليس للبيع.

فقال الرجل:

ـ لكن الحصان يباع باللجام.

ـ لكنني لن أبيعه هكذا. إذا أعجبكم الوضع هذا فاشتروه، وإن لم يعجبكم فلا تشتروا. الموضوع بسيط للغاية.

وظل الفصال والحوار هكذا حتى سمع "إيهاي" الذي كان يعيش في هذه المدينة هذا الكلام، ففكر سريعا فيما عساه أن يكون هذا الحصان، بل وغضب كثيرا وقال في نفسه: حسنًا حان الوقت ليتوقف هذا الرجل الكاذب عن هذا الهراء، فكيف يمكن بيع الحصان من دون اللجام والحدوة! عقلي يكاد يطير من رأسي ولسوف ألقنه درسا لن ينساه قط!

ذهب "إيهاي" إلى المشترين بينما كانوا يواصلون الفصال والتحاور. ووعدوا الرجل بأموال أخرى إضافية نظير اللجام، وهنا وصل "إيهاي" إلى هناك، فقال هو الآخر:

ـ أشتريه باثنين بوشل من الذهب، لكن باللجام.

رد الرجل قائلا:

ـ أنا لن أبيع اللجام.

ـ ماذا تقول أنت أيها الرجل! ألا تعلم أن الحصان يباع بلجامه؟

ـ فليبع هكذا من يبع، أما أنا فلن أبيع اللجام.

وظل الفصال هكذا إلى أن تم وعده بواحد بوشل إضافي من الذهب ثمنا للجام، إلا أنه ما زال يصر على موقفه، وقال:

ـ لن أبيع!

قال "إيهاي":

ـ وأنا لن أسمح لأحد آخر كائنا من كان أن يشتريه.

وظل يفاصل الرجل، إلى أن باع له الرجل اللجام أيضًا.

ـ سيكون لديك من المال الكثير ما يغني أولاد أولادك أيضا، ولن يكونوا في حاجة لأي شيء آخر.

تم البيع، وأخذ "إيهاي" الفرس وأعطاه لخادمه وربطه في الإسطبل، أما الرجل المسكين فقد عاد بالمال الكثير إلى بيته مملوءا بالحزن لأنه فقد ابنه، لكن ماذا عساه أن يفعل.

عاد "إيهاي" إلى بيته هو الآخر، وقال في نفسه:

ـ بما أنك كذبت عليّ فاصبر، ولسوف ألقنك درسا لن تنساه ما تبقي من عمرك قط.

ثم قال لخادمه:

ـ انتبه واسمع لكلامي جيدا يا بني: إذا طلب منك هذا الحصان تبنا فأعطه ماء، وإن طلب ماء أعطه شوفانا. خلاصة الموضوع لا تعطه ما يطلب قط.

ـ حسنًا يا سيدي، كما تأمر!

انتشرت الأخبار في المدينة كلها عن الحصان الذي يمتلكه "إيهاي" فهو حصان لا نظير له في هذا العالم كله.

كانت هذه المدينة هي مدينة الملك، حيث كان يسكن هناك هو الآخر، وكان ابنه يريد أن يتزوج من ابنة ملك مدينة ما وراء البحار.

فقال الأمير لأبيه ذات مرة:

ـ سمعت أن "إيهاي" لديه فرس ذو شعر ذهبي، وأرغب في أن نستعيره منه لأنني أريد أن أحضر عليه عروستي.

ـ فقال الملك: انهض واذهب إليه يا بني وحاول أن تطلبه منه، لكن اعلم أنه يخاف كثيرا على هذا الحصان.

ـ سأذهب وأحاول.

ذهب إليه الأمير وطلب منه أن يعيره حصانه.

ـ سمو الأمير أنت تطلب مني أمرا صعبا للغاية وقد قررت ألا أعطي هذا الحصان لأحدٍ كائنا من كان، ومهما كان الثمن. إلا أنه وبصفتك الأمير فلا يمكنني أن أرفض لك طلبا وسأعطيك إياه، على ألا يشرب هذا الحصان ولا قطرة ماء واحدة!

ـ فرد عليه الأمير قائلا: حسنًا اتفقنا... إذا كان هذا هو المطلوب فلن أسمح أن يشرب الماء.

أخرجوا الحصان من الإسطبل وسرجوه، وانطلق الأمير به إلى أبيه الملك في الحال.

ـ هل رأيت يا أبي، لقد أعطاني الحصان لكنه أخبرني أنه غير مسموح لهذا الحصان بشرب الماء ولا حتى قطرة واحدة.

وفي الحال تم دعوة المدعوين والضيوف وذهبوا إلى الميناء وركبوا المركب، أما الأمير فقد عبر البحر راكبا على ظهر الحصان، وكان الحصان المسكين ظمآن للغاية، لكن الأمير لم يسمح له أن يشرب من الماء ولا حتى قطرة واحدة.

سبح الحصان عبر البحر، وذهب الأمير ومعه حشد الضيوف والمعازيم إلى مدينة الملك الآخر، الذي ما إن سمع عن خبر مجيء هؤلاء الضيوف وإلا وقام بتجهيز حفل استقبال كبير للاحتفال بالعريس. "من يعلم كم هو غني والده" ـ كان الملك الأحمر يفكر في هذا الأمر".

عقدوا حفل الزواج وجلسوا على مائدة الطعام فأكلوا وشربوا واستمتعوا، ثم قال الأمير فجأة:

ـ هيا لنعد، لأن أمامه طريقًا طويلًا.

ـ جلس مع العروسة على الحصان، أما الضيوف والمعازيم فقد صعدوا على ظهر المركب. ولما أن وصلا إلى منتصف البحر كان الحصان عطشا للغاية، وأراد أن يشرب بأية وسيلة، لكن الأمير لم يسمح له بالشرب، فرأت عروسة الأمير ذلك الأمر ثلاث مرات، فقالت:

ـ أنت بلا قلب ولا روح. ما طبيعة القلب الذي تحمله في صدرك؟ كيف لا يرق قلبك على هذا الحيوان المسكين؟ هل تخاف على الماء منه؟ البحر مليء بالماء الكثير!

أراد الحصان أن يشرب مرة أخرى، لكن الأمير لم يسمح له هذه المرة أيضًا، عندئذ قالت العروسة:

ـ لف الحصان إلى الخلف وأعدني إلى أبي في القلعة، حتى ولو كنا قد تزوجنا، فلن أصير زوجة!

ارتعدت مفاصل الأمير خوفا من أن تتركه هناك العروسة فسمح للحصان أن يشرب. ولما

أن أخذ رشفتين من الماء صار سمكة ذهبية وترك العريس والعروسة على سطح الماء.

لكن "إيهاي" علم أن الحصان سيتحول إلى سمكة ذهبية، فحول نفسه إلى حمامة وطار على شاطئ البحر، ولما أن وصل إلى هناك تحول إلى حوت كبير وأراد أن يحاصر السمكة الأخرى ليمسك بها، لكن السمكة الصغرى أخرجت نفسها من الماء وتحولت إلى حمامة بيضاء، وعلى ذلك فقط تحول الحوت هو الآخر وصار صقرا، وبدأ الصقر في مطاردة الحمامة، وظلت الحمامة تحلق في السماء وتطير بكل قوتها.

ولما أن وصلا إلى عاصمة البلد المجاورة إلى حيث مقر الملك، كانت الأميرة ابنة هذا الملك تجلس في نافذة الطابق السادس فرأت أن صقرا يطارد حمامة، وعما قريب سيمسك بها! فتحت النافذة وهي تأمل أن تدخل الحمامة إلى داخل الغرفة، وبالفعل دخلت الحمامة إليها فأغلقت الأميرة النافذة بسرعة، لكن الصقر كان هناك هو الآخر. نزلت الحمامة المسكينة على كتف الأميرة تلهث من شدة التعب فاحتضنتها وأمرت أن يحضروا لها قفصا لتضعها فيه، وأحضرت لها السكر وأطعمتها، ثم بعد ذلك تحولت الحمامة إلى أمير أجمل مما كان بمائة مرة، بل وقال للأميرة:

ـ حسنًا أيتها الأميرة، هل أعجبك؟

ـ نعم تعجبني جدًّا جدًّا جدًّا!

ـ إذن اسمعيني! سوف أتحول الآن إلى خاتم ذهبي تلبسينه في إصبعك وسيأتي إليك صائغ وسيتقدم إلى جلالة الملك على أنه أعظم صائغ للذهب في هذا العالم. سوف يستقبله أبوكِ، وسوف يسأله عما يريد بعد أن يصنع لأبيكِ العمل الذي يريده. سيقول له هذا الصائغ: "لا أريد شيئًا سوى ذلك الخاتم الذي ترتديه ابنتك في إصبعها". لا تسمحي بهذا الشيء أبدا إذا كنتِ تريدين حقًّا أن تصبحي لي.

وهذا ما قد كان بالفعل. ظهر هذا الصائغ هناك وتقدم للملك على أنه أمهر الصائغين في هذا العالم ليعطه الملك عملا يظهر له فيه مهارته، وقد قام بإصلاح المصابيح الذهبية بالقصر، ولما أن انتهى من عمله توجه إلى الملك فسأله:

ـ كم أدفع لك نظير عملك؟

ـ أنا لا أريد شيئا سوى الخاتم الموجود في إصبع ابنتك.

فكر الملك لبرهة من الزمن: أليس لدى الملك ما يدفعه؟ لمَ يلزمك خاتم الأميرة؟ ثم قال:

ـ لدي الذهب والفضة بما فيه الكفاية، ماذا أعطيك منهما؟

ـ أنا لا أريد شيئا سوى الخاتم الموجود في إصبع ابنتك.

ذهب الملك إلى ابنته يطلب الخاتم، فقالت الأميرة:

ـ بالطبع لن أعطيك الخاتم!

ـ أعطني إياه فحسب، وسأجعلهم يصنعون لكِ خواتم على كل أصابعك. قط دعيني أتخلص من ها الصائغ فحسب.

فقالت الأميرة:

ـ أنا لن أعطي الخاتم لهذا الصائغ الخبيث، ولن يضحك على أحد!

فقال الملك للصائغ:

ـ لا تُحزن ابنتي الأميرة وسأعطيك طبقا من الذهب، أي شيء آخر تريده.

ـ لا يلزمني طبق الذهب هذا ولا حتى اثنين منه أو حتى عشرة أطباق من الذهب. لا يلزمني شيء سوى هذا الخاتم.

غضب الملك وقال لابنته:

ـ أعطني هذا الخاتم ليرحل من هنا هذا الصائغ، وكما قلت لكِ سآمرهم يصنعون لك واحدا مثلما تريدين.

بدأت البنت في البكاء، وقالت لأبيها الملك:

ـ هل ضاقت الدنيا كي تطلب هذا الخاتم تحديدا؟ ثم قذفت بالخاتم على الأرض ـ إذا كان هذا ما سيرضيك، سأعطيه لك.

وبمجرد أن قذفت الخاتم على الأرض تحول إلى طبق من حبات الدخن المتناثرة على الأرضية، فتحول الصائغ إلى ديك أحمر بدأ يجمع حبات الدخن إلى أن جمعها كلها إلا حبه واحدة صغيرة اختفت خلف إحدى الصور، ولما أن التقط الديك حبات الدخن قال:

ـ أنت الآن في حوصلتي. ألم أقل لك من قبل أنني سوف ألقنك درسا لن تنساه ما بقي من عمرك!

وهنا خرج من خلف الصورة فارس جميل وقوي يحمل السيف في يده وقطع بالسيف رقبة الديك، وهنا كانت نهاية "إيهاي"،، ثم قال الفارس للأميرة:

ـ قولي لي الآن هل ستكونين زوجتي أم لا؟

ـ سأكون زوجتك إذا سمح أبي بذلك. أقبل بذلك!

فقال الملك العجوز:

ـ إذا كان هذا هو من اخترته لنفسك، فليكن الأمر كذلك، ويا رب لا يفرق بينكما إلا الموت.

وهكذا تزوجا وعقدا حفل الزفاف، ولاحقا صار من هذا الولد ملكا. وما زالا يعيشان حتى اليوم، ما لم يكن قد توفاهما الله.

"فليبارك الله في صحة الملكِ"

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، في بلاد ما وراء البحار، كان هناك ملك له سلطة رهيبة، فكانت الناس تخشاه جدًّا، لدرجة أنهم كانوا يرتعدون كورق الشجر إن رأوه عن بعد. وإذا عطس هذا الملك، فإن الرُسُل يحملون الخبر إلى جميع أرجاء البلاد، والذي لا يقول: "فليبارك الله في صحة الملك" فإنه يعتبر في عداد الموتى، ولم يجرؤ سوى رجلٍ واحدٍ في جميع أنحاء البلادِ على ألا يقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ". إنه كان راعي الأغنام ذا العيون الماسية، ولذلك قام رجال الملك بالقبض عليه وأحضروه أمام الملك قائلين:

ـ ها هو ذا ـ يا فخامة الملك ـ راعي الأغنام ذو العيون الماسية الذي لا يريد أن يقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ".

وهنا ثار الملك في غضبٍ مخيفٍ:

ـ "ماذا؟ أنت لم تَقُلْ: فليبارك الله في صحتي؟"

ـ بلى! إنني وبكل تأكيد، يا جلالة الملك أقول: "فليبارك الله في صحتي!".

فقال الملك:

ـ ليس في صحتي، وإنما في صحةِ جلالتك.

ورد راعي الأغنام:

ـ ولكني قلت في صحتي يا جلالة الملك. وقلت ذلك يا جلالة الملك، في صحتي.

وهنا يتدخل الحاجب ويشد راعي الأغنام من معطفه المصنوع من الفرو، ثم يهمسُ في أذنهِ:

ـ يا حمار قل: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"

فقال راعي الأغنام:

ـ ولكني لن أقول ذلك أبدًا حتى يزوجني الملك من ابنتهِ.

أثناء ذلك، كانت ابنة الملك هناك في الحجرة، وكان يعجبها ويروق لها راعي الأغنام ذا العيون الماسية، وكم تتمنى لو تصبح زوجةً لهُ، ولكنها لا تجرؤ على البوحِ بأمرٍ من هذا القبيلِ، ولم يلبث الملك أن استدعى جنوده في التوِ واللحظةِ قائلًا:

ـ خذوا هذا الفتى وارموه في قفص الدب الأبيض!

وبالفعل رمى الجنود الفتى في السجن، حيث الدب الأبيض يتمشى ويزأر بشدة، فمنذ ثلاثة أيام لم يأكل قط، ولم يعطوه ولو لقمة واحدة حتى يجوع ويُقطِّع راعي الأغنام هذا إربًا إربًا. وما أن دخل راعي الأغنام، وقف الدب على قدميهِ الخلفيتين وشرع يُدمدم بقوة.

حسنًا، إنها نهايتك أيها الراعي! ولكن اسمعوا المعجزة التي حدثت: عندما رأى الدب عيون راعي الأغنام الماسية هدأ، ثم رقد على الأرض لدرجة أنه لم يتحرك أية حركة، وظلَّ راعي الأغنام يُدندن طوال الليل، إلى أن جاء الحاجب في الصباحِ، معتقدًا أنه لن يبقى من راعي الأغنام شيء حتى عظامه، ولكنه تعجب للغاية إذ وجد الراعي أمامه حيًّا سليمًا بشحمه ولحمه لم يُصِبه أي مكروه، فاقتاده إلى الملك وقال:

ـ جلالة الملك! راعي الغنام لم يَمُتْ!

فقال الملك:

ـ حسنًا... حسنًا، ولكنك شعرت بالخوف، أيها الراعي! أليس كذلك؟ والآن هل لك أن تقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"؟

فأجاب راعي الأغنام:

ـ لا، لن أقول حتى تُزوجني ابنتك، ولو وصل الأمر أن ألاقي الموت عشر مرات.

وأمر الملك بحزمٍ:

ـ حسنًا خذوه الآن إلى سِجنِ "المنيات العشر".

وفي الحال وضعوا الفتى في السجن الذي به عشرة من القنافذ العملاقة المحبوسة، وأمر طبيعي أن عينيه لا تستطيع تهدئتها جميعا مرة واحدة، لسبب بسيط وهو أنه لا يستطيع أن ينظر في أعينها جميعًا في وقتٍ واحدٍ، بيد أنه ـ في المقابل ـ كان لدى راعي الأغنام ناي جميل الصوت أخرجه من معطفه، وبدأ في العزف عليه، ثم في الإيقاع الموسيقي السريع، فإذا بها ـ القنافذ العشرة ـ تأخذ في الرقص: في البداية رقصت ببطءٍ، ثم زادت من وتيرة رقصها، وظلت هكذا ترقص إلى أن سقطت على الأرض من شدة التعب، ثم رقدت، فنامت فرحة في سُباتٍ عميقٍ. في الصباح ينزلُ الحاجبُ واضعًا كفًا على كفٍ، وسأل راعي الأغنام ذا العيون الماسية:

ـ هل ما زلت على قيدِ الحياةِ؟

فقال راعي الأغنام:

ـ ولن أموت حتى تُصبح ابنة الملك زوجتي!

فاقتاده الحاجب مرة ثانية إلى الملك.

فقال الملك.

ـ حسنا أيها الفتى، لقد كنت في حلق "المنيات العشر"، والآن ألن تقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"؟

ـ ليس الآن يا جلالة الملك، حتى وإن أخذوني إلى "المنيات المائة"، فلن أقولها حتى تزوجني ابنتك!

عندئذ صاح الملك بغضبٍ عارمٍ:

ـ إذن خذوه إلى "المنيات المائة"، ضعوا هذا الراعي بالسجن الذي يوجد في وسطه بئر، وبداخله مائة منجل، وفي قاعه قناديل مشتعلة، والذي يُقْذف به إلى داخلهِ لا يمكن أن يخرج من هناك على قيد الحياة أبدًا.

وهنا فكر راعي الأغنام في نفسه: "آه، يالتعاستي، فهذا الأمر ليس بفكاهة هو الآخر" وطلب من الجنود أن يخرجوا من السجن حتى يفكر إذا كان سيقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ" أم لا! فخرج الجنود، وفي لمح البصر عَلَّقَ راعي الأغنام عصاه على حافةِ البئرِ، ثم وضع عليها جرابه، ثم رداءه المصنوع من الفرو، ثم وضع على العصا أيضا قبعته، واختبأ جيدًا في أحدِ أركانِ السجنِ.

فجاء الجنود وسألوه:

ـ حسنًا، هل فكَّرت؟

فقال راعي الأغنام:

ـ نعم فكَّرت: لن أقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"

ـ بالتأكيد أنَّك إذا لم تقل فسنلقيك داخل البئر.

اعتقد الجنود أن راعي الأغنام يقف الآن بجانب البئر، فألقوا رداءه المصنوع من الفرو وعصاه، وكذا كل شيء يخصه في البئر، ـ ظنًا منهم أن هذه الأشياء هي الشخص نفسه ـ وعندما رأوا أن القناديل المشتعلة في قاع البئر قد خمدت، أصبحوا على يقينٍ من أن الراعي قد مات.

وفي الصباح جاء الحاجب ليرى هل انتهى أمر راعي الأغنام ذا العيون الماسية أم لا. يا

للهول! فقد كان راعي الأغنام ذو العيون الماسية يجلس بجانب البئر يعزف على آلة الناي، فاقتاده الحاجب إلى الملك، فقال له الملك:

ـ حسنًا أيها الشاب، لقد كنت الآن في بئر "المنيات المائة"، فهل لك أن تقول: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"؟

ـ لن أقول ذلك حتى تزوجني ابنتك، يا جلالة الملك.

ـ لا شيء ينفع معه ـ قال الملك. ولكني لا أعرف ماذا كان سيعطيه لو قال ولو لمرة واحدة: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"، ويفكر الملك ويقول: "أنت سوف ترضى بالأقل".

وفي الحال أمر الملك بتجهيز عربته المصنوعة من القطيفة وأجلس الراعي بجانبه، واتجه نحو غابة الفضة، وقال له الملك:

ـ أيها الراعي! هل ترى غابة الفضة هذه؟ أُعطيك إياها إذا قلت لي: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ".

أعجبت الغابة الراعي، ولكنه كرر مقولته المعهودة هذه المرة أيضًا:

ـ لن أقول ذلك حتى تزوجني ابنتك، يا جلالة الملك.

ثم خرج الملك من هذه الغابة، والتمعت قلعة الذهب على مبعدةٍ منهم.

ـ أيها الراعي! هل ترى قلعة الذهب هذه؟ أعطيك إياها إذا قلت لي: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ".

ـ لا، لن أقول حتى تزوجني ابنتك، يا جلالة الملك..

أكملوا مسيرهم حتى وصلوا إلى بحيرةٍ من الماسِ، فقال الملك:

ـ حسنا أيها الراعي! أعطيك غابة الفضة، وقلعة الذهب، وبحيرة الماس، فقط إذا قلت لي مرة واحدة: "فليبارك الله في صحة الملك".

ـ أنا لن أقول ـ يا جلالة الملك ـ حتى تزوجني من ابنتك.

ـ حسنًا أيها الثعلب! سأزوجك ابنتي على أن تقول لي بعدها: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ".

وها هم قد عادوا إلى المنزل، وأعلن الملك في الحال في سائر البلاد أنه سيزوج ابنته لراعي الأغنام ذي العيون الماسية والدعوة عامة، وسيكون هناك مأكولات ومشروبات كثيرة لكل الحضور.

وكانت حفلة الزواج هذه قد ذاع صيتها، وهناك كان يجلس راعي الأغنام ذو العيون الماسية بجانب الملك يأكلون ويشربون، وكانوا في قمة السعادة.

ثم، بعد أن جلبوا اللحمة المطبوخة بالفجل، عطس الملك بقوة، فإذا بزوج ابنته يقول له المرة تلو الأخرى:

- "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"، "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"، "فليبارك الله في صحةِ الملكِ"! قالها حوالي مائة مرة.

- كفي... كفي... لا تُكمل، من الأفضل لي أن أُعطيك مملكتي كلها.

- وهناك في الحال تم تتويج راعي الأغنام، وأصبح ملكًا، وتحسنت أحوال البلاد والعباد، وأحب الشعب هذا الملك.

فإذا عطس، صاح الجميع بمنتهي الود والحب: "فليبارك الله في صحةِ الملكِ".

ومن يشك في هذه القصة، يمكنه التحقق منها بنفسه!

"تسعة"

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبع، كانت هناك امرأة أرملة فقيرة لديها ابن يسمونه "تسعة" لأنه كان يأكل مثل تسعة رجال مجتمعين. كانت هذه المرأة حزينة وتندب حظها باستمرار لأنه لم يعد لديها زوج وتخاف ألا تستطيع إطعام ابنها ذي الشهية المفتوحة بشراهة، فقالت لابنها ذات مرة:

ـ ابني العزيز لقد اشتد عودك وأصبحت قويًا ومن الأفضل لك أن تبحث عن عمل لأنني لم أعد أستطيع أن أكسب ما يكفي لإعالتك.

ـ لن أبحث عن عمل، وسأظل هكذا بلا شيء أفعله!

ذهبت الأم من شدة مرارتها على حال ابنها إلى الملك تشتكي له قائلة:

ـ جلالة الملك، لدي ابن يدعى "تسعة"، وأنا أرملة فقيرة لا أستطيع أن أعيله بل ولا أستطيع أن أعيل نفسي حتى. أحضر ابني إلى جلالتك ليعمل لديك حتى ولو لم تدفع شيئًا نظير عمله... ليعمل لديك بلقمته!

ـ حسنًا أحضريه أيتها السيدة المسكينة، وسنرى ماذا سيحدث!

عادت المرأة المسكينة إلى بيتها وأعدت كل متعلقات ابنها وتوجها إلى الملك في اليوم التالي، فسأله الملك:

ـ هل تريد العمل لدي يا بني؟

سأله "تسعة":

ـ وماذا ستدفع لي؟

ـ هل تريد أن تعرف ماذا سأدفع لك؟ وكم تريد أنت؟

ـ أنا لا أريد سوى أن تعطوني ما أرغبه عندما ينقضي العام... ما أريده هو أن تتركوني أوجه لجلالتكم لكمة واحدة.

اعتقد الملك أنه يستطيع تحمل بدل اللكمة لكمتين من هذا الفتى على ألا يدفع شيئًا نظير عمل هذا الفتى لديه.

اتفقا على ذلك وبقي الولد هناك وعادت السيدة المسكينة إلى بيتها. قال الملك للولد:

- انظر يا بني سأضعك في الإسطبل وأعطيك أربعة من الثيران في يدك وعربة تذهب بها إلى الحقل والغابة وتنجز العمل اللازم ثم تطعم الحيوانات وترويها فحسب. هذا هو عملك.

أعطوا للولد طعامًا يأكله فأكل الولد تسعة من أطباق الشربة وتسعة أرغفة من الخبز. في البداية اعتقدوا أن الولد جائع جدًّا وعندما يشبع هذه المرة فإنه لن يأكل هذه الكمية كل مرة، لكنه بالطبع كان يواصل الأكل هكذا ويأكل ما يكفي لتسعة من الرجال كل مرة.

ذات مرة أصدر الملك أمرًا:

- ليذهب الجميع من الخدم في صباح الغد لإحضار الأخشاب، ومن يأتي أولًا من الغابة سيحصل على مكافأة عبارة عن طاقم ملابس كاملة بدءًا من الحذاء وحتى غطاء الرأس وكل شيء.

استلقي الخدم وناموا مبكرًا وبالتالي استيقظوا مبكرا في الثالثة قبل الفجر فأكلوا وشربوا، إلا أن "تسعة" واصل النوم ولم يستيقظ معهم، وكان كل فتى منهم جاهزًا بثيرانه... فقط انتظروا إشارة البدء، ثم انطلقوا. كان النهار قد بزغ لما أن استيقظ "تسعة" وكان العمال قد قاموا بحلب تسعة مراجل(١) من الأبقار وتصفيتها وتشوينها في المطبخ. شرب "تسعة" مراجل الحليب التسعة، فسألوه لما أن عاد حالبو الأبقار إلى المطبخ حيث تركوا اللبن:

- أين اللبن يا"تسعة"؟ لما أن خرجنا من هنا كانت المراجل ممتلئة عن آخرها، ولما عدنا أصبحت خاوية على عروشها!

- أتسألون أين هم؟ لقد شربتها فأنا أستعد للذهاب إلى الغابة وكنت جائعًا.

غضبوا عليه بشدة وقالوا له:

- لقد ذهب الجميع منذ الصباح الباكر وأنت استيقظت الآن لتوك؟ هل أكلت ثيرانك وشربت؟

- بالطبع لم تأكل بعد.

- للأسف لم يكن بقية الخدم ملزمين بإطعام ثيرانك ورويها... فلقد ذهبوا إلى الغابة من زمن!

(١) المِرْجَلُ: قِدرٌ من طين أو نحاس يُغلى فيه الماء.

ـ إيه... لا توجد مشكلة سأذهب إلى هناك وسألحق بهم.

ذهب إلى الإسطبل ليأخذ الثيران وأخرجها بلا أكل ولا شرب، وأشار إليها إشارة الانطلاق. أخذ في يده سوطًا وانطلق بها سريعًا إلى الغابة. لما أن وصل إلى هناك كان الباقون قد أعدوا العدة للعودة إلى القصر مرة أخرى فقال "تسعة":

ـ وأيضًا تستعدون للعودة؟

ـ بالطبع نعم! ألم تسمع ماذا قال الملك في المساء؟ من يعود أولا سيحصل على ملابس كاملة.

ـ ألن تنتظروني؟

ـ لا لن ننتظرك لأننا استيقظنا في الثالثة قبل الفجر وأنت كنت نائمًا. كان من الممكن أن تستيقظ أنت أيضًا؟

لما أن سمع "تسعة" هذا منهم فك ثيرانه وأطلق لها العنان في الغابة لتأكل لأنها كانت جوعى. فكر في أن يتركها تأكل وتشبع وهو سيملأ العربة بالأخشاب التي جاء من أجلها. ثم أمسك بشجرة واجتثها من جذورها فلم يكن يفعل مثلما يفعل الباقين من القيام بقطع الشجرة ثم تقسيمها إلى قطع. فظل يشد الأشجار ويقطعها من جذورها بيده، ثم سد الطريق أمام بقية الخدم من خلال وضعه أخشاب الأشجار التي قطعها فوق بعضها في منتصف الطريق أمامهم، فصرخوا فيه قائلين:

ـ لماذا أغلقت الطريق؟

ـ انتظروا حتى نمشي سويًا!

لما رأى أن ما قطعه من أشجار يكفي لملء عربته جمعه وحمله على عربته فكانت الأشجار على عربته كاملة بجذورها وأغصانها ثم وضع عليها غطاء مثل ذلك الذي يضعونه على جمع محصول الذرة كي لا يتساقط منه شيء على الأرض أثناء السير وجرى ليحضر ثيرانه ويربطها بالعربة لينطلق. لما أن وصل إلى المكان الذي ترك فيه ثيرانه ماذا رأى؟ رأى أربعة من الذئاب وقد مزقوا الثيران الأربعة إربًا إربا، ولم يتبق منها سوى عظامها.

ـ حسنًا أيها الرفاق ماذا فعلتم هنا؟ هل أكلتم ثيراني؟ والآن كيف أحمل الأخشاب إلى البيت؟ قفوا مكانكم!

أمسك بالذئاب الأربعة وربطها في العربة مكان الثيران ليجروها، لكنه لما أراد أن تنطلق

الذئاب لم تستطع جر عربة الأخشاب، بل ولم تتمكن من تحريكها من مكانها، فعاد "تسعة" إلى الغابة ثانية وأحضر اثنين من الدببة وربطهما بالعربة كي يساعدا الذئاب في جرها وهكذا استطاعوا المشي بالعربة المحملة بالأخشاب.

انطلق من الجبل مرة واحدة ووراءه بقية العربات، ثم سلكت العربات الأخرى الطرق العادية المتعارف عليها أما "تسعة" فقد مشى عبر غابات الحيوانات المفترسة والحقول والوديان الوعرة. فحيثما أرادوا كانوا يسحبون "تسعة"، فلم يستطع أن يكبح جماحهم من شدة سرعتهم.

ـ اذهبوا حيثما تريدون المهم أن تحملوا الأخشاب.

فجأة اقترب منهم شيطانًا يحمل في يده عصا. وبينما كانت العربة تسير كان يحشر العصا في عجلاتها فلاحظ "تسعة" هذا الأمر فسأله:

ـ ماذا تفعل؟

قال الشيطان:

ـ أهذر معك! فمزاجي جيد هذا اليوم.

ـ هذر كما تشاء، لكن اعلم أنه إذا كسرت عجلة العربة فإنني سوف أجعلك تحمل محور العربة وتدور بدلا من العجلة.

لم يهتم الشيطان بكلام "تسعة" فظل يحشر العصا بين العجلات وفجأة تهشمت العجلة! لم يكن "تسعة" كسولًا ولا جبانًا فنهض بسرعة البرق من على العربة إلى الأرض.

ـ خلاصة القول إنك تهذر معي أليس كذلك؟ ماذا تعتقد؟ هل تعتقد أنني سأذهب إلى البيت من دون عجلة للعربة؟ لا لن يحدث هذا! تعال واحمل محور العربة وأمسكه جيدًا حتى نصل إلى البيت... افعل تمامًا كما قلت، وإلا!

ماذا كان بوسعه أن يفعل هذا الشيطان أمام "تسعة" فقد أمسك بالمحور فعلًا وحمله من طرفه وانطلقت هذه الحيوانات البرية كالطلقة إلى أن وصلت إلى نهر مائي وجب عليها المرور من خلاله. لم ترد هذه الحيوانات البرية النزول في الماء فأمسكها "تسعة" وربطها في فوق العربة كي لا تتمكن من الهرب وقال للشيطان:

ـ امسك العربة من الخلف وأنا سأحملها من الأمام لنعبر الماء. عندما نعبر إلى الجانب الآخر سنعيد كل شيء إلى مكانه.

وجب على الشيطان حمل العربة من الخلف وقد أمسكها "تسعة" من الأمام وكانت الحيوانات البرية مربوطة أعلى الأشجار الموجودة على العربة! وانطلقوا يعبرون النهر.

كان الملك في قصره ينتظر رجاله الذين تأخروا، فقد عادوا في المرات السابقة مبكرًا أكثر من هذا اليوم، أم هذه المرة فلم يعد أي منهم حتى الآن فقال لأحد خدمه:

- انهض يا بني إلى البرج وانظر لِمَ تأخروا حتى الآن؟

فعل الخادم ما أمر به من قبل الملك ونزل إليه ليعلمه بما رأت عيناه.

- إنهم قادمون في الطريق يا جلالة الملك! لكنهم لا يأتون من الطريق المعتاد عبر الحدود والأراضي، وليست الثيران من تجر العربات بل أربعة من الذئاب ودبين. وكما أرى فإن "تسعة" يأتي معهم، ولا أرى أثرا للبقية.

- يا الله... يا رب... يا منجي! اذهب وانظر من قريب هل فعلا تجر العربة أربعة من الذئاب ودبان فعلا؟

ذهب الخادم وأعاد النظر وعاد إلى الملك ليقول:

- لم أكذب يا جلالة الملك. يأتي "تسعة" ومعه أربعة من الذئاب واثنان من الدببة والعربة عليها حمل ضخم من الأخشاب.

- يا إلهي ماذا أفعل الآن؟! أغلق البوابة بسرعة... لا يجب السماح لهم بالدخول كي لا تدمرنا هذه الحيوانات المفترسة.

جرى الخادم وأغلق البوابة وتأكد من أنه لن يستطيع أحد الدخول. لما أن وصل "تسعة" إلى البوابة أراد أن يفتحها، لكن لا يمكن ذلك فقد كانت مغلقة! تلفت هنا وهناك ولكن لم يكن هناك أحد في حوش القصر كي يفتح له البوابة، فقال للشيطان:

- لا أريد الوقوف هنا طويلًا. أمسك بالعربة من الخلف وأنا سأحملها من الأمام وسندخل بها في البوابة.

فك الحيوانات وربطها في الخارج لأنه لم يتمكن من إدخالها، ثم أمسكا بالعربة ثم قذفاها بالبوابة فسقطت العربة وتكسرت الأخشاب التي جلبها بحيث لم يعد يلزم تقطيعها، ثم أدخل "تسعة" الحيوانات ومعها الشيطان إلى الداخل. كان هناك سياج قوي لم يتمكنوا من التسلل عبره، لكن في النهاية تمكن "تسعة" من الزحف والدخول عبر البوابة وعندئذ قال للشيطان:

ـ لم تعد هناك حاجة إليك... يمكنك الرحيل!

كان الملك في شك من أمره، فكان هناك الدبان والذئاب الأربعة تصدر أصواتها المخيفة فلم يجرؤ الملك على الخروج، لكن لحسن الحظ أدخل "تسعة" هذه الحيوانات المفترسة إلى حظيرة الحيوانات وأغلق عليها الباب عندئذ قال الملك:

ـ لمَ تأخرتم كل هذا يا"تسعة"؟ ولمْ تصل بقية العربات حتى الآن، بل ولم أر أية واحدة منها. أنت الأول.

حكى له "تسعة" كل ما جرى من الألف إلى الياء وقص على مسامعه لمَ تأخر ولمَ أصبح أول من وصل.

لما أن سمع الملك هذا وما مدى قوة "تسعة" ارتعدت مفاصله وأصبح مستعدًّا بأن يدفع له ما يريده نظير عمله لديه، المهم أن يرحل من هناك، لكنه لم يُظهر للفتى أن خائف أو غاضب، بل قال له:

ـ يا لك من فتى شجاع! لقد ربحت المكافأة.

وبالفعل أعطي له في الحال طاقم الملابس الكاملة النظيفة الجديدة ففرح الفتى بها ثم عاد بعد ذلك الباقون، لكنهم لم يحصلوا على أي شيء.

فكر الملك فيما يفعل كي يتخلص من هذا الـ "تسعة"، فاستدعاه وقال له:

ـ انتبه إليَّ يا "تسعة". أريد أن أحفر بئرًا على أطراف الغابة، وقد تحدثت مع المختصين في هذا الشأن، وأنت سوف تذهب معهم، ولما أن يتم حفر البئر ويتم الوصول إلى ينبوع الماء أغلقوه بالحجارة، لكنني أوصيك خيرًا بالعاملين هناك وكن معهم دائمًا. أنت الأفضل يا"تسعة" ومن الأفضل أن تبدأ أنت بوضع الأساس.

ـ حسنًا يا جلالة الملك سيكون كل شيء تمام كما أمرت.

حفروا البئر ووجدوا ينبوع الماء حيث انفجرت المياه من عمق كبير، فسأل "تسعة":

ـ حسنًا من منا سيضع حجر الأساس؟

فقالت البقية:

ـ أنت الأقوى يا"تسعة"، انهض وانزل في البئر وضع حجر الأساس!

ـ لست خائفًا... سأنزل وأفعل هذا!

كان الملك قد اتفق مع العاملين هناك أنه إذا نزل "تسعة" إلى البئر عليهم أن يلقوا عليه حجرا زنته مائة قنطار كي يهشمه تماما هناك. الآن وبمجرد أن نزل إلى البئر ألقوا وراءه مباشرة بالحجر الذي يزن مائة قنطار واعتقدوا أنه سيقع على رأسه وسينتهي أمره تمامًا بلا رجعة، إلا أن "تسعة" لاحظ الصخرة وهي تقع ناحية الأسفل فأمسك بها بإحدى يديه ورفعها إلى أعلى من البئر فخاف العاملين هناك لأنه في اعتقادهم سيخرج "تسعة" ويقتلهم جميعًا.

لم يتفوه "تسعة" ولو بكلمة واحدة بعد رفعه الصخرة وظلوا يعملون حتى المساء وتم إعداد البئر وعادوا إلى بيوتهم، ثم طلب الملك أحد العاملين أن يذهب إليه ليسأله:

ـ لِمَ لم تفعلوا ما قلته لكم؟

ـ لقد فعلنا ما أمرتنا به، لكنه التقط الصخرة وحملها مخرجا إياها خارج البئر.

وهنا خاف الملك أكثر وأكثر فإذا كان "تسعة" بهذه القوة فماذا هو فاعل عندما ينقضي العام ويعطيه اللكمة المتفق عليها؟ بالقطع سيموت مكانه. استدعى الملك مستشاريه في الحال وبدؤوا يتشاورون في كيفية التخلص من هذا الـ "تسعة"، فقال المستشارون:

ـ لقد وجدنا طريقة يا جلالة الملك. اكتب خطابًا يتضمن التالي: "أرسل إليك أكبر قاطع طرق في العالم... هو بين يديك الآن... وأنتم تعلمون ما الذي يجب فعله في هذه الحالة." ثم أرسل هذا الخطاب إلى قاضي المدينة وهو يعرف ماذا عليه أن يفعل.

كتب الملك الخطاب وقال لـ "تسعة":

ـ سوف أرسلك يا بني إلى قاضي المدينة.

ـ حسنًا يا سيدي الملك سأذهب لكنني أود أن أعلم ما السبب وراء ذلك.

ـ قاضي المدينة مدان لي بمبلغ كبير وقد كتبت في هذا الخطاب أنني أصبحت في حاجة إلى هذا المبلغ، وأرجو منكم استرداد المبلغ، وقل له هذا بالحرف الواحد.

ووضع الملك الخطاب في المظروف.

ـ أعطِ هذا الخطاب لقاضي المدينة في يده.

انطلق الفتى وطرق باب قاضي المدينة، سأله قاضي المدينة:

ـ ماذا تريد أيها الفتى؟

ـ لقد أرسلني الملك كرسول إليك لأنك استدنت منه مبلغا كبيرًا وهو في حاجة إليه الآن.

أرجوك أعطني المبلغ. علاوة على ذلك فقد حصلت منه على رسالة خطية لك أعتقد أنه مكتوب بها هذا الأمر.

قرأ القاضي الرسالة الخطية ولم يقل كلمة واحدة ووضعها في جيبه. ضغط على ذر فأتي أربعة من الحراس الأشداء وأمسكوا بـ "تسبعة" وكبلوا يديه بالسلاسل ورموه في السجن وقالوا له إنه قاطع طريق! وقد تم الحكم عليه بأن يحبس يومين ويتم إعدامه في اليوم الثالث. فرح الملك عند سماعه هذا الخبر معتقدًا أنه تخلص هكذا من "تسعة".

جاء اليوم الثالث ودقت الطبول في كل الأرجاء بأن من يريد أن يشاهد عملية الشنق فليأتِ ليرى لأنهم الآن سوف يشنقون قاطع طريق مشهور.

أخذوا "تسعة" من السجن متجهين به إلى المشنقة يصطحبه جمع غفير، وقد أحضروه إلى أطراف المدينة، وكان يسير معهم الجلاد وبابا الكنيسة. لما أن وصلوا إلى مكان الإعدام قال الجلاد:

ـ أيهما تفضل يا بني: الموت شنقًا أم ضربًا بالسيف؟ كيف أنهي حياتك؟

ـ أود أولًا أن أعلم لماذا تريدون شنقي أو قطع رقبتي؟

ـ أنا لم أحكم عليك بالإعدام يا بني، لكن هذا هو القانون. حصلت على أمر بإعدامك فحسب، أما السبب في ذلك فأنا لا أعلمه.

ـ بما أنكم تعتبروني مجرمًا إلى هذا الحد بل وأستحق الإعدام فلن يفرق بالنسبة لي الموت شنقًا أو ضربًا بالسيف. الأمر بالنسبة لي سواء. أعدموني كيفما شئتم.

ـ إذن ضع رقبتك يا بني على هذه الخشبة.

فقال "تسعة":

ـ أنا لا أعرف كيف أضع رأسي هنا. أرني أين أضع رأسي لأنني لم أتعلم هذه الصنعة من قبل.

وضع الجلاد رأسه فأمسك "تسعة" فجأة بالسيف وسحبه من يد الجلاد وقطع به رأسه.

ـ هل تعتقدون أنه من السهل هكذا إعدام "تسعة" من دون سبب؟

ارتعدت مفاصل الناس فجرى كل منهم في اتجاه، كما فر قاضي المدينة بحيث لم تطأ قدماه الأرض، وجرى وراءهم "تسعة"! كان محظوظا بالقطع من استطاع الفرار منهم لأن كل من

أمسك بهم "تسعة" فتك به فقتل منهم عشرة من الرجال.

فر قاضي المدينة إلى بيته ووراءه "تسعة".

ـ لقد رأيتك هناك بين أولئك الذين أصدروا الحكم عليَّ. لمَ أدنتني؟

ـ لست أنا من أدنتك، لكن القانون هو من أدانك.

ـ حسنًا لقد سامحتك، لكني أعطني الدين الآن فهذا ما جئت من أجله، ولم أجيء هنا كي تعدموني!

ـ كم من النقود تريد مني؟

ـ أريد النقود التي استلفتها من الملك فحسب!

علم قاضي المدينة أنه لم يرسل إلى هناك من أجل المال، لكن لكي يُقضى عليه. المهم أنه أعطاه المال الذي طلبه الملك، المهم بالنسبة له أن يتخلص من "تسعة"! عندئذٍ كان على "تسعة" العودة إلى الملك ثانية.

انطلق "تسعة" صوب القصر حيث يعمل.

لما أن رأى الملك "تسعة" بدأ يرتجف ويرتعش. وصلت شدة خوفه منه لدرجة أنه كان سيسقط مغشيًا عليه.

ـ تفضل يا جلالة الملك، أحضرت لك النقود. هل غضبت لأني تأخرت؟

ـ وكيف لي أن أغضب منك؟ بالطبع لم أغضب!

ـ لو أحكي لك ماذا أرادوا أن يفعلوا بي فقطعًا لن تصدقني! لكن هيهات هيهات فليس من السهل وضع "تسعة" تحت الأقدام! لدي من العقل والحنكة ما لا يسمح بحدوث ذلك.

لم يرغب الملك في إثارة غضب "تسعة".

في الليل جال في خلد الملك فكرة بأن يرسل "تسعة" إلى مكان آخر لعله يتوه ويفقد هناك، فقال له:

ـ حسنا "تسعة" أمسك حيواناتك وانطلق بها إلى الغابة، واجمع كل العظام الموجودة هناك. خذ معك جوالًا وضعها فيه ثم اذهب بعد ذلك إلى المقابر واجمع من هناك العظم أيضًا وأحضره إلى هنا. املأ تسعة من الأجولة فحسب. وهذا سيكفي.

ذهب "تسعة" إلى الغابة وجمع عظم بما فيه الكفاية، وذهب إلى المقابر وملأ تسعة من الأجولة المكتظة بالعظم عن آخرها، ثم عاد. وأخبر الملك أنه قد وصل:

ـ حسنًا يا بني انهض الآن إلى أطراف المدينة حيث الطاحونة... طاحونة الشياطين، وقل لهم أن يصنعوا أفضل دقيق من هذا العظم.

اعتقد الملك أن الشياطين سوف تدمر "تسعة" بلا شك.

ربط "تسعة" حيواناته؛ الذئاب الأربعة والدبان وانطلق بالعربة إلى أن وصل إلى الطاحونة وكانت بوابة الطاحونة مفتوحة فرأى أحد الشياطين "تسعة" وهو قادم ومعه حيواناته فأخبر الآخرين بالأمر بسرعة:

ـ يا منجي يا رب! يجب غلق البوابة لأن "تسعة" قادم ومعه الذئاب الأربعة واثنان من الدببة!

كان حارس البوابة هو نفسه ذلك الشيطان الذي جعله "تسعة" يحمل محور العربة لما أن انكسرت عجلتها فعرف "تسعة" في الحال ولهذا السبب أغلق البوابة.

وصل "تسعة" إلى هناك ورأى أن البوابة مغلقة ولا يستطيع الدخول، فنادى عليهم كي يفتحوا له البوابة، لكن لم يفتح له أحد من الشياطين البوابة، بل واستلقى أسفلها عشرة من الشياطين كي لا يسمحوا له بالدخول عبر البوابة. نادى عليهم "تسعة" ثلاث مرات حتى ردوا عليه:

ـ عد من حيث أتيت! فلن تستطيع الدخول بحيواناتك. لم نعد نطحن لأحد.

ـ لا يمكن؟ وركل البوابة فانفتحت على مصراعيها ووقف "تسعة" على رأس الشياطين العشرة المختبئين أسفل البوابة وقال:

ـ أرسلني إليكم الملك كي تطحنوا هذه الأجولة التسعة من القمح حالًا، وإذا لم تعطوني دقيقًا فاخرًا، فسألقنكم درسًا لن تنسوه أبداً. أنا "تسعة"!

ـ يا سيد "تسعة" نحن لا نصنع دقيقًا من العظم. يمكنك أن تعود من حيث أتيت.

ـ ألن تطيعوني؟ إذا لم تطحنوا لي دقيقًا في الحال فسوف أضعكم جميعًا تحت حجر الرحى وأطحنكم وأصنع من عظمكم الدقيق الذي أريده! ـ هكذا تحدث إليهم "تسعة".

سيطر الخوف والرعب على الشياطين فطحنوا له دقيقًا فاخرًا لا مثيل له في العالم كله.

ـ ها هو الدقيق يا سيد "تسعة". أصبح جاهزا. لا نريد منك شيئًا ولا حتى أجرة ولا ضريبة ولا جمرك. خذه فحسب.

رفع "تسعة" الأجولة على العربة وعاد بها.

لما أن رآه الملك تحشرجت الكلمات في حلقه ولم يستطع النطق من شدة خوفه، ثم قال "تسعة" للملك:

ـ انقضى العام يا جلالة الملك.

لأنه في هذا اليوم تحديدا قد انتهى العام.

فكر الملك في نفسه:

"ماذا سيحدث الآن؟"

كان لدى الملك ابنة حسناء كالقمر كانت تخاف على أبيها بشدة.

ـ ألا تعلم يا جلالة الملك الاتفاق الذي كان بيننا؟ إذا مر العام عليك أن تسمح لي بأن أوجه لجلالتكم لكمة واحدة. هذا ما اتفقنا عليه.

لم يدر الملك بماذا يرد على "تسعة" فقد كانت ركبتاه تتخبط في بعضهما من الخوف، لكن عندئذ تدخلت الأميرة ابنة الملك وقالت:

ـ لا تلكم أبي، بل وجه اللكمة إليّ، يا"تسعة"!

ـ لم يكن الاتفاق معكِ، بل كان مع أبيكِ الملك.

ـ ليس مجديًا انك اتفقت مع أبي فقد صار شيخًا عجوزا، أما أنا شابة في بداية العمر. اضربني اللكمة على وجهي.

فقال لها "تسعة":

ـ أنا لا أضرب بنتًا على وجهها، وإذا كان الموضوع يتمحور حول لكمة، فاضربيني أنت.

سألته ابنة الملك:

ـ وهل تسمح بذلك؟

ـ أسمح.

رفعت ابنة الملك يدها إلى أعلى كما لو كانت ستضربه فعلا، لكن بدلا من توجيه اللكمة إليه تعلقت برقبته وحضنته وقبلته.

ـ أنت فارس وشهم بمعنى الكلمة يا"تسعة". فلم تضرب أبي، لذلك فأنا لك وأنت لي، ولن يفرقنا عن بعضنا إلا الموت.

نظر الملك ماذا تفعل ابنته فتعجب من أنها تريد أن تصبح زوجة لـ "تسعة" بدلا من أن يوجه لكمة لأبيها فقال "تسعة" هنا:

ـ هل تسمح يا جلالة الملك بزواجي من ابنتك؟

ـ كيف لا أسمح! فأين سأجد رجلًا شهمًا فارسًا بهذه الأخلاق مثلك كي أزوجه ابنتي.

وفي الحال أعلنوا الأفراح والليالي الملاح في جميع الأرجاء وأقاموا عرسًا ضخمًا استمر ثماني وأربعين ساعة. وما زالوا يعيشون حتى اليوم، ما لم يكن قد توفاهم الله.

وهكذا صار "تسعة" ملكًا.

نهاية الحاقد

كان هناك رجل فقير، لديه أبناء كُثُر، وربما لا يعرف كم عددهم، وكان يبحث عن لقمة عيشه عن طريق الذهاب للصيد في نهر درافا(١). في إحدى المرات ما إن خرج إلى النهر، حتى اصطاد من الماء شيئًا دائري الشكل، فأخذه بيده، وألقى عليه نظرةً، ثم أخذه معه إلى المنزل، واعتقد أنه سيكون لأولاده ما يلعبون به في المنزل، وكلما لعب الأطفال به، كلما ازداد دومًا سطوعًا، وقد رأى أنها حلقة ذهبية، فجمع حوائجه، ولفَّ الحلقة في قطعة من القماش، وتوجه إلى الملك. استوقفوه لدى البوابة، ولم يرغبوا في السماح له بالدخول. سأله الحرّاس:

- في أي أمر جئت؟

رد الرجل:

- جلبت إلى الملك هدية، لذلك أود الدخول إليه!

سمحوا له بالصعود للملك، وعندما سلَّمَ الحلقة الذهبية للملك، سأله:

- من أين حصلت على هذه الحلقة الذهبية؟ أين اشتريتها؟

- جلالة الملك، لم أشتريها من أي مكان: لقد اصطدتها من نهر درافا، وهناك عثرت عليها.

قبل الملك الحلقة الذهبية، وأمر بإعطاء الرجل الفقير فضَّةً ونقودًا، بقدر ما استطاع أن يحمل، إلى أن انحنى ظهْر الرجل، فقد حصل على الكثير من المال.

عندما عاد إلى المنزل، أرسل أحد أبنائه إلى أخيه ليطلب منه ميزانًا.

فقال العم للولد:

- لماذا يلزمكم هذا الميزان، وليس لديكم ولا حتى لقمة العيش؟

لم ينطق الطفل ولو بكلمةٍ واحدةٍ، وأعطى العم الميزان للولد بعد أن قام بتشحيمه بالقطران، وعندما وزنوا المال، أعاد الابن الميزان إلى العم، ولكن لا أحد في المنزل ولا الطفل نفسه لم يلحظ أن قطعة من النقود الفضية قد التصقت بالقطران.

فسأل العم الولد:

---

(١) أحد الأنهار المجرية الهامة.

- حسنًا، وماذا وزنتم به؟

فقال الطفل:

- بسلة!

كان الطفل يعلم ماذا وزنوا به! ولكنه لم يقل الحقيقة لعمه، شاهد الأخ الأكبر الميزان، ومن ثم فقد رأى قطعة النقود الفضية الملتصقة بالقطران.

- فقال في نفسه: "كيف أن هؤلاء وزنوا بسلةً! وهنا نقود".

وعلى اثر ذلك ذهب إلى أخيه الأصغر، قائلًا له من أين حصل على كل هذه النقود، وذهبت معه زوجته، ففكر هذا الرجل المسكين في أن يلعب على أخيه الشحيح، الذي كان دائمًا متبلد الإحساس حياله، فقال له إن هذه النقود حصلوا عليها جرَّاء أنهم أخذوا قطةً واحدة للملك، لأن هناك الكثير من الفئران، لدرجة أنهم يقرضون أُذُنِ الملك أيضًا، وعلى إثر ذلك قال الأخ الأكبر وهو يحث زوجته:

- حسنًا أيها الرجل، سنشتري نحن أيضًا قطة!

قال الرجل الفقير منبهًا:

- زوجة أخي، لا تشتري الكثير، حتى لا يخدشوكِ!

ولكنها لم تستمع إليه. عادا إلى المنزل، وباعا كل ما يملكان، واشتريا بأموالها كلها قططًا، وأحضروا عربة كبيرة من القطط إلى القلعة الملكية.

سألهم الجنود عند البوابة:

- إلى أين ذاهبان؟

- إلى الملك.

- بخصوص ماذا؟

- أحضرنا له قطةً!

- لما لا تخوضان مباشرة في الموضوع الذي بخصوصه تودان لقاء الملك - قال الجنود - هل فقط تريدان إعطاء الملك قطة؟

شرعت زوجة الأخ في الحديث، بأنهما سمعا أن هنا الكثير من الفئران، لدرجة أنهم يعْلِكُون

ويقرضون أذن الملك، وفي وقتٍ سابقٍ تم إحضار قطةً واحدةً! وهذا غير كافٍ هنا! لقد أحضرا عربةً كاملةً من القطط.

وبالكاد سمح الحراس لهما بالدخول، وبالفعل دخلا.

ولما صارا أمام الملك، لم يقولا حتى في أي أمر يريدانه، واعتقدا أنهما سيُسعدان الملك كثيرًا، وعلى الفور فكا الجوال، فانتشرت القطط العديدة الجائعة الغاضبة في كل مكان فخدشت ومزقت الملك، لدرجة أنه لم يكن يدري كيف يهرب من أمامها: صرخ بأعلى صوته فأسرع الحراس بالدخول، وتمكنوا بالكاد من قتل وطرد الكثير من القطط، ثم أنهم قد ضربوا وطردوا الرجل نفسه.

وعاد الرجل وزوجته إلى منزلهما.

ومن ذلك الحين لم يعودا أغنياء قط.

"الفارس يانوش" و"الغراب العملاق"

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان وفي مكان أبعد بكثير من وراء نهر الـ "تيسا"، وأيضا أبعد من نهر الدانوب. كانت هناك حديقة صغيرة بجانبها أخرى كبيرة. في الحديقة الكبيرة كان يسكن رجل أرمل فقير له ثلاث بنات وولد.

كان الولد يدعي "الفارس يانوش". عندما أوشك أبوهم على الرحيل عن هذه الدنيا طلب من ابنه أن يستمع لما سيقوله له:

ـ ابني العزيز، اسمع كلامي، وعدني بتنفيذه. أنا راحل الآن عن هذه الدنيا الفانية. إخوتك البنات الثلاث أمانة في عنقك وسيظللن معك. إذا طلب أحد يد واحدة منهن، فلا تسأله إلا عن اسمه ومسكنه فحسب.

بعد قليل انتقل الأب إلى رحمة الله تعالى.

بعدها بأيام تكونت سحب في السماء وهطلت الأمطار واشتد الرعد والبرق في الليل وفجأة سمع طرق على الباب.

أحد ما ينادى تعالَ يا"يانوش" إلى الخارج! وعلى ذلك خرج "يانوش" ولم يجد أحدًا أمامه، لكنه سمع من يناديه في الظلام ويقول له:

ـ أرسل لي أختك الكبيرة!

أرسل "يانوش" أخته الكبيرة ثم خرج بعدها. عندئذ رأى أن تنينًا رهيبًا ضخمًا أخذها، فانهمر في البكاء الشديد والحزن المرير. لم يكن يعرف ما إذا كان التنين فعل ذلك من أجل خطفها أم من أجل أن يتزوجها. أوصاه أبوه أن يعطي أخواته لمن يطلبهن للزواج، ولكن هذا التنين لم يطلبها وإنما خطفها.

لم تهدأ العاصفة واستمرت. في اليوم التالي نادى عليه من الشباك صوت قوي قائلًا:

ـ تعالَ يا"يانوش" إلى الخارج!

خرج "يانوش" فلم يرَ أحدا ولكنه سمع صوتا في الظلام يقول:

ـ أرسل لي أختك الوسطى!

فكرت الفتاة المسكينة في الهرب إلى المخبأ، ولكن أتى صوت من الخارج مخيف إذا لم تأت الفتاة ستنتهون جميعا. ماذا عساها أن تفعل الفتاة في هذا الموقف الصعب. المهم أنها خرجت في

النهاية. كان الفتى يسترق النظر حتى يعرف من أتى ليأخذ أخته. وعندما خرج إلى الفضاء وجد تنينًا أضخم من سابقه قد خطف أخته. في اليوم الثالث طرق أحد بابهم وسمعوا صوتا من الخارج يقول:

ـ تعالَ إلى الخارج يا"يانوش"!

خرج "الفارس يانوش"

ـ أخرج لي أختك الصغرى ولا تتأخر أيها الفتى وإلا قتلت الجميع.

دخل "يانوش" الفارس من دون إبداء أي اعتراض أو مقاومة وأخبر أخته أن هناك تنينًا أكبر من سابقيه يريدها، بالفعل أخذها التنين وذهب بها بعيدًا.

ظل الشاب البائس وحيدًا. حتى هذا اليوم كانت أخواته يطهين له الطعام، ويغسلن له الثياب. في وقت سريع نفد كل شيء كان قد أعدوه له كالخبز، والثياب النظيفة. كان يتمتع بعزة نفس فأبى أن يطلب مساعدة جيرانه لكي يطهون أو يغسلون له. أغلق باب المسكن وانطلق حزينا في الدنيا. اعتقد أنه سيظل يمشي حتى يموت، أو بشكل آخر حتى ينتهي بما أنه ظل وحيدا في الحياة.

وبينما هو يمشي هكذا وصل إلى مدينة رأى على كل منزل فيها علم أسود. فكر "الفارس يانوش" أن كل هؤلاء بشكل أو بآخر مثله مملوئين بالحزن والأسى، فقط ربما يكون الفارق بينهم أنه نسي أن يعلق العلم الأسود فوق منزله ولكنه أخذ يسأل لمَ كل هذا الحزن في المدينة. أجابت عليه امرأة عجوز.

ـ هذا حقيقي يا بني نحن في حداد وحزن ولم يمر علينا حداد كهذا من قبل. خلال ثلاثة أيام توفى الملك والملكة والأبناء لذلك نحن في حداد. وقد أعلنت الملكة الصغيرة الحداد في كل أرجاء البلاد.

ـ أين تسكن الملكة الصغيرة؟

ـ اذهب إلى وسط المدينة فهناك مقر الحكم. ولكن ماذا تريد؟

ـ أبحث عن عمل يا أمي! ويمكنني أن أخفف عن الملكة الصغيرة.

ـ ربما لا تنجح يا بني لأن الملكة الصغيرة فقدت الثقة في كل شيء. أعلنت أنه إذا تجرأ أحد وقال أنه يحبها ستتبعه وتقضي عليه. تريد أن تعيش وحيدة بقية حياتها.

ـ ولكني سأذهب إليها وأحاول.

ذهب "الفارس يانوش" إلى القصر وحاول الدخول ولكن البواب الخاص بالقصر وقف أمامه وقال:

ـ ماذا تريد من هنا أيها الشاب؟

ـ أبحث عن عمل.

ـ لا يوجد لدينا عمل.

ـ وربما يكون هناك عمل!

ـ اذهب من هنا، لا يوجد لدينا كما قلت!

ولكن "الفارس يانوش" وقف يحاول ويحاول فحسب.

ـ من الممكن أن أخفف حزن الملكة الصغيرة: ولكن كيف؟ فأنا نفسي أبحث عن من يواسيني، وأعاني الكثير من المشكلات.

سمعته الملكة الصغيرة من الشباك. ونظرت فوجدته شابا حزينا لا يختلف حاله عن حالها.

هكذا شعرت بأنها ليست وحيدة في عالم الحزن. أرسلت له خادما ليسأله ما الذي أتى به إلى هنا، فأجابها من الأسفل قائلا:

ـ أبحث عن عمل.

نادت عليه ليقف بين يديها. رأت أنه شاب وسيم يعتمد عليه، فقالت له:

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا حقًا؟

وبدأ يشكو لها حاله، وماذا حدث له في ثلاثة أيام: كيف فقد أخواته البنات، وكيف أصبح وحيدًا ولم يبق له من يطهو أو يغسل له، فقالت له:

ـ أنت أيضا إنسان بائس مثلي. موافقة أن تعمل لدي. ارتاح ثم تعرف على ما سوف تفعله من عمل ابتداء من صباح الغد.

أعجبت به الملكة الصغيرة، وألبسته ملابس أخيها وكأنه أخوها فعلًا. هكذا عاشا سنين طويلة إلى أن أصبح شابا عمره واحدًا وعشرين عاما. عندئذٍ طلبت منه أن يحضر إليها وقالت له:

ـ قل لي يا "يانوش": سأسألك عن شيء ما وأجبني بصدق. أتحبني أم لا؟

ـ تلعثم الشاب وفكر: إذا قال لها نعم أحبك من الممكن أن تنهي حياته حسبما قررت من البداية وإذا قال لها لا من الممكن أن تحزن: هل سيقول الحقيقة أم لا؟! في النهاية قال لها إنه يحبها. وليكن ما يكون. على عكس المتوقع فرحت الملكة الصغيرة جدًّا.

ـ وقالت له: بما أنك تحبني فأنا أيضا أحبك! لنطلب الكاهن ليزوجنا. أنت ستكون الملك! وحدث ذلك فعلًا. حضر الكاهن وزوجهما، وأقاموا لهما عرسا ملكيًّا.

في اليوم التالي قالت له زوجته إن كل ما يراه من حوله له الحق فيه، وما هو مغلق فهذا من حقها وحدها. كما أخبرته أن على الغرفة الداخلية بالقصر قفل لا ينبغي أن يسأل عنه أبدًا، ولا يفكر في دخول هذه الغرفة.

صعبت نفس "يانوش" عليه لأنه أصبح ملكًا ولا يحق له أن يعرف كل ما في القصر.

اعتقد أنه سيعرف وقت ما، ولكن الفضول لم يتركه في حاله على الإطلاق. قررا الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فتجهزا، وقبل أن ينطلقا أخذت رأس "يانوش" تؤلمه فقال لزوجته:

ـ اذهبي أنت وحدك إلى الصلاة فأنا اليوم متعب ولن أذهب.

ذهبت وحدها إلى الكنيسة. بعد ذلك دخل "الفارس يانوش" إلى آخر القصر حيث كانت الغرفة المغلقة وهي في مساحة سطح العربة أو الضعف تقريبًا. حاول الدخول ولم يفلح. كان على الباب قفل قديم لكنه قرر أن يدخل حتى لو اضطر إلى كسر الباب. حاول جذب الباب والطرق عليه لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

فجأة سمع صوتًا ضعيفًا يأتي من الداخل يقول له:

ـ أيها "الفارس يانوش" إذا أردت أن تدخل عندي اذهب إلى سرير زوجتك وتحت وسادتها ستجد المفتاح الذي تفتح به هذا الباب.

هكذا فعل. وجد "الفارس يانوش" المفتاح وفتح الباب، ودخل بشجاعة ليرى في وسط الغرفة مسبح حجري كبير جدًّا بداخله شيء ضخم مربوط من ثلاث جهات يتحدث ويقول له فجأة:

ـ أيها "الفارس يانوش" أعطني كوبًا من الماء، أعطيك مقابله حياة.

ـ لا أريد شيئا وسأعطيك كوب ماء بل وكوبًا من النبيذ إن أردت.

أجاب عليه هذا الشيء بامتنان:

ـ انظر فوق هذا المسبح ستجد غطاء به فتحة صغيرة عليك أن تصب منها الماء وأنا سأفتح فمي تحتها وأشرب.

ولما أن فعل ذلك انكسرت أحد القيود من المسبح.

ـ أعطني كوبًا آخر من الماء، وأعطيك مقابله طريق حياة.

أجاب "الفارس يانوش":

ـ لا أعطيك كوب ماء وإنما كوب نبيذ، وبالفعل أعطاه.

بعدها انكسر ثاني قيد من المسبح. مرة أخرى أتى الصوت من تحت الغطاء:

ـ أعطني كوب ماء وأعطيك تجربة حياة.

ـ لا أعطيك كوب ماء وإنما كوبًا من النبيذ.

سكب "الفارس يانوش" كوب النبيذ الثالث فانكسر من على الغطاء القيد الثالث في الحال. ارتفع الغطاء إلى أعلى وخرج من داخله هواء شديد ومعه شبح هارب من الداخل فقد استطاع السجين الطيران ودفع "الفارس يانوش" بجناحه فسقط مغشيًّا عليه.

هو نفسه لا يعرف كم من الوقت نام هناك وعندما استعاد وعيه أخذ ينظر حوله، وأول شيء جال بخلده أن زوجته لم تعد إلى البيت بعد ونظر إلى ساعته فوجد أن موعد الصلاة انتهى منذ وقت بل وعاد المصلون أيضا كلٌّ إلى بيته! قفز من مكانه وأسرع إلى القس ليسأله عن زوجته فقال له القس:

ـ كما تعودت زوجتك خرجت قبل الآخرين بخمس دقائق ولم أرها من وقتها.

في هذه الأثناء أتى حرس الكنيسة ليبلغوه أنهم شاهدوا شبحا ضخما يهبط في المسافة بين الكنيسة والقصر وخطف الملكة وترك رسالة مفادها التالي:

ـ "لقد أعطيت "الغراب العملاق" ثلاثة أكواب من النبيذ. إذا شعرت بالعطش اذهب إليه ليردها إليك."

عرف "الفارس يانوش" الآن من خطف زوجته. إنه كبير التنانين. طلب "الفارس يانوش" الجند والحراسة والخدم وأعطى أوامره بألا يضع أحد قدمه داخل القصر ما لم يعد، وأن تسير الحياة كما كانت حتى هذا اليوم.

قرر السفر والترحال للبحث عن زوجته المخطوفة ووضع في حقيبة ظهره بعض الطعام،

وقال في نفسه:

ـ سأظل أمشي ما دمت حيًّا بحثا عن زوجتي!

سافر وتنقل في البلاد السبعة وبعدها أيضا إلى أن وصل فجأة إلى غابة كبيرة وكان الليل قد أقبل، وعندما أظلمت وأصبحت العتمة تحيط بالمكان من كل جانب، طلع فوق شجرة عالية حتى لا تؤذه الحيوانات المفترسة في الليل وأيضا كي يرى المكان كله من مكان مرتفع. رأى من بعيد شيئا ما يلوح في الأفق، فقرر الذهاب إلى هناك، فلن يمكث بقية حياته فوق هذه الشجرة وإنما قرر الذهاب ليرى ما يخبئه له القدر.

مشى وسافر حتى وصل إلى هذا الشيء الذي لاح له في الأفق من بعيد وطرق الباب فأتى صوت من الداخل يقول:

ـ إذا كنت غريب تعالَ إلى الداخل. فتح "الفارس يانوش" الباب، عجب العجاب ماذا يرى هناك؟ إنها أخته الكبيرة. فرحا جدًّا ببعضهما البعض.

ـ السلام عليكِ يا أختي!

ـ السلام عليكِ يا أخي! فيما أتيت إلى هنا؟ من وقت تركت المنزل لم أر ولا حتى طائر يحلق بجناحيه في السماء في هذا المكان. اختبئ بسرعة لأن زوجي التنين ذا الرؤوس الست إذا وجدك هنا فلا أعرف ماذا سيكون رد فعله.

ـ ليست هناك مشكلة في موتي المهم إنني رأيتك.

قالت له أخته:

ـ اختبئ تحت السرير، لأنه سيصل حالا.

بعدما اختبأ بقليل وصل الزوج بضجيج عالٍ. وعندما دخل المنزل أول شيء قاله:

ـ أشم رائحة غريب هنا! من أتى إلى هنا؟

قالت الزوجة:

ـ لماذا تشعر يا زوجي العزيز برائحة غريب؟ أنت الذي أتيت من الخارج، وهذه هي رائحتك أنت.

ـ ليس كما تقولين إنما دعيه يخرج من تحت السرير!

لقد رآه أثناء حديثه معها. خرج أخو زوجته "الفارس يانوش" من تحت السرير. ابتلعه

التنين، ثم تقيأه برفق، ثم ابتلعه ثم تقيأه. فعل هذا معه ثلاث مرات. هكذا كان يعبر له عن مشاعر الحب نحوه... فهكذا تعبر التنانين عن حبها... وشرعا في التحدث سويًا:

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا يا "صهري"، إلى هذه الأرض القاحلة؟

فقال "الفارس يانوش":

ـ اختطف "الغراب العملاق" زوجتي، ألا تعرف عنه شيئًا... أين يسكن؟

ـ سمعت أنه رحل من هنا بعيدًا. وإن كنت علمت بهذا الأمر لتصديت له بكل قوتي. في الصباح سنذهب إلى أخي الأكبر لعله يعرف عنه شيئًا.

حدث هذا فعلا. في اليوم التالي حمل التنين صهره على ظهره، وطار به في الهواء، وفي دقائق كانا عند الأخ الأكبر؛ عرّفه على أخيه فصاح قائلًا:

ـ حمدًا لله على السلامة، يا نسيبي! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

نظر "الفارس يانوش" حوله، ورأى أخته الوسطى ففرح فرحًا جمًّا، ولكن انزعج الجميع عندما بدأ يحدثهم أن "الغراب العملاق" اختطف زوجته. ثم قال التنين الثاني:

ـ لقد رحل عن هنا بعيدًا، وإن كنت علمت بهذا الأمر لتصديت له بكل قوتي؛ في الصباح سنذهب إلى أخي الأكبر لعله يعرف عنه شيئًا فحدود أرضه ملاصقة لبلاد "الغراب العملاق".

هذا ما حدث. أخذ التنين الثاني "الفارس يانوش"، وفي لمح البصر وصلوا إلى أخيه.

عندما دخل "الفارس يانوش" حجرة التنين الثالث فرأى أخته الثالثة فاحتضنا بعضهما البعض. قفز التنين الثالث من مكانه قائلًا:

ـ حمدًا لله على السلامة يا "نسيبي" ما الذي أتى بك إلى هذه الأرض القاحلة؟

حكى "الفارس يانوش" قصة خطف زوجته. وعلى ذلك هز التنين الأكبر رأسه قائلًا:

ـ إنه مشى من عند حدودي منذ قليل. ولو علمت بما فعل لتصديت له بكل قوتي. هو صحيح رئيسنا ولكننا جميعا نكرهه، لذلك كان أسيرًا في المسبح. ولكن ماذا تريد مني الآن؟

ـ كيف أستطيع استرداد زوجتي منه؟

أرادت التنانين الثلاثة مساعدة نسيبهم بالفعل. فقال التنين ذو الأربع والعشرين رأسا:

ـ نحن ثلاثة أخوة مهرة ولكن حتى إذا اتحدنا معا لا نستطيع هزيمته فهو قوي جدًّا.

لكن تعرف ماذا سنفعل يا"صهرنا" سنُعمل عقلنا ضده؛ ستذهب إليه في زي شحاذ. لكن قبل هذا قل لي بماذا وعدك عندما أعطيت له الشراب ثلاث مرات؟

سرد الشاب بما وعده: مرة حياة، مرة طريق حياة، ومرة أخرى تجربة حياة.

عندئذ رد عليه التنين ذو الأربع والعشرين رأسا قائلًا:

ـ إذًا اذهب إليه، من المحتمل أن تستعيد زوجتك. كل يوم في الصباح في الساعة الثامنة تكون زوجتك المسكينة عند البئر. هيا أسرع!

أما التنين ذو الرؤوس الست فقال:

ـ هذا حصاني، امتطيه وحاول تهريب زوجتك. وسنرى ماذا يحدث!

بالفعل ركب على الحصان، وانطلق إلى البئر حيث تذهب زوجته في الصباح لإحضار الماء. عندما التقيا بكي كلاهما وقالت له زوجته:

ـ لماذا تركتني مع هذا المتوحش الشرير؟

أجاب "الفارس يانوش":

ـ لم أتركك له على الإطلاق! ليس هذا وقت الحساب... هيا تعالِ بسرعة واركبي على الحصان، سآخذك من هنا!

في الوقت نفسه كان "الغراب العملاق" يتناول الفطور. فجأة ماذا سمع؟ سمع حصانه في الإسطبل يضرب الأرض بحوافره وكان له خمس أرجل. على إثر ذلك قفز "الغراب العملاق" إلى الإسطبل وصاح في حصانه قائلا:

ـ ماذا بك أيها الكلب؟! ما الذي يسيل عروقك؟ ألا يوجد ما تأكل؟ ألا يوجد ما تشرب؟ ألا توجد أجمل بنات الكون هنا؟

أجاب الحصان وهو يدور للخلف:

ـ يوجد ما آكل، يوجد ما أشرب، لكن لا توجد أجمل بنات الكون هنا. لقد أخذوها!

ـ هل أشرب... هل آكل... هل سنلحق بهم؟

ـ يمكنك أن تأكل وتشرب وتتناول سوداني بل وتدخن وتستريح قليلًا لأنك وأنت معي سنلحق بهم مع كل ذلك!

بعد أن أكل وشرب ودخن واستراح قليلًا قفز على حصانه ذي الأرجل الخمس وكان كل خطوة يخطوها تعادل ميلًا؟ وبعد عشرين خطوة تساوى عشرين ميلًا أصبح وراءهم مباشرة، فقال "الغراب العملاق":

ـ اسمع أيها المسكين! أعطيتك حياة هذه المرة. لذلك فلتنعم بها ولا تترك نفسك لهذه الوساوس التي تدور في عقلك. لن أؤذيك هذه المرة. أعطني المرأة، ولا تأتِ إلى هنا مرة ثانية.

هكذا أخذها منه وعاد إلى البيت. أما "الفارس يانوش" فقد عاد إلى أصهاره حزينًا مكتئبًا.

كانوا في انتظاره على مشارف المدينة:

ـ ماذا حدث يا نسيبنا؟

ـ أخذ مني زوجتي بعدما استعدتها.

عندئذ تدخل التنين الأوسط ذو الاثنتي عشرة رأسا وقال:

ـ غدا ستذهب بحصاني مرة أخرى في الصباح! يجب أن تجرب حظك وليحدث ما يحدث.

وقد كان؛ في اليوم التالي أخذ الحصان وذهب. كان عند البئر الساعة الثامنة. وهناك قال لزوجته:

ـ تعالِ يا زوجتي العزيزة، واركبي، دعيني آخذك إلى البيت!

ـ لِمَ أتيت إلى هنا ثانية فهذا الأمر ربما يكلفك حياتك هذه المرة. عد إلى مكانك الذي أتيت منه بدلا من أن تلقي حتفك هنا. بعد شد وجذب ركبت وراء زوجها.

سمع "الغراب العملاق" صوت حصانه يضرب بحوافره في الأرض.

ترك الأكل وقفز إلى الإسطبل وصرخ في حصانه:

ـ ماذا بك أيها الكلب؟! ما الذي يسيل عروقك؟ ألا يوجد ما تأكل؟ ألا يوجد ما تشرب؟ ألا توجد أجمل بنات الكون هنا؟

أجاب الحصان وهو يدور للخلف:

ـ يوجد ما آكل، يوجد ما أشرب، لكن لا توجد أجمل بنات الكون هنا. لقد أخذوها!

ـ هل أشرب... هل آكل... هل سنلحق بهم؟

ـ يمكنك أن تأكل وتشرب وتتناول السوداني بل وتدخن أيضًا، وتستريح قليلًا لأنك وأنت معي سنلحق بهم مع كل ذلك!

أكل وشرب وتناول ثلاثمائة كيلو جرام من السوداني ودخن، بل ونال قسطًا من الراحة، ولحق بهم مع كل ذلك، ثم قال:

ـ مرة أخرى "الفارس يانوش" المسكين؟ كنت قد وعدتك بطريق حياة، ولذلك فلن أؤذيك هذه المرة أيضًا، فقط أعد لي زوجتي وارحل عن أرضي.

أخذ الزوجة من "الفارس يانوش"، ورجع بها إلى البيت.

عاد "الفارس يانوش" إلى البيت حزينا عند أصهاره الثلاثة، وكانوا في انتظاره.

ـ ما الأخبار، يا صهرنا؟ ولكن الجواب كان واضحا فقد حدث ما حدث في المرة السابقة.

هكذا تكلم التنين ذو الأربع والعشرين رأسًا:

ـ في الصباح الباكر اركب حصاني، وجرب للمرة الثالثة ولنسعَ وراء الخير.

في اليوم الثالث ذهب "الفارس يانوش" من أجل زوجته فوجدها عند البئر مثل كل مرة! ضمها إلى صدره وأخذها معه. في الوقت نفسه كان حصان "الغراب العملاق" يخبط على الأرض مثل كل مرة. ترك "الغراب العملاق" فطوره، وانفجر في حصانه موبخًا إياه:

ـ ماذا بك أيها الكلب؟! ما الذي يسيل عروقك؟ ألا يوجد ما تأكل؟ ألا يوجد ما تشرب؟ ألا توجد أجمل بنات الكون هنا؟

ـ يوجد ما آكل، يوجد ما أشرب، لكن لا توجد أجمل بنات الكون هنا. لقد أخذوها!

ـ هل أشرب... هل آكل... هل سنلحق بهم؟

ـ يمكنك أن تأكل وتشرب وتتناول السوداني بل وتدخن أيضًا، وتستريح لأنك وأنت معي سنلحق بهم مع كل ذلك!

وفي لمح البصر لحق بـ "الفارس يانوش" وأوقفه، وقال له:

ـ أيها المسكين! أعطيتني ثلاثة أكواب من النبيذ، أعطيتك مقابلهم حياة، وطريق حياة، وتجربة حياة. الآن انتهت تجربة الحياة وهذه كانت الفرصة الأخيرة لك! إذا وضعت قدمك هنا ثانية سأقطعك إربا إربًا لتأكلك الغربان!

وبهذا أخذ منه الزوجة مرة أخرى.

رجع "الفارس يانوش" ولكن هذه المرة حقًّا حزينا جدًّا. سأله الثلاثة:

ـ ما الأخبار، يا نسيبنا؟

ـ لن تكون هناك رحمة عند "الغراب العملاق" بعد الآن.

قال التنين ذو الأربع والعشرين رأسا:

ـ لذلك سنذهب غدًا أيضا! ستلبس ملابس المساكين. ستجد زوجتك عند البئر كما الحال في كل مرة تحضر الماء. قل لها إذا كانت تحبك فعلا، وإذا كانت تريد أن تكون زوجتك حقًّا ستفعل ما تطلبه، بما أنك أنت أيضا عانيت كثيرا من أجلها. اطلب منها أن تسأل "الغراب العملاق" هل لحصانه مثيل في هذه الدنيا. انتظر حتى تعرف زوجتك منه ذلك. وبعدها تعال إلى البيت بسرعة من دون زوجتك.

هذا ما حدث. في اليوم التالي انتظر "الفارس يانوش" زوجته في الصباح عند البئر.

فقالت له زوجته في لحظتها.

ـ زوجي العزيز، لماذا أتيت من أجلي؛ سوف يقطعك هذا "الغراب العملاق" الملعون!

أجاب عليها "الفارس يانوش":

ـ زوجتي العزيزة إذا كنت تريدين أن نعود لبعضنا البعض، وأحررك من هذا الشرير، لي طلب عندك. أنا تعبت كثيرا من أجلك وعليك أن تساعديني. اسألي "الغراب العملاق" هل لحصانه مثيل في هذه الدنيا، أم لا، وإذا كانت الإجابة بنعم فأين يعيش؟ أنا سأنتظر هنا، سأختبئ. عندما تعرفي ما أريد، تعالِ مرة أخرى من أجل المياه، وقولي لي.

ـ وكيف لا أفعل يا زوجي فهذا من أجلي وأجلك. سأفعل!

دخلت الزوجة إلى البيت حاملة المياه ترتسم على وجهها علامات الفرحة والسرور، وقالت للـ "الغراب العملاق" بخجل وأدب شديد:

ـ أترى يا زوجي العزيز! لقد رأيت حقيقة زوجي السابق، إنه لا يستطيع أن يأتي من أجلي ويستعيدني، بل وهناك احتمال ألا يأتي ثانية. لديك حصان ثمين فعلا! هو أغلى من كل مال الدنيا. ولكن قل لي يا زوجي العزيز، هل يوجد له مثيل في الدنيا!

قفز فجأة، وضربها على وجهها بسبب سؤالها هذا. ولكن عندما أفاقت، سألته مرة ثانية.

ـ لقد ضربتني الآن. هل ستجيب عن سؤالي؟ هل يوجد له مثيل في الدنيا؟

مرة أخرى صفعها على وجهها، لدرجة أنها احتاجت إلى الماء كي تستعيد وعيها هذه المرة،

وبعد وقت طويل فاقت من الإغماء وسألته مرة أخرى:

ـ لكن الآن قل لي بصدق، هل له مثيل في هذه الدنيا!

في هذه المرة قفز ولطمها لدرجة أنها لم تستفق إلا بالخل فقط، وعندما أفاقت، سألته من جديد السؤال نفسه:

ـ زوجي العزيز هذه المرة قل لي بحق، هل لحصاننا مثيل في الدنيا!

أجاب عليها "الغراب العملاق" بضيق:

ـ الآن سأقول لك: نعم يوجد! لكنه غير الذي عندنا، فهو أسرع مائة مرة من حصاني. الذي عندنا له خمس أرجل؛ أما الآخر فله ست أرجل، وهذا موجود في بحر النار بداخل الجزيرة رقم سبعين، عند الساحرة الشريرة. أفكر في أن أذهب إليه. لابد من إحضاره إلى هنا، خوفا من أن يذهب زوجك السابق إليه ويحضره، لأنه يمكنه أن يهربك به.

ذهبت الزوجة بعد ذلك وأخبرت زوجها أن لحصان التنين مثيل ويمكن أن نقول إنه ليس مثله بل أفضل منه وأسرع منه. استأذن "الفارس يانوش" منها بسرعة وذهب إلى أصهاره الثلاثة. كانوا في انتظاره كالعادة وسألوه:

ـ ما الأخبار، يا نسيبنا؟

قال لهم:

ـ حصان "الغراب العملاق" له مثيل في هذا العالم بل أسرع وأقوى منه. وموجود بالجزيرة السبعين في بحر النار.

ـ فقال التنين ذو الأربع والعشرين رأسا: هذه مشكلة يا نسيبنا! قبل هذا نقوم بمحاولة أخرى من أجل زوجتك. أنا سأعطيك حصاني، وتحت السرج ضع جوالًا. حاول أن تستعيد زوجتك هذه المرة. ولكن قل لها: أن تقول لـ "الغراب العملاق" إنه إذا لحق بكما وقطعك إربا إربا أن يضعك في هذا الجوال ويضعه على ظهر الحصان ويتركه يعود بك حتى لا تأكلك الطيور. هذا ما حدث. في اليوم التالي ركب الحصان بشجاعة وذهب إلى زوجته.

وجدها عند البئر تحضر الماء كما جرت العادة وقال لها:

ـ زوجتي الحبيبة، أتيت من أجلك.

ـ ياه، لماذا أتيت، يا زوجي الحبيب، الآن سوف يقطعك هذا المسخ المتوحش، كما هددك من قبل.

- لا توجد مشكلة؛ كل شيء فداء لكِ! لكن إذا حدث هذا، فقط اطلبي منه أن يسمح لك بجمع أشلاء جسدي ووضعها في الجوال، وضعيها على حصاني لكي يأخذني إلى البيت.

بينما يتحدثان هكذا كان حصان "الغراب العملاق" في الإسطبل ثائرا هائجًا. فقفز "الغراب العملاق" وصاح في حصانه:

- ماذا بك أيها الكلب؟! ما الذي يسيل عروقك؟ ألا يوجد ما تأكل؟ ألا يوجد ما تشرب؟ ألا توجد أجمل بنات الكون هنا؟

- يوجد ما آكل، يوجد ما أشرب، لكن لا توجد أجمل بنات الكون هنا. لقد أخذوها!

- هل أشرب... هل آكل... هل سنلحق بهم؟

- لا!

قفز على الحصان في لحظتها. وبسرعة لحق بـ "الفارس يانوش"... من دون كلام ضرب الحصان وقطع "الفارس يانوش" إربًا إربًا، أما الزوجة فكانت تنظر بحزن ولا تبكي، ومع ذلك فقد قالت:

- زوجي العزيز، لا تحزن بسبب ما سأطلبه منك. أنا كنت زوجة "الفارس يانوش" أيضا، وهو كان يسعى ورائي، كما فعلت أنت، ولكن أنت فزت بي في النهاية. اسمح لي أن ألملم أشلائه، وأضعها في الجوال المربوط تحت سرج الحصان... لنتركه يأخذه إلى منزله.

سمح "الغراب العملاق" لها بذلك، بل وأكثر من ذلك بأن ساعدها في لملمة الجسد ووضعه في الجوال، وربطاه جيدا، ووضعاه على ظهر الحصان، ثم ضرب "الغراب العملاق" الحصان قائلًا باستهزاء.

- هيا انطلق إلى البيت بسيدك. عندئذٍ اطمأن واعتقد أن "الفارس يانوش" انتهى بلا رجعة، ولا داعي لإحضار الحصان الثاني.

وحتى لو عاش هذا المسكين لا يستطيع أن يشتري الحصان الثاني الأقوى والأسرع من حصانه ولو بعشرة أمثال أملاكه! في الوقت نفسه أخذ الحصان "الفارس يانوش" إلى أصهاره. ثلاثتهم كانوا حزينين من أجله لما حدث له. لما رأوه هناك أنزلوه بسرعة من على ظهر الحصان، وأدخلوه إلى المعمل الحديدي؛ وضعوه على كرسي، وأخذ كل تنين منهم جاكوش في يده وبدؤوا في الطرق عليه وتشكيله من جديد، وظلوا يطرقون عليه حتى تشكل جسم إنسان منه كما كان "الفارس يانوش" وبعدها وضعوا عليه مادة اللحام وإكسير الحياة.

استيقظ "الفارس يانوش"؛ كان مختلفًا عن ذي قبل وقال:

ـ أصهاري الأعزاء... ياه... لقد نمت كثيرا!

أجاب عليه التنين ذو الأربع والعشرين رأسا:

ـ صحيح يا نسيبي! لكن الآن جهز نفسك للسفر، إذا كنت تريد أن تذهب إلى الجزيرة رقم سبعين في البحر. هناك الساحرة الشريرة يمكنك العمل لديها، إنها دائما في احتياج إلى عمال. سوف توافق على أن تعمل لديها وستعطيك ما تطلبه منها إذا أتممت عملك على أكمل وجه. لكن لا تطلب منها أي أجر إلا المهرة(١) (الحصان الأقوى والأسرع من حصان "الغراب العملاق")، وخروف مشوي، وفرشاة، ومحك(٢). خذ معك هذه الصفارة. إذا حدث لك مشكلة صفر بها، وسنكون عندك في التو لمساعدتك. أقول لك مرة أخرى: سوف تعرض عليك السيدة العجوز الذهب والجواهر، وكل شيء بدل هذه المهرة، لكن لا تقبل بأي شيء، سوى ما قلته لك.

ودعهم "الفارس يانوش" وذهب إلى الجزيرة السبعين في بحر النار. مشى وواصل السير حتى وصل إلى هناك. استقبلته في هذه الجزيرة ساحرة عجوز. ألقى التحية عليها "الفارس يانوش" قائلا:

ـ سلام عليكِ ويوم جميل، أمي العجوز الحبيبة!

ـ سلام عليك، يا بني. سبحان الله كم أنت جميل أيها الفتى! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قال "الفارس يانوش":

ـ أبحث عن عمل، يا أمي العجوز الحبيبة. هل تحتاجين لسائق؟

ـ وكيف لا، يا بني العزيز! لديّ الكثير من العمال. ليس من الصعب توفير عمل لك.

كانت للساحرة الشريرة هذه ثلاث بنات حولتهن إلى ثلاثة من المهر. كان عليه أن يحرسهن ثلاثة أيام لأن كل يوم يعادل سنة. قالت الساحرة:

ـ ما الأجر الذي تطلبه، أيها الشاب الشهم؟

أجاب "الفارس يانوش":

---

(١) أنثى الخيل والجمع مُهَر.
(٢) مَا يُحَكُّ بِهِ الجِسْمُ.

ـ لا أطلب إلا المهرة السيئة التي تنام هنا، يا أمي العجوز الحبيبة!

ـ لكنها نائمة دائما في الروث، ومنخارها ممدود للخارج طويلًا وأذنها مطرطقة. أطلب شيئًا آخر، يا بني. لماذا هذا الأجر فقط؟

ـ أطلب أيضا: خروف مشوي، وفرشاة، ومحك.

ـ ماذا تريد أيضًا علاوة على ما قلت. كانت على يقين من أن "الفارس يانوش" لن يستطيع أن يكمل العمل بنجاح.

ـ لا أريد شيئا آخر!

ـ حسنًا، يا بني.

بهذا أخرجت العجوز الدبوس، وشكت إصبعها، فتدفق الدم منه وكتبت به العقد بينهما وقالت:

ـ خذ هذا اللجام يا بني، واسحب الخيول إلى المرعى. لكن كن حذرا لأنها معتادة على الفوضى. كان لديّ خادم غير كفء قبلك، كانت المهر تهرب منه من دون أن يدري، ولكن الآن انظر ما الذي بالعقد. إذا لم تحافظ على المهر فسأقطع رأسك.

اصطحب "الفارس يانوش" المهر. وأعطت الساحرة العجوز له خبزا ليتقوت منه طيلة النهار. كان المرعى بعيدًا. تعب "الفارس يانوش" من المشي حتى إنه بمجرد أن وصل إلى المرعى أكل الخبز، وبعدها شاكس الخيول قليلا ثم استلقى فنام ولما استيقظ نظر حوله فلم يجد المهر!

ألمّ به الحزن، ماذا سيحدث له الآن؟ لكنه سرعان ما تذكر أن أصهاره أعطوه صفارة كي ينفخ فيها إذا حدثت له مشكلة، وبالفعل أطلق صفارة: في الحال كان عنده التنين ذو الرؤوس الست.

ـ ما هي المشكلة، يا نسيبي؟

ـ لا أجد المهر!

ـ أترى حبات الدخن هذه؟

ـ أراها.

ـ هذه أحد مهرك الثلاثة. وهل ترى حارس الكهف؟

ـ أراه.

ـ هذا هو مهرتك الثانية، أترى الحارس الموجود أمام الكهف نفسه؟

ـ أراه.

ـ هذا هو المهرة الثالثة. أمسك باللجام بقوة واقذفه في أوسطها بشدة وستجد نفسك مع مهرك الثلاثة ثانية في المرعى الذي كنت فيه.

بالفعل أمسك باللجام، ورمى به في رأس أوسطهم، فحضرت المهر الثلاثة في لحظة واحدة.

اختفى الدخن والكهف والحارس وظهر مكانهم المهر الثلاثة. ركب "الفارس يانوش" على واحدة، وهكذا رجع إلى المنزل. ولما أن وصل إلى البوابة قال:

ـ إفتحي الباب، يا أمي الحبيبة!

أجابت الساحرة العجوز:

ـ إذا كنت فارسا ماهرا بحق، أقفز من فوق السور!

كان السور عاليا ليقفز من فوقه، لكنه ضرب بكعب حذائه جانب المهرة وقفز بها البوابة.

قالت المرأة العجوز:

ـ ابني الحبيب هل أتيت بالمهر؟

ـ نعم، يا أمي العجوز الحبيبة.

ـ يالك من شاب شجاع! فعلًا لقد أحضرتهم. تعال إلى الداخل يا بني وتناول العشاء. هذا عشاؤك على الطاولة تفضل كل! أنا سأعطيها بعض العلف.

وقف الشاب بجانب الباب، فسمع صوتا غريبا ومن ثم نظر نحو الإسطبل فوجد الآتي: دخلت الساحرة العجوز إلى الإسطبل، ووضعت أمام الخيول إناء به نار. وأخرجت السيخ الحديدي، وضربتها بها، وقالت لها:

ـ أتحبون هذا الفارس لذلك ساعدتموه؟

قالت إحداها:

ـ لا تقتلينا ياأمنا الحبيبة! لأنك إذا كنت شيطانة واحدة، فهو بمائة شيطان.

قالت الساحرة العجوز:

ـ كونوا حذرين كي لا يتمكن من العثور عليكن مرة ثانية!

دخل الشاب وتناول العشاء وهو مطمئن القلب. في اليوم التالي استيقظ، وأعطته من الخبز نفسه مرة أخرى. وعندما وصل إلى المرعى بالمهر الثلاثة شعر بالنعاس، فنام حتى بعد الظهيرة. فجأة استيقظ وأخذ ينظر حوله، ولم يجد المهر! تذكر الصفارة ثانية فنفخ فيها. فحضر التنين ذو الاثنتي عشرة رأسا هذه المرة.

ـ ما بك، يا نسيبي؟

ـ اختفت الخيول، يا نسيبي!

قال له التنين ذو الاثنتي عشرة رأسا:

ـ أترى هذه القرية؟

ـ أراها.

ـ هذه هي المهرة الأولى. وهل ترى الكنيسة بها؟

ـ أراها.

ـ هذه هي مهرتك الثانية. اذهب إلى الكنيسة: هناك بالداخل المهرة الثالثة في هيئة قس. خذ اللجام معك. واعلم أنها لن تسمح بإعطائه لك بسهولة، لأن الكنيسة ستمتلئ بالناس.

انطلق "الفارس يانوش" ووصل إلى أخر القرية. كانت هناك العديد من الكلاب! حاولوا الفتك به ولم يرغبوا في أن يقترب من الكنيسة بأية حال من الأحوال.

عندما وصل إلى الكنيسة كان القس يقول العظة الأسبوعية. ذهب إلى القس مباشرة وفى الطريق أمسك أحدهم بثيابه البالية:

ـ إلى أين تذهب؟ ألا ترى أن القس يقول العظة الأسبوعية؟

أمسك بملابسه آخرون فضرب القس باللجام بقوة، فاختفى الجمع في اللحظة نفسها، وكذلك والكنيسة والقس: وظهر "الفارس يانوش" مع مهره ثانية فركب على إحداها، وانطلق عائدا إلى البيت. عندما وصل إلى البوابة، صاح مرة أخرى:

ـ افتحي البوابة يا أمي العجوز!

أجابت عليه الساحرة العجوز:

ـ إذا كنت فارسا فعلًا، فاقفز من فوق السور!

ضرب "الفارس يانوش" بكعبه في جانب المهرة، وقفز من فوق البوابة. قالت الساحرة العجوز مازحة:

ـ هل رجعت إلى البيت يا بني؟ اذهب وكل عشاءك. أنا سأعطى لهذه المهر ما تأكله. وقف "الفارس يانوش" بجانب الباب، لكي يرى ويسمع، ماذا ستفعل المرأة العجوز. هذه المرة سخنت نارًا أمامهم ووضعت السيخ فيها وبدأت بضرب المهر بالسيخ المحمي: أثناء هذا قالت لها:

ـ أتحبون هذا الفتى لهذه الدرجة ولهذا السبب استطاع دومًا العثور عليكم وإحضاركم للبيت؟

قالت إحدى المهر:

ـ لا تقتلينا يا أمي، إذا كنت شيطانة، فهو مائه شيطان.

أجابت المرأة العجوز:

ـ لكن احرصوا على ألا يجدكم في الغد!

فى اليوم الثالث صباحا لم تعطه الساحرة العجوز خبزا. خرج "الفارس يانوش" ومعه المهر، وربطها بحيث لا تستطيع أن تتحرك. بدلا من تناول الفطور بدأ في التدخين، وعينه صوبها لم يرفعها عنها قط كي لا تختفي للمرة الثالثة! وبينها كان يدخن فجأة ظهر رجل فقير أمامه. ولكن من هذا الرجل الشحاذ؟ ظن "الفارس يانوش" أنها الساحرة العجوز! استرجى هذا الرجل من "الفارس يانوش" أن يعطيه بعض الدخان. ولكنه كان يتحرك بحيث لا يستطيع "الفارس يانوش" أن يراقب المهر. بدأ "يانوش" يشك، ولكن عندما نظر في الدخان ليعطه منه، ورفع عينه عن المهر لبرهة من الزمن لم يجد الشحاذ، ولا المهر.

ـ آه... يا الله... لقد انشقت الأرض وابتلعتها!

نفخ في الصفارة بسرعة فأقبل التنين ذو الأربع والعشرين رأسا في الحال.

ـ ما بك، يا نسيبي؟

ـ لا أجد المهر، يا نسيبي!

قال التنين ذو الأربع والعشرين رأسًا:

ـ أعرف أين هي. لقد تحولوا إلى ثلاث سمكات في هذا البحر. خذ اللجام، وقف على

شاطئ البحر. وإذا رأيتها تسبح هناك، اقذف اللجام فيها بقوة. وبعد ذلك ستتحول إلى أسماك الكراكي وسنطاردها! سأبلغ أخويّ بالأمر.

تحولت التنانين الثلاثة إلى أسماك! انطلقت للبحث عن المهر الثلاثة في قاع البحر. رأوها في البحر وأخذوا يطاردوها ولما كادوا أن يصلوا إليها تحولت السمكات الثلاث إلى ثلاثة أرانب. في هذه اللحظة تحولت التنانين الثلاثة إلى كلاب صيد وانطلقوا وراءها! ولما اقتربوا من الإمساك بها تحولت الأرانب الثلاثة إلى حمام فتحولت التنانين إلى صقور وراحوا وراءها! ما كادوا أن يمسكوا بها حتى تحولت الحمامات إلى فئران، ودخلت في أحد الجحور داخل الأرض. ولما أوشكوا على الإمساك بها قفز الفئران الثلاثة من الأرض وجروا. في هذا التوقيت كانت الساحرة العجوز تمشي هناك ومن ثم قالت التنانين الثلاثة أنهم لا يستطيعون فعل شيء.

رجعوا إلى "الفارس يانوش" بحزن ثم قال التنين ذو الأربع والعشرين رأسًا:

ـ يا نسيبي، توجد مشكلة كبيرة: هذه الساحرة العجوز رجعت بالخيول إلى البيت. وهناك حولتها إلى ثلاث بيضات، وصنعت عشًا سترقد عليه بنفسها. يصعب أخذها من تحتها.

أما التنين الصغير فكان ماهرا للغاية حيث قال:

ـ اسمعوا لما سأقوله لكم! أعرف أن في عشة الفراخ التي في بيتها يوجد فرخة ذهبية، وإوزة ذهبية، وديك رومي ذهبي. أنا سأتحول إلى ثعلب، وسأختبئ فوق في عشة الفراخ وسأظل أضايقهم، وأطاردهم هناك. بالطبع سيصرخون حتى تصعد الساحرة لتحميهم وبالتالي ستترك البيض. إذا فعلت ذلك، عليك أن تختبئ يا "يانوش" بجوار الباب ومعك اللجام وحينها ترى أنها ليست هناك اقذفه في البيض بقوة!

هذا ما حدث. اختبأ الشاب بجوار باب المطبخ بخفة.

بعد ذلك لما سمعت الساحرة صوت الثعلب تركت البيض وأخذت في يدها العصا وصعدت إلى عشة الفراخ! أما الفتى فدخل المطبخ وتجهز لكي يلقى اللجام على البيض. لكي يأخذ الشاب وقته أخذ الثعلب يجري ويقفز من مكان لآخر هنا وهناك والساحرة وراءه بالعصا. وعندما اطمأن إلى أن الفتى قام بعمله قفز من فوق عشة الفراخ. وفعلا كان الشاب قد أنجز ما يريد من البيض. عندما خرجت الساحرة العجوز إلى الفناء ماذا رأت؟

رأت أن الفتى ممسك بالمهر الثلاثة. فقالت الساحرة العجوز مادحة مهارة الفتى:

ـ هل أحضرت المهر الثلاثة، يا بني العزيز؟

قال "الفارس يانوش":

ـ نعم أحضرتهم، يا أمي الحبيبة.

ـ أحسنت يا بني، أنت شاب ماهر. الآن سوف أعطيك أجرك نظير عملك لدي خلال هذه الفترة.

ـ شكرا جزيلًا، يا أمي العجوز!

ـ اسمع يا بني أقول لك شيئًا. هل أنت إنسان فقير، أم من أبناء الملوك؟

ـ أنا ابن رجل فقير يا أمي الحبيبة العجوز.

ـ تعرف ماذا إذًا؟ سأعطيك ثلاث عربات محملة بالذهب، سأرسلها إلى منزلك، حتى إن ابن ابنك سيظل سيدا بسببها. فما فائدة المهرة السيئة الموحلة في الروث التي تريدها؟ لا تساوى حتى الخروف المشوي، أو الفرشاة، أو حتى المحك المتعاقد عليهم.

ـ لا يهم يا أمي العجوز ماذا يساوون، لكنني لا أريد أجرًا آخر سوى ما طلبت من قبل، وأنا متمسك بها ورد بالعقد. جهزت له كل الأشياء التي تعاقدوا عليها ووضعتها في مكان واحد. انطلق "الفارس يانوش" ممسكا بالمهر من أذنها، وأخذ ينظفها ويمسحها. صاحت عليه الساحرة العجوز:

ـ هيا أسرع بالخروج من فنائي، بما أنك كسبتها!

فشل "الفارس يانوش" في إقناع المهرة بالمشى. أخيرا لم يعرف ماذا يفعل، فحملها وخرج بها فتساقط الروث عليه. كانت المهرة ثقيلة. مشى بها حاملا إياها لبعض الوقت ولكنه لم يستطع تحمل ذلك فوضعها وتركها، ثم مشى وحده.

ولكن وقف وفكر: سأعود من أجلها! عاد من أجلها ثانية وحملها وواصل السير، ولكن مرة أخرى تعب فأنزلها وعقد العزم ألا يحملها بعد ذلك، ولكن هيهات هيهات فقد رجع إليها مرة أخرى وحملها على كتفيه، فهذه هي بيت القصيد من البداية. عندئذٍ نطقت المهرة أخيرًا وقالت:

ـ صاحبي العزيز "الفارس يانوش"، احملنى حتى هذا الجبل فقط، وبعدها أنا سأحملك.

فرح "الفارس يانوش"، أن مهرته العنيدة هكذا نطقت أخيرًا تقريبًا بعد أن كادت روحه تخرج من جسده بلا رجعة. المهم أنه واصل حملها عبر الجبل بكل سرور. على الرغم من أن لسانه

تدلدل من شدة التعب، إلا أنه تحمل كل ذلك وحملها. ثم قالت له المهرة:

ـ فقط احملني، يا صاحبي العزيز، لأن الساحرة العجوز تقف فوق المدخنة، وترى ماذا تصنع بي، فهي تنتظر أن تتركني وحدي وترحل.

أجاب "الفارس يانوش":

ـ دعيها تنتظر أبد الدهر.

عندما عبرا الجبل، قالت له المهرة:

ـ أنزلني، يا صاحبي العزيز!

أنزلها "الفارس يانوش" فانتفضت المهرة وأصبحت رائعةً لم تر العين مثلها من قبل، بل وربما لن ترى شبيهًا لها.

ـ اركب عليّ، وكن حذرًا!

ركب "الفارس يانوش" على ظهر المهرة. خطا ست خطوات بها يساوي ستين ميلا. ولكن هذه الساحرة العجوز أمسكت بعصاها السحرية من فوق المدخنة وركبت عليها وطاردتهما! قالت المهرة فجأة:

ـ انظر إلى الوراء، يا صاحبي، هل تأتي وراءنا هذه الساحرة الشريرة؟

نظر الشاب خلفه وقال:

ـ نعم والله يا مهرتي العزيزة إنها هنا! تطاردنا بعصاها السحرية، ولم يبق إلا القليل حتى تصل إلينا.

ـ ارم هذه الفرشاة فحسب!

رمى "الفارس يانوش" الفرشاة. أصبحت خلفهما غابة خضراء كثيفة، كما كان الشعر في الفرشاة حتى إن الساحرة العجوز عبرتها بشق الأنفس. ولما أن عبرتها كانت المهرة قد تجاوزتها بمسافة بعيدة. ثم قالت المهرة مرة أخرى:

ـ انظر خلفك، يا صاحبي العزيز! هل ما زالت تتبعنا هذه الساحرة اللعينة؟

نظر الشاب خلفه وأجاب:

ـ نعم وسوف توقعني من فوقكِ بعصاها، يا مهرتي العزيزة.

- ارمِ بالمحك!

رماها "الفارس يانوش" وكانت مليئة بالمسامير، فصارت منطقة جبلية. وحتى تخطتها الساحرة، كان الحصان قد مشى مسافة كبيرة. ثم قال الحصان بعد ذلك:

- انظر خلفك، مالكي العزيز، هل الساحرة العجوز تأتي وراءنا؟

نظر للخلف، ورد قائلًا!

- هي في كعبنا. سوف تضربني بعصاها.

- ارمِ الخروف المشوي.

في هذه اللحظة صاحت الساحرة العجوز:

- أيها "الفارس يانوش" أنت لن تأكل منه لأني سألتهمه كله لا محالة!

توقفت الساحرة العجوز وأكلته حتى عظامه أيضا مصمصتها. وفى خلال هذا الوقت كان الحصان قد قطع مسافة كبيرة. مرة أخرى كادت أن تصل إليهما الساحرة العجوز، ولكن عندها كانا وصلا إلى بلاد التنانين الثلاثة. هنا صاحت عليهم:

- قفا أيها اللصان ستقعان في يدي مرة أخرى!

لكنها لا تستطيع الدخول في أراضى التنانين على الإطلاق. كانت التنانين في انتظارهما، ثم قالوا للفارس يانوش:

- تستطيع الآن أن تذهب إلى زوجتك في أمان يا نسيبنا!

في اليوم التالي ذهب "الفارس يانوش" إلى زوجته. في هذه اللحظة كانت عند البئر كعادتها، فقال لها:

- الآن تعالِ واركبي معي يا زوجتي الحبيبة... سآخذك إلى المنزل.

احتضنها وانطلق بالحصان عبر الأودية والصحاري بين الأرض والسماء. كان يسير بسرعة البرق.

لكن في الإسطبل كان حصان "الغراب العملاق" يضرب الأرض بحوافره فقفز صاحبه من مكانه صائحًا بصوت عال:

- ماذا بك أيها الكلب؟! ما الذي يسيل عروقك؟ ألا يوجد ما تأكل؟ ألا يوجد ما تشرب؟

ألا توجد أجمل بنات الكون هنا؟

ـ يوجد ما آكل، يوجد ما أشرب، لكن لا توجد أجمل بنات الكون هنا. لقد أخذوها!

ـ هل أشرب... هل آكل... هل سنلحق بهم؟

ـ لا!

ـ كل، وشرب إلى ما لا نهاية، فلن نلحق بهم أبدا.

ولكن "الغراب العملاق" ركب حصانه، وانطلق وراءهم. طار في الهواء لدرجة أنه كان يضرب حصانه بكعبه الحديدي حتى سال الدم منه. فجأة صاح حصان "الغراب العملاق" على حصان "الفارس يانوش" قائلًا:

ـ قف يا أخي العزيز، لا تتركه يقتلني لأن دمي يسيل من كل جزء في جسدي.

صاح حصان "الفارس يانوش":

ـ ساعد نفسك بنفسك! اصعد به إلى السماء الزرقاء، واقفز من تحته، ودعه يسقط على الأرض. إذا وقع من على هذا الارتفاع سيتهشم تماما وسيكون عبارة عن أشلاء على الأرض.

وافق الحصان على النصيحة فطلع بـ "الغراب العملاق" إلى أعالي السماء الزرقاء، وهناك قفز من تحته فوقع وتبطط مثل الفطيرة. هنا وقف "الفارس يانوش"، وذهب إلى الحصان الآخر وأركب زوجته عليه، أما هو فامتطى المهرة ذات الأرجل الستة حتى وصلوا جميعًا إلى أصهاره. شكرهم "الفارس يانوش" على تعاونهم ومساعدتهم له، وانطلقوا بعدها. في الطريق وقف الحصان بـ "الفارس يانوش" وانطلق به إلى السماء الزرقاء ثم قفز من تحته. كاد "الفارس يانوش" أن يرتطم بالأرض، عندها لحقه الحصان ووقف تحته كي لا يسقط على الأرض. ثم قال الحصان:

ـ ألم تشعر بالخوف، يا صاحبي العزيز؟

ـ بلى، يا مهرتي العزيزة.

ـ أترى هكذا شعرت أنا أيضا عندما رميتني على الأرض، لما أخذتني من الساحرة الشريرة.

استمرا في المضي إلى البيت. مرة أخرى انطلقت المهرة به إلى السماء، وقفزت من تحته؛ كاد "الفارس يانوش" يقع على الأرض لكن المهرة وقفت تحته ثانية... وهكذا دواليك. ثم قالت المهرة:

ـ ألم تشعر بالخوف، يا صاحبي العزيز؟

ـ بلى شعرت الخوف يا مهرتي العزيزة.

ـ هكذا أنا أيضا شعرت عندما رميتني في المرة الثانية.

استمرا في المشي. مرة أخرى صعدت "بالفارس يانوش" إلى السماء، وقفزت من تحته. لكن قبل وصوله إلى الأرض قفزت ووقفت تحته، كي لا يسقط على الأرض ويموت.

ـ ألم تشعر بالخوف، يا صاحبي العزيز؟

ـ بلى شعرت بالخوف والرعب الشديدين.

ـ هكذا أنا أيضا شعرت بالخوف عندما رميتني في المرة الثالثة.

ـ لا تخيفيني ثانية، يا مهرتي العزيزة، وسأعطيكِ قمحًا وماء نظيفًا.

ـ لن أخيفك إطلاقا، يا صاحبي العزيز.

هكذا وصلوا إلى القصر. أقاموا العرس مرة أخرى وهناك كانت المأكولات والمشروبات الكثيرة، وفرح الجميع.

كان فرحا كبيرا. وعاشا معا في سعادة وسرور كبيرين حتى يومنا هذا، ما لم يكن قد توفاهما الله.

الفتاتان والساحرة ذات الأنف الأحمر

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، كان يوجد في هذا العالم رجل أرمل وسيدة أرملة. كان لكل منهما ابنة. كان كلاهما فقير؛ أحدهما كان لديه مصفاة، ولكن ليس لديه منخل، والآخر لديه منخل وليس لديه مصفاة، لذلك كان كل منهما في حاجة إلى الآخر! لذلك فقد تزوجا. كان قدر ابنة الرجل سيئا للغاية، فقد تعاملت معها زوجة أبيها بطريقة سيئة جدًّا فكانت تضايقها وتضربها بل وتلطمها كلما رأتها.

لم تعد الفتاة تحتمل أكثر فمشت من البيت إلى العالم الرحب الفسيح، وفي طريقها وجدت فرنا في غابة كبيرة، فناداها الفرن:

ـ أنت أيتها البنت الجميلة! كلي من الكعك المشوي في رماد الفرن!

تقول الفتاة في نفسها:

ـ سآكل بالطبع، لأنني أتضور جوعًا!

أكلت وشبعت من الكعك. وواصلت السير بجوار جدول مائي، فناداها الجدول:

ـ أنت أيتها البنت! اشربي من مياهي المتسخة!

ـ أشرب، لأنني عطشى! ـ قالتها الفتاة، ثم شربت منها حتى ارتوت.

واصلت السير في الغابة، وفجأة وصلت إلى بيت؛ في هذا البيت كانت تسكن الساحرة الشريرة. مكثت لديها تعمل كخادمة. أمرتها الساحرة أنها مسموح لها بالدخول إلى ست غرف، أما السابعة فلا. وافقت الفتاة على ذلك. لكن ذات مرة ما إن خرجت الساحرة من منزلها حتى استرقت الفتاة النظر إلى الغرفة السابعة، فماذا رأت؟ رأت ما أدهشها كثيرا. كان هناك كنز كبير حتى لم تر نظيرا له حتى في أحلامها. أخذت وحملت من الكنز وهربت تجاه بيتها. لم تمش كثيرًا، وعادت الساحرة الشريرة وقد لاحظت أن الفتاة دخلت الغرفة السابعة وهربت. أمسكت طبق الشواء المسطح وريش العنقاء[1] الحديدي، وجلست على الطبق وقالت في نفسها:

ـ أيها الطبق على ريش العنقاء الحديدي، لأذهب إليها في الحال لأمزقها!

كانت البنت قد وصلت إلى الجدول المائي، ونادت على الجدول:

---

(١) العنقاء: طائر خُرافيّ زعَم قُدماء المِصْريين أنّه يُعَمِّر خمسة قرون وبعد أن يحرق نفسه ينبعث من رماده من جديد.

ـ أيها الجدول المائي! أخفني في مخابئك! ستأتي الساحرة الشريرة وستمزقني في الحال!

انفلق الجدول المائي وخبأها. سارت الساحرة بجانب الجدول المائي لكنها لم تر الفتاة، عندئذٍ خرجت البنت وواصلت السير إلى أن وصلت هناك إلى الفرن، وقالت له:

ـ أنت، أيها الفرن! أخفني في مخابئك! ستأتي الساحرة وستمزقني في الحال!

أخفاها الفرن. عندئذٍ كانت الساحرة الشريرة في طريق عودتها، لكنها لم تتمكن من رؤية البنت لأن الفرن قد أخفاها. عادت الفتاة إلى منزلها. فأخرجت ما معها من كنوز، ففرح الأب أن ابنته أصبحت ثرية هكذا.

تمنت زوجة الأب لو أن لابنتها كنوز مثل هذه التي تمتلكها البنت الأخرى، فطهت لها بسكويتا حلوا وأعطتها خمرًا وأرسلتها لكي تخدم عند الساحرة الشريرة.

تقابلت بنتها بالطريقة نفسها مع الفرن في الغابة، فقال لها الفرن:

ـ أنت أيتها البنت الجميلة! كلي من الكعك المشوي في رماد الفرن!

قالت الفتاة بغطرسة:

ـ لن آكل أنا! لدي بسكويت بالسكر.

ونادى عليها الجدول المائي هو الآخر:

ـ أنت أيتها البنت! اشربي من مياهي المتسخة!

ـ لن أشرب منه! فالخمر اللذيذ في جعبتي!

واصلت السير في الغابة إلى أن وصلت إلى بيت الساحرة الشريرة؛ مكثت لديها تعمل كخادمة. لم يكن مسموحًا لها أيضا الدخول إلى الغرفة السابعة. وبالكاد انتظرت حتى خرجت الساحرة من منزلها، وكان أول ما فعلته هو دخول الغرفة السابعة. دخلت بالفعل وأخذت أكثر مما حصلت عليه البنت الأخرى، ثم لملمت نفسها ومشت منحنية من ثقل ما أخذت، وأسرعت صوب بيتها.

عادت الساحرة بسرعة. أمسكت طبق الشواء المسطح وريش العنقاء الحديدي مرة أخرى، وجلست على الطبق وقالت في نفسها:

ـ أيها الطبق على ريش العنقاء الحديدي، لأذهب إليها في الحال لأمزقها!

كانت البنت قد وصلت إلى الجدول المائي، ونادت على الجدول قائلة:

ـ أنت، أيها الجدول المائي! أخفني في مخابئك! ستأتي الساحرة وستقطعني في الحال!

لكن الجدول المائي قال لها:

ـ لن أخفيك! فأنت لم تشربي من مياهي العكرة!

واصلت الجري إلى أن وصلت إلى الفرن، فطلبت منه:

ـ أنت، أيها الفرن! أخفني في مخابئك! ستأتي الساحرة وستمزقني في الحال!

ولم يخفها الفرن بدوره أيضًا.

ـ لم تأكلي من كعكي المشوي على رمادي!

وقد لحقت الساحرة الشريرة بالفتاة فانهالت عليها ضربًا، وأخذت منها الذهب، وبالكاد استطاعت البنت العودة إلى المنزل بطولها. عندما عادت إلى المنزل، رآها الديك فقفز على السياج وصرخ من هناك:

ـ انهضي يا صاحبتي! أتت ابنتك مليئة بالدماء في كل جسدها!

وثبت إلى هناك السيدة وقالت:

ـ ابتعد عن هنا أيها الديك!

وأضافت:

ـ بل تأتي مملوءة بالماس!

قفز الديك ثانية على السياج، وصرخ:

ـ انهضي يا صاحبتي! أتت ابنتك مليئة بالجروح!

لم تترك السيدة هذا بلا كلام.

ـ نعم تأتي! أحضري الكنوز الغالية!

وفجأة دخلت البنت إلى المنزل: مليئة بالدماء في كل مكان، ولم تحضر شيئًا.

"القاضي يانوش"

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار، تحديدا في الجزيرة السبعين لبحر النار كانت توجد حديقة عملاقة شاسعة ومترامية الأطراف. في هذه الحديقة العملاقة كان يسكن رجل عجوز لديه ابن وحيد يدعونه: "القاضي يانوش". عقد الرجل العجوز هذا العزم على ألا يدع ابنه يعمل لدى أحد، بل سيربيه ويكبره حتى يصير أقوى إنسان في هذا العالم.

تربى هذا الولد داخل البيت ولم يكن يخرج منه قط حيث كان يجلس دوما في غرف البيت الدافئة إلى أن بلغ عمره الحادية والعشرين، وحتى ذلك الوقت لم يستدعه أحد من كان إقامته المريح هذا: وكان هذا الولد يستطيع العزف على المزمار لدرجة أنه عندما يعزف يخلب الأسماع وتأتي الناس من كل صوب لتطرب آذانها. والخلاصة أن الفتى تربى ليصبح عازفا ماهرا أكثر من أن يكون أقوى رجل في العالم.

ولما أن بلغ من العمر الحادية والعشرين هبت عاصفة صرصر عاتية دمرت البيوت في هذه البلاد، لذلك قامت عائلة هذا الفتى بتشييد بيت جديد، وسطح جديد. وفي هذه الأثناء كان الولد ما زال يجلس وسط البيت في الدفء كما تعود، ولم يخرج من هناك قط كما جرت العادة. أرادوا وضع دعامات خشبية ضخمة للبيت الجديد لدرجة أن ثمانية من الرجال لم يتمكنوا من رفعها، ولما رأى "يانوش" أن ثمانية من الرجال لم يتمكنوا من رفع قطعة واحدة من الدعامات الخشبية ضحك وقهقه، فثار أبوه غاضبا وقال:

ـ لمَ تضحك هكذا أيها الحيوان... أيها الشاب التافه؟ لقد بلغت سن الحادية والعشرين، انهض واخرج من مكانك لتساعدنا في تثبت الدعامات الخشبية هذه!

قام "يانوش" بوضع هذه الدعامة في مكانها ولكن بلا اهتمام لدرجة أن الجدار كاد أن يسقط مهدما، فغضب الأب أكثر وأكثر على ما فعل ابنه وقال له:

ـ حسنًا أيها الفتى التافه! لن أسمح لك بعد الآن أن تجلس هكذا في البيت بلا شيء تفعله! استعد واذهب جرب حظك في هذا العالم! اذهب وابحث عن عمل تفعله!

حزن الفتى وغضب لما حل به من نقمة أبيه عليه، إلا أنه استعد بالفعل للرحيل عن البيت ليبحث عن عمل يشتغل به. طهت له أمه بعض الطعام ليتزود به في طريقه.

انطلق "يانوش" وواصل السير إلى أن وصل بعيدا للغاية إلى مدينة يعرضون في فاترينات

محلاتها عرائس الحلوى المصنوعة من جوز الهند. كان يشاهد هذه البضاعة وقد أعجب بها كثيرًا، كما لو كانت مخلوقات حية بالفعل وود لو يعمل في أحد المصانع التي تصنع هذه الأشياء، ليصنع مثلها. في هذه الأثناء تقابل مع رجل عجوز فقال له:

ـ قل لي يا أبي العزيز أين مصانع عرائس الحلوى هذه؟

ظل الرجل العجوز يحدق بالفتى ثم قال له:

ـ هل تريد أنت تعمل في مصنع يقوم بتصنيع هذه الأشياء؟

ـ أجاب "يانوش": نعم بالطبع.

ظل الرجل العجوز يحدق بالفتى مرة أخرى وفكر في نفسه قائلًا: "سوف تذهب إلى الشيطان لتصنع عرائس الحلوى"، ثم قال له:

ـ هل ترى البوابة الحديدية الكبيرة هذه؟

رد "يانوش":

ـ نعم أراها.

ـ حسنًا انهض واذهب إلى هناك... حيث يوجد المصنع الذي تبحث عنه.

لكن إلى أين أرسل هذا العجوز الفتى؟ لقد أرسله إلى مصنع سيوف. بمجرد أن دخل "يانوش" إلى هناك جحظت عيناه إلى الخارج وظل يحدق فيما حوله متعجبا فكل شيء هناك يخبط ويطرق وهم يصنعون السيوف والحراب(١) والخناجر، ثم سأله الموجودون هناك:

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قال "يانوش":

ـ أبحث عن عمل.

ـ نحن بالفعل في حاجة إلى شخص يعمل معنا. هل تريد أن تصبح صانع سيوف؟

لم يعلم "يانوش" ماذا عليه أن يفعل في هذا الموقف، وكان مجبرا على قبول العمل، وقال له أحد صانعي السيوف:

---

(١) الحَرْبَةُ: آلةٌ قصيرةٌ من الحديد محدودة الرأس، تُسْتعمل في الحرْب والجمع: حِراب.

ـ حسنًا يا بني سوف تصير صانعا للسيوف. العام لدينا يتكون من ثلاثة أيام فحسب، وستحصل على كل يوم تعمله لدينا على طبق من النقود. إذا صرت عاملًا ماهرًا بالفعل فسوف نعدل راتبك ونزيدك!

كل ما جال بخلد الفتى "يانوش" في تلك اللحظات أنه لما تنقضي فترة الثلاثة أيام هذه سوف يحصل على ثلاثة من الأطباق مليئة بالنقود ليعطيها لأبيه: "بالطبع فأبي وأمي أصبحا عجوزين، ولقد أنفقا عليَّ الكثير والكثير، وبالتأكيد يستحقون أن أساعدهم وأقف بجانبهم. يجب أن أرد إليهم ولو جزءًا بسيطًا من حقهم عليّ."

وبالفعل صار هذا الفتى صانعا ماهرًا للسيوف لدرجة أنه في اليوم الثالث قد صنع سيفا لكبير صانعي السيوف بالمصنع نفسه، بل وأعجبه أيضًا. وعلاوة على راتبه فقد صنع لنفسه سيفا، وفي مساء اليوم الثالث علقه على جانبه لكي يثبت لأبيه كم أنه أصبح رجلا ماهرا، ثم أخذ الأطباق الثلاثة من النقود المتفق عليها وحملها وانطلق عائدًا إلى بيت والديه.

ولما أن وصل إلى البيت علق سيفه في المطبخ ودخل على والديه وقال:

ـ مساء الخير وليبارك الله لكما، يا ولداي!

فأجاب أبيه:

ـ فليبارك الله لك أيضًا! هل عدت إلى المنزل؟ ما المدة التي قضيتها في العمل؟

ـ لقد عدت كي أقدم لكما كل ما تحصلت عليه من مال أثناء عملي وأعطيه لكما ليعينكما في الحياة!

ـ وأين كنت تعمل؟

ـ كنت أعمل صانعا للسيوف في المدينة الفلانية، وقد صرت صانعا ماهرا للسيوف.

ـ وقد صرت صانعا للسيوف أيضا؟!

ـ سيفي هناك معلق في المطبخ، وهذا دليل على أنني حقًّا صانع للسيوف!

ـ سأذهب وأرى نوعية السيف الذي أحضرته.

ظل الرجل العجوز يتفحص السيف يمينا ويسارا فقد كان فارسا في شبابه. من خلال نظراته للسيف أدرك أنه حقًّا سيف جميل وأنيق، ثم حمله وخرج به إلى حوش المنزل.

كانت هناك شجرة سنط[1] جافة عمرها ما بين الثامنة عشرة والعشرين عاما. أراد الرجل العجوز أن يجرب قوة السيف ويغرسه في هذه الشجرة ليقطعها، لكن السيف انكسر إلى قطع صغيرة، فأمسك الرجل بغمد السيف ودخل إلى ابنه وقد ازداد غضبا منه وقال:

ـ أي صانع سيوف أنت؟ انظر أيها الأحمق فقد تحطم سيفك لما ضربت به الشجرة. اغرب عن وجهي، وارحل عن بيتي، وتعلم كيف تكون صانع سيوف حقيقيًّا، إذا كنت فعلا تريد أن تصبح صانع سيوف!

حزن الفتى بشدة وودع والديه، وعاد إلى المدينة التي كان فيها ليصنع سيفا آخر لنفسه. وبينما كان يسير تحديدًا في منتصف المسافة التي تؤدي إلى مصنع السيوف كان يجب عليه أن يمر من خلال غابة عملاقة مخيفة، وهناك اعترض طريقه أرنب بري أعمى لا يرى، وقال:

ـ هل تسمعني يا "يانوش القاضي" في الطرف الآخر لهذه الغابة يوجد ينبوع مياه إذا أنزلتني فيه ثلاث مرات وأخرجتني سأرى، ونظير ذلك سأعطيك قطعة من الفولاذ إذا صنعت منها سيفا لا يمكنك أن تحمل همًّا بعد ذلك، فلن يتمكن أبوك بعد ذلك من تحطيمه قط!

حمل "يانوش" الأرنب الصغير وأخذه إلى ينبوع المياه وأنزله في الماء ثم سأل الأرنب:

ـ هل ترى الآن؟

فقال الأرنب:

ـ أصبحت أرى لكن أحس أن أمام عيني غشاوة[2] تشبه الغربال!

تعجب "يانوش" من أن هذا الأرنب البري يستطيع التحدث معه بهذا الشكل. بعد ذلك أنزله في ينبوع الماء للمرة الثانية وأخرجه ثم سأله:

ـ هل تستطيع أن ترى الآن؟

ـ الآن يمكنني أن أرى حتى من خلال حجاب، ونظري أصبح حادًّا للغاية.

لم يكتفِ الفتى بهذا، بل أمسك الأرنب وأنزله للمرة الثالثة في الينبوع، ثم قال له:

ـ أما هذه المرة فلكي ترى أفضل وأفضل!

---

(١) شَجَرَةٌ مُعَمِّرَةٌ تَحْتَلُّ بِأغْصَانِهَا حَجْمًا كَبِيرًا وَتَنْمُو بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ، أزْهَارُهَا تَمِيلُ إلَى صُفْرَةٍ زَاهِيَةٍ، يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا بِالتَّقْطِيرِ عِطْرُ العَبِيرِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالمِيمُوزَا.

(٢) أي لا يرى بوضوح.

ـ عندئذ قال الأرنب الصغير: حسنًا يا "يانوش القاضي": نظير ما صنعت لي من خير تفضل قطعة الفولاذ هذه! اذهب بها إلى مكان صناعة السيوف فهم ينتظرونك هناك، خذها واصنع بها سيفا لنفسك، وضع قطعة الفولاذ هذه في سيفك. ضعها فيه ولا تخف. ليس فقط أبوك من لن يتمكن من تحطيم هذا السيف مرة أخرى، لكن إذا حلت بك مشكلة من أي نوع في أية بقعة من هذا العالم أنفخ في هذا السيف، وسأهب لمساعدتك في الحال.

ضحك الفتى في نفسه على ما قاله الأرنب الصغير، فما هي هذه المساعدة التي يمكن أن يمنحها إياه أرنب صغير ضعيف بهذا الحجم؟ المهم قام بتوديع الأرنب الصغير، وانطلق متجها إلى مصنع السيوف.

ولما أن دخل المصنع هلل ورحب به العاملون هناك. هذه المرة أيضا يتألف العام من ثلاثة أيام، ولكنه سيحصل عن كل يوم على ثلاثة أطباق مليئة بالنقود. وقد استعد ليقوم بتصنيع سيف له، وقد سمحوا له بهذا الأمر عن طيب خاطر، وقال له كبير صانعي السيوف إنه حتى لو صنع لنفسه عشرة من السيوف فليست هناك مشكلة، المهم أن يفعل ما يريد وما يلزمه فحسب.

وهذا ما قد تم بالفعل. قضى "يانوش" العام وحصل على تسعة من الأطباق المليئة بالنقود وصنع سيفا. ولما أن أصبح السيف جاهزا أدخله في غمده فأطلق شرارة أضاءت مصنع السيوف كله، ثم علقه على جانبه وانطلق عائدا إلى بيته.

لقد كان فخورا بنفسه لأنه أصبح صانع سيوف ماهرًا إلى هذا الحد! أثناء الطريق خرج السيف من غمده وظل يتمشى حول صاحبه كما لو كان يحرسه ولا يسمح لأحد أن يقترب منه. كان "يانوش" يسير عبر الغابة بالقرب من الأشجار الضخمة الرهيبة التي كان السيف يقطعها ويحطمها أثناء الطريق.

بمجرد أن عاد إلى البيت علق سيفه مرة أخرى في المطبخ، وقدم لوالديه تسعة أطباق مليئة بالذهب، وقال:

ـ مساء الخير وليبارك الله لكما يا والداي العزيزان! حصلت هذه المرة على تسعة أطباق مليئة بالنقود نظير عملي، وقد أحضرتهم لكما ليساعدوكم في نفقات المعيشة!

ـ حسنًا ضع النقود! أين سيفك؟

ـ هناك في المطبخ معلقا.

أمسك العجوز بالسيف وظل يحدق النظر فيه ويتطلع إليه: قطعا كان سيفا رائعا وحادا بل

وجذابا للغاية. فأمسكه وخرج به إلى الحديقة حيث أشجار الفاكهة الكبيرة الجميلة. وقبل أن يهم الرجل بقطع إحدى الأشجار لف السيف واستدار من تلقاء نفسه وبدأ يقطع الأشجار الواحدة تلو الأخرى، فلم يتحمل الرجل ذلك فدخل إلى ابنه مسرعا وهو في غاية الخوف وقال:

ـ تعال يا بني بسرعة لأن سيفك سيحطم كل أشجاري!

ولكن بمجرد أن دخل الرجل كان السيف قد عاد إلى غمده وقد أصدر شرارا ملأ المطبخ كله، عندئذ قال العجوز لابنه:

ـ أرى يا بني العزيز أنك قد صرت صانع سيوف بحق، ومن الآن فصاعدا يمكنك أن تذهب بهذا السيف لتجرب حظك في هذا العالم، لكن انتبه على نفسك كثيرا، ولا تنساني!

ـ لا تخافا يا والداي العزيزان. وأول ما أتحصل على نقود أخرى سوف أحضرها لكما كي أساعدكما كما ساعدتماني من قبل.

أعدت أمه له زادا يعينه على مشقة الطريق ثم ودعهما "يانوش" وعلق سيفه على جانبه، وسار في الاتجاه المعاكس لبلاد العجائب السبع، وسار بعيدا وبعيدا للغاية.

بينما يسير هكذا وجد على طرف الطريق راعي أغنام شابًا في مقتبل العمر، فألقى "يانوش" التحية عليه قائلا:

ـ فليبارك الله لك، أيها الراعي الرفيق!

ـ فليبارك الله لك أيضا أيها الرفيق الذي لا أعرفه!

ـ وماذا تفعل هنا؟

ـ أنا راعي أغنام الملك، وأنت من تكون؟

ـ أنا رحال في هذا العالم.

قال راعي الأغنام:

ـ أعجبتني هذه الكلمة التي ذكرتها الآن!

ـ وأنا أيضا تعجبني الملابس التي ترتديها!

كان راعي الأغنام هذا يرتدي قميصا أكمامه مخططة وسروالا فضفاضًا، وحذاء فريدًا من نوعه.

ـ أقترح عليك أيها الرحال الرفيق أن نبدل وظائفنا: لتكن أنت راعيًا للأغنام، أما أنا لأكن الرحال.

ـ حسنًا لنبدل الملابس إذن!

بالفعل بدلا الملابس وقد أخبره الراعي ما الذي يتوجب عليه فعله لتأدية وظيفته الجديدة على أكمل وجه، وأين يجب عليه أن يأخذ الماشية في المساء، ومن سوف ينتظرونه. الخلاصة أنه قد سرد على مسامعه كل ما يجب عليه أن يفعله.

ارتدى راعي الأغنام الشاب ملابس الرحال، أما الفتى الرحال "القاضي يانوش" فقد ارتدى ملابس راعي الأغنام الفضفاضة. كان "القاضي يانوش" جميلا ووسيما حتى هذه اللحظة، أما عندما لبس ملابس الراعي فلم يعد لا مثيل في هذا الكون من شدة جماله وجرأته وبسالته. ثم ودعا كل منهما الآخر.

لكن "يانوش" لم يعط سيفه للفتى الآخر، "فهذا غير معقول! أنا راعي الأغنام صاحب السيف!" ـ كان يفكر في نفسه قائلا هذه الكلمات. بعد تبديل الوظائف واصل الرحال طريقه، وظل الراعي الجديد بين الأغنام. كان من بين هذه الأغنام حمار يخص راعي الأغنام الشاب. ولما أن وصل الرحال الشاب (راعي الأغنام سابقًا) إلى منحنى الطريق نهض مسرعا كي لا ينادي عليه راعي الأغنام الشاب "القاضي يانوش".

جمع راعي الأغنام الشاب القطيع أمامه. وكان في وسط المرعى شجرة عملاقة وارفة الظل يمكن أن يستظل بها ثلاثة آلاف من قطع الماشية من الصباح حتى المساء. ذهب راعي الأغنام إلى هناك تحت الشجرة وفتح حقيبته وأخرج اللحم ليشويه ـ فقد تعب من كثرة السير على قدميه وجاع أيضا. نظر إلى أعلى الشجرة وفكر كما سيكون الأمر جميلا لو يتسلق هذه الشجرة ليحضر بعض الأخشاب الجافة، لكن من عساه أن يتسلق شجرة كهذه؟ وبمجرد أن جالت برأسه هذه الفكرة حتى إنتفض سيفه من مكانه وقام بتقطيع العديد من الأخشاب الجافة من على هذه الشجرة، وبالقطع الأخشاب التي قطعها هذا السيف يلزم لجرها ثلاثة عشر حمارا مثل الذي لديه وليس حمارًا واحدا. أشعل "يانوش" النار ليشوي اللحم، لكنه استلقى وغلبه النوم أثناء ذلك.

فجأة أقبلت سحابة سوداء من ناحية الشمال استيقظ على إثرها راعي الغنام، وظل ينظر لهذه السحابة. ما الذي سيحدث الآن إذا سقط مطر غزير؟ لكن الجو لم يستعد اعتداله بسرعة، وفجأة انتفض سيفه من غمده، ووقف كالأسد، لأن هناك خطر قادم.

نظر راعي الأغنام هنا وهناك لعله يفهم ما يدور حوله فإذ بعينيه تقع على تنين ضخم ذي ست رؤوس يصرخ فيه قائلًا:

ـ قم من مكانك أيها الحيوان المارق المدعو "القاضي يانوش"! لما كنت صغيرًا جدًّا مثل حبة الدخن كنت أعلم أنني سوف أصارعك يوما ما! إن لم ترغب في مصارعتي، ضع ثلاثين من رؤوس الماشية في أول خمس رؤوس لي، وفي رأسي السادسة ادخل فيها أنت لآكلك!

وعلى ذلك انتفض السيف وخرج من يد "يانوش" وبضربة واحدة قطع خمسة رؤوس من الرؤوس الست لهذا التنين، ثم قال التنين برأسه السادسة:

ـ أرجو أيها "القاضي يانوش" اترك رأسي السادسة، وأعطيك بلدا كاملة!

ـ وأين هذه البلد التي تتحدث عنها؟

ـ هل ترى جانب الجبل الموجود هناك؟

ـ نعم أراه.

ـ هل ترى هذه الصخرة الكبيرة التي هناك؟

ـ نعم أراها.

ـ إذا حركتها من مكانها ستجد بابا ادخل منه حيث تجد البلد التابعة لي!

إلا أن السيف لم يترك الرأس الوحيدة المتبقية لهذا التنين وقطعها هي الأخرى، وشطر قلبه إلى نصفين فخرج من دم هذا التنين خاتم ومفتاح نحاسي. كان لهذا الراعي الشاب شنطة من القماش الرخيص ربط فيها الخاتم والمفتاح. ولما أن حل المساء اصطحب الماشية وانطلق عائدا بها إلى البيت، أثناء طريق العودة أخرج مزماره وبدأ يعزف بشكل جميل وجذاب لدرجة أن الماشية نفسها كانت تسير في الطريق وهي تتراقص وتتمايل واثبة في الهواء من فرحتها وعذوبة الموسيقى.

كان للملك ثلاث بنات. وبينما كان "يانوش" يسير بالماشية عائدا بها إلى البيت خرجت البنات الثلاث مندهشات من حلاوة العزف الذي يقوم به راعي الأغنام هذا، وقد أخبروا الملك أن فتى آخر يرعى الماشية وقد أحضرها إلى البيت فتعجب الجميع لأن الملك لم يكن لديه راعٍ للأغنام مثل هذا من قبل، بل وقد أحضر القطيع كاملا هذه المرة، لأن كل رعاة الأغنام الذين سبقوه كانوا يحضرون القطيع ناقصا واحدا من الرؤوس في كل يوم.

ذهبوا لاستقبال الراعي الجديد، وسأله الملك بنفسه:

ـ هل أنت من أحضرت الماشية إلى البيت؟

ـ نعم أنا من أحضرتها يا جلالة الملك! أنا راعي أغنام، وهذا هو واجبي!

قال له الملك:

ـ يا لك من راعي أغنام عظيم، يا بني! أقول لك هذا بصراحة.

أما الأميرة الصغرى ابنة الملك فكانت تنظر في عيون راعي الأغنام هذا وتفحصته تماما من رأسه إلى قدميه. لقد كان فتى جميلا حقًا، فاقتربت البنت منه بعض الشيء لكن بطريقة لم يلحظها الملك وطلبت من راعي الأغنام التالي:

ـ أخي راعي الأغنام العزيز، من فضلك أعطني هذا الخاتم المربوط في شنطتك!

لم يرغب "يانوش" في إعطائها الخاتم لأنه كان بمثابة خاتم تذكار يذكره بانتصاره على ذلك التنين، كما أنه كان يحتفظ به كزينة، إلا أن الفتاة ظلت تقترب منه وتلح عليه إلى أن قام بفكه من الشنطة وألبسه في إصبعها في الحال. كان الفتى راعي الأغنام خجلا للغاية من الأمر، لكنه قال في نفسه: لن أتعارك معها من أجل هذا الخاتم. فليبقى لديها!

أدخل الماشية إلى مكانها، ثم دخل إلى المطبخ، فوجد الأميرة الصغرى قبالته هناك. لقد أحبت راعي الأغنام هذا لدرجة أنها كلما نظرت إليه ودت لو أن تقبله.

جاء صباح اليوم الثاني وقد قاموا بإعداد الزاد اللازم له ووضعوه في حقيبته ليأكله طوال اليوم، ثم أمسك "يانوش" بالماشية وقادها إلى المرعى. ولما أن وصل إلى المرعى استل سيفه من غمده، ونفخ فيه ثلاث مرات مثلما شرح له الأرنب الصغير عندما كان يغمسه في الماء، فظهر الأرنب الصغير له في الحال وقال:

ـ ما مشكلتك أيها "القاضي يانوش"؟

ـ ليست لدي مشكلات أيها الأرنب الصغير، لكن قل لي ما الذي ينتظرني في هذا المكان؟

ـ تنتظرك مهمة كبيرة، لكن انتبه على نفسك كثيرا. لن تحدث لك مشكلات كبيرة إذا أنصت إليَّ! يجب عليك أن تصارع تنينين آخرين قويين لكنك ستكون المنتصر لا محالة إذا سمعت كلامي. ظهر اليوم سيأتي إليك التنين ذو الاثنتي عشرة رأسًا، ولما أن يقترب منك بمسافة عشرين مترا تقريبا وجه سيفك ناحيته، واترك الباقي على السيف فهو يعرف ما الذي يجب فعله في مثل هذه المواقف. في ظهيرة الغد سيأتي لك التنين ذو الأربعة والعشرين رأسًا ولما أن يقترب منك على مسافة مائة متر وجه سيفك ناحيته، لأنه إذا اقترب منك أكثر من ذلك فسيخرج نارا من فمه تحرقك في مكانك. سيفك يعلم جيدا ما الذي عليه أن يفعله معه. بعد ذلك سوف يطلبون منك البقاء هنا للعمل لمدة عام ويشجعونك على ذلك فابقى هناك واطلب مضاعفة راتبك، أما عن

الأمور الأخرى فأنت كفيل بها. الله معك! يجب عليَّ الرحيل الآن لأن هناك من يستدعيني لأقدم له مساعدة جليلة في مكان آخر.

واختفى الأرنب.

ويمجرد أن اختفى الأرنب إذ بسحابة سوداء قد هبت مصحوبة بغضب رهيب وبرق ورعد وغيوم وعواصف وكانت تقترب من راعي الأغنام شيئا فشيئا. ولما أن أصبحت هذه السحابة، أقصد التنين ذا الاثنتي عشرة رأسا قريبا من الراعي صرخ فيه قائلا:

ـ أنت أيها الدودة البشرية المدعو "القاضي يانوش"! أعلم منذ أن كنت مثل حبة الذرة أنه سيأتي اليوم الذي أصارعك فيه! لقد قتلت أخي الصغير أمس، لكن حان وقت نهاية حياتك الآن!

انتظر راعي الأغنام التنين كي يقترب منه أكثر وأكثر، ولما أصبح على مسافة عشرين مترا منه أمسك بسيفه ووجهه ناحيته، وبضربة واحدة قطع السيف إحدى عشرة رأسا لهذا التنين، ثم قال التنين بعد ذلك:

ـ أرجو أيها "القاضي يانوش" اترك رأسي الأخيرة، وأعطيك بلدا كاملة!

ـ وأين هذه البلد التي تتحدث عنها؟

ـ هناك حيث يوجد أخي.

إلا أن السيف لم يترك الرأس الوحيدة المتبقية لهذا التنين وقطعها هي الأخرى، وشطر قلبه إلى نصفين فخرج منه خاتم ومفتاح فضي ربطهما في شنطته المصنوعة من القماش الرخيص. ولما أن حل المساء اصطحب الماشية وانطلق عائدا بها إلى البيت، أما هو فركب الحمار وأخرج مزماره المفضل وعزف عليه هذه المقطوعة:

"أنا فتى راعٍ للأغنام شهير... لكنني أمتطي ظهر حمار كفتى فقير متواضع"

سمعته ابنة الملك الصغرى فقابلته وكان ما زال على مسافة كبيرة منه فذهبت إليه وقالت له:

ـ مساء الخير وليبارك الله لك، أخي راعي الأغنام!

ـ فليبارك الله لكِ يا سمو الأميرة!

ـ هل أحضرت الماشية إلى البيت؟ أبي الملك يكن لك الحب أيها الراعي! لكني صدقني أنا

الأخرى أكن لك حبا كثيرا! من فضلك أعطني هذا الخاتم الجميل!

ـ لماذا هذا الخاتم يا سمو الأميرة تريدين؟ إنه ليس له قيمة.

ـ بل إنه ذو قيمة عالية بالنسبة لي، يا أخي راعي الأغنام!

لم يرغب الفتى في أن يعطي الخاتم للأميرة، ولم يعطه لها بالفعل في البداية. إلا أن الأميرة لم تيأس وظلت تتقرب منه وتلح عليه لكي تأخذ هذا الخاتم، إلى أن قام بخلعه وألبسه في إصبعها.

ـ شكرا جزيلا أيها الراعي! هذان الخاتمان ملكا لك، وأنا سأكون زوجة لك عما قريب أيها الأخ راعي الأغنام.

وبينما كان راعي الأغنام الشاب يقود الماشية إلى البيت كان الملك ينتظره في الخارج وقال له بنفسه:

ـ هل أحضرت الماشية إلى البيت؟

ـ نعم أحضرتها يا جلالة الملك!

قال له الملك:

ـ يا لك من راعي أغنام ماهر، يا بني! أقول لك هذا بصراحة، لأنك تمكنت من حراسة الماشية ليومين متتالين من دون أن ينقص منهم شيء. حقًّا أنت فتى جسور.

ـ هذه ليست جسارة ولا شجاعة يا جلالة الملك، وإنما هذا التزام راعي الأغنام تجاه عمله!

ـ حسنًا يا بني، أدخل الماشية إلى مكانها!

اصطحب الماشية إلى مكانها المعتاد، ثم دخل إلى المطبخ.

أحضرت الأميرة الصغيرة العشاء بنفسها إلى الفتى، فقدمت له من كل ما لذ وطاب وتشتهي الأنفس كي يستطيع أن يعزف بمزاج طيب.

في صباح اليوم الثالث انطلق الفتى راعي الأغنام إلى المرعى ليرعى الماشية كما جرت العادة، وبينما كان ينظر ناحية شروق الشمس إذا به يرى سحابة سوداء تأتي قبالته لم يكن قد رأى مثلها من قبل. كان يعلم ماهية الأمر فتركها تقترب وتقترب. ولما أصبحت السحابة، أقصد التنين ذا الأربع والعشرين رأسا قريبا من الفتى بمائتي مترا صرخ فيه قائلا:

ـ تعال إلى هنا أيها الفتى المارق! دعني أبلعك وأخلص العالم من شرورك! لقد قتلت كلا أخويّ الصغيرين، لكن حان وقت نهايتك والتخلص منك للأبد!

ولما أن صار التنين على مسافة مائة متر من الفتى، استل الراعي سيفه ووجهه ناحية التنين وبعدة ضربات متلاحقة قطع السيف ثلاثًا وعشرين رأسا لهذا التنين الضخم، فتوسل له التنين قائلا:

ـ أرجوك أيها "القاضي يانوش" اترك رأسي الأخيرة، وأعطيك بلدا كاملة!

ـ وأين هذه البلد التي تتحدث عنها؟

ـ هناك حيث مكان أخي الصغير نفسه.

إلا أن السيف لم يترك الرأس الوحيدة المتبقية لهذا التنين وقطعها هي الأخرى، وشطر قلبه إلى نصفين فخرج منه خاتم ومفتاح من الذهب ربطهما راعي الأغنام بشنطته المصنوعة من القماش الرخيص. ولما أن حل المساء اصطحب الماشية وانطلق عائدا بها إلى البيت، ثم ذهب في نهاية الأمر إلى تلك الصخرة التي أشار إليها التنين بأن هناك بلده.

لكن ما نوعية الصخرة التي كانت موجودة هناك؟ كانت تلك الصخرة ضخمة لدرجة أن مائة من الرجال مجتمعين لا يستطيعون مجرد زحزحتها من مكانها. فكر "يانوش" لبعض الوقت فيما عليه أن يفعل كي يحركها أو حتى يزحزحها من مكانها! وبينما كان يفكر في هذا الأمر إذ خرج سيفه من غمده، ونزل إلى أسفل الصخرة وأزاحها من مكانها، كما لو لم تكن هناك من الأساس.

رأى "يانوش" أن هناك بابًا حديديًّا عملاقًا، ففتح هذا الباب الحديدي فوجد سلمًا كبيرًا عملاقًا متجهًا ناحية الأسفل، فنزل عليه.

ولما أن حلت العتمة على المكان عليه كان قد وصل إلى باب آخر فحاول فتحه ناحية الخارج، إلا أنه لم يتمكن من ذلك. عندئذ تذكر أن لديه ثلاثة مفاتيح، وربما يكون أحدها مناسب لفتح هذا الباب. فُتح هذا الباب بالمفتاح النحاسي، ولما أن فتح الباب حدثت معجزة المعجزات، فقد رأى عالما تماما مثل الموجود على سطح الكرة الأرضية: فقد كان مضيئا، ورأى هناك جنودا كثيرين للغاية لم ير مثلهم قط في حياته كلها وكلهم يتجهون صوبه، وأمسكوا به، ورفعوه لأعلى وهتفوا له:

ـ فليحيا ملكنا الجديد... فليحيا ملكنا الجديد!

ثم طلب منه الجنود أن يأكلوا، فقال لهم "القاضي يانوش":

ـ في حقيبتي بعض الطعام القليل الذي لا يكفي لكم جميعًا. فماذا يفعل هذا القليل من

الطعام أمام هذا الكم الهائل من الجوعى؟

ـ لا يلزم لنا شيء من حقيبتك يا جلالة الملك، لكن اضرب بهذا الصولجان النحاسي على هذه المائدة النحاسية، وسيكون هناك ما يكفينا من طعام!

بالفعل هذا ما قد كان. ضرب بالصولجان النحاسي على المائدة النحاسية فظهرت في التو والحال مأكولات ومشروبات فريدة من نوعها. بعد ذلك سأل الضباط عن الأماكن التي تستحق المشاهدة هناك.

ـ هنا يوجد هذا الإسطبل يا جلالة الملك حيث يعيش حصان التنين ذي الرؤوس الست.

أصدر "القاضي يانوش" أوامره بتقديم القمح والماء المصفى بما فيه الكفاية لهذا الحصان، ثم وقف أحد كبار الضباط أمام "يانوش" وأخذ يشرح له ماذا يوجد في الخلف، ثم اصطحب "يانوش" إلى بلد التنين ذي الاثنتي عشرة رأسا ففتح الباب الموجود هناك بالمفتاح الفضي حيث وجد هناك جنودا يفوق عددهم الجنود الموجودين في بلاد التنين الآخر بمائة مرة. أمسك هؤلاء بـ "القاضي يانوش" ورفعوه لأعلى ثم هتفوا قائلين:

ـ فليحيا ملكنا الجديد... فليحيا ملكنا الجديد!

ثم طلب منه الجنود أن يأكلوا، فقال لهم "القاضي يانوش":

ـ اذهبوا إلى زملائكم الآخرين، فلديهم الكثير من الطعام ما يكفيكم أنتم أيضا.

ـ نحن لا نذهب إلى هناك يا جلالة الملك، لكن اضرب بهذا الصولجان الفضي على هذه المائدة الفضية، وسيكون هناك ما يكفينا من طعام!

بالفعل هذا ما قد كان. ضرب بالصولجان الفضي على المائدة الفضية فظهرت في التو والحال مأكولات ومشروبات لذيذة وطيبة تكفي الجميع. كان كبير الضباط يقف أمام "يانوش" يشرح له ماذا يوجد في الخلف، ثم اصطحب "يانوش" إلى الإسطبل ودله على الحصان ذي الشعر الفضي. كان في الإسطبل الأول فرس ذو شعر نحاسي، أما في هذا الإسطبل فيوجد فرس ذو شعر فضي. أعطى "يانوش" الأمر بأن يقدموا له ما يكفيه من القمح والماء المصفى حتى يعود إلى هنا مرة أخرى. ثم تساءل هل هناك أماكن أخرى تستحق المشاهدة، فكانت الإجابة:

ـ بالطبع يوجد يا جلالة الملك! هنا يوجد هذا الباب حيث العالم الذهبي! وفي شنطتك يوجد المفتاح الذهبي الذي يمكنك أن تفتح به هذا الباب!

ولما أن دخل إلى هناك أمسك به جنود هذه البلدة هي الأخرى ورفعوه إلى أعلى وهتفوا قائلين:

- فليحيا ملكنا الجديد... فليحيا ملكنا الجديد!

ثم طلب منه الجنود أن يأكلوا، فقال لهم "القاضي يانوش":

- اذهبوا إلى زملائكم الآخرين، فلديهم الكثير من الطعام ما يكفيكم أنتم أيضا.

- نحن لا نذهب إلى هناك يا جلالة الملك، لكن اضرب بهذا الصولجان الذهبي على هذه المائدة الذهبية، وسيكون هناك ما يكفينا من طعام!

بالفعل هذا ما قد كان. ضرب بالصولجان الذهبي على المائدة الذهبية فظهرت في التو والحال مأكولات ومشروبات مما لذ وطاب وتكفي الجميع. ثم اصطحبوا "يانوش" إلى الإسطبل حيث يوجد حصان التنين ذي الأربع والعشرين رأسًا. كان في هذا الإسطبل فرس ذو شعر ذهبي، فأعطى "يانوش" الأمر بأن يقدموا له ما يكفيه من القمح والماء المصفى، وليأكل الجميع وليشرب حتى يعود هو من البلاد الأخرى.

- أتمنى لكم أسمي غايات السلام والهدوء!

بعد ذلك ودعهم. انقضى الوقت في هذه البلاد الثلاثة حتى كان المساء قد أمسى لما أن استطاع أن يتحرر من هناك، وعاد للمرعى حيث الماشية واصطحبها عائدا إلى البيت. سمعت الأميرة ابنة الملك الصغرى عزفه على المزمار في طريق عودته فجرت لتقابله قائلة:

- مساء الخير وليبارك الله لك، أخي راعي الأغنام العزيز!

- مساء الخير وليبارك الله لكِ يا سمو الأميرة!

- هل أحضرت الماشية إلى البيت، أخي راعي الأغنام؟

- نعم أحضرتها!

رأت الأميرة الخاتم الآخر فاقتربت من راعي الأغنام وطلبت منه بشكل لطيف وجميل:

- من فضلك أعطني هذا الخاتم، أخي راعي الأغنام!

أسف الفتى راعي الأغنام لأنها ستأخذ هذا الخاتم الذهبي على وجه الخصوص أكثر من سابقيه لأنه كان الأجمل. لم يرغب في إعطائه لها، لكن الأميرة ظلت تلف وتدور حوله وتلاطفه حتى قام بفكه من قماش شنطته وألبسه في إصبعها، ثم فكر في نفسه قائلا: "إذا كان هذا الخاتم ما سيسعدك، فلتهنئي به، ولتكونين سعيدة، فأنا لن أتعارك معك بسبب مثل هذا الخاتم، وبينما كان غارقا يفكر هكذا قالت الأميرة للفتى راعي الأغنام:

ـ أخي راعي الأغنام العزيز، أريد أن أقول لك خبرا سعيدًا. غدًا سيتم إلقاء منديل أختي الكبرى في الهواء على ارتفاع عشرة أمتار وقد تم الإعلان في سائر أنحاء البلاد للقاصي والداني من فرسان وفقراء وأثرياء أنه من سيقفز منهم على دابته(1) ويلتقط المنديل، فإن أبي جلالة الملك سيزوجه من أختي الكبرى. أرجوك أطعم حمارك الكثير من الشوفان استعدادا ليومي. بعد غد هو اليوم المحدد لإلقاء منديل أختي الوسطي، أما في اليوم الثالث فسيكون موعد منديلي، ومن سيلتقطه سأكون زوجة له. إذا أطعمت حمارك الكثير من الشوفان فربما يمكنك أن ترتفع وتلتقط منديلي، يا أخي راعي الأغنام، وعندئذ سأكون زوجتك، وهذا ما أوده!

ـ حسنًا يا سمو الأميرة!

واصل راعي الأغنام طريقه إلى البيت حيث كان الملك ينتظره هناك. وكانت هناك الحشود التي تتحدث عن أن الملك لديه راعي أغنام لا مثيل له في كوكب الأرض كله فقد أنقذ البلاد من التنانين. ولما أن رأى الملك راعي الأغنام هذا قال له:

ـ ابني العزيز لقد أمضيت لدينا عاما من العمل! ولكنك لن تحصل على الراتب الذي اتفقنا عليه، بل ستحصل على مائة ضعف الراتب المتفق عليه، لكن اسمع لكلمات الملك التالية: ابق هنا لعام آخر، وسأعطيك ألف ضعف لراتبك الذي حصلت عليه هذه المرة!

قبل الفتى عرض الملك، وفكر في أنه سوف يدخر المال من عمله ليعطيه لوالديه يعيشان منه.

وهذا ما قد تم بالفعل. في صباح اليوم التالي قاد الماشية مرة أخرى وانطلق إلى المرعى.

لكن قبل أن يخرج الفتى ليرعى الأغنام أحضرت الأميرة الصغرى سلة كبيرة من الشوفان لإطعام الحمار كي يستطيع أن يقفز لأعلى أكثر وأكثر، ثم قالت لراعي الأغنام أن يتدرب على القفز من على الحمار لأعلى أثناء رعايته الماشية في المرعى، لأنه في اليوم الثالث سوف يتم إلقاء المنديل الخاص بها، وهي تود جدًّا لو أن راعي الأغنام يلتقط المنديل مع حماره.

اصطحب الماشية إلى المرعى ثم أخذ جولة من البحث في بلاده، فقام بقيادة الفرس ذي الشعر النحاسي، بعد أن سرجه، فقال له هذا الحصان:

ـ صاحبي العزيز، أنا متعب لأن ذلك التنين الملعون كان يقودني كثيرا وأنا جائع وعطش!

---

(1) الدَّابَّةُ: كلُ ما يَدِبُّ على الأرض، وقد غلب على ما يُركَبُ من الحيوان والجمع: دوابُّ.

أجاب "يانوش" عليه:

ـ لا تخف يا حصاني العزيز لأنني سآمر بإعطائك ما يكفي من القمح الطيب والماء المصفى.

عندئذ نفخ الحصان ذو الشعر النحاسي في الفتى فتحولت ملابسه إلى ملابس نحاسية بالكامل، وركب الفتى على ظهر الحصان الذي قال:

ـ كيف أسير يا صاحبي العزيز؟ مثل الرياح أم مثل البرق؟

ـ سر بالشكل الذي تريده لكن شريطة ألا يحدث لك أو لي أية مشكلة!

ركب "يانوش" الحصان، فوثب الحصان قفزتين وخطا ثلاث خطوات وقد كان واقفا بالقرب من القصر الملكي على مسافة مائة متر. كان هناك حشد كبير من كل صوب من الشعب: أمراء ونبلاء وبارونات وشباب من صفوة الغجر، وعندما تم إلقاء المنديل عاليا قفز الجميع ليلتقط المنديل، فمنهم من قفز رافعا يده ومنه رفع قدمه ليلتقط المنديل المنشود، ووسط كل ما يحدث لم يتمالك "يانوش" نفسه فكان يضحك ويقهقه مما رأى أمامه. في هذه الأثناء خرجت الأميرة الصغرى لتري هل جاء راعي الأغنام بحماره أم لا. وفجأة قال الحصان:

ـ حان الوقت يا صاحبي العزيز، لننطلق!

ـ لننطلق يا حصاني العزيز!

قفز الحصان قفزة وطار في الهواء بصاحبه والتقط منديل الأميرة ووضعه في جيبه، وقال في نفسه:

ـ لأنطلق بسرعة لا يستطيع اللحاق بي أحد مهما كانت سرعته!

وانطلق واختفى من أمام الموجودين في التو واللحظة من شدة سرعته المهولة إلى أن وصل إلى مكان قطيع الماشية. ولما أن وصل "يانوش" إلى هناك نزل من على الحصان وأنزل اللجام والسعر والمستلزمات الأخرى من على الحصان وأعطى أوامره بإطعام الحصان، ثم ارتدى ملابس راعي الأغنام المعتادة مرة أخرى، واصطحب قطيع الماشية عائدا به إلى البيت راكبا الحمار ماسكا في يده مزماره، عازفا به أحلى المقطوعات الموسيقية، وذهبت لمقابلته الأميرة الصغرى قبل أن يصل إلى البيت بمسافة كبيرة، وقالت له:

ـ ليبارك الله لك، أخي راعي الأغنام!

ـ ليبارك الله لكِ، يا سمو الأميرة!

ـ أنت لم تأتِ إلى بيتنا أثناء النهار يا أخي الراعي، وأعتقد أن الأفضل أنك لم تأت إلى البيت، لأنه لو كنت جئت لرأيت كم الحشود التي جاءت لتحاول التقاط المنديل الخاص بأختي الكبيرة. لكن من التقط منديل أختي كان فارسا ذا ملابس نحاسية ممتطيا فرسا ذا شعر نحاسي حيث ما إن ظهر حتى وثب في الهواء بفرسه والتقط المنديل وأخذه وغادر. في أثناء ذلك كانت هناك الكثير من الأمور المضحكة فهناك من كسرت يده وهناك من كسرت قدمه من بين المحاولين لالتقاط المنديل عندما هموا بالقفز في الهواء. أخي راعي الأغنام غدا سيتم إلقاء المنديل الخاص بأختي الوسطي، لذلك أرجوك أن تدرب حمارك على القفز لأن بعد غد هو يومي، ومن سيلتقط المنديل كما تعلم فإن جلالة الملك سيزوجه لي. وإذا التقطته أنت، فإنني سأكون زوجتك.

ـ سأحاول يا سمو الأميرة لكن كما ترين لدي العديد من رؤوس الماشية التي أتولي رعايتها وأنا مشغول بها طوال الوقت!

في اليوم التالي أخذ الماشية إلى المرعى، ثم ذهب إلى بلده الثانية واصطحب الحصان ذا الشعر الفضي. ولما أن أمسك بهذا الحصان، قال له:

ـ صاحبي العزيز، أنا متعب لأن ذلك التنين الملعون كان يقودني كثيرا وأنا جائع عطش!

أجاب "يانوش" عليه:

ـ لا تخف يا حصاني العزيز لأنني سآمر بإعطائك ما يكفي من القمح الطيب والماء المصفى.

عندئذ نفخ الحصان ذو الشعر الفضي في الفتى فتحولت ملابسه إلى ملابس فضية بالكامل، ثم ركب على ظهر الحصان، فقال الحصان له:

ـ كيف أسير يا صاحبي العزيز؟ مثل الرياح أم مثل البرق؟

ـ سر بالشكل الذي تريده لكن شريطة ألا يحدث لك أو لي أية مشكلة!

ركب "يانوش" الحصان الذي قفز قفزتين وخطا ثلاث خطوات وقد كان واقفا بجانب القصر الملكي على مسافة مائة متر من الحشود. وكان هناك هذه المرة أيضا الحشود لالتقاط المنديل والكل في غاية الاستعداد انتظارا للحظة الحاسمة! في هذه الأثناء خرجت الأميرة الصغرى لترى هل جاء راعي الأغنام بحماره أم لا. وفجأة قال الحصان:

ـ حان الوقت يا صاحبي العزيز، لننطلق!

ـ لننطلق يا حصاني العزيز!

قفز قفزة وطار في الهواء والتقط منديل الأميرة ووضعه في جيبه، وقال في نفسه:

ـ لأنطلق بسرعة لا يستطيع اللحاق بي أحد مهما كانت سرعته!

وانطلق واختفى من أمام الموجودين وفي التو واللحظة من شدة سرعته المهولة إلى أن وصل إلى مكان قطيع الماشية. ولما أن وصل إلى هناك نزل من على الحصان وأنزل اللجام والسرج والمستلزمات الأخرى من على الحصان وأعطى أوامره بإطعامه، ثم ارتدى ملابس راعي الأغنام المعتادة مرة أخرى. بالتأكيد لما أن فعل كل هذه الأشياء في ذلك اليوم كان الوقت قد انقضى ومر، فقام باصطحاب الماشية أمامه متجها إلى البيت.

لكن بما أنه قد تم التقاط المنديل الثاني تماما مثلما حدث مع المنديل الأول، فقد تملك الملك غضبا شديدا للغاية، فقال:

ـ لقد التقط منديل ابنتي الكبرى فارس يرتدي ملابس نحاسية، ولم يلزمه أن يتزوج من ابنتي الكبرى. من عساه أن يكون هذا الفارس، ومن أي بلد يمكن أن يكون؟ بعد ذلك قمت بتحديد اليوم الثاني لالتقاط المنديل الخاص بابنتي الوسطى فالتقطه فارس يرتدي ملابس فضية، ولم يلزمه هو الآخر الزواج من ابنتي الوسطي، ومن عساه أن يكون هذا هو الآخر؟ حسنًا سأضع حدًّا لهذا الأمر! سأنتقم! غدا ستتغير الخطة!

وبينما كان راعي الأغنام في طريقه إلى البيت عائد بالماشية ذهبت الأميرة الصغرى لتقابله أثناء عودته قائلة:

ـ مساء الخير، أخي راعي الأغنام العزيز! هل تصطحب الماشية عائدا بها إلى البيت؟

ـ نعم يا سمو الأميرة!

ـ أنت لم تأتِ إلى بيتنا أثناء النهار يا أخي الراعي، وأعتقد أنه الأفضل أنك لم تأت إلى البيت، لأنه لو كنت جئت لرأيت كم الحشود التي جاءت لتقفز في الهواء لتلتقط المنديل الخاص بأختي الوسطي. لكن من التقط منديل أختي كان فارسا يرتدي ملابس فضية وأيضا ممتطيا فرسا ذا شعر فضي ما إن ظهر حتى وثب في الهواء بفرسه والتقط المنديل وأخذه ورحل، ولم يره أحد من شدة الغمامة التي خلفها وراءه أثناء ذهابه بسرعة مهولة. أخي راعي الأغنام غدا سيتم إلقاء المنديل الخاص بي، أرجوك تعال فلعلك تستطيع التقاط المنديل الخاص بي! هل دربت حمارك في هذين اليومين في الخلاء على القفز في الهواء لالتقاط المنديل؟

ـ لكن أذن حماري كبيرة جدًّا يا سمو الأميرة، ولذلك فإنه لن يستطيع أن يقفز في الهواء!

ـ على كل تفضل غدا بالمجيء أخي راعي الأغنام لو سمحت، موافق؟

ـ سآتي يا سمو الأميرة إذا سمح وقتي بذلك!

أدخل "يانوش" الماشية إلى مكانها بالبيت، ثم دخل إلى المطبخ وتناول العشاء، حيث أحضرت إليه الأميرة الصغرى العشاء بنفسها، لكنها لما رأته سقطت الدموع من عينيها بغزارة، لأنها أحبته من كل قلبها، ولم تعد تستطع العيش بعيدا عنه.

جاء اليوم الثالث، وذهب راعي الأغنام ليصطحب الماشية إلى المرعى كالمعتاد، ثم ذهب بعد ذلك إلى بلده الذهبية، وقاد الحصان الذهبي، وقد ظهر "القاضي يانوش" بملابس كلها من الذهب الخالص هذه المرة، حتى أصغر خصلة في شعره كانت من الذهب، ثم قال له الحصان:

ـ صاحبي العزيز، أنا متعب لأن ذلك التنين الملعون كان يقودني كثيرا وأنا جائع وعطش!

أجاب عليه "يانوش":

ـ لا تخف يا حصاني العزيز لأنني سآمر بإعطائك ما يكفي من القمح الطيب والماء المصفى.

ثم ركب على ظهر الحصان، فقال الحصان له:

ـ كيف أسير يا صاحبي العزيز؟ مثل الرياح أم مثل البرق؟

ـ سر بالشكل الذي تريده لكن شريطة ألا يحدث لك أو لي أية مشكلة!

ركب "يانوش" حصانه، فوثب الحصان قفزتين وخطا ثلاث خطوات وقد كان واقفا بجانب القصر الملكي على مسافة مائة متر. أما الأميرة الصغرى ابنة الملك فلم تكن تفعل شيئا سوى الذهاب والإياب المتكرر بسرعة لتبحث عن راعي الأغنام. رأت هناك الفارس ذا الملابس الذهبية، لكنها لم تعره انتباها، فقد كان كل تركيزها ينصب على راعي الأغنام فحسب.

فجأة قال الحصان لصاحبه:

ـ حان الوقت يا صاحبي العزيز، لننطلق!

ـ لننطلق يا حصاني العزيز!

قفز قفزة وطار في الهواء والتقط "يانوش" منديل الأميرة ووضعه في جيبه، وطار، لكن في هذه اللحظة تحديدا حدث إطلاق نار، فقد أطلق الملك النار على الفارس ذي الملابس الذهبية وأصابه في إصبع قدمه الكبير، إلا أن الفارس لم يكترث وصاح قائلا:

ـ لأنطلق بسرعة لا يستطيع اللحاق بي أحد مهما كانت سرعته!

وانطلق واختفى من أمام الموجودين في التو واللحظة من شدة السرعة الكبيرة إلى أن وصل إلى مكان قطيع الماشية. ولما أن وصل إلى هناك نزل من على الحصان وأنزل اللجام والسعر والمستلزمات الأخرى من على الحصان وخلع حذاءه. كان الفتى في حالة سيئة لأن الملك أصابه في إصبع قدمه الكبير. خلاصة القول ركب راعي الأغنام على الحمار كما جرت العادة، وقام باصطحاب الماشية أمامه متجها إلى البيت، فقابلته الأميرة الصغيرة قبل أن يصل البيت كما تعودت، وقالت له:

- بما أنك لم تتمكن من المجيء إلى البيت اليوم أثناء النهار يا أخي راعي الأغنام العزيز، فإنني سأحكي لك ما حدث: التقط فارس ذو ملابس ذهبية منديلي، وبقى لديه، إلا أن أبي جلالة الملك أطلق عليه النار، لكنه مع ذلك لم يجد لا الحصان ولا حتى الفارس.

- لم أتمكن من العودة إلى البيت في هذا التوقيت يا سمو الأميرة، لأنني لدي الكثير من الأعمال التي يجب أن أقوم بها لصالح كل قطيع الماشية التي أرعاها. علاوة على ذلك، فأنا مجرد عبد هنا ويجب على أن أقوم بواجباتي على أكمل وجه.

ثم وضع الماشية في مكانها المخصص لها ودخل إلى المطبخ.

وهناك قال راعي الأغنام للطباخة:

- هل يمكن أن تعطيني بعض الماء لأرشه على قدمي؟

ذلك لأن حذاءه كان مليئا بالدماء.

أحضرت الطباخة الماء المطلوب له، وبينما هو يقوم بغسل قدمه ذهبت الطباخة إلى الأميرة الصغرى وهمست في أذنها قائلة بأن قدم راعي الأغنام تنزف دما، فأقبلت الأميرة في التو لترى قدم الفتى وهي تسأله:

- ما الذي حدث لقدمك أخي راعي الأغنام؟

- دخلت فيها شوكة، لذلك أغطسها في الماء وأنظفها الآن.

إلا أن الأميرة لم تصمت عند هذا الحد فتوجهت إلى أبيها الملك وهمست له بما رأت عليه حال راعي الأغنام المدمية قدمه بشدة، فأمر الملك في الحال أن يذهب إليه راعي الأغنام. غسل راعي الأغنام قدمه، ولبس حذاءه، وذهب ليمثل أمام الملك:

- جئت تلبية لأمرك، يا جلالة الملك!

ـ سمعت يا بني أن الدماء تنزف من قدمك. اخلع حذاءك وارني ما الذي أصابك!

استدار الفتى راعي الأغنام في الحال وخلع فردة الحذاء اليسرى التي لم تكن مجروحة، وأراها للملك، ولم يكن بها أية إصابة، فقال له الملك:

ـ حسنًا يا بني أرني قدمك الأخرى التي نتحدث عنها، أقصد قدمك اليمنى!

فاستدار الفتى في الاتجاه الذي ليس في الجرح، فلم تظهر الإصابة، فأمره الملك:

ـ اخلع الحذاء من كلتا قدميك الآن!

لاحظ الملك ارتباك الفتى، فقال له:

ـ قل يا بني ما الذي أصاب قدمك؟

ـ بدون لف أو دوران يا جلالة الملك ـ وأنا لم أعتد الكذب ـ جلالتك أصبت قدمي عندما أطلقت النار.

ـ متى كان ذلك؟ وأين الأحصنة التي جئت بها إلى هنا؟

ـ إذا أردت رؤيتها يا جلالة الملك فتعال معي غدا وأنا سأريها لجلالتك.

وهذا ما قد حدث بالفعل. كاد قلب الأميرة الصغرى أن يخرج واثبا من مكانه من شدة فرحتها لما سمعت ذلك، ونسيت تماما من تكون موجهة سؤلا لراعي الأغنام:

ـ وأي من المناديل كان الأجمل يا أخي راعي الأغنام: منديلي أم المنديلين الآخرين؟

فأجاب الفتى باختصار:

ـ سنرى غدا لأن المناديل ليست لدي الآن!

في صباح اليوم التالي خرج الملك بصحبة راعي الأغنام إلى المرعى، لكنه لم يأخذ معه الماشية هذه المرة، وقد أخذ الملك معه إلى بلاده الثلاثة، وشرح له كيف تمكن من الحصول عليها، فربت الملك على كتف الفتى بيده ووعده بأن يترك له مملكته كلها، وسيزوجه واحدة من بناته.

اختار راعي الأغنام ابنة الملك الصغرى.

حلت السعادة والفرحة في كل مكان، وتزوج الفتى من الأميرة الصغرى، وفيما بعد صار راعي الأغنام هذا ملكا.

ومن لا يصدق هذه الحكاية، فليتحقق منها بنفسه، فهناك ربما ما زال يحكم في البلد الذهبية، وربما ما زالا يعيشان الراعي والأميرة الصغرى حتى اليوم، ما لم يكن قد توفاهما الله.

بيضة مهر "راتوت"

كان يا ما كان، في سالف العصر والزمان، كانت هناك قرية مجرية تسمي "راتوت"(١). عثر حارس الحقول فيها على قرع نباتي عملاق.

ـ يا لهذا النجاح الباهر، يا سبحان الخلاق العظيم ـ يقول متعجبًا ـ لكن ماذا عساه أن يكون هذا الشيء الرهيب؟ ـ لأنه قد رأى قرعا طويلا يستخدم للطهي من قبل، لكن قرعا للشواء بهذا الحجم لم ير قط.

أمسك بها ولمسها بأصابعه واشتم رائحتها، لكن لم يتمكن من معرفة ماهيتها. أحضرها إلى منزله بالقرية، وكان في ذلك الوقت تحديدا مجلس حكماء القرية منعقدًا. وضع حارس الحقول القرع على المائدة، وقد وصل طولها مترا مما جعلهم يشعرون بالرهبة، وظلوا ينظرون إلى حبة القرع التي عثر عليها ونظيرتها الطبيعية.

قال أكبرهم سنا وأكثرهم ذكاء:

ـ لقد عاصرت أوقاتًا كثيرة، لكنني لم أر مخلوقا كهذ في حياتي كلها، ماذا عساه أن يكون هذا.

قال من يليه حينئذٍ:

ـ أنا أيضا قد مررت على الكثير من الأشياء، لكن لم آكل شيئًا كهذا في حياتي.

ثم توجه الأصغر منه عمرًا بصيغة استفهامية فقال:

ـ فيما يتعلق بهذا الشيء فعلى الرغم من أنني قد بلغت من الكبر عتيا، بيد أنني لا أعلم ماذا عساها أن تكون هذه المعجزة، لكن مع ذلك فالقاضي هو القاضي فهو عليه أن يعرف كل شيء.

وهنا تدخل القاضي في الحديث:

ـ حسنًا أيها الأخوة فهذه ـ كما هو واضح من شكلها ـ ليست إلا بيضة.

ثم بعد ذلك هز الآخرون جميعا رؤوسهم دلالة على أنهم قد استوضحوا الأمر، وعرفوا حقيقة هذا الشيء.

ـ بالطبع بيضة! فماذا عساها أن تكون، إن لم تكن بيضة؟!

---

(١) راتوت: قرية مجرية معروفة توفي فيها "سيل كالمان" رئيس الوزراء المجري الشهير عام ١٩١٥.

وهنا تذكر حارس الحقول أنها كانت ساخنة جدًّا عندما التقطها من على الأرض.

لم يكن اعتباطًا أن يعتبر القاضي نفسه ذكيًّا لأنه هنا أراد أن يعرف بيضة من هذه.

- إنها لسحلية تنين! - قال ذلك عضو مجلس حكماء القرية الأكبر سنًا.

- إنها لطائر العنقاء!

استمع القاضي لحارس الحقول، فقال إنه وقت وقعت عيناه على البيضة كان هناك طائرًا غريبًا له أربع أرجل يحلق على الحدود. كان لديه عرف فرس، ولديه ذيل طويل من الوبر!

كان الحصان في أنحاء قرية "راتوت" نادرًا جدًّا، فلقد كان المزارعون يحرثون ويجمعون بالأبقار، حتى في الأفراح أقصد ليالي الزفاف فكانت الأبقار هي من تجر العربات.

لكن القاضي كان قد رأى حصانًا أيضًا، وكذلك مهرًا من قبل، فقال بصوت عالٍ:

- مهر! المهر الذي وضع هذه البيضة!

الآن أيضا اتفق الكبار معه:

- نعم، صحيح، نِعم الرأي! هذه وضعتها مهر. ماذا يمكن أن يضع لنا بيضة بهذا الحجم سوى مهر؟

اتفق الجميع على هذا الأمر، ثم قال القاضي:

- حتى الآن لحسن الحظ أننا وصلنا إلى هذا الحد، لكن قولوا لنا أيها الأخوة ماذا نحن فاعلون الآن؟

- لنجعلها تفقس!

- لكن ماذا... كيف؟ ليست لدينا أحصنة.

شحذ الجميع عقولهم، بيد أن القاضي وحده هو من جالت برأسه الفكرة الجيدة!

- تعلموا ماذا أيها الأخوة؟ أنا أقول أن نفقس نحن بأنفسنا هذه البيضة الجميلة النفيسة.

ثم اتفقوا على هذا الأمر أيضًا.

وكقدوة حسنة وليقتدي به الآخرون رقد القاضي أولًا على البيضة، ثم تلي ذلك الآخرون كل حسب دوره طبقًا للعمر يكون التالي، فكل منهم قضى عليها يوما تماما مثلما تفعل الدجاجة الحاضنة مع البيض.

ربما استمرت مسألة الرقود على القرع إلى الأبد ما لم تكن قد تفشت إشاعة في القرية المجاورة مفادها أن مجلس حكماء قرية "راتوت" ينشغل ببيضة المهر! وبما أنها لم تفقس، بدأ أعضاء مجلس حكماء القرية في التذمر والاحتجاج بأنهم لن يرقدوا بعد الآن على بيضة مهر غير معروف.

حزن القاضي بشدة، فقد كان مقتنعًا بحق أن المهر الوليد بدأ يتحرك في البيضة، فهزها وشمها، وجعل الآخرين يشتمون رائحتها أيضا، لكنهم كانوا في هذه المرة غير مصدقين. حسب أنفهم بالبيضة أصبحت لها رائحة! الأمر مشوش للغاية!

في نهاية المطاف اتفقوا على أن يأخذوا البيضة إلى الحدود إلى أحد الجبال المرتفعة حيث يمكنهم دحرجتها من أعلى إلى أسفل صوب القرية.

ثم بناء على هذه المعجزة انطلقت قرية "راتوت" كلها، فالجميع أراد أن يرى أن هذه القرية ذات اللسان السليط ستحصل على ما تستحقه، لذلك أحضروا البيضة. بالتأكيد كانت رائحتها تُشتم من بعد أيضا. وعندما أمسك الجميع بأنفهم أنزل القاضي العربة اليدوية وبدأ في دحرجة بيضة المهر. تدحرجت وتدحرجت البيضة وظلت هكذا تتدحرج إلى أسفل التل حتى شجيرة الزعرور(١). وهناك اصطدمت بأحد الحجارة فانفلقت، عندئذ خرج قافزا من الشجيرة أرنبًا صغيرًا، صاح أهل "راتوت" كلهم في نفس واحد:

ـ المهر الصغير! يا الله... ياالله! المهر الصغير يجري! هيا وراءه أيها الرجال!

نهض أهل القرية كلهم وراء الأرنب. على التل لم يبق سوى القاضي. مشاهدا أنه لا فائدة من وراء الجري لأنه لن يلحق أحد بالحيوان الصغير الذي يجري بهذه السرعة الكبيرة، وتنفس الصعداء حزينا في نفسه وهو يقول:

ـ ألم أقل لكم أن المهر يتحرك داخل البيضة؟ لِمَ لم نرقد بصبر بضعة أيام أخرى على بيضة المهر هذه التي وهبنا الله إياها؟

(١) الزعرور: جنس نباتي يتبع الفصيلة الوردية. توجد في البرية والأحراش وفي المرتفعات الجبلية وتزرع أيضًا. شجرة الزعرور ذات أوراق خضراء تشبه ورق السدر صغيرة الحجم وأزهارها بيضاء عذقية تتحول إلى ثمرات عنبية بيضاوية محمرة اللون أو سوداء أو صفراء حسب نوعها.

"يانوش جونجهارمت"

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان. كان يعيش في هذا العالم ملكة لم يكن لها أولاد، لكنها أحبت كثيرًا لو تُرزق أطفال. فعلت كل ما بوسعها، لكن كانت إرادة الله غالبة فلم تنجب.

ذات مرة كانت تتجول في الحديقة، وكانت تشم رائحة الزهور الأجمل من الجمال نفسه، ووقفت عند شجرة ورد وأرادت أن تقطف واحدة. بالفعل قطفت ما أرادت، لكن بمجرد أن هزت الشجرة سقطت عليها قطرة ندى، وهنا شعرت أنها ستنجب طفلا.

كانت سعيدة، بل علمت أيضًا أن طفلها سيكون ولدًا جميلًا لا شبيه له في الكون كله. انتظرت الولادة، لكن المولود لم يرغب في النزول من بطن أمه.

انتظرت مجيء المولود ثلاثة عشرة حولًا(١)، وفي نهاية العام الرابع عشر وتحديدًا لما أن زارتها إحدى الجنيات وتدعي "أرجييت جميلة الجميلات" التي جاءت مباشرة إلى الملكة وقالت:

ـ يا حبيب القلب، يا "يانوش جونجهارمت" تعال إلى هذا العالم، فأنا في انتظارك، أنا "أرجييت جميلة الجميلات"!

عندما سمع الجنين ذلك تحرك وما هي إلا لحظات حتى خرج الطفل من بطن أمه إلى الدنيا، ونزل مسلحًا بالسيف، وقال:

ـ أنا هنا يا "أرجييت جميلة الجميلات"! لِمَ ناديتني؟

لكن "أرجييت جميلة الجميلات" لم يكن لها أثر بعد: إنها جنية، وقد اختفت!

ومن هنا عرفت الملكة اسم ابنها. سرحت وتعجبت، وغمرتها السعادة بشدة! وكانت الكلمة الأولى من "يانوش جونجهارمت" لأمه هي:

ـ أمي العزيزة، جهزي لي زاد الطريق! سأذهب للبحث عن "أرجييت جميلة الجميلات"! وسأجدها حتى ولو كانت في آخر الدنيا!

وقد كان بالفعل. جهزت الأم لـ "يانوش" الكثير بما فيه الكفاية، وبدأ رحلة البحث عنها في كل أرجاء العالم.

وبينما هو يسير ويواصل السير في طريقه وصل بعد مسافة كبيرة إلى أحد البيوت. كان في

---

(١) الحول هو العام أو السنة.

هذا المنزل سرير مستلقي عليه اثنان من الأمراء المدججين بالسلاح... كان هو الآخر يحمل سيفه. لم يلتفت إليهما كثيرا "يانوش" فقد كان هو الآخر أميرًا فاستلقى على سرير آخر، إلى أن غلبه النوم وراح في سبات عميق.

فجأة استيقظ أحد الأميرين الآخرين ورأى أنهما لم يعدا بمفردهما. من هذا؟ أشار إلى الآخر ثم قال:

ـ اسمع أنت أيها الفتى! استيقظ فهنا أمير يحدثك! وربما "أرجيبت جميلة الجميلات" قد تعبت فيه هي الأخرى! أشتم رائحتها! أتعلم فيما أفكر؟ لنقتله! لنجهز عليه الآن بينما هو هكذا غارق في النوم.

قال الآخر له:

ـ كيف هذا، ولمَ تتحدث هكذا! ألم يكن من الأجدر به أن يقتلنا هو ونحن غارقين في النوم إذا كان إنسانا ذا نية سيئة؟ الآن لا أنت ولا أنا لن نمسه بسوء! ثم ما يدرينا من عساه أن يكون هذا؟ وربما يمكننا الاستفادة منه! حتى لو كان يبحث عن "أرجيبت جميلة الجميلات" هو الآخر! ربما لهذا السبب تحديدًا قد أتت به الأقدار إلى هنا!

لم يتلفظ الآخر بكلمة واحدة ثانية عن هذا الأمر.

استيقظ "يانوش جونجهارمت" على كلامهما، لكنه لم يعلم عما يتحدثان، لكنه سمع صوتًا ما. رأى أنهما يقفان على أقدامهما. استيقظ هو الآخر وتعرّفوا على بعضهم البعض وسلم باليد كل منهم على الآخر.

وسألهم:

ـ إلى أين أنتما ذاهبان؟

ـ نحن نبحث عن "أرجيبت جميلة الجميلات"!

فرح "يانوش جونجهارمت" وقال:

ـ أنا أبذل قصارى جهدي للوصول إلى الهدف نفسه! لنعمل سويًا!

وقد كان الأمر بالفعل مثلما اتفقوا على العمل الجماعي، فمشوا سويًا، وعثروا على جبل كبير على قمته شجرة ضخمة. ما إن وصلوا إليه حتى تحول هذا الجبل في لحظتها إلى رجل عملاق من الضباب.

ارتعدت مفاصل الأميرين الآخرين، وقالا إنهما لن يخطوا خطوة واحدة ناحية الجبل لأنهما يخافان من رجل الضباب العملاق.

إلا أن "يانوش جونجهارمت" فكر في نفسه في هذه اللحظة وقال: أنا لها! هل نحن شجعان؟ - وهنا استل سيفه ووقف أمام الأميرين، وقال ناظرًا إلى الخلف:

- من لا يخاف فليتبعني!

وهكذا تبعه الأميران. وهكذا كلما اقتربوا من الرجل الضبابي العملاق كلما ازداد حجمه في الارتفاع. لم يهتم "يانوش" لهذا الأمر، ولما أن وصلوا إلى جواره مباشرة سدد "يانوش جونجهارمت" إليه ضربة سيف قوية جعلته ينهار كله. ثم واصلوا السير حتى قادهم الطريق إلى فتحة قفص عملاق. هناك وقف الأمراء الثلاثة يتشاورون من منهم يدخل أولًا. قال الأميران الآخران إنه من الأفضل أن يكون "يانوش جونجهارمت" أول من يدخل لأنه الأشجع.

لم يتذمر "يانوش" من الأمر ودخل بكل ترحاب. تعالا! وحفر في الأرض حفرة وزرع فيها حبة من البنفسج(1) وقال للأميرين الآخرين:

- إذا نضجت زهرة البنفسج فاعلما أيها الرفيقان أن نهايتي قد اقتربت والحقا بي بسرعة!

قبلا هذه الكلمة الطيبة وبقيا في الخارج، ودخل "يانوش".

كانت هناك عتمة شديدة داخل القفص كما هي الحال في الليل، فبالكاد كان "يانوش" يرى أمامه لبضع خطوات بسيطة، ومع ذلك سار وواصل السير. ولما أن وصل إلى الداخل أكثر وأكثر، بدأ يتلاشى الظلام شيئًا فشيئًا.

بمرور القليل من الوقت رأى "يانوش" سيدة يحيط بها الجنود من كل جانب... جنود حقيقيون. كلما اقترب "يانوش" ازداد عددهم. وظل هؤلاء يحاربون عند قدم السيدة - لكن الآن قد قضي الأمر! قضى عليهم "يانوش". يا إلهي! كانت البداية غير موفقة لكن السيدة لم تستطع في حياتها كلها أن تأتي بكل هؤلاء الجنود مرة أخرى الذين صارعهم وانتصر عليهم "يانوش" في لحظات معدودة.

واصل السير واستمر فيه. ورويدًا رويدًا تحولت العتمة إلى نور في كل مكان ووجد نفسه في حقل أخضر جميل خلاب في وسطه منزل صغير رائع كان ينساب بالقرب منه نهر الدانوب. كان

---

(1) مفرد بنفسجة: نبات زهريّ من الفصيلة البنفسجيّة من ذوات الفلقتين يُزرع للزّينة، وأزهاره عَطِرة الرّائحة.

الشاطئ مليئًا بشجر الصفصاف الكبير الوارف الظلال.

ماذا عساه أن يفعل "يانوش" في هذا المكان؟ فكر وعقد العزم على الدخول إلى المنزل حيث كانت تسكن فتاة شابة حسناء. لم يتردد "يانوش" وتقدم إلى الأمام فربما يجد "أرجيبت جميلة الجميلات".

رأت الفتاة الجميلة "يانوش" وتأملته ثم قالت:

ـ لقد وصلت إلى أمر جللٍ، يا"يانوش جونجهارمت"! لا أدري هل ستخرج منه بشيء أم لا. ألا تريد البقاء هنا؟ إذا أردت ذلك سأعطيك نصيحة طيبة! تأتي "أرجيبت جميلة الجميلات" كل يوم إلى هنا للاستحمام في الدانوب ومعها اثنتي عشرة من قريناتها، لكن فقط في وقت الظهيرة المشرق. نصيحتي هي قبل أن يأتوا للاستحمام انهض أنت أولًا إلى الشاطئ واختبئ بين أوراق إحدى شجر الصفصاف، وأمسك بملابس "أرجيبت جميلة الجميلات" واهرب بها إلى هنا. لكن مهما توسلت إليك ومهما فعلت فلا تنظر إلى الخلف، وإلا فانتظر نهايتك!

وقد كان بالفعل. اختبأ "يانوش" بين أغصان إحدى أشجار الصفصاف ينتظر "أرجيبت جميلة الجميلات". تحديدًا ومعها الاثنتي عشرة الأخريات في وقت الظهر جاءت. خلع الباقون ملابسهم إلا أن "أرجيبت جميلة الجميلات" كانت تنظر وتتلفت في كل مكان أولًا. فقالت لها رفيقاتها الجنيات:

ـ لا يوجد أحد هنا! لما تتلفتين هكذا؟ من سيأتي إلى هنا، حيث لا تأتي الطيور نفسها؟

لكن "أرجيبت جميلة الجميلات" ظلت تنظر وتتلفت هنا وهناك لأنها لم تكن تعتقد أن المكان ليس به أي أحد. ولما أن تأكدت بطريقتها من خلو المكان خلعت ملابسها ونزلت للاستحمام. عندما رأى "يانوش" أنهن قد نزلن للسباحة فعلًا تسلل من بين الأشجار وجمع ملابس "أرجيبت جميلة الجميلات"، وجرى مسرعًا! حملها وهرب بها ناحية البيت!

لاحظت "أرجيبت جميلة الجميلات" ذلك في الحال فصرخت ثم بدأت في الصياح برفق:

ـ ياحبيب قلبي العزيز الغالي! أنت يا"يانوش جونجهارمت"! عد ودعني أعانقك! دعني أقبلك!

إلا أن "يانوش" استمر في جريه فحسب، ووراءه الفتاة الحورية الجميلة لكنها كانت خائفة لأنها عارية.

ـ انظر قليلًا إلى الخلف على الأقل! يا حبيب قلبي العزيز الغالي! افعل لي ما طلبته فقط. أنا

أتبعك. سأكون لك!

لم يستطع "يانوش" التحمل أكثر فنظر إلى الخلف فتحول في التو واللحظة إلى كرة، أما "أرجيبت جميلة الجميلات" وبقية الجنيات اللاتي قد خرجن من الماء أثناء ذلك فقد شرعن في اللعب بهذه الكرة. فكن يضربنها كثرًا في الأرض فانشقت. ولما أن سئموا من هذه اللعبة ألقوا بها في نهر الدانوب، لكن ماذا حدث؟ تحولت الكرة إلى بطة ذهبية خلابة الجمال!

هناك في الأعلى أمام القفص نضجت زهرة البنفسج فرآها الأميران الآخران.

ـ حسنًا أيها الرفيق لننطلق! صديقنا في ورطة!

مشيا وواصلا المسير إلى أن وصلا مباشرة إلى ذلك المنزل حيث البنت التي أرشدت "يانوش جونجهارمت" عم مراده، فقالت لهم الفتاة:

ـ لا أعلم كيف يمكن إنقاذه الآن!

ولما أن رأت أن الأميرين في حيرة من أمرهما ويطرحان الأسئلة الكثيرة فقد كانت إجابتها كالتالي:

ـ هل أنتم رفقاء حقيقيون؟

ـ نعم نحن كذلك بلا شك!

فقالت الفتاة:

ـ إذن هناك طريقة واحدة لإنقاذه. إذا فعلتما ذلك من دون ارتكاب أي أخطاء فربما يكون كل شيء على ما يرام. لأن "يانوش جونجهارمت" موجود لكنه يسبح في نهر الدانوب في هيئة بطة ذهبية. لقد حولته "أرجيبت جميلة الجميلات" إلى ذلك! يمكن إنقاذه إذا صوبتما على رأسه بحيث تقع الرأس على الشاطئ ويبقي جسده في الماء. صوبا عليها بمهارة، وإلا فالنهاية لكل شيء.

ذهب الأميران إلى شاطئ الدانوب، وأخرج أحدهما البندقية في الحال ووضع رأس البطة الذهبية في مرمى التصويب، ثم أطلق عليها النار فانقلبت البطة في الماء وطارت رأسها على الشاطئ، وهناك في الحال صار منها "يانوش جونجهارمت" مرة أخرى!

فرحوا ثلاثتهم أنهم قد رأوا بعضهم البعض مرة أخرى. ذهبوا الآن مرة أخرى إلى بيت الفتاة وشربوا وأكلوا وتحدثوا. ووبّخت الفتاة "يانوش" لأنه لم يسمع كلامها مع أنها قد نبهته ألا

ينظر إلى الخلف. ماذا كان بوسع المسكين "يانوش" أن يفعل. وعدها ألا يفعل ذلك ثانية، وليحصل على فرصة أخرى!

قبل ظهر اليوم التالي اختبأ ثانية في أشجار الصفصاف. كان وقت الظهر الحار لما أتت الجنيات للاستحمام. شكّت "أرجيبت جميلة الجميلات" مرة أخرى فوقفت على الشاطئ ونظرت في كل اتجاه فلم تجد أحدًا في الأماكن المجاورة، وطمأنتها الجنيات بأن تخلع ملابسها بكل حرية.

ـ كيف يكون هنا أحد! لقد تصرفنا مع "يانوش جونجهارمت"! من غيره يمكنه المجيء إلى هنا؟

وقفت "أرجيبت جميلة الجميلات"، وقالت: فعلًا من عساه أن يأتي إلى هنا؟ وخلعت ملابسها.

انتظر "يانوش جونجهارمت" بصعوبة نزول الجنية الجميلة إلى الماء. ولما أن نزلت أمسك بملابسها وجرى مسرعًا مباشرة نحو المنزل.

أصبح هناك ذعر وركض مرة ثانية.

بدأت "أرجيبت جميلة الجميلات" في التوسل الشديد مرة أخرى:

ـ يا حبيب قلبي العزيز الغالي! أنت يا"يانوش جونجهارمت"! عد ودعني أعانقك! دعني أقبلك! حاول مرة أخرى! أو الق ولو نظرة عابرة ورائك!

إلا أن "يانوش" كان مصممًا على عدم الالتفات للخلف، لكنه كان عاشقًا لهذه الجنية فلم يستطع أن يتحكم في نفسه ـ ونظر إلى الخلف!

تحول إلى كرة مرة أخرى.

هذا ما كان يلزم لـ "أرجيبت جميلة الجميلات"، وليس شيئًا آخر!

خرجن من الماء كلهن وشرعن في لعب الكرة. كن يشوطنها هذه المرة بلا رحمة. ولما أن تعبن من كثرة اللعب قذفن الكرة في الماء ثم ارتدين ملابسهن ورحلن.

تحولت الكرة هذه المرة إلى شجرة ورد ذهبية تشد الناظرين إليها من شدة جمالها، وقد نشرت أغصانها على سطح الماء.

شعروا هناك في داخل المنزل أن هناك مشكلة ما، وقد حلّل الأميران الأمر بأن "يانوش" لم

يحترس مرة أخرى! فتوجهوا إلى الفتاة:

- حسنًا! ماذا عسانا أن نفعل الآن كي ننقذه؟

- قالت الفتاة: أنا نفسي لا أعلم، لكن إذا كنتما فعلًا تريدان إنقاذه فحاولا التصويب على أجمل برعم في شجرة الورد الذهبية. إذا نجحتم، فسيكون الأمر على ما يرام.

ذهب كلا الأميرين إلى الشاطئ ونجحا في التصويب على أجمل برعم في شجرة الورد، وصار "يانوش" هناك مرة أخرى بالفعل في الماء! وبدأ في السباحة إلى أن وصل إلى الشاطئ وكان أمامهما بكامل هيئته الأصلية "يانوش جونجهارمت".

كانا الأميران ينتظرانه على الشاطئ واحتضناه وقالا له:

- حسنًا أيها الرفيق! لقد أنقذناك مرة أخرى، لكن إن لم تحترس في المرة الثالثة، فتتحمل نتيجة ذلك بنفسك! فلن نستطع بعد الآن فعل أي شيء لك.

لم يتحدث "يانوش"، فلم يبرأ حاله أو يفرح إلى ما آلت إليه الأمور.

ذهبوا مرة أخرى إلى البيت يأكلون ويشربون ويتحاورون. انتقدته الفتاة ثانية، إلا أن "يانوش" طلب أن تمنحه فرصة ثالثة.

حدث في اليوم الثالث مثلما حدث تمامًا في الأيام السابقة. اختبأ "يانوش" في شجرة الصفصاف. جاءت "أرجييت جميلة الجميلات" في وقت الظهيرة المشرق للاستحمام مع رفيقاتها الاثنتي عشرة، إلا أن "يانوش" كان قد عقد العزم على ألا ينظر للخلف حتى لو نادت عليه "أرجييت جميلة الجميلات" بصوت ملائكي. أمسك بملابسها سريعًا وذهب بها كالرياح.

صرخت "أرجييت جميلة الجميلات" بكل ما أوتيت من قوة، ولكن يمكنها الصراخ إلى يوم القيامة: لم يلتفت "يانوش" للخلف. ولما أن كان قبالة باب المنزل كان قد أوشك على لفت رقبته إلى الخلف إلا أن أحد الأميرين غلّظه. كان من الممكن أن ينظر إلى الخلف لكن كليهما قد سحباه من أنفه لدرجة أنها كانت ستنخلع من مكانها.

أصبحت ملابس "أرجييت جميلة الجميلات" لديه سليمة بكل نجاح.

بالكاد أغلقوا الباب وراءه! فأقبلت "أرجييت جميلة الجميلات" وخبطت على الباب، وقالت متوسلة:

- يا حبيب قلبي العزيز الغالي! أنت يا"يانوش جونجهارمت"! أترى كيف أصبحت؟ إذا

كان لديك روح طيبة وضمير يقظ أعطني ملابسي!

تدخلت الفتاة الأخرى في الحديث:

ـ ملابس بأجنحة! إذا لبسها المرء يطير! فمن عساها أن يردها لها!

ظلت الجنية الحسناء في توسلها وتوددها إلا أن "يانوش" لم يعد الملابس لها.

ـ ألن تعيدها لي حقيقة؟

أجاب "يانوش":

ـ لا!

ـ ولِمَ لا؟

ـ لأنني أريد أن تصبحي ملكًا لي!

عندئذٍ ابتسمت "أرجييت جميلة الجميلات".

ـ لقد انتظرت هذا الأمر، يا "يانوش"! وأنا لا أرغب في شيء سوى ذلك. إذن أعطني ملابس مناسبة لسيدة من عالم الإنس كي أكون زوجة لك!

أعطاها "يانوش" ملابس أخرى، ثم تزوجا، وأقاما حفل عرس كبيرًا وذهبا إلى الملك العجوز إلى والد "يانوش"، وعاد الأميران الآخران إلى بلادهما.

عاش الشابان في بيتهما بسعادة وأحبا بعضهما البعض بشدة. كان من الجميل أن الملابس المجنحة مخفية! لم يعلم أحد أين كانت، باستثناء "يانوش" وأمه، وقد نبّه على الملكة الأم ألا تبوح بالسر لأي شخص آخر.

ذات مرة ذهب الأمير "يانوش جونجهارمت" إلى الغابة ليصطاد الحيوانات البرية. ومثلما جرت العادة في السابق عندما يخرج في رحلات صيد طويلة كان ينبه على أمه ألا تعطي الملابس المجنحة لـ "أرجييت جميلة الجميلات" مهما توسلت لها، لأنها عندئذٍ ستطير، ولن يعلم أحد بعد ذلك ستظل له أم لا. وعدته الملكة أيضًا أنه مهما طلبت ذلك "أرجييت جميلة الجميلات" فهي لن تلبي رغبتها بالطبع.

بالكاد كان "يانوش" قد خرج في رحلته، ووقعت "أرجييت جميلة الجميلات" في حزن مرير، وظلت تبكي وتتنهد وتشتكي بلا توقف. أشفقت الملكة الأم عليها وسألتها:

ـ ما الذي يحزنك، يا بنتي الحبيبة؟

وهنا انفجرت الشكوى بحق:

ـ ما الذي يحزنني؟ أتسألين عما يحزنني؟ وكيف لي ألا أكون حزينة، لما أنكم سلبتم مزاج العروسة الشابة، وأنا لا يعجبني على الإطلاق ألا أرتدي الملابس المحببة إلى قلبي، الملابس المجنحة! ففي هذه الملابس أكون في أجمل صورة!

ثم بعد ذلك قضت كل الوقت في البكاء والحزن! ـ كانت دموعها تسيل كزخات المطر.

تذكرت الأم الملكة ما أخبرها به ابنها، إلا أن "أرجييت جميلة الجميلات" وصلت إلى حزن وبكاء مرير حتى في النهاية أشفقت الأم على حالها فأخرجت الملابس المجنحة من الصندوق وأعطتها للفتاة الحزينة فقط كي ترى نفسها فيها ليس أكثر، ثم تعيدها مرة أخرى.

لم يكن يلزم لها أكثر من أن تضعها على جسدها، وأصبحت كالطائر وانطلقت تحلق في السماء! وذهبت حتى من دون أن تقول: السلام عليكم!

يا له من مسكين "يانوش جونجهارمت" هذا! لو علم ماذا حدث في بيته! لكنه كان واثقًا في أمه فكان يتجول في الغابة كلها ومزاجه سعيدًا كل السعادة، واصطاد الكثير من الأيائل والأرانب. ولما أن وقف تحت شجرة وارفة الظل، إذ به يسمع صوتا من أعلى يقول:

ـ فليبارك الله لك "يانوش جونجهارمت"!

نظر إلى هناك، فماذا رأى؟ رأى أعلاه "أرجييت جميلة الجميلات" تطير! من هول المفاجأة ربما كان أطلق عليها النار، لكن كان قد فات الأوان، وطارت بعيدة محلقة في الأفق.

تملكت "يانوش" مرارة شديدة، فماذا يفعل الآن؟ اعتقد أن هذه هي النهاية، وأنه لن يعيش بعد الآن. "يارب تنشق الأرض وتبلعني!" ـ كان يردد ذلك في نفسه، لكن في نهاية المطاف عاد إلى البيت. في البيت سيطر عليه الحزن والأسى فلم يأكل ولم يشرب! وسيطر الشوق والحنين على روحه بالكامل.

فجأة قال لأمه:

ـ حسنًا، يا أمي العزيزة! بما أنك قد تركتي "أرجييت جميلة الجميلات" تهرب مني، فاعلمي أنني أنا الآخر سوف أرحل من هنا! سأذهب ولن أعود إلى الأبد ما لم أعثر على "أرجييت جميلة الجميلات"! فليباركك الله يا أمي على أية حال!

ـ قال ذلك وذهب.

بكت الأم وانتحبت كثيرًا، لكن بلا جدوى.

مشى وسار وواصل السير في الاتجاه العكسي لبلاد العجائب السبع. لقد نفدت نقوده، وفكر في البحث عن عمل، واستمر في السير وهو جائع. ظل يسير إلى أن وصل إلى إحدى المدن. كان يسكن في هذه المدينة صاحب خان(١) شهير كان في حاجة إلى خادمة في هذا التوقيت بالضبط.

لم يبق لدى "يانوش جونجهارمت" حتى الخبز الذي يتناوله. ارتدى ملابس نسائية وتقدم لصاحب الخان على أنه خادمة. عمل هناك يوما بدءا من بعد الظهر وليلة تالية إلى أن سمع أنه في كل يوم تأتي لتناول الغداء اثنتي عشرة من طيور الكراكي؟(٢) لكن ما هي هذه الطيور؟ بحسب رواية الخادمة الأخرى: إنها اثنتي عشرة جنية!

قال له صاحب الخان في اليوم التالي أن يعتني بنفسه لأن في هذا اليوم سيكون هناك على الغداء آنسات حسناوات مرهفات الحس، وإن لم يكن كل شيء على ما يرام، فلن يعتبن باب الخان ثانيةً!

دقت الأجراس في وقت الظهر تحديدًا وقد أقبلت الاثنتا عشرة جنية! فهبطن إلى أمام المبنى وهززن أنفسهن فتحولن إلى فتيات جميلات خلابات، وهكذا دخلن إلى الغرفة حيث كانت تنتظرهن المائدة المعدة سلفًا والطعام اللذيذ.

هنا تفتحت عين "يانوش جونجهارمت"، وبدأ في اليقظة والانتباه.

حمل "يانوش جونجهارمت" الطعام للآنسات؛ بذل قصارى جهده واجتهد كثيرًا كي لا تكون هناك أخطاء من أي نوع. أثناء ذلك كان ينتبه ويتأمل الضيوف. وبينما كان يجول ويصول هناك رأى أن من بينهن فتاة جميلة جدًّا تنظر إليه. اقترب "يانوش" منها، وأحدق فيها، إنها هي "أرجيبت جميلة الجميلات". وقد تعرفت على "يانوش" على الفور. استحت، وأكلت على استحياء.

بعد الغداء توجهت "أرجيبت جميلة الجميلات" إلى "يانوش"، وقالت له في السر:

ـ بسبب أبي وجب علي الرحيل عنك! لأنه لم يكن يعلم أني تزوجتك. كان يبحث عني، وخفت أن يقتلك إذا وجدني عندك!

---

(١) خان: بيت نزل أو فندق صغير.

(٢) الكُرْكِيُّ: طائرٌ كبيرٌ، أغبرُ اللون، طويلُ العنق والرجلين، أبترُّ الذَّنَب، قليلُ اللحم، يأوي إلى الماء أحيانًا. والجمع: كَراكيّ.

قال "يانوش":

ـ هل ما زلتِ تحبيني، يا "أرجييت جميلة الجميلات"! أجيبي عن هذا السؤال فحسب!

أجابت "أرجييت جميلة الجميلات" قائلة على استحياء:

ـ يا حبيب قلبي الغالي! يا حبي ويا عشقي! أنت كل شيء بالنسبة لي! والآن أيضًا أنا لك، وأنت لي! ولن يفرقنا عن بعضنا إلا الموت! لأنني سآخذك معي! واعلم أن رفيقاتي الاثنتي عشرة هن أخواتي! لن نقل لهن شيئًا الآن. إذا انتهينا من تناول الغداء، واستعددنا للذهاب تشبث بتنورتي⁽¹⁾ فحسب. أمسك بي أيضًا عندما نخرج ونتحول إلى طيور الكراكي فسنأخذك معنا!

لم يكن "يانوش جونجهارمت" في حاجة إلى سماع هذا الكلام مرتين، فهو دائما كان يريد لو يتشبث بتنورة "أرجييت جميلة الجميلات"! ولكي لا يلاحظ صاحب الخان الأمر فقد كان يتنقل هنا وهناك بجد ونشاط، ولكن دومًا حول الجنية الجميلة!

لما أن انتهين من الغداء انطلقن من الغرفة إلى الخارج. أمسك "يانوش" بالتنورة بقوة! في الخارج عند الباب اهتزت البنات منتفضة فتحولن إلى طيور الكراكي مرة أخرى وارتفعن إلى أعلى. كان "يانوش" معهن وهن يطرن ويحلقن في السماء. إذا رآه أحد لكان اعتقد أن هذه الطيور قد خطفته.

وصلوا إلى الأرض بسرعة ووصلت "أرجييت جميلة الجميلات" إلى البيت... إلى أبيها.

عاش "يانوش" هناك بصفته خادمة. لم تجرؤ زوجته على تقديمه لأبيها، فقد خافت من غضبته. لم يكن أحد يعلم أنه رجل، بخلاف "أرجييت جميلة الجميلات".

فجأة وُلد لهما ابن جميل. كان يجب أن يخفوا هذا الأمر أيضًا على الملك العجوز بالطبع، إلا أن الملك رأى ابنته ذات مرة تحتضن طفلا، فسألها:

ـ لمن هذا الطفل الجميل يا بنتي؟

فقالت له ابنته:

ـ هذا يا أبي... إنه؟ إنه حفيدك! الحقيقة أنني تزوجت منذ منذ وقت طويل، وأعيش مع زوجي، فالخادمة التي هنا ليست بخادمة وإنما هي رجل يُدْعي "يانوش جونجهارمت" ابن

---

(١) تَنّورَة: جمع تَنانِيرُ: القسم الأسفل من ثوب المرأة بين الخصْر ومنتصف السّاق بأطوالٍ مختلفةٍ "تنّورَة داخلية، أو تحتانِية، ـ لبِست الفتاةُ تنُّورة مزركشة."

الملك الجار، إنه حبيبي وزوجي!

أحدق بها الأب بشدة وقال في النهاية:

ـ إذا كان الأمر هكذا، وإذا كنتما تحبان بعضكما فعلًا، فكونا سعيدين! لأنني أنا أيضًا سعيد فقد أصبح لدي حفيد!

فرحت "أرجييت جميلة الجميلات"، وأسرعت في الحال إلى "يانوش" تزف له الخبر. هنا وفي هذه اللحظة بالضبط خلع "يانوش جونجهارمت" الملابس النسائية ولبس أجمل ملابسه المصنوعة من الذهب والفضة، وذهب إلى حميه، لكنه قال قبل ذلك لـ "أرجييت جميلة الجميلات":

ـ حبيبة قلبي وروحي وفؤادي! إذا كنا سنصبح لبعضنا البعض بشكل نهائي، فحققي لي رغبتي، وأعطني الملابس المجنحة!

غضبت "أرجييت جميلة الجميلات" من هذا الكلام.

ـ كيف لي أن أعطيها لك، وهذه هي سلطتي ومتعتي الوحيدة! بالتأكيد لن أعطيك إياها!

ـ حسنًا إذن أنت ترغبين دومًا أن تجعليني حزينًا، أليس كذلك؟ هل تريدين أن تتركيني مرة أخرى؟

ـ لا أريد ذلك!

ـ إذن أعطني إياها!

ظل يطلبها ويطلبها ويلح في طلبه حتى أعطته إياها. عندئذٍ أشعل "يانوش جونجهارمت" نارًا هائلة وألقى بالملابس المجنحة فيها فاحترقت وانفجرت كالمدفع.

أما هما فمرة أخرى أقاما عرسًا وأصبحا سعيدين للغاية، وربما ما زالا على قيد الحياة إن لم يكن قد توفاهما الله.

الشمس ـ القمر ـ الرياح

طال جلوس الشمس والقمر والرياح معًا تحت إحدى الأشجار إلى أن توجه صوبهم شخص غجري فألقى السلام:

ـ مساء الخير، فليبارك الله لكِ!

قالت الشمس للآخرين:

ـ انظروا، الجميع يحييني!

فقال الغجري ردًا عليها:

ـ ولكنني ألقيت التحية على الرياح!

قال القمر للغجري:

ـ قف! لماذا تقول هذا؟ انتظر فقط، سأجعلك متجمدًا في الشتاء!

قال الغجري:

ـ هذا إن لم تهب الرياح!

وتتدخل الشمس أيضا:

ـ توقف أيها الغجري، سأشويك من الحرارة في الصيف!

فرد عليها الغجري:

ـ هذا إن لم تهب الرياح!

وهنا تقول الرياح للباقين:

ـ أرأيتم؟ وبعد كل هذا فإنني أُكِنُّ كل التقدير والاحترام والثقة العالية للجميع!

التيوس الثلاثة ذات الشعيرات الذهبية

كان يا ما كان في سالف العصر والأوان في مكان أبعد بكثير من بلاد العجائب السبع، وأيضا أبعد من بلاد ما وراء البحار وجبال الزجاج، كان في هذا العالم رجل فقير لديه ابن. كانوا فقراء بمعنى الكلمة... يعيشون في فقر مدقع.

كبر الولد وترعرع، حتى بلغ من العمر عشرين عامًا، عندئذ قال لوالده:

ـ أبي، نحن في غاية الفقر! حضرتك تستطيع أن تعول أمي، أما أنا سأذهب لأجرب حظي وأبحث عن لقمة عيشي في هذا العالم!

ـ لا تتركنا يا بني العزيز! من سيتولى أمر عيشنا؟

ـ لا تقلق يا أبي العزيز لأنني لن أبق هناك مدة طويلة. سأتجول في هذا العالم قليلًا لعلي أجد عملًا طيبًا أفعله.

بالفعل انطلق الفتى وطهت له الأم خبزًا طيبًا ووضعته في حقيبته، ثم قالت للولد:

ـ ابني العزيز، كن حريصًا على أن تكون مطيعًا وتقدم يد العون والمساعدة لكل من تستطيع أن تساعده!

استمع الفتى لنصيحة أمه ووعدها بأن يلتزم بها قالت.

سار الفتى وواصل السير إلى أن وصل إلى غابة عملاقة مخيفة. استقر به الحال تحت شجرة بلوط. كان بجانبه مباشرة شجيرة حيث يوجد فخ أوقع بأحد الأرانب. ندب الأرنب حظه كثيرًا، وبكى كثيرًا. أراد أن يحرر نفسه ويخرج من هذا الفخ، لكنه لم يتمكن من ذلك.

أسف الفتى على حال الأرنب فأنقذه من هذا الفخ. لم تكن ساقه مكسورة، بل كانت توجعه فحسب. بعد ذلك قال الأرنب الصغير:

ـ حسنًا أيها الفتى الطيب! نظير صنيعك الطيب هذا بإخراجي من الأسر يوجد في أذني اليسرى صفارة. خذها! إذا حلّت بك مشكلة في أي وقت، أنفخ فيها! وإن كان بيدي مساعدتك، فلن أتأخر.

وضع الفتى الصفارة في جيبه، ثم أخرج الطعام من حقيبته وبدأ يأكل تحت الشجرة.

كان يفكر في نفسه:

"انتظر بزوغ القمر كي أرى الطريق، ثم أواصل السير".

وقد كان. مع بداية المساء ظهر القمر مبكرًا، ولكن مكتملًا. ظل الفتى يسير في الغابة أعمق وأعمق. وكلما سار أكثر إلى داخل الغابة كلما زادت ظلمة ووحشية البرية، ولما أن وصل بعيدًا داخل الغابة عندئذٍ سمع عواء كعواء الثعلب حين يقع في الشرك. تتبع الصوت فوجد ثعلبًا وقد وقع في الشرك. توسل للفتى:

ـ ساعدني أيها الإنسان الطيب، وسأكون ممتنًا لك.

ـ حسنًا سأساعدك في محنتك. لن أؤذيك.

وبالفعل حرره من الشرك فشكره الثعلب وقال له:

ـ في أذني اليمنى توجد صفارة خذها. إذا حلّت بك مشكلة لا عليك سوى النفخ فيها وسأساعدك في الحال إذا كنت أستطيع ذلك.

وهكذا اختفى الثعلب من أمام عينه.

واصل الفتى السير في الغابة، وكان قد ذهب بعيدًا أكثر وأكثر إلى أن ظهر أمام عينيه ضوء ضعيف. ذهب في اتجاه الضوء القادم: ليرى ماذا عساه أن يكون! اعتقد أنه قريب منه للغاية، بيد أنه كان ما زال بعيدا عنه. لم يحبط الفتى، وقال:

ـ لن ترى عيني النوم ما لم أصل إلى هذا الضوء. إن كان هناك ساكنًا فسيسمح لي بالدخول ويعطيني مكانًا أبيت فيه.

سمع عواء وهديرًا قادمًا من بعيد، فتراجع قليلًا بالطبع لأنه لم يسمع صوتًا كهذا من ذي قبل، لكنه قال:

ـ على أية حال سأذهب في هذا الاتجاه لأرى ما هذا.

وبينما هو في طريقه كاد أن يسقط في حفرة الذئاب. كانت هناك حفرة محفورة يخدعون بها الذئاب لتقع في الشرك. وكان في هذه الحفرة ذئب بري كبير.

نظر الذئب إلى أعلى فرأى الفتى، فوقف على كلتا ساقيه وبذل جهدا أكبر وحاول القفز للخروج لكنه لم يستطع. تضرع للفتي.

ـ حسنًا أيها الفتى ساعدني في محنتي إن كنت تستطيع. حررني! سوف أرد لك الجميل في وقت ما.

قطع الفتى غصن شجرة طويلًا، كي يمده للذئب ويخرجه من الحفرة.

ـ حسنًا! لا تخف، أيها الرفيق. أمسك بها فحسب ثم سأرفعك أنا للأعلى!

فهم الذئب لما أنزل له فرع الشجرة هذا، فأمسك به وتشبث ثم رفع الفتى الذئب إلى أعلى بعيدًا عن الحفرة. ولما أن تحرر الذئب قال للفتى:

ـ حسنًا أيها الإنسان الطيب. نظير ما فعلته من خير لي ـ لأنه إن كنت بقيت هنا لمت من الجوع لا محالة ـ اسحب مجموعة من شعيرات ذيلي، لأنني ليس لدي شيء آخر أعطيك إياه. إذا حدث لك مكروه في أي وقت، وأشعلها وسأظهر لك في التو واللحظة، وسأقدم لك العون قدر استطاعتي.

وهكذا واصل الفتى السير ثانية في اتجاه الضوء. وبعد قرابة النصف ساعة من المشي وكان قد اقترب الفجر وصل إلى كوخ صغير من نافذته أضاء مصباح كان هو مصدر هذا الضوء.

استرق النظر من النافذة فإذ به يرى سيدة عجوز تجلس أمام عجلة المغزل[1] وقد كان لها أنف حديدية كبيرة تكاد تصل حتى ركبتها. لقد كانت هذه هي الساحرة الشريرة. تراجع الفتى قليلا، فماذا عساه أن يفعل الآن؟ ألقى عليها التحية أم لا؟ في نهاية المطاف طرق على النافذة. فقفزت الساحرة في الحال وفتحت الباب.

ـ من الطارق؟ من يبحث عني؟

ـ أنا يا أمي العجوز! صباح الخير وليبارك الله لك!

كان نور الفجر قد انبلج.

ـ فليبارك الله لك أيضًا يا بني عمَّ تبحث في هذا العالم الكبير، حيث من النادر أن يخطئ الإنسان؟

قال الفتى:

ـ أبحث عن عمل.

ـ حسنًا يا بني. لقد جئت في الوقت المناسب، لأنني الآن في احتياج إلى خادم جيد. العام لديّ عبارة عن ثلاثة أيام. أعطيك ما تتمنى بلا فصال أو جدال.

ـ سأحاول يا أمي العزيزة. لنبدأ العمل من الصباح، وها قد أشرق النهار.

---

(١) عجلة المغزل: ماكينة لغزل الخيوط لها عجلة تدار باليد أو القدم ومِغْزَل واحد.

ـ اتفقنا، إذًا استرح قليلًا لأنك لم تنم في الليل. أعلم أنك كنت تتجول طيلة الليل وضوء المصباح فقط هو ما أتى بك إلى هنا.

ـ صحيح، معك حق يا أمي، لقد أتيت إلى هنا في ضوء المصباح، لأنني لم أستطع الوصول إلى هنا إن لم يكن الأمر كذلك.

ـ تفضل الفطور يا بني. تناول وجبة الإفطار ثم أُريك طبيعة العمل الذي سوف تفعله.

جلس الفتى ليتناول الإفطار. كان الطعام طيبا استلذه الفتى لأنه قلما أكل أثناء الطريق، ثم قالت له الساحرة الشريرة:

ـ تعال يا بني لأريك ماذا أريد.

أخذته إلى الإسطبل حيث يوجد ثلاثة من التيوس(١) من ذوات الشعيرات الذهبية، وقالت له:

ـ أنظر يا بني! سيكون عملك هو أن ترعى هذه التيوس الثلاثة، لكن احرص عليها وانتبه عليها جيدا كي لا تهرب، لأن هذا واجبك وعملك خلال الثلاثة أيام!

ـ حسنًا، يا أمي العزيزة. سأعتني بها جيدًا.

ـ اتفقنا! لقد أعددت لك حقيبتك، بها من المأكولات والمشروبات وما يكفيك من مستلزمات أخرى. هنا على اليسار يوجد طريق مشاة في الغابة. ليس ببعيد عنه يوجد مرعى. اصطحبها إلى هناك حتى ولو لم تعرف الطريق. هي بنفسها ستذهب إلى هناك. واتركها هناك ترعى، لكن اعتني بها ولا تغفل عنها ولا حتى للحظة واحدة كي لا تفر.

قاد الفتى التيوس الثلاثة إلى المكان المحدد. وشرعت في الأكل من المرعى جيدًا. أما الفتى فقد استلقى بين الأشجار الوارفة الظلال. وعلى مشارف الظهيرة فجأة هبت نسمة عليلة فخلد في سبات عميق.

كان النهار قد اقترب من نهايته، عندما استيقظ. تلفت حوله وبحث عن التيوس: لا يجد أيًّا منها في أي مكان. لا يوجد ولا واحد. ارتعد: ماذا سيحدث الآن؟ كيف يعثر عليها في هذا العالم الكبير؟ أين اختفت؟ لقد كانت هنا! ماذا هو بفاعل الآن؟ جال بخاطره: "لقد أعطاني الأرنب الصغير صفارة صغيرة! سأحاول استدعاءه."

---

(١) التَّيْسُ: الذكر من المَعْزِ والظِّباء والوعول إذا أتى عليه حَوْلٌ.

أخرج الصفارة من جيبه في الحال ونفخ فيها. اهتزت الشجيرة من خلفه، وقد كان هناك الأرنب الصغير. قال في الحال:

ـ ما مشكلتك؟ بماذا تأمر، يا صاحبي؟

ـ آهٍ... آهٍ، لدي مشكلة جد كبيرة... لقد فُقدت التيوس.

ـ فقال الأرنب: وكيف تم فقدها، بالقطع إنها موجودة في مكان ما... لا تقلق! تعال فقط معي. إنها هناك بين هاتين الشجرتين الكبيرتين، وكن حريصًا على ألا تهرب منك! يوجد في قطيعي ثلاثة من الأرانب السود. سوف أقوم بجمع رجالي. وهم سوف يقومون بإبعادها بحيث السود منها تفر إلى ما بين الشجرتين. لما تصل إلى هناك اضرب أوسطهم بالعصا الغليظة وسيسقط في الحال. أما إذا لم تعثر عليها وأخطأت الضربة، فليس لك إلا أن تنتظر الموت المحقق، لأن الساحرة الشريرة سوف تقطع رقبتك بلا شك. أما إذا عثرت عليها فسوف تكون في هذه اللحظة مع ست من المعز[1] حيث كان مستقرًا بك الحال في الصباح، وهكذا تصطحبها إلى المنزل كما لو لم يحدث شيء.

وقد كان. انطلق الولد مع الأرنب الصغير حتى الشجرتين المحددتين، ووقف هناك صانعًا لها شركا. أنصت وأنصت وهاجت الغابة وفجأة أصدرت الأرانب ضغيبًا[2] شديدًا. فجأة ظهر ثلاثة أرانب سود من بين الأرانب متجهة مباشرة نحوه، لكن البقية أيضًا كانت في إثرها كل منها يحاول سباق الآخر. أرادت الأرانب الثلاثة أن تبعد عن الشجرتين، لكن البقية لم تسمح لها بذلك.

لما أن وصلت الأرانب السوداء الثلاثة بين الشجرتين قام الولد بضرب أوسطها ضربة كما أخبره الأرنب الصديق أعادتها إلى مكانه الأصلي في اللحظة نفسها. في اللحظة التالية ظهر هو الآخر حيث كان يرعى في بداية اليوم. فرح الولد كثيرًا أنه سيعود إلى البيت ومعه ست من الماعز: التيوس الثلاثة ومعها ثلاثة من الجديان[3].

قادها الولد إلى البيت وألقى التحية على الساحرة الشريرة:

---

(١) واحد من المَعْز، ذو الشَّعَر من الغنم، خلاف الضَّأن، يُطلق على الذَّكر والأنثى، وقد يقال للذَّكر: تَيْسٌ، وللأنثى: عَنْزٌ وماعزةٌ ومعزاة، له قرنان أجوفان، يُربَّى للبنه ولحمه خفيف وثَّاب كالماعز.

(٢) الضغيب: صوت الأرنب.

(٣) الجَدْي: الذكر من أولاد المَعْز. والجمع: أَجْدٍ، وجِداءٌ، وجِدْيانٌ.

- مساء الخير، يا أمي العزيزة!

- فليبارك الله فيك، يا بني! هل أتيت، يا ولدي؟

- نعم أتيت.

- هل الماعز بخير؟ هل كانت على ما يرام؟ ألم تهرب منك؟

- إنها لم تذهب إلى أي مكان، يا أمي العزيزة. فلقد استراحت واستلقت وتناولت الطعام.

- حسنًا، انهض يا بني، تناول العشاء. أنا سوف أدخلها الحظيرة.

وبينما كان "يانوش" يتناول العشاء بدأت الوالدة(1) في ضرب الماعز كلها بمجرفة الفحم(2).

- أنتم أيها الشياطين، أنتم كذا وكذا! لِمَ لم تتمكنوا من الهرب؟ توقفوا عن هذا الخبث الذي يسير في دمائكم! يجب أن تختبئوا غدًا بشكلٍ أفضل!

أوسعت الماعز ضربًا إلى أن تعبت من ضربهم. ثم عادت إلى الفتى.

- حسنًا، يا بني العزيز. أنا أيضًا أود أن أتناول العشاء ثم لنستلقِ وننام حتى الصباح بارتياح.

وقد كان؛ تناولا العشاء سويًا ثم ناما حتى الصباح. لم تكن هناك أدنى مشكلة.

في صباح اليوم التالي وبمجرد أن استيقظوا من النوم أعدت الوالدة حقيبة الزاد للفتي. قاد الولد الماعز الست إلى مكان المرعى نفسه المعتاد. وقد حدث معه مثلما حدث في اليوم السابق تمامًا. حتى الظهر كانت المعز موجودة، إلا أنه بمجيء نسيم عليل في وقت الظهيرة فقد جعل من الولد يروح في نوم عميق.

انقضى الوقت حتى قرابة نهاية النهار عندما استيقظ الولد فلم يجد ماعزه. حزن الفتى وندب حظه فأين أصبحت الماعز، فهو لم ير منها شيئًا.

- لقد وجدتها بالأمس، فأين عساني أن أجدها اليوم؟

قال في نفسه:

---

(1) الوالدة: يقصد بها الساحرة الشريرة، ويمكن أن يطلق على كل سيدة كبيرة في السن.

(2) مجرفة الفحم: اسم آلة من جرَفَ: مجراف، أداة يُجرفُ بها التُّراب والثلجُ والفحم ونحوهم، وهي عبارة عن حديدة مسطَّحة لها مقبض سميك. وجمعها مجارفُ.

- "أعطاني الثعلب صفارة. سأحاول استدعاءه فربما يستطيع مساعدتي في محنتي هذه".

أخرج الصفارة ونفخ فيها، فظهر له الثعلب في الحال.

- بماذا تأمر، يا صاحبي؟ ما مشكلتك؟

- لا توجد لدي مشكلة فقط لقد فُقدت الماعز، ولست أدري أين ذهبت في هذه الغابة الشاسعة، وكيف لي أن أجدها.

قال الثعلب:

- ليست مشكلة... أنا أعلم أين هي، فقط تعال معي إلى طرف الغابة. هناك قطيع من الديوك تحت إحدى الأشجار، يوجد بينها ثلاثة كبار في الحجم وثلاثة كبار في السن وثلاثة صغار. سوف نطاردها أنا ورفقائي من الثعالب.

وقد كان ذلك ما تم بالفعل.

- فقط كن حذرا فعند جذور هذه الشجرة الكبيرة ستحاول الاختباء، فاضرب الديك الأوسط بقوة حتى يعود إلى أصله في الحال.

وقد كان. انطلق الولد إلى أطراف الغابة، وفجأة هاجت الغابة وأصدر الدجاج نقيقًا عاليًا. أحاطت الثعالب بالدجاج وساقته وطاردته وأرادوا الإمساك به. وقد طاردته الثعالب صوب الولد حيث الشجرة الكبيرة.

ولما أن وصلوا قريبًا لم يريدوا الاقتراب من جانب الشجرة بأي شكل من الأشكال، لكن أحد الثعالب أمسك بدجاجة وهزها بشدة حيث اقتلع ريشها في فمه. فخافت ووثبت إلى جانب الشجرة. وقد قفز إلى هناك سريعا البقية فضرب أوسطها ضربة أسقطته في الحال.

وهكذا استعاد الماعز مرة أخرى. وقد وجد نفسه ثانية حيثما كان في الصباح. عاد إلى البيت سعيدًا فرحًا. إنهم الآن أصبح عددهم كبيرًا. لقد صاروا تسعًا من الماعز هذه المرة. اصطحبها الولد إلى البيت مغمورًا بالسعادة.

- مساء الخير، يا أمي العزيزة!

- فليبارك الله فيك، يا بني! هل أتيت، يا ولدي؟

- نعم أتيت.

- هل الماعز بخير؟ هل كانت على ما يرام؟ ألم تهرب منك؟

ـ حسنا، انهض يا بني، تناول العشاء. أنا سوف أغلق عليها باب الحظيرة.

بدأت الوالدة في ضرب الماعز بمجرفة الفحم ثانية، وشرعت في توبيخها بجميع أنواع الشتائم. أنتم أيها الشياطين، أنتم كذا وكذا!

ـ كيف لم تتمكنوا من الهرب؟ توقفوا عن هذا! يجب أن تختبئوا غدًا بشكلٍ أفضل! لا يجب أن يعثر عليكم غدًا بأية حال من الأحوال!

دخلت الساحرة الشريرة على الولد لتناول العشاء. وظلت تتسامر معه لفترة كبيرة من الوقت وسألته عن حياته السابقة أين كان وأين ذهب وماذا جني في حياته. حكى الولد أنه فتى فقير فحسب ويجب عليه أن يعمل بأي شكل وبأية طريقة كانت، ثم استلقيا وناما حتى الصباح.

في صباح اليوم الثالث وبمجرد أن استيقظا قالت الساحرة الشريرة:

ـ حسنًا يا بني اليوم فقط هو ما يلزم عليك أن تعيدها إلى البيت وغدا ما تتمناه تحصل عليه.

ـ حسنًا يا أمي العزيزة، سأعتني بها على الوجه الأكمل كي لا تهرب ولا يصيبها أي مكروه.

وضعت الوالدة في حقيبة الزاد الخاصة بالفتى من الطعام والشراب أكثر مما وضعت في اليوم السابق، فقد وضعت بالزجاجة مشروبًا يجعل من الولد ينام أكثر وأكثر. لكن يجب أن نعلم أننا الآن في اليوم الثالث وأن ستًا من الماعز ستلد في هذا اليوم كل منها واحدة، ويجب عليه أن يسوقها جميعًا إلى البيت.

كان كل شيء على ما يرام بالمرعى حتى الظهيرة. حلَّ وقت الظهيرة وهبت نسمة دافئة، فخلد الفتى إلى النوم مرة أخرى. لما أن استيقظ لم يجد أيًا من المعز! يا للحسرة والندامة، وظل حزينًا يندب حظه.

ـ ما الذي سيحدث في هذا اليوم؟ اليوم هو نهاية حياتي! لقد فرّت الماعز كلها، فأين عساي أن أجدها؟ فما الفائدة أن أجد واحدة أو اثنتين منها؟ ـ أثناء ذلك جالت بخاطره الفكرة التالية:

"لقد أعطاني الذئب مجموعة من الشعيرات، لأبحث عنها فربما أعثر عليها".

ظل يبحث عنها في جيبه يمينًا ويسارًا لعله يجدها. بالفعل وجدها فأشعلها كما أخبره الذئب عندما قابله، فبزغ الذئب أمامه في الحال وسأله:

ـ بماذا تأمر، يا صاحبي الغالي، ما مشكلتك؟

ـ مشكلتي عويصة للغاية... فقدت الماعز.

ـ هذه مشكلة بسيطة وربما يمكنني أن أقدم لك المساعدة. لكن كن حذرًا وحريصًا! في وسط هذه الغابة يوجد ثلاث من شجر الحور العملاق. قف هناك بجانب أوسطها لأن الساحرة الشريرة لديها قطيع كبير من الماشية. في هذا القطيع كله يوجد خمس عشرة رأسًا سوداء جديدة. يجب علينا انتقائها من بين القطيع، مع العلم أن الساحرة هي راعية الأغنام نفسها، لكن سننجح في إتمام الأمر على أية حال.

عوى الذئب مرتين بقوة شديدة فأقبلت كل الذئاب عليه. أما الولد فقد وقف بجانب شجرة الحور الوسطى. وظل ينظر بترقب عسى أن يأتي قطيع الماشية ويأخذ معزه. بدأ رفاق الذئب الصديق في مطاردة قطيع الماشية، أما راعية الأغنام فكانت تحاول ضرب الذئاب كلهم، لكنهم تحملوا ذلك. بعض من الذئاب وثبت على رقبة راعية الأغنام هذه وشدتها من معطفها تارة ناحية اليمين وأخرى جهة اليسار لكنها ظلت تحاول إبعادها بعصاها إلا أن الذئاب كانت كثيرة للغاية، فلم تفلح محاولات الساحرة معها، وانتصرت الذئاب في نهاية المطاف وأتمت المهمة المطلوبة على أكمل وجه.

ولما أن وصلوا إلى الأرض السهلية كانوا قد انتقوا من قطيع الماشية الخمس عشرة ماعزًا ولم يكترث الذئاب ببقية القطيع، فقد أخذوا المراد فحسب ووجهوها إلى ناحية الحور.

ولما أن اقتربوا من شجرة الحور الوسطى نجح الولد في ضرب أوسطها ضربة كسرت قرنها وسقطت في التو.

في اللحظة نفسها وجد الفتى نفسه في المرعى كما كان. وكان أمامه خمس عشرة من المعز الجميلة أيضًا. اختفى كل شيء آخر ولم ير أحد شيئًا. لم يشغله شاغل ولم يؤذه شيء مادامت المعز موجودة. صفر لها بصوت عالٍ وقادها إلى البيت وكان قد أمسى المساء وكان اليوم قد أشرف على الانتهاء.

ـ مساء الخير، يا أمي الغالية!

ـ فليبارك الله لك يا بني، هل وصلت؟

ـ نعم.

ـ هل المعز بخير؟

ـ نعم بخير يا أمي، كلها تمام.

ـ حسنًا، انهض يا بني، لتناول العشاء. أنا سوف أضعها في الحظيرة وأغلق عليها الباب، ثم أعود.

آه لكنني نسيت أن أخبركم بأن الذئب الرفيق قال للولد بأن عليه عندما يحين وقت الاختيار غدًا أن يختار ثلاثة من التيوس من ذوي الشعيرات الذهبية وأن يطلب القميص المتسخ المعلق هناك في الغرفة وذلك السيف المغطى بالصدأ الموجود بجانبه، وقال له الذئب أيضًا:

ـ لا تقبل بديلًا عن هذه الأشياء! ستحصل على فوائد كثيرة منها. غدًا سوف تتحسن الوالدة وتصبح إنسانة طيبة وعطوفة وتعطيك نصيحة أيضًا.

وقد كان ذلك بالفعل مثلما قال الذئب. أغلقت الوالدة الباب على المعز ولم تؤذها ثم أقبلت وهي تفكر في نفسها:

"ما الفائدة إذا ضربتها وأذيتها، فأنا نفسي كنت راعية الأغنام، ولم أستطع مجابهته. لأعطه ما يريد، وغدًا ستنتهي مدة عمله لدي."

تناولا العشاء وناما بهدوء، ولم تحدث أية مشكلات للولد حتى الصباح.

استيقظا في صباح اليوم الرابع. فقالت الوالدة:

ـ حسنًا يا بني العزيز لقد عملت لدي بكل صدق وإخلاص وحرست معزي. الآن قل لي ماذا تريد؟!

ـ أنا لا أريد أي شيء يا أمي العزيزة سوى ذلك القميص المتسخ المعلق في الغرفة على المسمار وذلك السيف المغطى بالصدأ، وثلاثة من التيوس.

ـ يا بني ماذا عساك أن تفعل بهذه الأشياء؟ بذلك القميص المتسخ القذر المعلق وذلك السيف المغطى بالصدأ، وبهذه الثلاثة من التيوس؟ فأنت لن تستطيع توفير مرعى لها لتأكل وتشرب منه.

لكن الفتى لم يوافق وأصر على طلبه، فلم يكن يلزم له سوى ما طلب. إذا كانت ستعطيه هذه الأشياء فسيكون راضيًا. ماذا كان بوسع السيدة أن تفعل فقد كان يجب عليها أن تعطيه ما وعدته به.

ـ مثلما تريد يا بني العزيز، سأعطيك ثلاثة من التيوس والقميص المتسخ والسيف الذي طلبت أيضًا.

بالفعل أعطته ثلاثة من التيوس والقميص المتسخ والسيف المغطى بالصدأ وأيضًا جوالًا من الذهب.

ـ أينما تذهب فليكن لديك من المال يا بني حتى تستطيع أن تشتري الطعام لماعزك ولنفسك، لكن كن حذرًا لأنه عندما ترتدي هذا القميص فإن لونه يتحول إلى لون جلدك لذلك لا تخلعه من رقبتك قط لأنه عندئذ يمكن لأي شخص أن يقتلك، لكن إذا كان في رقبتك، فهذا لن يحدث أبدًا! لا يوجد سيف يستطيع اختراق هذا القميص. أما هذا السيف فهو لا يُهزم أبدًا. ما عليك سوى أن تصدر له الأمر: اقطع يا سيفي! وسيفعل ذلك في الحال أيًا كان الجيش الذي يحارب. الآن سوف ترحل وستخرج من الغابة من ذلك الطريق الذي أريته لك، وهناك ستصل بسرعة إلى المدينة. في هذه المدينة يسكن ملك لديه ابنة لم تضحك طيلة حياتها أبدًا. وقد أعلن الملك في سائر أنحاء البلاد أن من يستطيع إضحاك ابنته سيزوجه منها وسيرث عرشه بعد وفاته. بعد ذلك إذا حدث لك أي مكروه فأنت تعرف مكاني. تعال بلا تردد، وسوف أساعدك في حل مشكلتك.

شكر الولد السيدة على طيبتها وانطلق مع التيوس الثلاثة، وصاح في نفسه:

ـ يا الله لدي الآن ثلاثة من التيوس من ذوي الشعر الذهبي!

وصل إلى أطراف المدينة. كان يومًا طويلًا وحارًا. كانت التيوس عطشى، وكذلك كان هو. كان في نهاية المدينة بئر حيث يذهب أبناء المدينة والأماكن المجاورة من أجل الماء. بجانب البئر يقبع حوض مياه حيث يمكن أن تشرب المخلوقات الصغيرة. في الحوض الصغير وضع الماء النقي للتيوس. قدم لها الماء وشربت كما شرب وارتوى هو الآخر. وجلس على حافة البئر يتناول بعض لقيمات الخبز.

فجأة أتت ثلاث بنات إلى البئر وفي يد كل منهن إبريق: قدمن من أجل الماء. شاهدن الفتى والتيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية. بدأن في المزاح والمداعبة واللعب معه بسرعة سائلات إياه هل يقبل أن يعطي لهن اثنين، ويبقي له واحدة؟ فيالها من تيوس خلابة الجمال! فقال لهن الفتى:

ـ هؤلاء ليسوا للبيع! لا يمكن بيع هؤلاء!

ـ قالت البنات مازحات: ماذا؟ إن كان الأمر هكذا فنحن لا تلزمنا هذه التيوس القبيحة!

وهكذا أمسكت إحدى البنات بأحد التيوس، والبنت الثانية تشبثت بالثاني، والثالثة بالثالث. أمسكن بظهورها وتشبثن بالتيوس بقوة بحيث لم يتمكن أحد من فكها. لم يتمكنوا من إبعاد أيديهن مهما حاولوا... فقد التصقن تمامًا ببعضهم البعض.

أطلق الولد العنان للتيوس ناحية الطريق، صاح قائلًا:

ـ هه، أيها التيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية! ثلاث من البنات على ظهوركم... ثلاث من البنات على ظهوركم!

وصل إلى أطراف المدينة، وفجأة إذ بسيدة عجوز تخرج مسرعة بمطرحة العيش في يدها، وشرعت في توبيخ البنات:

ـ أنتن لا فائدة منكن... أنتن كذا وكذا... أنتن تافهات! أتذهبن وراء التيوس ولا تحضرن لي الماء؟

ضربت إحدى البنات بمطرحة العيش، فالتصقت المطرحة على ظهر البنت بقوة وبقت يد المطرحة بيد الأم.

وهكذا واصل الولد السير إلى داخل المدينة فرأى أن الجمع قد احتشد ليشاهد التيوس والبنات الثلاث والسيدة العجوز وراء التيوس. فصاح الولد في نفسه:

ـ هه، أيها التيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية! ثلاث من البنات على ظهوركم... مطرحة العيش على ظهر إحدى البنات... ومتشبثة بيد المطرحة سيدة عجوز!

استمر هكذا في السير حتى وصل إلى منحنى شارع فدخل فيه فوجد أمامه مباشرة أحد رجال الخيالة فقال للولد:

ـ حسنًا أيها الرفيق قف قليلًا! أنا أود أن أعانق هذه السيدة العجوز.

رد عليه الفتى:

ـ من ناحيتي لا مانع أيها الزميل.

لم يخجل الخيال من معانقة السيدة العجوز وعانقها بالفعل. كان حصان الخيال يتابع الموقف، ولم يفهم ماذا يفعل صاحبه، فأمد أنفه إلى ظهر صاحبه فالتصقا ببعضهما البعض. وهنا صاح الفتى بعلو صوته:

ـ هه، أيها التيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية! ثلاث من البنات على ظهوركم... مطرحة العيش على ظهر إحدى البنات... على يد المطرحة سيدة عجوز... على خصر السيدة العجوز كفة يد أحد الجنود... على ظهر الجندي أنف الحصان!

استكمل الولد السير إلى أن وصل إلى محل خياط، فخرج الخياط مسرعًا وقد أحضر المقص

الكبير فقد أراد أن يحرر هذا الحصان الملتصق بكل هؤلاء، فعلى أقل تقدير سيكون لديه حصان جميل! أراد أن يقص ذيل الحصان فالتصق المقص بالحصان، والتصق الخياط بالمقص.

صرخ الولد لكن في ذلك الوقت كان الجمع يحيط به من كل جانب فرأى أن الفريق كله يسير في الشارع، وقال:

ـ هه، أيها التيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية! ثلاث من البنات على ظهوركم... مطرحة العيش على ظهر إحدى البنات... على يد المطرحة سيدة عجوز... على خصر السيدة العجوز كفة يد أحد الجنود... على ظهر الجندي أنف الحصان... على ذيل الحصان مقص... وعلى المقص خياط!

استكملوا السير مرة أخرى حتى وصلوا إلى نهاية الشارع بالقرب من قصر الملك، فكان هناك حفل زفاف. كان الغجر يعزفون الموسيقى! قفز كبير الغجر وبدأ في ضرب الخياط بآلة الكمان(١) لأنه أراد أن يقطع ذيل الحصان. وبمجرد أن ضرب على ظهر الخياط بالكمان التصقت آلة الكمان بالخياط، والتصق الغجري بها، ولم يتمكن من فك نفسه. عندئذ صاح الفتى مرة أخرى قائلًا:

ـ هه، أيها التيوس الثلاثة ذوات الشعيرات الذهبية! ثلاث من البنات على ظهوركم... مطرحة العيش على ظهر إحدى البنات... على يد المطرحة عجوز... على خصر السيدة العجوز كفة يد أحد الجنود... على ظهر الجندي أنف الحصان... على ذيل الحصان مقص... وعلى المقص خياط... وعلى الخياط آلة موسيقية... وعلى آلة الموسيقى غجري!

كان ذلك أمام بوابة القصر الملكي التي كانت مفتوحة. شاهدت ابنة الملك الفريق بأكمله وهو قادم. ابتسمت في البداية. عندما وصل الولد إلى البوابة صاح بعلو صوته بالأشياء التي يقولها، والتي أضحكت ليس فقط الملك وابنته ولكن البلاط الملكي كله قهقه بشدة لدرجة أن الجدران اهتزت من كثرة الضحك والقهقهة.

أصدر الملك أمرًا لرجال الحاشية الملكية بألا يسمحوا لهذا الفتى بالخروج من البوابة فهو سيكون زوجًا لابنته وليس أحدًا آخرًا! لم يرد الولد الهرب فلهذا السبب قد أتى في الأساس.

ثم قام بعد ذلك بتحرير الغجري بكمانه من الخياط ليذهب إلى الحفل الموسيقي لعزف

---

(١) آلَةٌ مِنَ الفَصِيلَةِ الوَتَرِيَّةِ في الآلات الموسيقية، وَهِيَ مُنْحَدِرَةٌ مِنَ الرَّبَابِ، مُكَوَّنَةٌ مِنْ صُنْدُوقٍ خَشَبِيٍّ تُشَدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَوْتَارٍ يَمُرُّ فَوْقَهَا قَوْسٌ، الكَمَنْجَةُ. "عَازِفُ الكَمان."

الموسيقى كما ترك الخياط، وكذلك رجل الخيالة مع حصانه، كما أنه أرسل المرأة العجوز إلى بيتها كي تخبز العيش والبنات إلى البئر كي يأخذن الماء.

وهكذا تحررت التيوس ذوات الشعيرات الذهبية وقد طلب الملك من رجال حاشيته أن يقودوها إلى حظيرة الحيوانات والاعتناء بها كي لا يصيبها أي مكروه.

واستدعى الملك الولد إلى القصر وبقى هناك كما لو كان ملكًا شابًا.

تزوج الولد من ابنة الملك وأقاموا حفل الزفاف.

عاشوا سعداء لأيام وأسابيع.

فجأة أتى مرسال بسرعة البرق على حصان يتصبب عرقًا، وطلب الوقوف أمام الملك في الحال لأهمية الرسالة التي يحملها، فالملك الجار قد أعلن الحرب عليه لأنه لم يزوج ابنته لابنه.

استدعى الملك زوج ابنته في الحال ليتشاورا ماذا هما فاعلان الآن، فقال الفتى:

ـ لا شيء، يا جلالة الملك! قم بإعداد ألف من الرجال ليكونوا جاهزين، لكن لن يكون هناك احتياج إليهم. على أية حال أعدهم ليكونوا جاهزين لأن الملك الآخر قد دخل بلدنا عنوة ويدمر كل ما يقابله.

ـ يريد أن ينتقم مني لأنني لم أزوجه ابنتي.

قال الملك الشاب:

ـ لا توجد مشكلة، فقط دعه يفعل ما يريد! أنا سأذهب اليوم، وغدًا سأعود إلى القصر! حتى لو جاءت بلده كلها، فلن تكون هناك مشكلة!

أعطى الملك أمرا بسرعة للصدر الأعظم(1) للدولة أن يسلح ألفًا من الرجال، وألا يزعج بقية رجال الجيش، وأن يجعلهم في وضعية الاستعداد لحين عودة زوج ابنته فهو الذي سيقودهم.

في هذا اليوم وثب الفتى على حصانه وأسرع مهرولًا إلى الوالدة في الغابة، إلى تلك السيدة التي عمل لديها في السابق. ألقي عليها التحية:

ـ مساء الخير، يا أمي الغالية!

ـ فليبارك الله لك يا بني العزيز! كنت أنتظرك. علمت أن لديك مشكلة، بل وقد قلت لك

---

(1) الصدر الأعظم: الوزير الأول أو رئيس الوزراء.

من قبل! حسنًا لا تُعر الأمر بالًا! هنا يوجد القميص والسيف اللذان نسيت أن تأخذهما معك، مع العلم أنك عملت من أجلهما. فرحتك بالتيوس أنستك هذين الشيئين. ارتدِ هذا القميص الآن، لكن تذكر أنني قلت لك ألا تخلعه كي لا يفعلوا بك ما يريدون. أما إذا بقي عليك هذا فلن يستطيع أحد مجابهتك: لا الرصاص ولا السيوف تستطيع الاقتراب منك. وهنا أيضًا السيف المغطى بالصدأ! هو سوف يلمع من تلقاء نفسه. عندما تخرجه من غمده قل فقط: "يا سيفي القوي، اقتل الأعداء!" أما أنت فتحرك فقط حيثما ترى أمامك أي شخص عدوًا وسيقوم السيف باللازم. حيثما يتجه هذا السيف فهو لا يبقي أحد من الأعداء هناك.

شكر الولد الوالدة على النصيحة. وفي صباح اليوم التالي مبكرًا انطلق عائدًا إلى القصر. ولما أن وصل كان حموه الملك العجوز ينتظره. فقال الملك الشاب:

ـ حسنًا يا أبي العزيز، يمكننا الذهاب الآن.

أصبح الجيش على أهبة الاستعداد وقد كان هو على رأس هذا الجيش. ثم قال الفتى:

ـ حسنًا فلننطلق الآن، ولنستطلع أولا من أي اتجاه يأتي الأعداء.

ظلوا يسيرون قرابة اليومين، وفي صباح اليوم الثالث تقابل مع الأعداء لكن الفتى أمر جنوده أن ينتبهوا على أنفسهم ولا يختلطوا مع الأعداء.

ـ ولما أن تقابل الجيشان كان هناك الملك العدو مع كل جنوده وكان هناك ابنه أيضًا. فجأة يرى الفتى أن أحدا يأتي قبالته. دائمًا كان في إثره يتبعه كظله في كل خطواته.

استل السيف وترك له العنان، فانطلق السيف من تلقاء نفسه. كان يسير سريعًا كالبرق. حيثما كان يتجه كان يقطع الرقاب. لم تمر إلا ساعتان وكان قد انتهى القتال، وقد سقط الملك العجوز العدو مع كامل جيشه، ولم يبقى منهم سوى واحد ليحمل الأخبار إلى بلاده بسقوط الملك بجيشه كاملًا، أما ابنه فقد وقع في الأسر ولم يقتلوه.

وهكذا عاد الفتى إلى البيت منتصرًا وفرح الملك بشدة، إلا أن زوجته لم تكن سعيدة لهذا الانتصار وودت لو قتل هو نفسه بدلًا من جيش الملك الآخر لأنها عندما رأت الملك الأجنبي الشاب الأسير شعرت ناحيته بالحب لأنه كان أميرًا حقيقيًا، وليس ملكًا من أصل فلاح.

قالت الزوجة السيئة في قرارة نفسها:

"حسنًا فلنتوقف، وسأتصرف معك بطريقتي!".

حبس الملك الأسير وأعطاه من الطعام والشراب بوفرة لكنه لم يكن حرًّا. أما زوجته فكانت

تذهب إلى الأسير العدو دومًا في السر تتحدث معه، إلى أن قال لها ذات مرة أن تطلب من زوجها بل وتتوسل إليه: أن ينزل عن كاهله السيف عندما ينام! ولا يضعه على السرير بل على الكرسي! ولا يلبس القميص، بل يلبس شيئًا آخرًا. قبلت ابنة الملك هذا الأمر ووعدته بأنها ستقنع زوجها بأية طريقة كانت.

في مساء أحد الأيام ظلت تتوسل له كثيرًا بأن يخلع القميص وينحي السيف جانبًا لأنها لا تحب أن يكون دائمًا بجانبه كي تأمر بغسله، بل ستغسله بنفسها! فأجاب الفتى:

ـ لا يلزم غسيل هذا القميص فالبقع لا تظهر فيه، ولا يبدو متسخا!

في هذا اليوم لم يخلعه، وكذلك في اليوم الثاني، أما في اليوم الثالث فلم يتحمل التوسل:

ـ لا توجد مشكلة، سأخلعه، واغسليه بنفسك!

إذن لقد قام بخلع القميص ووضعه على كرسي بجواره ووضع السيف عن كاهله ثم ناما. بالطبع لم يكن يعلم أن الملك العدو مستلقٍ تحت السرير.

لما أن راح في النوم استيقظ على أحد الأشخاص يهزه بشكل فظيع:

ـ استيقظ أيها الفتى الشرير! لقد دمرت بلادي، وأبدت جيشي، وقتلت والدي!

انتفض الفتى وهرول إلى الكرسي، لكن الكرسي كان خاليًا فقد كان السيف في يد عدوه ومرتديًا القميص المعروف. لم يقل ولا كلمة واحدة لزوجته ولم يرمش له جفن، بل طلب من زوجته والملك العدو ما يلي:

ـ أعلم أنك ستقتلني. اقتلني، لكن إذا ما قتلتني وقطعتني إربًا عندئذٍ ضعني في هذا الجوال الرديء الموجود تحت سرجي! ثم اربطوني وضعوني على ظهر حصاني واتركوه يرحل، ودعوا الذئاب تأكلني أنا وحصاني معًا!

ـ حسنًا، سأفعل ذلك، لكنني لن أرحم حياتك بعد الآن.

وهنا استل السيف وقطع الفتى إربًا إربًا، ثم أمروا الخادم بوضعه في هذا الجوال الرديء، وربطوه على ظهر حصانه وتركوه يرحل.

انطلق حصان الفتى بالفعل لكن مباشرة إلى الوالدة في الغابة حيث كان في اليوم السابق. كانت الوالدة تقف عند البوابة تهز رأسها.

ـ حسنًا يا بني العزيز، كنت على يقين أنهم سيتصرفون معك بهذه الطريقة! لا توجد

مشكلة، سيأتي الوقت الذي تنتقم فيه لنفسك، فكما تدين تدان.

أنزلت الجوال من على ظهر الحصان، ووضعته على المقعد، وسكبت سائلًا على الرأس. كان هذا هو السائل الباعث للحياة. بهذا بدأ اللحم في أن يندمل، وتشكل منه شابًا أجمل وأقوى مما كان بسبع مرات. لما أن التئمت أشلاء الفتى تمامًا أوقفته على قدمه وخبطته وقالت له:

ـ استيقظ يا بني الغالي!

وثب الفتى مرة واحدة كما لو كان استيقظ من أحلى أحلامه، وفرك عينيه بكلتا يديه. نظر حوله أين عساه أن يكون، فقالت الوالدة:

ـ ربما قد مكثت ميتًا إلى يوم القيامة ما لم يأت بك حصانك إليّ! حسنًا أعطيك الآن قلمًا، لكن احرص عليه بشدة كي لا تفقده أو يأخذوه منك! إذا أخذت بالك منه يمكنك أن تستعيد به مملكتك، وتتزوج من المرأة الوفية لك. فمن صفات هذا القلم أنك تقول له ماذا تريد فحسب، وهو عليه التنفيذ.

ـ أخذ الفتى القلم في لحظتها وودع الوالدة وشكرها على صنيعها الطيب وتحول إلى طائر مغرد، ثم طار مباشرة إلى حديقة الملك العدو. استقر به الحال على شجرة أزهار جميلة ناضجة، وهبط على أحد أغصانها وهناك بدأ في التغريد بشكل جميل للغاية.

سمع الملك أن هناك طائرًا جميلًا يغرد في الحديقة، فأمسك ببندقيته ليصطاده: إما أن يمسك بهذا الطائر أو يطلق عليه النار. لكن الطائر الصغير كان يتنقل بين شجيرات كثيفة جدًّا بحيث لم يتمكن لا من صيده ولا من إطلاق النار عليه. كان دومًا يجذبه فحسب حتى سحبه إلى خارج القصر، وكان الملك يتتبعه من شجرة إلى أخرى ومن طريق إلى آخر.

وصل إلى البحيرة وهناك تحول الطائر المغرد إلى بطة برية جميلة وخلابة. كان لها ريش جميل شديد الروعة وذيلها مجعد يذهب العقل من روعته جعلت من الملك يرغب في صيدها بلا توقف: لكنه لم يتمكن من صيدها أو قتلها، فقال:

ـ حسنًا، لا مشكلة! سوف تكون هذه هنا في الغد أيضًا، وسيكون لدي متسع أكثر من الوقت. وإن لم يكن هناك طريقة أخرى فسأسبح وراءها حتى أمسك بها!

أقلع الملك عن ملاحقة البطة وعاد إلى البيت، أما البطة فقد طارت وسبقت الملك. وصلت إلى القصر أسرع مما وصل هو إلى هناك، لكن الآن في هيئة أخرى. أصبحت البطة طائرًا مغردًا لكن بلون مختلف يتنقل من غصن إلى آخر.

فرح الملك به كثيرا، وقال:

ـ ياه، يا له من طائر جميل! سأحاول جذبه إلى هنا بطريقة ما!

لم ينجح، وهكذا ترك الطائر هناك.

ـ لن أعيره بالًا الآن! فهو سوف يبقى هنا، فقد أقبل المساء.

ذهب إلى الملكة فسألته في الحال:

ـ أين كنت طيلة النهار؟ أين وفي أي اتجاه ذهبت؟

سرد الملك القصة على مسامعها:

ـ رأيت طائرًا جميلًا وبطة رائعة أيضًا. أردت أن أمسك بهما لكنني لم أتمكن من ذلك. كلما أردت إطلاق النار عليها اختفت في الماء. سوف تكون في الغد هناك أيضًا، سأمسكها في الغد بأية طريقة أو وسيلة كانت.

تناولا العشاء، ثم ناما.

في صباح اليوم التالي عندما استيقظا كانت هناك شجرة تفاح جميلة رائعة أمام القصر. كان عليها من التفاح الجميل ما لم يره الملك من ذي قبل، وفي الحال قطف منها تفاحتين لزوجته وتباهى أمامها بأن شجرة تفاح جميلة للغاية قد نضجت أمام القصر في الليل. لتتذوقها كما هي جميلة وطيبة، فقد أكل منها واحدة. فقالت زوجة الملك:

ـ أصدر أوامرك في الحال بقطع هذه الشجرة، وأشعل النار في ثمارها حتى أصغر ذرة فيها، لأن هذه ليست إلا زوجي الأول.

ـ من أين أتيتي بهذا الاعتقاد؟ كيف يستقيم هذا الأمر وأنا قد قطعته إربًا إربًا، وقد رحل ولم يعد حتى الآن؟

ـ قالت الملكة: لكن هذا لا شيء سوى هو... إنه هو.

في الحال أصدر أوامره لرجاله:

ـ اجتثوها من الأرض بجذورها! وقطعوها إربا صغيرة وأشعلوا النار فيها!

تم وضعها من خلال العمال في المدخنة التي سوف يشعلون النار فيها حتى آخر جزء منها، لكن الشجرة كانت صلبة لدرجة أنه كان من الصعب جدًّا تقسيمها أو قطعها، وقد استمر هذا العمل حتى المساء. لقد كانت شجرة كبيرة حقًّا، وخرج منها الكثير. وأيضًا حتى المساء بقت

بعض الفتافيت الخشبية الصغيرة التي أمرت الملكة الخدم في التو بإلقائها في المدخنة ليتم حرقها بالكامل هي الأخرى. دعوها تحترق!

بعد كل هذا لم تنته الشجرة تمامًا وبقت فيها قطعة صغيرة قالت للخادمة الموجودة هناك"

ـ أنت أيتها البنت الطيبة، حققي لي رغبتي وارميني خارج البوابة بحيث لا يراني أحد.

ـ تلفتت الخادمة. لم يكن هناك أحد بالخارج، فأمسكت بهذه القطعة الخشبية الصغيرة وألقت بها خارج البوابة، أما الفتافيت الأخرى فقد أخذتها في مئزرها وقذفتها في المدخنة وقد احترقت الشجرة.

في صباح اليوم التالي استيقظ الملك واستعد لصيد البطة لذلك توجه إلى البحيرة. ظن أنه لو وجد أي طائر جميل أو تلك البطة فإنه سيمسك بها، وبالفعل وصل في اليوم التالي إلى البحيرة... يا ربي... يا إلهي... لقد كانت مليئة بالبط. كان بها الكثير... من أين أتى كل هذا البط؟! لكن أكثرها جمالًا كانت بعيدة عنها وكانت تسبح بمفردها دائمًا. التقط الملك بندقيته وأطلق النار على أوسطها فتفرقت وذهبت عميقًا في الماء إلا أن هذه البطة بالذات قد بقت على الشاطئ... كانت تتراجع. فكانت تغطس أحيانا وتعوم على السطح أحيانًا أخرى. أمسك الملك بالبندقية كي يصوب عليها، إلا أن البطة غاصت في الماء في هذه اللحظة، ثم أصبحت قريبة جدًّا من الشاطئ.

ـ قال الملك، كيف تلاعبني هذه البطة هكذا؟ سأصطادها على أية حال!

بدأت البطة في الاستحمام هناك بالقرب من الشاطئ. تلفت الملك حوله، فلم يجد أحدًا يسير هناك، فلا أحد يراه، ولم ير أحدًا. أنزل السيف من على كاهله، وخلع ملابسه. وخلع القميص من على رقبته، ووضع السيف بجانبه.

وهكذا نزل إلى الماء، لكن البطة كانت تغوص إلى داخل المياه أكثر وأكثر. دائمًا ما كانت تسبح بالقرب منه لدرجة أنه كان يمكنه اللحاق بها، لكن يده لم تطلها أبدًا. ولما رأت البطة أنه قد أصبح بعيدًا جدًّا عن الشاطئ، ارتفعت وطارت إلى الشاطئ مباشرة إلى جانب القميص والسيف. هناك انتفضت فتحولت إلى ذلك الفتى نفسه الذي كان من ذي قبل، فقط أجمل منه بسبع مرات. بالكاد تعرَّف الملك عليه.

كان أول شيء فعله بسرعة أن لبس القميص في رقبته ووضع السيف في خصره، ثم قال:

ـ حسنًا يا جلالة الملك، تعال إلى هنا الآن! ألا تعلم أن الحق يعود لأصحابه ولو بعد حين!

عندما رأى الملك هذا أوشك على الموت من شدة رعبه.

توسل إليه بأن يحتفظ به ولو كعبد يخدمه، فقال الفتى:

ـ لا، فأنت لم تحتفظ بي كأي شيء. على الأقل ستكون وجبة لذيذة للنسور.

وهكذا أمسك بالسيف وقسمه أربعة أرباع، وتركه على شاطئ البحيرة، وأخذ ملابسه كي تتعرف عليها الملكة، لكنها لما رأته أنه ليس هو الذي تنتظره ركعت على ركبتيها وتوسلت من أجل العفو والسماح. ثم قال لها الفتى:

ـ لا، يا زوجتي العزيزة! لقد تصرفتِ معي بالطريقة نفسها! لقد أعجبك أكثر هذا الذي كان أميرًا حقيقيًّا، لكنه لم يفعل لك الخير مثلما كنت أفعل أنا، فلم يحبه شعب هذا البلد. لا تستحقين الرحمة بعد الآن. لقد التهمت النسور زوجك الغالي على شاطئ البحيرة. أنت أيضًا سوف يلحق بك المصير نفسه مثل الذي لحق بشجرة التفاح الجميلة التي قطعتيها.

هنا توسلت له الملكة حتى تركها للرياح تأخذها حيثما تريد، أما هو فقد تزوج من تلك الخادمة التي ألقت به في البوابة عندما كان فتفوتة خشبية صغيرة. لقد كانت بنتًا جميلة، بل وأكثر جمالًا من الملكة نفسها، وصارت الملكة الجديدة وظل الفتى الملك لهذه البلاد.

استدعى الوالدة من الغابة كي لا تظل حبيسة هذا المكان ولكي تكون في منزلة جدتهم. بالفعل أتت الوالدة، واستعادت هيئتها القديمة وأصبحت سيدة عجوز محترمة.

أقاموا عرسًا ضخمًا. أكلوا وشربوا الكثير، وناموا، لكن متى استيقظوا فهذا ما لا أعلمه لأنني لم أسمع بذلك.

الغربان السبعة

كان يا ما كان، في سائر العصر والأوان، كانت هناك سيدة في هذا العالم لديها سبعة من الأبناء.

ثم بعد هؤلاء الأبناء السبعة أنجبت فجأة طفلة جميلة وجذابة.

ذات مرة وبينما كانت تتجول في القرية وجدت الأم أن أبناءها الذكور يخرجون لتوهم من إحدى الحانات[1].

غضبت عليهم فلعنتهم قائلة: "فلتتحولوا إلى غربان، بسبب ذهابكم إلى الحانة."

وبمجرد أن قالت هذا تحول الأبناء السبعة إلى غربان يحلقون فوق رأسها.

أما هي فعادت إلى المنزل.

شبت الفتاة الصغيرة قليلًا، وأصبحت جميلة، مثل أمها. ورأت أن أمها دائما تبكي فسألتها.

ـ لِمَ البكاء يا أمي؟

ـ لا تسأليني، لِمَ أبكي! فلن تستطيعي مواساتي.

ـ ولما لا يا أمي، ربما أستطيع أن أفعل لك شيئا! قولي لي فحسب، وسترين أن الوضع سيتحسن!

ـ سأقول لكِ يا ابنتي، ما دمت تصرين، لكنني أعلم أنه لا جدوى من القول. هل تعلمين أنكِ عندما وُلِدتِ كان لديكِ سبعة من الإخوة ممن يكبرونكِ سنًا، وقد ذهبوا إلى الحانة ذات مرة، فلعنتهم: "فلتتحولوا إلى غربان، بسبب ذهابكم إلى الحانة." وتحولوا إلى ذلك فعلا، وطاروا، ومنذ ذلك الحين وهم كذلك لا خبر ولا أثر لهم، ولا أعلم عنهم شيئًا.

قالت السيدة ذلك، وسقطت في بكاء مرير، ودت البنت أن تواسيها، لكن الوضع ازداد سوءًا، وانهمرت في البكاء أكثر وأكثر. وفي صباح ما قالت البنت لأمها:

ـ أمي الحبيبة! اطهي لي فطيرة! سأذهب للبحث عن إخوتي الكبار.

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟ مع العلم أنك لا تعلمين أين هم، وفي أي اتجاه ستبحثين عنهم!

---

(١) حانات: المفرد حانة وهي دُكّان بائع الخمر، بار، خمّارة.

عقدت البنت العزم، ولم تقف أمها في طريقها كي لا تذهب. طهت لها بعض الكعك، وانطلقت.

ذهبت الفتاة وسارت وواصلت المسير في الاتجاه المغاير لبلاد العجائب السبع.

في طريقها تقابلت مع ذئب، ووقف الذئب أمامها في الطريق، فارتعدت الفتاة بشدة.

ـ لا تخافي مني أبدًا، أيتها البنت الطيبة، لن أقبل على أذيتك، لكن أعطني لقمة من الطعام لأنني جوعان لدرجة أنني فقدت توازني!

تشجعت الفتاة، وأخرجت من حقيبتها كعكة وأعطتها له، فأعطي لها في مقابل ذلك صفارة إذا ما وقعت لها مشكلة من أي نوع، فلتنفخ فيها فحسب، وهو سيأتي في التو واللحظة لتقديم المساعدة.

وهكذا تفرقا عن بعضهما البعض.

واصلت البنت السير، وأثناء الطريق تقابلت مع أحد الثعالب.

ـ اسمعي أيتها البنت الطيبة ساعديني على أن أستدير إلى جانبي الآخر، فمنذ قرابة السنوات السبع أتعذب من جانبي هذا. افعلي خيرًا، تجدين خيرًا!

أسفت البنت على حاله، وعدلته، وأعطته كعكة مما معها، ثم أسقط الثعلب مجموعة من الشعر، وأعطاها إياها، فقال لها إذا كانت في حاجة إلى مساعدة، فلتقطعها إلى جزأين، وسيظهر أمامها في الحال. وضعت البنت ذلك معها أيضًا.

للمرة الثالثة وبينما هي تسير إذ يطلب منها عصفور صغير من أحد الأغصان أن تعطيه كعكة هو الآخر، فلبت طلبه. فأصبح العصفور ممتنًا لها حافظا لها الجميل وقال: "إذا وصلتِ إلى البحر الأحمر، ستسقط أمامكِ شجرة تفاح خذي تفاحة واحدة جميلة. التقطيها، وتناوليها، وخذي بذورها، واقذفيها في الماء!"

شكرت الفتاة العصفور الصغير على إرادته الطيبة، وانطلقت، لكن منذ تلك اللحظة والعصفور الصغير لا يفارقها قط.

أشرقت الشمس عدة مرات، وكذلك غربت مرات كثيرة، إلى أن وجدت البنت نفسها فجأة وبعد وقت طويل قد وصلت إلى نهر الدانوب. تحاول وتجرب العبور، لكنها لم تستطع.

مدت يدها في جيبها وأخرجت الصفارة، ونفخت فيها فظهر الذئب في الحال وقال:

ـ بما تأمرين؟ ها أنا ذا هنا قد جئت.

حكت البنت مشكلتها، فأخذ الذئب منها الصفارة، ونفخ فيها هو أيضًا، فأقبلت ذئاب عديدة من إلى هناك. واصطفت مباشرة على مجرى نهر الدانوب، ولم تعلم الفتاة ماذا ينتظرها.

ثم رأت بعد ذلك أن كل ما تم ليس إلا لتتمكن من العبور! لقد سارت على ظهور الذئاب بحيث أن طرف حذائها لم يلمسه الماء.

لقد عبرت الدانوب، لكن من الآن فصاعدا ستأتي الطرق الأكثر صعوبة!

سارت وواصلت السير إلى أن تعبت عندما وصلت إلى البحر الأسود(١). فكيف لها أن تعبر هذا أيضا؟ على كل فقد خطرت ببالها فكرة، حيث فكرت في مجموعة الشعر، فقطعتها، ومن ثم ظهر الثعلب في التو واللحظة.

ـ بما تأمريني، يا صاحبتي العزيزة؟

ـ أريد أن أعبر البحر الأسود، لأن لدي طريق كبير ممتد.

جعل الثعلب لها البحر منزلقا، وقذفها فوصلت إلى المنتصف مرة واحدة، ثم قال للبنت: "حسنًا، انهضي!" عندما كانت الفتاة في منتصف البحر، لف الثعلب ثم حملها إلى الشاطئ الآخر للبحر، كي تتمكن الفتاة من العبور من دون أدنى مشكلة على ذيله، كل هذا والعصفور الصغير لم يبتعد عنها ولو للحظة واحدة.

وفجأة وصلت البنت إلى البحر الأحمر. على شاطئه تقع أمامها فجأةً تفاحة. تبدأ في تناولها وتقذف ببذورها في الماء. ومن البذور التي ألقتها أصبحت هناك مراكب رائعة جميلة. ركبت في أحداها وحملها إلى ما وراء البحر الأحمر.

كان هناك على الشاطئ جبل كبير على قمته بيت صغير. هنا يقول العصفور الصغير الوفي للفتاة:

ـ أنت ستبقي هنا في هذا المنزل الصغير، لكن لن تتمكني من الصعود إلى هناك أبدًا من تلقاء نفسك، إلا أن هناك بجعة في أسفل الجبل، اجلسي على ظهرها وتمسكي في رقبتها، ولا تخافي، وهي ستوصلك!

---

(١) البحر الأسود: بحر يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى يتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة.

وقد كان. جلست عليها الفتاة، وأوصلتها البجعة.

دخلت إلى المنزل الصغير، وتلفتت يمينًا ويسارًا. أخرجت مفرش المائدة، ووضعت عليه سبع كعكات، ثم اختبأت أسفل السرير. في المساء تعود الغربان إلى المنزل ينظرون يمينًا ويسارًا ويتساءلون ويتشاورون من أتى إلى هنا: لكن لم يخمنوا، وهكذا فقد ناموا وفي الصباح خرجوا من المنزل.

في اليوم التالي حدث الشيء نفسه، فرشت البنت واختبأت تحت السرير، ووجد الغربان ذلك الآن أيضًا، لكنهم لم يذهبوا إلى أي مكان.

في اليوم الثالث أكلت الغربان الكعك، والبنت اختبأت تحت السرير كالعادة وقالت لهم:

ـ هل عرفتموني؟

قالت الغربان.

ـ وكيف لا نعرفك، أنت أختنا! لكن عليكِ أن تعلمي أنه لا بقاء لكِ بيننا، لأنه إذا أتى ملك الغربان إلى البيت سيمزقك. اذهبي وحافظي على جمالك!

كانت الفتاة قد عقدت العزم على ألا تذهب ما لم تحررهم! لذلك قالت للغربان:

ـ هذا مستحيل، لأنه يجب الصمت وعدم الكلام سبع سنوات وسبع ساعات وسبع دقائق، وخلال هذه الوقت لا تتفوهي ولا حتى كلمة واحدة يتيمة. أنت لن تتحملي هذا الأمر!

ـ ولم لا أحتمله! ـ تقول البنت. ـ سأحاول!

وهكذا ودَّعت الغربان، وذهبت، حيث رأت عينها.

قادها طريقها إلى منطقة ذات سيادة كبرى... وجدت كومة قش... اختبأت بداخلها... كانت هناك وحيدة... لم تأكل ولم تتحدث إلى أحد. لا فائدة أن يأتي الكلب السلوقي(١) للملك بالطعام، فهي لم تنظر ولم تمد يدها إليه.

لكن ذات مرة يلاحظ الخيال أن الكلب السلوقي الذي يحصل على الطعام يحضره كله إلى كومة القش. لمح ذلك، ورأى أن بداخل الكومة هناك فتحة، وبالفتحة بنت جميلة تختبئ، فأخبر الملك في الحال بما رأى. ذهب الملك إلى هناك، ونادى على الفتاة عدة مرات، لكنها التزمت

---

(١) السلوقي: نوع من كلاب الصيد. أسرع الحيوانات ذات القوائم الأربع بعد الفهد الصياد، حيث تصل سرعته إلى ٨٠ كم تقريبا، وهو أطول نَفَسًا من الفهد إذ يجري لمسافات طويلة من دون تعب، ويتحمل مشقة المطاردة في مختلف الظروف.

الصمت، ولم تتفوه بكلمة واحدة. اعتقد الملك أن الفتاة صمّاء، لكنه لم يبال بصممها، وتزوجها.

أصبح لديهما طفل جميل خلال وقت قصير.

لكن كان في البلاط الملكي ساحرة شريرة حسودة، وقد غضبت على زوجة الملك الصماء بشكل رهيب، لذلك أرادت أن تجعلها تستعيد النطق بكل ثمن.

طلبت منها الطفل الصغير ذات مرة وأنامته في سلة من الخوص ووضعته في النهر، وقد حمل النهر السلة وبها الطفل بعيدًا.

وذهبت الساحرة الشريرة إلى الملك وقالت له:

ـ ماذا تستحق تلك السيدة التي تلقي بابنها فلذة كبدها في مياه النهر؟

عندئذ اعتقد الملك أن على زوجته أن تقول شيئًا، لكنها لم تقل أي شيء، فقط ما قاله:

ـ سأنتظر إلى أن تتجلى الحقيقة.

وولد للملكة ابن ثانٍ وثالث، وقد أخفتهم جميعهم الساحرة الشريرة في الماء، لكن لحسن الحظ عثر عليهم كلهم من لم يكن ينجب.

إلا أن الغربان قد رأت ولادة الأطفال، وأن عامل الطحين عثر عليهم واحدا تلو الآخر.

لكن ماذا كان عليه أن يفعل الملك في نهاية المطاف فقد صدق فعلا أن زوجته هي من أغرقت الأطفال، وعقابا لها جعلوها تحمل تسعًا وتسعين عربة من الأخشاب لإشعالها وقد أمر بإلقائها في النار عندما تتوهج النار تماما.

أشعلوا المشعل، وأحضروا الزوجة، وعندما أرادوا أن يقذفوا بها على الجمرات النارية، كانت قد انقضت مدة السبع سنين والسبع ساعات والسبع دقائق. كان الغربان السبعة يحومون حول النار عند رؤية الحقيقة، فارتجفوا واهتزوا وتحولوا جميعهم إلى شباب جميل.

بعد ذلك حكوا أن زوجة الملك هي أختهم، وهي حتى هذه اللحظة لم تتحدث لأنها أرادت أن تحررهم من اللعن، أما عن أولادها الذين ألقتهم الساحرة في الماء فقد كانوا جميعهم عند أحد الطحانين، فقد التقطهم من الماء ومنذ ذلك الحين وهو يربيهم تربية حسنة.

تحررت زوجة الملك، واستعادت الأولاد من الطحان.

أحضرت زوجة الملك أمها، أما عن أخوتها السبعة فقد ذهبوا إلى منزلهم. وما زالوا يعيشون سعداء حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهم الله.

ممسك الرياح "كلامونا"

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام في سالف العصر والزمان، كان هناك ملك. لم يكن هذا الملك ملكا عاديًّا وإنما امبراطور يعمل تحت إمرته ملوك هو قائدهم. كان شابا جميلا وقويًّا، ولم يكن له زوجة. كان بينه وبين نفسه يفكر في ألا يتزوج. كان يفكر دوما فيم سيفعل مع زوجته إذا تصرفت مثلما تتصرف باقي الزوجات مع أزواجهن عندما تنشب الخلافات. مرت الأيام وانقضى الوقت. ذات مرة أحاطت به السيدات العجوزات من كل جانب وأخذن يعرضن عليه كل الجميلات وظللن يشجعنه حتى تزوج في نهاية المطاف. لم يحزن بسبب هذه الخطوة على الإطلاق. وكم كان سعيدا عندما رزق بنتًا! كانوا يعيشون في قمة السعادة والفرح ولم تحدث مشكلة من أي نوع. بعد فترة ولد لهم ابن. عندها كانت السعادة أكبر وأكبر.

ولكن لم تدم سعادتهم طويلا، لأن الخبر انتشر في البلاد أن "كلامونا" يسير في البلاد ويطلب من الملوك بناتهم، وإذا رفض أحدهم إعطائه بنته يعاقبه ويفعل ما يندمون عليه. وقد عرفوا أن هناك بنات ملوك قد أخذهم "كلامونا" فعلًا.

كان "كلامونا" شيئًا غريبًا لم يعرف أحد إن كان إنسانًا أم حيوانًا. كان لديه فم إذا تثاءب، تستطيع عربة محملة بالسباخ أن تدخل وتدور بداخله. من البداية الجميع خائف منه للغاية، وعم الخوف بعد السعادة والفرح.

فى ليلة سيئة أتى "كلامونا" إلى الملك فلم يفتحوا الباب. عندئذ أدخل "كلامونا" رأسه من المدخنة وأخرج رأسه من طرفها. ودار بينه وبين الملك حوار قال الملك له فيه:

- لا يوجد لدى بنات لأعطيها لك.

غضب "كلامونا" وأجاب على الملك قائلًا:

- إذا لم يكن لديك بنات تعطيها لي ستندم، ليس أنت فقط، بل العالم كله، لأنك أنت كبير الملوك وكلهم يعملون تحت إمرتك! سأريك ماذا سأفعل: لن يكون هناك مطر حتى تعطني ابنتك. علاوة على ذلك سأذهب وأربط الرياح من الجهات الثلاث ماعدا جهة الشمال حتى تتجمدوا في الشتاء وتموتوا من الجوع!

وهكذا انسحب "كلامونا" من المدخنة مملوءا بالغضب مما حدث.

لم يصدق الملك التهديد، ولكن بسرعة حدث ما هدد به "كلامونا". قبل الحصاد توقفت الرياح فلم ينضج القمح. لم يعرف الناس لماذا لا تأتي وتذهب الرياح حتى ينضج القمح كما كان

الحال في الماضي دوما. كل يوم كانوا يتابعون القمح ولكن لم يتحول لونه إلى الأصفر ومن ثم لم ينضج. لم يكن من فراغ ما توصل إليه القدماء! ينضج القمح عندما تمر عليه الرياح الخفيفة ويسقط عليه بعض المطر أيضا. بعد أن زرعوا الأراضي لم تكن هناك رياح كى ينزل المطر الدافئ، فكيف ينزل المطر في عدم وجود الرياح.

فقط الملك يعرف حقيقة عدم وجود رياح وأمطار. خاف أن يقول لهم فربما يضغطوا عليه حتى يعطي ابنته لـ "كلامونا".

أتى الخريف، ولم يكن في حاجة إلى حصد الذرة، بما أنها لم تنضج من الأساس، بل ولم يتمكنوا من زراعة الأرض ثانية لأنها كانت جافة لدرجة كبيرة جدًا.

بعد ذلك أقبل الشتاء.

أتى يوم نادرا ما يحدث فكانت الأرض متجمدة حتى إن البطاطس تجمدت تحت الأرض. كانت الرياح تهب من الشمال فقط بشدة لدرجة لا يمكن ايقافها. كان الملك يمتلك خزينا من الذرة يكفيه للسنة المقبلة وكذلك القمح، وبالتالي فهو لن يجوع. مع ذلك كان حزينا من أجل حال شعبه، ولم يستطع أن يخفي سر الضيق الموجود في البلاد أكثر من ذلك. لذلك أعلن أن من يستطيع أن يطلق الرياح مرة أخرى سيزوجه ابنته.

كانت الأميرة ابنة الملك رائعة الجمال حقًا. أراد كثير من أبناء الملوك أن يفوزون بها من خلال تحقيق حلم الملك، لكن لم يعرفوا ما السبيل لتحقيق هذا الأمر.

كان يسكن هذه البلد رجل له أبناء شجعان. أما الابن الأصغر فقط هو من كان مختلف عنهم، فلم يستطيعوا الاستفادة منه قط، لأنه دائما ما يخطئ ولا يفلح في شيء. لذلك سموه "المخطئ". لكن الإنسان المخطئ لا يظل يخطئ طيلة العمر، فسيأتي الوقت الذي يتغير فيه إلى الأفضل إن كانت لديه الرغبة في ذلك!

في صباح يوم ما قال هذا "المخطئ" لأمه، وهى ذاهبة إلى الملك تطلب منه الدقيق:

ـ أمي الحبيبة، سأذهب معكِ لأقول للملك، إننى من سيفك قيد الرياح.

ويخته أمه لكي لا يفقد عقله ويخبر الملك بما يريد من هراء. لم يترك "المخطئ" هذه الفرصة. انطلق مع أمه حتى وصلا إلى مدينة الملك. سألا أين يسكن الملك، فلم يدلها أحد فظلا يمشيان ويمشيان حتى وجداه في النهاية. دخلت السيدة إلى الملك، وكان "المخطئ" وراءها. قالت السيدة ما الذي أتى بها إلى هنا فرد عليها الملك قائلا:

ـ ليس هذا ممكنا الآن يا سيدتي لأن كثيرين طلبوا الدقيق وأخذوه. إذا أتيت قبل قليل كان من الممكن أن تأخذي منه، لكن للأسف لا يمكنني إعطائك الآن.

أرادت السيدة الخروج وفجأة سمعت صوت بكاء في الغرفة المجاورة يأتي من طفل فسألت الملك:

ـ ما المشكلة؟ ما الذي يجعل الملك الصغير يبكي؟

ـ لا تقلقي أيتها السيدة، إنه يبكي طوال الليل والنهار ولا نعرف ماذا نفعل معه. أكثر من طبيب رآه وأجمعوا أنه سيظل هكذا.

ـ سأداويه حالا.

هكذا دخلت السيدة إلى الطفل. أما "المخطئ" فقد ظل في الخارج.

لما أن دخلت والدته لمداواة الطفل الباكي، ذهب إلى الملك ليقول له إنه سمع أن جلالة الملك سيزوج ابنته لمن يفك قيد الرياح، وأنه سيذهب ليؤدي هذه المهمة. وعلى هذا قال الملك:

ـ هذا الأمر صعب للغاية ومن الصعب للغاية تحقيقه، يا بني!

لم يجب "المخطئ" بشيء. أما والدته في الغرفة الثانية فقد طلبت ماء دافئًا، ووضعت فيها الطفل للاستحمام. هكذا فجأة راح الطفل في سبات عميق، ففرحت الملكة والملك في الحال وأصبحوا سعداء للغاية.

وخلال لحظات معدودة أمر الملك بتجهيز ثلاث عربات من القمح والغلة للسيدة التي ركبت مع ابنها وعادت إلى بيتها. تناقشت الأم و"المخطئ" حول إن العلف موجود الآن لكن ليست هناك خنازير تتغذى على هذا العلف. فقال لها ابنها:

ـ "لا تقلقي سيكون لدينا خنزير أيضا!"

فور وصولهم إلى المنزل وضعا أمتعتها واستراح "المخطئ". استيقظ الفتى في الصباح، وذهب إلى الغابة، لكي يأتي بخنزير. وبمجرد أن دخل الغابة، وجد دبًا كبيرًا يبكي: لا يستطيع أن يمشي لأن ذيله انحشر تحت إحدى الأشجار، لذلك أول ما رأى "المخطئ" استنجد به كي يخلصه، وقال له إنه لن يندم على مساعدته. قال للدب مازحا:

ـ اشكرني على ما فعلت بسرعة، حشرتك أكثر وأكثر.

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا؟

ـ قال "المخطئ": أبحث عن خنازير.

ـ حسنا فإن أبى هنا يحرس الخنازير الوحشية. هو سيعطيك ثلاثة أو أربعة خنازير، إذا قلت له إنك أنت الذي حررتني وأنقذتني من مشكلتي. وصلا إلى هناك بسرعة، نفخ الدب الكبير في الصفارة فحضرت الخنازير إليه! عندما رأوا "المخطئ" وقف شعرهم لأعلى.

قال الدب:

ـ اختر ما تريد.

قطع "المخطئ" بعضًا من نبات الزعرور البري النامي بطريقة رهيبة ثم اختار ثلاثة خنازير ليسوا كبارًا في السن وقادهم أمامه إلى المنزل. عندما رأوه المارة في الطريق تعجبوا، وبدؤوا يلسنون عليه قائلين:

ـ احتمال أن الفتى المدعو "المخطئ" فقد عقله!

وصل البيت وأدخلهم إلى الحظيرة. لكن إخوانه قالوا:

ـ بما أنك من أحضرتهم، أطعمهم أيضا. نحن لن نعطيهم أكلًا ولا مرة واحدة حتى لو ماتوا أمام أعيننا.

ـ لن أعتمد عليكم، فلو اعتمدت عليكم فلن يسمنوا قط.

انتظر إخوانه حتى موعد أكل الخنازير. أرادوا أن يروا ماذا سيفعل، وكيف سيطعم الخنازير، لأنه حتى هذه اللحظة لم يطعم لا بقرة، ولا خنزير. في الظهيرة أخرج الوعاء ووضعه أمامهم، ثم دخل إلى الغرفة وأحضر ثلاثة أجولة من الذرة، ووضعها في الوعاء. ذهب إليه أحد الخنازير ووقف أمامه فأخذ يطعمه في فمه وأطعمه الجوال كله، وحضر الثانى ففعل معه مثلما فعل مع الأول، أما الثالث فكان نائما فظن أنه غير جائع ـ فكر هكذا "المخطئ". أتى موعد وجبتهم الثانية والخنزير الثالث لم يقم من مكانه. فكر "المخطئ" أن يذهب ويراه احتمال يكون مثل الثعالب. المهم دخل إلى الحظيرة وأراد أن ينظر في فمه، فقال له الخنزير:

ـ أنا لست خنزيرًا، دعنى أرتاح، سأكون في خدمتك، لأنني حصان من الفصيلة الشامانية. أحد السحرة سحرنى هكذا ومن ينقذنى أنفذ له ما يريد مني وأخذه إلى حيث يريد. فقط دعنى وأتركنى من هذا الطعام.

فعل ما طلبه منه. أما الخنزيران الآخران فسمنا وكبر حجمهما لدرجة أن المرء عند رؤيتهما يظن أنه وضعوا عليهم اللحم. ليس عجبا أن يأكلوا جوالين من الذرة في كل وجبة. جاء العيد

وقام "المخطئ" ووالداه بذبح الخنزيرين. كان لابد من توسيع باب الحظيرة لأنهما لم يستطيعا الخروج من الباب من كثرة اللحم والشحم الذي كان عليهما، ثم وضعهما على عربة وخرج بهما وأعطى لكل من في القرية من لحومهما، ومع ذلك ظل الفخذان كاملين لأسرة "المخطئ".

عندما أتى الربيع، قال الخنزير الثالث الذي يقول عن نفسه إنه حصان من الفصيلة الشامانية لـ "المخطئ":

ـ جهز نفسك، لأننا غدا سنمضي! املأ حقيبتك بالزاد. قل للجميع، إنك ستأخذني إلى السوق.

هكذا فعل المخطئ. قال لأمه إن هذا الخنزير لا يكبر ولا يسمن وقد قرر بيعه، وأنه سيأخذه في اليوم التالي إلى السوق. خبزت والدته له بعض الكعك في الفرن وأخذها "المخطئ" معه وكذلك الخنزير. ربط بحبل، وأمسك بيده عصاة ليقوده بها. عندما وصلا إلى آخر القرية هز هذا الخنزير نفسه وانتفض فإذا به حصان جميل لم ير أحد مثله من قبل.

كان عليه سرج ذهبي. ثم قال للمخطئ:

ـ داخل السرج توجد حقيبة بها ملابس ذهبية، ارتديها كي تظهر عليك الفخامة.

لبس "المخطئ" الملابس، وأصبح كالفرسان حقًا.

عندها سأل الحصان

ـ ماذا تأمر، يا مالكي العزيز؟

أجاب عليه "المخطئ" قائلا:

ـ أريد أن أحرر الرياح.

فكر الحصان قليلا، ثم أجاب قائلًا:

ـ هذا عمل مضنٍ، ولكن سنفعله إن أمكن. اركب، ولا تهتم بشيء آخر فقط تشبث جيدا.

هكذا انطلق الحصان كما الرياح الدائرة.

بدأ المخطئ يمل من طول السفر فسأل الحصان:

ـ إلى متى سنمشي، لأن السرج يضايقني. لست معتادًا عليه.

- سنذهب إلى ملك كسالى[1] لنسأله في أي اتجاه نمشي لنصل إلى المكان المربوطة فيه الرياح، لأنني لم أذهب إلى هناك من قبل، ولا أعرف الطريق.

أخذ المخطئ يتحرك ويتزحزح على السرج يمينا ويسارا، لدرجة أن ملابسه الذهبية كادت تتمزق، بل وجرح أيضًا. سافرا ثلاثة أيام وفجأة وقف الحصان ثم قال:

- وصلنا، الآن بإمكانك النزول. خذ خفنة تراب وأفركها على جروحك وستلتئم في أقل من ثانية.

فعل "المخطئ" ذلك فحدث ما قاله الحصان بالتمام والكمال. وبعدها نظر حوله. فوجد أنه أمام صخرة عملاقة. فوق قمة الصخرة جلس الملك بأرجله الكبيرة وبأظافره العملاقة، وأمسك بثور يبلغ من العمر ثلاث سنوات وقطعه ليتناوله كله على العشاء. سأله الحصان، من أين الطريق الذي يبحثان عنه حيث يمكن فك الرياح. فقال لهما:

- يمكنني أن أريكما الطريق، ولكنى لا أعرف إن كنتم ستصلان إلى هناك أم لا، لأن العفاريت لديها مسابقة جري هناك، لأن هناك اختيار ملك العفاريت الآن، فمن يربح مسابقة الجري هذه سيكون ملك العفاريت.

- هذا الأمر لا يهمنا كثيرا. قل لنا فحسب أين الطريق.

بالفعل أرشدهما هذا الملك عن الطريق المطلوب.

بعد ذلك انطلق الحصان وعند وصولهما إلى هناك وجدا كمًّا هائلًا من العفاريت، بحيث لم يتمكنا من رؤية الطريق من كثرتهم.

انتظر الحصان حتى يبدأ السباق. وانطلقت العفاريت كلها، إلا واحد فقط ظل هناك.

عندما أراد الحصان أن ينطلق وقف في طريقه هذا العفريت الذي ظل هناك عند نقطة الانطلاق ولم يجر مثل بقية العفاريت، وقال لهما دعوني أركب معكما لعلي أصل قبل الآخرين وأصبح أنا الملك.

وإذا أصبح هو الملك، سيكون على استعداد لمساعدتهم! رفض الحصان في البداية لاعتقاده أن الاثنين معا سيشكلان حمولة ثقيلة عليه، لأن العفريت وحده يزن ثلاثمائة كيلو جرام على الأقل. قال "المخطئ" دعنا نأخذه لربما نكون في احتياج إليه في المستقبل وهكذا ركب العفريت

---

(١) ملك يرد ذكره في الحواديت المجرية كناية عن القوة والضخامة وسعة المعرفة.

خلف "المخطئ". انطلق الحصان وسبق كل العفاريت وانتهى السباق لصالح هذا العفريت الذي ركب معهما. وهكذا أصبح هذا العفريت هو الملك.

بعد ذلك تابعا طريقهما وانطلق الحصان بسرعة كالرياح. فجأة سمع "المخطئ" صوت سلسلة؛ فسأل الحصان:

ـ ما هذا؟

ـ هذا صوت السلاسل المربوطة بها الرياح! لا يستطيع أحد قطعها بأية حال. ومع ذلك ما زالت المسافة طويلة.

ـ نحن أوشكنا على الوصول.

ـ لنقف بعض الشيء لنستريح ونأكل. نزل المخطئ وأخرج الفطير والكعك، ثم أكل وشرب حتى شبع هو والحصان.

انطلقا من جديد. أما هذه المرة فجرى بسرعة البرق، بل وربما أسرع منه. مشيا تقريبا ثلاثة أسابيع حتى وصلا إلى هناك، حيث كانت الرياح مربوطة. كان عليها سلسلة كبيرة، كل حلقة منها مثل الحوض الضخم. عندما رأتهما الرياح طلبت منهما أن يفكا القيود. قفز "المخطئ" وحاول فكها، ولكنه لم ينجح. ثم قال الحصان:

ـ عند هذا الحد لا نعرف ماذا نفعل، علينا العودة إلى الملك لكي نسأله أين قصر "كلامونا". بعد ذلك سيدي "المخطئ" عليك مصارعته، وهكذا فقط نستطيع أخذ مفتاح القفل منه أو نأخذه هو نفسه ليفتحه.

رجعا من الطريق نفسه الذي أتيا منه بسرعة كبيرة. فجأة قال "المخطئ" للحصان:

ـ يا ليتنا نلتقي مع هذا العفريت الذي جعلنا منه ملكا؛ كان قد أبدى استعداده أن يرد صنيعنا الطيب له.

ما لبس أن قال جملته، فإذ بالعفريت واقف أمامهما ويسألهما:

ـ لم تتمكنا من فك الرياح؟

قال المخطئ:

ـ معك حق! لم نتمكن من ذلك.

ـ إلى أين ذاهبان؟

ـ نحن ذاهبان للبحث عن "كلامونا" لكي يفتح القفل.

قال العفريت:

ـ ولكن لابد من مصارعته.

أجاب "المخطئ":

ـ ليست مشكلة.

ـ إذا سأوفي بوعدي وأساعدكما كما ساعدتماني لكي أكون ملكا. تعالا ورائي!

بهذا انطلق الحصان. ولما أن وصلوا إلى المكان المنشود، صفر العفريت فأقبلت العفاريت إليه فقال:

ـ تعالوا إلى هنا، يوجد حجر كبير أمام هذا الباب. ابعدوه عن هنا!

فعلوا ما طلب منهم. ثم أمر الملك العفاريت بالإنصراف بعد ذلك فانصرفوا. ثم دخل هو و"المخطئ" إلى مخزن الأسلحة وأخذ منه سيفا حادا من الفولاذ وأعطاه لـ "لمخطئ" كي يحارب به "كلامونا" ثم قال:

ـ أعطيتك هذا السيف لأنك تستطيع تمزيق "كلامونا" به، تماما كما تقطع اللحم.

حمل "المخطئ" السيف وخرج إلى الحصان الذي كان يأكل حتى شبع من الحبوب. ركب "المخطئ" عليه، ومشيا بسرعة كلمح البصر، بل وربما أسرع من ذلك. ذهبا إلى ملك كسالي ثانية ولما رآهما سألهما عن سبب زيارتهما هذه المرة، فأجابه الحصان قائلًا:

ـ لا شيء. الآن نريد الذهاب إلى "كلامونا"، لكن لا نعرف الطريق إليه.

وصف لهم الملك في أي اتجاه عليهما أن يسلكاه. ركب "المخطئ" ثانية على ظهر الحصان، ومشى به سريعا كالموت عندما يباغت الإنسان، بل وربما أسرع من ذلك. مشيا أكثر من ثلاثة أسابيع، ثم فجأة رأى "المخطئ" على بعد شيئًا يلمع يلوح في الأفق فسأل الحصان:

ـ ما هذا؟

ـ هذا قصر "كلامونا"! كان من مشيدا الجواهر. لابد من الذهاب إليه. بعد ثلاثة أيام أخرى سنصل إلى هناك. فقط انزل الآن لنستريح ونأكل بعض الطعام.

نزل "المخطئ" ورفع السرج من على الحصان، وأحضر حقيبته وأكلا وشربا. بعدما أكلا انطلقا مجددا لاستكمال طريقهما. ولما أوشكا على الوصول إلى مكان "كلامونا" سأل الحصان "المخطئ":

- هل لديك الشجاعة لمحاربة "كلامونا"، يا سيدي؟

- نعم لدي.

- لكني عرفت أنك لم تمسك سيفًا من قبل.

- لكن هذا العفريت الذي جعلنا منه ملكا أعطاني سيفًا، وقال إن هذا يقطع تماما مثل السكين في اللحم. أليس جيدا أننا أركبناه معنا؟

- إنه لسيف قيم حقًّا على الرغم من ثقله!

أصبحا قريبين من قصر "كلامونا"، عندئذ قفز الحصان قفزتين وأصبحا أمام البوابة. ثم نزل "المخطئ" من عليه فقال الحصان:

- أنا سأظل هنا. كما أرى هنا يوجد عشب وحبوب بما فيه الكفاية. سآكل حتى أشبع.

دخل "المخطئ" القصر. عندما دخل رأى أن بداخله يوجد قصر من الثلج يحيط به سيدات كثيرات بملابس قديمة. ذهب إلى أعلى. بينما كان يمشي كان يسمع صوتًا جميلا لخطواته داخل القصر. لأول مرة صوت حذاءه كان جميلا. كان كلما مشى يغلق وراءه الباب ويفتح الباب الآخر. حتى عينيه لم تر مثل هذه الأشياء الموجودة بالقصر من قبل. كانت تجلس هناك امرأة فائقة الجمال: إنها زوجة "كلامونا". لم ير مثل جمالها في حياته قط. قالت السيدة له:

- تفضل بالجلوس، أيها الفارس. كيف أتيت إلى هنا؟

- في الواقع كانت هناك بعض الصعوبات، لكن لا مناص من الوصول إلى هذا المكان لأن عندنا في بلدنا لا يوجد مطر فالرياح أمسكها "كلامونا". لذلك وجب الوصول إلى هنا.

- لكن زوجي يقتل أي إنسان حتى وإن كان أخاه ابن أمه وأبيه، أيها الفارس.

قال "المخطئ":

- نعم، هذا إذا ترك الإنسان منا نفسه له.

- إنه قوي جدًّا! ليس هناك إنسان يستطيع مجابهته.

- حقيقي أنا لست قويًّا، ولكن إذا كان لديك استعداد لمساعدتي، فأخبريني أين توجد قوته.

- أقول لك بكل الحب، لكنني أخاف ألا تهزمه، وعندئذ سيكون الأمر وبالا شديدا بالنسبة للجميع. نحن في اشتياق للتحرر والتخلص منه. هل رأيت هؤلاء السيدات الموجودات بجانب قصر الثلج؟

قال "المخطئ":

ـ نعم رأيتهم.

ـ كلهن أميرات وبنات ملوك. كل واحدة منهن كانت زوجته لمدة عام. ولم ينقضِ عام على زواجه يخطف أخرى. أنا أيضا سأظل زوجته حتى يعود إلى البيت، لأنه الآن مسافر. إذا تمكن من أن يخطف فتاة أخرى سوف يضعني مع هؤلاء السيدات. أتعرف لماذا هن هناك؟

ـ سأعرف إذا قلتِ لي.

ـ كل هؤلاء عليهن أن ينفخن في قصر الثلج حتى لا ينصهر ويسيح كي ينام فيه في الصيف.

ـ لذلك قولي لي أين تكمن قوته تحديدا؟

ـ سأقول لك: في حزام بنطلونه! سأذهب وأحضر لك واحدا من هذه الأحزمة لتلبسه وتكون قويًا مثله.

هكذا فعلت السيدة وأحضرته له. وضعه "المخطئ" على خصره ووقف بجانب الباب وربطه وعندها شعر بقوة كما لو كان من الحديد. وبينما كان يتحدثان من موضوع إلى آخر فجأة تحرك قصر الجواهر، فقالت السيدة له:

ـ اذهب لأنه سوف يأتي الآن؛ تحرك القصر دلالة على قدومه.

خرج "المخطئ" وكان الحصان في انتظاره. سأله إذا كان بالداخل "كلامونا"؟ فرد الفتى على الحصان قائلًا:

ـ لم يأت بعد، لكنه سوف يأتي الآن وعندها سأصارعه. كن حذرا لأنه يحارب من فوق حصانه.

حسنًا قال الحصان:

ـ حاول التصويب على رقبته دوما.

وبمجرد أن رمش "المخطئ"، رجع "كالامون" إلى البيت كما لو كان حلما. وأمامه فتاة جميلة عرفها "المخطئ" بسرعة: إنها ابنة ملك بلاده. كان من السهل معرفتها. بمجرد وصول "كلامونا" أنزل الفتاة هناك، وصاح قائلا:

ـ اخرج من هنا أيها الحيوان الغريب في مملكتي؟ بينما كنت في الخارج جاء شخص غريب إلى هنا بل وما زال موجودًا. أين هو؟

قفز "المخطئ" من على حصانه، ووثب من فوق البوابة قائلا:

ـ أنا هنا، يا"كالامون".

ـ كيف استطعت أن تأتي إلى هنا، أيها النكرة؟ سأجهز عليك حالا.

ـ إذا تركت لك نفسي بلا رد عندئذ افعل ما شئت. وأقول لك بكل صراحة لقد أتيت إلى هنا لكي أحرر الرياح.

ـ ستتحرر الرياح، إذا حاربتني أولا.

ـ وهذا ما أريده.

ـ كيف تريد المصارعة، على الحصان أم بدونه؟

ـ على الحصان.

ـ لنبدأ إذًا!

بهذا قفز على الحصان الكبير العملاق، واستل كل منهما سيفه وتصارعا. عرف "كالامون" أنه يواجه خصمًا لا يستهان به، وأن "المخطئ" قوي مثله. لم يستطع أحدهما الاطاحة بالآخر. تباعدا عن بعضهما ثم تقابلا وجها لوجه للمرة الثانية لاستكمال المبارزة. وبدأت مرحلة أخرى من المصارعة بينهما. كان حصان "المخطئ" أمهر مما ساعد الفتى في الحركة والمراوغة فاتجه ناحية "كلامونا" وضربه بسيفه فسقط من على حصانه في الحال. انتهز "المخطئ" فرصة وقوعه وضرب يده اليمنى ثم اليسرى. وقتها بدأ" كلامون" يستجير ويتوسل إليه بألا يقتله، فقال "المخطئ":

ـ لن أقتلك بنفسي ولكن ساستدعى إلى هنا كل الأميرات الموجودات في القصر وهن سيقمن باللازم فأنت تستحق أقصى درجات العقاب. بالفعل نادى عليهن فحضرن في التو. قال لهن المخطئ: افعلن به ما ترون.

وما هي إلا لحظات معدودة حتى أجهزن عليه تماما. في هذه الأثناء كان "المخطئ" يبحث عن الأميرة بنت الملك، ثم سأل الأميرات عنها:

ـ أين تكون هي؟

قالوا له لا داعى للخوف، بما أنه قد حررهم.

وبالفعل عثر عليها وهى شرحت له ما الذي أتى بها إلى هذا المكان، ثم قال لها "المخطئ":

ـ أنا أيضا من البلد التي تنتمين إليها.

ـ أنت الفارس الذي أنهى حياة "كلامونا"! إذا أنا سأكون زوجتك لأن أبي وعد بتزويجي لمن يحرر الرياح! أجابته الأميرة بهذه الكلمات.

عندئذ احتضنا وقبلا بعضهما البعض. في التوقيت نفسه كانت الأميرات الأخريات قد بدلن ملابسهن؛ وبدأ قصر الثلج في الانصهار، لأنه لم يعد يوجد من ينفخ فيه ليبرد، علاوة على أن الشمس قد أشرقت هي الأخرى. تقريبا كان هذا التوقيت في شهر يوليو من السنة.

في الوقت نفسه وفي هذا المكان نفسه بدؤوا يطبخون ويشوون ويجهزون لفرح كبير الفرح ثلاثة أيام حيث أكلوا وشربوا وفرحوا. وأكلت الخيول وشربت كل ما وجدته. ثم قال "المخطئ" في اليوم الرابع:

ـ علينا أن نعود إلى البيت، لأن الخريف سيهل علينا عندما نصل إلى هناك.

كانت هناك عربة كبيرة تسع الجميع ربطوا فيها حصان "كلامونا"، ثم ركبوا عليها... تقريبا كانوا ثلاثمائة، ولكن الحصان الكبير يستطيع سحب العربة بما عليها بسهولة كأن لم يكن عليها شيء. أما "المخطئ" فاصطحب زوجته ومشى هو في المقدمة والعربة من خلفه.

وعلى العربة كانت الكلمات والحوارات كثيرة بين الأميرات فألسنتهن لم تصمت ولو للحظة واحدة في الطريق. بعد ثلاثة أيام وصلوا بالقرب من المكان المربوطة فيه الرياح، وحيث ما زالت مقيدة. أخذ "المخطئ" يفكر ويفكر أين يمكن أن يترك كل هؤلاء الأميرات حتى يفك قيد الرياح ويعود. فهو لا يستطيع العودة إلى القصر الذي كنا فيه لأنه صار ماء.

بينما كان مستغرقا في تفكيره ظهر له ملك العفاريت، وسأله، كيف يستطيع مساعدته.

ـ أريد منك قصرا لهؤلاء السيدات ليعشن فيه حتى أذهب وأحرر الرياح.

ـ لا تنس تجريب هذا السيف هل يستطيع قطع السلسلة.

أطلق العفريت الملك صافرة إلى باقي العفاريت، فأقبلوا في الحال جميعا لبناء القصر المطلوب الذي أصبح جاهزا لسكن الأميرات خلال لحظات. وكان القصر لا مثيل له.

مشى "المخطئ" وجرب السيف وعاد ثم قال لهن ألا يغادرن المكان لحين عودته، كي لا يتوهن في الطريق. أخذ زوجته أمامه على الحصان وانطلق. أما الباقيات فدخلن إلى القصر. سار "المخطئ" بحصانه بسرعة البرق. تقريبا وبعد مسير ثلاثة أسابيع وصلا إلى هناك. كان في لهفة إلى الوصول إلى هذا المكان لكي يحرر الرياح. ما إن وصلا حتى قفز من على الحصان وأخذ

السيف وحرر به الرياح من القيد. ثم ركب الحصان وانطلق كالبرق بل أسرع من ذلك عائدا إلى الأميرات.

فى بلدة "المخطىء" شعرت الناس بارتياح شديد لما جرى، واختلفوا فيما بينهم على من قام بتحرير الرياح. ولم يطل الوقت وسقط المطر. عندما جاء موعد زراعة الأرض كانت قد ارتوت وأصبحت مبتلة ورطبة فكان من الممكن عندئذ زراعتها.

خلال ثلاثة أسابيع من السفر وصل "المخطئ" إلى الأميرات الباقيات في انتظاره. عندما وصل إلى هناك أعطى لحصانه المأكل والمشرب ودخل مع زوجته إلى القصر. وهناك أقاموا عرسهم لثلاثة أيام وأكلوا وشربوا، وكانت هناك المشروبات من كل الأصناف. وبحلول اليوم الرابع انطلقوا عائدين صوب بلدة أبيها حيث ولد "المخطئ" أيضا. وقبل انطلاقهم توجه "المخطئ" إلى ملك كسالي ليشكره على ارشاده إلى الطريق الصحيح، وهكذا فعلا ثم انطلقوا عائدين إلى موطنهم الأصلي. ساروا لثلاثة أسابيع متواصلة حتى وصلوا إلى بلد "المخطئ" حيث استراحوا هناك لبعض الوقت، ثم أخبرهم "المخطئ" أن من تعرف طريق بلدها من الأميرات فلتعد إلى أهلها وديارها. طبعا كلهن يعرفن طريقة العودة، فعادت كل واحدة منهن! أما المخطئ فظل في بيته هناك مع زوجته، ثم أخذ يجهز السرج لكي ينطلقا إلى بلدة الملك حتى يطمئنهم على ابنتهم. لكن زوجته قالت له: ـ لا نستعجل في الرجوع إلى البيت، لننتظر هنا ثلاثة أيام أخرى.

ـ نعم، ولكن هم قلقون عليك.

ـ إذا تحملوا كل هذه المدة، فمن الممكن أن ينتظروا ثلاثة أيام أخرى.

قال المخطئ:

ـ إذا كنتِ أنت نفسك غير مستعجلة، فلمَ العجلة من ناحيتي؟!

أنزل السرج من على الحصان، وتركه يأكل فقد كان هناك مرعى جيد.

فى هذا الوقت كان بيت الملك يخيم عليه الحزن. فلم يفرح الملك العجوز مثل الباقين لأن الرياح عادت تهب كعادتها، والهواء يُصفر والمطر يتساقط بنعومته المعتادة. فكل ذلك بالنسبة له ليس له طعم لأن ابنته ليست معه! ولم يكن يشرب أو يأكل في تلك الفترة. ووصل الأمر إلى أنه قال لزوجته ذات مرة "لنعتبر ابنتنا توفت؛ ولنقم لها جنازة صورية."

وفي التو انطلق المنادي يعلن الناس أن تأتي إلى حديقة القصر الملكي لتقديم العزاء في الأميرة. أتى الناس من كل مكان وكان الملك يبكي، وزوجته تنتحب بشدة. كان الجمع غفيرا في

الجنازة فلم تكفهم الحديقة الملكية. ثم بدأ المرتل بتلاوة بعض الأناشيد الجنائزية بصوت عذب ورقيق وردد الحاضرون وراءه. استمر العزاء لثلاثة أيام بلياليها. وكان الحزن يخيم على الملك والملكة بشكل لم يتصوره مخلوق في هذه الدنيا!

ولما أن حلّ اليوم الرابع وكان الفجر جميلا جهز "المخطئ" حصانه، وربط حصان "كلامونا" في سرج حصانه ليسحبه معه في طريقه. ركب هو وزوجته وانطلقا بسرعة الرياح فوصلا سريعا إلى العاصمة، ومرا من الحقول والمراعي والأودية والأنهار. كانت زوجته مستلقية في حضنه. وبينما يسير في طريقه غارقا في فكره سمع بعض الأناشيد الجنائزية في المدينة فسأل أحد الأولاد ما سبب هذه الأناشيد فقال له:

ـ يا سيدي الفارس، ألم تعلم أن هذا هو عزاء ابنة الملك التي أخذها "كلامونا"؟

عندما سمعت الأميرة هذه الكلمات قالت لزوجها.

ـ قل للحصان أن يسرع لنصل إلى هناك في لمح البصر.

وخز "المخطئ" الحصان فانطلق بأقصى سرعة طائرا كالبرق، حتى كادوا أن يصطدموا بالنعش الموضوع في الحديقة الملكية لما وصلوا إلى هناك. وفجأة وقفت الأميرة أمام الجميع وقال لهم "المخطئ" لِمَ البكاء وها هي الأميرة هنا معنا ولم يصبها أي مكروه؟ ثم قال "المخطئ" موجها كلامه للملك:

ـ لماذا تبكي يا أبي الملك، إذ أن الأميرة هنا؟

فرك الملك العجوز عينيه لكي يرى جيدا. حقًّا كانت تقف أمامه ابنته! صار فرحًا غير عادي في المكان كله لدرجة أن الملك نفسه بكى من شدة فرحته. ثم قبل "المخطئ" وابنته، ولم يعرف ماذا يفعل من شدة فرحه، وقال:

ـ من أنت أيها الفارس، الذي استطعت إحضار ابنتي؟

أجابته ابنته بدلًا من "المخطئ".

ـ هو زوجي!

ـ قال الملك: تقصدين سيكون زوجك!

ـ لا بل تزوجنا عندما كنا في مملكة "كلامونا".

أجاب "المخطئ" قائلا:

ـ أنا ذلك الشاب الذي أتى مع والدته من أجل الدقيق يا أبي الملك.

ـ نعم أذكرك، أنت فارس شجاع، وتستحق ابنتي.

دخلوا إلى البيت، وتحدثوا بالداخل. وقال الملك للجميع ألا يذهبوا إلى منازلهم، لأنهم سيقيمون حفل الزفاف في الحال.

أثناء ذلك بدأت السيدات يتحدثن كعادتهن ويقلن:

ـ كنت أفكر دوما أن الصغيرة الجميلة ستعود.

ـ لم يساورني الشك في ذلك قط.

قالت الثالثة:

ـ كان من الممكن التفكير في هذا الأمر.

قال "المخطئ" للسائقين أن يعتنوا بالخيول والعربات، وسأل متى حفل الزفاف فردت عليه زوجته:

ـ ليس لدي مشكلة إذا كان غدًا!

أبلغ الملك الطهاة بأن يطهوا اللحم. أثناء ذلك كان صوت الأجراس يدق، والسيدات تخبز وتطهى لحوم كثيرة للغاية لأنه كان لابد من تجهيز ولائم للبلد بأكملها!

في اليوم التالي كانت الحشود في الخارج، وكان الجو رائعًا وممتعًا، ولم يكن يوجد مكان كافٍ بالداخل للجميع من كثرة المعازيم. استمر العرس ثلاثة أيام.

كان الشاب فرحا بعروسته وكان الجميع يشعر بالسعادة الغامرة. ولما أن حلّ اليوم الثالث لم يتبق أي شيء من المأكل والشرب، فقد نفد كل شيء.

وهنا قام الملك بنفسه مخاطبا الناس قائلا:

ـ اسمعوني أيها الناس! هذا الفارس وعد ووفى بوعده فحرر الرياح وقتل "كلامونا" وأنقذ ابنتي وأحضرها سالمة غانمة إلينا والآن قد تزوجها. ومن هذا المكان أعلن للجميع أنني قد تنازلت عن ملكي له، إن لم يكن لديكم مانع، فقد بلغت من العمر عتيًّا أنا الآخر.

صاح الشعب ردا عليه:

ـ كيف لنا أن نتضايق؟ نحن أيضًا نريد ذلك! فليعش الملك الجديد!

قام الشاب وشكر الملك أولا، وبعدها توجه بالشكر للشعب.

حينها قام الملك وقال:

عودوا إلى بيوتكم الآن، لأنه حان وقت العمل. لابد من العمل، فلا حياة بلا عمل فيجب أن نزرع لنجد ما نحصده في المستقبل.

عاد الجميع إلى بيوتهم، وأصبح الشاب ملكًا عادلا، ولم يفرضوا ضرائبا في البلد التي كان يحكمها. وكان هو بنفسه يعمل ويزرع ويحصد مستخدما حصان "كلامونا" الذي كان يقوم بما تقوم به كل الأحصنة مجتمعة من قبل. عاش الملك وزوجته في ثبات ونبات من دون غضب ولا خصام. وربما ما زالا يعيشان إلى الآن ما لم يكن قد توفاهم الله!

جنية شجرة البلوط ذات الأغصان الثلاثة

كان يا ما كان يا سعد يا إكرام، في سالف العصر والزمان، وفي مكان أبعد بكثير من بلاد ما وراء البحار. كان يعيش أحد أبناء الملك الأخضر وحيدًا في قلعته، وكان يشعر بالملل في كثير من الأحيان. ذات مرة أمسك بسلاحه وخرج ليصطاد، وما أن وصل إلى الغابة حتى وجد أرنبًا، وضعه نصب عينيه كي يصوب عليه. لكن الأرنب بدأ في التوسل إليه قائلا:

ـ اصفح عني أيها الأمير، وافعل خيرًا، تجد خيرًا! أتركني أعيش.

وتركه يعيش حياته، ولم يؤذه وجرى الأرنب. ثم عثر بعد ذلك على ثعلب، ووضع الثعلب نصب عينيه، وقال له الثعلب هو الآخر:

ـ لا تطلق عليّ النار، أيها الأمير! اتركني أعيش، وانتظر الخير نظير الخير.

صفح الأمير عنه أيضًا، وواصل السير في الغابة حيث وجد آيلا[1] صغيرا، فاتخذ منه هدفا ليطلق عليه النار، لكنه قال له هو الآخر:

ـ أطلب منك السماح أيها الأمير، أتركني أعيش، لأنني أقول لك شيئا طيبا، وستشكرني عليه فيما بعد.

تركه الأمير هو الآخر، فقال له الآيل:

ـ أيها الأمير رحيم القلب، أعبر لك الآن عن امتناني. اذهب إلى وسط الغابة، ستجد شجرة من البلوط ذات ثلاثة أفرع، اقطع منها فرعا وستخرج لك منه بنت جميلة كحوريات الجنة. هذه ستكون زوجتك، لكن خذ معك القليل من الماء، فربما ستكون في حاجة إليه.

وبالفعل ذهب الأمير فوجد شجرة البلوط وقطع منها فرعا، فخرجت منه حورية أسطورية الجمال وقالت للأمير بصوت عالٍ:

ـ آه... أريد الماء... ماء... سأموت.

ظل الأمير يتجول حول نفسه كي يجد الماء، لكن قارورة المياه قد سقطت، وتسرب منها

---

(١) الأيّل: الحيوان الوحيد الذي له عظام على رأسه تسمى القرون المتساقطة. تختلف هذه القرون عن القرون الدائمة التي تتكون من طبقات صلبة قوية من الجلد ذات لُب عَظمي. وهو من أكثر الثدييّات الأرضية الكبيرة انتشارًا، كما أنه مشهور بقدرته على العدو. يوجد أكثر من ٦٠ نوعًا من الأيائل في العالم، منها الكاريبو وأيّل الأحراش والموظ والأيّل الأذاني وأيّل المسك والرّنة والرُّو.

الماء. ماتت الحورية الجميلة، لم يكن بوسعه فعل شيء. أخذها في حضنه وأحضرها إلى المنزل ودفنها.

مر وانقضى الوقت، وذهب ثانية للصيد، فوجد الثعلب.

ـ أيها الأمير رحيم القلب، أعبر لك الآن عن خالص امتناني. اذهب ثانية إلى الغابة، حيث توجد شجرة البلوط التي قطعت منها فرعا. اقطع منها فرعا آخر، وستخرج لك بنت من الحوريات الجميلة، لكن خذ معك القليل من الماء، فربما تكون في حاجة إليه.

ذهب الأمير هنا وهناك كي يحصل على الماء في الغابة، لكنه لم يجد. كان لديه خمر من نبات القرع. اعتقد أن هذا سيكون جيدًا، لكن حدث معه مثلما حدث في المرة السابقة. قطع الفرع، فخرجت منه الحورية الجميلة، أعطاها الخمر فماتت. سيطر على الأمير حزن بالغ لما وقع معه. أخذ هذه الفتاة الحورية أيضًا، وأحضرها إلى المنزل حزينا على أنه إنسان تعيس الحظ. لقد أعطاه الله الحظ، لكنه لم يستطع أن يستغله، دفنها هي الأخرى وأحسن دفنها.

شعر بالمرارة وندب حظه لفترة من الزمن، ثم عاد مرة أخرى إلى الغابة ليصطاد، وتقابل هناك مع الأرنب.

ـ أيها الأمير رحيم القلب، نظير صنيعك الطيب أقل لك أمرا طيبا، تعال معي سأريك أين توجد المياه.

ذهبا سويًا ووجدا ينبوع المياه.

ـ خذ ماء معك من هنا، ولنواصل السير الآن.

وجدا شجرة البلوط التي قطع الأمير منها فرعين من قبل، وما زال الفرع الثالث عليها قابعا.

ـ حسنًا اقطع فرع البلوط الجميل هذا الآن.

قطعه فخرجت منه حورية جميلة الجميلات، وصرخت البنت في الحال قائلة:

ـ آه... أريد الماء... ماء... سأموت!

أمسك الأرنب بالإبريق، وأمده للفتاة، فارتوت منه جيدًا، وبقت على قيد الحياة ولم تمت، ثم جلست الفتاة الصغير منحنية على ركبتيها أمام الأمير، وشكرته على تحريرها من شجرة البلوط، وحكت له قصتها:

- حسنًا أيها الأمير المبجل، لقد وهبني الله لك في هذا العالم. شكرًا على صنيعك الطيب. لقد كنا ثلاثة من الأخوات، لكننا كنا قد لعنًا جميعًا كي لا نتحرر من شجرة البلوط هذه، ما لم يقطعها إنسان. سنكون سويًا في هذا العالم.

حضنا وقبلا بعضهما البعض، وكان الأرنب الصغير يقفز أمامهما فرحًا بتحرير سيدته المحبوبة.

انطلق ثلاثتهم نحو الطريق، لكن أثناء ذلك وقبل أن يصلوا إلى البيت كان هناك بئر خارج المدينة. جلسوا هناك قليلًا. قالت الحورية للأمير:

- حبيبي العزيز، آسفة على تعبك لكن بملابسي هذه ليست لدي الجرأة على الدخول إلى قصرك، اتركني هنا مع الأرنب الصغير، واذهب أنت أولا إلى المنزل، وأحضر لي رداءً جديدًا.

وبقت هناك. وذهب الأمير ليحضر لها الملابس، لكن من سعادته الغامرة فقد قضى وقتا طويلًا بالبيت، وأمر بتصنيع ملابس جديدة تماما للبنت. انتظرا الأمير، لكنه لم يصل بعد.

ذهب الكثيرون إلى البئر من أجل المياه، ولكي لا تجعلهم يرونها عند البئر بملابسها، فقد تسلقت البنت على شجرة صفصاف تنثر ظلها على البئر، أما الأرنب الصغير فذهب يبحث عن مأكل ومشرب.

ذهبت إلى البئر أيضا سيدة ساحرة لتأخذ الماء، نظرت في البئر فوجدت حورية جميلة بياضها يشد الناظرين من شدة ضيائها. وكانت الحورية أعلى شجرة الصفصاف، لكن صورتها ظهرت في المياه. تأملت الساحرة هنا وهناك، ولكنها لم تر شخصا في الدنيا بهذا الشكل. في النهاية فكرت في أن الصورة التي رأتها في البئر ما هي إلا صورتها، لكنها في النهاية رأت البنت الحورية فعلًا فوق الشجرة، فأنزلتها وسألتها لِمَ هي هناك في الأعلى هكذا. سردت لها البنت كل ما حدث لها وأن أميرا هو من حررها. قصت كل شيء من البداية إلى النهاية لهذه الساحرة. وحكت لها أيضا أنها الآن بصدد انتظار الأمير، لكي يحضر لها الملابس.

عندئذ أمسكت بها الساحرة وألقت بها في البئر، فلقد كان لديها هي الأخرى بنتا: وذهبت إلى المنزل بسرعة، وأتت بابنتها إلى البئر، وتركتها في الأعلى على شجرة الصفصاف.

وصل إلى هناك الأمير مع الرداء، ونادى على الحورية، وبحث عنها فأين عساها أن تكون عروسته، لقد ألبست الساحرة ملابس الحورية لابنتها، لكن بلا فائدة فقد كانت سمراء اللون.

خلاصة الأمر رأى الأمير الأرنب الصغير، وسأله أين توجد البنت، فرد الأرنب الصغير عليه قائلا:

ـ لقد تركتها هنا بجانب البئر، وذهبت للبحث عن شيء نتناوله، وأثناء ذلك تسلقت شجرة الصفصاف.

حسنا ينظران الآن حولهما هنا وهناك: أين توجد الفتاة على الشجرة، يقول لها الأمير:

ـ أنزلي من هناك، لترتدي الملابس!

عندما نزلت من على الشجرة، رأى أنها قبيحة وسمراء، مع أنها كانت جميلة من قبل! ماذا حدث لها يا ترى؟

ـ ياه يا روحي، يا حبيبي ـ تقول ابنة الساحرة ـ لقد أحرقتني أشعة الشمس، وغيرت من هيئتي كلها.

ألبسها الأمير، واعتقد أنها هي حوريته، وأحضرها إلى المنزل. أصبحت البنت الحورية الحقيقية التي ألقت بها الساحرة في البئر سمكة ذهبية جميلة. لكن دعنا من هذه السمكة الذهبية الجميلة الملقاة في البئر في الوقت الحالي.

لقد عاشت الفتاة بنت الساحرة الشريرة في القصر، نعم بقت مع الأمير، وأصبحت زوجته، وذات مرة ذهبت الساحرة إلى البنت، وقالت لها:

ـ ألم يحدث شيء جديد مما قد فعلناه بتلك الفتاة الحورية؟ لأنني ذهبت إلى البئر ورأيت في الماء سمكة ذهبية جميلة. هل تحولت البنت إلى هذه السمكة؟ أنصحك يا ابنتي بأن تتظاهري بأنكِ مريضة، وقولي للأمير أنكِ لن تمثلي للشفاء ما لم يمسك بتلك السمكة الذهبية التي توجد في البئر.

فعل هذا الأمير من أجل حبيبته، وتم الإمساك بالسمكة الذهبية وطهيها؛ أكلت بنت المرأة الساحرة منها وهكذا شفيت، لكن عندما نظفت الطباخة السمكة سقط منها على الأرض حرْشف صغير ونقود قليلة، وبمجرد وقوعهما على الأرض، صارت شجرة تفاح ذهبية جميلة. هذه الشجرة تزهر كل ليلة، وينضج عليها التفاح حتى منتصف النهار، لكن دائما ما كانوا يأخذون ثمارها في الليل.

فكر الملك ما السبب في هذا الأمر أنهم لا يستطيعون الانتفاع من ثمار هذه الشجرة. لم يعلم أن ثمار هذه الشجرة يأخذه الجان، لكن المرأة الساحرة ذهبت ثانية إلى ابنتها، وقالت لها:

ـ ما هذا الأمر؟ ستظهر الحقيقة بشكل ما أنك لست بالبنت الحورية، يجب قطع هذه الشجرة!

قالت الملكة للملك هذا بالفعل:

ـ لا ننتفع من هذه الشجرة قط! اقطعها من هنا كي لا نراها ثانية!

كان في الجوار رجل فقير، استدعاه الملك كي يقطع الشجرة، وبالفعل قطعها بشكل جيد، لكن عندما همَّ بشقها وتفتيتها، وقع منها جزء، فرأى الرجل المسكين أن هذه شجرة ذهبية، فوضع هذا الجزء في جيبه كي يأخذه لطفله. لم يعلم الملك أن الرجل المسكين قد أخذ شيئا معه من هناك، ودفع له أجر جهده. عاد الرجل المسكين إلى بيته. وضع هذه القطعة الصغيرة من الشجرة التي احتفظ بها في جيبه بجانب النار في القوس الصغير. وقد بقت هناك هذه، لكن زوجة الملك أحرقت بقية أجزاء الشجرة.

عندما حل المساء وكان الرجل المسكين في بيته انبعث نور حتى إنهم كانوا يرون من دون شمعة. يقول الرجل الفقير لزوجته:

ـ بالتأكيد هذه هي قطعة الشجرة الصغيرة التي تضيء.

وقد كان فعلا هكذا.

في اليوم التالي ذهب الرجل المسكين إلى العمل بزوجته وابنته. انطلقوا في الصباح الباكر، ولم يكنسوا البيت، ولم يرتبوا السرير. في المساء ـ عندما عادوا ـ وجدوا أن المنزل مكنوسا والسرير مرتبا، وكل شيء على ما يرام. فكروا في أنفسهم من جاء إلى منزلهم، من قام بهذا الأمر في حين أنهم خرجوا تاركين كل شيء مكانه.

في صباح اليوم التالي تجهزوا للذهاب إلى الملك للعمل، لكنهم تركوا البنت في المنزل تختبئ، كي تعثر على من يذهب إلى منزلهم. وللمرة الثانية تركوا كل شيء وأشياءهم كما هي. وقفت بنتهم تحت النافذة كي لا يراها أحد، وفجأة يخرج من قطعة الشجرة الصغير هذه فتاة من الحوريات وتبدأ في كنس المنزل. ظلت ابنة الرجل الفقير تنظر إليها لفترة، ماذا تفعل هذه البنت التي خرجت من هذه القطعة الخشبية الصغيرة، ثم دخلت مسرعة فجأة إلى المنزل، وأمسكت بقطعة الشجرة الصغيرة.

حسنًا لقد أمسكوا بالفتاة الحورية، لم يكن باليد حيلة، ماذا عساها أن تفعل تلك الحورية، فقد بقت معهم. ومنذ ذلك الحين والفتاتان تذهبان سويًا إلى الملك من أجل العمل، وذات مرة أراد الملك أن يسمع حكاية، فقالت إحداهما حكاية، وقالت الأخرى واحدة. وجاء الدور على الحورية، فقال الملك:

ـ حسنًا قولي أنت أيضا واحدة، فأنت الأجمل هنا، لنرى ماذا رأيتِ وجربتِ في حياتك.

وعلى هذا شرعت البنت الحورية في قص حكايتها وفي تلك اللحظة تحديدا كانت قد بدأت في الحديث عن حبيبها:

ـ كان يا ما كان في سالف العصر والأوان، كان هناك أمير، خرج ذات مرة ليصطاد، فتقابل مع أرنب صغير... ـ وقالت كل الحكاية حتى إنها قالت في النهاية: "وأنا الحورية التي أخرجها الأمير من شجرة البلوط!"

وحينئذ عانق الأمير الفتاة، وطرد ابنة الساحرة، وتزوج الحورية، وما زالا يعيشان حتى الآن، ما لم يكن قد توفاهما الله.

كلمة ختامية

لقد اقتربت من هذه الحكايات بطريقة مماثلة تمامًا لتلك التي يسلكها العازف الموسيقي عند تلحينه "النشيد الوطني" وذلك في البداية عند إصدار الطبعة الأولى. لم يكن الهدف هو التغيير والتعديل، بل على النقيض فالمراد هو أنني رغبت في تقويتها من حيث الفحوى والمضمون فحسب. وما عدلته كان بسيطًا في الهيكل، ومع ذلك أقبلت على هذه الخطوة. حسب تصوري وتذوقي فإنني لم أضف لها أكثر مما يمكن أن يضيفه مواطن عادي من الشعب المجري. كان هدفي هو أن يكون لها صدى وبريق حتى بعد روايتها للمرة المائة وأكثر، أي ألا يتسرب الملل إلى صدر قارئ هذه الحكايات بعد فترة.

بيد أنه كان يمكن القول إنه بطريقة أخرى كانت هناك متطلبات أكثر لتحقيق المراد.

لقد ولدت هذه الحكايات في جميع أنحاء المناطق المأهولة بمن ينتمون للقومية المجرية والمقدر عددهم بأربعة عشر مليون نسمة، الذين يحملون في داخلهم شكل الجملة والنغمة الموسيقية اللغوية التي تخص كل منطقة على حدة والتي أيضًا مفهومة بالنسبة للمناطق الأخرى. لقد أردت توحيدها وجعلها مفهومة بالنسبة للجميع تمامًا، لكن بطريقة أن تحتفظ بأصلها ولا تفقد أي من خصوصيتها وتفردها. فالأمة يجب أن تكون أكثر نضجًا بتعدديتها من ناحية وثراء وحرية الفكر من ناحية أخرى كالرسام مع ألوانه. في هذه الحكايات التي لا تعود نشأتها إلى يومنا هذا لا يقف القانون اللغوي مكتملا؛ فالعناصر المشكلة لحلاوة لغتنا هم من الطبقة الشعبية المطحونة من المزارعين المساكين مثلهم كأفضل الأساتذة المهنيين. الأسباب الرئيسية تتمثل في أن الاحتفاظ بهذه الحكايات هو التزام وطني شأنه شأن حماية الآثار.

لم أغير بأية حال من الأحوال طريقة العرض الفريدة لشعبنا في هذه الحكايات.

وأقول بكل صدق وأمانة إن مستودع لغتنا يقبع في الحياة الريفية، بالطبع. لكن هذا لا يعني بالقطع أن كل واحد من أفراد طبقة المزارعين كان يعرف أكثر من الآخر قواعد لغتنا مثل الأكاديميين. بيد أنه في الحقيقة هناك من بين الأكاديميين من يخجل من تقوية معرفته للغة. لقد كانوا يتفوهون بأخطاء لغوية في عرضهم البسيط للحكايات، وقد صححت هذه الحكايات أخذا في الاعتبار هذه النوعية من المعرفة في مجملها.

كان لدي تنبه ويقظة لشيء آخر. هذه الحكايات كانت الأفضل على الإطلاق والتي أسعدت وسلت الأطفال في كل الأوقات، لكن الأطفال لم يؤلفوها. وهكذا لا يوجد الغضب والانتقام واستخدام الكلمات الحادة في هذه الحكايات. لقد وصلت إليهم مجموعة من العناصر

التي يشعر الكبير بأنها طبيعية، والتي يمكن أن يتنبه منها الأطفال. لقد قادت الخبرة هذه الحكايات من دون تغيير جوهري.

في هذه الطبعة هناك تنقيح جديد لسبع وعشرين حكاية وضعتها في أماكن تشابهها الموضوعي من ناحية التعريف الخاص بجمع المادة الأخرى من ناحية ثانية الأمر الذي أعتبره موفقًا وصحيحًا.

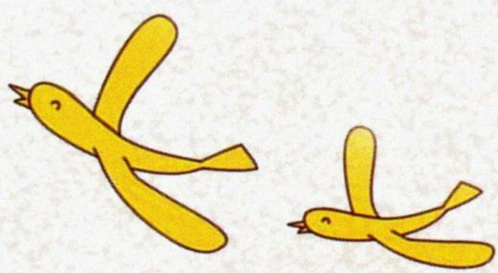
جولا إييش.

مراجعة لغوية: محمد مجدي عبد ربه
تصميم الغلاف: صابرين مهران
الإشراف الفني: حسن كامل

٧٧ حدوتة مجرية

لقد اقتربت من هذه الحكايات بطريقة مماثلة تمامًا لتلك التي يسلكها العازف الموسيقي عند تلحينه "النشيد الوطني". ولدت هذه الحكايات في جميع أنحاء المناطق المأهولة بمن ينتمون للقومية المجرية والمقدر عددهم بأربعة عشر مليون نسمة، والذين يحملون في داخلهم شكل الجملة والنغمة الموسيقية اللغوية التي تخص كل منطقة على حدة، والمفهومة بالنسبة للمناطق الأخرى غالبًا. لقد أردت توحيدها وجعلها مفهومة بالنسبة للجميع تمامًا، لكن بطريقة أن تحتفظ بأصلها ولا تفقد أيًا من خصوصيتها وتفردها؛ فالأمة يجب أن تكون أكثر نضجًا بتعدديتها من ناحية، وثراء وحرية الفكر من ناحية أخرى كالرسام مع ألوانه: في هذه الحكايات التي لا تعود نشأتها إلى يومنا هذا لا يقف القانون اللغوي مكتملا: فالعناصر المشكّلة لحلاوة لغتنا هم من الطبقة الشعبية المطحونة من المزارعين المساكين مثلهم كأفضل الأساتذة المحترفين. والحفاظ على هذه الحواديت هو التزام وطني شأنه شأن حماية الآثار لا ينبغي التفريط فيها أبدًا.

جولا إياش "ILLYÉS GYULA"



تصميم الغلاف: طاريف مهران